2264
.12
.1888
v.11-15, c.2

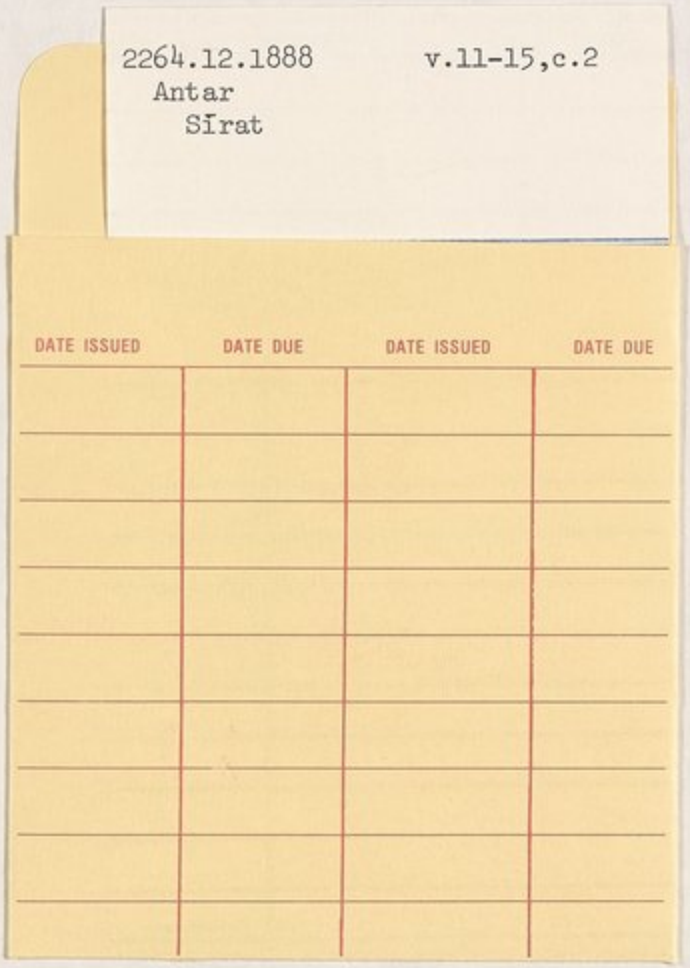

Princeton University Library
32101 047143720

Antar
"
Sirat

الجزء الحادى عشر من سيرة الفارس الهمام والبطل
المقدام من انتشرت شهرة فروسيته فى كل
واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
٢

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٧ هجريه)

1-308

(RECAP)

2264
.12
.1888

v. 11-15, c. 2

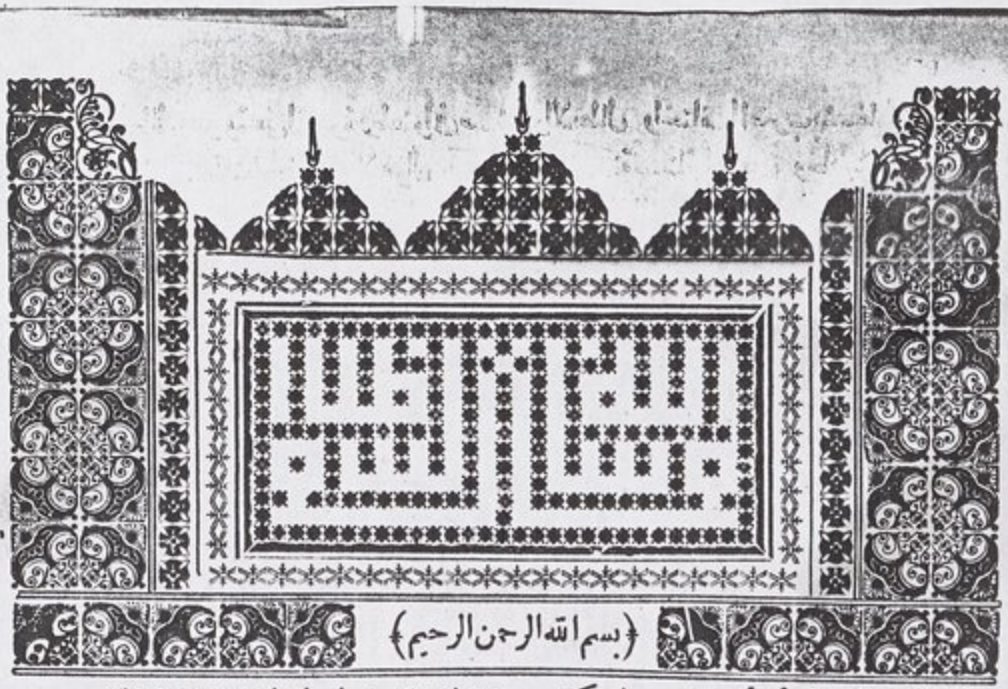

{بسم الله الرحمن الرحيم}

{قال الراوى} ثم انه أمر أخيه شيبوب ان يكتف عمارة واخوته ويسلمهم الى الحارث ففعل ذلك وسيرهم معه وعول على الرجعة فقال له عروة بن الورد بحق الله عليك يا أبو الفوارس تمهل على حتى أعود الى عند الحارث وأحمل العبيد ما قد فضل من طعامهم وشرابهم حتى لا يحظى به من لا يستاهله فقال له عنتر افعل ما بدا لك فما أخالف مقالك ثم تقدم يطلب المكان الذى ذكرنا والحال الذى وصفنا واذا قد خرج من بعض أودية الوادى خيل متسابقة وفرسان متزاعقة بايديهم الصوارم البارقة والرماح الخارقة فوقف عروة بن الورد ونظرهم واذا هم ينادون يا آل كنده يا آل كنده يا آل بنى القين أين تنجو يا عبيد الزنا ونربية الخنا ونسل الاما وبعدها أطلقوا نحو عنتر الاعنة وقوموا الاسنة وتقسموا عليه فرق ومواكب ودار وابه من كل جانب ولما علم مقرى الوحش بهذه النوائب قال هذه خيل قد تبعتنا من ماء النعام تطالبنا بثار عمرو الذى قتلته وسبيت زوجته زهره واليوم أشفى منهم قلبى وأطفى لهيب كربى فقال عنتر لمقرى الوحش ان كان لم يسر خلفنا غير هذه الطائفة فهذه أمرها قريب وقد ساقها أجلها الى تلافها ولكن قلبى يحدثنى ان مائة فارس ما تجسر من بنى كنده وبنى القين تدخل خلفنا الى هذه الديار وتطالبنا بالثار وقد أبصرت من فعالنا لهيب النار وعاينت من قتالنا ما حير منهم الابصار وأنا أقول ان هذه بوادر خيل كثيرة وعسكر جرار وأنا خائف على عبلة ومسيكة من ذلك الامر لانهم فى وسط البر الاقفر والمهمه الاغبر واذا كان الامر على ما ذكرت فالتق أنت وعروة وابن اختى الهطال هذه الخيل حتى أعود أنا الى النساء والعيال {قال الاصمعى} وما تم عنتر بن شداد هذا الكلام حتى طلع موكب آخر من بين تلك التلال والرمال أكثر من الاول عددا وأغزر مددا فانطبقوا مع الفرقة الاولى وبدوا بالصياح وانتشروا فى تلك الربا والبطاح فقال عنتر والله يا فارس النياق أنا ما أحسب الاحساب الرجال أهل الخبرة بالحرب والقتال وما طلبنا هؤلاء الاندال الاوقد علموا اننا أكثر منهم فى الحرب والنزال ثم ان عنتر ركض وسعى شيبوب بين يديه والاعداء من كل جانب تصيح عليه وهم يقولون الى أين يا ابن الاما وعبلة قد بعدت عن هذه المواضع وأنت راجع فسلم نفسك واقطع منا طمعك قبل ان ينهب جسدك بالسيوف القواطع قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب ما رد عليهم جواب بل تم على حاله وهو فى جبة قتال فقال لهم مقرى الوحش كذبتم يا أندال ويا نسل غير حلال فدونكم عبلة سيوف حداد ورماح مداد تسبق الآجال فدونكم والقتال ثم انه حمل على

الميمنة

الميمنة والمهطال وعروة على الميسرة وطعنوا فى صدور الابطال واختلف الضرب بشفار الصفاح
الصقال واختلفت المنايا وزادت الاهوال وكشفت الاسنة ستائر القلوب وخاضت فى الخواصر
والجنوب وفصل مقرى الوحش فعال الجبابرة وجعل رؤس الفرسان متناثرة وصارت طاحون
الحرب دائرة والجماجم من على الابدان طائرة وأما عنتر فانه ركض حتى غاب عنهم وقارب المكان
الذى كان فيه النساء فابصر هناك طائفة أخرى ساقوا عبلة ومسيكة وسبوا المولدات وهن فى الهوادج
باكيات متلفتات الى أقطار الفلوات وهم يسكبون العبرات وينتظرون الفرج من رافع السموات
الذى يعلم ما مضى وما هو آت ﴿قال الراوى﴾ فلما ان أبصر عنتر هذه الحالات تغيرت أحواله وعلم
ان مقرى الوحش صادق فى مقاله ثم انه قال لشيبوب دهينا ورب الكعبة من كل جانب ورمانا الدهر
بسهام المصائب ثم انه طلب الخيل وهدر وزمجر ونادى ويلكم من أى الناس أنتم لعن الله أبو الحاكم
عليكم اخبروناقبل ان تطير جماجمكم من على أغصان الاعناق وتروا الطعن فى المحاجر والاحداق
﴿قال الراوى﴾ وعند وصوله قتل منهم عشرين فارس وأنزل بهم الضر والوساوس فتشتتوا قدامه خوفا
من المعاطب فى البر والسباسب ﴿قال الراوى﴾ وكان المقدم على هذه السرية جندلة زوج الساحرة
بامر الملك مسعود بن مصاد لانه لما آيس من عبلة وزاد به العشق والغرام هجر المنام وصام عن الطعام
وذلك بعد ما كان ملك ومقدام وهان عليه فسخ الزمام وذلك كله لاجل عشقه لعبلة بنت الكرام ثم
ان مسعود استشار جندلة فيما يفعل فقال له الرأى عندى أيها الملك ان تجتنب هؤلاء القوم ولا ترجع
تلم بهم لانى بعد عودتى أردت أعرف من قتل زوجتى فانفذت ابنتى وقد قلت لها امضى الى بنى عبس
فى زى سائلة حتى تعرف من قتل أمك ومن فعل بها هذه الفعال فمضت وأقامت فى أبياتهم ثلاثة أيام
وعادت الى وقالت لى يا أبتاه ما قتل والدتى وأنزل بها العبر الا عبدهم الزنيم عنتر لانه كان قد خرج
لما فرغت دعوة الملك قيس فى جماعة من فرسانه وأعوانه حتى وصلوا الى أمى وهى فى عملها وشغلها
فقتلها ولو لا شغل قلبه على بنت عمه عبلة وما جرى لها وعودته ما كان خروج هذا الشيطان الا لقتل
ملكنا مسعود وما كان عاد من بين يديه سالم ﴿قال الراوى﴾ وكان جندلة أراد بهذا المقال تحريض
الملك مسعود على فسخ الزمام الذى بينه وبين بنى عبس وطلب بذلك أخذ ثار زوجته واثارة الفتن فعندها
قال الملك مسعود يا جندلة لقد كان الرأى معك من الاول لما قلت لى الصواب انه ان لم يقتل هذا العبد
الولد الزنا ما تبلغ من زوجته منا والآن لابد لى من قتله وأريد من اليوم أجعل عليه العيون والارصاد
وأبصر أين ينفرد بنفسه وأرسل اليه من يضرب رقبته ويخمد حسه واذا أرسل الى الملك قيس وعتب
على أقول هذا أمر ما علمت به حتى فات والخطا من عنتر كان لانه قتل من أهلنا امرأة جليلة القدر بغير
ذنب وعلموا أهلها بذلك فاجتمعوا وأخذوا بثارها منه كما جرت عادة العرب فساروا اليه وقتلوه فقال
جندلة اذا كان عزمك يا ملك قد قوى على ذلك فاذن الامر قد سهل فى قتله لانى قد بلغنى فى هذه الايام
ان عنتر ما يفارق عبلة لا ليل ولا نهار ومن خوفه عليها صار كل يوم يأخذها ويبعد بها فى أواخر المروج
والغدران وينزل بها فى ذلك المكان يأكل ويشرب الى الليل ويعود فى وقت الظلام والصواب انك
ترسل من أبطالك قدر خمسمائة فارس ليقطعوا من عنتر عمره ويخفون أثره وتأمرهم أن يكمنوا له فى
ثلاثة مواضع واوصيهم أن لا يخرجوا اليه حتى يقبل الليل لانه يكون سكران من شرب العقار وانهم
يبادروا اليه ويضربوا رقبته ويجيبوا الملك زوجته وان عتب عليك الملك قيس تقول هذه الخيل
ما كانت من عندنا ونحن لا نعرفها ولا شك أنها من بنى كنده وبنى القين لانهم أتوا يطالبون عبدكم
بالثار لفارسهم عمرو بن ضمرة ولابد ما أنفذ اليهم من أبطالنا من ينهب أموالهم ويسبى عيالهم

MAY -3 1908 160829

ويقتل أبطالهم الى أن تنطفى الفتنة وتكون قد ظفرت بالفرصة فلا يكون مثلك ملك من ملوك
الارض وكيف تبقى فى قلبك غصة وأنت صاحب هذا الاقليم وصاحب الحما والحسب الكريم قال
فلما سمع الملك مسعود هذا المقال زاد به البلبال وقال يا جندلة كلما أشرت به صواب الاقوال
خمسمائة فارس لعبد واحد فهذه الكثرة لاى شئ الحاجة اليها فقال له جندلة يا ملك الزمان لان رجال
بنى عبس مشهورين وهم فى الفروسية مذكورين خصوصا ذلك العبد الزنيم لانه فارس مغوار
وبطل جبار وله فروسية ما عليها عيار وانه لم يخرج بعبلة وحده بل لابد أن يخرج معه جماعة من
فرسان قومه وكلهم أبطال واقيال مالهم فى الحرب مثال وقيل انه معه فارس وهو أطعن أهل زمانه
بالرماح بطل جبار وفارس مغوار وهو يسمى مقرى الوحش ويلقب بفارس النياق وهو أثبتهم عند
الحرب والكفاح وأضربهم بالصفاح فدبرت هذا التدبير على سبيل المكاثرة لان يا ملك المهاونة
فى التدبير عائدة على الانسان بالتدمير قال فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام قال له افعل ما بدا لك
لاننا لا نخالف مقالك ثم ان الملك مسعود دعا من خواص قومه أربع رجال وأطلعهم على هذا
الحال فوجد عندهم لبنى عبس من الحسد ما قد ملأ القلوب وفاض من الصدور وما صدق القوم
ان يسمعوا هذا الكلام حتى أجابوا وقد عادوا وكل فارس منهم أنفذ خلف رجاله وأبطاله وأمرهم بأخذ
الاهبة وأطلعهم على هذه القضية وصار كل رجل مع أصحابه وجندلة معهم ولما وصلوا الى بنى عبس كمن
بهم فى هذه المواضع التى ذكرناها وكانوا الكل فى زى بنى فهد وبنى القين وقصدهم قتل عنتر وكان
قصد جندلة بتفريق الاماكن انه اذا باغ الفريق الاول وأتبعه عنتر وأصحابه وبقيت عبلة ما عندها
أحد أخذها وسباها (قال الراوى) وفى تلك الامور والفساد جرت قصة الحارث مع بنى زياد واتفق
ذلك الاتفاق فطلب عنتر الغبار وفصل النوبة مع الحارث بن الملك زهير كما ذكرنا وأبصر جندلة عبلة
وقد بقيت وحيدة لما بعدوا عنها فقال جندلة هذا وقت انتهاب الفرص وها قد أتانا الامر كما نريد فدونكم
وهذا العبد الشيطان المريد اقتلوه ومددوه على الصعيد واهلكوا من معه من الفرسان الصناديد
حتى نأخذ محبوبة الملك مسعود بن مصادو نعود ثم انه طلب عبلة فى بعض الفرسان الذى كانوا معه
فوجدها وحيدة فسباها وأخذ معها أيضا مسيكة ومن كان معها من مولداتها وعاد جندلة بالفرح
والسرور فالتقى بهم عنتر وقد قتل منهم عشرة فوارس وجرى من القصة ما جرى واستخبرهم عن حالهم
وكان المقدم عليهم رجل يقال له سعدان بن علوان فلما استخبرهم قال له سعدان يا ابن الامة ونسل الحرام
نحن بنو القين وقد أتينا نطلب الثار ونكشف العار وعبلة قد سبيناها كما سبيت أنت زهره زوجة
سيدنا عمرو بن ضمرة الذى قتلته وجعلته فى الثرى مجندل ثم انهم صاحوا عليه وقصدوه من كل جانب
ومكان قال ولما ان رأى عنتر ذلك الحال طار الخمر من رأسه وجذب سيفه من غمده وفى دون ساعة
ساقهم سوق الاغنام وبرى رماحهم برى الاقلام وصار معهم تحت القتام وقاتلهم حتى اتسع عليه
المجال وعاد الى الرمح وقد طعن به فى صدور الرجال وأول من قتل منهم المقدم على السرية سعدان
لانه حنق عليه وطعنه فى صدره نكسه عن جواده فلما أبصر الفرسان طعنته تفسحوا عنه وتجنبوه وصار
تارة يطلبهم وتارة يطلبوه وجندلة قد ساق عبلة سوق البجلة وأخذ بها فى عرض البر ومعه عشرة من
الفرسان فعلم شيبوب بهذه الفعال فتبعه وأرمى رجاله بالنبال التى كانت معه وما زال يعوقهم عن
المسير حتى قتل منهم فرسانا لهم قدر وقيمة وجازاهم على البغى والغدر وبعد ذلك أدركهم عنتر وكان قد
سمع صياح عبلة فانتخى لها وطلبها خوفا عليها وعلى أخيه شيبوب من أعداه قال ولما رأى جندلة عنتر
ونخوته خاف من الهلاك وقال لمن معه من الفرسان يا ويلكم ان هذا الشيطان ما يقابله الا من حضر

أجله

أجله فاطلبوا بنا يا بنى عمى النجاة والاعداد علينا شره ثم انه ترك عبلة ومسيكة وعدل عنهم فى تلك الطريق وطلب أثر المنهزمين ووصل عنترا الى بنت عمه عبلة فرآها تتبسم من فعاله وهزيمة الابطال من بين يديه وقد ظهر على وجهها السرور بعد الخوف وهذا أقلبها فزاد عجبه من ابتسامها وفرح بشكرها وكلامها فأمر أخاه شيبوب فقاد زمام ناقتها وناقة مسيكة وسار بهما حتى وصلوا الى المكان الذى كانوا فيه فعند ذلك قالت مسيكة يا حامية عبس يطيب على قلبك أن تعود الى الحى وتخلى أخاك مقرى الوحش مع أعداه فى هذا البر وحيد فريد وبين يديه خلق كثير فقال عنترا ما مقرى الوحش فما بين يديه من يخشاه لان قدامه مائتين فارس أندال ومعه عروة والهطال وأنا لابد لى من العودة اليهم ثم انه أوصى أخاه بحفظ النساء وقال له اذا رأيت بنى عبس ركبت الى نصرتنا فردها وقل للملك قيس ما هناك أمر يوجب انزعاجك ثم انه عاد يركض على ظهر الابجر والرمح على كتفه ينقط دما الى أن وصل الى مكان المعمعة فرأى الحرب قائمة على قدم وساق والرجال قد دار وا بأصحابه وأكثروا الزعقات وزاد الامر عن ما كان يعهد ومقرى الوحش يهجم على الاعداء هجمات الاسد والبر يهيج من لمعان العدد والزرد وابن أخته الهطال قد أثخن بالجراح وعروة بن الورد قد خفق صوته من كثرة الصياح (قال الراوى) وكان السبب فى كثرة الاعداء ان المنهزمين لما عادوا ومن قدام عنتر لحقهم جندلة ولهم من أقطار الفلا وقال لهم فينا وحاجة ملكنا ما قضيت لان هذا الاسود المشؤم خيب طريقنا وزاد تعويقنا وأنا كنت أسمع عنه هذه الفعال وكنت أظنه محال حتى انى حققت ما سمعت بالنظر وحق الرب القديم ان الجن تفزع منه وتعجز عن مقاتلته وأنا قد عزرتكم واستصوبت رأيكم فى قلة الهجوم عليه وأقول انه قد اشتغل بمحبوبته عنا والا ما كان عاد منا أحد والصواب اننا ننظر لبنى عمنا ونعينهم على أصحابه ولم نزل نقاتلهم حتى نتركهم على الارض مطروحين ثم انه عاد هو وأصحابه الى المكان الذى قد مناذكره فوجدوا أصحابهم يدافعون عن أنفسهم مدافعة الاذلال فقال جندلة ياويلكم أترضون لانفسكم بالهرب من ثلاثة رجال وأنتم مائتين وخمسون فارس أبطال ثم انه حمل فيمن كان معه وقد نخاهم وردهم الى الحرب والقتال فعندها اشتد الطعن والضرب وزاد الحرب والكرب فبذل أصحاب عنترالارواح وجودوا الضرب بالصفاح حتى أثخن الهطال بالجراح وخفق صوت عروة بن الورد من كثرة الصياح ولولا مقرى الوحش وشجاعته وحسن معرفته لكانوا قد هلكوا وشربوا كاس الممات الا ان الامور مازالت متضاعفة والاسباب متلاطفة حتى وصل اليهم عنتر بن شداد ورأى أصحابه وهم على تلك الحالات التى ذكرناها فحمل وصاح وعرفهم بنفسه فوقع فى قلوب الاعداء الهيبة وانقض عليهم مثل القضا وكانت حملته أشد من حملة الاسد اذا خرج من الاجمة وطعن فى صدورهم طعنا أمر من الجمر فعند ذلك فرق شملهم فى البيداء ونظر عروة بن الورد اليه فقويت نفسه على الاعداء وعليهم هجم وعاد وجودهم الى عدم فانهزموا واجتمع مقرى الوحش بعنتر وسأله عن زوجته مسيكة فحدثه بسلامتها وما جرى له لما عاد وخلص عبلة فشكره مقرى الوحش على فعاله وقال له يا أبا الفوارس ما ذا بى قوى الابك فلا زلت مسعودا موفقا ثم انهم عادوا يطلبون أهاليهم وما بقى قدامهم أحد من تلك الرجال وعنتر يهنى ابن أخته الهطال وعروة بن الورد بالخلاص من الوبال وبعد ذلك أنشد وقال

أرى لى كل يوم من زمانى * عتابا فى البعاد وفى التدانى
يريد منزلتى ويدور حولى * بجيش النائبات اذا رآنى
كأنى قد كبرت وشاب رأسى * وقل تجلدى ووهى جنانى
الا يا دهر يومى مثل أمسى * وأعظم هيبة لمن التقانى
وما أسفى عليكم غير داع

دعانى وهو فى كرب الطعانى * ونادانى وخيل الموت تجرى * فما أدرى نادانى أم كنانى
ففرقت المواكب عنه كرها * بسيف كانه البرق اليمانى * وكم قرم تركت الطير تأوى
اليه وهو مخضوب السنانى * خضبت خدوده بدماه حتى * أعدت جواده كالارجوانى
ولا أوهامر اس الحرب ركنى * ولا وصلت الى يد الزمان * ولا دنا شخص الموت الا
كما بدنى الشجاع من الجبانى * أنا عنتر ولى قد شاع ذكر * فى الحروب وضرب الهندوانى

(قال الراوى) وما فارقوا الخيام حتى انسدل الظلام ولاحت الابيات فعند هاركب الملك قيس ومعه جماعة من الابطال وكانوا لهم فى الانتظار وكانهم من أجلهم على مقالى النار الا أن الملك قيس كان كلما هم بالمسير يمنعه شيبوب من ذلك كما أمره أخوه عنتر لما أنفذه مع عبلة ومسيكة لان الخبر ما وصل الى الملك قيس الا فى أواخر النهار وما ركب هو ومن معه حتى أمسى المساء وكلما هم أن يخرج من الخيام فى طلب عنتر يمنعه شيبوب ويشاغله بالحديث والكلام حتى قدم أخاه فالتقى القوم بعضهم البعض وسأل الملك عن الخبر فحدثه عنتر بما جرى وقال له يا ملك وحق من انبع الماء بغرى واحتجب عن عيون الخلق والورى ما كانت هذه الفعال الا من صديقك مسعود بن مصاد ولسوف ترى ولابد له من يوم تفارق فيه الارواح الاجساد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس وأنت ايش بينك وبين الملك مسعود حتى تكون لك الفرسان والجنود وبيننا وبينه الايمان والعهود فقال عنتر بينى وبينه شئ ما أطلعك عليه فقال قيس وما هو يا أبا الفوارس أتخفى منى حالك وأنت لى مجالس فقال عنتر يا ملك انه تولع بابنة عمى عبلة وقد تصور فى قلبه ان لم يقتلنى ما يبلغ أرب وأنا أعلم يا ملك أن أجله قد اقترب فقال الملك قيس وقد تبسم العجب يا أبا الفوارس تنغص على نفسك عيشك مع أنك لا تلام لان المحب مولع بسوء الظن ويتصور له ان كل انسان يحب حبيبه والصواب انك تصبر حتى ينكشف لنا خبر هذه الحيل الذى عارضك أهلها ونجازيها على فعلها ولا تعجل فى الامور فتحمل أثقالها لان أخاك شيبوب ذكر لنا أنهما من بنى القين وبنى فهر وانهم قد أتوا خلفك يطالبوك بالثار فقال عنتر يا ملك أخى تحدث بما سمع وأنا أعلم أن هذا محال وعند الصباح ينكشف لك الحال ثم ان عنتر كتم باقى القصة خوفا من فضيحة عبلة وعتبها وعاد الى مضاربه وهو حائر فى أمره وعاد الملك قيس أيضا وقلبه قد اشتغل بما سمع من عنتر

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك مسعود بن مصاد فان فرسانه وصلوا اليه ولما ان حضروا بين يديه بكوا على من قتل لهم من السادات وحدثوه بما لاقوا من النائبات فزاد حرقه وكثر قلقه وقال والله يا بنو عمى ما بقى بينى وبين القوم زمام ولابد لى ان أبذل فيهم الحسام وأملك هذه الجارية بدر التمام والا قتلنى الغرام وأريد منكم أن تشيروا على بما أفعل فقد قتلنى الهوى وكيف يكون التدبير قبل أن أكاشفهم بالعداوة فقال رجل منهم وهو شيخ كبير وكان من جملة المنهزمين وكان قد قتل له فى هذه الوقعة أخ وابن عم وكان يقال له مسير الفتن أيها الملك السعيد وحق اللات والعزى ما نقعد عن ثارنا ولا على من قتل لنا وقد رأينا أموال بنى عمنا معهم فى المرعى ونحن نتحمل ذلك من أجلك ونحفظ زمامك أما سمعت شعر عبدهم لما عاد من جهينة وقتل سيدهم بشر وافتخر بنهب الاموال وقد ذكر ذلك فى شعره وهو يقول

سلوا عنا جهينة حين باتت * تهيم من المهابة فى رباها * رأت طعنا فولت واستقلت
وسمر الخط تعمل فى كلاها * وما خليت فيهم بعد سفرى * سوى الغربان تجعل فى رباها

وبعد ذلك عاد على خثعم وسبى الحريم والنعم وأنشد يقول

جلبنا الخيل والابطال حتى * غشينا الحى من ابناء مرادى

وخثعم قد صبحناهم بكورا * وشعبا عند مانادى المنادى
وعدنا بالبنات وبالسبايا * أسرناهم يقادوا فى الصفادى

وبعد ذلك أيها الملك فى نوبة وقعة خالد بن محارب لما ان سبى زوجته الجيدا وقتل خالد وكسر معدى كرب ورجع وأموالهم معه قد ملأت البيدا وله وقعات تشيب الاطفال وهى مذكورة عند السادات ووقعت جبال الروم و وادى الرمال حاضر فيها الملك النعمان وفى وادى السيل لما قتل الحاجب و ردشان وأسر جحار بن عامر الكندى وغيره من الفرسان وله وقايع لا تحصى يا ملك ومن أعظم المصائب أيضا والمحن ان رجع هذا العبد سالم من بلاد اليمن على انا ما يقينا نأمن عليك من شره وان أنت توانيت عنه فما يقعد عن أذيتك لانه يا ملك عرف انك تهوى بنت عمه فما بقى يقعد عنك ولا ينام عن أخبارك قال فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام زاد به الغيظ وزين له الشيطان فسخ الزمام وقال والله يا بنى الاعمام ما أنا متفكر فى هذا العبد ولا يخطر لى على بال وانى قد بلغنى ذلك الحديث غير انى متفكر بأى حجة أثير الحرب والقتال وأنا قريب العهد من دعوة ملكهم قيس ولكن ما بقى لى على فعال هذا العبد الولد الزنا صبر وان لم أحض بزوجته لم أبلغ المنا فقال جندلة يا ملك أنا قد انفتح لى باب به تهون الامور الصعاب ولا أترك عليك لوم ولا عتاب وعند الصباح أريك ما يكون فقال له أخبرنى كيف تفعل فقال يا ملك ان كنت أنت فزعان من فسخ الزمام وخائف من معيرة العربان فأنا قد رأيت من الصائب اننى أمضى غدا الى بنى عبس فى زى زائر واذا حضرت قدام ملكهم قيس أقول له عن لسانك أنت تعلم أيها السيد ان الملك مسعود قد انفذنى اليك أهنيك بالنصر وبسلامة حاميتكم عنتر من هؤلاء الاعداء الذى تبعوه والملك مسعود قد حلف لابد أن يخرب ديارهم و يقطع آثارهم فاذا انطلى عليه هذا المحال أنا أعرض له بخطبة عبلة وأطلبها على اسمك ولا أرجع من هناك الا بالانفصال والجواب منهم يكون سبب الحرب والقتال ولا يبقى عليك عتب ولا ملام وهذا آخر ما عندى والسلام قال فعند ها طاب قلب الملك مسعود بهذا الخطاب ورآه عين الصواب ثم انه بات الى الصباح وجمع وجوه عشيرته وشاورهم فى ذلك الايضاح فقالوا ما بهذا من باس ولا يذمه أحد من الناس ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه قال لاخوته والربيع بن زياد ومن كان يعتمد عليهم فى الامور الشداد اعلموا يا بنى عمى اننى قد أصبحت غريب فى بلاد اليمن وكلام عنتر أنا مشكك فيه وان كان كما ذكر فنحن والله الاعلى غاية الخطر فقال الربيع والله ان هذه قصة مشككة وكيف تسمع من بنت عمه عبلة فان كان سكت اليوم لا يسكت غدا ولا يلام فيما يفعل وأنا قد حرت فى هذا الكلام فقال عمارة يا ملك ان جاهرتم هذا الرجل بالعداوة فما يبقى لنا مقام ولا تخلى العرب منا لا شيخ ولا غلام وهذا الرجل ما لنا به طاقة لانه على كل حال ملك وجاهل بامور الزمان وعاشق وان كان قد وقع فى قلبه هوى عبلة فهو سبب القلعان والبلوى وأنا يا ملك الرأى عندى انكم تأخذوها من عنتر شاء أو أبى وتزوجوها بهذا الملك الجليل القدر لان عنتر قد قضى منها وطر ونال من وصلها الحظ الاوفر ولا سيما ان صار هذا الملك صهرنا ارتفع قدرنا وهابت القبائل أمرنا فاحمدوا الرب العظيم على خلاصكم من هذا الامر الخطير فقال الحارث هكذا يا عمارة اذا أحد عشق أختك أو امرأة أخيك أو أحد من أولادعمك تسلمها للعاشق وتبقى تحت المذلة والاحتراق فقال عمارة ايش هذا الكلام بلا نخوه ولا حمية فقال الحارث وكيف يسلم عنتر زوجته فقال عمارة يا حارث لا تعد العبد الحقير مثل السيد الخطير فقال الحارث والله ان العبد الحقير هو الذى يهرب من اشتباك الرماح وأما عنتر فقد شهدت له الابطال الملاح بأنه أوحد الزمان وفريد العصر والاوان ﴿قال الراوى﴾ وما كان

مراد الحارث بهذا الكلام الاغيظ عمارة وذلك لاجل ما تقدم من نوبة مالقاهم وهم فى القتال لما جمع عليه عمارة بنو زياد الاندال وخلصه وسلمهم الله حتى ساقهم كلهم الى الحى وصار واقدام الملك قيس فأطلقهم وأصلح بينهم ولما جرى بينهم ذلك الكلام قال عمارة بن زياد ياحارث كيف يكون جوابك اذا أرسل الملك مسعود يطلب عبلة فعندها قال الحارث ياعمارة الامر ماهو لك وانما يتولاه أخى وأخاك وأنا أعلم اذا بلغ الامر الى أبى الفوارس عنتر خربت دار مسعود وقتل واندثر ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى ذلك الكلام واذا بعنتر قد دخل عليهم ثم سلم ومنهم تقرب وقد نظرهم بزكاوة عقله واذا بوجوه القوم تلعب فعلم عنترانهم كانوا فى مشورة وسبب فأراد أن يسألهم عن ما كانوا فيه واذا هم بجندلة زوج الساحرة قد أتى من عند الملك مسعود بن مصاد فى زى رسول وهو راكب على ناقة عالية السنام لابس ثياب واسعة الاكمام وعلى رأسه عمامة كبيرة منقوشة الاعلام ولما صار بين الخيام برك ناقته وأمر عبده أن يعقلها بفاضل الزمام ثم انه تقدم الى بين الحاضرين وحياهم بأحسن التحية والاكرام ولما سلم على جميع السادات الكرام أدار وجهه الى الملك قيس وشرح له الكلام وقال له أيها الملك الكثير الجود والانعام ان مولاى الملك مسعود بن مصاد قد أنفذنى اليكم أهنيكم بسلامة فارسكم وحاميكم عنتر البطل الهمام من هذه الخيل الغائره التى أتت نحوكم متبادره وهو يقول لكم اننا ما علمنا بها الا وقت المسا وسواد الليل الحالك وقد ركبت من عندنا الفرسان وأخذت فى أثر الاعداء والى الآن ما رجع منهم أحد ولكنا قد حمل من ذلك هم عظيم وغم كبير وأمر جسيم كبير وقد مت بنو فهر وبنو القين الى هذه الارض وتعرضت لكم وأنتم تحت كنفه وزمامه وانه قد عوّل أن يغزو ديارهم ويخرب اطلالهم اكراما لكم ورغبة فى قربكم ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل جندلة يترنم بمثل ذلك الكلام حتى دعاله كل من كان حاضر ذلك المقال وحمد الملك قيس صاحبه الملك مسعود بن مصاد وشكره وأثنى عليه وقام الملك قيس الى عند جندلة وأخذ بيده وأجلسه بجانبه وقد استخبره عن قومه وعشيرته وسأل عن الملك مسعود صاحبه فقال جندلة يا ملك ان صاحبى اليوم قد حاز فى محبتكم حد الوصف وما صار له حديث الا أنت وقومك وانه يا ملك من شدة رغبته فيكم أنفذنى اليك أهنى وخاطب وجعلنى له نائب وقال لى ياجندلة انى عوّلت أن أصل حبلى بحبل هؤلاء القوم حتى أفتخر بذلك ولا يبقى على لوم وأيضا ما بقى أحد يتعرض لهم مادمت أنا صهرهم والسبب فى ذلك ان الملك مسعود رأى عندكم جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد وسمع ان بعلها عبد يقال له عنتر بن شداد وانه فى الزمن الاول قد أخذها من أبيها غصبا وهذا نكاح لا يصح ولا يحكم به أحد من العرب ﴿قال الاصمعى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام ما أمهله أن يتم خطبته حتى عمل حيلة ووثب الى جندلة وتقرب منه وقبض على حلقومه وكبس على رأسه وخرج به خارج المضرب وشاله على ذراعه وجلد به الارض رض عظامه رض وخلط طوله فى العرض فترشرش دمه على بسيط الارض وعول على الانصراف وهو لا يبدى ولا يعيد وصارت عيناه مثل لظى الجمر وما بقى يعرف ما بين يديه فخاف الملك قيس من غضبه فقام بنو عبس كلهم اليه وقالوا له أحسنت يا أبا الفوارس فيما فعلت فى هذا القرنان ماله جواب غير القتل والعذاب ثم انهم تفرقوا الى منازلهم والخيام ثم نهض عبد المقتول وشده على ناقته وأخذه وسار حتى أشرف على الديار وكان ذلك الوقت آخر النهار فأحضر العبد مولاه قدام الملك مسعود وهو غارق فى دماه وأخبره بما جرى وبقتل مولاه فانقلب الحى بما فيه وأنفذ الملك مسعود خلف من كان يعتمد عليه وقال لهم يا بنو عمى انتم أحوجتمونى ان أفعل هذه الفعال فخذوا أهبتكم للحرب والقتال وانهبوا من بنى عبس الاموال والحريم والعيال ﴿قال الراوى﴾ وعلى الحقيقة باتت مياه عراعر تموج من سائر الروابى والتلال حتى

ان

ان البرامتلأ بالجيوش والابطال وكان للملك مسعود خال يقال له عقاب وكان ناقص عقل وأدب الا انه كان جبار لا يصطلا له بنار فقال له الملك مسعود يا خالاه مالهذا الامر غيرك وأريد منك فى هذه النوبة تقضى حاجتى وتأتينى بمحبوبتى وان رأيت القوم أطاعوك فاعف عنهم واصرفهم بجميل فقال له خاله ايش يا ملك هذا المقال ولا يعرف هذا الامر الا أنت تعلم انى اذا سللت حسامى فلا أبقى على أحد يقف امامى ولا أغمد سيفى حتى أرى الدم يجرى قدامى ومايهدى لى سر حتى أفعل ماهو فى مرادى فأرسل فى هذا الامر أحدا غيرى والا ان فعلت شيئ فلا تلمنى فقال الملك مسعود يا خال افعل ماتريد لان القوم قد أرسلت اليهم رسول فقتلوه وأقول انك لم تلحقهم فى المكان الذى كانوا فيه ولا بد انهم رحلوا فى الليل فزعا منا لانهم ندموا على ما فعلوا من الفعال فى حقنا فقال له خاله أين هم يهربون وأنا خلفهم ثم انه اعتدو ركب وكان الوقت ضحا نهارا وسارت من ورائه الكتائب والمواكب وأسنة رماحها قد سدت شعاع الشمس فى المشارق والمغارب وعقاب أوائل الفرسان كأنه الاسد الغضبان ومازالوا سائرين حتى أشرفوا على المكان الذى كانت بنو عبس فيه نزول فوجدوهم قد رحلوا بالمال والعيال والانعام ونزلوا فى جبل الغمام ونصبوا فيه الاعلام والخيام وأدخلوا من داخله الحريم والعيال وبقوا جوائد على ظهور الخيل قيام وهم ينتظرون القتال والصدام وكان هذا كله من تدبير الملك قيس لان عنترلما قتل جندله وفعل به مافعل وقد رأى القبيلة قد استصوبت فعاله ركبوا الركوب وعولوا على المسير لقتال الملك مسعود وذلك تبعا لعنتر بن شداد فقال الملك قيس تمهل على يا أبو الفوارس حتى نحسن التدبير فانى قد رأيت من الرأى السديد اننا أولا نلتجى الى ذلك الجبل الاسود ونحصن فيه العيال والمال وننظر أمورنا بعد أن ندبر أحوالنا وبعدها نقيم فى فى انتظار مايتجدد لان من حولنا قبائل كثيرة يتوقعوا لنا غدرات الزمان ومن الصواب التدبير قبل التدمير قال ولما اتفقوا على ذلك توكل كل واحد منهم بحريمه وعياله ثم ان عنتر دخل الى عبلة فوجدها تبكى مما نالها من الفزع فقال لها لا تحزنى يا ابنة العم ثم انه طيب قلبها وأمر عبيده برفعها على جمل بازل وساروا بها العبيد فى أول المحامل وهو ينشد ويقول

يا ابنة العم قد جربت الزمانا * وكان الدهر صعب على فلانا
فرأتنى أشد منها جنانا * فاسكتى يا نور عينى ثم قرى * واضمنى للنسا منى الامانا
واذا ما رأيت خيل الاعادى * جائلات تطلب الميدانا * فاعلمى أن دون بيتك ليثا
وشجاعا يرى الشجاع جبانا * قد بلغتنى رسالة من لئيم * غادر كلما أمناه خانا
فوحق البيت الحرام ومن * طاف ولبى ثم قبل الاركانا * لاترك النفوس تباع الا
بيع من لا يرى الهوان هوانا * ياسباع الفلا زوروا غداة الحر * ب خماصا تعودى بطانا
واحضرى وانظرى وليمة عبد * طيب الاصل يكرم الضيفانا * واقصدى بعدها المناهل تروى
من دماء تركتها لكم غدرانا * واذا ما سألت بعد مسيرى * سائلا لى عن حديثى العقبانا
فهى تخبرك انى تحت ظل * من غبار اطاع الفرسانا

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة ذلك الكلام طاب قلبها وانشرح صدرها (قال الراوى) وبعدها نزلت الفرسان وانحدرت الى ابن وبرة مقبلة وفى المقدمة الفارس الضراب والاسد الوثاب المسمى بالعقاب ومن خلفه العساكر والجنود وقد أيقن من تجبره انه قد احتوى على بنى عبس وأخذ أموالها وقتل أبطالها ولا يعلم بأن دون أموالهم رجال من السباع الضاريات وكل فارس منهم يلقى قبيلة ويكون على قتالها رابح غير خسران فقال عقاب لمقدمى العساكر يا بنى عمى اعلموا أن الاموال كلها لكم مباحة

الا الجارية زوجة عبدهم الاسود فقالوا لكم فيها نصيب لانها من قسم الملك مسعود فقالوا له وكل الاموال تساق اليه حتى يفعل بها ما يريد ﴿قال الراوى﴾ وكان فرسان بنى عبس قيام كما ذكرنا على متون الخيول متقلدين بالنصول وحاميتهم عنترة فى أوائلهم وهو راكب على جواده الابجر متكئ على رمحه الاسمر متقلد بسيفه الضامى الابتر الذى لا يبقى ولا يذر وهو امامهم وقد رتب عسكره ميمنة وميسرة فعندها صاح وزمجر لما رأى تلك العسكر التى كأنها البحر الزاخر الا أنهم ما اختلطوا حتى غسق الظلام وزاد سواده من شدة القتام وصارت بنو كلب بن وبرة ينادون على بنى عبس يا غدارين يا مكارين أظننتم انكم تقتلوا الرسول وتنجون من الهول المهول فقال عنترة لاصحابه لا تجيبهم بجواب ولا تبدى لهم خطاب بل نحمل عليهم ونجودا الضرب بالسيف القضاب وأنا الضامن لكم تفريقهم قبل الصباح فقالوا له أنت حامينا يا أبا الفوارس ومن نعتمد عليه عند الوقائع ﴿قال الراوى﴾ ومن الاتفاق العجيب الذى يلتذ به السامع ويطيب انها كانت ليلة مظلمة وما يسمع فيها الا وقع حوافر الخيل الضوامر واصطكاك القنا والبواتر وقل خطاب المخاطب وتخضبت بالدماء اللحا والشوارب وعملت فى الرؤس القواضب وزادت النوائب وأظلمت المشارق والمغارب وعزت فى ذلك الوقت المطالب وزعق عقاب على الفرسان وحمل وفعلوا مثل ما فعل وكذلك بنو عبس عملوا مثل ذلك العمل ولاقى بعضهم البعض والتحموا فى جنبات الارض ووقعت العين على العين وقد تصارخت الطائفتين والتقت العسكرين وحان بينهم الحين وزعق على رؤسهم غراب البين وتطاولت منهم الاعناق وشخصت منهم الاحداق ونظرت بنو كلب بن وبرة من كان معهما من الشجعان الى قلة بنى عبس وعدنان فطمعت فيها لاجل قلتها فاستقبلتها برماحها وأسنتها وتحدر بنو عبس من ذروة الجبل ووطنوا أنفسهم على ذلك العمل فانقلبت أقطار الارض واهتزت جنباتها طولا وعرض وحمل عنتر على العسكر يمينا وشمال وفرق الابطال والاقيال وأجرى مجارى الدما وما بقى يعرف هو فى أرض أو فى سما وزادت نيران الحرب تضرما وتلهف كل واحد منهم على شربة من بارد الما وصلصل الحديد وبرق الزرد النضيد وجال فى تلك الوقعة كل فارس صنديد وليث شديد وشجاع جليد وقصد الجبان البليد وجالت العسكر فى تلك البيد وطحنت أرجل خيولهم الحصا والجلاميد لان الاطفال فى تلك الليلة شابت والرؤس طارت والعيون غارت والاكباد ذابت والدما فارت والطيور حامت والقيامة قامت وبريق الصوارم للمفاصل قطعت وسهام المنايا رشقت وقد عمل السيف اليمانى والرمح المرانى الى أن طلع الزبرقان وأدبر الدبران واسترط السرطان وتفرق الفرقدان وانصدع سلطان الصباح بخلع الليل السواد وطلب من الفجر الامان وضربت الجوزاء اشراق الفجر فانصدع بعدما كان كالسندیان وهب نسيم الحرب فاشتم الخلائق حتى اشتد الطعان وهجم الاسد فانفلق الصباح وبان وحصدت السنبلة مناجيل السيوف ومالت كفة الميزان بوقوع الحرب العوان فبان عليها الخسران ولسعت حية الضياء واللمعان وانكسر القوس وتعطل السنان وجرى على الجدى من الثور ما يعهد من كواسر العقبان وانخرط الدلو عند فقد اياسه من أصحابه والخلان وترحزح زحل عن موضعه وطلب من بهرام الامان وانباع المشترى بابخس الاثمان وأهريق دم المريخ بالسيف اليمان فانجرح قلبه وتخضبت بادميته الفرسان وتقدمت الزهرة الى سائر الكواكب وهى تطلب لنفسها الزمام والامان وطار عطارد الفجر فضمخ بالنجيع القان وقام القمر بأرواح الابطال ومهج الفرسان والشجعان وامتد الضوء من مشارق الجو الى كل مكان فهذه قدرة الاله الواحد الديان الرحيم الرحمن مكون الاكوان وملون الالوان وجعل السماء ايوان والارض

ميدان

ميدان الذى حكم على هذه الخلائق بالفنا والانتقال الى دار الآخرة حكم الاله الديان العظيم السلطان
الذى لا يشغله شان عن شان فسبحان رب الانام الملك العلام ﴿قال الاصمعى﴾ هذا والرؤس طائرة
والسيوف جائرة والغبرات ثائرة والشجعان هاجمة والاندال حائرة والقيامة قائمة والرماح
حاطمة وكل هذا والامير عنترة هايج فى المعمعة يصدر جواده الابجر يلتقى تلك الكتائب والمواكب
وقد هانت عليه النوائب وكل من وقع به فتكون منيته قد حانت وآجاله قد دانت وتلقا صدره
عوالى الرماح وبذل نفسه الى مضارب الصفاح وكان تارة ينادى بعروة بن الورد البطل الهمام
وتارة ينادى بمقرى الوحش فارس الشام وعلى ابن أخته المهطال وهو يحرضهم على القتال والصدام
ويصيح فى العساكر صيحات الاسد الدرغام فيتشتتوا منه فى البرارى والاكام لما يسمعوا زعقاته مثل
الرعد فى خلال الغمام وكان تارة يطعنهم بالرمح اللهذام وتارة يضربهم بالحسام هذا وشيبوب يزعق
فى الرجال من خلفه ويرمى بالنبال فيصيب بها مقاتل الابطال فتتفرق من بين يديه يمينا وشمال
وكان عنتر ينادم عروة بن الورد بهذه الابيات

ياعروة بن الورد ليث عبسى * كن آمنا من غلبات الانسى * واشهد بأنى قد بذلت نفسى
للموت حتى يطمئن عرسى * وقد عاهدت صارمى وترسى * ان لم أرى النصر ما خلعت لبسى

﴿قال الراوى﴾ ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان طلع
الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد مالت الفرسان من الحرب والكفاح فعندها وقع عنتر بعقاب خال
الملك مسعود وسمعه وهو يقول دونكم يابنى الاعمام وبنى عبس اللئام وهو يصيح على الابطال
ويحرض الرجال على القتال فعلم عنتر أنه هو المقدم عليهم الذى يعتمد الفرسان عليه فطلبه عنتر
وقاتله حتى كلت منا كبه وصاح فيه وأتعبه وأكربه وأطعنه بالسنان خرق أمعاه وبدد أحشاه فمال
عن الجواد الى الارض والفلاه وبعده وقع الفنا فى بنى كلب بن وبره ورأت من بنى عبس فعال من
لا تحيط به خبره وانكسرت وعادت والاسنة فى ظهورها خرقت وهى هاربة لا تصدق بنجاتها من
العطب وكان ذلك الوقت ضحى نهار فرجعت بنو عبس حتى قاربت الديار وهى فرحانة وهم يشكروا
عنتر ويثنوا عليه ويصفوا ما فعل من الفعال وما قتل من الابطال وكان من جملة من وصفه عمرو
أخو عبلة لانه قال والله ما كسر الجيش الا عنتر فقال الملك قيس لاخوته ولعمرو والله انك صادق فيما
تقول مع ما علموا وتحققوا ان عنترا صطلى الحرب بنفسه وأفنى أكثر القوم حتى لا يبقى عليه عتب ولا لوم
ثم انهم عادوا الى الخيام والمضارب ومعهم من الخيول والاسلاب والجنائب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ودخل عمرو على اخته عبلة وهو كثير الثناء والشكر على عنتر الاسد القسور وهو يصف لها ما رأى من
عجائبه وما عانى من طعانه ومضاربه وقال لها والله يا أختاه لقد فعل الليلة بعلكى فعال تعجز عنها
صناديد الرجال ولولاه لاصبحتى مسبية فى أيادى الاعداء الاندال وسائر الحريم والاولاد وما كانوا
يعرفوا يخلصوكى بنى زهير فعندها تبسمت عبلة لما سمعت هذا المقال من أخيها عمرو عن بعلها عنتر
وقد زادت فيه محبة ومنزلة حين انها سمعت بقوة فروسيته وشجاعته وبراعته فعندها مشت بنفسها اليه
وسعت بين يديه فأبصرت الدما يسيل من على رمحه فقبلته فى عارضه ونحره وقالت الحمد لله على
سلامتك يا ابن العم الذى عدت سالم غانم ورجعت من هذه الاهوال العظائم فقال لها عنتر اى وحياة
عينيكى رجعت سالم بعدما قتلت من أعداكى كل ظالم وتركت فارسهم عليه الطير حائم ولا أقصدن
الملك مسعود فى دياره وأخلى منه ومن قومه الربوع والمعالم وأضرب رأسه بحد الحسام الصارم أو
أطعنه بالرمح الهادم واترك لحوم فرسانه رزقا للوحوش وطعاما للنسور والقشاعم وان كان فى قلبك

شك من مقالى فسلى أخيكى عمرو عن فعالى ثم انه أجابها يقول

سلى ياعبلة عمرو عن فعالى * باعداكى الذى طلبوا قتالى * سليه كيف كان لهم جوابى
ان شك قلبك من مقالى * أتونا فى الظلام على جياد * مضمرة الخواصر كالسعالى
وفيهم كل جبار عنيد * شديد الباس مفتول السبالى * ولما أوقدوا نار المنايا
باطراف المثقفة العوالى * طفاها أسود من آل عبس * بسيف باتر حسن الصقالى
اذا ماسال سال دما مطريا * وأحرقت ناره صم الجبالى * ورمحى كلما رفعته يدى
يلوح سنانه مثل الهلالى * تراه اذا تلوى فى يمينى * تسابقه المنية من شمالى
ضمنت لها الامان ضمان صدق * وأتبعت المقالة بالفعالى * وفرقت الكتائب عند ضرب
تخر له صناديد الرجالى * وماولى شجاع القوم الا * وبين يديه شخص من خيالى
ملأت الارض خوفا من حسامى * فباتوا الناس فى قيل وقالى * ولو أخلفت الوعد معك قالوا
بنى الاندال دع عنك السؤالى * أمسى عمارة فى معالى * يريد حماك ياذات الجمالى
لاصبح لحمه للطير رزقا * وأنت مع السبايا فى الحبالى

(قال الاصمعى) ولما سمعت عبلة هذه الابيات ازدادت فرحا ومسرات وأثنت على عنتر ثناء كبيرا وقالت له وحياتك ياابن العم أنا ماسمعت ذلك الامن أخى عمرو فقال لها عنتر أنا ماذكرت عمارة فى هذا الكلام الا لما أتى جندلة زوج الساحرة رسول الملك مسعود لان عمارة أشار على الملك قيس أن يأخذ كى منى ويعطوكى للملك مسعود من فزعه وجبانته وما أسعى الا لاجل حماكى أحمل له واقومه الضيم وهم لوقدروا على لحمى لاكلوه ولوتمكنوا من دمى لشربوه ولكننى أصبر فالصبر نعم الناصر ولكل أول آخر ثم انه أخذ الراحة قدر ساعة واذا بمقرى الوحش قد أتى اليه وقال له ياأبا الفوارس أى شئ هذا القعود عن قتل الملك مسعود ملعون الاباء والجدود ومابقى غير المسير له قبل أن يجمع علينا القبائل و يجد فى قلع آثارنا وخراب ديارنا فقم نحن نسبقه بذلك ونجتهد فى قلع آثاره وخراب دياره مادام قد صحت بيننا وبينه العداوة والان تهاونا فى نفسنا جمع علينا هذا القرنان كل فارس وشيطان وكل من فى بلاد اليمن وأخذ ثاره منا وأثار الفتن فقال عنتر والله ياأخى لو كان الامر لى مانزلت عن ظهر الابجر وكنت جددت فى هلاك الملك مسعود وقلعت منه الاثر وانما لما رأيت أصحابنا قد أصبحوا تعابا وفيهم جماعة جرحا فقلت لنفسى امهل عليهم حتى يأخذوا لانفسهم راحة من كرب الكفاح واسير غدا ة غد عند الصباح فقال له مقرى الوحش دبر كما ترى ولا تنم عن من لاينام عنك أبدا قال فلما مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ركب عنتر فى الرجال الذى يعتمد عليهم عند الحرب ويكشف بهم البلاء والكرب وأرسل استأذن الملك قيس فى المسير الى مياه عراعر وانجاز أمر الملك مسعود بن مصاد قبل أن يجمع علينا القبائل والعشائر وتأتينا قبائل اليمن وتعظم القسة والفتن وأنا ياملك لم أدع هذا القرنان يملك فينا فرصه ويامليك أنت واخوتك تريحوا أنفسكم وخاطركم ونحن نبلغكم المقصود ونكفيكم أمر الملك مسعود ولانعود الا بما يكيد الحسود فقال الملك قيس والله لارضيت أنا لنفسى بالتأخير ولابد ما أبذل المجهود فى لقاء الملك مسعود خائن الايمان والعهود وأنا فى الاول كنت ألوم عنتر على مايقول فى حق هذا القرنان حتى صار لنا هذا الامر عيان ثم انه ركب من وقته وساعته وصاح فى قومه وعشيرته فركبوا وتركوا فى البيوت الربيع بن زياد واخوته وسارت بنو عبس من أول الليل وقد أكثروا من الجنائب والخيل (قال الاصمعى) وكان الملك مسعود منتظر خاله عقاب أن يعود اليه بسبايا بنى عبس وأموالهم ويحدث عن عبلة بكل حساب ولم يحسب تقلبات

الليالى

الليالى والايام ومازال على هذه الاحكام حتى وصل اليه المنهزمون وهم قوم قدر عشرة أو عشرين
وأخبروه عن خاله عقاب وكيف قتله النسر الكاسر أبو الفوارس عنتر قال فلما سمع الملك مسعود هذا
الخبر حس أن قلبه قد انفطر وغاب عن الوجود وبقى حاضر فى صفة مفقود وقال يا بنو عمى ما كان
ظنى اننا نلقى من هذه القبيلة هذا الملتقى والا ما كنت ذكرت عشقا ولا غيره أبدا على أنى أنا الذى
فرطت فى أمرى بقعودى عنكم والا لو كنت سرت معكم كنت أرحتكم من هذا العبد الاسود الذى طغى
وتمرد وفعل بكم هذه الفعال وأهلك الرجال وأفنى الابطال والآن ما بقى غير مسيرى معكم بكل من
فى الاحياء والاشمتت بنا الاعداء لان هؤلاء القوم ما يغفلوا عنا لكن لا يغلبونا الا بالمكاثرة وقلة
النصفة مادام واعلى هذه الصفة فقال رجل من قومه وحق ذمة العرب يا ملك لو سرت الى هؤلاء
القوم بكل من فى الارض لقبضوا أرواحهم وأخذوا أموالهم وسلاحهم مادام فيهم ذلك العبد
الاسود والصلد الانكد فلعن الله وجهه الاغلس وأنفه الافطس والصواب انك تجمع فى هذه الليلة
كل من فى هذه الارض من القبائل والفرسان والجحافل وتحرسوا أنفسكم قبل أن يدهمكم هذا الاسود
وينزل بكم النكد فقال الملك مسعود بن مصاد لابد ما أريك ما أفعل بهؤلاء الاوغاد فان سائر سكان
اليمن لاموني على مصادقة هؤلاء الشياطين وعنفوني كيف انى أعطيتهم الزمام ولولا خوفهم منى
وهيبتى لكانوا قطعوهم من شهور وأعوام ثم انه أقبل على قومه وقال لهم الرأى عندى انى أنفذ لهؤلاء
القبائل وأجمع على هؤلاء القوم كل فارس وراجل ثم انه أنفذ النجابة تعلم ملوك اليمن وسكان الديار
والدمن وأيضا أنفذ الى الحلل القريبة منه فما أصبح الصباح الا وحوله سبعة وعشرين ألف فارس
من الابطال الصناديد سوى الغلمان والعبيد وكانوا الكل بثياب الحديد ومتقلدين بالزرد النضيد
ومعهم الرماح الخطية والسيوف الهندية راكبين على الخيول العربية والجنائب البحرية ولما ان
رأى الملك مسعود هذا الجيش الكبير عوّل على المسير ونشرت على رأسه الاعلام والرايات ودارت
من حوله الملوك والسادات وارتفعت الاصوات وأظهر الشجعان النخوات وقوت عزائمها على أخذ
الثار وكشف العار وفى تلك الساعة أشرفت بنو عبس وهم مثل السباع الضاريات اذا خرجت من
الغابات وطلعت غبراتها الثائرات من وقع حوافر خيولها العربيات ولمعت الصوارم المشرفيات
قال ولما وقعت العين على العين وتقابل الفريقين فعند هاز ادت الاحقاد الكامنة حين تقابل
الفريقين وزادت الصرخات وعلت الضجات وكان عنتر فى مقدمة بنى عبس وفى قلبه من الملك
مسعود بن مصاد حرارات واحقاد ولما ان رآه واقف تحت الرايات هانت عليه البليات والآفات
وصاح مقرى الوحش وحمل فاهتز لحملته السهل والجبل وكذلك فعل عروة بن الورد الليث البطل
وفعلت عبيده مثل ما فعل وفى مقدمتها أبو الموت البطل وحمل مقرى الوحش بلا كسل ولا مهل
وحمل الفتى الهطال ابن أخت عنتر وحمل نازح فحل الرجال وماقصر وحمل شداد بن قراد أبو عنتر
وعمه زخمة الجواد الفتى القسور وحمل مالك أبو عبلة وولده عمرو وحمل عياض ابن ناشب وصابر بن
عاطب وحملت بنو عبس الشجعان الاطايب وحمل مجير أبو مسيكة صاحب حوران واخوته
الشجعان وكامل بنو عبس وعدنان وقد تماسكوا بالاذقان وعلا الغبار الى السهل والجبل وظهر
الشجاع البطل وانهل سحاب العذاب ونزل وبطلت الاسباب والحيل ووقعت أسنة الرماح فى
الاحداق والمقل ونثرت الجماجم نثر الحرمل وصار للغبار قسطل وذهب الحياء والخجل وضجت نساء
الحلل وضرب بالقوم المثل وعمل عنتر ما لا تعمله الجبابرة الاول فلله دره لانه نثر الجماجم من على
الابدان نثر الحرمل وأما مقرى الوحش يا ما عمل وكذلك عروة بن الورد البطل وكذلك شداد

وأخوه مالك وزخمة الجواد فانهم بطحوا الفرسان على المهاد وكان شداد يحمل أمامهم وهم يحمون
ظهره ويصيح أنا فارس عصري وحامي النسوة أفوق على الفرسان بولدي وعنتر يحمل على الفرسان
في الميمنة يقلبها على الميسرة وأما الهطال فكان يسمع له في الحرب همهمة وزمجرة وأما عنترفانه كان
يضرب فيهم ضرب من له في الحرب معرفة وخبره وينثرهم بحسامه خمسه خمسه وعشره عشره وأما
جواده الابجر فانه كان يلطم الحصان الذي قدامه بحافره وعنتر من فوقه يقاتل ويطلب الملك مسعود
ابن مصاد الذي جرى من أجله هذا الحرب والعناد ويريد قتله لاجل ما تعرض لابنة عمه وخان
العهود والايمان ونقض ما كان بينه وبين قومه من الزمام وكان فارس الشام في ذلك الوقت عن
يمنه يطعن طعنات متداركات يشك بها الاضلاع والكبود وأبو الموت مقدم العبيد عن شماله
كأنه أسد من الاسود وعروة بن الورد والهطال يحمون ظهره من الاغتيال الا أن عنترما زال يقاتل
تحت القتام هو ومن معه من الرجال الكرام حتى فرق المواكب بالحسام وزعق في الابطال
فتنافرت من بين يديه كما تنفر الغنم من الاسد الهجام وما وصل الى الرايات والاعلام حتى أقبلت عليه
جيوش الظلام وكان حول الملك مسعود الرجال الذي يعتمد عليهم في الشدة وهم من بني كلب بن وبرة
وجماعة من بني كنده وما زالوا يقاتلوا عنتر حتى أظلم الظلام واعتكر فعندها نادى المنادي من قبل
الملك مسعود بالانفصال فرجعت بنو عبس الى الجبال ومنهم من نزل حول الاعداء من سائر الجوانب
وأحاطوا بهم من كل جانب وأما بنو كلب فانهم اجتمعوا للمشورة واتفقوا كلهم على حفظ الحريم والعيال
وتحصينهم في الجبال قبل أن تسبي الجميع عند الصباح ويكثر فينا البكا والنواح لان فرسان هذه
القبيلة ما تلتقي ولا سيما هذا العبد الاسود الذي تعرض ملكنا لزوجته وقد أبلانا بشجاعة قبيلته فقال
الملك مسعود وقد اشتد عليه مقالهم وعظم عليه وبالهم يا بني عمي هذا المقال ما الومكم عليه لان الانسان
لا يحمل ما لا يطيق وأنا لا بد لي من معادات هذه القبيلة وما بقيت أسكت عنها ولا عن أذيتها وأنتم تعلموا
أني أرسلت النجابة الى سائر القبائل والعشائر ولا بد ان يقصدونا ويطلبوا معونتنا مع أبطال الحال
وترون الذل بهذه القبيلة قد نزل والرأي عندي انكم تفعلوا ما أشرتم به من تحصين العيال في الجبال حتى
يصبح الصباح وتكونوا جرائد على ظهور الخيل وتجتهدوا في قتال هؤلاء القوم وما زال مع أصحابه على
مثل ذلك الحال حتى طابت قلوبهم للقتال والحرب والنزال وأخذوا في رفع أمواله‌م والعيال فما
أصبح الصباح الا والكل متحصنين في الجبال وأبصر بنو عبس فعالهم فعلموا بحالهم فعندها صاح الملك
قيس في الابطال وقال لهم بادروهم يا بني الاعمام قبل أن تصل اليهم فرسان القبائل فما نال منهم
طائل لاني أعلم ان الملك مسعود يجمع علينا كل من في بلاد اليمن وربما كثر علينا العدد ويرسل الى
جبل الغمام من يشغل قلوبنا على الحريم والعيال فقال عنتر لعن الله من يترك الملك مسعود بعد هذا
اليوم الى قومه يعود ولو كان معه كل من في الارض من الفرسان والجنود ثم انه صاح فيمن كان يعتمد
عليهم في قتاله وحمل بنو عبس خلفه وصاحت صيحات أزعجت السهل والجبل ونكس بحملته الاعلام
والبنود واشتعلت في ذلك نيران الوقود حتى عادت الوجوه بعد البياض سود وقاتل عنتر بن شداد
وبذل المجهود وقد من الاعداء الجلود وخيم الغبار على رؤسهم مثل الغبار الممدود وتقطعت العلائق
والكبود وما كان نصح في ذلك القتال مع الملك مسعود غير أربع عبيد سود فدار وابه في ذلك اليوم
من كل جانب وأظهروا الاهوال والعجائب وكانوا تارة يضربوا بالصفاح وتارة يطعنوا بالرماح واذا
اشتد القتال رشقوا بالسهام فلما رأوا عنتر قاصد اسيدهم زمجروا وتصايحوا عليه وزحوا اليه أربع حراب
من حديد فوصلت واحدة الى مقرى الوحش جرحته والثانية قد وقعت في جواد عروة والثالثة راحت

خائبة

خائبة والرابعة وقعت فى عنتر فأسالت دماه بعد ما صالت فى حديده فلما حس بها عنتر نزعها بعد ان كادت تهلكه ورمى بها وزعق زعقة عظيمة تطير عقل من يسمعها وطعن العبد بها فى صدره مرقت تلمع من ظهره وضرب العبد الثانى بالضامى على هامته شقه الى نصف قامته وقتل شيبوب العبد الثالث وطعن مقرى الوحش الرابع وكان لاصحابه تابع وأما عروة فانه ركب جواد غير الذى قتله العبد من الخيول الشاردة وأراد أن يتبع عنتر بن شداد واذا بعنتر قد أدرك الملك مسعود وهاجمه مهاجمة الاسود وضربه بالسيف على صدره طلع يلمع من سلسلة ظهره فمات وأعدمه أهله فأبصر عروة فعاله فصاح فى رجاله ونبه أبطاله وأجاد فى قتاله ولاح النصر لبنى عبس ففتكت فى أعداها فتك وسفكت فى دماها سفك وعلمت فرسان مياه عراعر بقتل ملكهم الملك مسعود فاقشعرت منهم الجلود وتبادرت وانهزمت تطلب الشعاب وعلمت أسنة رماح بنى عبس فى صدورها والاجناب ومددوا أكثرهم على التراب وزعق فيهم البوم والغراب وتصايحت الكواعب الاتراب وعلا البكاء والانتحاب وبطل الطعن والضراب وجمعت بنو عبس الغنائم والاسلاب وقد صار وقت الضباب فعندها قال الملك قيس لبنى عمه عودوا الى الحريم والعيال فان هؤلاء القوم التجوا الى الجبال وما فيهم من ينزل الى الحرب والقتال الى أن تأتى اليهم فرسان القبائل والبلاد الذى أرسل اليهم مسعود بن مصاد ويكون لنا يوم معهم تشيب فيه الاولاد قال فعندها استصوبت الجماعة رأيه لما يعلموا من تدبيره ومقاله ورجع عنتر فى مقدمة الفرسان وهو فرحان بقتل الملك مسعود وقد بلغ آماله والمقصود وافتقد جراح مقرى الوحش فرأى شيبوب قد شدها وعادت بنو عبس تطلب الجبال وكان الليل قد دخل والامير عنتر سائر امامهم وهو يترنم فى سرجه وينشد ويقول

بصدر سنان السمهرى المسقف * أطفئت لظى قلبى ونار تلهفى
وقد كان فى قلبى هموم كثيرة * الى ان هوى مسعود من حديدة مرهف
تركت طيور الجو تحجل نحوه * وتقسم فى أعضاه قسمة منصف
بغى فسقاه الله كاسات بغيه * وسر اله الخلق فى الباغى خفى
حلفت بمينا للذى أنا عاشق * وقلت مقالا صادقا غير مخلفى
بانى أرد الخيل ثم رددتها * تقوم وتكبوا وفيها من مثقف
ضيقت أرض الهائلات فاصبحوا * يرون كأن الارض دارات أجيفى
فعلت فعالا يوما فى مياه عراعر * تشفى لانفسنا ان كانت النفس تشتفى
وخلفت مسعودا طريحا على الثرى * يعض على يديه كالمتأسفى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بنو عبس من تلك المقالات ولم يزالوا سائرين حتى انجلى الظلام وعند الصباح أشرفوا على جبل الغمام وعلموا بهم العبيد والاما فجعلوا فرحا بالنصر والظفر على الاعداء والتقت النساء بالرجال وتقاسموا الاسلاب والاموال ونزلت الرجال فى الخيام والمضارب وضجت الاقطار من رعى الجمال وصهيل الخيل والجنائب وفرحت الرجال والغلمان بزوال المصائب وصار الملك قيس كلما اجتمع مع وجوه القبيلة وسمعهم يتشاورون على النزول من جبل الغمام ويتحكمون فى النعيان والاكام فيقول لهم يا بنو عمى أنا ما أطاوعكم على ذلك حتى أنظر ما يكون من أمر القبائل والفرسان الذى أنفذ اليها الملك مسعود بن مصاد لانى أعلم ان كل من فى بلاد اليمن يقصدنا ويطلب ثاره منا وما نقدر نتحكم فى هذه البلاد حتى نكسر أهلها فى هذه الكرة ونذل رقابها وقد عرفت قدرنا ودخلت تحت أمرنا وكان عنتر اذا سمع ذلك يصدقه فى الكلام ويوعده بالنصر

وطيب المقام ﴿قال الراوى﴾ وما مضى على ذلك الا أيام قلائل حتى أتت القبائل والجحافل وكان
أول من وصل الى جبل الغمام بنى فارق ثم بنى العنقا أصحاب الرماح الخوارق وتتابعت بعدهم القبائل
تتلو بعضها البعض وهى تأتى وتنزل وكان بنو عبس عولوا على النزول واذا قد أشرفت عليهم القبائل كما
ذكرنا حتى ملأت البر والاكام ودار وابهم من كل جانب ومكان حتى صار جبل الغمام كأنه مركب
فى وسط بحر زخار وضجت بنو عبس واضطربت وخافت مما عاينت وأبصرت فلما نظر الملك قيس
الى ذلك قوى قلوب الرجال وقال لهم يا بنو عمى وأهل عشيرتى أما لكم اسوة بى و باخوتى قال ولم يزل
الملك قيس على مثل ذلك حتى قويت قلوب الرجال وهانت عليهم الامور الثقال فقال عنتر أيها الملك
ان هذا الكلام قد صح وما بقى خلاص من أرض اليمن وهذه المعالم والرسوم ان لم نضرب بالسيف حتى
تصيح الجن من تحت التخوم وهل رأيت يا ملك أحدا قبلنا خلد و بقى فى الفلوات ما قتل ولامات
والحرب ما يصعب الا على البنات المخدرات والنسوات المحجبات من داخل الستور وربات
الخدور لا على من يطعن برمحه فى الصدور و يضرب بسيفه فى النحور لانه ليس يفزع من الموت
والنشور و بعد هذا فقلبى يحدثنى بالغلبة والقهر واقبال المسرة والنصر ولو كانوا بعدد ورق الشجر
وقطر المطر أفنيهم بحسامى الصامى الابتر ورمحى الكعوب الاسمر وسوف ترى من عبدك عنتر
ما يكتب من بعدى ويسطر قال ففرح الملك قيس بكلامه واستبشر وانشرح صدره بكثرة العسكر ثم
ان الملك قيس قبل صدره وشكره وأثنى عليه ثم ان بنى عبس تواثبوا من وقتهم فى اصلاح عددهم والسلاح
وآلات الحرب والكفاح فبينما هم على مثل ذلك اذ وصلت اليهم فرسان الحلل والقبائل وبرقت
أسنة الرماح الذوابل ودار وا بجبل الغمام وكان له أربع جوانب وكل جانب منها منيع عالى ما للخيل
عليه مجال هذا وبنى عبس قد نزلت الى البر بعد ما تأهبت للكر والفر وكانت عند اشرافها معتدة للحرب
والكفاح وفى مقدمتها عنتر الفارس الجحجاح وأبوه شداد وأعمامه مالك وزخمة الجواد وطائفة
بنى قراد والى جانبه مقرى الوحش وعروة بن الورد وأبو الموت وعبيده الموصوفين بالحرب والقتال
والرجال الذى يعتمد عليهم فى الشدائد والنوائب وهم يتحدثون فى كثرة الاعداء وازدحام المواكب
ومقرى الوحش يقول والله يا أبو الفوارس ان بارزونا وطلبوا منا الانصاف فرقناهم ولو أنهم على
أمثالنا وأضعاف وان عمدوا علينا بهذه المئات والآلاف خشينا على فرسان القبيلة من التلاف
والافنحن نقدر نخلص أنفسنا منهم اذا زاد علينا العدد ونزيد عليهم بقوة الصبر والجلد فقال عنتر وقد
تبسم والله يا فارس الشام ما أتركهم يصلون الى فارس من بنى عبس بل أطلبهم بالانجاز وأسرساداتهم
فى البراز وأنا أقسم بالرب القديم رب موسى وابراهيم لو أننى أكون وحدى ولا يكون عندى من أحمل
همه ولا يشغل قلبى قدرت أقاتلهم يوم وعشرة ولا أنصرف عنهم حتى املأ الارض من قتلاهم على
أننا لابد اننا نجهل فناهم ونفرق جمعهم ونقل عددهم ﴿قال الراوى﴾ وكانت سائر الطوائف التى
أقبلت قد عولت على النزول والراحة فاصبرت بنو كلب لما فى قلوبهم من الاحقاد على بنى عبس الاجواد
لما قتلوا ملكهم مسعود بن مصاد فحملت من كل جانب وهزت القنا والقواضب فالتقاهم من بنى
عبس الصبيان أولاد الفرسان الذين نشؤا فى ذلك الزمان لان بنى عبس لما دخلوا فى تلك الدمن كان
عدتهم أربعة آلاف فارس فقتل منهم فى هذه الوقعة خمسمائة وأربعين فارس همام وكانوا الذين نشؤا
من أولاد الفرسان خمسمائة وستين من الصبيان الذين تعلموا الضرب والطعان لان عنتر كان
هذبهم وعلمهم الضرب والطعان فطلع كل واحد منهم بطل أمجد وهمام أوحد فاقتتلوا فى ذلك اليوم
حول جبل الغمام وفعلوا فعل أولاد الكرام فعندها تزايد عليهم العدد وكثر المدد فلما رأى عنتر

الى

الى ذلك جمل هو ومقرى الوحش فارس الشام وجمل أبو الموت البطل الهمام وعروة بن الورد شجاع
الزمان وجال كل فارس همام وجمل الهطال الاسد القمقام وجمل أبو عنتر الامير شداد وعمه مالك
وأخوه زخمة الجواد ونازح بن أسيد فارس النوائب وعياض ابن ناشب وجمل أخوه الملك قيس وورقة
والحارث ونوفل الابطال الكواسر فحمل عليهم وجالوا فيهم واستقبلوهم باسنة رماحهم وبذلوا فيهم
صفاحهم وصاروا يلتقطوا رماحهم بصدورهم وصالوا على شجعانهم وأظهروا فيهم قريحتهم وصبرهم
وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأبلوهم بالذل والتعتير وأما عنتر فانه ساق الابطال قدامه سوق الجمال
وجندل الاقيال واستطال على الرجال ومازلوا فى قتال وصدام حتى أظلم الظلام ورجعت كل
طائفة الى مضاربها والخيام ﴿قال الراوى﴾ وفى اليوم الثانى جرى بينهم حرب لا يوصف حتى أيقنت
الفرسان بالتلف ودافعت بنى عبس عن حريمها ونفوسها ومانعت فثله در عنتر وما فعل فانه نثر الاعداء
نثر الحرمل وأغرق سنانه فى نحورهم والمقتل لانه فى ذلك اليوم حمل فى الجانب الذى سلم اليه فأحماه كما
تحمى السباع الاشبال وترك الاعداء مطروحين على الرمال وكان قدامه فى ذلك اليوم ثلاثة
طوائف يزيدون عن عشرين ألف فارس وراجل وكان هو فى خمسمائة فارس الا أنهم شجعان الجحافل
وكانت هذه الفعال كلها من تدبير الملك قيس لانهم استشاروه فى الليل فى أمر القتال والحرب والنزال
فقال الملك قيس يا أبو الفوارس كيف يكون التدبير فى هذا الخلق الكثير لانهم دار وابنا من كل
الجهات وقد علموا أن بقاتلونا من سائر الجنبات وانهم لم يقدروا بقاتلونا الا من ثلاث جهات
والرب القديم قد كفانا مؤنة الرابع لانه على كل حال عالى مرتفع الجنبات كثير الصخور والاوعار
والصواب اننا نحترز على أنفسنا وندبر أمرنا فقال عنتر الرأى عندى يا ملك أن يكون مقرى الوحش
وعروة ابن الورد فى ألف فارس فى جهة من الثلاث جهات ونازح بن شداد وزخمة الجواد وعمرو
أخو عبلة على الميسرة فى ألف فارس وتكون أنت يا ملك فى القلب فى خمسمائة فارس واقف تحت
الرايات والاعلام وأنا يا ملك ألقى القوم فى خمسمائة فارس لاغير فقال له يا أبو الفوارس وتخالط أنت
هذه القبائل فى الخمسمائة فارس فقال له عنتر نعم أيها الملك وأبدد شملهم وأحيرهم فى امورهم وان
رأيتنى يا ملك قصرت عن الطعن والضرب فاحمل أنت خلفى بالخمسمائة فارس التى تحت الاعلام حتى
تعلم العدا يا ملك أن لنا خيل مستريحة وأبطال صريحة ومانحن محتاجين اليها وهذا كله ما يكون أكثر
من يومين أو ثلاثة أيام ونكسر عددهم ويزول طمعهم وبعد ذلك نخرج الى برازهم ونكسر بالذل
أنوفهم واعزازهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس كلامه فرح وجرى من القتال ما جرى وكر وعنتر
بالخمسمائة فارس على الاعداء وصيرا جسادهم أكوام فى عرصة البيداء وهدر وزمجر وصار يلتقى
الرماح بصدره وأظهر فى هذا اليوم جلده وخبره وجال عليهم بشجاعته وبذل فيهم قوته وصولته وساق
قدامه الرجال الكرام كأنهم الاغنام وقتل منهم خلق كثير وبلاهم بالذل والتعتير وأكثر القبائل
تنظر اليه نذرا وترمقه حذرا وقد أشبعهم طعنا وضربا وملأ قلوبهم خوفا ورعبا لانه قبل ما تصل
بالابطال قال لاخوته شيبوب وجرير ويلكما مدونى أنتما بالرماح حتى أفرج الملك قيس على الحرب
والكفاح ثم انه صار يلتقى بالفرق التى تحمل عليه ويطعن المقدمين منها ويتخطى كعوب الرمح ويترك
الآخر ملقى ويأخذ غيره ويطعن فى صدور الرجال طعنا يقطع الآجال ﴿قال الاصمعى﴾ لقد
أخبرنى من أثق به وأعتمد فى الكلام الصدق عليه وهو أنى صادق فى حديثى هذا ولا قلت الا حقا
ولا تكلمت الا صدقا وقال لى يا أصمعى انى كنت فى هذه الوقعة حاضر وناظر ولقد شاهدت بعينى
فرأيت العجائب وقد رويت على قدر جهدى واقتصرت غاية الاقتصار وهو ان عنتر بن شداد ذلك

اليوم أظهر في قتاله العجب وكسر اثنين وخمسين رمحا مكعبا وكانت الطوائف والسادات في فرسان العرب والقبائل من عرب اليمن اذا رأت تلك الطعنات الهائلات والرماح المعتدلات تعلم سائر القبائل والفرسان المجتمعات لان الذي يطعن بها أحد الفرسان وفريد العصر والاوان لان الطعنة ما تقع في مقتل وتعمل هذا العمل الا من قلب غير فزعان (قال الراوي) فانفرج عن قلب الملك قيس ذلك اليوم الغم والهم والكرب وتعجب من قتاله وانذهل من حربه ونزاله وما فعل من أفعاله وأعماله وقال لمن بقي حوله والله يا بنو الاعمام ان الزمان ما بقي ينتج مثل هذا الاسد الهصور ولا أعفى منه ولا أعرف بالحرب والقتال في وقت الزحام في المجال ولما رأت فرسان اليمن منه ذلك تجنبته وصارت الخيل تجفل من ضربته وصدمته وتولى من زعقته وانضم بعضها ببعضها لما انها تسمع صرخته فترمي أصحابها وتدوس ركابها وأما فرسان اليمن فانها صارت تصيح عليه ولا تجسر تقربه ولا تقف بين يديه فعند ذلك عاد عنتر الى عند الملك قيس وهو يهمهم ويزمجر ويخب في بطون الفلا بجواده والابجر ولما ان عاد الى الملك قيس قال له احفظ أنت هذا المكان بهذه الفوارس الذي معك لانها مستريحة فان الامر قد هان لاني عولت ان أشرف على عروة ومقرى الوحش وأعود لان الصباح عندهم عالي مرتفع ومرادي أمضي الى نحوهم وأقوى عزمهم ثم انه نزل عن ظهر الابجر وتركه يلوك في لجامه والدماء تقطر من جنبيه وحزامه وركب من بعض خيله الجياد وأخذ أحاه شيبوب بركابه وخب في عرض الصفوف يطلب مقرى الوحش وعروة بن الورد ورفاقهم السادة الاجواد هذا والرجال هاربة من بين يديه وما منهم من أحد يلتفت الى أحد ولا يعن عليه وصارت ترمي أرماحها بين الصخور والاحجار ثم انهم يستريحوا من هول المعمعة وهول ذلك اليوم الشديد الغبار ومنهم من ينزل الى بطون الاودية الخوال ومنهم من يتعلق برؤس الجبال مما قاسوا من تلك الوقعة من الاهوال هذا وعنتر طالب مقرى الوحش وأقرانه الا انه ما لحق أن يقتل عنانه ولا يتحول من مكانه الا وقد أبصر الامير عمارة الوهاب قد أقبل عليه وهو يهز أردافه وأعطافه وهو راكب على حصان أشقر عالي من الخيل مضمر وله بين عينيه غرة تزهر كأنها دائرة القمر وهو مجعل الاربع رابي الكفل على ظهره تحائف من الحرير الاصفر وعمارة راكب عليه وقد تخيل له في نفسه انه من دولة الملك كسرى أو قيصر أو ملوك بني الاصفر ولكنه لابس من فوق قماشه ثوبا أحمر ومتقلد برمح أسمر من عمل سمهر ومعه سيف أبتر ثقيل المتن من الفولاد المجوهر وتحت فخذيه حربة منها تشعل النار وهو يسيح من رأسه عندك قف يا أبو الفوارس حتى أني أكلمك في هذا المكان فعند هاشكم عنتر فرسه الى ان أقبل عليه عمارة وقد انقطع نفسه وهو يلهث ويصرخ وفرسه يشخر وينفخ وعنتر من ذلك زادت به الفكر فقال له يا أبو الفوارس لا تشغل سرك من جهة اصحابك والرفاق عروة بن الورد وفارس النياق فان المكان الذي سلمته اليهم محفوظ ما عليه بأس وأما أنا فقد أشرفت عليهم وكشفت عنهم ما لقيت قدامهم من الاعداء واني رأيتهم في خير كثير وهم على أعدائهم مستظهرين وان زاد عليهم المدد فرقت عليهم النفير ونصرت منهم الكبير والصغير فقف أنت يا أبو الفوارس مكانك ولا تخلي العرب يستصغر شانك وامسك المكان الذي سلم اليك ولا تخلي مثل أخي والملك قيس يعتبون عليك واحفظ حق الملك قيس وقومه وقم بواجب خدمته وارعى جانبه وامسك حرمته لان الاعداء من هذا الجانب الذي جئت منه كثير وجمعهم غزير وقف حتى اني أعود أيضا الى مقرى الوحش وعروة ابن الورد وان كثرت عليهم الاعداء أعنتهم ورددت عنهم العرب الذي طلبتهم رعاية لما بيني وبينهم من القرابة والوداد فعند ذلك قال عنتر يا أمير عمارة يا وهاب لا عدمتك من بين القرابة والاصحاب

لانك

لانك عزنا وكبيرنا وانت المشار اليك فينا فلا عدمناك من أمير ولحامي ونصير ثم ان شيخ العرب
عمارة بعد كلامه اسيده عنتر أطلق عنان جواده الاعور وجرد سنانه في ذلك البر الاقفر فبينما هو
سائر في تلك البراري والاكم اذ وقع بين يديه سرية خيل من عساكر اليمن وكانت قد أقبلت من صوب ديار
الملك مسعود بن مصاد وهي تنادي وتريد تعيين أصحابها على الحرب والطراد وملاقات الابطال الشداد
فنظروا الى عمارة وهو سائق فرسه ومن شدة الكد والجد كاد أن ينفطر فأرادوا أن يسألوه عن عساكر
بني عبس وعدنان وما جرى لهم مع فرسان اليمن وما وقع لهم من الحرب والطعان فعند ذلك وقف
عمارة وقد أحاط به الهم وأيقن بالذل والخسارة وقال لهم ما خبركم يا وجوه العرب ومن تكونوا من ذوي
المفاخر والرتب فعند ذلك نظر اليه رجل منهم لما ان قرب منهم وحاذاهم فعرف أنه من بني عبس
أعداهم فعند ذلك صرخ الرجل في أصحابه وقال لهم يا فتيان وقعنا من أعدانا بانسان ورأى عليه ثيابا
حمراء وخضراء وصفراء مصبغات وهو كأنه طنجير وقد لحقته العاهات والامراض المختلفات فلما ان
سمعوا الفرسان من صاحبهم تلك المقالات اقبلوا عليه في عاجل الحال فتطاع اليه رجل منهم وصرخ
وقال يا آل العرب الاجواد هذا يقال له عمارة بن زياد الفؤاد وله أخ يقال له الربيع بن زياد وقد قتل
لي أخا وابن عم أول ما دخلوا هذه البلاد وهذا أخوه وابن أمه وأبوه وعربه وما أتيت من ديارى الى
ههنا الا من أجله ومن سببه ولا بقيت أسيبه ولا افارقه من هذا المكان حتى انني أوصله الى غرمائه
ليأخذوا بثارهم من هذا الانسان (قال الراوى) فعند ذلك تقدموا اليه وأنزلوه عن فرسه من غير حرب
ولا قتال لانهم كانوا جمع كثير والفرسان الجياد لا تقاتل عند الغلبة وانهم سلبوه القباء الاحمر وأخذوا
من وسطه المنديل الاصفر وقلعوه عمامته من على راسه وضربوه الضرب الوجيع حتى كادوا أن
يقطعوا أنفاسه فعند ذلك قالت العرب أصحاب القنا يا وجوه العرب من حيث أخذتم فرسه وعدته
وأخذتم ما عليه من السلب فاطلقوه وخلوه يذهب الى حال سبيله واحسبوا أنتم ما وقعتم به (قال الراوى)
فعند ذلك دخلوا على بعض العربان فأطلقوه عريان فسار عمارة وهو كيوم ولدته أمه وكان الليل
قد أقبل والنهار قد ولى وارتحل فجعل يمشي تارة ويقعد تارة ويرقد تارة وصار يسب الزمان كيف
أوقعه في هذا الذل والهوان والمشقة والحرمان وبقي في تلك القضية حيران فزعان ربما ينظره أحد
من بني عبس وعدنان على تلك الحالة وهو عريان خصوصا اذا نظره عنتر بن شداد وبنو قراد وهو
ذليل حيران بردان جيعان فزعان اذ وقع في فريق عربان فتنابحت عليه الكلاب من كل جانب
ومكان ودارت من خلفه ومن بين يديه يخمشونه بأظافيرهم حتى سال الدم من سائر جسده وانسلخ
من كثرة الخمش ذراعيه وركبه فعند ذلك انتبهت الخلائق على حس الكلاب وأتوا اليه العبيد من كل
جانب ومكان ومسكوه وداروا حواليه وبهتوا فيه وتأملوه طويلا فنظروا الى انسان أغبر عريان
مكشوف الرأس بادى الحواس وقد سال من منخريه المخاط وعلى اكتافه واجنابه آثار الضرب
بالسياط وسائر جسده مخدوش من نهش الكلاب فمسكه العبيد والاحرار الانجاب وعملوا في رقبته
حبلا طويلا طوله عشرين ذراع وقالوا هذا والله السلال الذى كان يدور حول مضاربنا والخيام
ويحرمنا كل ليلة أن ننام ويريد يسرق خيلنا والمتاع ثم انهم كتفوا يديه من خلفه وأتوا به الى عند
مضارب بهم والخيام وقد فعلوا في حقه ما لا يرام وقدموه الى بين يدى مقدم القبيلة وقالوا له يا مولانا
وقعنا بهذا الرجل في هذه الليلة ونظن انه من سلالين الخيل الذى أحرمت العرب أن تنام ان كان في
النهار أو في الليل وها هو يا ملك قد أتينا به اليك وقدمناه بين يديك فافعل به ما تشاء وما تريد واحكم
فيه حكم الموالى على العبيد فقال له ويلك يا شيطان أين الجواد الذى سلبته البارحة من هذه الابيات

وانك قد اتعبتنا واتعبت خيلنا خلفك فى البرارى الواسعة القيعان وأهلكت خيولنا من الطرد والجرى
وذمة العرب ان لم تأتنا بالجواد الذى سرقته البارحة من هذه الابيات والا صلبناك على قرون الجبال
بعد ما نذيقك أنواع العذاب والنكال فعندها قال عمارة والله يا موالى أنا ما أنا سلال ولا حرامى محتال
بل انى أنا أمير من أمراء العربان ولكن غدر بى الزمان وخاننى ورمانى بالذل والحرمان وهانى
وأذاقنى النكال فقال له مقدم السرية تكذب ياشيطان يا كلب يا قواد يا مهان بل أنت كل ليلة تدور
حول مضاربنا والخيام وتستغفل عبيدنا لما يغرقوا فى المنام وتسل خيلنا فى غسق الظلام وتبيعهم
بأبخس الاثمان يا ميشوم يا قرنان يا ابن ألف قرنان ثم انه أمر به أن يبطحوه على وجهه فبطحوه
وأمرهم أن يضربوه فعند ذلك شجوه بأربع سكك حديد وضجوه حتى ظن كل أحد منهم انه هلك
من الضرب الشديد ونزل عليه عبدان شديدان يضربوه وعمارة يستغيث فلا يغاث ويقول ارحمونى
يا وجوه العرب السادات والله ما أنا سلال ولا محتال وما أنا الا من أكابر السادات ولا تقال فى حقى
هذه المقالات فلم يرق له أحد منهم بحال من الاحوال ولم يزالوا يضربوه حتى ان عمارة سكت حسه
وهدأ نفسه وهم يقبدلوا عليه الغلمان الى أن حن عليه النسوان ورحموه فاجتمع جماعة من النسوان
ودخلوا على القبيلة وصاحوا بأعلا لسان والله ان هذا المسكين ما هو وجه سلال ولا حرامى محتال
وهذا ما هو الا وجه مطنجر مؤنث مذلول من أنذال الرجال اما تنظر الى فعله وما يبديه من المقال
وما هو الا قد غربه الزمان فاطلقه يا مولانا لاجل العزيز الديان الرحيم الرحمن (قال الراوى)
فقال لهم سيد القبيلة أكرمته لكم أيها النسوان واعتقته من القتل والهوان ولكن ما أطلقه حتى
آمر هؤلاء العبيد ينادون عليه ويجرسوه بين هؤلاء العربان وأشهره وأتوبه لان لا يعود الى هذا المكان
ثم انه أمر بتجريسه فأخذه العبيد والغلمان ووضعوا فى رقبته حبلا طويلا وصاروا يشحطوه بذلك
الحبل الذى فى رقبته ويدوروا به من مكان الى مكان وينادوا عليه وهو ما جرى عليه فى ذل وقد قل
منه القوى والحيل وهم يقولون هذا جزاه وأقل من جزاه فهذا الذى يسرق الخيل فى ظلام الليل
ويمشى بين المضارب والخيام ومازال العبيد به بين المضارب والخيام والابيات وهو يستغيث فلا يغاث
وحل به التعس والنكس حتى قربتهم المقادير الى خيام بنى عبس فلاحت من عمارة التفاتة فرأى
عنتر بن شداد وهو واقف بين يدى الملك قيس يحرس الفرسان ويحرضهم على القتال والحرب والجلاد
فصاح عليه عمارة من شدة الفرح لما ان أبصر قومه وعنتر وقال يا ابن العم ويا كاشف عنا الكرب
والهم ادركنى ومما أنا فيه خلصنى لانه لم يكن لنا أحد يخلصنا الا أنت يا سيد العرب فأنا عمارة بن
زياد وقد صار لى شئ كان أصعب على من القتل والنكاد اغثنى يا سيد الفرسان والا حل بى القتل
والهوان وكان أخوه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد مع الملك قيس وهو يحدثه بفقد عمارة
الوهاب وعنتر يوعد الربيع ويقول له عند الصباح نكشف خبره وفى هذا الوقت التفت عنتر ينظر
من الذى يصيح واذا به رأى صياح العبيد عالى وعياطهم متلالى ونظر الى رجل وفى رقبته حبل طويل
وأدميته من سائر جسده تسيل وهو قد أشرف على الهلاك والوبال فعند ذلك تأمل الربيع بن زياد
فرآه عمارة أخاه القواد وهو على ذلك الحالات فعندها تقدم الى عنتر بن شداد وقال له يا ابن العم
ويا كاشف عنا وعن قومك الهم والغم هذا أخى عمارة فادركه قبل أن تحل به الخساره فلما رأى عنتر
عمارة فى هذه الخساره سر قلبه والفؤاد وشفى من عمارة القواد لكن أظهر خلاف ما عنده وصاح
واحر باه عليك يا وهاب ثم ان عنتر سل سيفه الصامى الابتر وهوى به على العبيد فتم اربت من بين يديه
وقد احترقت مهجته عليه وقد أسيلت دمعته ونقدم اليه نشف دماه وسأله عن الهم الذى اعتراه

فقال

فقال له يا أبو الفوارس ماهو الا أنى رددتك عما كنت تريد تفعل وعن رواحك الى عروة بن الورد وفارس النياق وسرت أنا اليهم أفتقدهم وبحبتك لهم أعلمهم فوقع بى هؤلاء الاندال الكلاب ووقع لى معهم مالم يكن لى فى الحساب من الاهانة والعذاب ولولا وقعت بى أنت فى هذا المكان لكان وقع بى الذل والهوان فقال له عنتر أنا قلت لك مرارا لاتسر اليهم ولاتقدم عليهم لان جميع الاوقات مايخلص الانسان فيها من الآفات لان الاعداء فى هذه الارض كثيرة ثم ان عنتر سار بعمارة الى مضاربه والخيام وأوصى عليه العبيد والخدام وبعد ذلك سار يطلب مقرى الوحش وعروة بن الورد وهو يضرب بحسامه فى المناكب والمواكب الا انه ماوصل اليهم حتى ملأ الارض من القتلا وتركهم عجبا وأشرف على القوم فوجدهم فى أعظم الحرب ومقرى الوحش يفرقهم يمينا وشمالا فصاح به عنتر أحسنت يافارس الشام اخطف لى أرواح هؤلاء اللئام فلما سمع مقرى الوحش كلامه زاد فى قتاله وصدامه وحمل عنتر بن شداد وكشف عنهم الرجال وماخلاهم الا على غاية الاستظهار وعاد الى الملك قيس فوجده قد حمل بنفسه وترك موضعه عمه السيد وبعض اخوته وكان الملك قيس فارس مذكور وبطل مشهور وليث جسور وعلى النوائب صبور فحمى جانبه بهمته وزعزع المواكب بحملته وصولته وهو ينادى بأعلا صوته يا آل عبس يا آل عدنان أنا قيس بن زهير صاحب النصر ومازال كذلك حتى أتى اليه عنتر وسمعت القبائل زعقته فتهاربت من بين يديه وقد قاتل الفارس الهمام الغضنفر الى أن أقبل الظلام وهجم الليل على سائر الانام وانكفت الطوائف عن بعضها البعض بعدان تكاومت القتلا فى جوانب الارض ورجعت وهى تصف مارأت من عنتر ومن حملاته وزعقاته وصرخاته فى الحرب وهماته ويتعجبون من صبره ويقولون هؤلاء مايعمل فيهم الا الكثرة وقلة النصفة ولولم يكن هذه الفعال فعالهم ماكانوا عادوا مثل الملك النعمان وما كانوا قدروا أن يدخلوا بلاد اليمن ويفعلوا هذه الفعال لانهم فعلوا بنى حريقه أفعال قبيحة وقتلوا فارسهم الاخيل بن عمرو وفتكوا فى أرض المصانع وخانوا معاوية بن النزال وقتلوه وأوصلوا اليه القتل والخذلان وفعلوا كثيرا من تلك الافعال وأضيق المسالك والمصانع حازوها وعقبة الفاروق وفتكوا بنى القين وبنى فهد وقتلوا فارسهم عمرو بن ضمره وسبوا زوجته زهره وقتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب مياه عراعر وشتتوا بنى كلب بن وبره ونزلوا فى جبل الغمام وها أنتم فى هذه الايام نظرتم أفعالهم وقتالهم وكيف سبوا تلك القبائل وساقوا نوقها وجمالها فقال عمرو بن نفيل يا وجوه العرب الكرام ذكركم الذى ذكره سيد قضاة الزمان السيد عبد المطلب بن هاشم سيد أهل مكة والصفا وهو خير من على الارض مشى وقد أنشد فيهم هذه الابيات

قوم ضياء البشر فى أبصارهم * يحكى شعاع الشمس فى الاشراق دلت على أسلافهم أخلاقهم
وكذا الفروع زكية الاخلاق * ان سئلوا فعطاهم سيل وان * سئلوا الجواب فأفصح النطاق
واذا العدو أتاهم فرماحهم * رسل المنون تشك للاعناق * قوم تلاقى امرهفات صدورها
فى يوم معمعة و يوم سباق * لايخشون من الجراح لانهم * ساروا فى الورى بالفضل والاشراق

(قال الراوى) فلما سمع الحاضرون منه ذلك الكلام تكلم منهم شيخ شجاع يقال له ابن دفاع وقال يا عمرو متى سمعت السيد عبد المطلب قال فى حق بنى عبس هذا المقال قال يا ابن العم قاله عند عودته من أرضهم حين أصلح بينهم و بين بنى فزارة فلما سمعت فرسان القبائل وحماة العشائر هذا الكلام داخلها الحسد لبنى عبس حتى كادت أن تنفطر مرائرهم والكبود وفيهم من قال ماجهد بنى عبس وماتفعل واليوم أبذلوا كلهم المجهود وفيهم من بات لايقدر يرفع يده ولايعود (قال الراوى) الا أن بنى عبس

قد عادت مظلة الصوارم من وقع المرهفات على الجماجم لكن قد بات فيهم النقص لاجل قلتهم الا أن الجراح كانت فيهم قليل وما تفار رجلا منهم قتيل ولا ذليل وذلك لعظم شجاعتهم ومع ذلك انهم جعلوا يملؤن أنفسهم بالنصر ويحدثونها بالغلبة والقهر ولما جن الليل واعتكر الظلام أخذوا الراحة للمنام بعد ان أكلوا شيأ من الطعام وبعد ذلك جمعهم الملك للمشورة فقال عنتر يا بني عمي اما هذا الجمع الذي اجتمع فنحن نقدر عليه ونطلبه بالرماح والنصول لان أكثرهم ما أتوا الا لنهب الاموال والخيول وان هلاكنا صعب على من يطلبه وليس لهم اليه وصول فقال الملك قيس والله يا بني الاعمام ما فينا الا من يقاتل حتى يبقى مطروح ويضرب بالسيف حتى يبقى جسد بلا روح اما ان نفوز بالمحامد أو اننا نصير في بطون اللعايد فقال عنتر يا مولاي ان من دون ذلك عبدك عنتر يحمل عنك الاثقال والمهالك وحق من تعالى واحتجب وأضاء بقدرته النهار وأظلم الغيهب وبحق النبي الذي يبعث في آخر الزمان الذي يظهر بين زمزم والمقام سيد العرب والعجم وأفضل من مشى على ساق وقدم اني قادر أخوض أول المعمعة وآخرها ونحن اليوم أسرنا أبطالهم وكسرنا هم ومحقنا ساداتهم لان كلما قتل من العشيرة واحد أتألم لفقده وأبذل المجهود بأطراف القنا حتى آخذ ثاره ولو اني أصير قتيل من بعده فقال عروة بن الورد ما نقول اننا بعدها نرجع الى أرض الشربه والعلم السعدي لان عرب اليمن جمعها تقصد الينا وتجتمع بجمعها علينا وتجمع علينا الجموع لانها الينا منتابه مثل العيون النابعه ونحن ما نسلم أرواحنا الا الا بسنة رماحنا في أيدينا وشفار صفاحنا ونحن قادرين على هلاك أعدانا وأنا والله ما لي غم الا من شماتة الاعداء لان أخبارنا تصل الى أرض الحجاز وتشمت بنا بني فزارة لانهم من جملة الاضداد والحساد ثم انه بكا على أخته سلما التي كان يسميها بأم حسان ويعرض في شعره باسمها فضحك عنتر من كلامه وعظم عليه مرامه وقال له ويلك يا أبا الابيض اذا كان هذا حالك وأنت الآن مستظهر فكيف يكون حالك اذا أبصرت عين الغلبة والقهر فقال مقرى الوحش يا أبو الفوارس اذا كان حال عروة بكاه على أخته سلما وما هي ههنا حاضره معه فكيف حالنا نحن اذا رأينا عيلة ومسيكة مسبيات مع الاعداء يسافان بجملة العبيد والنسوان والبنات وأنا لا بد لي في غداة غد عند الصباح أني أنوي الخروج الى الميدان وأبارز الابطال والشجعان واذا قتلت أنا تحت الغبار أكون قد أخذت لنفسي بالثار ثم انه قام يطلب مضاربه والخيام فقال عنتر وأراد أن ينشرح مع مقرى الوحش حيث انه رآه فزع من عرب اليمن وقال هذا المقال فقال الى أين يا فارس الشام أما تتولى الحرس معي في هذا الظلام فقال لا والله يا أبا الفوارس أنا الليلة ما أنا رفيقك في الحرس وأنا أريد أشبع من زوجتي مسيكة وولدي سبيع اليمن وكان مقرى الوحش رزق بهذا الولد في بلاد اليمن وسماه هذا الاسم الحسن وقال لان عروة بن الورد قد قطع ظهري حزنه وان عشت الى الصباح بدلت أتراحه بأفراح قال فلما سمع عروة ذلك علم انهم قد احتقروه ولما سمعوا كلامه وفزعه فأقسم بيمين العرب الصعبة انه لا يحرس الناس تلك الليلة الا هو وحده ولا يتبعه الا رفقته ثم نزلوا الى ذيل الجبل واعتقلوا بالرماح بعد ما قال لعنتر ودع أنت الآخر لعبلة يا أبا الفوارس فانا أنوب عنك الى الصباح فتبسم عنتر من كلامه وعلم ان الفزع غير حاله لكنه رجع عن شأن ايمانه وعروة أخذ أصحابه ونزل بهم الى أسفل العقبه خوفا من الاهل والاقرباء هذا وعروة جعل ينظر الى ناحية أرض الحجاز والعراق وهو يهيم الى أخته سلما ويحن اشتياقا ويتحسر على فراقها ويعلل قلبه بأرياح الصبا ويبردها على نيران الصبابة والجوى ويشير الى البرق اذا لاح وأضاء وهو مع ذلك ينشد ويقول

اذا هبت الارياح من علم السعدي ❁ طفى بردها حر الصبابة والوجدي

واذا

واذا لاح ضوء البرق من أرض عالج * ذكرت به ربها على العلم السعدى
فبالله يا ريح الحجاز تحملى * رسالة مشتاق يحن الى نجدى
وهبى على تلك المعالم واخبرى * لساكنيها انى مقيم على العهدى
وان سألت عنى سلما وتربها * فقولى غريب يشكو من البعدى
ومن حوله جيش اذا ماج بحره * أثار غبارا بالمثقفة الجودى
وعند ضياء الفجر تنهبه العدا * بعزم شديد البأس كالجمر الصلدى
وأطعن بالخطى حتى يخونى * سنانى وتجرى الصاقنات على خدى
وتسمع عنى أم حسان انتى * قتلت مع الاشراف بالصارم الهندى
فتندبنى فى كل غاد ورائح * وتبكى على حال الصعاليك من بعدى
ألا أيها البرق اليمانى ألا انجلى * أذقتنى نارا حرها زائد الوقدى
وقد بت أشكو ما الاقى من الهوى * اليك واخفى فى الحشا ضعف ما أبدى
وعند بنى عمرو من الضعف والاسا * ومن نائبات الدهر غير الذى عندى
ونحن جميعا قد أيسنا من اللقا * ولكن أنا المشتاق من دونهم وحدى

(قال الراوى) ومازال عروة على مثل ذلك حتى بدت غرة الصباح وتحدرت اليه الفرسان من العشيرة من سائر البطاح وكان مقرى الوحش قد نزل ذلك اليوم الى جانب عنتر وهو يقول له ان رأيت القوم قد أجابونا الى البراز فأنا نوب عنك يا بو الفوارس فقال عنتر وان لم يجيبوا ارجع أنت يا فارس الشام الى أصحابك الذى كانوا يقاتلون معك أمس واحفظ الميمنة كما قد حفظتها بالامس ولما سار عنتر عند عروة بن الورد قال له ارجع يا أبا الابيض وخذ لك راحة من تعب الليل والسهر فى هذه الارض والجبال ودعنا نطلب من هؤلاء القوم النزال ونكفى أصحابنا شرهم فيهون علينا أمرهم ثم رتب الشجعان وصف الفرسان وكانت القبائل قد ثارت وطلعت غبراتها واجتمعت مقدمة الخيل لانهم قد باتوا يتحدثوا بفعال عنتر وفعال بنى عبس وفعال فارس الشام وهم يتنادمون بذكر هؤلاء الاقيال واصبح مقدموا اليمن والشجعان يطلبوا براز عنتر وفيهم من يطلب الفرجة على قتاله مع الفرسان لانه قد صار حديثه مع القوم بعد ان انفصلوا من القتال واجتمعوا للمشورة فى ذلك المكان وصاروا يصفون شجاعته وقوته وبراعته فقال مقدموا العساكر وقادات الجحافل يا بنو الاعمام لا كلام حتى يذهب الظلام ونبارز هذا العبد ونجرب أرواحنا معه فى الصدام فهذا كان الاصل فى عدم حملتهم وكان هذا من سعادة بنى عبس وعنتر وأتاهم الامر كما يريدون ولما علم عنتر بحالهم والطوائف كلهم متحصرة عن الحملة فرح بذلك الحال وأراد ان يخرج ويطلب البراز والمحال لانه علم ما فى قلوب الاعداء واذا بعقرى الوحش قد خرج على جرته وهو غائص فى سرجه وعدته متقلد بلامته معتقل بصمصامته على رأسه خودة وبين كتفيه درقة قدام القبائل من العرب ونادى بأعلى صوته وقال يا سادات اليمن وأصحاب المعاهد والدمن أنتم سكان الارض وأهل هذه الديار على كل حال ولكم المنزل العالية فى الفروسية والاقتدار ونحن قوم قليلين الانصار وعلى قلة عددنا نحن أقوى منكم فى الحرب والبراز ولا تفتخر الفرسان الكرام الا بالبراز والانصاف فى مقام الحرب والطراد وها أنا من فرسان بنى عبس وعدنان فالبيرز الينا سادا تكم فنحن قصدنا الانجاز ونحقن دماء قومنا وقومكم وبالامس قد رأيتم قتالنا وأبصرتم أعمالنا وكيف هزمنا كم جملة وانتم ترونا بعين القلة مع اننا نقول نحن أفرس منكم وأقوى جلدوا كثر عدد لان أضعف فرساننا تلقى الفا الفا وشجعاننا تلقاكم صفا صفا وان

أردتم الحملة بالحملة فعلينا اثارة الفتنة فانى كفؤ لجمعكم ولى قلب يلاقيكم كلكم ويفنيكم بأسركم وانا لابد لى من قتالكم ونهب أموالكم وسلب أرواحكم ان رحلتم أو أقمتم ثم انه أوسع فى مجاله وتذكر أوطانه ومحبوبته مسيكة فأنشد وقال هذه الابيات

مسيكة قبل بينك ودعينا * ومنى بالوداع وزودينا * وان جد الفراق وكان حتما
وجاء البين فينا فاندبينا * وان مر النسيم عليك يوما * وذكرك المنازل فاذكرينا
ربوعا فى الشام لناقفار * بنا كانت تسر الناظرينا * كثيرات الظلال عذاب ماء
أنيسات أنيقات الغنونا * تركناها السكان سوانا * ورحنا نحو قوم آخرينا
أناس أنزلونا فى محل * من العليا الاعلى الطالبينا * رأينا كل ليث قسورى
ولكن مثل عنترة ما رأينا * أسود عليه السمر العوالى * وأسياف تقد الدارعينا
سكنا فى القفار بكل أرض * يبيت دليلها فيها حزينا * فقرى يا مسيكة واطمئنى
ولا تخشى من الاعداء علينا * فنحن القاصدون اذا قصدنا * ونحن الغالبون اذا التقينا
ونحن العادلون اذا حكمنا * ونحن المنصفون اذا قضينا * ونحن الشاربون الماء صفوا
وشرب غيرنا كدرا وطينا * ملأنا سائر الاقطار خوفا * وبتنا نحن فيها آمنينا
تطيع أكفنا سمر العوالى * وعنترة سيد الفرسان فينا
همام كلما كثر الاعادى * رأيناه لنا حصنا حصينا

(قال الراوى) ولما فرغ مقرى الوحش من كلامه وشعره ونظامه ترنحت بنو عبس لنظمه فعند ذلك قصد أبطال اليمن والفرسان فازدحمت عليه الابطال والشجعان وتقدمت اليه سائر القبائل وقصدته بالرماح الدوابل وكانوا أكثر من مائتين فارس ولما رأوا كثرتهم استحوا من البغى والكثرة والاسراف فتراجعوا وطلبوا معه العدل والانصاف ثم خرج اليه فارس من بين الصفوف وكان من عرب يقال لها بنى بارق وبيده رمح خارق ومقلد بسيف ماحق وكان يقال له وارق بن طارق ثم انه جال وصال وأنشد وقال

توقف لا تسرع البغى علينا * ودونك والمجال اذا التقينا * وانظر من أتاك وكن حذورا
ولا تك من رجال ارزلينا * وكن من السادة الغر العوالى * ذوى الاحسان ثم الانسبينا
ستلقى اليوم فى حربنا كل بأس * تصيره الجبابرة أضعفينا * وتبقى فى الفلاة رهين رمس
عفير الخد مخضوب الجبينا * لانى وارق بطل مسمى * وطارق عسر وابن الامجدينا
علوت على الانام بعظم مجد * شريف فائق للعالمينا

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره وانشاده صبر عليه مقرى الوحش حتى هد أشعث الحصان وتم جولانه وكان راكبا على جواد أبيض ما به علة ولا مرض يبلغ صاحبه عليه ما يريد وهو أبيض قرطاسى كما قال فيه الشاعر اللبيب هذه الابيات

وطرفا مثل رجع البرق جريا * يسابق فى مجاريه الظلالا * شددت له حزام الحزم لما
حملت الى الوغا منه الشكالا * تضيق عنه صدور الارض جريا * فيوسع فى السماء له مجالا
فما أمرجته الا هلالا * وما حللته الا حلالا

(قال الراوى) وكان معه رمح خارق كما قال فيه الشاعر

أصم رديني كأن كعوبه * أنابيب فولاذ تحاكى الكواكبا
عليه سنان كالصباح كأنه * شجاع تبدى ألسنا وعقاربا

(قال

(قال الراوى) الا أن وارق بن طارق لما حال مع مقرى الوحش ما دام معه أكثر من ساعة حتى اختبره وعلم ما هو عليه من الفروسية والشجاعة ثم فاربه مقرى الوحش ووكزه بعقب الرمح قلبه وهو غير مكترث به فتعجبت الابطال من ذلك الطعن والثبات وقصده فارس ثانى يسمى وثاب بن ناهض وكان يكنى بأبى باغض فصاح فيه وحاربه وقاربه ولما ان رآه مقرى الوحش مستيقظا للحرب محترزا من الطعن والضرب طلب معه الانحاز فى البراز همه وأوهمه أنه يطعنه وعلق الرمح فى يده حتى لاصقه ومد يده الى أزياقه وقبض على جلباب درعه وجذبه ورجله وحيره وأذهله وسلمه الى أخيه فشده كتاف قوى منه السواعد والاطراف لانه كان خلفه حذرا عليه ولما ان رأى الفرسان تتواثب اليه وتتقدم عليه وكان من الفرسان الاجواد الا أن الفرسان ما أنصفت مقرى الوحش فى ساحة الطراد الا بقدر ما أخذ منهم عشرين فارسا أمجاد وبعد ذلك تكاثروا عليه لما رأوا أفعاله وعظيم قتاله وصاروا يحملون عليه من العشرة الى العشرين وأكثر من ذلك فأبصره وقلة انصافهم فاعتمد على تلافهم وصار لا يأخذ فارسا أسيرا حتى يقتل عشرة أو عشرين (قال الراوى) وما تنصف النهار حتى قتل مائة فارس كرار وأسر سبعين يا أخيار فوقفت عنه الرجال لما أبصروا منه هذا القتال والافعال ورأوا القتلا مطروحين يمينا وشمال وهم فى عرصات المجال ففرح عنتر بفعاله وقربه منه غاية التقريب وقال والله ما خلق مقرى الوحش الا للبراز وطعن الرمح العسال ولو كان قتاله فى ازدحام المواكب والكتائب مثل طعنه وقتاله فى البراز والمجال ما كان له مثال (قال الراوى) وقد ذكرنا ما فى مقرى الوحش من الفروسيه وكم قهر فى أرض الشام من فرسان النصرانيه وأخبرنا بما جرى له لما وصل الى الملك النعمان وكيف سار الى بنى عبس وعدنان قال وزادت فروسيته وزاد عزمه فى الحرب والجلاد أضعاف ما كان عليه فى تلك البلاد من حين صاحب عنتر بن شداد الا انه لما قاتل ذلك اليوم قدام عنتر واستظهر فى المجال وسطى عليهم بالخبرة والنزال وأبصر فعله الرجال ولت من قدامه ووقفت عن قتاله وعن صدامه رجع غير جواده وغاص فى عدة جلاده وحمل بين صفوف القبائل والحلل وكانت قبائل تلك الحلل عليه حنقه وكذلك فرسان أهل اليمن على قتله وهلاكه متفقة فحملت عليه الكتائب وتطابقت اليه المواكب وطلبته الابطال من كل جانب فصاح وبرز وحمل وزمجر ولحق بالعساكر على الاثر وطلب عنتر الفرقة التى طلبت مقرى الوحش لان عنتر رأى قلة انصافهم فخاف على مقرى الوحش وحمل وزعق زعقة أدوى السهل والجبل وحمل عروة بن الورد البطل الامجد فى رجاله الكرام وكذلك أبو الموت بعده حمل وسودانه تبعوه فى العمل وحمل الفتى المطال ابن أخت عنتر البطل القسور وحمل نازح بن أسيد عم الملك قيس فخل الرجال وبذلوا القنا والصفاح وحمل عياض بن ناشب وجلاح بن ثابت وشداد بن قراد وأخيه مالك وزخمة الجواد وحملت بنو قراد من خوفهم على عنتر سيد الفرسان وحملت بنى زهير يقدمهم الحارث معدن الجود والخير وحملت بنى زياد مع اخوة الربيع الاجواد وتتابعت بنو عبس مثل البحر السائح ولمعت الاسنة اللوامح والسيوف اللوافح وصاح فى القوم بالهلاك صايح وما انقت نداء النائح ولا صياح الصائح ولم تسمع الجهال مقال الناصح وبان برق الموت لائح وتكردست فيه القتلا فصاروا مثل الذبائح وبطل فى هذا اليوم نصح الناصح وبان النصر ولاح وعلم السعادة قد مد لبنى عبس جناح فلله در عنتر الاسد الاغبر الفارس الغضنفر فانه ساق الاعداء قدامه سوق البقر ونثرهم كما تنثر أوراق الشجر وبذل فيهم الصامى الابتر وهو يصيح صيحات تفلق الحجر وتحول البصر وكان القتال قد اشتد فى القلب وعظم الكرب وهان كل صعب وزاد البلاء على الاطراف وعظم الفزع والمخاف واشتد

البلاء والكرب وقطع الصارم القضب وعظم البلاء والمخاف وزاد الهلع والارجاف وجرى بين القوم
ساعة بالها كانت ساعة من ساعات النسلاف وطارت جماجمهم أحقاف والبست الخيل من دماهم
أخفاف وقد كان عنتر خرق الصفوف وشقت الكتائب وطحطح الالباب والمواكب ونثر الرجال
عن المراكب ومازال بحصانه جائل الى أن أدرك مقرى الوحش فرآه قد قتل جواده باسنة الرماح
الدوابل وهو واقف على قدميه يدافع عن نفسه ويمانع ويحامى عن روحه ويقاتل وقد أحاطت
به أبطال الحال والقبائل وصاروا حوليه مواكب وحفائل فصار عنتر وناداى واحر باه عليك هلك
والله فارس النياق ولم أدركه اذ نهبته الاعداء بالسيوف الرقاق ثم انه طعن فى ذلك الجمع فتفرقت
الجيوش والحفائل من حوله ومزقهم وتهاربت الفرسان لما رأت طعناته خارقة فتخلت عن مقرى
الوحش كل الفرسان ونادى من وقته بجواد فركبه وعاد معه يمانع عن من يطلبه ومازال السيف
يعمل حتى تقضى أكثر النهار وأدرك الناس الظلام فافترقوا عن ضرب الحسام وكان عنتر قد أوصى
فرسان بنى عبس بأخذ الاسارى فعادوا ومعهم أوفا من مائتين وكانوا بنى عبس على قلة عددهم انتصروا
على تلك الخلائق الكثيرة ولما صاروا فى جبل الغمام شدوا الاسارى فى بعضهم البعض ووكلوا بهم العبيد
وقال عنتر لعروة بن الورد طاب قلبك واندفع عنك الهم والمرض ابشر بالنصر والامان واجتماعك
بأختك سلمى أم حسان فقال عروة بن الورد مادمت تعيش لى وتبقى ما أرى بؤسا ولا شقا فقال له عنتر
والله ياعروة ماقصر مقرى الوحش فارس النياق لانه أسر فى الميدان من كبار فرسان اليمن جمع غزير
وعند الصباح أخرج أنا الى الميدان وقد تيسر الامر وهان فقال مقرى الوحش ان فعلت ما فعلت
وكان على يديك خلاصى ولولاك ما كنت رأيت أنا فرجا من يد قناصى فقال الملك قيس والله يابنو
عمى ومن بهم يزول همى وغمى لقد كنا فى غنى عن ذلك وعن هذا التعب والعنا ولو كنا علمنا اننا نلقى
هذا الملتقى أو كنا جازمين برأينا ما كنا برحنا من أرضنا لان الملك النعمان ما كان ينفذ الينا أكثر
من هذه القبائل بعد قتل أولاد بدر ولا ينالون منا بطائل وربما كانت أختى المتجردة سألت بعلها فى
اصلاح حالنا اذا اطلعت على أحوالنا واطلعته على طول المدا وكنا استرحنا نحن وقومنا من هذا
الامر المهول فقال له عنتر يا ملك هذا الامر ما يفوتك اذا عولت عليه لان الليلة باتت عندنا أسارى
نخلص بهم أنفسنا ونرجع الى بلاد الحجاز وعند الصباح آتيك بمثلهم فقال الملك قيس هذا أمر قد فات
لاننا صرنا فى هذه الفلوات وما يصلح لنا عودة الا ان كان يأتينا من عند أختى خبر لانى أعلم أنه لا يصلح
أمرنا مع بعلها غيرها وترسل خلفنا رسولا يخرجنا من هذه الديار والبرارى والطلول والافاين
الشربة والعلم السعدى وأين أرض اليمن ومياه عراعر وكم جهد ما نلتقى من القبائل والعشائر لاننا أول
دخولنا هذه البلاد كنا جاهلين وكانوا أهلها عنا غافلين والآن قد أصبح كل من فى بلاد اليمن لنا
عدوا ولابد لنا ما نبذل المجهود فى الاعداء ثم انهم باتوا على مثل ذلك وباتت القبائل تموج حولهم وهم
يقولون وحق اللات والعزى ما كان صواب براز أصحابنا لهؤلاء الكلاب وما فى الامر الا اننا
نكاثرهم عند الصباح بالراجل والفارس ونضيق عليهم غاية الضيق فقال رجل منهم يقال له سهل
ابن السلال يابنى عمى ايش هذا الحال والمقال من أين آدمى فى الارض يقتل ولا يموت الا أن يكون
جنى فقال رجل آخر وكان شيخا كبيرا وقد عمر سنا كثيرا وحق الرب القديم رب موسى وابراهيم لقد
سمعت عن عنتر أنه قتل فى يوم خمس مرات وقطعت رأسه سبع مرات وعاش بعد الممات وفرق
القبائل الذى كانت حوله من سائر المواضع المقفرات أما هو الذى قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

ان كنت تجهل وصفه فاسأل به * من كان حاضر للقتال نقولا * هذا الذى لولا اتباع مقاله

ما كان يدرك عاقلا معقولا * بدعا بعنتر عند كل كريهة * وفعله مر المذاق وبيلا
من تحته مهر كليل حاله * وبكفه ماضي الفرند صقيلا * والرمح ضمان الكعوب بحاله
للموت في قبض النفوس رسولا * لا يختشي يوم الحروب اضامة * لو ان مافي ملقاه عزرائيلا

(قال الراوي) فلما سمعوا الحاضرين هذا المقال تعجبوا من تلك الفعال وأخذهم التعجب والاندهال وقالوا ان ملك الجن لا قدرة له على هذه الفعال ومازالوا في قيل واتراح حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا على الجرد القداح واعتقلوا بالرماح وقد اتفقت نيات مقدميهم على قلة البراز لئلا تفتر منهم فرسان بني عبس فبينما هم كذلك اذ وصلت اليهم خمس قبائل أخر وهم يزيدون على عشرين ألف فارس وهم من أطراف واقطار بلاد اليمن وهم عرب لا تعرف خالق ولا تسجد لصنم بل انها تعبد البعر اذا زخر وتسجد له كلما هاج وهدر وكانت قد أتت في طلب المكسب وفي نهب الاموال لانها سمعت ماجرى لبني عبس مع قبائل اليمن وانها طائفة كثيرة الاهوال وقد حازت من قبائل اليمن الاموال وقد وصل معهم فارس عظيم الباس قوي المراس وكانت أهل اليمن تسميه عفريت السواحل وكان يسبي الحلائل وكان يشتت العرب عن أماكنها والمنازل وكان شجاع وقرم مناع ويحب الفرسان في موقف الحرب والطعان ويكره كل ذليل جبان وكان السبب في حضور هذا الفارس المنتخب لانه كان بلغه حديث بني عبس وذكر عنتر وما جرى له مع ملوك اليمن وفعله معهم في ابتداء حديث بني حريقة وقتله فارسهم الاخيل بن عمرو ووقعة عقبة الفاروق وقتله معاوية بن النزال وحديث بني فهد وبني القين الفرسان وقتله فارسهم عمرو بن ضمرة وما وقع لهم مع الملك مسعود بن مصاد ومعاناتهم في الافعال ولما بلغوا الحديث تعجب من ذلك وقال ان دام هذا الفارس ملك الاقطار فأهل اليمن يحتقروا بي ولا آمن على نفسي منه فلا بد لي من أن أسير اليه وأقطع رأسه من حد كتفه وأهلك عشيرته الذي تعتمد عليه وآخذ ما معهم من الاموال والنوق والجمال واحظى أنا بالذكر بين الانام ثم انه جمع هذه الطوائف وساربهم على أشرف علوجبل الغمام ولما وصل وعرفته القبائل مالت اليه وسلمت عليه وما منهم الا من قال هذا اليوم تنظرون الحرب والقتال والضرب والنزال مادام قد وصل عفريت السواحل ثم انهم تحدثوا بما جرى لهم من فرسان بني عبس فقال لهم عفريت السواحل هذا أمر هين ولكن اكتموا اسمي ولا يجب لاحد منكم ان تبيحوا به لاحد من هؤلاء القوم ينزلون من هذا الجبل اذا سمعوا باسمي فيزيد معهم عنادي وأبلغ منهم مرادي فأجابوه الى ما قال ثم انه قال لهم وما كان مرادكم ان تفعلوا في هذه الساعة وكم يكونوا هؤلاء اللئام وكم عددهم من الابطال فقالوا له أما سؤالك عن أفعالنا فانه كان مرادنا قبل حضورك ووصولك الينا ان نحمل كلنا على أعدائنا وأما سؤالك عن عددهم فما يكونوا أكثر من أربعة ألف فارس لكنهم أسود عوابس فتعجب عفريت السواحل من ذلك وقال هذا أمر ما سمعت به أبدا بطول العمر والمدا والله هذا عجز منكم وشرف لأعدائكم وهم والله على فعلكم هذا يستحقون المدح عن غيرهم (قال الراوي) وكانوا بني عبس قد انحدروا من الجبال يطلبون الحرب والقتال ولما انهم رأوا هذه الطوائف أقبلت وملأت البر وتلك البطاح وقد وقفوا ينظرون ما يفعلون هؤلاء واذا وجدوا أفراسهم عالية وهم يوجون في بعضهم البعض فعلموا بني عبس ان القوم وصلت لهم نجدة من فرسان اليمن لان الفرسان اليهم واصله مثل العيون النابعة فقال الملك قيس والله يا بني عمي هذه نوبة صعبة ثم انه شاور قومه في النزول في الجبال فقال له الربيع بن زياد ما هذا صواب لان أكثر الناس هربوا والباقون مشرفون على الهلاك وان لاقتهم هذه الطائفة أفنتهم وما في هذا الامر الا انها ترجل عن خيولنا وندور حول حريمنا ونقاتل حتى نقتل (قال الراوي) وكان عنتر قد نزل الى

أسفل العقبة ومعه خمسين فارس من كل ليث مداعس لانه كان فى تلك الليلة قد تولى الحرس فلما أصبح الصباح رأى الطوائف القادمة فتأهب للكفاح ولما ان رأى عنترا لى وقوف الملك قيس دون العقبة وقلت نزوله منها مع الفرسان لما سمع مشورة الربيع القرنان عاده وطالب الملك قيس وقال يا ملك ماهنالك أمر أوجب انزعاجك ووقوفك وتريدان تطمع فينا عرب اليمن ويقولون انهم قد أحاط بهم الذل والمحن من شرذمة قليلة فوالله يا ملك أنا لم أرض لك بهذه الفعال والرأى عندى أن تنزل من على الجبال وتصف قومك والابطال فان الذين أتوا قد رأيتهم بعين الشجاعة فاهم الاكلة لجائع أو شربة لظمآن وعبدك يا ملك فيه الكفاية لكل من فى الارض ومازال عنتر يهون الامور الصعاب على الملك قيس حتى ترى الملك قيس نزل من ذروة الجبل والخيل متتابعه مثل العيون النابعة وكلهم من حوليه وهم ينادون يا آل عبس يا آل عدنان لان عنترقوى قلوبهم واصطفوا من حول جبل الغمام وتقدم عنتر البطل الهمام ونزل مقرى الوحش فارس النياق وعروه بن الورد شجاع الزحام والهطال ابن أخت عنتر البطل القسور وعبده أبو الموت وسودانه وأبيه شداد وأعمامه وتتابعت الابطال وأخذوا فى الترتيب ووقفوا يريدون من أعدائهم البراز واذا هم بناجح ابن النهاش المسمى بعفريت السواحل قد تقدم الى الجيش وما أمهل وصار بين السادات الاول وكان يومئذ ركبا على جواد عظيم تربية سواحل البحر وهو فيه عجب وفى مشيته ترتيب وخبب لانه لا يدرك اذا طلب ويلحق اذا طلب وهو جواد أدهم لكنه معود على خوض اللجج له طول مثل العاج وقوائم مافيها أعوج وهو كما قال فيه الشاعر ابن حجاج هذه الابيات

قطعت الارض مجتازا وتحتى ❁ جواد ينهب الارض انتهابا
وكان البرق فى أثر منادى ❁ الى فـــــلم أرد له جـوابا

(قال الراوى) وعليه زرديه تردأ سباب الرزيه وعلى رأسه بيضه عاديه مكملة بجليه وتحت فخذه أربع حراب الى رسل المنيه لانه كان يقاتل بسائر السلاح وكان خبيرا بطعن الرمح وضرب الصفاح ولما ان توسط الميدان بعد ما لين عريكة الحصان وسار قدام الخيل نادى برفيع صوته وقال ما بالكم يا بنى عبس اعتصمتم فى الجبال الشامخات وما أتونا بالبنات خوفا من شرب كأس الممات فان كنتم فزعتم من الكثرة فاعلم لكم لوما وعذركم فيها واضح لانكم أنتم فى قلة وجمعكم يسير وهؤلاء أعداكم فى عالم كثير وانا الذى منعت هؤلاء من الحملة عليكم ودلك من شفقتى عليكم لانى علمت ما فى هؤلاء القوم فارس له خبرة بالحرب والطعان يبرز لى الميدان ويلفوا أحدا من فوارسكم الشجعان وانا وحق البحر اذا خرانى اليوم أشبعكم انصفاف وأسقيكم كأس التلاف لانى أعلم ان ما يفضل منكم أحدا ويرجع الى أرض الحجاز ويتحدث ويقول قد اجتمعت علينا طوائف اليمن وسكان تلك الاراضى والدمن وكنا أربعة آلاف فارس جسور ولا غلبنا الا بالمكاثرة وقلة الانصاف وما قتل منا فارس حتى قتلنا كل فارس مشهور وبطل مذكور والآن فقد برزت لكم فى الميدان ولم يبق لكم عذر عند أحد من العربان وانا لم أترك لاحد على ملام ولا أزال فى الميدان حتى انكم تطلبوا منى الامان وأنا وحق دينى ألزم لكم فيما تريدون والا دأبرزوا الى فرسانكم وشجعانكم لاجل ما تتحدثوا عنى بكل خير

(قال الراوى) فلما سمعوا كلامه رأوا الامر كما طلبوا فمن قدامها قد هزمهم فارس شديد له جواد جليد غارق فى الحديد وحمل عليه حملة الصنديد الا أنه ما قرب منه حتى طعنه عفريت السواحل أقلبه وخرج اليه الثانى قتله فابصر فعله عروة ابن الورد فطلبه وجال معه وضايقه هنا وعنتر رجع الى الجبل المنيع لما رأى الملك قيس واقف فى أكثر الفرسان من بنى عبس فقال له يا ملك أطمعت فينا الاعداء

بهذا

بهذا التدبير وقطعت ظهر الكبير منا والصغير ومازال حتى نزلوا بباقي العشيرة وترتبت من حوله الاعلام كما ذكرنا في أول الكلام وعاد عنتر يطلب المقدمة فوجد عفريت السواحل قد أخذ عروة أسير ورأى مقرى الوحش انه متأهب للخروج اليه فقال عنتر يا فارس الشام لما سمحت لعروة بالخروج الى هذا الشيطان فقال له مقرى الوحش اني ما علمت به حتى انه صار معه في الميدان ولكن يا أبا الفوارس لا يضيق صدرك فانا آخذ له بالثار وأبلغك ما تختار ثم طلب الميدان وموقف الضرب والطعان وعنتر يوصيه ويقول له ان قدرت عليه فلا تقتله بل ائتنا به أسيرا لعله ان يفدي نفسه بعروة ابن الورد والا انهدم منا ركن (قال الراوي) والتقى مقرى الوحش مع عفريت السواحل وقد لاح للموت بينهما علائم ودلائل أو تحدثت فيهم السن القبائل لانهما العبا بالرماح وأوسعا في البطاح وبان عليهما تلاف الارواح وتعجبت منهم القبائل ووقعت في قلوبهم هيبة عظيمة وقالوا والله اليوم بيان الحق من المحال هذا وان مقرى الوحش صار ينشد ويقول

ألا هكذا توفى الكرام ذوى المجدى * وتعلو منار الغر بيض الظبا الهندى
ويسرى الى نيل المنى كل أذرعى * فيسبق رجع الطرف بالضمر الجردى
يصيد بحال العزم والحزم والسرا * قريب هناك العفو والعرف والفردى
وكم أخرجت نارا من الزند قادحا * ولو كان يدرى ما أثارها من الزندى

(قال الراوي) وطاب من الاثنين المجال وتحيرت من اختلاف طعنهم الرجال وأكثروا على بعضهما الزلزال وسمع عنتر صيحات نابح بن النهاش فعلم انه فارس شديد الباس قوى المراس بطل شديد الزلزال والزحام فخاف عنتر على مقرى الوحش وقال لمن حوله من الرجال والله لقد خاطرنا نحن بفارس رئبال ودام القتال بين الفارسين حتى انقضى نصف النهار وتطاولت منهم الاعناق الى الغبار ورأى نابح خصمه مقرى الوحش فارس عظيم الاخطار فاظهر له الكسرة وأطمعه في جانبه حتى مد السنان الى صدره وأراد مقرى الوحش ان يطعنه فدنا نابح يده الى حسامه وجرده وضرب رمح مقرى الوحش فبراه وطير أعلاه وزعق عليه وفاجاه وأخرج من تحت فخذه حربة أمضى من نوائب الزمان وأراد أن يضرب بها فؤاده فوقعت في فخذ مقرى الوحش فشككته في أضلاع الجواد وأرمته الى الارض والمعاد وقد وقع وكاد ان يهلك فتواثب اليه أصحاب عفريت السواحل وشدوه كتاف وقووا منه الساعد والاطراف (قال الراوي) ولما أبصر عنتر هذا الامر شكر من غير مدام وسقط من على ظهر جواده وهو مغشي عليه لا يبدي ولا يعيد ولا يرد كلام فهذا ما كان من عنتر وما جرى له من الاحكام وأما ما كان من بني عبس الكرام فانهم لما نظروا عروة قد أسر ومقرى الوحش قد قهر وعنتر أغمي عليه انقطعت ظهورهم وولوا وندموا على دخولهم أرض اليمن فعندها تجمعوا كلهم عند الملك قيس وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا ملك ما رأت بنو عبس طول عمرها مثل ما رأت من الملك النعمان من المصائب وان يا ملك حماة القبيلة قد أسروا وعنتر قد غشي عليه ونحن مما جرى سرنا لا نسمع ولا نرى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام لطم على وجهه وخرق لباسه ورمى عمامته من على رأسه والتفت الى فرسان بني عبس وقال لهم يا بني عمي اعلموا ان أصحابنا البعض منهم مجروح والبعض مأسور وحامية قد شق عليه ذلك لما تكلم الملك قيس بهذا الكلام تقدم اليه عمارة بن زياد وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك اذا كانوا أصحابنا مجروحين أقوياء عندهم من يحفظهم وعاينا نحن أمورنا بأنفسنا وقاتلنا أعداءنا حتى لا تقول العرب ان بني عبس كانوا بعنتر قال ثم انه التفت الى أخيه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد وقال له ان صح موت الاسود الزئبر والوغد اللئيم تزوجت أنا ببلة وما أردت من

بلاد اليمن حتى تصير زوجتي وأجيب منها الاولاد ولما تكلم عمارة بهذا الكلام قال له أخوه ما الذي أقول فيك يا مذلول الشارب والله لئن مات عنتر وانقبر لاتترك العرب منا من يخبر بخبر ولا أحد يعود منا من هذه الديار والبلاد ولا يبقى من بني عبس من ينفخ النار فبينما الناس في قيل وقال واذا بعنتر قد أفاق من غشوته وفي الحال مد عينيه الى ناحية المعمعة فرآهم شدوا مقرى الوحش كتافا وأخذ العبيد ومضوا به الى الخيام فعند ذلك نزل عفريت السواحل وسط الميدان وجعل يصيح ويجول وسط الميدان عرضا وطولا وهو مع ذلك ينشد ويقول

أنا الذي خبره بالذكر قد علما * بنيت لي في العلى بيتا شدته كرما
أنا الذي سجدت شمس الضحا له * على السواحل ونجمي قد علا وطمى
ولي حسام اذا جردته بيدي * يحده ينثر الهامات والقمما
وكلما جردته كف مصقلة * أعدت فيه بضربي للدما قلما
أنا الذي شردت مني بنو مضر * من خوف بأسي وعادت تطلب الاجما
كذاك الجن تحت تخوم الارض تحذرني * خوفا كما يحذر الليث في الاكما
أبي يسمى بنهاش وليس له * سوى نهش أنفس الاقيال وسط حما
والآن قد حضر العفريت عندكموا * يذيقكم آل عبس الضرب والالما
فاذروا رجلا في الارض مقعده * وقد علا عزمه فوق العلا وسما

﴿قال الراوي﴾ وما تم أبياته حتى انطبق عليه عنتر انطباق العدو والانتقام فايقن عفريت السواحل بالهلاك والاعدام فقفز عن الارض وعاد الى سرجه في الحال فرأى عنترا فعاله بخد في قتاله وأظهر من الجد والخداع شناره فتارة يكون في الميمنة وتارة يكون في الميسرة ومازالوا على مثل ذلك الحال حتى تقضى باقي النهار وأظلم الليل واعتكر غاية الاعتكار وعلم كل واحد منهم انه ماله في رفيقة مطمع وعاد عنتر الى جبل الغمام وفي قلبه على عروة ومقرى الوحش النار التي لا تطفى وكان الملك قيس سأل عنترة عن صاحبه فقال له والله ما هو الا فارس عظيم وبحق للعرب أن تسميه عفريت السواحل لان مثله في أرض اليمن ما لقيت وفارس النياق ما كان دونه وانما ضربه وهو غافل غير يقظان والا ما كان قدر عليه ولا أصاب منه بعض المقاتل وأنا خائف عليه من الجرح الذي أصابه في الميدان أن يموت به فتبقى والله في قلبي غصة الى الممات فقال له الملك قيس اعلم يا بو الفوارس ان لهم عندنا من كل قبيلة جماعة وعند الصباح أقول لهم اطلقوا النار جل برجل فقال له والله ان طلبوا منا يا ملك كل أسير عندنا أطلقناه لهم ولولا ان الليل قد هجم لا نفذت اليهم هذه الرسالة فان قلبي خائف على أصحابي غاية الخوف لان كل واحد منهم يسوى عندي كل من في بلاد اليمن ﴿قال الراوي﴾ ولما ان زاد به الامر اد عى بأخيه شيبوب وقال له يا أبا رياح أريدك في هذه النوبة تريني أفعالك الملاح فتخف واختلط مع القوم وانظر ما يجري لعروة بن الورد ومقرى الوحش وعد الينا بالخبر اليقين وأن رأيتهم على الهلاك مشرفين فأسرع في العودة بلا مهل فقال له شيبوب والله يا أخي ما هم الا في خلق كثير يضيع رأي الانسان بينهم ثم انه بعد ذلك قام على قدميه وقدم بين يديه آلة حيلته ولبس شيا أسود وعصب رأسه بعصابة صوف أزرق وارخاله شيا أسود من قدام وجهه وذبح له غزالة ولطخ بدمها جسده ووجهه ووقف في الهوى ساعة حتى جف الدم ونشف ولبس ثيابا خلقة فنظر اليه أخاه عنتر فارتجف وقال في نفسه أعوذ برب الفلق من هذا الشيطان وما يفعل من الدواهي والحيل ثم ان شيبوب فارق بني عبس وصار في كهف الجبل حتى صار خلف الاعداء ودخل اليهم من طريق بلادهم ﴿قال الراوي﴾

الراوى) فلما صار فى الخيام وجد العربان فى خصام وجدال من أجل ناصح بن النهاش وعنتر بن شداد فوقف شيبوب يسمع ما يقولون واذا بقائل يقول وحق ذمة العرب ان عنترة أفرس من صاحبنا وأدرى بامور الحرب والضرب وقوم يقولون وحق البيت الحرام وحق زمزم والمقام ما على وجه الارض أفرس من عفريت السواحل ووجد الناس يتفرجوا على عروة بن الورد ومقرى الوحش ونظر قوما قد أتوا يطلبوا قتلهم لاجل قتلاهم وقوما قد أتوا يطلبوا شراءهم لاجل يفدوا بهم أسراهم هذا وعفريت السواحل بارك على ركبتيه مثل الشيطان المارد وقدميه مثل الانسان الطويل اذا كان قاعد فوقف شيبوب ينظر الى عفريت السواحل فقال للرجال ياوجوه العرب أنا ما أتيت من ديارى الا فى طلب العلا والافتخار والتقدم على الفرسان بهذه الديار ولا لى رغبة فى درهم ولا دينار بل عولت انى أظهر فى تلك الساعة بين هؤلاء القبائل شجاعتى فى هذه الطائفة العبسية الذى ذلت عرب اليمن وقتلت ملوكها وفرسانها ونهبت أموالها وفعلت فعلا تذكر به مدى الايام وانى عولت ان أملك بشجاعتى فرسانها وأبيح الى هذه الخلائق أموالها لكن ياوجوه العرب لا يصح لى هذا الابعد أسر عبد بنى عبس الاسود الذى خرج أمس الى الميدان وفعل بفرسانكم تلك الافعال ولولا أنا رددت شره عنكم وبرزت اليه البارحة لانى رأيته فارسا جبارا وأخشى أفرط فى هؤلاء الاسارى وأقع فى يده فيأخذنى أسيرا ويطالبنى بما لا أقدر عليه فيحل بى الوبال مع هذا العبد الجبار ثم انه بعد هذه الاخبار صار يتحدث مع العربان حتى غلب عليهم المنام وطلب كل واحد منهم مضاربه والخيام ولم يبق عند عفريت السواحل أحد من المقدمين الا الخدم الذى يخدموه وقد أوصاهم بحفظ عروة ومقرى الوحش وأراد أن يدخل الى المنام فلاحت منه التفاتة فنظر شيبوب لابدا بين المضارب والخيام وعليه ثياب سود خلقة وهو يتأوه ومن قلب مكمود ويشهق ويبكى وينوح فتفكر عفريت السواحل فى أمره وامتنع عن الدخول والتفت الى عبيده وقال لهم ائتونى بهذا العبد الغريب فما كان الا زمن قليل حتى مثل بين يديه فقبل الارض وتقدم وقال بلسان فصيح العبارة حيى الله الامير الكبير أمير الامراء والحاكم على هذه المياه والمناهل أدام الله سعدك ونشر بالعدل قواعد مملكتك وعزك فأنت صاحب الاحكام وأنت سيد وهمام وصاحب أعلام ومالك جبل الغمام وقائد العساكر والجنود وصاحب الكرم والجود ومغنى الفقير والمنقطع الحزين وعمدة المساكين (قال الراوى) فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام تعجب عفريت السواحل وبهت اليه وقال له من أين أنت ياوجه العرب فقال له يا مولاى أنا من ديار بنى كلب بن وبرة فقال له وعلى من أنت لابس السواد فقال له على سيدى مسعود بن مصاد لان هؤلاء العبسيين دخلوا الى بلادنا وأعطاهم سيدى الزمام واعتنى سيدى وأكرمهم غاية الاكرام وفى الآخر غدروا بنا وقتل عبدهم سيدنا وأنا يا مولاى قد أنفذنى البك اليتيم ولده حسان يقول لك وصيتك الحرص على من وقع فى يدك من فرسان هذه القبيلة ويعطيك من الاموال ما تريد وأوفى مزيد وان وقع أسودهم فى يديك فابشر بما تقر به عينيك فقال له عفريت السواحل يا مولد العرب اذا انشق الفجر أبرز الى الميدان وأطلب هذا العبد الكشحان الذى قتل سيدكم وأذيقه الهوان فان برز الى ونصرت عليه أفتخر أنا بذلك على سائر الفرسان والشجعان وان رقمت فى يده كانوا أصحابه الى الغد الانى سمعت عن هؤلاء القوم العبسيين أنهم أعداء الملك النعمان وهو من فعالهم على مقالى النار وأنا قد عولت ان أسير اليه بهذين الفارسين الاسيرين وآخذ منه الخلع والاموال وأريح قلبى من قتال هؤلاء الطوائف المجتمعة فعند ذلك قبل شيبوب الارض بين يديه وقال له يا مولاى ان أكثر طلب الملك النعمان أن يقع فى يده هذا الذى ذكرته وهو العبد الاسود الزنيم والبغل اللئيم والشيطان الرجيم

فاذا اسرت عليه وقدمته الى الملك النعمان ما كنت ترجع من عنده الا وانت ملك كبير لانى سمعت هذا الكلام من ملكهم قيس وتبق انت اوحد الفرسان وفريد العصر والاوان اذا قهرت هذا العبد الشيطان الذى ذل الملوك والعربان وما قال شيبوب هذا المقال حتى رغب عفريت السواحل منه فى المقام لانه اراد ان ينفذ الاسارى الى الملك النعمان (قال الراوى) فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام اعجب عفريت السواحل هذا المرام وقال وحق البحر اذا زخر لقد صدقوا العرب فيما ذكروه فى هذا الاسير الاشقر لانى عند قتاله اورثنى تعبا ورأيت انه خبير بطعن الرمح وما قدرت عليه الا بالمخاطبة والآن انت قويت قلبي على القتال وبذل الجهد ودمع هذا البطل الاسود الاغبر الذى يسموه عنتر لاجل ان اعجل له الممات والوبال قال فلما تكلم عفريت السواحل بهذا الكلام قال له شيبوب وحق ذمة العرب بهذا اردت ان اشير عليك ولكن خفت من غضبك فلما نظر عفريت السواحل الى سرعة جوابه اعجبه كلامه وسرعة اقدامه فقال يا غلام ما اسمك وما تكنى به بين العبيد والغلمان فقال له يا مولاى اقول انا اسمى شعيب واذا مزح معى سيدى يقول لى يا ابا رباح وفى بعض الاوقات يقول لى يا ابا جناح ولكن يا مولاى بحق نعمتك الواصلة الى وفضلك لا تهون برسالة مولاى الملك حسان بل تقضى له حاجته وتأخذ له بالثار وتمحو عنه العار والشنار لانه ما له فارس سواك وذلك بما يعلم من صداقة ودك من قديم الزمان مع ابيه ولا تجعل لهذا الملك اتكال الا على الله ثم عليك (قال الراوى) فلما ان غاب على ناجح المنام قال له قم الآن يا شعيب وارقد عند هؤلاء العبيد الموكلين باعدائك وعذبهم وهددهم على ما فعلوا فى حق مولاك فقبل شيبوب الارض بين يديه وقال يا مولاى انا خائف اذا بت الليلة عندكم من سيدى حسان ولكن يا مولاى لى حجة واضحة البيان اقول له يا مولاى بت البارحة عند مولاى ناجح بن النهاش ووكلنى باسراه الذى عنده حتى اسلمهم فى الصباح بين يديه وهم واحد منهم من ارض الشام واما رفيقه فانه يقال له عروة بن الورد ويقال له عروة الصعاليك واى شئ ذلك العبد الذى يسموه عنتر يا مولاى فانه لاش فى لاش وان انت اسرت عبدهم هذا كان السرور الاكبر اذا انت قرنته مع مواليه وقدمته الى الملك النعمان ثم ان عفريت السواحل دخل الى خيامه بعد ما اوصى عبيده باكرام شعيب وبعدها اندرج فى فراشه واما شيبوب فانه وثب على قدميه حتى عبر الى الخيمة التى فيها الاسارى بعد ما اسكر عفريت السواحل بكلامه وشقشقة لسانه ولما دخل شيبوب على مقرى الوحش وعروة بن الورد رأى عندهم ثلاث عبيد برسم الحفظ لهم (قال الراوى) ولما اقبل شيبوب على العبيد تواثبوا اليه واكرموه وبجلوا قدره وعظموه حيث انه كان يخاطب سيدهم واكرمه ثم ان العبيد بعد اكرامهم الى شيبوب تحدثوا معه فرأوه فصيح اللسان وكان اول ما دخل عليهم الخيمة عرفه عروة بن الورد لا مقرى الوحش فلما ان فرغ شيبوب من حديث العبيد قال لهم يا بنى خالة ايهما فارس الشام من هؤلاء المكلبين فقالوا له هذاك الطويل الاشقر الازرق العينين العريض الكتفين فقال لهم شيبوب لله دره ما انجبه فلعن الله بطنا جاءت به ولقد نويت انى اطلبه من مولاى عفريت السواحل حتى احمله الى مولاى حسان بن مسعود الذى قتله عبدهم ملعون الآباء والجدود واعذبه حتى الى قومه لا يعود لانى اريد نحره او ذبحه من قفاه واترك هذا الكلب موعظة لمن يراه وان وقع ذلك العبد الزنيم والاسود اللئيم عنتر قد بلغنا الامل والغرض لانه هو الذى قتل سيدى مسعود واشمت بنا المعاند والحسود وان اصل الى هذا العبد الردى الاصل ملعون الآباء والجدود لاوقفه بين يدى مولاى حسان وازيل عنه الحظ والسعد ومازال شيبوب بمثل ذلك حتى ثارت النخوة فى رأس مقرى الوحش وهم ان يتقوى ويطلق يديه من الكتاف فرأى السلسلة حاكمة عليه فعندها قال يا ابن

العبيد اللئام وتربية الحرام ان هذا لا تبلغه أبدا ولا بد لعنتر أن يفرق شملكم وشمل هذه القبيلة ويفنيكم برمحه وحسامه الصامي ويخلصنا من الاسر والاعتقال والآن قم من قدام وجهي فما رأيت أوحش من صورتك ولا أشنع من خلقتك فلعن الله صورة رؤيتك فقال له شيبوب ويحك يا مسكين هذا الحديث الذي تقوله أبصرته في المنام وان هذا منا لا يصح لاحد لانك يا هذا أشقر ازرق العينين ومن تمام شقاوتك وقلة قيمتك وتعاستك سمعت انك تعبد الصلبان وتقبل الصور المصورة في الحيطان وانتم لو كان لكم عقول كنتم تتكلموا بهذا الكلام يا عباد الصلبان لا يصح هذا الا أنه أضغاث أحلام ولكن يا وجوه العرب لا كلام حتى يذهب الظلام فان كنت يا أشقر يا أزرق العينين تصبر فاصبر (قال الراوي) وأخذ شيبوب مع مقرى الوحش في المخاصمة والكلام والمهاجمة وكان عروة ابن الورد اذا نظر مقرى الوحش يشتم شيبوب يقول له لا تستعجل يا فارس النياق واصبر على غصتك وتأنى في أمرك فهذا شيبوب أخو عنتر بن شداد عمي اذا نامت هؤلاء العبيد يخلصنا من الاسر والاعتقال فقال له مقرى الوحش يا أبا الابيض أنت ما بقي معك من العقل محصول كيف يقدر شيبوب يخاطر بنفسه بين هذه القبائل انما هذا شيطان من عبيد حسان بن مسعود أما ترى أنه لابس على مولاه السواد فلعن الله أباه وأمه ولا كتب الله عليه سلامه ما أسود وجهه كيف هذا الشيطان يجسر أن يتكلم بهذا الكلام فقال شيبوب سوف ترى يا أشقر يا أزرق العينين من فعل ناجح شيأ يكل عن وصفه اللسان لانه اذا أخذ أسودكم يفني باقيكم بالرمح والحسام ولا يترك منكم شيخ ولا غلام ومن أسره منكم يبيعه بيع الهوان (قال الراوي) ثم ان شيبوب لج على مقرى الوحش في الكلام والحديث والمخاصمة والمشاحنة والمشاجرة حتى كره الحياة وكان عروة بن الورد اذا سمع ما بينهم من الكلام يقول له يا فارس الشام طول روحك ولا تطل معه الكلام والجواب يا فارس النياق حتى يبلغ بخلاصنا الارب فقال مقرى الوحش أما أنت يا أبا الابيض قد خرفت وذهب عقلك وذهل لبك وهذا عفريت أعرفه وحققه تراه من جهة مولاه مسعود بن مصاد الكلبي صاحب مياه عراعر وما أتى هذا الشيطان الى هذا المكان الا يطلبنا الى مولاه حسان ليأخذ منا بالثار وأنا والله يا أبا الابيض ما أصبر على خطابه ومالي هم في الدنيا الا من مفارقتي لزوجتي مسيكة وولدي سبيع اليمن وصاحبي عنتر فوا أسفاه على الخلاص والرواح قبل طلوع الصباح قال شيبوب ابكي على روحك يا قرنان وعدد كما تعدد النسوان والله يا أشقر يا أزرق العينين لا تزال بعد ذلك في الاغلال يا أقبح الوجه كما خدعتنا في أصحابنا وكانوا رجال أقيال وفرسان عوال فقال مقرى الوحش يا عبد النحس أنا مثلك مقلوب الصورة وذمة العرب لقد ضاقت صدري بقعادك قدام وجهي قم وانصرف من قدامي لا كنت ولا استكنت يا ابن ألف قرنان (قال الراوي) فعند ذلك قالت له العبيد قم يا شعيب وخذ ثارك وثار سيدك من هؤلاء الاثنين فوالله ان دخولهم الى أرض اليمن قد رعب قلوبنا وصدع أفئدتنا فاقتل هذا الاشقر فلا كتب الله عليه سلامه فعند ذلك وثب شعيب مثل الذئب الاسعط أو الثعبان الانقط واندفع على مقرى الوحش وصار يعنفه في مرافقه واكتافه ويقرصه في أوراكه ويهبش وجهه وذردمته وبعض أكتافه وظهره ومقرى الوحش يستغيث فلا يغاث وفي الحال نط وقعد يحاربه بطول الليل فهذا ما فعل شيبوب من عباقته عند عفريت السواحل من الحيل وأما ما كان من طوائف اليمن وبني عبس فانهم ما باتوا منهم في تلك الليلة أحدا الا وهو غارق في الحديد الى الصباح فعند ذلك توا ثبت الابطال والرجال والفرسان الى ظهور الخيل لما ذهب عنهم الليل واصطفت القبائل واعتدلت المحافل وجردت النواصل وهزت الدوابل وتقدمت بنو عبس تطلب الحرب يا أخيار وعليهم لفقد عروة ومقرى الوحش ذل وانكسار الا ان

السفوف مانعدات والابطال ماتعبنت وترتبت حتى خرج عنتر بن شداد وطلب القتال والحرب والجلاد وكان قد أصبح كثير الهم والافتكار من وجوه عديده أحدها الاجل مقرى الوحش الفارس الغضنفر عروة بن الورد والوجه الثانى لاجل انقطاع خبر أخيه شيبوب عنه وكيف أصبح الصباح وماعاد اليه والوجه الثالث بكاء زوجة مقرى الوحش مسكة وانكسار قلبها وغربتها والوجه الرابع تذكر بعد قومه وغربتهم عن ديارهم واتكالهم عليه وكثرة الجمع الذى بين يديه فخرج ذلك اليوم وهو فى صورة وعره الى الحرب والقتال فخال بالابجر وطلب البراز وسأل الانجاز وجعل يقول هذه الابيات . مايطفئ اليوم نيرانى ولاحرقى * الا اختلاف القنا والطعن فى الحدق

ولايزيل همومى غير معركة * تسيل فيها الدما كالعارض الدفق

اذلم أخلى طيور الجو حائمة * على الغبار فلابل الندار مق

وأرمى الهام بالعضب الحسام كما * ترمى العواصف منها يابس الورق

وأترك الخيل فى الاقطار شاردة * تدوس من جيف القتلا على الحدق

تغدو خفافا خلاة من فوارسها * عبس مغبرة الالوان بالعرق

ياساقى الموت أدر كأس الحمام فقد * أصبحت أشتافه من همى ومن حرق

وقد عاهدت حسامى أن أصيغ له * غمدا من الرأس أو من خالص العنق

فبارزوا وانظروا طعنا تشيب له * رؤس المفارق من خوف ومن قلق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات برز اليه فارس طويل معتدل القوام الا أن عليه ثوب خام قصير الاكمام ضيق اللثام خالى من الزرد عليه للفروسية دلائل وعلائم وهو صافى الاقدام غير متأهب الى الحرب والصدام ولما برز اقدام عنتر وصاح فيه ورأى هذا الحال وقار به أنكر أمره فقال فى نفسه وقد زاد به الغيظ والغضب ماهو الا ان الفراعنة الكلاب احتقروا بى عند الحرب والقتال والا ما كانوا أخرجوا لى هذا الفارس الصعلوك وان لم أملأ منهم الميدان انحط قدرى عندهم وهان ثم انه صاح بالفارس صيحة الغضب وهم أن يطعنه واذا به قد اعترضه فارس آخر ثانى ولكن أعظم خلقة من الاول وأشد نشاط فطلبه عنتر مثل القضاء المنزل وصار معه مثل السهم المرسل فلما قاربه صاح فيه وأراد أن يطعنه فكشف عن وجهه اللثام وقال جئت يا أبو الفوارس وهنالك الله بخلاص أصدقاك من شر أعداك واليوم تدور على هؤلاء القوم طاحون الدوائر ويبقى لنا الله بقاء شعيب وبقاك قال فتأمل عنتر من المتكلم واذا به صديقه ورفيقه مقرى الوحش والفارس الاول عروة بن الورد فلما تحقق عنتر معرفتهم خفق فؤاده من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال يابنوعمى لقد خففتم بذلك كربى وأرحتم سرى ولبى وقلبى فكيف كان خلاصكم من الهلاك والوبال فقال عروة كان سبب خلاصنا أخوك شيبوب المحتال ولولا هو ما كان أصبح الصباح الا ونحن فى أرض بعيدة فقال عنتر وحق ذمة العرب هذا بغيتى فقال مقرى الوحش الله يحفظ لنا الامير شعيب قال عنتر أنا مالى أخ يقال له شعيب فقال عروة هو شيبوب الا أنه أتى الى نابج وعليه ثياب سود وتسمى بهذا الاسم وقال أنا عبد الملك مسعود وكان نابج قد عول أن يأخذنا ويسير الى الملك النعمان فخدعه أخوك بالمقال وأرغبه فى السؤال ومازال يخدعه حتى وكله بنا وقعد تحدث معنا حتى ناموا العبيد فقام الينا وأطلقنا وسار بنا على غير طريق خوفا علينا من الحرس وقال لنا اركبوا من هذه الخيول الشاردة وتفرقوا بين هذه الطوائف الى أن يصبح الصباح واقبلوا الى الميدان من جملة الطوائف كانكم تطلبان البراز والطعان ففعلنا بمثل ما أمرنا ونحن متعجبون فيما جرى وأتينا اليك كما ترى فلما سمع عنتر ذلك زادت أفراحه من أفعال أخيه فقال

عنتر

عنتر وشيوب أين تركتموه فقال عروة تركناه حول مضرب نابح الذى أسرنا لانه قال لنا امضوا أنتم
واطلبوا من الله الفرج فأنا ما أبرح من حول مضرب هذا القرنان حتى أذبحه وأكفى الناس شره فتركناه
وما ندرى بعد ذلك ما جرى له وما ظننا الا أنه قد سبقنا الى هنا فقال عنتر لا والله ما رأيناه وانى خائف عليه
أن يعرفه هذا القرنان فيهلكه ثم أنه قال لمقرى الوحش اذهب أنت الى زوجتك وأرها وجهك
حتى يذهب عنها الهم والغم لانها البارحة ما نامت وأقم عندها حتى تبرأ جراحك ثم انه سأله عن الحرب
لئلا تكن أفسدت صلاحه فقال ما هو شئ أبالى به ولولاه ما كان ظفر بى هذا الشيطان وانه والله من
الفروسية فى أعلا مكان ثم انه طلع وبل شوقه من زوجته وولده برؤياها وجهه ورجع الى الميدان
بطلب البراز وقد حارت مما جرى جميع الشجعان وما فيهم من علم كيف سلمت الفرسان نفوسها الى
عنتر من غير قتال وقد كثر فيهم القيل والقال وفى العرب من ظن انهم جواسيس لبنى عبس وقد عادوا
اليهم ومنهم من قال الا ان بعض الاسارى هرب هذا وبنى عبس قد ضجت على الجبل بالافراح بخلاص
عروة بن الورد ومقرى الوحش وعنتر لما أبصر فرسان العرب ووقوفها عن القتال حمل على بعض
القبائل واضرم نار الحرب فحميت وازداد الاشتعال وارتفع عليه الصياح ومالت عليه الابطال وكان
فى قلبه النار من كثرة الجوع فبذل حسامه فى الرجال وطعن فى الصدور طعنا يسابق الآجال ويحفق
الاعمار الطوال وما خرج من تحت الغبار حتى ارتفعت الشمس وتعالى النهار وأهلك سبعين فارسا
جبار وخلاهم عبرة بالصارم اليمانى وعاد الى الميدان وقد روى الارض من الدما وعاينت القبائل
ما حير الاذهان وهو يجول ويطلب البراز وانتخت الفرسان لنفوسها وقد صارت تخرج اليه وتقصده
بسيوفها ورماحها وهو يقبض أرواحها والذى يراه مقدم يعلم أنه فى عشيرته معظم فيأسره ومازال
على ذلك حتى عبر عليه نصف النهار واعتدل فوقفت عنه الفرسان وسادات الحلل وكان قد أسر فى ذلك
الوقت مائة فارس ما منهم الا كل ليث بطل والذى قتلهم مائة وعشرين وكان آخر من برز اليه نابح بن
النهاش الذى كان أسر عروة بن الورد ومقرى الوحش وما كان أخره عن البراز الى ذلك الوقت الا شغل
قلبه بخلاص أسراه من يده لانه عند الصباح افتقدهم فما وجدهم بل انه رأى العبيد نيام فنبههم وسألهم
عن الاسارى فقالوا له وذمة العرب ما عندنا منهم خبر ولا نمنا نحن الا وقت السحر لان شعيب صار
يظاهرهم ويعاونهم ويباكتهم على أفعالهم حتى سار وقت السحر وهب علينا نسيم الهوى فنمنا كما ترى
ولا نعلم ايش جرى فقال نابح اذا كان الامر على هذا فقد أخذهم شعيب القرنان ومضى بهم الى مولاه
وما أظن ان كلامه كان معى خديعة وهذيان وأنا أقسم بالبحر اذا زخر والموج اذا هدر وتلاطم وبدر
ان كان هذا الامر صحيح لاضربن رقبته وأسلب نعمته لاجل ادخاله على المحال وأضرب رقابكم معه
يا بنى الانذال فأنتم اتكلتم على شعيب العبد الولد الزنا وغركم بمحاله فأمنتم اليه على ان قلبى كان نافر امنه
لما سمعت لغته حجازيه ولكن قلت ربما يكون مولاه اشتراه من أرض الحجاز ورآه عاقل فقربه والا ما كان
تم علينا المحال (قال الراوى) فبينما هو مع عبيده فى الكلام واذا بثلاث فوارس قد وصلوا اليه من عند
الملك حسان بن مسعود وسلموا عليه بعد ما قبلوا الارض بين يديه وخدموه وقالوا له أيها الملك الجليل
والسيد الفضيل ملكنا حسان بن مسعود يسلم عليك ويقول لك لا تقطع ما كان بينك وبين أبيه مسعود
من الصحبة والمودة والايمان والعهود وقد علمت ما جرى عليه من هذه الطائفة العبسية الذى ذلت ملوك
اليمن وقتلتها وفعلت هذه الفعال ويريد منك ومن افضالك أن تحفظ الاسارى الذى فى يدك وتخرج
اليوم الى البراز وتجتهد فى أسر عنتر بن شداد وأسر من يخرج اليك حتى انك تأخذ منهم ومن عنتر بثار أبيه
ويعطيك من المال والجمال كلما تطلبه وتشتهيه ولا تحوجه الى غيرك فى أخذ الثار وكشف العار ومن

البارحة كان عزل ان يرسل اليك من قبل هذا المعنى وانما رأى فرسان القبائل قد مالت اليك تخفف عن قلبك وعلم انك لم تنس صداقة أبيه ولا يرى منك الا ما تشتهيه فلما سمع ناجح هذا المقال زاد به الويل والخبال وقال للفرسان الذى أتوا اليه وهل الاسارى ما وصلت اليكم مع عبدكم شعيب فقالوا له لا والله أيها الامير قال خدعتهم بما تم عليه فقالوا هذا حديث ما سمعناه الا منك أيها الامير فقال لهم أما تعرفون ان أميركم له عبد يسمى شعيب فقالوا لا والله ما نعرف لا شعيب ولا قصيب وان كان قد أتاك أحد او تسمى بهذا الاسم فما هو الا من تلك القبيلة الغريبة العبسية وما قصدك الا لاجل خلاص أصحابه من يدك (قال الراوى) فلما سمع ذلك تحقق صدق حديثهم وزاد به الغيظ على عبيده فضرب رقابهم وركب يطلب الحرب والقتال فرأى عنترة قد فعل تلك الافعال وقتل من قتل وأسر من أسر فخرج اليه وطلب النزال والحرب والقتال فلما رآه عنترة وأبصره سالما آيس من أخيه شيبوب هذا وناجح يقول ياغدارين يا محتالين يا مكارين نحن نقتنصكم من الميدان ومقام الحرب والطعان ونذيقكم الهوان فى المجال وأنتم تخلصون بالاحتيال وحق معبودى ان وقع فى يدى أحد منكم لا أبقى عليه (قال الراوى) فلما سمع عنترة هذا المقال عرف معناه وان أخاه شيبوب بالحياة لانه لو كان قتله كان ذكره فى الكلام هذا وناجح قد جال فى المجال وجعل ينشد ويقول

وحق العيون الجاريات من البحر * وما فيه من موج وما فيه من درى
لئن وقعت عينى على من أتى لنا * بحيلة محتال وما خاف من شرى
وبات يداهننى بحسن كلامه * حتى خلص الاثنين من قبضة الاسر
لاتركه بالسيف الصقيل تنوشه * طيور الفيافى والوحش والنسر
فان كان خلصهم بحيلة مكره * فسوف أخذ الجمع فى ظلمة القفر
وآسر للشيطان عنترة الذى * ترى اسمه قد شاع فى السهل والوعر
وأحمله للنعمان قهرا مكبلا * ليجعل لى شأنا من العز والفخر
أقودهما للاسر فى حومة الوغا * ويخلصا منى بالخداع وبالمكر
ولابد ما أسرى لشرق ومغرب * واملك ما أختار فى البر والبحر
أنا ناجح المشهور فى كل معرك * أبيد الاعادى بالمهندة البترى
أكنى بعفريت السواحل كنية * لانى ملكت الارض جمعا مع البحر

(قال الراوى) فلما سمع عنترة هذا الشعر والنظام أجابه على عروض شعره يقول

أيا من سعى فى حتفه وهو لا يدرى * تأن واسمع وزن ما قلت من شعرى
فان شئت للاشعار كنت مهذبا * وأوحد هذا العصر فى موقف الكرى
اذا نظرت عينى الى طعن فارس * مزجت له كأسا أمر من الصبر
وان سمعت أذنى مقالة شاعر * نظمت له قريض شعر أغلا من الدر
ملكت بفضل الله كل ملحة * وتوجنى ربى بتاج من النصر
أطوف هذا الارض من كل طاغ * الى ان يأتى المبعوث بالنهى والامر
لقد خبر الكهان أن محمدا * يكون له نور يفوق ثنا البدر
فان كان لى عمر الى يوم بعثه * نجوت به والله من ظلمة الكفر
وأقتل من أعداه لكل جاحد * وأمحى لاهل الظلم بالسيف والسمر
اما سمعت أذناك بفعل من فعائلى * وقد شاع فى الآفاق بين الورى ذكرى

انا

أنا عنتر الموصوف سيد قومه * أموت ولا أنسى الى موقف الحشر

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ فى المجال حتى طلع الغبار وتحيرت مما جرى لهما الابصار واختلف بينهما طعن وضرب يحير الابصار والافكار وتشيب من هوله الاطفال وقل منهم القيل والقال وجال كل فارس وصال ومازالا على مثل ذلك حتى انقضى النهار وحل بنابح التعب والانبهار وندم على مقامه فى هذه الديار وعلى خروجه الى هذا الرجل الجبار وقال فى نفسه ما منعنى عن المسير الا ذلك العبد العيار وكنت أشتهى ان أقع به لاذيقه العذاب والبوار وأطفى بقتله ما بقلبى من النار ثم انه وقف عن المجال يستريح من كرب القتال وقال له امهل على حتى أشاورك فيما يكون لك فيه الصلاح والاخلاص من تعب الحرب والكفاح فقال له عنتر وقد أمهله قل ما تريد فقال له أول ما أريد منك خبر العبد شعيب آخر العبيد الذى خلص أصحابكم ما كان منه وبعد ذلك أسألك ان تبقى على حتى أعود الى أهلى وأرحلهم عنك وأكفيك أمرهم وأمر تعسيرى ولا تخرق ناموسى فى بلاد اليمن باسرى وان كنت ما تفعل ذلك فانا فى غداة غد أحمل عليكم بهذه العوالم ولا أبقى منكم قاعدا ولا قائم لان الليل قد أتى والنهار قد مضى ولم يبق لنا غير الانفصال والعودة الى قومنا فقال له عنتر يا قرنان وابن ألف قرنان ياذليل يامهان أنت تدعى بما ليس فيك وانك فارس اليمن وتطلب الاقالة من عبد قد ذل ملوك هذه الاطلال والدمن وأى انفصال ههنا اذا كانت هذه نيتك ثم زعق به زعقة الاسد اذا جاع وطعنه بالرمح دق منه أربعة أضلاع فأصيب وانصرع ومن على ظهر جواده الى الارض وقع فوقف على رأسه حتى يدركه أخاه جرير واذا باخيه شيبوب قد أقبل كأنه القضاء المنزل وصار على صدر نابح مثل البرق اذا برق أو مثل الشهاب اذا زرق وقال له أدركتاك ياوجه العرب فها أنا كنت لك فى الطلب ثم انه شده وساقه قدامه وعنتر من فعال أخيه شيبوب قد تحير وقال له ويلك وأين كانت غيبتك يا أبا رياح ياشيبوب فقال له فى طلب هذا الكلب المكلوب لانى لما أطلقت مقرى الوحش وعروة بن الورد صرت من بعدهم أرصد هذا القرنان وأريحك منه وأقتله فما قدرت عليه لمقظته وقلة نومه ولما أصبح على الصباح اختلطت فى هذه القبائل المجتمعة وقلت ما أبرح حتى أنظر ما يفعل هذا الشيطان اذا خرج الى براز الفرسان وان وقع أحد فى يده من أصحابنا خلصته منه مادام أمرى معه مكتوم وحالى غير معلوم ولا زلت على مثل ذلك حتى رأيته قد وقع وانخذل بين يديك وانهزم وقد حصل له ذلك العذاب ووقع فعلمت ان الشر عنا قد اندفع فاتيت أشتفى بكنافه وعذابه وأوفيه باقى حسابه (قال الراوى) فلما سمع نابح بن الهباش كلام شيبوب عرفه وحقه بوصفه وشال اليه رأسه وقال له ويلك ما أنت شعيب عبد حسان الذى أردت البارحة ان تمضى معى الى الملك النعمان فقال له شيبوب نعم يا الف قرنان كلما تحدثت معك زور ومحال وبهتان حتى خلصت من يديك فرسان عدنان وأبطال الزمان قال فلما سمع نابح ذلك تعجب وقال وحق دينى والبحر اذا زخر عمرى أدور القبائل والحلل قط ما سمعت من اسمه شعيب وما رأيت من يفعل مثلك يا كلب ياوجه الذيب (قال الراوى) فاجتمعت بنى عبس بالنصر والظفر الى جبل الغمام وباتت فى سرور واطمئنان بخلاف الليالى الاول وباتت القبائل تموج كما يموج البحر الزخار واجتمعت سادات الطوائف وقد عجزوا عن لقاء هذا العبد الاسود والبطل الامجد ومازالوا حتى اتفق رأيهم على قتالهم بسائر الجموع وعند الصباح زحفت عليهم سائر القبائل تروم القتام وتقدمت الى جبل الغمام وانعقد القتام ونزلت بنى عبس الى ذيل الجبل وعنتر يوصى أصحابه يجدوا فى القتال ولم يعطوا اهمال وقال لهم يا بنو عمى هذا اليوم يوم الانفصال فلا تخشوا من كثرة الاعداء الانذال وفعلت بنى عبس مثل فعالها الاول وكانوا قد أصبحوا كثيرين الفرح والانبساط

بخلاص أصحابهم وأمر ناجح بن النهاش بغرد والصفاح وصاحوا صيحة عظيمة ارتجت لها سائر البطاح
وزعقوا زعقة واحدة زعزعت الجبال وجاوبتهم قبائل اليمن وجردوا فى أيديهم النصال وأرادوا الحملة
على بعضهم البعض وماثار والقتال حتى أبصروا غبارا قد أقبل من ناحية أرض المصانع وتحته هدير
بوقات ودق كاسات وخفقان رايات وصهيل خيل صافنات وزعقات عاليات والرجال قد
أكثرت الضجات ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى ذلك الحال واذا هم بغبار ثانى قد طلع من نواحى
سواحل البحار وله زعقات وتحته رجال مثل الامطار وقد نظروا اليه وتفكروا فيه واذا هم بغبار
ثالث وقد طلع من نواحى أرض اليمن من تحته صياح وزعقات وهو يدل على فرسان مثل الاسود
مقبلين على عجل فأخذ الجميع الحيرة والانبهار وأكثروا فى ذلك الاقوال ومازالوا على تلك الاحوال حتى
انكشفت ذلك الغبرات فحققوا للغبار الاول واذا تحته رايات وازدهارات واعلام مرتفعات وقضبان
من ذهب وفضة عليها تماثيل طيور وصور بازات وشيأ تعجز عنه ألسن الواصفون وعلى الجيش هيبة
ووقار لان فرسانه كلها مسربلة بالحديد المطلى بالذهب الاحمر ﴿قال الراوى﴾ فلما قاربوا جبل الغمام
رأوا قبائل عرب بنى عبس على نية القتال فتجاوزت منهم الفرسان وسار وابين الصفين وجردوا السيوف
وصاحوا على قبائل العرب ارجعوا عن اثارة الفتن واستعملوا الادب قدام الملك عمرو بن هند أخو
الملك النعمان ملك العرب من بعدهما ومن اقترب فانه من أجل بنى عبس قد دخل الى هذا المكان
لانهم أصهاره وسيوفه القاطعة وقد رضى عنهم بعدما كان غضبان عليهم وأنفذ خلفهم يردهم الى
ديارهم والاوطان ويحسن لمن أحسن وأولاهم الاحسان ويقاتل من تعدى عليهم بالظلم والعدوان
﴿قال الراوى﴾ وأما الغبار الثانى فانه انكشف من تحته عن عشرة آلاف فارس من كل بطل عمارس
وقرم مداعس وملكهم الملك نعمة بن الاشطر صاحب جبل الدخان وقد تقدمت قدام الفرسان
وهم ينادون عن لسان واحد ابشر يا أبا الفوارس بالنصر على العدى فنحن بنو الاشطر قد جئنا لنعادى
من عاداك ونكون من الاسافداك ومن أجلك قد دخلنا بلاد اليمن فلا كان من يشنأك فنحن بنو
الارقط سكان أرض السواد وجبل الدخان وأما الغبار الثالث فانه ظهر من تحته الملك عباد ومن
حوله فرسان بنى القيان الضاربين بالحسام والسنان وتقدمت منهم الفرسان وهم ينادون عن
لسان واحد ابشر وايا بنى عبس بالنصر والامان وادعوا بحياة أبى الفوارس والشجعان وسيد
الفرسان وقاهر ملوك هذا الزمان عنتر بن شداد ولما ان رأت فرسان اليمن كثرت قدوم هؤلاء
المواكب والكتائب وهم مقبلين من كل جانب بهتت نواظرها وتحيرت فى أمورها وقل نشاطها
وعزمها وعلموا ان تلك الخلائق القادمة اعانة لبنى عبس وخدمة لابى الفوارس عنتر وعولوا على الفرار
والهرب وخافوا من العطب ولولا قدوم أخوال الملك النعمان ما كان بقى منهم انسان لكن لما
أبصروا الملك عمرو بن هند قويت عزائمهم وأقاموا ينتظرون الاخبار وعاشت أرواحهم بعد الممات
وأما السبب فى وصولهم وهم الملكين نعمة بن الاشطر وعباد سيد بنى القيان النجابة الذى أرسلهم الملك
مسعود بن مصاد الكلبى فى أول الديوان كما ذكرنا وأرسل الكتب وسارت بها النجابة الى جميع قبائل أهل
اليمن حتى بلغ خبر تلك الوقائع الى صنعا وعدن وتحادثت بها السفار والتجار فى شعب ووطن وبلغ
ذلك الى أرض السواد وجبل الدخان واتصلت الاخبار الى الملك نعمة بن الاشطر صاحب جبل الدخان
فجمع من قومه عشرة آلاف فارس من الشجعان المعودين بالضرب والطعان وسار بهم طالبا نصرة
عنتر وقصدوا فى سيرهم سواحل البحار الى أن وصلوا الى جبل الغمام وكذلك فعل عباد مقدم بنى القيان
لما بلغه ذلك وفى السير اجتهد لانه خاف على ابنته أن تسبى فى بلاد اليمن ويتعب فى خلاصها لانها كانت

زوجة

زوجة الامير نازح بن أسبد بن جزيمة بخد فى مسيره ومعه أربعة آلاف عنان الى أن وصل الى هذا الغبار والغبار الاول غبار عمرو بن هند أخو الملك النعمان من أبيه وكان هو الاصغر الا أنه كان عاقلا كامل المروءة والادب وكان يحب الانصاف ويكره الجور والاسراف وكان السبب فى دخولهم أرض اليمن الى بنى عبس سبب عجيب وهو ان المتجردة زوجة الملك النعمان أخت الملك قيس لبست بعد أهلها السواد وصارت تبكى عليهم الليل والنهار وترثيهم بهذه الاشعار ومن جملة ما قالت هذه الابيات

هل أنت مبلغ أيا نسيم * سلاما من قلب السقيم * الى ديار رحلت عنها
والقلب فى أهليها مقيم * أرواحها راحتى وقلما * عاشت بلا أرواحها الجسوم
أنفاسها جنتى وعندى * من حر أنفاسى الجحيم * راق لشعرى النسيم لكن
باب غرامى هو الغريم * لا تسألوا عن حديث شوقى * فانه حديث عظيم
قضيت دين الاسا ولكن * ان هيامى هو الهموم * صاحب ذا قربكم وصالا
لو انه كالهوى يدوم * لكن همومى لقد تلاشت * مهجتى من جوى الجحيم

(قال الراوى) وقد صارت المتجردة تبرطل العبيد بالاموال ليأتوا لها بجميع الاحوال والاخبار وهم يذكروا لها ما وقع لبنى عبس من الاخطار وأخبروها من ابتداء دخولهم بلاد اليمن والوقائع التى سارت حتى وصلها حديث جبل الغمام ومن اجتمع فيه على بنى عبس الكرام ويقال انها من يوم غضب الملك النعمان على قومها ما دخلت حمام ولا استلذت بأكل طعام ولا بمنام وما زالت كذلك حتى تغير عليها ناموس الملك الى أن أتى أيام نعمته وسروره وانصرفت أيام نقمته وهمومه وقد ذكرنا فيما تقدم من الكلام انه قد كان له هذين اليومين النعيم والبؤس فكان فى يوم البؤس يسفك الدما ويصادر الاغنيا ويهجر اللذات ويغلق الاسواق وفى أيام النعيم يقضى الحاجات ويعمل الدعوات ويأمر بزينة البلد وكان سبب دخول أخيه الى بلاد اليمن انه كان فى أيام سروره دخل على زوجته المتجردة ليلة النعيم وهو سكران فرآها منهملة العبرات كثيرات المضرات لما قد بلغها ما جرى لاخيها فى عقبة الفروق وأرض المصانع وغيرهم من الوقائع كما قد ذكرنا فزادت بها اللوعات كما جرت عادة النسوان والبنات وزادها الهيمان وفى ذلك الوقت دخل عليها الملك النعمان وهى زائدة اللوعات تعدد بعديد وحنين زائد كالثاكلات وهى تنشد وتقول هذه الابيات

لو كان لى من ساعدنى على حزنى * ما ذاب جسمى ولا أهوى الضنا بدنى
ويلاه من أنفاس أردها * شوقا الى عرصات الدار والدمن
يا طائرا بات طول الليل منتحبا * يرد النوح فى سر وفى علن
ان كنت تندب الفا قد جمعت به * فقد جمعت أنا فى الاهل والوطن
أصبحت أندب يا طير الاراك على * طعن تخطفه الاعداء فى اليمن
عرنى جناحك يا طير الاراك عسى * أرى الاحبة فى صنعا وفى عدن
وذكر النعمان عهدهموا * فعفوه واسع جار على الزمن
وخوفه ترك الاقطار آمنة * ولو خلت منه ما تحركت من فتن
ولو رأى قلقى فى الليل منعكفا * من علمه باشتياقى كان يرحمنى
وكيف ينصف أهل الدهر كلهموا * بعدله ويرى ضعفى فيظلمنى

(قال الراوى) فلما سمع النعمان من زوجته المتجردة هذا الشعر والنظام وهذه الابيات انهملت من أجفانه العبرات لانه كان يحبها محبة عظيمة لما فيها من الحسن والجمال فقال لها لما تنصف الناس

وتظلمك بل انثر دأهلك الى بلادهم ونكرمك ثم انه خلا معها فى تلك الليلة وطيب قلبها ومسح دموعها فزالت النار التى بين ضلوعها وشكت اليه ما تجده من الوحشة وتحسرت حسرات متتابعات مع جمالها البارع فتغيرت أحوال الملك النعمان ونسى بؤس والنعيم وصار يعانق و يبوس و يضع يده على الملبوس يعنى الكاف والسين فقام الدبوس و بقى يدخله سكوس هذا قبل أن ينام وهى تقول أنا ما أريد منك الا رد بنى عبس الى ديارها قبل أن تتصل انسابها بانساب غيرها من أهل اليمن وآل قحطان فضمن لها الملك ما تريد وبات عندها الى الصباح وقام من المنام وغير ثيابه وجلس على كرسى مملكته وحضرت أرباب دولته وقد قضى حوائجهم فلما قضى حق الناس خلا بالوزير عمرو بن نفيلة العدوى وحدثه بما جرى له مع زوجته واستشاره فى ذلك وقال له أنا قد أصبحت حائرا فى تلك الامور فان بنى فزارة قد استجاروا بى وطلبوا منى أخذ ثارهم من بنى عبس وعدنان وأخى الاسود يشد معهم لاجل ما بينه و بينهم من القرابة والانساب وأخاف ان أنفذت خلف بنى عبس وردتهم الى ديارهم أن يقع الشر و يتجدد بينهم و بين بنى فزارة الحرب و يتعب قلبى فى صلحهم وأريد منك أيها الاب الكبير أن تدبر هذا الامر بتدبيرك (قال الراوى) وقد ذكرنا ما فى هذا الوزير من الخير والصلاح وانه من جملة المعمرين فلما ان استشار الوزير فى رد بنى عبس الى ديارهم قال له أيها الملك الرأى عندى انك لا تفرط فى هذه القبيلة تندم لانها من الشجاعة بمنزلة جليلة واذا كان خلفك مثل هذه القبيلة عاد من شئت من الملوك ولا يكن عندك خوف ولا فزع وقد عاينت أفعالهم أكثر مما وصل اليك من أخبارهم لانهم قوم مسعودون والصواب انك ترسل الى بنى فزارة وتقول لهم تسلموا أرض عدوكم واحفظوها وخذوها فى دية قتلاكم فاذا رجعوا بنى عبس أنزلهم على أرض بنى عامر وأرسل الى الاخوص بن جعفر بذلك وقد حال البعد بينهم و بين بنى فزارة بكل ما يتجدد من الاحقاد واذا طال بينهما البعد وهم فى الحياة فأنت قادر ان تصل بينهم بالصلح بحسن الوفاء والذى بلغنى يا ملك ان بنى عبس ما كانوا ظالمين لبنى فزارة ولا أعرف منهم بغيا ولا عدوانا وانما حذيفة بن بدر كان رجلا غدارا مكارا وخان فى الايمان بعدما أصلح بينهم السيد عبد المطلب قاضى قضاة هذا الزمان ولما خان حذيفة أراه الله عاقبة البغى لما تعدى وخان (قال الراوى) فلما سمع النعمان هذا المقال من الوزير فى ساعة الحال دعا بأخيه عمرو بن هند وأخبره بما عول عليه من رد بنى عبس الى أرض الحجاز ثم أنه جهزه بألفين فارس وأمره أن يسير الى بلاد اليمن و يأتى ببنى عبس وكتب كتبا الى سائر القبائل بطاعة أخيه وترك الفتن والدخول تحت أمره ونهيه وأيضا بالاحسان الى بنى عبس والملك قيس صهره فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ ما يحتاج اليه من كل ما يصلح للملوك وسار والنوق تحمله والخيل والبغال وهو يقطع المنازل والقفار حتى دخل بلاد اليمن وعلمت به فرسان تلك الحال والدمن فخدموه وصاروا يضيفونه و يكرمونه وقد سار معه من كل قبيلة عشرة وعشرون وأكثر من ذلك (قال الراوى) وما زال كذلك حتى أشرف على جبل الغمام وكان قد سمع باخبار بنى عبس وما جرى لهم من الحرب والقتال فجد فى سيره حتى وصل اليهم كما ذكرنا وتقدم الى خدمته الملك الملكان الملك نعمة بن الاشتر وعباد سيد بنى القيان لما علما انه أخو الملك النعمان ونظرا ما على الجيش من الهيبة والوقار وشاع الخبر انما كان قدوم بنى الارقط و بنى الفين نجدة لبنى عبس وعنتر فتقدم فرسان القبائل وحماة الحفائل الى عمرو بن هند وخدموه ودعوا الى أخيه الملك النعمان بطول العز والبقاء على الدوام فقال لهم عمرو يا وجوه العرب الكرام ما هذه الفعائل وعلى من تجمعتم أما كان فيكم رجل عاقل يرد الجاهل عن جهله وعن أقارب الملك النعمان أما خشيتم المعيرة والمذمة بين القبائل والعرب بان يقال ان ملوك اليمن وفرسانها وأبطالها اجتمعوا على جبل الغمام فى

خلق

خلق كثير لا تحصى على شرذمة قليلة من العربان وهم دون أربعة آلاف من الفرسان لا غير وقد أوقعوا بكم الذل والعير وما كان وصل اليهم هذان الملكان بهذه العساكر التى قد ملأت الفضا وسدت عين الشمس والمستوى ولولا حضورى أنا فى هذه الساعة ما كانت تبقى منكم بنو عبس فى هذه النجدة شيخا ولا غلاما وتخرب دياركم وتنهب أموالكم وتملك أرضكم وتسبى حريمكم وتشتتكم عن أوطانكم ولكن اشكروا الرب القديم رب زمزم والحطيم وآله الخليل ابراهيم الذى أرسلنى اليكم والا كان فى أكثركم ودارت الدائرة عليكم لان كل أحد يعلم ان هذا الملك نعمة ما أقامه فى الملك الذى هو فيه الا عنتر بن شداد وانه ما أتى فى هذا الجيش الا وفى نفسه لا يبقى منكم أحدا وكذلك عباد سيد بنى القيان صهر بنى عبس وغدران لان ابنته متزوجة بنازح بن أسيد ولو وصلوا اليكم قبل وصولى ما أبقوا منكم انسانا فقالوا له وحق من أوسع البيدا ما تعرضنا لهم حتى أنهم قتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب تلك الاراضى وما يخفى عليك أيها الملك العظيم ما صنعوا فى عقبة فروق المصانع وقتلهم معاوية بن النزال وفى بنى فهد ما فعلوا بالرجال وانهم قتلوا عمرو بن ضمرة القينى وعملوا شيأ يذكروا فيه مادامت الشمس والقمر بالمدح ونحن بالمذمة والفجر ولولا حضورك أيها الملك الجليل كنا طلبنا منهم الاقالة وخصوصا من حاميتهم عنتر بن شداد الذى ساد بفعاله على جميع العباد وانه أمس قبل حضورك أيها الملك الكريم أسر من شجعاننا وفرساننا أوفى من مائتى أسير وآخر من أسره فارس اليمن وصنعا وعدن عفريت السواحل نابح بن النهاش وصار عنده فى الذل والوبال أيها الملك المفضال ولولا نعلم ان أخاك كان غضبانا عليهم ما تعرضنا لهم لاننا ما قاتلنا أحدا منهم حتى قتلوا منا عالما عظيما ولا سيما حاميتهم الاسمر المسمى بعنتر فانه مثل النار ذات الشرر التى لا تبقى ولا تذر والآن قد بلغ الامر منتهاه ومضى ما مضى مادام أخوك قد جاد عليهم بالرضا وان لنا مع القوم أسارى وأموالا تملا الصحراء فيطلقون لنا الجميع ويرحلون ويسيرون من جبل الغمام ويبعدون عنا بسلام (قال الراوى) ثم انهم شرحوا له ما جرى عليهم ونالهم مما ذكرنا وليس فى الاعادة افاده فتعجب الملك عمرو بن هند من ذلك وعظمت بنو عبس فى عينيه وصدق فى كلام الوزير فى حقهم لانه كان شك فى وصف الوزير فيهم ثم انه ضمن لهم اطلاق أسراهم وابعاد بنى عبس عن جبل الغمام وأنفذ اليهم وأعلمهم بذلك الكلام فنزلوا عن الجبال الى الصحراء بالاضعان والاموال والعيال وفرحوا بعودتهم الى الديار والاطلال وتقدم الملك قيس بن زهير واخوته الى الملك عمرو بن هند هو وأقاربه وجماعته ودعوا له ولاخيه وعلموا انه قد انصلح الامر والشان فأخبرهم ان ذلك كله سؤال أخته المتجردة لزوجها الملك النعمان وأعلمهم انه قد أرضى بنى فزارة بأرضكم وانه قد أقطع لكم عوضا عنها دارا واسعة فى أرض بنى عامر أهل الثناء والمفاخر وأمركم بالنزول لتسرحوا أموالكم فى جوانبها وفى نواحيها ولما سمعت بنو عبس ذلك رضوا بما قال الملك عمرو ودعوا له ولاخيه بالعز والنصر وطلب الراحة من معادات قبائل اليمن وكان أفرح الخلق بذلك الامير عمارة بن زياد (قال الراوى) ثم تقدم الملك نعمة بن الاشتر بين أيادى أبى الفوارس عنتر وقبل صدره ويديه وقال له يا أبا الفوارس لماذا عبرت أرض اليمن ولم تقصد بقومك أرض السواحل وجبل الدخان أما علمت أنها بلادى وفتحت بسيفك وأنا وأولاد عمى أمنا من سطوتك ثم انه بعد ذلك الكلام أشار اليه وجعل يقول

أعنتر ما برحت قرير عين * من البين فى ظل الجبال
فليس المجد الا ما بنته * ظباة الهند والاصل العوالى
وليس العز الا ما جنته * بأطراف القنا أيدى الرجال
فى أول من تشاء تجده مهلا * يسير خطبه وافى المقال
ومن والاك والته الامانى

ومن عاداك عادته الليالى * وقد طبعت سيوفك للمنايا * كما خلقت يمينك للنوال
بلغنا فيك ما نرجو ونلنا * منانا منك من قبل السؤال
فدم بسيادة مع ظل عز * كنهر ليس ينزح من توالى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك نعمة ذلك الكلام شكره وأكرمه غاية الاكرام وعرفه أن بنى عبس لما دخلت بلاد اليمن كان هو بأرض الشام ولو أنى كنت فى أرض الحجاز ما كنت تركت أحدا من بنى عبس يطرق هذه الديار وكنت كاتبت الحلفاء والاصحاب والاخوان وألتقى بهم عساكر الملك النعمان ولوان معهم الانس والجان لاجبن سليمان (قال الراوى) وتقدم بعده عباد سيد بنى القيان وقال له يا أبا الفوارس لا تحسب أنى نسيت جميلك والاحسان فانى وحق من أرمى شوامخ الجبال ويعلم مقادير الارزاق والآجال وأطلع الشمس وأنار الهلال من يوم وصلتنى الاخبار ما أخذنى هدو ولا قرار بل أخذت معى من بنى عمى من كان حاضرا فى الديار وسرت بهم حتى وصلت هذه الاماكن ثم انه أشار بمدحه بهذه الابيات

قد نلت فضلا لم تكن بلغته * حتى كل عنه نطق كل لسان * وعلت فعالك عن مقالة مادح
ماذا ينال معانيا بمعان * فى كل يوم يعتليك من العلا * ما لم يجل فى خاطر الامكان
ماذا يقول الواصفون بوصفهم * فى وصف مجدك لو أتوا ببيان * أوليت احسانا فمالك مادح
الا وقد أربى على حسانى * واقعدتنك عن الثنا * منح السماح وضوعها اللمعان
وكفاك ما خضبت به بيض الظبا * فى الروع فوق فوارس الفرسان
فاسلم ودم فى عيشة مع غبطة * مشبوبة مقرونة بأمان

(قال الراوى) فلما سمع ذلك الكلام شكره وأثنى عليه وقبله فى صدره وبين عينيه وتقدم اليه زوج ابنته مازح بن أسيد وهناه بالسلامة من الاعداء وجاء الى ابنته وسلم عليها واو باتوا يستشيرون فى أمر الرحيل الى ديار بنى عامر وكيف يكون الحال فقال لهم عنتر والله يا بنى الاعمام ان عودتنا على هذا الحال مذلة ومقامنا فى أرض غيرنا هى المصيبة العظمى ونترك أرضنا للعدو ونا ونشمت الاعدا بنا فان هذا الرأى ليس بصواب ولا يرضى به أحد من الاحباب وان مقامنا هنا أهون وأصوب لانى فى هذا العام عولت ان أملككم سائر بلاد اليمن وأترك أهل الديار كلها تطيعكم وتدخل تحت نهيكم وأمركم ونحن والله بمقهورين فى هذه الديار والاطلال حتى نرجع عن هذا الحال ولا سيما وقد مت الينا هذه النجدة فى أربعة عشرة آلاف فارس من كل ليث ممارس وقرم مداعس فنهض الامير عمارة بن زياد وقال له بالله عليك خلنا من رأيك فانا ان قعدنا هاهنا الى عام آخر فما يبقى منا من يخبر بخبر لاسيما وقد دارت بنا هذه القبائل والابطال فدعنا يا ابن شداد نرجع الى أرضنا والديار ويكون علينا فيها ظل صهرنا الملك النعمان ونستريح مما نحن فيه من القتال والغربة وشماتة الاعداء فعندها قال الربيع بن زياد صدقت يا عمارة ياوهاب فان هذا القول ما به ضرر بل ربما تكون هذه البلاد قد طابت لحامينا عنتر بن شداد وهو بشأنه أخبر قال فلما سمع عنتر كلام الربيع وعرف أنه يريد قربهم وهم يريدون بعده فاستغنوا عنه ولم يرقوا له الا اذا احتاجوا اليه وأرادوا القرب منه فأخفى ذلك فى قلبه وقال لهم الملك قيس يا بنى العم دعونا من هذا العناد فان كل من فى هذه الارض أعداء لنا ولك يا بنى العم وأنا لا أصوب الرجوع الى أرض الحجاز فلما أصبح الصباح ركبوا الى سرادق الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان وسلموا عليه فترحب بهم وقال لهم اعلموا يا وجوه العرب الكرام أنه ما بقى لكم فى هذه الارض مقام بعد قتل ملوكها والسادات فاقضوا ما لكم فيها من الاشغال واطلقوا ما فى أيديكم من الاسارى

الذى

الذى عندكم فى الاعتقال ففرحت العربان وتباشرت أمراء القبائل والحال فعندها دقت الطبول وتباشرت العسكر بالخلاص أمر الملك عمرو بفتح صناديق الخلع المثمنات فاخلع على الملك قيس واخوته وعلى عنتر وأبيه وعمومته وعلى الربيع بن زياد وأخيه عمارة القوادو باقى اخوته وعلى أصحاب عنتر مثل مقرى الوحش وعروة بن الورد البطل الهمام وخلع على الهطال سيد بنى غطفان وعلى عياض بن ناشب وعلى قراوش بن عم الملك قيس وعلى نعمة بن الاشتر وعلى مقدمى عساكره وعباد القيانى ووجوه عشائره وعلى السادات والملوك وفرسان اليمن وبعدها رحل كل واحد منهم طالبا دياره وقضوا بنو عبس فى ذلك أشغالهم وأحوالهم وابتاتلك الليلة فى أماكنهم يدبرون أحوالهم قال ولما كان من الغد أمر الملك عمرو بدق طبل الرحيل فرحلوا وتركوا فى قلوب أهل اليمن النيران لان أكثرهم مارضى بما جرى عليهم من قتل فرسانهم ولاسيما ما فعل عنتر بعفريت السواحل وكيف كان خلاصهم على يد عمرو بن هند ولما غلبت على أهل اليمن المقدمين وجدت بنو عبس فى المسير وأموالها بين أياديها سائرة وقد دخلت فى البرارى والقفار وقد ذكرنا ما قطعته بنو عبس عند دخولهم أرض اليمن من المنازل والمناهل وقطعوا عند عودتهم أطول الرواحل هذا كله يجرى فى مسير بنى عبس الاجواد وأما عنتر بن شداد فانه كان سائرا الى جانب الملك عمرو والى جانبه الآخر الملك قيس بن زهير وهم يتحادثان والجيوش يدوى ظعنهم كدوى البحار وقد اشتاقوا الى أرض الشربة والعلم السعدى ثم انهم رحلوا وفرحوا بالبعد عن ديار الاعداء وانتزاعهم من تلك الاراضى والجبال لان الملك عمرو بن هند قد أشار على الملك قيس بن زهير سيد بنى عبس وعدنان لاتدع أحدا من فرسانك يركن الى راحة وكونوا على أهبة من أمركم ومستيقظين على أنفسكم حتى لايتعرض لكم عدو بسوء فتحوجونا معهم لاخراق الهيبة وكشف الحجاب واثارة الفتن فى أرض اليمن وترجعوا معهم الى المنهاج الاول واعلموا ان أخى النعمان أوصانى بمثل ذلك فأجاب الملك قيس الى ماذكر ثم ان الملك جد فى المسير ولله المشيئة والتدبير حتى انه نزل فى منزلة يقال لها عربان جابر ومياه الرباب فنزل فى تلك المنزلة لطلب الراحة وقد أضر بمن معه التعب من كثرة السير والسرى فى تلك البرارى وما قاسوه من النصب فى تلك الاكام وقعدوا ثلاثة أيام ﴿قال الراوى﴾ ولما ان ضربوا مضاربهم والخيام التفت عمرو بن هند الى فرسان بنى عبس وجمعهم اليه ولما جلسوا بين يديه قال لهم اعلموا يا وجوه العرب ويا فرسان الزمان من ذوى الرتب انى أعرف انكم فرسان المنايا وأبطال الزمان وشجعان القبائل من آل عبس وعدنان فلا تتركوا فى هذه القبيلة من أحد الا أذقتموه العذاب وأذيتموه وأخذتم ما كان له من الذهاب والاموال والنوق والجمال والصواب انكم تحفظوا أرواحكم وأموالكم وأولادكم وترموا الحديد عن أبدانكم لانى لاأشتهى ان أكون فى فريق ويغلب وأريد منكم أن تقبلوا رأيى ولاتخالفونى حتى تخرجوا من هذه الديار والبراالاقفر فلما سمعت بنى عبس هذا المقال علموا ان قوله صواب وان رأيه لايعاب فصاروا كل يوم يخرجوا الى الصحراء ويقولون لبعضهم كل من له مال أو جمال يركب ويسير الى المراعى ويكون للقوم حافظا وحارسا وراعيا حتى ان الملك قيس صار يخرج فى جميع اخوته وكذلك صار يفعل الربيع ابن زياد والاقران وأما أموال الامير عنتر بن شداد ومقرى الوحش فارس النياق والاقران وأموال بعيلة فان عروة بن الورد حلف بالايمان التى كانت تحلف بها العرب لايركب أحد جوادا ولايخرج الى المرعى أحد غيرى ولايحرسهما الا أنا وهن متمرضات فقامكم عندهم أصوب ثم ان عروة بن الورد قسم رجاله قسمين وصار يخرج ويأخذ منهم كل يوم خمسين فارس ويخرج مع الاموال والجمال وصار عروة على ذلك المنهاج أول يوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع خرج مع رجاله على حسب العادة

وآخر النهار عند اقبال الظلام عاد وارجاله بلا مقدمهم وكان عنتر انتظره عند المساء يعود من المراعي كما جرت عادته فابطأ عليه فاشتغل عليه قلبه فالتفت الى مقرى الوحش وقال له يا فارس النياق ان قلبي قد اشتغل وسري قد انتقل من غياب أبا الابيض عروة بن الورد وعن رجاله فانه قد تغير معادهم وأن أقول لابد أن يكون جرى عليهم أمر من الامور ومامن المروءة أن نقعد عنه وعن أخباره بل نركب نحن ونسير الى ملتقاهم فان كانوا في خير هنيناهم وان وجدناهم في ضيق أعناهم وأنجدناهم فقم بنا يا فارس النياق نبادرهم أنا وأنت ونكشف أخبارهم ونعاني أمورهم بأنفسنا (قال الراوي) فبينما مقرى الوحش وعنتر في الكلام وقد ركبوا الخيول واعتقلوا بالرماح واذا بأصحاب عروة بن الورد قد أقبلوا وقالوا له يا أبو الفوارس نحن خرجنا على العادة ومقدمنا أبا الابيض الامير عروة معنا فمازلنا سائرين الى الصحراء وتفرقنا في نواحي المرعى وأخذ مقدمنا عروة في طرد الوحش وقد أوسع في البر ونحن نقول انه عند المساء يعود فما عاد وقد تغير الوقت والميعاد واشتغلت قلوبنا عند غيبته فتفرقنا في أقطار البر ودرنا في جنبات الصحراء حتى أقبل علينا الظلام وقد عدنا الى هاهنا ولم نقع له على أثر ولا أعطانا أحد عنه خبر وهذا كان السبب في اعاقتنا الى هذا الوقت (قال الراوي) فلما ان سمع عنتر كلام أصحاب عروة احترق قلبه عليه وأصابه غم عظيم وحصل له خطب جسيم وقال أنه قد حبسه حابس أو أسره آسر أو قتله قاتل لان قبائل اليمن من حولهم مثل النبات ومافيهم الا من يتمنى لبني عبس الممات فقال مقرى الوحش ان صاحبنا قد خرج في خدمتنا ونتوانى عن كشف خبره ولا نتبين له أثر هذا شيء لا يصح أبدا ثم ان عنتر ومقرى الوحش سارا ومعهم شيبوب وكان الامير عنتر قد قال لابيه شداد اذا نحن أبطينا عليكم وطلب الملك قيس الرحيل فدعوه يرحل ونحن نتبعكم الى ديار بني عامر وقد سار عنتر هو ومقرى الوحش وغاصوا في البراري والقفار (قال الراوي) فهذا ما كان من عنتر ومقرى الوحش في دعوة عروة وأما ما كان من بني عبس والملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان فانهم باتوا تلك الليلة في الحي وأصبحوا معولين على السفر والرواح وعند الصباح وصل اليهم الخبر بأخذ أموال بني زياد وبعض أموال الملك قيس فعند ذلك اضطربت القبيلة غاية الاضطراب وركبت الرجال وتجهزت الى الحرب والقتال وركب الملك قيس بن زهير في سائر أعمامه واخوته وكذلك الربيع بن زياد وركب الامير عمارة الوهاب وركبت بنو قراد وركبت بنو عبس ولم يتخلف عن الركوب الا من لا يقدر على الركوب وقد خرجوا من الحي والمضارب الى ظاهر البيوت فلما انهم أوسعوا في البراري والقفار والسهول والاوعار افتقدوا الامير عنتر بن شداد ان يخرج من فريق بني قراد فما خرج وأيضا عروة بن الورد ومقرى الوحش فما ظهر لاحد منهم خبر ولا أثر فعند ذلك سأل الملك قيس عن عنتر من أبيه شداد بن قراد فقال له شداد اعلم أيها الملك العظيم الشان صاحب الجود والاحسان وسيد ملوك هذا الزمان ان ولدي عنتر قد سار مع مقرى الوحش فارس النياق في طلب عروة بن الورد وفي ركابه أخاه شيبوب أبا رياح فلما سمع الملك قيس وسمعت بنو عبس مقال شداد ابن قراد صعب عليهم وكبر لديهم وخافوا من تلك الارض ومن سكانها ألا يحصل لهم أمر من الامور (قال الراوي) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك عمرو بن هند فلما سمع ذلك الكلام جرى عليه ما لم يجر على قلب بشر وقد التفت الى الملك قيس بن زهير وقال له هذا الحساب الذي حسبته ومن هذا كنت أخاف عليكم وما كان الصواب الا قطع الارض من قبل أن تجتمع عليكم هذه القبائل لان أخي الملك النعمان قد أوصاني بذلك وقال لي لا تفارقهم حتى توصلهم الى ديار بني عامر أصحاب الثناء والمفاخر وقد أعطاني كتابا الى ملاعب الاسنه ورداد الاعنه غشم بن مالك والى سيدهم الاخوص

ابن

ابن جعفر وأما الوزير الكبير والهمام المشير صاحب الرايات النبيله والاقوال الجليله والفعائل الجميله الوزير عمرو بن نفيلة العدوى وزير الملك النعمان فانه من أكبر المحبين للامير عنتر بن شداد وان المتجردة أخت الملك قيس زوجة الملك النعمان هى التى كانت السبب فى ذلك الامر والشان وسبب خروج بنى عبس من هذه الديار والاوطان ورجوعهم الى الحى على رغم الاعداء والحساد واعلموا أنها أوصتنى بذلك أعلا الوصية وأكدت على بكل التأكيد فى هذه القضية وأنا أشهى أن أكون أنا المقدم عليكم ويضيع لاحد عقال بعير فاذا حصل ذلك يكون فينا نقصان المروءة ﴿قال الراوى﴾ فقال الملك قيس ما كان هذا صواب وأما الملك عمرو فانه التفت الى الملك قيس وقال له هذا هو الحساب الذى حسبته من هذا الامر والشان وما كان الصواب الاقطع هذه الارض والهضاب ثم انه ركب فى الجيش الذى سار معه فى أثر العدو الذى طرقهم وتبعه الابطال والشجعان من كل جانب ومكان ﴿قال الراوى﴾ وان الذى كان ساق أموال بنى عبس شيخ العرب دريد بن الصمه صاحب العزيمة والهمه ومعه أخوه عبد الله وزوج ابنته سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار الخائن الناكس ويسمى أيضا مشبع الاطيار وخائض الليل والنهار وكان قد خرج فى خمسين فارس من شجعان العرب الى بلاد اليمن فى طلب المعاش والمكسب وكبس القبائل ونهب الحمال والجحافل ومازالوا يقطعون الارض وتلك المهاد حتى وصلوا الى غدران جابر فرأوا أموال بنى عبس قد ضاقت بها تلك البلاد وملأت الدنيا وجنبات البيدا فقال دريد بن الصمه هذا المنزل ما كنت أعهد فيه أحدا نازل وأنا أشهى أن أعلم من نزل فيه من أهل اليمن وسكان تلك الدمن قبل ما نأخذ أموالهم ونبيد رجالهم فقال سبيع بن الحارث ايش هذا المقال ياصاحب الرأى والنظر من خرج فى طلب المعاش والمكسب يسأل عن البدو والحضر لانسير فى ديار العدا وما معنا أحد من حلفانا ومع هذا لو أنى وقعت بمال أبى نهبته ولو قاتلنى عليه قاتلته لانه كما تعلم أنى ما خرجت من عند قومى فى هذه المرة وخليت عندهم قوت يوم واحد وما كان عندى ضيعة وهبته وكلما أخذته من أهله ونهبته لان أموال العرب كلها الى مباحه ويحفظونها من أجلى ﴿قال الراوى﴾ وكان سبيع هذا ابن الحارث المسمى بذى الخمار وذلك أنه كان اذا خرج الى الحرب وموقف الطعن والضرب يشد خمار زوجته على قتاله فسموه ذى الخمار وكان فارسا جبار وأسدا هدار وشجاع مغوار وبطلا قهار لا يصطلى له بنار وهو الذى عاش حتى تلاقى مع على بن أبى طالب مظهر العجائب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وأراد هذا اللعين بجهله أن يقاويه ويقاتله بقلة عقله فدمره على رضى الله عنه تدميرا وتركه بذى الفقار مجندلا عفيرا وكانت العرب قد اختلفت فى سبيع بن الحارث وقالوا انه كان يعد بسبعة آلاف فارس وكان تزوج ببنت دريد بن الصمه وكان دريد من شجعان العرب وكانت العرب تسميه راحات الحرب وقد ذكرنا ما عاش من العمر الطويل وما كان له من الاسم الكبير الجليل الا أنهم لما أشرفوا على أموال بنى عبس تشاوروا فيما واتفقوا على أخذها برأى ذى الخمار فقال للخمسين فارس الذين معه سوقوا أنتم هذه الخيل والنوق والمال وما قدرتم عليه من الانعام واطلبوا الديار والاطلال ودعونا نرد عنكم من ينفر اليكم فمالت الفرسان وساقوا المال وفعلوا تلك الفعال وساقت الاموال وهى من أموال بنى زياد وأخذوا معها من أموال قيس قطعة جيده من النياق وعادوا وقد فرحوا بكثرة الاموال وقرب الطريق والتلاق الا أنهم ما بعدوا من الديار حتى ثار من خلفهم غبار وعلا وثار وكان أول من رآه سبيع بن الحارث فقال له دريد يا أبا النظر ها قد جاءت الخيل وتبعك أصحاب المال وما نحتاج لكشف أخبارهم ولا تتعب فى معرفتهم فعندها وقف دريد وأخوه عبد الله بن الصمه وعشر فوارس أخر مع ذى الخمار وتقدم باقى الرجال

بالمال فلما ان انكشف الغبار و بانت الخيل للنظار قال دريد لسبيع بن الحارث أنظر واوصف لى هؤلاء الفرسان الذى تبعوا من خلفنا الاثر فأنت أقوى منى نظر وأنا قد ضعف منى بصرى من طول السنين والكبر ولكن أعرف كل قبيلة وعشيرة اذا ركبت البر الاقفر فقال سبيع بن الحارث ما أرى الا جيشا متتابع سرباوفرق وفى أوائلهم رجال على خيل حمر وبأيديهم رماح سمر لكنهم قد تركوا الاسنة بين آذان خيولهم وهذا يدل على خوفهم و وبالهم فقال له دريد هذه صفة ما أعرفها الا فى بنى زياد وهى فرقة من بنى عبس وعدنان الا أن تكون فرسان اليمن قد صارت تفعل مثل ذلك فانظر ياسبيع ما وراءهم فقال وراءهم طائفة أخرى على خيول دهما مثل الظلام ورماحهم تجر من ورائهم بغبرا كثراث وهم أهدى من الفرقة الاولى وأكثر ثبات فقال دريد هذه صفة بنى قراد الذى قد نشأ فيها عنتر بن شداد فانظر ان كان قد بقى غيرهم أحد قال نعم على آثارهم فرقة أخرى رماحها مسلولة على أكتافها وهيبة الملك تلوح عليها وهم يدفعون الخيل دفعا ويقلعونها من الارض قلعا فقال دريد بن الصمه واحرباه هذه والله صفة الملك قيس بن الملك زهير واخوته ومن يتبعه من فرسانه الاجواد فانه ان صدقنى حذرى ولم يخطى فهمى فالنعمان قد رضى عنهم بعدما كان غضبان وأنفذ خلفهم الى أرض اليمن وردهم الى الديار والوطن فان كان هذا الحساب صحيح فالرأى عندى ياسبيع رد الاموال والنوق والجمال ونعتذر لهؤلاء القوم ولا يقع علينا عتب ولا لوم ولا يعتب علينا الملك النعمان فى ذلك الامر المذموم الذى لا يحصل فيه الا العتب واللوم فقال سبيع بن الحارث والله يادريد لقد غيرك الكبر وأذلك الزمان الذى عليك عبر وكنت تسمى راحات الحرب وحق الرب القديم ومن هو بأحوال عباده عليم لو حضر الملك النعمان بنفسه الى هنا لما رديت منه عقال وما مكنته منه الا بعد حرب يهد شوامخ الجبال فان كنت أنت تفزع من بنى عبس وعبدهم عنتر والملك النعمان فاتبع أنت الاموال بلا توان واتركنى أنا الاقى بنى عبس الانذال (قال الراوى) فوافقوا على هذا المقال عبد الله أخو دريد وتأهبوا للحرب والقتال فاحتاج دريد ان يوافقهم على ما يريدون وأخذ آلة الحرب وتجرد للطعن والضرب فقال سبيع ابشر بالنصر على هؤلاء العبيد لا سيما ان كان فيهم العبد الشديد عنتر بن شداد الذى له الذكر الكبير فقال ما فيكم أحد اذكر له نسبا ولا حسبا ولا يبدى كلام ولا نظام وخلوا أمرنا يخفى الى أن ينسدل الظلام ونسير تحت غياهبه و يبعد كل أحد منا عن صاحبه فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم تقدموا يطلبون الحرب والكفاح هذا وخيل بنى عبس قد جاءتهم مثل هبوب الرياح والدنيا قد تزلزلت ثم ارتجت من ركض الصافنات وانقلبت باختلاف اللغات والاصوات وكانت بنى زياد فى أوائل الخيل لان المال الذى أخذ كان لهم وهم أصحاب القريحة والاحقاد فتلقاهم سبيع بن الحارث بقلب لا يهاب الرجال ولا يفزع من لقا الابطال ولا من قدوم الرجال وكذلك دريد بن الصمه وأخوه عبد الله ومن كان وقف معهم من الابطال واشتد بينهم القتال وخف حمل الاثقال وهانت الشدائد والاهوال وعظم الويل والخبال وانحطت مراتب السعادة والاقبال ولم يخطر الموت لاحد منهم على بال وصارت بنى عبس تطلب رد الاموال فتجد بين يديها سبيع بن الحارث جبل لا يقاس بالجبال وأسد لا يشبه بأسد الدحال وفى دون ساعة جرى الدم وسال وتمددت القتلا على الرمال وجالت الابطال يمينا وشمال وطرحت الاقيال فى المجال وسال النجيع مثل الرمح العسال أو الرمل السيال ووصل الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان فأبصر جيش بنى عبس قد انكسر وعليهم الفشره فقد عنتر فتعجب من ذلك غاية العجب وقال لمن حوله ياوجوه العرب كل أحد يتحدث عن بنى عبس ويصف شجاعتهم وفعالهم مع عنتر

فقالوا

فقالوا أصحابه أيها الملك الارض ولادة كل من قال أنا أوحد العصر خانه الدهر على ان هذا الفارس الذى فى وجوههم مارأينا مثله ولا عاينا شكله ولا رأينا أحدا من العرب يفعل كفعله لا عنتر ولا غيره ومانظن ان عنتر يقف قدامه ويثبت لحربه وصدامه ياسادة ودام الامر على ذلك الحال حتى اقترب وقت الزوال فرأت بنى عبس الليل قد أقبل ولا بلغت من أعدائها أمل فانتخت لنفوسها وبغضت حماتها وان بنى عبس أطلقت خيلها على عبد الله أخو دريد بن الصمه وكان أسبقهم اليه رجلا من بنى زياد يقال له ذوات بن أسمى فهجم عليه وطعن عبد الله بن الصمه بالرمح فأخرجه من أحشاه وقد أخرج أمعاه وأقلبه عن فرسه وهو يصيح الى أخيه دريد بن الصمه فلما سمع أخوه وعلم بقتله وحاله حمل وأظهر عجائبه وأراد أن يخلصه من تحت أرجل الخيل فسبقه اليه أنس الحافظ أخو الربيع وعمارة وضربه بالسيف ضربة جبار فقضى عليه فأبصر دريد أخاه عبد الله على تلك الحالة فاسودت الدنيا فى عينيه وصار يحمل على الابطال ولم يزل كذلك حتى أهلك من بنى زياد فرسان وفى حملته التى بعمارة أخو الربيع وسبق اليه بهمة عربية وطعن دريد بن الصمه وكان على آخر نفس أقلبه عن ظهر الجواد ولولا تحصيل الاجال وحضور وفاته بالعادة والاقبال ما كان جرى على دريد بن الصمه وأخيه عبد الله هذه المجره من عمارة بن زياد وابن أسمى وانما الله عز وجل أنفذ عليهم أحكامه وأما سبيع فان الفرسان الذى كانوا قدامه من طائفة بنى عبس وانهم ذاقوا مرارة طعنه والضراب ما حير نواظرهم الى أن هجم الليل وأقبل الظلام وهو كلما رأى فارس من الفرسان وقد قارب عليه عاد اليه وناشبه فأشبعهم حربا وبددهم شرقا وغربا وقد ردها بسيفه وخاف أن يأخذ غنيمته من يده بعد ما احتوى عليها ولم أحد من الفرسان قدر يقف قدامه ورد عزمه على بنى عبس وصار يتنهد ويتحسر على ذلك وبنى عبس قد اشتهت ان تفعل به وبفرسانه أقبح الفعال ومارأت على أنفسها أن تخلى بنى عبس حالها الى رجل واحد ولا ينظرهم الملك عمرو بعين النقصان وان بنى عبس لم رأت العودة فقاتلت الى ان أهلكوا الرجال الذى كانوا مع سبيع بن الحارث المسمى بذى الحمار وذوا الحمار رأى بعينه الهلاك من قتال بنى عبس وقد صار يقاتل بنى عبس يوم كامل وتعاجب بنفسه وهو سالم ولو كان أحدا غير بنى عبس كان كثرهم ذوا الحمار وأخذ غنيمته ورجع منهم سالما ولكن قد أبصر من فرسانهم حربا صادقا لم رآه من غيرهم فعرفهم لاجل مالاقا من البوائق وأيضا أبذلوا المجهود فى قتال ذوا الحمار وخلصوا أموالهم منه بعد قتل أصحابه قوة واقتدار وأيضا خافوا من معيرة العرب لهم وأول ما كان يعايرهم الملك عمرو بن هند فصدقوا فى القتال وكان ذوا الحمار قد صار وحيد فريدا غريب فهانت نفسه عنده ووقف عنهم بالبعد فرأى الاموال راجعة وأصحابه مطروحين فى البيداء وقد هجم عليه الظلام فأستره عن عيون بنى عبس الكرام ومازال واقفا حتى عادت بنى عبس عليه وهى عائده باموالها وكانوا قد علموا ان أخوة النعمان يراهم بعين العجز والنقصان وأنها قد اشتهت ان تعرف من فعل بها ذلك الفعال فدخلوا على مكان المعمعة وتقدموا الى القتلا فرأوا الارض ملآنة بالرمم وتبينوا بنى عبس وغيرهم فرؤهم من بنى هوازن وجشم فقال الملك قيس وذمة العرب وشهر رجب نحن ما دهينا الا من دريد بن الصمه وان صدقنى حذرى فان الفارس الذى نجا من بين أيدينا ما كان الا ذوا الحمار وان كان هذا صحيح فنحن والله خاسرين لان العرب كلها قد أجمعت على ان هذا يلقا من الفرسان سبعة آلاف فارس ويكون عليهم رائح ليس خاسس لاسيما ان كان معه صهره دريد بن الصمه فقال الملك عمرو بن هند يا قيس يكون سبيع ابن الحارث فى طبقة اسودكم عنتر عند الحرب والقتال فقال نعم يا مولاى وفى بعض الاوقات يفعل عنتر ابن شداد فعالا يعجز عنها ذوا الحمار وغيره من الابطال فقال الربيع بن زياد ايش هذا المقال ومن

هو عنتر عند هذا الفارس الرئبال وحق ذمة العرب ما يقف بين يديه عنتر ساعة من النهار وما غاب عنتر في هذه النوبة الا من سعادته والا كان ذوالخمار سقاه كأس منيته قال فما تم هذا الكلام واذا بلطمة من الهوى على أصول رقبته كدم الارض بخلقته وأرمت من على رأسه عمته ففتح عيونه من دهشته ثم انه التفت لينظر من هو الذى لكمه واذا به شداد بن قراد أبو عنتر وهو يقول له يا دبوس كم تذم ولدى فى عيبته وتنافق عليه فى حضرته وتفضل عليه من هو دونه ولم يقدر أن يصل الى طبقته ولا يعد من فرسانه ولا من أبطاله وكان يقطع من الدنيا آثاره ولو كان فى هذه النوبة حاضر وشاهد ذلك بالعيان ما كان أحوج أحدا منكم الى حرب وطعان أما نظرت عيناك فعاله وما فعل فى بلاد اليمن وكم دفع عنكم من كل شدة ومحن فأفرق بينهم الملك عمرو بن هند وقال لا بدان أدع أخى الملك النعمان عند عودتى وأتركه يبارز بين الاثنين ثم انهم جدوا فى المسير وطلبوا المنزل الذى كانوا فيه نزول واستراحوا من التعب وأراحوا الخيل الذى كانت تحتهم (قال الراوى) وكان سبيع بن الحارث قد نزل عن جواده وقد قصد بين يديه فى الليل البر حتى انقطع عنه حس بنى عبس وخلا له البر وبقى متفكر فيما جرى كيف تؤخذ غنيمته منه غصبا وما زال الى الصباح وعول على الانصراف وفى قلبه النار التى لا تطفأ لاجل قتلة دريد وعبد الله فلما عول على ذلك فاطاوعته نفسه ولا طاب له أن يروح ويخلى دريد فى البر مطروح فى عرض البيداء ممددا بين القتلا لعدة ثته نفسه أن يحمله الى الاحياء فعاد على الاثر وجد فى سيره حتى وصل الى مكان المعمعة فدار بين القتلا على دريد فرآه ملقى ودمه يسيل وهو يصيح ويطلب النهوض فلا يقدر على ذلك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك ان الملك قيس وسادات بنى عبس لما نظروا الى دريد وهو ملقى وقفوا عنده لاجل يعرفوه وقد حققوه وانصرفوا وتركوه وكان آخر من وقف عليه عمارة بن زياد وأخوه أنس وقد نظروا الى عظم خلقته وكبر جثته فتعجبوا منه وقال عمارة ما كانت هذه الطعنة الا طعنتى وفى الحال ترك سنان رمحه فى مكان الطعنة وهو يرتعش وينتفض ثم انه قوى قلبه وكبسها فجاءت سوى بسوى فقال عمارة هذه طعنتى وذمة العرب ورافع السماء ثم انه كبسها ثانى مرة فى ذلك المكان وصار الدم يجرى مثل فم القربة لان الدم كان أحبس فى جوفه وسار عمارة الى أبياته فلما ظهر الدم من جسد دريد أفاق على نفسه وفتح عينه وصار من حلاوة الروح يطلب الجلوس وهو لا يقدر على ذلك فوصل اليه سبيع بن الحارث بعد انصراف عمارة من عنده فوجد دريد على هذه الحالة فشد جراحه وسنده حتى قعد وتكلم وقال له يا سبيع ما أظن الذى طعننى الا مريض أو مطنجر من طناجرة العرب فما كانت طعنته بالغة ولو كانت طعنة شجاع كانت أخرقت أحشائى فقال له سبيع يا أبا النظر الآن كان الذى كان وسوف أريك ما أفعل ببنى عبس وعدنان بعد ما قتلوا أخاك عبد الله وقد أثاروا الدماء بيننا وحق الكعبة الغرا وأبا قبيس وحرى لا أبقيت من بنى عبس أحد ثم ان سبيع ركب دريد على بعض الخيول الشاردة وقد فرح بسلامته (قال الراوى) هذا ما جرى لدريد بن الصمه وأخيه عبد الله وسبيع بن الحارث وأما ما كان من بنى عبس فانهم وصلوا الى منازلهم واستراحوا باتوا تلك الليلة وعند الصباح استشار والملك قيس فى أمر الرحيل فقال لهم اتركونى فان هذا الامر قد حوت فيه واذا رحلت أخاف على حامية القبيلة عنتران يرجع فلا يرانا وربما يقع فى أمر صعب فلا ركن له ولا معين وان أقمت هاهنا فما أدرى ما يطرقنى من النوائب (قال الراوى) فلما تكلم الملك قيس بهذا الكلام تقدم شداد بن قراد وقال له أيها الملك ان كنت عولت على الرحيل فارحل فان ولدى عنتر أوصانى بذلك وهو يا ملك يلحقنا الى ديار بنى عامر وانه ما يعود حتى يكشف خبر عروة بن الورد فلما تكلم شداد بذلك قال الملك والله هذه عادته ما يعالج لامور ه

الا

الا بنفسه من غير أن يعلمنا وأنا ما أرحل من هاهنا حتى أسمع خبره فتقدم عمارة بن زياد الى الملك قيس وقال له مالنا أصوب من الرحيل وأما عنترفانه ما يبال مادام معه مقرى الوحش وأخوه شيبوب قال وكان عمارة ابن زياد قد نظر الى نفسه بعين عظيمة لما ان رأى دريد مطر وحامن طعنته وكان اذا خرج من المضارب يهز أكتافه ويخلع أطرافه ويلعب بهم ولما قال هذا الكلام قال أخوه الربيع بن زياده ذا هو الصواب الذى ذكره عمارة الوهاب لان معنا رجالا كثيرا وهم ضعفا ومجروحين وما زال الربيع وأخاه عمارة على مثل ذلك حتى استحى الملك قيس بن الملك زهير وأقام بالناس فى ذلك المنزل بقية الثلاثة أيام ولما ان مضت تلك الايام رحل وقلبه عند الامير عنتر بن شداد لئلا يحدث فيه أمر من الامور لانه لم يسمع له خبر ولم يبلغه عنه جلية أثر ﴿قال الراوى﴾ وعند الرحيل تولى الهطال ابن أخت الامير عنتر خدمة الاميرة عبلة بنت مالك بن قراد ومسيكه زوجة الامير مقرى الوحش فارس النياق وأخوها عمرو وشداد بن قراد فارس جروه وحامى النسوه ورجال عروة بن الورد ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان وأما ما كان من الامير عنتر سيد الفرسان فانه فى الليلة التى أخبر فيها بفقد عروة أبا الابيض ابن الورد فانه بقى قلقان القلب خائف عليه لئلا يكون حصل فيه أمر من الامور فأخذ صحبته مقرى الوحش وأخوه الامير شيبوب وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا فاطلع عليهم النهار الا وهم فى الارض التى كان يتصيد فيها عروة وضاع منها فعند ذلك افتقد شيبوب أثره وسار يركض الارض يمينا ويسارا وأيضا سار يسأل عنه من السفار فى الليل والنهار فى البرارى والقفار والسهول والاوعار ويرجع الى أخاه عنتر الفارس الكرار بلا فائدة ولا أخبار ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل كذلك على هذا العيار مدة ثلاثة أيام ليلا ونهار فلما ان كان فى اليوم الرابع ترك أخاه عنتر ومقرى الوحش فى بعض الاودية وأطلق قدميه للريح وطلب البر الفسيح وسار كأنه الريح الهبوب الى ان خفى عن الابصار ثم انه طلب البر فرأى مضارب وخيام فطلبهم ليأخذ أخبار الامير عروة بن الورد وما زال يركض حتى أنه قارب خيام القوم واختلط بعبيدهم وصار ينادى برفيع صوته يا بنو الخالة حييتم وحيي عرب أنتم منها فأنتم السادات العظام والفرسان الكرام وأنا يا وجوه العرب رجلا فقير الحال وذو عيال ووحيد وليس لى سند وقد ضاع لى خمسة من الابل النياق السمان وفحلا من الابل عظيم الشان وقد شردوا منى من بين المضارب والخيام وأصبحت من أجلهم هائما فى البرارى والاكام فقالوا له وذمة العرب الكرام يا بن الخاله ما رأينا شيأ من ذلك هذا وقد داروا من حوليه وسألوه عن حاله وعربه ومن يقال لمولاه فقال لهم اعلموا انى من بنى دوران وصاحبى يقال له هابيل بن عبد اللات وهو رجل سيئ الخلق وما أقول الا أنكم تعرفوه أكيد المعرفه وكان شيبوب قد سمى لهم رجلا من تلك الارض ثم انه بكى وأن واشتكى وقال لهم يا بنو الخاله اعلموا انه كان قد سلم الى أمواله ونوقه وجماله وقد ألزمنى بحفظها ورعايتها ومدارتها والدوران بها وألزمنى ما ليس لى به طاقة وما زلت على مثل ذلك حتى غفلت عن النوق فخرج منها عشرة وشردوا وقد خرجت أدور عليهم فى تلك الاماكن الى أن أرمتنى عليكم المقادير واعلموا انى ما أطلقنى وخرجت أدور عليهم الا بعدان أقت لى ضامنا يضمنى والى الآن ما ظفرت بهم ﴿قال الراوى﴾ ثم انه بعد ذلك الكلام أظهر لهم الذل والانكسار وأجرى دموعه وصار يبكى ودموعه غزار فلما رأوه العبيد على ذلك الحال رقوا له وقد رحموه وأخرجوا له من زادهم وأطعموه وبعد ذلك جلس يحادثهم وينادمهم ويطاولهم الاشعار ويحكى لهم على ما جرى للرجال الذين تقدموا من الحكايات والاسماء ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد نظر شيبوب الى دخان طالع من جانب حلتهم وحولهم جماعة كثيرة وجمع غزير وأهل الحى فى فرح

ومسرور وبهجة وحبور وصياح عالى وهم يزعقون فقال شيبوب لواحد من العبيد اليوم عرسا أو وليمة فقال له أحدهم لا ياوجه العرب وما الذى قد بان لك من العرس وانما صاحبنا صميد وقع فى يده من بنى عبس رجلا وقال انه ماله شيأ من المال يشترى به نفسه ومن غيظ صاحبنا صميد لما بلغه عنه وعن قومه وما فعلوا فى أرض اليمن قد عول على هلاكه وقال ما أقتله حتى أعذبه بالنار وأشفى منه قلبى وقلب هذه الديار والدخان الذى تراه من شأن عذابه لان الامير صميد قد أمر عبيده أن يوقدوا النار ويضعوا الجمر حتى يحمى ويوضعوا عليها هذا الرجل العبسى حتى ينسر لحمه من عظمه فلما سمع شيبوب ذلك الخبر احترق قلبه على عروة بن الورد وقد فرح بظهوره ثم قال للعبيد والله يا بنو الحالة لقد أخطأ صاحبكم فى حرق هذا الرجل بالنار وان حرقه جلب لكم البلاء والدمار لانى أنا اليوم التقيت طائفة من بنى عبس يدورون عليه ويسألون عنه فقال لى فارس منهم طويل أسود بعد ما شرحت له حالى وضيعان جمالى وقال ان وقفت اصاحبنا على خبر ووقعت له على أثر خلفنا عليك ما ضاع منك وأعطيناك ما تشترى به نفسك وتعيش به باقى عمرك وها نحن فى هذا المكان مكمنين حتى نسمع له خبرا لاننا قد أنفذنا جواسيس الى سائر المحلات ولابد ما نقع بالحلة التى تراه فيها وندمرها تدميرا وأنتم تعلموا ان المال محبوب وانا رجلا صعلوك منكوب ولكننى ما أختار بنى عبس على أهل اليمن ولا تتكامل الافراح حتى انه لم يخرج أحدا منهم من أرض اليمن ويرجع سالما لاجل ما فعلوا بأهلنا والصواب عندى أن يركب صاحبكم برجاله ويسيرا الى هؤلاء العبسيين بالطائفة الذى معه ويكبسهم فى الكمين ويضع فيهم السيف ومن وقع فى يده منهم يحرقه بالنار مع هذا الشيطان أو يبيعهم أنفسهم بالمال لان أموال اليمن قد عادت كلها مع بنى عبس وهم فى أرضنا عابرين وفى سيرهم مجدين ومافيهم من يلتفت الى صاحبه من شدة التعب ولو لم يكن هذا الرجل عندهم عزيزا ما كانوا أنفذوا خلفه هذه السريه قال فلما سمعوا العبيد هذا الخطاب والكلام من شيبوب فرحوا فرحا عظيما واستحسنوا ما ذكر وقالوا له والله يا غلام لقد خرجت من بيتك فى وقت سعيد ونحن نعلم سيدنا صميد يعطيك كل ما تريد ان أنت أوقفته على سرية بنى عبس لانه عليهم يتجرع مثل المرأة الثكلا أو كالحية على المقلا لاسيما ان كان فيهم حاميتهم عنتر فقال شيبوب يا بنو الخالة أنا ما أعرف منهم أحد لكننى نظرت مع هؤلاء القوم عبدا اسود طويل عريض غائص فى الزرد النضيد والذى معه سد من حديد فان كان اصاحبكم غرض فامضوا اليه واعلموه بهذا الخبر وقولوا له يركب فيمن يريد حتى ندركهم وندرك هذا العبد الاسود الذى قلتم انه عنتر قال فعندها تجارت العبيد تطالب الحلة وكان كل واحد من العبيد يريد أن يسبق الآخر لاجل أن يأخذ البشارة وصياحهم قد علا وتجاج البيد قد ضاقت منه أرض الفلا فلما أبعدوا عن شيبوب عاد هو على أثره وأطلق رجليه مثل الريح الهبوب وطلب أخاه وكان غرضه بذلك المقال اشتغال القوم عن حرق عروة ابن الورد وتقع المهلة عليه الى أن يعود هو الى الامير عنتر ويخبره بذلك الخبر لان شيبوب لما سمع من العبيد أن سيدهم صميد قد أحمى النار لعروة ويريد يحرقه عند الصباح ويضعه فوق الصخر وخاف أخاه لم يلحقه فاشغل قلوبهم بهذا الحديث ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى وقوع عروة بن الورد فى يد هذا الفارس فانه كان قد أخذ أصحابه وخرج على حرس الاموال وحفظها كما ذكرنا وأراد بذلك التخفيف عن قلوبهم وترك رجاله فى المرعى وتولع بالصيد وأخذ فى طرد الوحش حتى قارب زوال الشمس وأراد أن يركض ويعود الى أصحابه وكان قد أبعد فى البر عنهم واتسع فى الفلوات الخاليات فاتفق له هذا الشيطان وهو عائد من بنى هوازن ومعه هذه الفرسان وأموال كثيرة وهو فرحان فلما رأى عروة وهو فى البر بهم فقال للفرسان الذى كانت معه وكانت أوفى من ألف فارس يا ويلكم هذا البر ما أعرف

أحدا

أحد فيه ما كنا وأرى هذا الفارس فيه وحيد فريد فدونكم وإياه ولا تعودوا الا به حتى نبصر حاله ومن أى العرب هو فعند ها تجارت الفرسان الى عروة بن الورد ودارت حوله الرجال والشجعان وكان عروة من الصيد تعبان وصار يدفع عن نفسه ويمانع حتى جرح وأخذ بعد قتل جواده وسار به قدام سيدهم صميد فقال له من أى الناس أنت فاخفى عروة نفسه فزعا من عطبه وقال يا مولاى أنا رجل من أرض العراق من أصحاب الملك النعمان وأنا ما دخلت هذه الارض الا فزعا منه لانى قتلت له قتيلا يعز عليه ان هذا الملك مطاع وعلمكم ان قبائل العرب تطيعه ولا أحد يجيرنى من يده فدخلت الى تلك الارض هائما على وجهى ولا أدرى أين التجى ولا ممن أطلب فرجى وها أنا قد وقعت فى يدك وأنقدت اليك فان كنت ترحمنى وتحلم على كان والا فافعل ما شئت لانى لى أيام ما شبعت فيها من طعام بين الملى ولا أقتات الا من وحش الفلى (قال الراوى) فلما سمع مقدم السريه صميد كلامه رق له وأراد أن يطلقه فعرفه بعض أصحابه وقالوا له يا أمير لا تسمع كلامه فانه محال وهو أشد الرجال هذا يقال له عروة بن الورد العبسى وأنا قد رأيته فى بلاد الحجاز مرارا وأبصرت قتاله تحت القتام والغبار ولو لم يكن تعبان وجواده قصر وقاتلناه ما كنا قدرنا عليه بوجه من الوجوه وكان يهلك منا أكثر من نصفنا وهو فى الشجاعة فى مكان عظيم وفى البراعة بقلب جسيم قال فلما سمع صميد بن مانع هذا المقال اهتز فى سرجه ومال وقال يا لها من طريق ما كان أسعدها وأقلها خطر وذمة العرب هذا صديق عبد بنى عبس عنتر بن شداد ثم انه أوقف عروة بن الورد على ذلك فانكر ولا عاد عن قوله الاول ولا بدل ولا غير فقال صميد ابن مانع لاصحابه شدوه على ظهر جواده واياكم أن تقصروا أو تفتروا رباطه وشداده ولا تتوانوا عن ذلك حتى أنه يقر بالذنب الذى هو فيه ويتكلم بالصحيح ويخبركم بما كان فيه من غير تلويح ثم انه أخذه معه وسار هو وقومه ولم يزل سائرا حتى أنه وصل الى دياره وقد قر قراره فعند ذلك أولم وليمة لها قدر وقيمه الى قومه ثم انه بعد ذلك فرق عليهم المال الذى أتى معهم ومازال كذلك الى أن فرغ قلبه مما كان فيه ثم انه عاد الى عروة بن الورد ونزل عليه بالضرب الشديد والعذاب الاكيد حتى انه أقر من كثرة الضرب انه من بنى عبس وعدنان أسود الغاب ورجال الطعن والضراب التى تصفهم العرب بفرسان المنايا والموت الزوام وقال له أنا كنت قاصد الى الملك النعمان ملك العرب رسولا من عند صاحبنا الملك قيس بن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وكان معى كتاب الى أخته المتجردة زوجة الملك النعمان يسألها عن قومها وتسأل بعلها الملك النعمان حتى يردهم الى أرض الحجاز لاننا ما دخلنا الى أرض اليمن الا خوفا من سطوته وها أنت قد أعقتنى وعن طلبتى عوقتنى وأنت ان قتلتنى خلفى من يأخذ بالثار ويكشف العار الذى يقطع الاصول ويطفى لهيب الاكباد وهو الامير عنتر بن شداد حامية بنى عبس الاجواد وسيد آل قراد (قال الراوى) فعند ذلك قال صميد بن مانع يا كلب بنى عبس لو أنك أنت تكون الملك النعمان بن الملك المنذر ما عدت ترى من الاسر الا أنواع العذاب والنكال وعاداتنا ناقى الابطال فى البر بأسنان العوال وأنت بعد ما سمعت بصميد وأصحابه ولا ذقت واطعنه وضرابه ولابد أن تذوقوه منه فوحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لاشفين منك ومن أصحابك قلب كل من فى بلاد اليمن ولاشربن من دماكم كما يشرب الانسان اللبن لان حديثك وحديث صاحبك عنتر الاسود والبغل الانكد عبد بنى عبس قد وصل الى بالتمام والكمال وأيضا سمعت عنكم كم من حملة قلعتم وكم من جموع فرقتم وكم من عشيرة قتلتم لاسيما يوم وقعة عقبة الفروق وأرض المصانع وقول أسودكم عنتر هذه الابيات

اذا كشف الزمان لك القناعا * ومد اليك صرف الدهر باعا * فلا تخشى المنايا والتقيها

ودافع ما استطعت لها اندفاعا * وفى أرض المصانع قد تركنا * لنابغما لنا خبرا أشاعا
أقمنا بالدوابل سوق حرب * وأشهرنا السيوف لها متاعا * ورمحى كان دلال المنايا
نغاض جوعها وشرى وباعا * ولو أرسلت سيفى مع ذليل * لكان بهيبتى قرما شجاعا

(قال الراوى) ثم قال ياعروة واأسفاه الذى ما كنت فى هذه الوقعة حاضرا وناظرا حتى كنتم تنظرون منى حقيقة الحرب وقوة الطعن والضرب ولكن تم ذلك بسعد عبدكم وقد بلغنى أيضا بعد ذلك ما جرى لكم فى القتال فى أرض أمياعر اعرو ما وقع بينكم وبين الملك مسعود بن مصاد الكبير وسمعت أنك أنت ياعروة وصديقك عنتر بن شداد كنتما تركضان على الناس وعنتر يخوض الحرب ويخوض جوعها وهو يحرضك على القتال وهو يقول هذه الابيات

عروة بن الورد ليث عبسى * كن آمنا من غلبات الانس
الا ترانى قد بذلت نفسى * للموت حتى يطمئن عرسى

وهذه الابيات ما تزول ياعروة عن قلبى أبدا الا أن التقى بهذا العبد الولد الزنا وأكافئه على ما كان منه فقال له عروة ياصميدان شاء رب هذه السماء الزرقاء أن يجمع بينك وبينه وتشاهد منه عيان حريا تتعوذ منه الانس والجان والله ياصميدان هذه البغضة التى قد ثبتت فى قلبك هى التى تكون سببا لضرب رقبتك لانى أعلم مرادك تقتلنى وان سمع عنتر خبرى فلا بد يأتى ويأخذ بثارى وسوف ترى رجلا لا تشابهه الاسود من الرجال ولا تشابهه الارواسخ الجبال ويكون ذلك ياصميد قدامى حتى أنى أذكرك بذلك لان هذا الرجل اذا كان قدامه الالف أو الالفين أو العشرة بالسوى لانه أسد أدعر أرغم يبدد شملهم كما يبدد الذيب شمل الغنم وفى ذلك الوقت ترى والله وتندم حيث لا ينفعك الندم اذا قاتلت هذا الفارس الادهم الذى قد ذل ملوك اليمن وقهر الامم وما كنت أشتهى الا أن أكون بعد هذه الكلام بالحياة وأنظر بعينى تشتيت شملك فى الصحراء غربا وشرقا وتبقى أنت لوحش البرر زقا وبعد هذا افعل ما تشاء وما تختار ودبر ما تهوى (قال الراوى) فلما سمع صميد ذلك الكلام زاد غضبه وكثر غيظه وأقسم بربه انه لا بد له أن يحرقه ثم انه أمر غلمانه أن يجمعوا له الحطب ويحموا له الصخر الجامد وقال ان أنا أمهلت عليه يقولوا العرب انى قد فزعت من عبدهم الاسود وقد تركته بالحياة حتى أفدى به نفسى ولا بد لى ما أبرد كبدى بحريق كل من وقع فى يدى وعلى الحقيقة أشرف عروة بن الورد على الهلاك وسوء الارتباك ولما قال لعبيده ذلك المقال فانهم أوقدوا النار على الصخرى حتى صارت مثل لظى الجمر وما وصلوا العبيد الى سيدهم صميد الا والصخرة قد صارت ممزوجة بالغضب وبقت شبه النار التى توقد وما بقى الا أن يحملوه ويتركوه فوقها حتى أنه يذوب فقالوا له العبيد أبقى يا مولانا على هذا الرجل العبسى لقد أتاك من يرشدك على رفقاه وأتاك الامر كما تريد وقد وصل رفيقه الاسود الشيطان المريد وقد أتاك من يرشدك عليه ويوصلك اليه وتأخذ روحه من بين جنبيه ثم انهم أخبروه بحديث شيبوب فكاد قلبه من الفرح يذوب فركب وصاح فى الخيل فتبادرت اليه الابطال وقد اعتدت للحرب والقتال وسألوه عن الحال فأخبرهم بما سمع من عبيده من المقال وأبقى عن عروة العذاب والنكال ثم سار الى المرعى والمناهل النابعة والخيل خلفه متتابعة فلما وصل قال للرعيان وأين العبد الذى قد أخبركم بهذا الحال ائتونى به وبشروه منى بالتى اذا هو أوصلنى الى بلوغ المنى فعند ذلك سارت العبيد فى أثر شيبوب وتفرقوا فى طلبه فما رؤه فزاغت عينهم فى البر والفلاه وقالوا لسيدهم صميد ها هنا تركناه وما ندرى أين مضى فى واسع الفضا فقال صميد وحق الرب الكبير المتعال ما كان هذا العبد الا مكار محتال فان صدقنى حذرى فانه من عبيد بنى عبس وما أتى الا جاسوس من

الكمين

الكمين التى قد ذكره لكم والساعة ترون الجيش وقد ظهر وفى أوائلهم زعقات الاسود المسمى بعنتر
(قال الراوى) ثم انه فرق الابطال الذى حوله فى أقطار الارض وقال لهم دوروا على هذا العبسى الذى
طرق هذه الديار ثم خرجت الرجال تطلب الاودية ورؤس الجبال وكان عدتهم يومئذ ألف ومائة
فارس فانقسموا الى ثلاث جهات وخبوا فى اقطار الفلوات وكان شيبوب قد عاد الى أخيه عنتر
وأخبره بالاخبار وقال له يا أخى الحق عروة بن الورد والا ما تلحقه الا وهو محروق لان هذا الشيطان الذى
قد ظفر به أراد أن يحرقه وأنا حدثت الى عبيده حديث وقد سارو ا يعلموه به وأنا أقول انه يشتغل عن
هلاكه وربما ركب هو وأبطاله فى طلبنا فدبر الآن ما ترى من قبل ان تقوم عليك الخيل فقال عنتر وايش
بقى هنا تدبير غير طعن الصدور وضرب الاعناق والنحور ولكن ياشيبوب كم يخرج من الحى من
الفرسان لانى أعرف أنك خبير الابطال بالعدد ولكن مالك على لقاهم صبرا ولا جلد فقال شيبوب
وقد اغتاظ من كلامه والله أنا أنجع منك يا أسود والله لا أعرفك قدرك وأجازيك على قولك فعلم
عنتر انه اغتاظ فطيب قلبه ومسح اعطافه الى أن هدت أخلاقه وزال ما عنده من الغيظ فقال
شيبوب أما الحملة يا أخى فيخرج منها ألف فارس ومائتين صناديد غير المشايخ والعبيد وأما أنا فانى
أقوى منك وأنهض يا ابن شداد وأيضا أظهر فى الامور الشداد لانى اذا القيت الاعداء قاتلت جهد
ما أقدر عليه واذا كثر على الجمع نجيت وأخلى الديار الى أهلها وأما أنت اذا قتلوا الاعداء جوادك بقيت
مثل الحرمة اذا استلموا سيقانها أنت وغيرك وأريد من اليوم ان أعرفك وأدعك وأخليك تتلقى
المصايب بنفسك حتى أنظر هذه الشجاعة الذى أنت فيها وتذل بها الفرسان يا ابن زبيبه وبعد ذلك
أقول ان الخيل الساعة تطلبكم وتفرقت حولكم فرق وأنا أى فريق رأيته أغدر أشقته فى البر الاقفر لان
الفرقة التى تكون قسمى وقفت بالبعد منها وأومى اليها وأسير الى بعض الجهات وأعدو بين يديها
وألوح بكمى اليهم كأنى أدلها على الكمين وأخليهم فى البر مشتتين لانهم اذا أتوا على فما يلقونى
ولا يلحقوا لى أثر ولا يقفون لى على خبر (قال الراوى) وبعد هذا المقال ركب عنتر ومقرى الوحش
وخرجا من الكمين كأنهما أسودها ئمين الا أنهما ما انبسطا فى الصحراء حتى انهم رأوا حسيس البغال
فى أقطار البيداء فقال شيبوب دونكم الآن والاعداء فعندها صاح عنتر وقصد الى بعض الطرق
ومقرى الوحش فى أثره وأما شيبوب فانه سار الى الفرسان وأوسع قدامهم فى القفار وكان قد بقى من
القوم خمسمائة فارس مع مقدمهم صميد فلما رأى عنتر ومقرى الوحش قال لاصحابه يا ويلكم هذا أول
الكمين قد ظهر واليوم أريكم قتال الهجين المسمى بعنتر فدونكم واياهم حتى ننظر من يغلب وهما
الاثنين وان طلع غيرهم نأخذهم على أطراف القنا حتى ننظر حديثهم فأطلقوا نحوهم الاعنه
وقوموا الاسنه فالتقاهم وحده مقرى الوحش ووقف عنتر الفارس الغضنفر فلما طلع عليهم الغبار
ما دام غير ساعة واحدة حتى قتل منهم مقدار خمسين فارس وتأخرت عنه الباقين وقد طلبوا الفرار
واذا قد ظهر غبار الخمسمائة فارس الذى كانوا خلف شيبوب وحملوا فى معونة أصحابهم هذا وقد حمل عنتر فى
أوساطهم وقد ضرب فيهم وفى وجوههم وظهورهم وأجنابهم وفرق شملهم فلما نظر مقدمهم صميد الى
هذا الحال حمل على مقرى الوحش بجنانه وبرز لقتاله وحملت معه أصحابه فتلقاهم مقرى الوحش بجنانه
وجرد فيهم حسامه وبددهم بسنانه وأبرا بسيفه أعناق الرجال الذى قصدته عن يمينه وشماله فرأى
ذلك اليوم منه عنتر ما شد ظهره وزال همه وفكره وعلم أنه يقدر على الخيل الذى احتاطت به ولكن
أراد الانجاز فزعق فى ذلك الجمع فتبدد وقل عن مقرى الوحش العدد وما وصل الى مقرى الوحش
حتى انه قتل سبعين بطل وطلب صميد مثل الاسد وصاح فيه صيحة ارتج منها السهل والجبل وقال

له ويلك ياقرنان وابن الف قرنان أنت الذى عزمت على حرق صاحبى بالنار ابشر اليوم بخراب
الديار وقلع الآثار وحلول الدمار فأنا عنتر الفارس الكرار مبيد الفجار والاشرار ثم انه طعنه بعد
ذلك الكلام شك سنان الرمح فى أضلاعه فأخرق أحشاه وبدد أمعاه وصار عبرة لمن يراه وبعد ماقتله
فرق مقرى الوحش أصحابه وخلانه وقد نفروا من ضرباته وصاروا يطلبون الخيام والطعن فى ظهورهم
يسابق رسل الحمام الا أنهم ماقاربوا الديار حتى ظهر من بين أيديهم فارس كرار وقد انحط على الرجال
أخف من ذكر النعام وهو يصيح ويشير اليهم الى أين ياأولاد الزنا تطلبون الهرب وقد نزل عليكم البلاء
والغضب ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الفارس هو عروة بن الورد وكان السبب فى خلاصه شيبوب وهو انه
لما خرج أخاه من الكمين وقد أبصر الناس عن الخيل متفرقين فى أقطار البيداء فقصد هو الى بعض
الطرقات صار يصيح بأعلا صوته ويشير اليهم بأكمامه فظنوا أنه يدلهم على الكمين فتبعوه ولم يزل
بهم حتى ضيعهم فى البر الاقفر ورجع هو الى الاحياء لما علم ان القوم قد اشتغلوا بالقتال ولم أحد انوعى
على أحد وقد وجد عروة بن الورد مشدود بالقيد مقيد بالكتاف موثوق وهو فى أشد الضيق
فدنا منه وقطع كتافه وأتاه بجواد من خيل صميد وعدة كاملة من عدد القتلا المطروحين ولما خلص
عروة وصار على ظهر الجواد ومعه آلة الحرب والجلاد عاشت روحه بعد الاياس ورجعت روحه اليه
وقد التفت الى الامير شيبوب وقال له لله درك ياشيبوب ودر أخاك عنتر الفارس القسور والفتى المشهور
﴿قال الراوى﴾ ثم انه همز الجواد وقد خرج من الحى وطلب البر والاكام والحى قد انقلب بالصياح
والبكا والعديد والنواح حتى انه ملا الارض والبطاح قال فلما رأى عروة بن الورد وقد خلص فطلبوه
العبيد من اليمين والشمال ودار وا به من جميع الاماكن والجهات وقصدوه من سائر الفلوات فلما
رآهم عروة قال لهم والله خابت آمالكم وصار يطعن فيهم برمحه ويضرب بسيفه وشيبوب من بين يديه
يضرب بخنجره وقد صاح فيهم فطلبوا الهرب وقد حل بهم العطب ومازال يركض خلفهم بالجواد حتى
انه رأى فرسانهم رجعوا على الاعقاب وهم يندبن على الاهل والاصحاب وقد عرفوا أن لا طاقة لهم
بحرب أبى الفوارس عنتر بن شداد وقد عاينوا الموت من صورته وتعجبوا من صولته وفروسيته
وهجومه على الفرسان فى المجال وصولته وقد ارتجفت منهم القلوب وكادت ان تذوب وتقطعت
الاكباد والامعاء وكثرت منهم الزعقات ﴿قال الراوى﴾ فعندها سمع الامير عنتر بن شداد صوت أخاه
شيبوب وهو يصيح فعرفه وقد علم انه خلص عروة ابن الورد من هلاكه وتلفه ورأى المنهزمين قد دارو ا
من كل جانب ومكان فحمل عليهم حتى أنه أدخلهم الى الابيات والمضارب بعد ما قاسوا منه الهموم
والمصايب واجتمع الامير عنتر بن شداد بعروة بن الورد وقد هنأه بالسلامة وقال له ياابن العم وحق ذمة
العرب وبحق شهر رجب والرب القديم الذى اذا طلب جميع العباد غلب لو كان تم عليك أمر من
الامور ماخليت فى هذه الديار والارض فارس يدور ﴿قال الراوى﴾ وقد علمت فرسان الحلة بقتل
مقدمهم صميد فنادوا بالويل والثبور وعظائم الامور وخافوا أيضا النساء والبنات من السبى والانتهاك
فخرجوا الجميع الى بين يدين عنتر مرخيات البراقع منشورات الشعور يطلبون من عنتر الامان على
مدا الدهور والازمان وكان عنتر قريب المرجوع وعلى النساء غيور فقال لمقرى الوحش ياأخى ان
صاحبنا خلصناه ومن حرقه انجيناه وعدوه قد قتلناه وانهتاك النساء ظلما وعدوان وماهو من
شأن الفرسان ولاسيما جوارا وعدوان ونحن طالبين الديار والاوطان والمسافة بين أيدينا بعيدة
وأقول ان أهلنا رحلوا من المكان الذى خليناهم فيه وان اشتغلنا عنهم بسوق الجمال والتياق والتعمال
فما ندرى ايش يتم على قومنا فى هذه الديار والاطلال وأنا الرأى الذى عندى فيه الصواب والامر

الذى

الذى لايعاب ولايزمه أحدا من الناس عودتنا وقطع الطريق الذى مالنا فيها خل ولاصديق ولا خليل ولارفيق فقال له مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو أنهم أعطونى نوق ما فى الارض ماسقتها ولولا أخى عروة بن الورد لما كنت وطئتها ولا كنت خليت مسيكه ولافارقتها ثم عادوا وقد عفوا عن الحريم والعيال وما تعرضوا لها بشئ سوى قطعة من الخيل العوال حتى انهم يركبوها ويريحوا خيلهم بجانبها ثم انهم جدوا المسير فى الطريق وهم راجعين على أعقابهم وركبوا الطريق الواضح وهم لايصدقون ان يروا قومهم وعيالهم وعروة بن الورد لايكل لسانه بالمدح فى عنتر وقد أشار يقول

أبا الفوارس أنت الضيغم البطل * مردى الاشاوس بالعسالة الذبل
وهازم الخيل والابطال قد نشرت * منها الجماجم يوم الخوف والوجل
وطاعن الفارس الحامى كتيبته * وناصر الجار من بؤس ومن ذلل
لولاك ما افتخرت بنو عبس وما شرفت * على القبائل فى سهل وفى جبل
ولاغدت قبة البوزاء تحسدها * على علاك ولا المريخ مع زحل
ولاسما ذكرها فى العرب أجمعها * ولاعلا ذكرها لولاك من رجل
فكل من رام حربا أنت قاهره * بالسيف والرمح فى قلب وفى مقل
كم وقعة لك الابطال أجمعها * تبغى الفرار ونار الحرب تشتعل
ياطاعنا بالقنا فى كل معركة * يامشعل السيف تحت النقع فى القلل
كم بحفل عرمرم فرقت شملهمو * فانجلا نظمها من سيفك الصقل
وكم من فريق بغى فرقت شملهمو * وصاروا حيارى من شدة الوجل
وأنت أشجع من يرجا اذا حميت * نار الوطيس ونار الحرب فى الحلل
وأنت أشجع من فى الناس كلهمو * يوم الحروب بطعن مذهب الاجل
لولا سنان سيفك الضامى لما رفعت * أبناء عبس عماد ا قط فى الدول
خلصتنى من حياض الموت مقتدرا * وكنت لى أملا باغاية الامل
فلا عدمتك ما ناحت مطوقة * ورقا وما هطلت سحابة الغيث بالبلل

(قال الراوى) فلما فرغ عروة بن الورد من شعره ومدحه لعنتر شكره واثنى عليه واطنب فى شكره ولازال السائرين وخيلهم اجتنبوها وركبوا غيرها حتى وصلوا الى أمياه حومل فنزلوا هناك للراحة واستشوروا فى أمر بنى عبس ان كانوا يلحقوهم أم لا فقال شيبوب وحق من علم آدم الاسماء وأتقن الاشياء وأنار الظلماء ان كانوا قد رحلوا من بعدنا بثلاثة أيام وسمعوا عن أخى عنتر خبر أنا الحقكم بهم فى البر الاقفر بعد يومين آخر فقال عنتر ويلك كيف تفعل اعلمنا حتى اننا نعلم بهذا الحال فقال ما أبين لك ذلك حتى نقع على آثارهم ونعلم بأخبارهم والرأى عندى أن تقيموا أنتم هاهنا وتأخذوا الراحة حتى أسير أنا على نواحى جبال صاروخ ورمال عالج ومن هناك آتيكم بالاخبار واكشف لكم الآثار ثم انه بعد هذا الكلام اخترق الظلام وهام كأنه ذكر النعام فلو رآه فى ذلك الوقت انسان ظن انه شيطان وصار عنتر بعد ذلك يلوم نفسه ويقول لو كنا بعد خلاص عروة بن الورد عدنا الى الغدران والامياه التى تركناها ومنا عليها كان أريح الى قلوبنا ولكن التفريط كان منا لاننا ما جعلنا بيننا وبينهم موعدا نلتقى فيه فقال مقرى الوحش لاشئ فى هذا يا أبا الفوارس فما يشق علينا الا اذا قطعنا منهم الاياس فان قصدنا ديار بنى عامر والاطلال فان لابد منها على كل حال فقال عنتر هذا شئ لا أعرفه ولا أفعله اذا أبدا ولا أرضا لنفسى أن أنزل على قوم ادما هم طرى على سيفى وأنا لا مراعاتى لملك قيس وحياء من عمرو

ابن هند أخوا الملك النعمان ما كنت خرجت من بلاد اليمن وتلك المناهل والدمن بعد ما أزل فرسانها وشجعانها وكنت ملكت بسيفي سائر البلاد ومهدت تلك الاراضي والمهاد وكانت الغفارة تحمل الى من بني قحطان وخضعت لي سائر الفرسان والشجعان وما زالوا على مثل ذلك حتى أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأخذهم القلق لاجل شيبوب لانهم انتظروه الى الوقت الذي قال لهم عليه ان يعود فيه فما عاد واشتغلت قلوبهم لما انه غير الميعاد فقال عروة بن الورد ما أظن الا شيبوب قد أصيب في هذا البر الاقفر واتفق ما اتفق له من القضاء والقدر ونبقى نحن في هذه الارض الذي ما نعرف فيها طريق ولا لناها هنا محاميا ولا صديق فقال مقرى الوحش والله يا عروة لقد قطعت ظهري وزدتني فكرا على فكري على انني ما أتأسف على نفسي وانما أتأسف على مسيكة زوجتي وسبيع اليمن ولدي وكان قد رزق من زوجته في أرض اليمن هذا الولد وسماه هذا الاسم الحسن ثم انهم أقاموا في تلك الفلوات وفي قلب عنتر النار المسعرات على أخيه لهيبا وحسرات فبينما هم كذلك واذا بشيبوب قد طلع عليهم مثل ريح الهبوب كأنه النسر الادرع من نحو جبال صاروخ ورمال عالج والوحوش تركض من بين يديه والعيون لا تستطيع النظر اليه فلما رأوه فرحوا برؤيته وأرادوا ان يسألوه عن غيبته واذا به قد أتاهم وهو أشعث أغبر مما قاسى في تلك البر الاقفر فقال له أخوه عنتر ويلك يا شيبوب انضحت لغيبتك الكبود والقلوب ايش معك من الاخبار أما سمعت لبني عبس آثار فقال شيبوب يا أخي بني عبس قد عبروا الشعاب ولكن يا أخي المنايا خلفهم تعلو في المنازل والرحاب ولولا مسيري من عندك واطلاعك على هذا الحال والاسباب كان قدتم عليهم شيأ ما كان لهم في حساب فقال مقرى الوحش لماذا لك يا ابن الاموات أما عبلة ومسيكة سالمات أوهم مع شياطين العرب مسبيات فقال شيبوب لا تسأل الا عن شيء يعنيك ولا تسأل عن أحد سواك فقال مقرى الوحش يا عروة هذا شيء قدتم على قومنا في غيابنا ولا لنا فيهم صديق ولا خل ولا رفيق فدعنا من هذيانك وشقشقت لسانك حتى نسمع ايش جرى بعدنا على حريمنا فقال شيبوب استوا أنتم الجميع واسمعوا الخبر واعلموا انى لما سرت من عندكم وقت السحر وأنا كثير الفكر وصلت الى الشعاب والليل قد بقي منه الا يسر فاقمت الى الصباح لعلي أقع لقومنا على خبر واقفوا لهم على أثر واذا أنا قد سمعت حس حوافر الخيل وبريق الاسنة عند ظلام الليل وضجة عظيمة وازدحام وكثرة فرسان وكلام فقلت في نفسي لا شك هذه الخيل خيل بني عبس وضعنهم قد وصل وكان بيني وبينهم ميعاد الى هذا الجبل ولما أيقنت بذلك أمنت حتى انى أسمع كلام أحد أعرفه واذا أنا رأيت في أوائلهم فارس كأنه الفتيق وهو على جواد عتيق وهو غائص في الحديد والزرد النضديد فهممت ان أدنو منه وأتقدم بين يديه وأسأله وأقص القصة عليه واذا له يا اخوان همهمة مثل همهمة الاسد ويتكلم بغيظ وحرد ويقول يا رب البيت والحجر وبحرمة الركن المطهر والبيت الذي ذكره قد اشتهر مكن سنان هذا الرمح الاسمر من صدر عبد بني عبس المسمى بعنتر ليزول عني عاري وتعلم العرب اني قد أخذت بثاري ثم انه تنهد بحرقة وهمهمة وقال آه وا أسفا عليك يا عمرو بن ضمرة كيف تمكن هذا العبد ابن اللئام مبك وأنت الاسد الهمام والفارس الضرغام ثم انه يا أخي تنهد وتحسر وصاح وزعق وأنشد يقول

يا جفوني بفيض دمعك جودي * واندبي فارسا كريم الجدود
فارسا كان يلقى حوادث الدهر * بقلب أقوى من الجلمود
كان فارسا لكنده وحماها * يقد الحديد فوق الجلود
فرماه صرف الزمان بسهم * قاطع من أخس العبيد
عنتر لا سقيت قطر الغوادي * غير سم مفتت للكبود
أنت أفجعتني بعمرو وبقيت * كما أفجعت عين الحسودي

قسما

قسما بالذى أمات وأحيا * وتعالى عن قول أهل الجحود * لاقيمن فى ديار بنى عبس
ضجيجا بالنوح والتهديد * تصير النساء به حيارى * من جوى الحزن لاطمات الخدود
بحسام اذا رأته المنايا * فى يمينى أومت له بالسجود * كم دحال هممتها فى ظلام الليل
وحيدا على كبار الاسود * وقنصت السباع فيها بكفى * مثل قبض الفارس الصنديد

(قال الراوى) ثم ان شيبوب قال يا ابن الام فلما سمعت بذكرك فى أعقاب هذه الابيات وهو غاية الحسرات علمت انه من بعض أعدائنا وانه سائر وراءنا فاشتهيت أن أعلم من هو من فرسان العرب ومن هو من أهل اليمن ومن يقال له من أهل الدمن فصبرت للجيش حتى انه عبر وقد حررته بعينى فرأيته فى ألف فارس أو اكثر فتبعت فرسانهم وسألت بعضهم عن شأنهم وحالهم فقال واحد منهم ياوجه العرب نحن من قبائل وطوائف شتى قد اجتمعنا وسرنا خلف بنى عبس نطالبهم بالثار ونغلم منهم الآثار ونجازيهم على فعالهم بأهل هذه الديار وفينا فارس اليمن زاجرة بن ضمرة القينى الفارس الهمام الذى قتل عنترا أخاه على ماء الغمام لما سبى زوجته زهرة وانشد يقول

ما أشهر السيف فى كفى وأغمده * الا وفى حده للضرب آثار * ضربت عمرو على الخيشوم معتمدا
بصارم فى حواشى حده نار * فعاد يهوى ذليلا بعد عزته * كما ان الدهر اقبال وادبار

ثم أن شيبوب قال يا ابن الام فلما سمعت ما قال شكرت الرب القديم الذى عرفنا هذا الحال والا كان هذا الشيطان أحل بقومنا الخبال والنكال وبعدها عدت يا أخى على الاثر فلما سمع عنتر ذلك تعجب غاية العجب وقال ياشيبوب ايش هذا القرنان أين كان ولاى شئ ما كان طالبنا بالثار ونحن فى بلاد اليمن حتى كنت أسقيه كاس الحمام ثم قال له ويلك ياشيبوب تقدر تلقينا عليه قبل ان يدرك بنى عبس ويغتنم الغفلة ويرجف قلب مسيكه وعبله فقال له شيبوب وحق ذمة العرب انى ألقيكم عليه فى أقل ما يكون سير واخلقى حتى أريكم العجب فى ضوء النهار والافى ظلمة الليل (قال الراوى) وكان زاجرة أخو عمرو بن ضمرة بطل مغوار وفارس جبار وكان يصطاد السباع ويأكل لحمها ويشرب دمها وكانت أمه يقال لها سارحة من قوم يقال لهم بنى غر فلما قتل أخاه عمرو ووصل له الخبر أمر فرسانه بالتأهب للمسير فما مكنته والدته من ذلك وقالت له ياولدى نفسى مشغولة بالنظر اليك فى هذه الايام فاذا أنا مت ولحقت بالذى مضى قبلى أو حدث لى أمر فافعل بعدى ما تريد ومن كثرة خوفها عليه صارت تنظر له المنامات الرديه وتقصها عليه ومن جملة ما رأت له كان ولدها دخل الى حلة عظيمه وقد ساق منها سبعين لبوة فتبعه أسد أسود من ورائه وقفز عليه أكل من لحمه وشرب من دمه فزاد هما هذا المنام خوفا وفزعا على ولدها فما خرج من عندها هذا العام حتى ماتت وكان ولدها يحكم على ألفين فارس وانه ما صدق بموت والدته حتى انه عوّل على المسير للقاء بنى عبس وكانت بنى عبس قد خرجت من بلاد اليمن طالبين أرض الحجاز فلما بلغه ذلك صعب عليه وكبر لديه فقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لتبعنهم لآخر الدنيا ثم انه سار فى ذلك الجيش الذى رآه شيبوب وكان خلف بنى عبس رجالا شياطين من عشرة وعشرين يطلبون المعاش والمكسب لاجل قلة بنى عبس والتقوا بقوم زاجرة الطماعة وساروا معهم يقطعون البرارى والقفار ومازالوا سائرين وزاجرة يجد السير حتى بقى بينه وبين بنى عبس يوم واحد فأشرف عليهم شيبوب وقد قطع باصحابه السباسب فلما نظر الى خيلهم ترجى قال يا أبو الفوارس ها أنت قد أدركت الاعداء فتشاور أنت ومقرى الوحش وعروة بن الورد فى أمر القتال فقال عنتر الصواب اننا نطلب خيلهم ونجعل بيننا وبينهم يوم تذكره الابطال فقال مقرى الوحش هذا ما يتم لنا الا بثلاث رجال فقال عنتر ولكن شيبوب نقاومه بنصف رجل فقال عروة خلوا شيبوب ولا تغضبوه فقال شيبوب

ويلك ياعبد السوء ماهذا وقت مزاح وأنا أقسم بمن يعلم عدد الجراد اذا انتشر وخالق الصور وأنزل القطر والمطر لئن لم تقصر عني لاتركنك تسأل عني من غاب ومن حضر فقال عنتر لاتقسم يا أبا رباح فما قولي لك الامزاح والآن يا أبا رباح ما الذي ترى من الفعال فقال الرأي عندي اننا نحمل عليهم فقال هذا هو الصواب والصحيح لان معهم فارس جبار ولابد مايتكلف به واحد منكم في الحرب ويبقى الاثنين مايلقوا ألفين فقال شيبوب وها أنا عندي تدبير الذي هو أحسن من الاول ولكن يا أبا الابيض عندي رأي تعلموه فانكم تتركوني أنا وأخي هاهنا مختفين وسيروا أنتم ومقرى الوحش الى عسكر الاعداء حتى تقاربوهم واذا سرتم معهم وسألوكم عن حالكم فقولوا لهم نحن قوم من زوايا اليمن وقد سمعنا بخروج بني عبس من هذه الديار وما من أحد الا له على بني عبس دما وثار وكنا خائفين من فرسانهم فلما سمعنا بسير الامير زاجره اليهم فسرنا وقوينا قلوبنا وأتينا الى هاهنا فعندها يتقدم منكم واحد الى زاجره ويسلم عليه ويضربه بالرمح في صدره بدعه يطلع من ظهره فعندها يقع السيف فيهم وتنادون يا آل عبس يا آل عدنان فعند هذه المناداة يقع السيف فيهم ولا يلتفت أحد الى أحد فاذا رأينا نحن ذلك نخرج بالخيل الذي معنا ونزعق ونصيح فيهم بزعقاته أخي عنتر ويقول يا أوغاد غير انجاد أنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ومع زعقته وغبار الخيل تظن الاعداء انها خيل بني عبس ويكون مقدمهم قتل فتطاب السهل والجبال فقال عنتر أحسنت ياشيبوب يامفرج الكروب فلاعدمت من أخ ورفيق لانك معيني في كل شدة وضيق ورأيك هو الصواب والامر الذي لايعاب (قال الراوي) ثم ان مقرى الوحش أخذ عروة بن الورد وسار حتى انه أقبل على ذلك الجيش فساخ زاجره في الفرسان فتقدم اليه مقرى الوحش وعروة بن الورد فقال زاجره من أين انتم فصاح به مقرى الوحش كأنه يخاطبه وطعنه جندله عندها صاح عروة بن الورد يا آل عبس يا آل عدنان وقد حملوا على الجيش وجردوا في ايديهم الصفاح واذا عنتر خلفهم وقد حمل حملة تهد الجبال وزعق زعقة ازهل منها عقول الرجال فلما نظروا الى مقدم الجيش وقد قتل وغبار الخيل وقد أقبل ومن تحته صياح عنتر قد أدوى الجبل وشيبوب يطردها وهو يصيح في أعقابها وفي أعراضها وغبارها قد ملا القفار فقالوا هذا جيش كبير ثم انهم قاتلوا ساعة واحدة حتى تبطنوا في البراري والقفار وطلبوا الاهل والديار واجتمع عنتر ومقرى الوحش وعروة بن الورد وهنوا بعضهم البعض بالسلامة ثم انهم جمعوا الخيل والاسلاب وساروا خلف بني عبس الانجاب الى ان قاربوا الجيش عند انبساط الشمس ففرحوا بالقرب من لقاء الاحباب فلما قاربوا أصحابهم اعتدوا بني عبس للحرب فالتفت عنتر بن شداد فرأى عمارة بن زياد وهو يجر رمحه امامه وعليه الحديد والزرد النضيد وهو يفتخر بنفسه وينفش سباله لانه من يوم طعن دريد بن الصمه عظمت نفسه عنده (قال الراوي) فلما نظر اليه عروة بن الورد فقال لعنتر يا أبا الفوارس انظر هذا صديقك ورفيقك الامير عمارة بن زياد قد أتى في أوائل الخيل لان قومنا ظنوا اننا أعداءهم فدعني حتى انني أقتل جواده وأعرفه نفسه واذا عظم الامر أقول لهم نحن كنا في مزاح واعرفهم بنفسي فقال له عنتر لا يا أبا الابيض لاتفعل ذلك لان عمارة لايعرف مزاح وأيضا ان قومنا على خوف وخيل ونخاف ان تعظم الاشياء معكم مع حماقته وكراهته لنا واذا أنت قتلت جواده تحمل عليك اخوته وانهم لايرجعوا يسمعوا كلامك فقال له يا أبا الفوارس اذا عرفته نفسه كشفت عن وجهي اللثام واذا رأيت الامر قد تعسر فيما بعد ردني أنت يا عنتر فقال له عنتر افعل يا أبا الابيض ما بدا لك لانخالف مقالك ونتبع أفعالك فعندها زعق عروة بن الورد وقال له يا ابن الاندال وأرذل البشر ابشر بقرب الاجل واستعدوا للحرب والقتال فقد تبعتكم فرسان اليمن بعد قتل عبدكم عنتر وأصحابه الذي كنتم تعتمدون عليه ثم انه استقبل عمارة بن زياد وصاح فيه وأذهله

وطعن

وطعن حصانه قتله ومن على ظهره نكسه فلما ان رأوه اخوته قد وقع حملوا من كل جانب وأشهروا القنا والقواضب بعد ما خرقوا الثياب وأرخوا العمائم فى الرقاب ونادوا يا أسفاه عليك ياوهاب ثم انهم طلبوا عروة بن الورد ومدوا عليه عوامل الرماح واضطربت بنى عبس ورجعوا على حس الصياح ورجع الملك قيس ابن الملك زهير فى جميع الفرسان وكذلك الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان وقد اهتز الجبر بالشجعان وتزاعقت الفرسان وقد صار الاخ لا يعقل على أخاه فقال عنتر لمقرى الوحش هذا الحساب الذى حسبته لان قومنا على خيفة وقد زعجناهم ثم انه سل حسامه وزعق فى الجيش وكذلك فعل مقرى الوحش مثل ما فعل وما زالوا الاثنين كذلك يردوا الخيل حتى انهم كشفوا عن عروة بن الورد الفرسان وصار عنتر يصيح يا بنوا الاعمام كفوا أيديكم واعلموا ان هذا الامير عروة ابن الورد ما فعل ذلك الا انه يمازح الامير عمارة الوهاب ﴿قال الراوى﴾ وكان عمارة قد جرد سيفه لما رأى اخوته من حوليه وجعل يحمل على عروة بن الورد فمنعته بنى عبس عن ذلك وقالوا هذا صديقك ورفيقك عروة وما أراد معك الا المزاح فقال لهم والله يا بنوا الاعمام ما أراد عروة الا هلاكى ولولا فى أجلى تأخير لكنت فى الحفرة صائر ولابد لى ان آخذ ثارى منه فصعب ذلك على قيس بن زهير وخاف من اثارة الفتن فقال له الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان والله يا قيس ما كأنك قيسا بين العرب مشهور ولا عليك هيبة ملك ووقار فقال له يا ملك والله لقد عجزت من هذه الطائفتين ولم يتنحوا عن بعضهم البعض حتى يصير واحدة من الاهل الارض وأنا اعلم ان هذه الفتنة من عنتر بن شداد وأيضا انه حرض عروة على ذلك الامر المنكر فقال الربيع بن زياد صاحب المكر والفساد يا ملك اذا لم تأخذ لنا ثارنا من عروة بن الورد ومن عنتر بن شداد لاعدنا جاورناك ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر وسمع الملك قيس هذا الكلام اشتد غضبه على عروة وعنتر وأيضا انه كان استحى من الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان أن يصير عنده فى النقصان فعند ذلك التفت الى عنتر بن شداد وقال له ان هذا الدما التى ثارت بيننا وبين العربان من قديم وجديد أنت الذى كنت فيها السبب ولولم يدركنا أخو الملك النعمان فما كانت أهل اليمن تركت منا انسان وأنت ترى نفسك بالمحل العظيم لانك تقول انك فارس شجاع وقرما مناع وأنا اعلم انك أتيت معنا الى ديار بنى عامر وغنى وكلاب جددت بيننا الدما بحماقتك والصواب يا ابن شداد انك تدبر نفسك كيف تشاء وتبعد عنا أنت ومن أرادك من الرفاق وتأخذ أموالك وجمالك وسائر أصحابك فلولا مالك علينا من الخدمة القديمة ورعيك جمالنا لكنت جعلتك فى القيود والاصفاد وتركتك ترعى الفوق والجمال حتى تموت مكمود مقهور وذلك لاجل اخراقك بالامير عمارة بن زياد واخراق حرمته بين الاصحاب لان الامير عمارة أرحمنا من شيخ العرب دريد بن الصمة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر بن شداد ذلك الكلام قد فهم المعنى حيث سمع بذكر دريد بن الصمة فقال له هدى أخلاقك يا ملك لو كنت أنت أرسلت لى مع بعض العبيد ولا كنت سمعتنى هذا الكلام الشنيع الذى لا يفيد ولولا انت وأبوك الملك زهير ما ارتفع عند الناس قدرى ولا شاع فى جميع الآفاق ذكرى ولكن يا ملك أنا أرحل عنك بمن يتعلق بى من الاهل والجيران والاصحاب والخلان واكون أنا ومن معى فى فريق وانت أيها الملك وعماره واخوته فى فريق لاجل ان يشرح بذلك صدرك وتستريح من معادات العربان بعدى عنك أيها الملك المنصان ويهدى خاطرك ثم بعد ذلك الوى عنان جواده الابجر الى ناحية الضعن وأمر أخاه شيبوب أن يقطع حمل عبلة من المحامل ويتركها هناك تأخذ الراحة ففعل أخاه شيبوب ما أمره أخاه ونادى على العبيد أن يردوا الاموال ويلوا راؤسهما على المسير ففعلت العبيد بما أمروفى دون ساعة اختلفت بنى عبس وعنتر وفعل مقرى الوحش بزوجته مسيكة مثل ما فعل عنتر وأبوه شداد

وأبناء عمامه وأصحابه وباقى بنى قراد وقوم عروة بن الورد وجماعته وأبو مسيكة ومن تبعه وسار مع عنتر نحو اربعمائة وخمسين فارسا كرار فقال مقرى الوحش لعنتر يا أبا الفوارس ما فى نيتك ان تفعل بهؤلاء القوم المناجيس كم تحسن اليهم وهم يؤسون عليك وانى وذمة العرب لولا أخاف التشويش على قلبك لاقتلن عمارة بن زياد وأخاه الربيع الكيادو بنى زياد وان تكلم الملك قيس خرقت به غابة الأخراق وضربته بهذا الحسام المفصال وجعلته أول مقتول وهو صريع ولكن سوف يندمون واليك يا أبا الفوارس يحتاجون ثم قال له يا أبا الفوارس هان عليك الامر وأنت مرادك من الدنيا الا بنت عمك عبلة وأنا قد اخترتك على جميع أهلى وأصحابى وأينما سرت فنحن نتبعك والبر بين أيدينا واسع وسيفك قاطع ورمحك خارق فقال له عنتر بعد ما شكره وأثنى عليه والله يا فارس النياق لو فعل الملك قيس اضعاف ذلك ما خالفته لانى عبده وعبد أبيه من قبله وما أسفى يا مقرى الوحش الا على جميل فعلته وصار ضائع وزمان قضيته بركوب الاخطار والمعامع وبعد ذلك سمع كلام عمارة والربيع (قال الراوى) فتعجب مقرى الوحش من حلم عنتر على قومه وكرم أصله وعلم انه لو أراد اشتت شملهم وابلى بنى زياد بالشتات فزاد فيه محبة ومحبة ورغبة فى الصحبة وقال لو كان فى الزمان انصاف ما كان هذا الفارس الا ملكا من الملوك المشهورة أصحاب الرتب هذا وقد شاع فراق عنتر من بنى عبس فى سائر البقاع فمال اليه كل بطل شجاع وقرم مناع وما بقى فى العشيرة الا كل جبان يكره القراع والذى تبع عنتر فرسان جليله كل فارس منهم يقال انه يأتى قبيله سوى عروة بن الورد ورجاله وما معه من بنى غطفان وسار الملك قيس وفرحت ببعد عنتر بنو زياد فعند ذلك قال عمرو بن هند للملك قيس بن زهير من خلفه مثل أخى الملك النعمان يهين نفسه لعبد لا قدر له ولا شان من عبيد العربان فقال قيس يا ملك ما كان لى به حاجة وانما كنا نرعاه لاجل وصية أبى الملك زهير فى حال حياته فسار يتجارى على الفرسان والسادات ولا يهاب أصحاب النسب والعزمات وانه مر يوم ودخل على بنت عمه عبلة ووقعت فى خاطره وذكرته الناس بالفروسية والرشاقة والآن فقد طردناه لقرب أجله لان العربان كلها أصبحت أعداءه واذا سمعوا انه قد طردناه طلبوه من سائر الاقطار فيعود الينا وهو أقل من كلب زوبار (قال الراوى) ومازالوا سائرين أيام وليالى تمام حتى انهم قاربوا ديار بنى عامر وغنى وكلاب فعندها قال عمرو بن هند انزلوا هنا حتى انى أتقدم وأنظر ما تجدد من أمر أخى الملك النعمان وهل أرسل جوابا الى بنى عامر كما قال أم لا فقال الملك قيس سيد بنى عبس افعل ما بدا لك فما أحد فينا يخالف مقالك ولا فعالك وافعل ما فيه الصواب فسار فى خمسمائة فارس الى ان وصل الى ديار بنى عامر وغنى وكلاب فركبت اليه سائر فرسان القبائل والعشائر وسار واحتى انهم قد عرفوه ترجلوا اليه وتقدم اليه عامر بن الطفيل فارس الخيل وتقدم اليه غشم بن مالك ملاعب الاسنه ورداد الاعنه وسيد القوم الاخوص ابن جعفر وهنوه بالسلامة فقال لهم الملك عمرو اعلموا انى أتيت ببنى عبس من بلاد اليمن وقد تركتهم خلفى لانظر مكانا يأوون اليه ويجعلونه لهم منزلا فما أتاكم رسول يعلمكم بهذا الشان فقال الاخوص بن جعفر أتى رسول من عند الملك النعمان وهو يقول لنا انى أنفذت خلف بنى عبس أنزلهم فى دياركم وأريد منكم أن تزيلوا الحقود القديمة وتعودوا الى الوفاء حتى اتخذكم سيفى على العداء وان لم تقبلوا منى وصيتى أدبتكم وخرقت حرمتكم ثم قالوا نحن أيها الملك متفكرون فى هذه القضية من حين ما أتانا كتاب الملك النعمان وأوصانا بنزول هؤلاء القوم فى أرضنا وأنت تعلم أيها الملك هؤلاء أنقوم قد تحملوا دم أهل اليمن ولا لهم فى هذه الارض صاحب ولا صديق وان نحن حامينا عنهم احترقنا بنارهم وقد اتفق رأينا أن نخلى لهم ديارنا لاجل سؤال الملك النعمان ولم يبق لهم علينا ملام وأنت تعلم أيها السيد الهمام ان عنتر

قد

قد فشا اسمه فى جميع الاقطار والبلاد ولاجل وسؤال أخيك الملك النعمان نحفظهم من العدا والحساد واذا جاء لهم أحد من أهل اليمن يريدون قتالهم نساعدهم ونقاتل معهم وأما أهل الحجاز فما نقدر نقاومهم لان أنسابنا يا ملك متصلة بهم هذا ان كفينا شر عبدهم عنتر فقال لهم الملك عمرو اعلموا ان عنتر قد طرده قومه وأغضبوه وأبعدوه والملك قيس طرده أيضا وان عاد اليهم عنتر قتلوه وأما قولكم ان العرب تطلبهم فهذه حجة لا نسمعها لان أخي النعمان آمنهم وهم اصهاره على كل حال ولا يقدر أحد يذكرهم لا بشفة ولا بلسان فيكون أخي خصمه والسلام وانه يخرب أوطانه ثم انه حدثهم بحديث طرد عنتر ففرح به بنو عامر وعلموا ان بني عبس بعد عنتر تذل وانها تدخل تحت طاعتهم فعاهدهم أخوا الملك النعمان على انهم يكونون لبني عبس اعوان وحيران ويكفون عنهم أذية من يقصدهم من شياطين العربان فأجابوه الى ذلك الشان وأضافوه ثلاثة أيام وعاد الى بني عبس وأخبرهم بما جرى له فقالوا نحن ما نريده نهم معاونة ثم انهم رحلوا الى جزع الطواف واجتمع سادات القبيلتين وجددوا البعضهم الولائم ومضت لهم أيام كأنها اعياد ومواسم وقد جدد الملك عمرو بن هند أخوا الملك النعمان بينهم العهود والميثاق وبعدها طاب المسير الى أرض العراق فركبوا لوداعه من كل قبيلة جماعة ولما ان عادوا الى مواطنهم وجدوا بني عامر قد وهم فى حديث بني عبس وأكثروا فى وصف ما معهم من الاموال فقال الاخوص بن جعفر يا قوم دعونا من ذكر النوق فأنا بلغني خبر أن بني عبس عند عودتهم من بلاد اليمن قتلوا شيخ العرب دريد بن الصمه وأخاه عبد الله وسبيع بن الحارث فاتلهم يوما كاملا ونجا بنفسه فأنا لو كنت سمعت هذا الحديث ما كنت أنزلتهم هنا فقال ملاعب الاسنة والله ان كان هذا جرى لا يترك سبيع بن الحارث من بني عبس ديار ولا من ينفخ النار وهذا أمر لا بد منه ونحن ما ضمنا لهم المعاونة الا على أهل اليمن فقال عامر بن الطفيل وكان فارس بني عامر يا وجوه العرب لا بد لي ان أبعث عبيدي يكشفون لنا أخبار عنتر وينظرونه أين نازل حتى انني اسعى اليه وأقطع أثره لانه أسرني وأنا صغير فلما بلغت هذه المنزلة بقيت متأسفا الذي ما أخذت ثاري من عنتر وأهلكت ذلك العبد الردي العالين فقال ملاعب الاسنة ان القوم يا عامر مالهم فى جوارنا مدة طويلة فاصبر حتى اننا ننظر ما يجرى لهم مع بني هوازن فان سبيع ما يسكت عنهم ولو كان فيهم الملك النعمان ولا بد ما يجمع عليهم العرب على فعالهم من سائر الاقطار فقال عامر ما قلت الا الصواب لاننا نعلم ان بني عبس هالكة على التحقيق لانها قليلة العدد وقد نقص منها ذلك العبد الاسكد الاسود لانه حاميها (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أبي الفوارس فانه لما فارق قومه وجرى له ولقيس ما جرى خلا بنفسه وتفكر ما جرى عليه فأشار يقول

رمتني صروف الدهر بالجور والغدر * ومن ذا الذي فى الناس خال من الكدر
وكم قد أتتني نكبة بعد نكبة * ففرجتها عني ولم يمسني ضرى
أيادهر لا تبقي على فان لي * دموعا تجري كما النهر
ولو بان لي شخص الحمام تركته * كامس قولي لا يبان له أثرى
اذا صاغني الرحمن ضدا من طينتي * ودانت لي الدنيا وشاع لكم ذكرى
ولولا سناني والحسام وهمتي * لما ذكرت عبس ولا لها فخر
ولو شئت حزت الارض شرقا ومغربا * وطاعني الابطال فى البر والبحر
بنيت لهم فى المجد بينا من العلى * يعلو على الجوزاء والفرع والنسر
وكم لي عتيق من حسامي عتقته * بأن ليس يحصيه عد ولا حصر
وبعد منال واشتهار ورفعة * وسير وتجديد يعاند لي دهري

ولما رحلنا اليوم أسلمت قصتي * الى من له الحكم بالنهي والامر
ستذكرني قومي اذا جد جدهم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
وغما قليل يشهدون اذا التقوا * عليهم بذي الهيجاء بالبيض والسمر
يعيبون لوني بالسواد سفاهة * ولولا سواد الليل ما طلع الفجر
وان كان لوني أسودا ففعائلي * بيض وكفي أمخى من القطر
محوت بذكري من كان قد مضى * فسدت فلا زيد يقال ولا عمرو

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره التفت الى أخيه شيبوب وقال له أما تعرف لنا مكانا خاليا من الناس فقال له نعم أعرف منزلا في هذا البر الاقفر بعيدا عن الجوار ولكن يخشى علينا من طوارق الليل والنهار فقال له عنتر نحن لا نخشى من كل جني وشيطان وجبار ولا من سائر البراري والقفار سرنا وخل البر ينفح علينا من كل جني وشيطان النار فلو اني أخاف من جن سليمان ما ركبت على ظهر حصان فقال شيبوب اعلم يا أخي عن يميننا ثنية بني غيلم وتحتها أرض تسع مثلنا أم وفيها شعاب ومياه سارحة ومروج وأزهار وعيون وأنهار وأطيار وغزلان ترعى فلما سمع عنتر من أخيه أمر العبيد أن يسوقوا النوق والجمال وتبعتها الرجال الاقيال وشداد يتحدث بما جرى لهم في عودتهم من بلاد اليمن مع سبيع بن الحارث وكيف كسر العساكر وحده وكيف قتل عمارة دريد بن الصمه فقال عنتر صدقت فلاجل هذا انتفش سبالك وفعل معنا من أجله قيس ذلك الشان والآن قد كان لك ما كان ونحن قد انفردنا عن القوم وأنا أسأل من له البقاء والدوام أن يغنيهم عنا بعمارة بن زياد وكيف عمارة يقتل دريدا وهذا من العجب العجاب ولكن الاجل يأتي على أهون الاسباب وأما قتال سبيع لكم يوما كاملا فما هو كثير لانه فارس شهير وبامور الحرب خبير فقال له عمرو اخو عبلة والله يا ابن العم اني شاهدت له حملات هائلات وطعنات نافرات ما شاهدت مثلها الا لك وأفعاله تشبه أفعالك فقال له عنتر صدقت يا عمرو من كون الارض ولاده والاوقات لها سعاده والايام تأتي بالعجائب ولكن ما بان الافتخار الا عند المعاينة والاختبار واذا اجتمعت أنا وذو الخمار يعلم الفارس الكرار من الجبان الفرار وما زالوا سائرين وعنتر يتحدث بمثل ذلك حتى انهم وصلوا الى ثنية بني غيلم وبانت لهم الارض والنعم فرأوا أرضا منقطعة عن العمار والعمران بعيدة العهد من السكان فقال عروة والله ما هذه الارض الاصعبة المقام موحشة الاكام فقال عنتر هذا الذي أريد حتى لا أرى قريبا ولا بعيد ثم انهم نزلوا هناك وضربوا الخيام وعولوا على الانقطاع والمقام وسرحوا الجمال والانعام وكانت الوحوش كثيرة فاقتنوهم بالصيد في تلك الايام (قال الراوي) وكان مقرى الوحش قد صعب عليه فعل بني عبس بعنتر وصار يشكر العروة بن الورد ويقول له انا عوّلت أن أنفذ بعض العبيد الى بني عبس لاعلم في أي المنازل نزلوا وأسير اليهم وآخذ نوقهم وجمالهم وأذل فرسانهم وأبطالهم ولا التفت الى أحد من البشر ولا أسمع من كلام عنتر فقال له عروة افعل ما تريد وأنا أنفذ جماعة من الرجال وهم رجالي من غير علم عنتر وأنا أساعدك على ما تريد وافعل ما بدا لك وان وقع عمارة في يدي أسقيته كأس المنية واترك مع بني زياد عداوة أصليه فلما سمع مقرى الوحش كلام عروة اشتد عزمه وانفذ عبدا الى ديار بني عامر وأمره أن لا يعود الا بالاخبار فأجابه العبد بالطاعة وسار العبد كما أمره مولاه فما غاب أكثر من يومين حتى عاد فقال له مقرى الوحش ما الذي أدركته من الاخبار أم خفت من ركوب الاخطار فقال له لا والله يا مولاي ما خفت ولكن ربي من فضله سهل لي الامر وبنو عبس نزلوا في جزع الطوائف وأما أنتم فاحذر والانفسكم وخذوا حذركم من قوم كثيرين الجورة ليلين الانصاف لانني لما سرت من عندكم أقمت

ذلك

ذلك اليوم سائرا الى أن لقيت عبدا من عبيد بنى عامر فلما رآنى تقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وسألنى عن حالى ومن أى الاماكن أنت فقلت له أنا من بنى هوازن وقد أنفذنى مولاى ذو الخمار سبيع ابن الحارث أكشف له عن بنى عبس الاخبار حتى يسير اليهم و يأخذ لدريد وأخيه عبد الله منهم بالثار ولى غائب مدة أيام أدور الروابى والاكام حتى وقعت بفرقة منهم مع عنتر بن شداد وهى أربعمائة وخمسون فارسا صناديد فقلت فى نفسى ما أعود حتى أعلم أخبار الباقين وكنت قد سألت بعض العبيد عن باقى القبيلة فذكر لى أنها فى ديار بنى عامر وقلت له لو لم تكن عبدا مثلى ما ذكرت لك ذلك ولا أطلعتك على هذه الحالة فلما ان سمع العبد منى ذلك الكلام قال لى ابشر يا مولاى العرب بقرب الطريق وراحتك من التعب والتعويق ان بنى عبس نزول فى جزع الطوائف وفى أى المنازل عنتر نازل فقلت له حول ثنية بنى غيلم فما الذى تريد منه فقال لى اعلم انى عبد من عبيد بنى عامر ومولاى عامر بن الطفيل فارس الخيل وهو الذى أنفذنى آخذ له أخبار هذا العبد الولد الزنا حتى يرسل له الخيل ويسير اليه و يبلغ منه المنى والرأى عندى أن تعود الى مولاك وتعلمه بهذه الاخبار وتقول له بنو عبس نزول بجزع الطوائف وان عدد فرسانهم ثلاثة آلاف وان بنى عامر ما أنزلوهم فى أرضهم الا لسؤال الملك النعمان فيهم بعد ما أشرطوا عليهم انهم لا يعينوهم على عرب الحجاز وسكان تلك المنازل ولو تمكنوا من شرب دمائهم وقطعوهم وأهلكوهم فاقصدوهم وخذوا ناركم من رجالهم واسبوا نساءهم وأطفالهم وعيالهم وهذا الذى سمعته من عبيد بنى عامر وها أنا عدت اليك لتدبر ما ترى (قال الراوى) فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال والله لو لم يخطر لى هذا الخاطر لكان دهمنا بنو عامر وهذا الخبر لا أبقى كتمانه عن عنتر ثم انه قام وأتى الى عنتر وقص القصة عليه فصارت عيناه مثل الظلام وقال اما بنو عبس فعلى فرسانهم ونسائهم أخبر وأما نحن فيجب علينا أن نحترز لانفسنا واذا وصل الينا عامر ابن الطفيل قابلناه على فعاله فقال له عروة بن الورد اذا كان الامر على مثل ذلك فرتبوا الحرس كل ليلة خمس فوارس فقال لهم شيبوب ناموا أنتم ولا تغيروا ما كنتم عليه فانى أبعد عنكم يومين أو ثلاثة أيام أقتفى لكم الآثار وأرصد الاعادى على بعد من الديار فاذا رأيتهم قربوا منكم عدت اليكم ودبرتكم بشئ يعود نفعه عليكم لانهم ان كانوا عزموا على كبسكم وقصدهم يحيطونا بالخيل خرجنا على أعلى هذه الثنية بالعيال ونترك المنازل خاليه ولا نعارضهم حتى ينزلوا فى بطن هذه الثنيه ونطبق عليهم من كل جانب فقال مقرى الوحش وذمة العرب لقد نطقت يا شيبوب بالرأى السديد والقول المفيد ثم انهم أقاموا على مثل ذلك يدبرون ما ذكرنا من المقال وقالوا ان كانوا يريدون القتال بالنهار ويأتونا عيان حبسنا الاموال بين الجبال وقاتلنا عن الحريم والعيال (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عبد عامر بن الطفيل فانه وصل الى مولاه وأخبره ان عنتر نازل فى ثنية بنى غيلم ففرح بذلك وانشرح ثم جمع من أصحاب العشيرة سبعمائة فارس من كل ليث ممارس بالخيول العربيه والسيوف الهنديه وأخبرهم بما عوّل عليه ففرحوا كلهم برأيه وأعلم بذلك ابن خالته ملاعب الاسنه فقال ما هذا صواب ولكن اصبروا دعنا ننظر من يتعرض لهم من الشجعان ونرى ما يفعل فى حقهم الملك النعمان فقال عامر ان هذه القبيلة قد دنا منها الهلاك والفنى وأول من يبادر الى هذا المعنى أنا حتى يصير الذكر لى فقال له ملاعب الاسنه يا عامر لا تفعل فانى أخاف عليك ان يظفر بك عنتر و يعظم الامر وربما احتجنا الى سؤاله وان قتلناه فقد انصلح أمر فساده فقال عامر أنا ما أريد منكم ولا من أحد سؤالا ولا مقاتلا عنى واذا ظفر بى دعه يفعل بى ما يختار ثم انه تجهز فى الليل وطلب بذلك اخفاء أمره وما يعلم أن عنتر استعد له وصار يعمل نفسه بالظفر حتى فارق قومه وقرب من الثنية

التى التجا اليها عنتر وعاينه شيبوب وصح له الخبر فسار بقية يومه الذى رآهم فيه وقصد عنتر وأعلمه بما شاهد من الخبر فجمع عنتر رجاله وقال لهم يا بنى عمى فالرأى عندى ترفعوا العيال الى رأس هذا العلم حتى تكون قلوبنا عليهم مطمئنة ففعلوا ذلك وما أتى آخر النهار حتى فرغوا من أمر العيال وانتجزت الاشغال فقسم القوم ثلاثة أقسام وقدم على كل فرقة فارسا همام وكان مقرى الوحش فى فرقة وشداد فى فرقة ثانية ومعه عروة وتقدم هو فى الفرقة الثالثة كأنه المصيبة الحادثة ثم قال يا بنى عمى هذا الليل قد أقبل وبعد ساعة تكبسكم الاعداء فاطلبوا عرض البيداء وخلوا الخيام خاليه والنيران عاليه ولا تخرجوا حتى تروهم فى وسط الاطناب فخذوهم وادهموهم بالصياح لكن يا بنى الاعمام بحق ما بينى وبينكم من الصحبه والزمام اقبلوا منى ما به أشير فقال مقرى الوحش قل ما بدا لك فقال أريد منكم كل واحد يقلع سنان رمحه ويركبه على قربوص سرجه فاذا خرجتم عليهم أوهموهم بالطعن بالاسنه وخذوهم أسارى وشدوهم كتافا حتى نكون أصحابا ولا يقع بيننا وبينهم الدما فقال عروة يا أبا الفوارس هذه وصية ما نقبلها فكيف يطلبون سفك دماءنا وأخذ أموالنا وتعفو عنهم ولا بد لنا ما نقاتلهم فقال مقرى الوحش دعنا نشتفى من هؤلاء الكلاب الذى أتونا الى هذا الرحاب فقال عنتر بالله عليكم يا بنى الاعمام هذا يورث الخصام ولا تؤاخذوهم بما قدموا الينا من قبيح الفعال ومازالوا على ذلك حتى انفصل الامر على انهم يخرجون اليهم بلا أسنة الرماح واذا رأوا منهم غلبة يردونها الى رماحهم ثم تفرقوا على الاماكن وأخذوا لهم مرابط ومكامن ومالبثوا أكثر من ساعة حتى قدمت الخيل كأنها ظلام الليل فهجموا على الخيام ونادوا يا أولاد اللئام فما أجابهم أحد لا أبيض ولا اسود فقال عامر ان القوم حسبوا حسابنا ونصبوا لنا فخابر يدن به هلاكنا فبينما هم فى الكلام والصياح أخذهم من كل مكان وأقبلت بنو عبس تهز فى كفوفها الرماح وتنادى يا بنى عامر ما بقى لكم ملجأ ولا هرب يا كلاب العرب وتساحبت عليهم الكمنا فاحتاروا فى أمورهم ولا بقى أحد منهم يعقل على أحد واحتاطت بهم بنو عبس من جميع الجهات ورماهم العبيد بحجارة مثل قطع الحديد ومازال الامر فى تكذيب وتصديق حتى ظهر عنتر من وسط المضيق وزعق يا أولاد اللئام ويا أوغاد غير انجاد كرام أما تعلمون انى عنتر البطل الهمام فسمع بنو عامر صوته مع الهيبة التى وقعت لهم منه فانقطع منهم الرجاء وضاقت فى وجوههم البيداء وما بقى يسمع للنادى نداء ولا خطاب بل انهملت سيول الدماء على التراب وعامر بن الطفيل يحمل تارة يمنا وتارة شمالا وقد أخذتهم الزعقات من سائر الجهات فطلب من قومه قضاء الاشغال وقد رأى بنى عبس يقاتلونهم بلا أسنه فعلم عامر بن الطفيل انهم ما خطروا لبنى عبس على بال والا كانوا قاتلوهم بالاسنة والنزال ومازالوا على ذلك حتى بدت غرة الصباح وهم فى حرب وطعن وضرب وبعد وقرب الى ان كلت بنو عامر وبانت عليهم الخسائر والناس فى صدام والزام وتجريع الموت بالحسام حتى تعبت الخيل والبهائم وشربوا الموت سما ناقع فبينما عامر بن الطفيل فى أشد الجلاد واذا التقى به الامير شداد بن قراد وتقاتل معه الى ان أتعبه فأراد عامر أن يأمره واذا بزعقة أرعبت الاثنين وفرقتهم عن بعضهما البعض فنظر عامر لينظر من زعق هذه الزعقه واذا به فارس شديد البطش فقال عامر من تكون يا جبان قال له أنا مقرى الوحش قال دونك والقتال والطعن والنزال فها هذا المجال فتجالد معه أشد جلاد فبينما هما كذلك واذا بصرخة قلقلت الجبال والاودية والتلال فغشى على الابطال من هذه الصرخة وقد نظر الفارسان لمن زعق هذه الزعقة واذا به ميتم الاولاد ومخرب البلاد وليث الطراد عنتر بن شداد فلما رأى مقرى الوحش قال أعوذ برب الكعبة من هذه الزعقة فبينما مقرى الوحش ينظر الى عنتر واذا به

انطبق

الطبق على عامر بن الطفيل وضربه بعقب الرمح قلبه من غير اكتراس ولا خوف ولا فزع وكان أخوه جزر قريبا منه فتقدم اليه وقال له لا بأس عليك يا حامي بني عامر وشده كتاف ومن بعده وقع على قومه العذاب والتلاف وقد طرح عنتر في ساعة منهم سبعين فارسا وتركهم ممددين وقد دام الامر على ذلك الى وقت السحر فبينما هم كذلك واذا بمنادي ينادي ويقول يا بني عامر عن من تقاتلون وما رسكم ابن الطفيل قد اندرس تحت أرجل الخيل فلما سمعت بنو عامر هذا النداء نادوا عن آخرهم بلسان واحد يا بني عبس ارفعوا عنا السيف ومنوا علينا بالزمام كي نعود الى ديارنا والسلام والذي قد بقي عليكم لقد لقي بغيه امهلونا حتى نهتدي الى الطريق في الظلام فلما سمعت بنو عبس ذلك أخرجوهم الى وراء الجبال فلما خرجوا طلبوا الاهل والعيال وصار الرفيق لا يلتفت الى الرفيق ولا أحد منهم اهتدى الى الطريق والطعن في ظهورهم أمر من نار الحريق وما طلع النهار حتى ولت بنو عامر الادبار ولا بقي منهم ديار ولا نافخ نار وعادت بنو عبس للم الاسلاب والاسارى في أيديهم مثل البهائم وعامر ينظر ذلك وعيناه تدمع من شدة الخوف والفزع وهنا بعضهم بعضا وقد جمعوا الاسارى فرؤهم مائتين أعرضوهم على عنتر بن شداد فاشتفى قلبه منهم وكان من جملتهم عامر بن الطفيل فعاتبه عنتر ابن شداد وقال ويلك ما الذي بلغك من ذلنا حتى أتيت الى حربنا ما بلغك ما جرى لنا في بلاد اليمن حتى أتعبت نفسك وجئت الى ها هنا فقال عامر يا أبا الفوارس ها نحن بين يديك افعل بنا ما تريد فقال عنتر يا غلام لو أردنا قتالكم على فعالكم القباح ما كنا عند قتالكم لنا قلعنا أسنة الرماح ولا كنا سامحكم اذا اعتذرتم واقررتم بالخطا وان كنتم قد اتيتم تحاربونا بشفار السيوف فنحن نعفو عنكم لاجل أن أهلنا عندكم ضيوف (قال الراوي) وبعد ذلك قال عنتر لاخيه شيبوب حالهم من الاعتقال وقل للعبيد يروحون لهم الطعام ففعل شيبوب ذلك وحل الجميع ورد عليهم خيولهم وسلاحهم فعند ذلك تقدم عامر بن الطفيل الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس والله ما أكلت زادا ولا طعام ان لم تبلغني المرام فقال عنتر قل ما تريد يا غلام فقال له يا أبا الفوارس تمهل علي حتى أركب جوادي وأتناول عدة جلادي واحمل علي وأنا أحمل عليك وأتحارب أنا وأنت مقدار ساعة من النهار ولا نفترق عن بعضنا البعض حتى تشهد الفرسان للغالب الكرار لان نفسي تأبى الذل وأنا لم أطاوعها على ما تشتهي في الكل فلما سمع عنتر ذلك قال له دونك وما طلبت فركب الاثنين على الجوادين وتجالدا أشد الجلاد وظهر الزبد على أشداق عنتر بن شداد وهجم على عامر بن الطفيل فلما رأى ذلك عامر رمى الرمح من يده وترجل وأقبل في عاجل الحال الى الامير عنتر واعتنقه وقبل عارضيه وباس في الركاب قدميه وقال له يا أبا الفوارس غرق جهلي في بحر حلمك وقد عفوت عني بكرمك وأصلك وأريد من احسانك وفضلك انك تسير معي من هذا المكان الى مكاني وربعي لان لي أرضا واسعه ومراعي شاسعه وقد حميتها بهمتي ولا أحد يقربها من هيبتي ولا ينزل فيها أحد بغير ارادتي وأشتهي من احسانك وفضلك وامتنانك ان ترحل معي وتنزل فيها من بعد ما أشهد على أهل عشيرتي انها لك وانني نزلت عنها لك وانك أخذتها بسيفك وملكتها لما أسرتني فديت نفسي بها وهذا كله يا حامية عبس رفعة لجاهك وعلو القدر لانني لو سألتك المسير معي قبل قتالك كنت تأبى ذلك ولا ترضى لنفسك ان تكون نزيل أحد لا أبيض ولا أسود والآن ما أخذتها الا بسيفك والسنان يا سيد جميع الفرسان وان لم ترحل معي من هذه الارض والمقاطع الخراب والا لا آكل لك طعاما وحق رب الارباب قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب استحى من فرسان الاعراب وقال يا عامر لقد أقسمت علي بقسم عظيم حتى تريدان تكلفني أمرا جسيم من وجوه شتى الاول انني ما كان في نيتي قرب بني عبس والثاني أخاف

من قومك اذاهم رأونى يتذكرون الدم القديم ويثير بيننا الحرب ويصير الامر صعب فقال عامر ما هذا المقال ومن فى قومى يخالفنى فى حال من الاحوال أو يجرد فى وجهى سيفا أو نصال وأنا حاميتهم الذى أدفع عنهم كل مضره وما فيهم الامن خلصته من الاسر كام مره وأما قومك فانهم فى جزع الطواف وبيننا وبينهم يوم للفارس المجد وهذا أمر ما عليك فيه مضره وأنا ما بقى لى عن مفارقتك اصطبار فدع عنك الاحتجاج وارحل من هذه البرارى والفجاج ومازال معه حتى أنعم وأجاب بعد ماشاور من معه من الاصحاب فقال له أبوه شداد والله ياولدى هذا الامير ما يفرط فيه سيد قبيلته وفارس عشيرته وان كنت تخشى معيرة بنى عبس انك عدت طالب قربهم فخجلتك فى هذه واضحة لانك سرت الى أرض ملكتها بسيفك وأخذتها فديه أسيرك وصاحبها رضى أن يكون نزيلك وباقى بنى عبس فقد سال فيهم صهرهم النعمان حتى أنزلهم فى ذلك المكان فحقق فى هذه المسائل وأبصر ما بين المسؤل والسائل قال ثم انهم عادوا الى الخيام وقد راج الطعام وراق المدام فاكلوا مع بنى عامر وشربوا وأكرم عنتر عامر وأجلسه بجانبه وتركه نديمه وصاحبه وأعرض عليه أمواله وجنائبه وسأله قبولها وأن تكون من بعض هداياه ومواهبه فقال لا وحق الملك المتعال ما قبلت من هداياك عقال ولا نوقا ولا جمال لاننا جميعا سائرون وفى أرض واحدة نازلون وأموالنا بعضها تخلط ولم يبق بيننا غلط وأنا اخترتك عن أهلى وعشيرتى وحكمتك فى أموالى ومهجتى قال ولم يزالوا على مثل ذلك الايضاح الى ان أصبح الله بالصباح وركبوا جميعهم وساروا طالبين أهلهم هذا وقلب عامر طائر من شدة الفرح بسير عنتر فى صحبته وهو لا يصدق أن يراه معه فى قبيلته فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من بنى عامر فان الخبر وصل اليهم ان عنتر أسر حاميتهم فقامت عليهم القيامة ووقعت عليهم المذلة والندامة ووصل الخبر الى كبشة أم عامر فنالها من ذلك منال عظيم وفزعت على ولدها من القتل والهوان وعلمت ان عنتر ما يبقى عليه مثل ما فعل سابقا فى غيره من الفرسان فأقبلت الى ابن أختها غشم بن مالك وبكت بين يديه وشكت أمرها اليه فقال لها طيبى نفسا وقرى عينا ولا يأخذك من هذا الامر فزع ولا جزع ومن هو هذا الاسود الزنيم حتى يتجرأ على أمراء العرب ويمد يده الى أصحاب الحسب والنسب وها أنا الساعة أرسل اليه وأطلب ذلك منه فان لم يطلقه فأنا أعلم ان الفتنة تقع بينى وبين بنى عبس الجميع ولا أخلى منهم لا فطيم ولا رضيع وأنا أرسل بعد ذلك الى النعمان وأعرفه ان حامية قبيلتنا عامر بن الطفيل كان قد غزى أرض اليمن فى جماعة من الفرسان فوقع به عبد شداد فى الليل وكاثره بالرجال والخيل وأخذه أسيرا ونبدى عذرنا عنده على كل حال وأرسل الى قيس قبل كل شئ بهذا المقال فاذا أنفذ الى عبده وخلص حاميتنا من يده فقد استرحنا من القتال والحرب والنزال ثم طيب قلبها وصرفها وأقام يوما وليلة وكل ما هم أن يسير الى قيس فتعزز عليه نفسه ويأبى المذلة والهوان ورضى بالتعلل والمحال قال وما مضى على ذلك أكثر من ثلاثة أيام حتى وصل عامر وعنتر وعلم بنو عامر بصحة الخبر فركبوا الى لقائه وبشروا أمه بسلامته من أعدائه هذا وعامر قد أنفذ الخيل التى كانت صحبته مع عنتر وأمرهم أن يحكموه فى الارض طولا وعرضا ولما وصل الى بنى عمه وعشيرته وسلم عليهم وأراد أن يشرح لهم قصته قال له ابن خالته ياعامر نحن كنا سائرين اليك لان المنهزمين أخبرونا ان عبد بنى عبس قد أسرك ونراك عدت سالما وقد حضر معك فقال عامر ياغشم ان كان عنتر عندك عبدا فهو لى مولا لانه ملكنى مرتين وأعتقنى وبقيد الجميل قيدنى وأوثقنى وقد وهبته أموالى وأرضى وجعلته من الدنيا حظى ثم حدثه بما جرى له من الامور والاحوال ووصف له مكارم عنتر البطل الريال وقال من كان يحبنى من عبد ومن حر فلا يرجع له قلب

ولا

ولا يضيق له صدر قال ولما انتهى الى آخر حديثه ومقاله تعجبت جميع رجاله وأبطاله وعشيرته من حسن وفائه ومودته وأما ملاعب الاسنه فانه قال وقد آلم قلبه هذا المقال ويلك يا عامر ما هذه الفعال أترضا لنفسك ان تقول فرسان العرب الاجواد حامية بنى عامر أسره عنتر بن شداد وما قدر قومه على خلاصه حتى بذلوا فيه أرضهم ومراعيهم وعجزوا عنه وما قدروا على ملافاته فقال عامر نعم وان كان عنتر قد أسرنى فقد أسر من هو أعلى منى قدرا وشان وأرفع مكان وأذل فى هذه المرة ملوك اليمن وأذل أبطالها وشجعانها وان ادعيت انى الاقيه فى الحرب كنت كاذبا والكذب أكبر عيب فى الانسان وقد رأيت من كرم نفسه وطيب أصله وشجاعته ما رأيته من بشر مع ما رأيت أنت من شجاعتى التى لا تحتاج معها الى خبر وان كان تقول ماله نسب فان نسبه حسن فعله وأدبه وأنا قد رضيته لى معينا وصاحبا على الشدائد والنوائب يا قومى ما هو الذى قال فى حقه مالك بن مواثب حيث يقول

يروعك فى الميدان منه المضرب * همام شجاع فى الحروب مجرب * وما شرف عبسا ولا غطفان غيره
وكان له بين القبائل منصب * وما غلبت عبس لفرسان عصرها * الا الان تدعى اليه وتنسب
شجاع فلولا جده وجلاده * وصولته فى الحرب ما كان يرهب * وقد ورث المجد المؤثل بابنى
من المجد لا بما بناه الجد والاب * بنى لنا دار الشجاعة منزلا * عليه رواق العز وهو المطنب
وان مقالى له وصدق ولم أزل * على هذه الاحوال لا أتكذب

قال وما زال عامر يصف لقومه ما أبصر فى عنتر من المناقب والمكارم حتى أجابوه وسار واجميعهم الى عنتر وخدموه وأعرضوا أموالهم بين يديه وشكروه وأثنوا عليه وفضلوه وفى قبولها سألوه فقال والله يا وجوه العرب ان عامرا قد أغنانى عن كل قاص ودان لانه رآنى شريدا طريدا فآوانى وسمح بما لا يسمح به لسانى قال ولم يزل عنتر يصف عامرا ويشكر مكارمه حتى تحيرت قومه من حسن أدبه وفصاحة لسانه وتعجبوا من عذوبة كلامه وقوة جنانه قال ولما كان من الغد صنع عامر وليمة عظيمة وحضر فيها سادات بنى عامر ووجوه القبائل والعشائر وقدمت العبيد الطعام فاكلت الرجال الكرام ودارت عليهم أقداح المدام قال فلما شربوا وسكروا وطربوا أخذت بعقولهم الخمرة ودار الكلام بينهم قام عامر على الاقدام ووقف بين السادات الكرام واعترف لعنتر بالجميل وكيف أطلقه من الوثاق بعد الغلبة والقهر وأنشد يقول

أبا الفوارس قد أوليتنى نعما * جزيلة ذكرها فى البدو والحضر * لله در بنى عبس لقد شرفت
اذ أنت منها محل السمع والبصر * شرفتها فعلت حقا قدار تفعت * بمثل فعلك قد تسمو على البشر
يا فارس الخيل يا حامى الحريم ويا * مغنى الفقير ويا غوثى على الضرر * أمان لما فى البر ماجد أسد
يوم الكريهة يعفو عفو مقتدر * فكم حللت حمى قوم على غضب * أجريت فيه نجيع الدم كالمطر
وكم هزمت شجاعا ومقتدرا * يوم النزال بحد الصارم الذكر * وكم سمعنا بفعل ذكره حسن
واليوم نظرى قد أغنى عن الخبر * لو يعلمون بنوعمى بفعلك بى * جازوك بالروح بعد المال والدرر
فيا بنى السم انى قد لقيت فتى * جلت مناقبه عن سائر البشر * قد شرفت منزل الجوزا مناقبه
برفعة الشمس فى العلياء والقمر * يا راكبا للعلا فوق السماك ويا * فخر القبائل من عبس الى مضر
أطلقتنى وعفوت الآن مقتدرا * لا تدرك الشمس فى الافلاك بالبصر

قال فعند ذلك طربت جميع الفرسان وشكره عنتر وأثنى عليه وخلع على سائر أصحابه وعليه وما خرج أحد من الوليمة الا وعليه خلعة عظيمة من عنتر بن شداد وقاد لكل واحد منهم جواد بسادة ودامت الافراح والولائم وقضوا أياما كالاعياد والمواسم قال وكانت كبشة أم عامر أيضا وافرة

الذهن ضاحكة السن فسلبت عقل عبلة ومسيكة ونسوان بنو قراد وخلعت عبلة عليهم الخلع الملاح
وانبسطت معهم فى الكلام والمزاح وصارت أم عامر ليلا ونهارا عندهم وتخدم عنترة وتمازحه وتدعوله
بطول العمر وعلو المنزلة لاجل عفته عن ولدها ومحبة ولدها له وعنتر يكرمها وهم فى عيش هنى وأما
ما كان من بنى عبس فانهم سمعوا بعنترة فى بنى عامر فقال قيس ان بنى عامر ما أنزلوا عنترة فى أرضهم الا نكاية
لنا لعلمهم اننا طردناه وهذا كله بغض لنا فقال الربيع هو وقع على حريمهم وبكابين أيديهم بأنهم
يسترضوك لانه يا ملك فى هذه المرة نظر الموت بعينه وأى العرب نحويه وهو الذى نزل عليهم واذا أتاك
كل من فى الدنيا وطلبوا منك أن يرجع لما كان عليه فقل لهم أنا حلفت بغالب الاقسام انى ما أدخله
عندنا حتى يلبس العباءة على لحمه كما كان ويرعى جمالنا والاغنام حولا كاملا أو نصف عام وبعد
ذلك أقبل سؤالكم فيه لان ركوب الخيل هو الذى علا نفسه عليه فقال قيس وعلى مثل هذا كنت معولا
ياسادات وفى ذلك الايام وصل كتاب دريد الى غشم بن مالك والاخوص بن جعفر وكان فيه يا بنى عامر
أنتم أمراء العربان وأنتم أولادعمنا من قديم الزمان والمراد منكم أن تخبرونا عن بنى عبس وعدنان
نزلت على أى القبائل من العربان حتى أركب عليهم وآخذ بثارأخى عبدالله والسلام فقال الاخوص
الحمدلله على سلامة ذلك السيد العظيم نحن قد سمعنا يا عبدالخير بقتله هو وأخوه عبدالله ونسأل الله أن
لا يفجعنا فيه وبعد ذلك ان بنى عبس قد أنزلهم النعمان فى ديارنا غصبا ليس برضانا واذا ركب دريد عليهم
فنكون يا عبدالخير لا لهم ولا عليهم فهذه غرماؤه فى أرضنا وتلك الوهاد فليطبهم فى أى وقت أراد ونحن
دمانا عندهم طرية وربما اذا نظرنا دريد وقد أتاهم بالفرسان واحتاج المنار بما نكون له عونا على القوم
اللئام قال وأرسل ذلك العبد بهذه الرسالة وذلك القال والقيل وسمع بهذا الخبر عامر بن الطفيل فما
هان عليه بهذه الاحوال فأعلم عنترا بهذه الاخبار وقال له يا أبا الفوارس دريد قصده يركب على قومك
ويقلع منهم الآثار فأرسل من عندك عبدا يخبرهم بهذه الاخبار فقال له عنتر يا أخى يا عامر ان أردت
محبتى معك تدوم على طول المدا لا تذكرلى بنى عبس أبدا فعلم عامر ان قلب عنترة قسى على بنى عبس
مما قد فعلوا فيه من التعس والنكس وسكت الجميع ولم يردوا خطاب ولا أحد أجابه بجواب وأخذوا
فى مشرب الكاسات وانتهاب المسرات الى ليلة من بعض الليالى شربوا كثيرا من المدام وهم فى دعوة
عامر بن الطفيل الفارس الهمام ولما انهم عادوا الى الخيام التفت مقرى الوحش الى الامير عنتر وقال
له يا أبا الفوارس هذه الليلة احتاج أخوك عامر الخمر فأنفذ الى تاجر الحلة يشترى منه فما وجد عنده ولولا
ابن خالته ملاعب الاسنة أنفذ له فضلة خمر كانت عنده والا كنا نعتاز الخمر فى دعوته وقد سار عامر فى طلب
المدام من وقت تفرقنا للمنام فقال عنتر هذا شئ ما علمته يا أخى الا فى هذه الساعة والا لو علمنا كنا سرنا
معه وكان أخف لقلبه ولكن أنا ألحقه وقت السحر فى طلب شراء الخمر ولا أكلفه الى مالا يقدر عليه من
ذلك الامر فقال مقرى الوحش هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم صبروا الى وقت السحر
وركبوا واستعدوا الى السفر وأنفذ عنترة اخاه شيبوبا الى عروة يأمره بالركوب فى خمسين فارسا همام
وأعلم أباه شدادا بما هم معولين عليه من المرام وأوصاه بعبلة ومسيكة وسار وفى طريق أرض الشام
لطلب الخمر والمدام وعند الصباح لحقهم عروة بن الورد فى خمسين فارسا همام من الرجال الابطال
ومعه ابن أخت عنترة الهطال وجدوا فى المسير ثلاثة أيام فى البر والآكام وفى اليوم الرابع نظروا خيالا
وخيام ورايات منصوبة فى البر والآكام فعلموا انهم من تجار الخمر وقد أتوا من بلاد الشام فاشترى
عنتر كلما كان معهم بالربح الكثير فشكره على فعله الكبير منهم والصغير وقالوا له يا أبا الفوارس
لا تعد بعد هذا اليوم تتعب نفسك مع أحد من القوم فنحن نأتى ببضائعنا اليك ولا نبيعها الا عليك

وكان

وكان تجار الخمر اذا أتوا بالخمر فى زمن الجاهلية بعد أن ينصبوا خيامهم ينصبون الرايات على باب مضاربهم فتعلم الفرسان ان التجار قد أتوا بالخمر فيأتون من البر الاقفر ويشترون ما معهم من الخمر واذا نزلت الراية عن مضاربهم يعلم العرب ان الخمر فرغ من عندهم وما كان عنتر فى زمانه يجوز على تجار الخمر ويبقى لهم راية لانه كان يشترى منهم جميع ما معهم الا أن عنتر لما انه اشترى الخمر وقلنا ما اله من الامر عادراجعا حتى قارب أرض بنى عامر وهم فرحون بما معهم من ذلك الخير الوافر فقال لمقرى الوحش يا أخى قد حصل معنا كثير من الخمر نريد شيأ من النوق لاجل النحر وقد عولت ان أنفذ هذه الاحمال والمهمات الى أبى شداد فى الابيات وأسير فى طلب غنيمة تنفقها فى الولائم والدعوات فقال مقرى الوحش افعل ما تشاء وسر بنا الى أين ما أردت من الفلاحتى لا نكاف صديقنا عامرا أكثر ما كلفناه فعند ذلك أفرد عنتر للخمر عشر فوارس وسيرهم به الى الحى وسار فى بقية أصحابه طالب جبال بنى طى وأرض شهلان وصار شيوب يقصد بهم المنازل العامرة يجدها خالية من الاهل والسكان فأنكر ذلك وحار فى سبب خلو تلك الديار فعلم عنتر منه تلك الاحوال لما رآه يقصد رؤس الروابى والتلال ويأخذ تارة يمين وتارة يسار فقال له ويلك ياشيوب ما قصتك ان سلكت بنا هذه الديار الخراب المتباعدة من الاهل والاصحاب أو تقضى الايام بغير فائدة فقال له شيوب والله يا ابن الام والله ما كنت أعهد هذه الارض الاعامرة بأهلها قبل دخولنا الى بلاد اليمن وأراها اليوم قد تبدلت وخانتهم صروف الزمن ولا بقى قدامى يا ابن الام الاقوم يقال لهم بنو هلال وكنت أعهدهم مجلبين الحال كثيرين المال والرجال والصواب انكم تنزلون هاهنا وتقيمون فى انتظارى حتى أشرف عليهم وأعود فان كانت أرضهم مثل هذه الارض مقفرة عولنا على العودة والرواح ولا نفلح فى طلب ما لا يصلح ثم اننا نعرج على المسير فى البر الاقفر ولا نتعب فى طلب ما قد تعسر فقال له عنتر افعل ما بدا لك واجتهد انك تعود فأنا ما بقيت أرجع الا بما أريد ولو ان الارض ملئت رجالا وفرسانا صناديد لان ارماحنا خارقه وسيوفنا بارقه وللاعداء ماحقه ورجالنا فى الحملات صادقه قال ثم أقاموا فى تلك الارض وكانت كثيرة الغدران واسعة المروج والقيعان أمياهها نابعة ووحوشها راتعة وروائحها عاطره سابغة فاشتغلوا فيها بالصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص ومضى شيوب فى ذلك البر والطلل يدور لهم على حلة من الحلل وكان قد فارقهم ضحوة النهار فعاد اليهم والشمس قد لبست ثوب الاصفرار قال فلما رأوه تباشروا بسرعة عودته وسألوه عن أخباره وقصته فتبسم ضاحكا وقال لاخيه والله يا ابن الام لقد سبقك أخولك الى ما كنت له طالب وعاد بما يريد وعدت أنت خائب فقال له عنتر ومن هو أخى وما هذا المقال فقال له شيوب انى لما سرت الى أرض بنى هلال فرأيتهم وقد تعلقوا برؤس الجبال ودرت أرضهم فوجدت آثار المعمعه ورؤس عن الابدان مقطعه ووحوش فى الجثث راتعه وطيور على الاجساد مجتمعه وهم فى أسوأ حال ونساؤهم يندبن على الرجال فسألت بعض العبيد عن ذلك الحال فقال لى يا أخى من مدة ثلاثة أيام غارت علينا فوارس مع عامر بن الطفيل لانه كان دائما يشن الغارات الى أرضنا فقتل رجالنا ونهب أموالنا وسبى حريمنا وتركنا كما ترى فقال له الله سريعا ولا أمهله لانه ترك ديارنا قفار وأحلاها من السكان والجوار والى لما سمعت كلامه تعجبت من هذا الاتفاق فقلت له يا ابن الخالة وأنتم كيف وقفتم فى هذه الديار من بعد سكانها الذى أفناهم عامر بن الطفيل بكثرة الغارات وهجج أهلها فى البرارى والفلوات فقال لاننا كنا اذا سمعنا بخبره نصعد الى رؤس الجبال ونحصن فيها الاموال والعيال الا فى هذه المرة انقطعت عنا أخباره مدة من الزمان وسمعنا انه قد اشتغل بمصاحبة عنتر بن شداد وعمل الولائم ومواضبة شرب المدام فأمنا ونزلنا الى القرى بخرى علينا ما ترى ثم قال شيوب لاخيه عنتر فى

آخر كلامه والله يا أبا الفوارس ان عودتنا أصلح لنا وقد أعلمتكم بالحال وأمرتكم بالارتحال قال فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لشيبوب نعود الى أرضنا بعد النصب والتعب بالاموال وحطام لاوذمة العرب عرج بنا ولا يأخذك الضجر فان الرزق كثير كما شاء رب البشر الذى قضى وقدر والرزق تارة يسهل وتارة يتعسر ثم انهم باتوا بتلك الارض وهم يتحدثون فى شجاعة عامر بن الطفيل ويتعجبون من فروسيته وكيف أخلى تلك الارض بهيبته ففرح عنتر بصادقته ومصاحبته قال وباتوا تلك الليلة مالهم حديث الا فى الشجعان والابطال والفرسان وأخذ القوم يثنون على عامر ابن الطفيل ويصفوا عظم هجومه على الخيل وخوضانه الحرب فى النهار والليل فقال واحد وحق الكعبة الغرا وأبى قبيس وحرى ماسمى عامر بالشجاعة والقوة والبراعة الا من حين أبعد عمرو بن ود العامرى عن هذه الديار وهج فى البرارى والقفار والا ما كان لعامر اسم يذكر فى الاقطار فقال عنتر يا ابن العم والله لقد سمعت به وبطرف من شجاعته وقوته وبراعته وكيف انه رحل عن هذه الديار وطلب سكن البرارى والقفار فقال الرجل يا مولاى من عظم تجبره وتكبره لانه يرى الناس دونه والارض كلها فى قبضته فطلب أن يسكن القفار والسباسب والاوعار وانتزح عن الاهل والديار وقال أنا مالى فى البلاد قرين ولا أحتاج الى مساعد ولا معين وأنا حسامى أغنانى عن الاصحاب ولا أحتاج الى قرين من الاندال ولا أسكن الا البرارى والرمال مثل ما يسكن الاسد الرئبال ولا أخاف من الابطال ولو كان البر يسيل على كله رجال وأفيال ثم ان الرجل أنشد وقال

سكنت قفار البر ثم السباسب * وقد عفت نفسى عن قرين وصاحب
فلا صاحب لى فى البلاد أريده * ولا مؤنس الا حسامى بجانبى
اذا ما عسفت البر أنظر وحشه * وأسده ما بين جاء وذاهب
لان جميع الاسد فى القفر تختشى * مقامى فتغدو عند وقع مضاربى
فكيف مجال الانس فى حومة الوغا * اذا ما رأت وجهى عند التحارب
وليس بوجه الارض مثلى مقاوما * ولا تحتها مع وسعها والكثائب
وقد حكم الكهان انى همامها * وليث الورى فى شرقها والمغارب
ولا أختشى الا اذا جاء فارس * شرين عفيف من بنى آل طالب

قال ولما انتهى الرجل من كلامه وانشاده شعر عمرو بن ود العامرى قال له عنتر وما رجعت سمعت له قط من خبر فقال له لا وحق البيت والحجر الا انى سمعت كلامه من بعض زوار البيت الحرام وبعضهم قال اننا رأيناه فى بعض الاعوام عند الركن والمقام لان الكهان ذكروا انه فارس دهره وفريد أوانه وعصره ان سلم من فارس يظهر من آل طالب ويكون فارس المشارق والمغارب وقد تساعده على سعادته الكواكب فقال مقرى الوحش وحق خالق العباد وجاعل الجبال أوتاد ما يقدر أن يقف قدام عنتر بن شداد الطويل النجاد الرفيع العماد الذى علا على سائر الشجعان وساد وسما على الكرام الاجواد وقهر بالسيف جميع فرسان البلاد فشكره عنتر على ذلك وأثنى عليه وباتوا على ذلك الايضاح الى ان أصبح الصباح ركبوا ظهور الجرد القداح وساروا فى البر والبطاح يطلبون أموالا ينهبونها ورجالا يقتلونها وقد أخذ بهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم أجمع وفى اليوم الثانى أشرفوا على مرج بزهو رفائحه ومياه سائحه وطير تسبح رب البريه وذلك المرج الموصوف بما ذكر كأنه من مروج الجنة المنيه وفى وسطه روضة بهيه بهجة كافوريه وتلك الارض أزهارها فائحه وأمياها طامحه وأنوارها كالبروق لائحه وزهرها قد أينع وحسنها قد أبدع وبمثلها لم يسمع ودائر حدودها جبال

أربع متعلقة بالسحاب المهمع فسبحان الذى خلق وأبدع فلما نظرها عنتر تعجب من حسنها وتحير مما رأى فيها وأبصر من معانيها وهى كما قيل فيها

منزل قد صبت به الانهار * وتغنت فى دوحه الاطيار * فرخ الوحش به والطيور جميعا
وكساه من المهيمن الانوار * خير أرض يحل فيها * أعنى منزلا نعم المزار

(قال الراوى) فأمرهم عنتر بالنزول فيه فنزلوا فى ذلك المرج الفاتن وباتوا فيه الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وعولوا على الرحيل والرواح واذا بغبار قد ثار وأقبل من صدر البريه قاصدا تلك الروضة البهيه والجو قد أظلم منه واعتم وسمعوا فيه فوارس تهمهم وتدمدم فدخل القوم فى العدد والسلاح وتأهبوا للحرب والكفاح وجعلوا يحدقون الى ذلك الغبار وينظرون ما تحته من الاخبار فقال مقرى الوحش انظر يا أبا الفوارس ما هذا الغبار وما يكون تحته من الاخبار فقال عنتر يا فارس الشام وأى شئ علينا نحن من الغبار والقتام ولو أن من فى الارض يكون لهم علينا ثار مالهم عندى هيبة ولا مقدار فان كانوا أصحابا فيا بشراهم وان كانوا أعداء فنيناهم ومن كؤس الردى سقيناهم ولو انهم ملء هذه البيداثم انه التفت الى شيبوب وقال له ماوقوفك يا ابن السوداء امض اليهم وخذ لنا خبرهم وبشرهم ان كانوا أعداء بهلاكهم ودمارهم فعندها ألقى ساقيه فى البر الاقفر ساعة وغاب عن البصر فرأى جيشا جرار وفيه كل ليث مغوار ويقدمهم فارس هما مضيق اللثام كأنه أسد ضرغام لا تهوله المصائب وخلفه فوارس كأنهم الكواكب على خيول مثل السلاهب وغبارهم يحكى الغياهب متقلدين بالصوارم ولهم من تحت الغبار هماهم ودمادم قال فلما رأى شيبوب الى ذلك القوم فنادى بعد ما تقرب منهم حيتكم اللات والعزى وخصتكم بالنصر من الهبل الاعلى اخبرونا من تكونوا من الفرسان بين العرب وبمن تعرفون من أصحاب الحسب والنسب فلما استتم كلامه حتى ناداه فارس منهم وكشف عن وجهه لثامه وأرخى لجواده عنانه وقال له يا ابن اللثام مالك بالسؤال عن فرسان الزمان وملوك العصر والاوان ارجع ثكلتك أمك الى من أرسلك من قومك اللثام وأمرهم ان يتقدموا الى خدمة فارس البيت الحرام وحامى حوزة الارباب والاصنام قبل ان يسقيكم كؤس الحمام لان هذا الفارس هو الليث الكرار والبطل المغوار ومن تفزع منه سكان البرارى والقفار المعروف بعمرو بن ود العامرى والذى معه كلهم أولاد عمه واقاربه (قال الراوى) وكان هذا الفارس قد نشأ من صغره وصباه وهو يقهر من الفوارس جميع من لقاه وكان له سبب عجيب وأمر مطرب غريب نقدم ذكره على الترتيب بعد ما نسمع من يصلى على النبى الحبيب ويعلم السامع كيف كان حديث العرب ومنشأ الفرسان لان مثل هذا الفارس لا يهمل أمره ولا يجب على المؤلف تركه وكيف لا يكون فارسا مذكورا وبطلا مشهورا وقد بارز الامام الادرع والبطل الصميدع الكمى الانزع امام بنى طالب والد السبطين على بن أبى طالب وذلك يوم غزوة الخندق وقد شهد له الرسول المحقق لانه يعلم ان ما فى زمانه مثله ولا من يفعل كفعله وكان قد انحط من ظهره واعوج صلبه وقاتله الامام على رضى الله عنه وعمره نحو امن عشرين سنة وعمر ذلك الملعون مائة وعشرون سنة وجرى له مع الامام ما جرى لما ضربه بذى الفقار فوقعت على فخذه فطار ووقع على الارض وتعفر فأخذه اللعين فى يده كالمقلاع وضرب به الامام على فحاد عن ضربته بحسن شجاعته فخرجت مثل الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب فوقعت فى خيمة من خيم الانصار وكان فيها رجلان من الصحابة الاخيار فأصابهما الفخذ فقتلهما وكان بينه وبينهما أكثر من ثلاثمائة خطوة ولما بارزه الامام على رضى الله عنه نصره عليه الملك العلام ولو عاش عنتر الى أيامه لصار من جنده وأعوانه والا كان أسقاه كأس الحمام

قال وذلك ان أباهذا الفارس الذى نحن فى ذكره كان يسمى ودن سنان وكان قد جرى بينه وبين اخوته خصومة وكلام فرحل من قبيلته وهى بنو عامر الى بيت الله الحرام وقصد مجاورة الارباب والاصنام وطاب له هناك المقام واقام مدة من السنين والاعوام الى ان كبر سنه ودق عظمه ولم يرزق من ظهره بولد همام يحمى عشيرته بعده من الاعداء والمبغضين وكانت الكهان تبشره بهذا الولد كل حين وتوعده بالبنات والبنين حتى تزوج بامرأة من قريش يقال لها حليمة بنت الحارث المخزومى ولم يكن فى زمانها أحسن منها فعمل لها عرسا ومهرجان وحضر فيها الخاص والعام وتقدم ود العامرى الى الاوثان والاصنام وقدم لهم النذور الحسان وسألهم ان يرزقه الملك العلام بولد يكون بطلا همام ودخل بزوجته وواقعها فحملت من ليلتها ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأخذها فى بعض الليالى الى البيت الحرام وطاف بها سبعا وقد استقبل الاصنام وقال يا رباه انى أشهدت على هذه الاوثان ان وضعت زوجتى ذكرا كان هبة منى اليك ثم انه شد على ذلك وقوى يقينه الى أن أتاها المخاض فولدت ولدا كأنه الاسد مفتول الذراعين غليظ الساعدين الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه فلما رآه أبوه بهذه الصفة فرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وسماه عمرا وعمل له وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وتكرم وبذل الاموال والنعم وخلع على الاصنام وكسى الارامل والايتام وعم الناس بالاحسان وعكف على تربيته الى أن كبر ومشى وترعرع وانتشى ومرت عليه الليالى والايام واجتهد أبوه فى تأديبه وفروسيته فاكتسب الشجاعة والبراعة وصار يبارز الابطال كل وقت وساعة حتى قهر الشجعان والفرسان فى سائر النواحى والبلدان واستطال عبد المطلب بن هاشم على جميع العرب المخالفين لطاعته والخارجين عن ارادته وسماه فارس الجبل وكان كأنه قطعة من جبل ومات أبوه وأخذ مرتبته وسار بسيرته وكان أكثر غاراته الى بلاد اليمن وأرض صنعا وعدن وكان موصوفا بحسن الاخلاق والشيم وبلغ من الشجاعة كثيرا ولاقى فى غزواته الاقران وقهر كثيرا من الشجعان مثل سبيع بن الحارث الحميرى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وجبار بن العنكبوت والاسود بن برهوت وكلما بلغته أخبار عنتر بن شداد يقول لفرسانه وأبطاله واجناده يا بنى الاعمام هذا رجل مسعود ولا يقاتله أحد الا يموت مكمود ومن يقدر يمنع الامر العميم ان أسعد الرب القديم عبدا زنيم والوجه الثانى انه يقاتل عن البيت الحرام ويحامى عن الارباب والاصنام وان اجتمعت أنا واياه فى حومة الميدان ما يكون الا ما يريده الملك الديان قال وكان أول اجتماعه بعنتر فى هذا المكان وكان أنفذه الشيخ عبد المطلب الى الملك النعمان فى طلب حقوق البيت الحرام واستخلاص أموال الارامل والايتام وكان له عليه رسم فى كل عام على وجه الهدية والاحترام وكان سار فى مائتين من الفوارس من بنى عمه وفرسان البيت الحرام فلما ان قضى أمره وأخذ من الملك النعمان رسمه أقبل على الفرسان الذين معه من بنى عبد المطلب وقال لهم امضوا أنتم بهذه الاموال فى البر والسبسب الى البيت الحرام واسبقونى بها الى زمزم والمقام وأنا أسير بذلك المائة فارس الذين هم من قومى وبنى عمى عسى ان نلقى غنيمة نكسبها أو قبيلة عاصية ننهبها فودع بعضهم بعضا وأخذوا الاموال وافترقوا من تلك الارض وعرج عن الطريق والاكام وقصد جهة أرض الشام فى طلب الكسب والحطام وقطع فى البرارى أيام فمر على طائفة الاونهبها ولا حلة الا وكسبها حتى اكتسب أموالا عظيمة لها قدر وقيمة وكان له عبد يقال له أبو الخير وكان يقابله فى الشجاعة والبراعة وكان أحيل من شيبوب وأمكر وأخبث وأشطر فأمره عمرو أن يحفظ الاموال والنوق والجمال وأفرد معه جماعة من الاقيال وأمرهم ان يسيروا بها الى الاطلال وساروا فى البر والمهاد الى ان التقى بعنتر بن شداد ونظر غباره هو ومن

معه من الاجواد وأنفذ عنتر شيبوبا يكشف له الخبر كما ذكرنا وخرج له ذلك الفارس كما قدمنا وخاطبه بذلك الخطاب وردّ عليه الجواب قال فلما سمع شيبوب من الفارس ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلاما فرماه بسهم في فاه خرج يلمع من قفاه فوقع عن ظهر فرسه وقد انقطع من نفسه فلما رأت أصحابه الى ما حل به من شيبوب تصايحوا عليه ومالوا جميعهم اليه وطردوا خلفه مثل الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب فعاد شيبوب أسرع من الريح الهبوب فانذهلوا منه وقالوا ان هذا الشيطان من البادية أو هو من عفاريت الارض الطاغية فلم تكن الا ساعة حتى عاد وخلفه فارس كأنه طود من الاطواد وهو ينادي يا أوغاد غير امجاد أنا عنتر بن شداد اتركوا الاضغان والاموال والاحمال بكم الذل والخبال وان كان فيكم أبطال وأقيال فدونكم الحرب والقتال والطعن والنزال قال فلما سمع عمرو بن ودصياح عنتر وكلامه ورأى هجمه واقدامه نادى بعلو صوته يا للعرب هذا الفارس المنتخب الذي سمعت به وبخبره وكنت منتظرا النظر ثم أمر قومه بالانزال عن الحرب والقتال وقال لهم قفوا يا رجال فما للحديد الا الحديد ودعوني أجرب روحي مع هذا البطل الشديد الذي قد امتلأت الدنيا بذكره واجتمعت كل الطوائف على شكره فمن قهره نال الشرف والفخر وسمي فريد الدهر وفارس العصر ثم انه صاح وقال مهلا يا أبا الفوارس لا تغتر بالزمان فان للبغي مراره وانه مصرع للرجال الغداره فلما سمع عنتر كلامه ورأى قلة افتخاره وسرعة جوابه علم انه فارس همام وأسد ضرغام وليث قمقام فتبسم عنتر عند ذلك الكلام وقال له أيها الفارس المغتر بنفسه اي بغي رأيت مني وأي عجب صدر حدثت به بي وأنا المنصف على نفسي ولا أعجل على أبناء جنسي فدونك والميدان والضرب والطعان ومقام الفرسان وأظهر ما عندك من الشجاعة والحميه وبادر في طلب الفداء ان كان لك نخوه واعلم ان الفرسان تتفاضل والشجعان في الحرب لا تتقابل ثم ان عنتر التفت الى مقرى الوحش وأصحابه وقال لهم على رسلكم دعوني أناوه ذا الفارس فانه ليث عابس وبطل مداعس ثم انه شد على جواده الابجر من بعد ما حل له حزامه وتفقد له لجامه وغاص في عدته واستوى على ظهره وفعل عمرو كفعله وقدم كل واحد منهما سنانه وأرخى لجواده عنانه هذا وعنتر صرخ في جوده الابجر وقال له انتبه من نومك يا أبجر فما أقول انك لاقيت مثل هذا الفارس التي شجاعته لا تنكر ثم انه صال وجال وأنشد وقال

شريت القنا من قبل أن يشترى القنا * ونلت المنى مع كل أشرس عابس
فلا كل من يشرى القنا يطعن العدى * ولا تحتوى كل الفوارس فارس
وقلت لمهرى والقنا يقرع القنا * تنبه يا ذا المهر ان كنت ناعس
فجاوبني مهرى الكريم وقال لى * أنا من جياد الخيل كن أنت فارس
فقلت لمهرى أيها المهر أنت بى * خبير كما انك جوادى مؤانس
ولما تجاذبنا السيوف وأبرقت * سيوف المنايا كنت أول لابس
ورمحى اذا ما اهتز في يوم معرك * تخر له أسد الدحال القناعس
وما هابني يا عبل فيك مهابة * وما راعني يوم الطعان الفوارس
أنا الفارس المرهوب في حومة الوغا * بسيفي ورمحى آخذ بالمنافس
فدونك يا عمرو بن ود ولا تحل * فرمحى ظمآن وسيفي عابس
ولا لك عندى في الحروب مهابة * وسوف أخلى رأسك اليوم ناكس
وان لم تكن يا عمرو رب جمية * فأنت من القوم اللئام الاراجس

وسوف أدعك اليوم ملقى معفرا * بوجه الثرى كبوا برغم المعاطس * أنا عنتر العبسى فارس قومه
فريد وحيد فى الورى غير ناكس * وسعدى علا فوق السماكين رفعة * وشق جميع الافق للجوقابس
فعالى كضوء الصبح نورا ورفعة * ولونى يحاكى ليل الحنادس

قال فلما سمع عمرو هذا الكلام وسمع الشعر والنظام صار الضياء فى عينيه ظلام لانه ما كان يظن ان أحد يخاطبه بمثل هذا الكلام وانه أشجع من جميع الانام الا أنه نظر الى عنتر نظر من له معقول ثم أجابه على شعره يقول

اذا قلت فى دعواك انك قاتلى * وانك ياعبد اللئام مجالس * قد حزت القنا قبل كل من
شراها وأنت المبتدى بالمنافس * فانى صحبت السيف من قبل آدم * وكان ضجيعى قبل خلق الابالس
ورمحى اذا ما اهتز فى وسط راحتى * تخر له أسد الشرا والدواعس * وسوف ترانى هما ما غضنفرا
يهزم فى الوغا كل الفوارس * فان كانت الاصنام حقا تعينتى * عليك فأنت اليوم واهى المطالس
وان قلت فى ذا اليوم انك هالكى * كذبت وهذا قول زور هاجس * لان جميع الخلق من كل كاهن
حكيم عليم بالامور النفائس * يقولون انى سوف أبلغ منتهى * سنين عديدات أبيد الفوارس
وأبقى الى ان يظهر المطهر أحمد * وأصحابه الاخيار زين المجالس * هنالك يكون المنتهى بى لمدتى
صحيحا حقيقا لا قول هاجس * فدونك منى أدرع متغشرم * أبيد بسيفى كل ليث شارس
وقد شاع ذكرى انى أوحد الوغا * ونجمى علا شهب النجوم القوابس * شمس نور للاراضى جميعها
تضىء وتجلا فى ظلام الحنادس * وأنا ابن ود ليس ينكر موقفى * اذا ازدحمت سمر القنا عند التلابس

قال فلما فرغ عمرو بن ود من شعره نادى لعنتر ويلك أنت تقول انك أحق منى بالشجاعة وعظم الشان أو يغرك حديثك انك قهرت الفرسان ولاقيت لك مقاوم فى هذا الزمان وان الاصنام لم تجزان تسبب لك من يقهرك فى هذا المقام فوحق الملك العلام انى ما تركت المسير اليك فى هذه الايام الا احتقارا بك وبامثالك لانك هين ودنى فى النسب وموكوس العرض بين العرب وقد أخبرنى الكهان انى أقاتل السادات والاصفياء فكبرت نفسى ان أقاتل أبناء الاماء ولا خطرتك لى على بال ولا قلت ان حالى يرجع معك الى هذه الاحوال لانك ما أنت من أشكالى ولا تعد من أبطالى

قال فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ياعمرو وحق من خلق من كل نطفة انسان وجعل هذه الصور تنطق بكل لسان ما أحد من هذا الزمان يخطر لى على بال فدع عنك الهذيان والمقال ثم ان عنتر صال وجال وأنشد وقال

يا ابن ود العامرى الخائب * دونك حربى والتقى مضاربى * السيف أدنى نصرة من صاحبى
ومن بنى عمى وكل أقاربى * دونك حربى انى لصميدع * لا أختشى فى الحرب ذات محارب
ملأ الشرق خوفا عزائم هيبتى * وقد غدا خوفا الى المغارب * أعطانى الرب المهيمن قوة
ألقى بها الاعجام والاعارب * سعدى قرينى أينما سرت سارى * وان أقم فهو لى مصاحب
وان هممت بالمسير لم أكن * الا كنجم فى السماء ثاقب * والارض ملكى والملوك فى يدى
وكل ما فى الارض جمع كتائبى * نجمى على السبع الطباق صاعد * حتى علا نجمى على الكواكب
فان كنت حقا يا ابن ود فارسا * فابرز لتلقى منى العجائب

(قال الراوى) فأجابه عمرو على شعره يقول هذه الابيات

يا دهركم تبدى لنا من عجائب * وأحوالنا بين مخط وصائب * وجدت لى عبد الشيما فاجرا
لا يصرن لعاذل وعاتب * قد قالت الكهان انى لم أمت * حتى أرى ليث الحروب الغالب

وقاهر

وقاهر الابطال فى يوم الوغا * وفى الحروب مظهر العجائب * الطيب الاصل الرفيع قدره
مؤيد من خير قوم طالب * وما أرى الا لئيما أسودا * مشوه الخلقة نذل كاذب
ان صح هذا منه حقا اننى * أبقيه لى طول الزمان مصاحب
وأهجر أهل العلم جمعا دائما * وأتبع الكهان بالنوائب

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى منه الطعن بالقواضب وأبدا كل منهما العجائب وهدر كل واحد منهما كالاسد الهدار أو البحر الزخار وعلم عمرو ان عنترا بطل مغوار وفارس جبار فصرخ فى وجهه صرخة الغضب وعبس فى وجهه وقطب حتى اهتزت لهما الاقطار ونفرت منهما الجن والعمار هذا وقد زعقا زعقات متواليات كادت أن تزول منها الجبال الراسيات وتتابعت منهما الصرخات والعيطات والهمزات الى ان بقيت القلوب مرتاعه وكانا بطلين عند الشجاعه وكان لهما ساعة يالها من ساعه صرخا فى أعقابها صرختين مختلفتين صرت لهما الخيل أذانها وارتعدت أجسامها وتأخرت على أعقابها وظن الحاضرون بأن السماء انشقت والمواعيد قد حقت وان الارض تزلزلت والجبال تدكدكت الا انهما بعد الانطباق أخذا فى الانفساح كأنهما كباش النطاح أو كأنهما بحران زاخران فاض كل منهما على الآخر وساح وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرها الحجر الجلمود ويعرف الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود لانهما تصادما تصادم الماء فى أيام الزياده وكل من نظر اقتالهما ظن انه طار فؤاده ومالا عن ظهور الخيل من فوق الروج حتى تعلمت منهما الابطال حقيقة الدخول والخروج ولم يزالا فى طعن وضرب وهما تارة فى الميمنة وتارة فى الميسره وهما كأنهما النيران المسعره وهما فى كر وفر وصد وردو هزل وجد وبعد وقرب وكان كلما فتح أحدهما باب اساءه الآخر بحسن صنعته التى يختبرها فى الطعان والضراب لان كل واحد منهما كان وجهه ترسه وصارمه قلبه وكان الاثنان كأنهما أسدان ضاريان لا يغفل الواحد عن صاحبه طرفة عين حتى أيست منهما الطائفتان خوفا عليهما من الهلكان وانكسر منهما الرمحان وتثلم منهما السيفان وأشرفا على ذهاب الروحين وأقاما على تلك الاخطار من الصبح الى آخر النهار وذهب النهار بضيائه وأقبل الليل اليهما بظلامه وسقطا على وجه الارض بعد العراك والفرسان ينظرون بالاحداق وخشيت عليهما الطوائف من الهلاك وأضرمت فى قلوب أصحاب عمرو النار وقد تقدموا لينظروا ما يجرى له مع هذا البطل الجبار وقد نوى كل واحد منهما ان أصابه شئ على الفرار والتشتت فى الاقطار وكذلك فعل أصحاب عنتر مثل فعلهم ومقرى الوحش فى أوائلهم وهو يقول ان حمل أصحاب هذا الفارس على عنتر حملنا نحن عليهم ونفرقهم فى هذا الليل الدامس قال وكان عمرو بن ودقد كل ومل وضعف قواه واضمحل هذا وعنتر حين أبصر منه التقصير ترجلا عن ظهور الخيل وعرفا انه قل منهما القوى والحيل فاستطال عليه عنتر فلما تحقق خصمه منه ذلك الامر قال له ما قولك يا أبا الفوارس فى الانفصال والرواح الى أن يصبح الصباح ونعود الى الحرب والكفاح فقال عنترا وحق مسير الرياح وفالق الاصباح مابقى لنا براح الا ان ذهبت الارواح ولا لنا غنى عن طعن الرماح وضرب الصفاح لانى فارس بجحاح لانى أدهم والليل أدهم وجوادى أدهم ثم وثب اليه مثل الاسد الضيغم فلما سمع عمرو بن ود كلامه بهت وتحير وحصل له الغيظ والضرر واشتد حرقه وزاد غيظه وحنقه وخطف سيفه ودرقته وركب على ظهر جواده الغمام وقال وذمة العرب الكرام لاسقينك كؤس الحمام فى حنادس الظلام أتظن أنى أفر من الحرب أو أمل من الطعن والضرب لاسيما وقد حكمت لى الكهان والعلماء والاقران ما على موت فى هذه الازمان ولا أخاف من هذا

الاوان لانى أعيش الى أن يظهر المبعوث من عدنان ومعه فارس الزمان وسيد الشجعان والتقيه
فى حومة الميدان وبيان فى ذلك الوقت الرابح من الخسران قال وكان عمرو بن ودا العامرى أخبر الخلق
بضرب الحسام وقد استطال به على سائر الانام ولا خلق قبل سيدنا محمد أحد فى طبقته ولا قاومه فى
الجلاد الا عنتر بن شداد الذى أخذ ذكره وعليه ساد ولا ترك له ذكر اياذكر ولا حديث يشتهر لان
عنتر كان أكثر حربا وأقدر وقاتل كل جبار غشمشم من العرب والعجم ومارس الطوائف والامم
وكان كثير الاسفار فى الاقطار وكان يحب السبق الى كل مكان وأحوجه حب عبلة لملاقاة الفرسان
وكان يسمع بذكر عمرو على ممر الايام ويراقبه لاجل محاماته عن البيت الحرام ولولا ذلك مارماه
القضاء والقدر الى ذلك المرج الاخضر وما عمرو يطلب القتال مع عنتر وانما كانت الكهان تبشره
بقتال فارس عدنان فكان يوفر روحه على ممر الازمان وتكبر عليه نفسه عن أن يقاتل أحدا من
الفرسان وكان يطلب العلا وتصغر عنده الفرسان الا انه لما خطف الدرقه كان أقبل الظلام وقد
خطف عنتر من عمرو والآخر سيفه الهندوان وحمل عليه كأنه الاسد الغضبان فالتقاه الآخر فى
حومة الميدان وتدانا من بعضهما الاثنان فتضاربا بالسيوف على الدرقات حتى أضاءت من بريق
سيوفهما الطرقات وأضاء الافق والمحلات وخيل للناس ان البرق قد ودق وسال منهما العرق من
كثرة الغيظ والحنق وأخذ بالناس عليهما القلق ولم يزالوا فى كر وفر وهزل وجد وأخذ ورد وعراك
واشتباك والزام وفكاك الى أن أصبح الصباح وطلع الضوء ولاح وبنوره قد أشرق وانهزمت عساكر
الدجا والغسق وما بقى فى أيديهما غير مقابض الدرق فأخذا مع المقابضة بقوة السواعد وقاسيا
الاهوال والشدائد واعتركا واشتبكا والتزما واصطدما حتى طلعت عليهما الشمس فى الاكام وهما فى
صدام والزام حتى جثيا على الركب وأضربهما التعب وأيقن الاثنان بالعطب ولم يبق فى الطائفتين
أحد الا وبهت منهما وتعجب هذا وعمرو قد تحير من فروسية عنتر وأخذه التعب والضجر وتعجب من
صبره على الاهوال وجلده على الحرب والقتال والطعان والنزال ورآه فخلا ذكر لاعل ولا يضجر
وأيقن نفسه معه فى مقام الخطر فخاف انه بعد الربح يخسر فصاح يا أبا الفوارس تمهل واصبر فى هذا
المقام المنكر فأنت فى زمانك أوحد البدو ثم الحضر ولا تطمع نفسك انك ترمينى قتيلا وعلى الثرى
جديلا فمالى ولالك فى هذا الزمان عديل الا انى أنا الفارس القبليل وأنت الفارس النبيل وقد
بشرنى الكهان انى أعيش الى زمن النبى العدنان المبعوث باشرف الاديان وأحارب فارسه المشهور
للايمان وقد كفينا بما لقينا من الحرب وتحيرت من أفعالنا الشجعان ولا بيننا أخذ ثار ولا كشف
عار ولا زاحمتك على عبلة ولا فى قلبك منى دبلة وأنا مقرلك بالفروسيه والشجاعة والحميه وغرضى
أن أتخذك صاحبا ورفيقا وركنا وثيقا عند نوائب الزمان وطوارق الحدثان لانك أوحد الزمان
وقد يكفيك قولى بين هذه الفرسان وحق من ركب الارواح فى الابدان ما عدت بعد يومى هذا
أركب حصان ولا أضرب بحسام ولا أطعن برمح ولا بسنان مادمت أنت موجود فى العصر والاوان
الى أن يظهر النبى العدنان الذى دينه ينسخ الاديان ويكسر الاصنام والاوثان وانظر ما قالته
الحكماء والكهان ولقد رأيت منك ما لا أراه من الخلق قال فما صدق عنتر أن يسمع هذا المقال ويحقق
هذا السؤال لما أضر به الحال لانه أراد أن يطلب منه الاقالة لما أبصر منه ما أهاله فقال له عنتر
وحق ذمة العرب أنا الذى أشرفت منك على العطب ورأيت ما لا أراه من أحد من النصب ثم انهما
تعانقا وتحالفا وأقسما أنهما لا يخون بعضهما بعضا والتأم شملهما وباتا فى تلك الارض ومازالا فى
حديث ومزاح الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعزما على الرحيل والرواح وودع

كل

كل واحد صاحبه وزالت من قلوبهما الاحقاد وعاد عمرو بن ودا العامرى وهو يمدح عنتر بن شداد وهو ينشد هذه الابيات

لقيت الهمام الاسود اللون فى الوغا * رأيت هماما بين أسد ضراغم
فلاقيت منه كل صعب وانه * شديد القوى فى الضرب والحرب قائم
جرىء قوى أسود اللون حالك * كمثل ثناه المسك عند النظائم
كأن نقا أسنانه فى سواده * بيض الضيا فى حالك النقع قاتم
ولولا سواد المسك ما كان غاليا * كمثل سواد الرمح بين اللهاذم
ولكنه عبد سعيد وقد غدا * بافعاله كسادات قوم أكارم
ومن كان ذا أصل ولا فضل عنده * ولا خير عنده كبعض البهائم
هنيئا لمن كان الزمان مساعدا * له فى الموالى بين أولاد آدم
ولما اصطلحنا فرق الدهر بيننا * وما زال حكم الدهر ضربة لازم

قال ولم يزالوا سائرين فى الاكام الى أن وصلوا الى البيت الحرام وأما عنتر بن شداد فانه فرح بما جرى له من الايراد مع عمرو بن ودا العامرى من الوداد فسار وهو يصف لقومه شجاعته وبراعته وقوته وجلادته وخفته فى الحرب ونهضته ويقول يا بنى عمى ما رأيت قط فارسا أشد ولا أشجع ولا أقوى ولا أمنع من عمرو بن ودا العامرى الفارس الصميدع ولقد فرحت بمصادقته وكفيناشره وشر قوته ثم انهم ساروا وعنتر ينشد ويقول

أقسمت بالفلك العظيم الدائر * وبما حوى من كل نجم زاهر * واللات والعزى وأصنامنا
وحق خالقنا الاله القادر * لا ألتقى فى الحرب من أسد الوغا * ليثا حكا مثل ابن ودا العامرى
ياعبل قد كذبوا بما قد بلغوا * عنى العداة بقول زور فاجر * هاقد أتيتك سالما فاستبشرى
واملى قلوب الاصدقا بشائر * وقلوب أعدائك اللئام ضغائنا * حتى تفيض بدمعها المتحادر
من بعد ما لاقيت عمرا فى الوغا * وسلمت منه وهو ليث كاسر * عمرو بن ودا المرتجى يوم الوغا
للقا الامام الابطحى الفاخر * لا تخشى ياعبل منى واعلمى * أنى لاقهر كل ليث قاهر
وأنا ابن شداد الذى قد شاع لى * طيب الثنا بتودد وتفاخر * مازلت للحرب العوان أخوضها
وأجوزمنها كل بحر زاخر * ولقد نصرت على الليالى والعدا * بعزائمى وبحد سيفى الباتر
وبرمحى العسال فى يوم الوغا * وبابحرى يوم الغبار الثائر * من رمحى العسال أفصح ناظم
وحسامى الهندى أبلغ باتر * لا يفتخر غيرى بفضل فى الورى * وأنا الحقيق بكل فاخر
وعفوت عن بعض العدا فى قدرة * ليرون كيف يكون عفو القادر
مازلت فى كل الامور مسددا * أنهى وآمر كل ليث آمر

قال ثم انه سار والفرسان معه يتعجبون من فصاحته وشجاعته وبراعته وهم يثنون عليه ولم يزالوا سائرين فى تلك البطاح الى ان أمسى المساء فباتوا الى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فسار وا يطلبون أموالا لينهبوها ورجالا يقتلوها وأخذ بهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم والليلة الى ثانى يوم الى أن تضحى النهار واذ قد أشرف عليهم أعرابى يهم من بين تلك التلال والروابى وهو يعسف فى تلك الصحراء على ناقة حمراء وقد انطوت من كثرة السير فبادر اليه شيبوب حتى قاربه وتأمله واذا هو من بنى عامر يقال له الخطيئة الشاعر قال وكان هذا الرجل من شعراء العرب وفصحائهم المذكورة ومن أصحاب الدواوين المشهورة فلما عرفه شيبوب سأله عن حاله وقال له من أين أنت ياوجه بنى عامر والى أين أنت سائر فقال له دعنى يافتى من السؤال وهنئنى بالسلامة والعودة الى الاهل والعيال فانى قد خلصت من قبضة الاسد وعاينت الموت الاسود ثم انه تأمل شيبوبا وأطال اليه النظر وقال له

يامولد العرب أأنت شيبوب أخو عنتر فقال له نعم ياوجه العرب فقال له هل هو حاضر معك فى هذا المكان قال له ما الذى تريد منه يا ابن الكرام قال كى أخبره بالذى جرى على أخيه عامر بن الطفيل من الاسر والويل وكيف وقع فى قبضة زيد الخيل ثم أسرع فى السير حتى قارب عنتر وترجل عن الناقة أسرع من لمح البصر وبكى حتى فاض دمعه وانحدر وقال له ياأبا الفوارس أدرك أخاك عسى أن تخلصه من قبضة الهلاك فانه وقع فى يد الاسد الفتاك والبطل الهتاك الذى لا يوجد له فى هذا الزمان ثانى ولا يرى له مقاوم ولا مدانى وهو زيد الخيل بن المهلهل النبهانى ثم زاد فى بكاه وتتابعت دموعه على وجنته من شدة جواه وأشار الى عنتر ينشد ويقول

يافارس الخيل يوم الطعن بالسمر * وضارب الهام بالهندية البتر
لولاك ما أمنت عبس ولا برحت * من خوف أعدائها الا على حذر
يامن اذا قلت هذا القول تشهد لى * كل البرية انى من أصدق البشر
بادر أخاك فقد أضحى على خطر * مع فارس قلبه قد قد من حجر
ليث اذا سل فى الهيجاء صارمه * سال القضا على حديه بالقدر
سطا علينا بعزم من شجاعته * همام له عزم كالصارم الذكر
وساقنا بعد ما أفنى فوارسنا * بالطعن تحت غبار القسطل الكدر
والشعر خلصنى من أسره وبه * نجوت من شرك الآفات والقدر
شرحت حالى له لما تملكنى * فرق لى وعفانى عفو مقتدر
وقلت لى حرم فى مضرب خلق * يسحبن للفقر اذيالا من الحقر
والشعر قد كسدت أسواقه وغدا * مضيعا فى البدو والحضر
ولا بقى أحد ترجا مكارمه * ولا يرق لمن يشكو من الضرر

قال فلما سمع عنتر هذا المقال تكدر عيشه من وجهين الاول على عامر والثانى شكوى الشاعر فقال عنتر ياوجه العرب ما أمرك لنا أكشفه وما حديث عامر بن الطفيل فبينه لى على الحقيقة حتى أعرفه فقال الخطيئة الشاعر اسمع ما جرى لاخيك عامر بن الطفيل مع الامير زيد الخيل ثم انه قص عليه القصة من أولها الى آخرها وكشف له باطنها وظاهرها حتى كان كأنه حاضرها قال وكان السبب فى ذلك أن عامرا طلب عنتر بعد رواحه الى طلب الخمر فما وجده فسأل عنه أبوه شداد فاخبره بخبره وأعلمه انه سار تحت الظلام يتلقى تجار الخمر على طريق الشام ليشترى منهم ما يكون من المدام فلما علم عامر انه سار فى هذا الوجه علم انه أراد يحمل عنه الكلف ولما سمع هذا الكلام عاد الى أبياته وجمع رجاله وندماه ومن يعز عليه من أنصاره وأعلمهم بما فعله عنتر واستشارهم فى الغزاة فقالوا له افعل ما تريد فنحن بين يديك مثل العبيد فان كان عنتر سار فى طلب الخمر فنحن نسير فى طلب النياق للنحر فقال عامر هذا الذى كنت أريده منكم يابنى الاخيار ثم تأهب فى عشرين فارسا كرار وقصدهم الارض التى طمع فى أصحابها وفعل بهم ذلك الفعال وأنجز الاشغال حتى وقع فى بنى هلال وفعل بهم ماذكرنا من المقال ولما عاد أعجب بنفسه وطاب الزياده وما أراد أن يقيم فى الديار وعنتر غائب عنها فارسل النوق مع عشرة من الفرسان وسار مع العشرة الآخر يقضى الزمان حتى وصل الى بنى أسد وكان وصوله اليهم وقت السحر فعدل الى الغدير وقال لاصحابه الصواب اننا نقيم فى هذا المكان حتى يتعالى النهار وتسرح النوق والجمال الابكار ونوسع فى هذا المرج الفياح ونتفرق عليها من كل النواح ونأخذ منها حاجتنا ونعود الى حلتنا قال ولما أشرف على الغدير وجد عليه عشرة جوار من بنى أسد قد خرجن بالليل يطلبن الفرجة

والنشاط

والنشاط وكان معهن جارية يقال لها هند بنت دراع وكانت زوجة زيد الخيل وفى تلك الليلة كان
دخوله عليها وخرج حين رأى طلعتها لانها كانت موصوفة بالبهاء والجمال ولها وجه مثل الهلال قال
وكان السبب فى دخول زيد الخيل على هذه الجارية انه كان أغار على ديار أبيها وساق القبيلة عن آخرها
وعاد ديارها فلما أعرض السبى عليه وقعت عينه عليها وتسمى هندا من جملة المسبيات فوجدها كانها
القمر وأحسن من الشمس وأنور فأخذت منه قلبه وسبت عقله ولبه فدنا منها وقال لها يا جارية من
أبوك ومن يقال له من الملا وهل هو سالم من القتل أم لا فكلمته هند بكلام يشفى السقيم وضحكت عند
سماع كلامه الرخيم وقالت له يا مولاى ان أبى سالم وهو معك من جملة الاسرى والغنائم يقال له ذراع
ابن عياض ثم انها أشارت بيدها اليه فاحضره زيد الخيل بين يديه وحل وثاقه وهدا روعه وطيب قلبه
وأركبه جنيبا من جنائبه وقال له اعلم يا شيخ انى قد وقعت عينى على ابنتك بلا قصد ولا اتفاق فوقع
حبها فى قلبى وزادنى احتراق وقد زادنى اليها الاشتياق وأريد أن تزوجنى بها واطلب من المهر ما شئت
والصداق ولا تطلب شيأ تستقله الابطال بل اطلب ما تعجز عنه الرجال فقال له يا مولاى كيف
أزوجك بنتى وأنا على هذا الحال من الذل وشغل البال فاذا أردت الجارية اطلقنى أنا وسائر من معى
من قومى من الاسر ولا تشمت بنا الاعداء ولا الحساد واخطبها بعد ذلك ولك الخير والسداد قال فعند
ذلك حل زيد الخيل الرجال من الحبال وخلع عليهم فى عاجل الحال وذبح الاغنام وروج الطعام
وصفح آنية المدام فلما تمكنت الخمرة فى رؤسهم وغابوا فى سكرهم قام ذراع قائما على قدميه وقال
اعلموا يا سادات العرب ان هذا الامير زيد الخيل قد طلب منى بنتى وقد أجبته الى ما طلب ولكن
أشهى منه أن يعود الى قومه ويأتى منهم بثلاث أربع مشايخ ذوى قدر وشان ويخطب منى بنتى
بحضرة الفرسان الاجواد حتى يطيب قلب الجارية ويسر منها الفؤاد حتى لا تقول الفرسان والنسوان
عن ذراع انه زوج بنته وهى مسبيه وأفدى نفسه بها من شرب كأس المنيه فقال زيد الخيل السمع
والطاعه أنا أفعل هذا فى هذه الساعه وآتيك بمهر يذكر طول الدهر قال فعاهده على ذلك فزعا من
الغدر وعاد الى الاطلال وأخفى عن قومه الاحوال وعزل ألف ناقة من نوقه الغوال وأظهر ما كان
مدخرا من الجواهر والاموال وقال لكبراء عشيرته يا بنى عمى انه قد بلغنى حديث هند بنت ذراع وقد
وصفها لى بعض الفرسان فصرت فى أمرها حيران وقد عولت على خطبتها وأريد منكم المعونة على
قضيتها فأجابوه على هذا الحال واهتم وسار ومعه جماعة من بنى عمه الاقيال وعشرون عبدا تسوق
النوق والجمال والخيل الغوال وصاروا يجدون السير فى الفلاه الى أن قرب الى بنى أسد ووصلهم
الخبر فخرجوا الى لقاه وفرحوا به عند ملتقاه وقاموا بواجب خدمته واكرموا مثواه وكذلك من معه
من رفقاه وعملوا له وليمة عظيمه لها قدر واقيمه وأكثروا فيها من الطعام وشرب المدام وأقاموا
على ذلك المرام ثلاثة أيام وبعد ذلك خطب زيد الخيل الجارية من أبيها وأطلق لسانه بالشكر وأثنى
على أبيها فلما سمع ذراع من زيد الخيل سناءه على ما خطب قد أجابه لما طلب وأنعم بالزواج
والاتفاق وقبض المهر والصداق وضربت خيمة الزفاف وما بقى بينهما خلاف وزفت عليه هند
بكمال جمالها والاوصاف ودخل بها وقرت عينه بقربها قال فلما كان وقت السحر خرجت الجارية
مع أترابها التغتسل فوقع بها عامر بن الطفيل بالاتفاق فسباها ومن معها من الرفاق وقال لاصحابه هؤلاء
أجود الينا من الجمال والنياق فليأخذ كل واحد منكم واحدة وراءه واطلبوا بنا السلامه والنجاه
فأجابه الفرسان الى ذلك وأردفوا الجوارى خلفهم وجدوا فى مسيرهم حتى تعالا النهار وانبسطت الشمس
فى الاقطار ونظر عامر الى هند بنت ذراع فرآها أحسن من البدر ليلة أربعة عشر فقال لها وقد بلت

برقعها بدمعها يا جارية على من هذا البكاء والنواح وما هذا الصياح فاخبرينى ان كنت ذات بعل
أم ذات خدر فقالت أنا ذات بعل وهذه الليلة التى مضت دخلت فيها على بعلى فقال لها ما يقال لبعلك
من العرب والى من يتصل النسب فقالت له بعلى أشد العربان بأسا وأصعبهم مراسا وأفخرها
نسبا وأعلاها حسبا الذى ماله فى زمانه من يقاومه ولا يثبت بين يديه اذا سل صارمه وهو المعروف
بزيد الخيل وخائض الليل حامية بنى نبهان وسيد شيوخها والشبان وحاوى قصب الرهان قال
فلما سمع عامر كلامها علم انها ذكرت بطلا موصوف وفارسا معروف وقرما لا يهاب كثرة الالوف اذا
هجمت الصفوف لان اسمه قد شاع فى قبائل الحجاز ووصف بالشجاعة والافتراز فلما ثبت عنده
معرفة بعلها طيب قلبها ورفق بها وقال لها يا جارية لا تحملى هم أسرك فما أخذك من يمينك وما
تكونين عندى الا مكرمة حاكمة على كل حرة وأجعلك رهنا عندى الى أن يبعث زيد الخيل فداكى والا
اصطفيتك لنفسى قال ثم انهم ساروا حتى تعالا النهار واذ قد ثار من خلفهم غبار وبان من تحته خيل
جرار وهى لبعضها بعض متلاحقه والفرسان على ظهورها صايحة وزاعقه وهى اليهم لاحقه ومتسابقه
وكان السبب أن زيد الخيل انتظر زوجته عند الصباح مارآها عادت لاهى ولا الذى معها فمضى الى
الغدير فما رآها ولا من معها ووجد أثر حوافر الخيل على جانب الغدير فعلم ان الاعداء قد سبوها وفى دون
ساعة شاع خبرها ولم يخف أثرها فركبت الفرسان من كل جانب ومكان وصح عند زيد الخيل ان
زوجته غالبتها صروف الزمان فركب بعض الجنائب وابس العدة التى يحترز بها من المصائب
وركض فى أقطار البر والسباسب وكان زيد الخيل قد ركب فى مائتى فارس فتفرقت أربع فرق
وركبت كل فرقة طريقا وكانت الفرقة التى لحقت بعامر بن الطفيل أحد الاربع فرق الا أن زيد الخيل
ما كان فيها فرجع اليهم عامر وحده بعد ما أمر باقى أصحابه أن يسبقوه ويلحقوا بما معهم وعاد يطلب
الخيل أشد الطلب وقد زاد به الغيظ والغضب فطلبهم مثل السلهب فهتك صدور الفرسان ومدد
الرجال على الصحصحان وظن انه عفريت فى صورة انسان وشيطان ما للقضاء عليه سلطان وما كان
الا دون ساعة حتى قتل منهم عشرة فرسان وتركهم يختبطون بدمائهم يمينا وشمال فلما رأى باقيهم
هذه الاحوال عادوا متفرقين والى باقى الفرق طالبين وفى عرض البر صارخين فلما رأى عامر
هزيمتهم من بين يديه ظن انهم لا يرجعون ولا له يطلبون فلحق باصحابه وحدثهم بما فعل واذا قد ثار
من خلفهم الغبار وتقسطل ولمع القتام من بوارق أسنة الرماح الدبل وهرب الوحش من جنبات البر
وتجفل وبانت سائر الفرق لما انجلى الغبار وتفرق ولمع حسام المنايا وبرق وظهر زيد الخيل فى أوائل
الجيش على جواد يسمى الورد صهيله مثل الرعد وعلى جسده درع مانع لم تقطع به شفار السيوف القواطع
وعلى رأسه خودة كأنها مرجل لمعانها قد اشتعل وفى كفه سيف عريض بتار ورمح ردين خطار
قال ولما ان رآه عامر قد أقبل وحقق ركبته عرف صورته فقال هذا والله زيد الخيل واليوم يبان
الجبان فى حومة الميدان وتنظرون ذلك بالعيان ولا بد ما يجرى بيننا حرب يبقى ذكره طول
الابد ما قام قائم وقعد ثم تقدم يطلب الحرب هو وأصحابه بعد ما وكلوا بالسبى فارسين وعادوا الى القتال
فسمعوا زيد الخيل وهو ينشد ويقول

يا من سبى هند جهلا من بنى أسد * أما سمعت بزيد الخيل فى العدد
تسبى حريمى وكل الارض تفزعنى * والانس تحذر من شرى ومن نكد
بركبتى يفتخر الجواد اذا علا * على الخيل يوم الحرب بالمدد
والسيف يشهد انى ما ضربت به * يوم الكريهة الا ليس الزرد

وكلما

وكلما بات رمحى يشتكى عطشا * سقيته من دم الاضلاع والكبد
حميت قومى بنى نبهان مجتهدا * وما تركت لهم كلا على أحد
والطفل منا اذا عدت فوارسنا * فى الحرب نبدو به فى أول العدد
وفى تميم تركت الخيل شاردة * ويوم طى ء وهذا اليوم فى أسد

قال فلما سمع عامر شعر زيد الخيل صح له الخبر ونادى والله يا زيد الخيل قد خاب أملك وأخطأ سهمك وان كنت كسرت بنى طى وتميم فاليوم أسقيك من حسامى كأس الحميم فقال زيد الخيل يا فتى من يقال لك من الابطال ومن تكون من الرجال حتى تافظت بهذا المقال فقال له أنا حامية بنى عامر وغيثها المماطر فتبسم زيد الخيل وقال له يا عامر يا ابن الطفيل والله لقد كنت فى غنى عن مدح نفسك وأنا حاضر والصواب انك تتخلى عن هذا قبل ان تدور عليك الدوائر قال فبينما هما يتكلمان ويتحدثان بهذا الشان والوصف واذا بهند تشير الى بعلها بالبنان والكف والدمع على خدها جار من الطرف ونادته برخيم الكلام مع غاية اللطف وهى تطلب منه الخلاص من ضيق الاقفاص فلما سمع زيد الخيل من زوجته ذلك النداء اسودت فى عينيه البيداء وضاقت عليه الدنيا وظن ان الارض قد سقطت عليه السماء فقال لفرسان بنى أسد لا يبرح أحد منكم مكانه حتى أهد من هذا الشيطان اركانه ثم انه حمل على عامر بقلب قد تعود على الاهوال وجنان قد لقى به الشجعان والابطال وتلقاه عامر كانه أسد رئبال وكان قد أمر أصحابه بالثبات وطلب من خصمه الانصاف كما تطلب السادات هذا ولما التقى عامر بزيد الخيل وخاض الاثنان فى بحار الويل وعاد النهار كالليل وتعجبت من قتالهما الفرسان وكل عن وصف ما جرى بينهما اللسان وخرجا عن حد صور الانسان وهما كانهما عفريتان من عفاريت سيدنا سليمان ولم يزالا كذلك الى نصف النهار وسط زيد الخيل على عامر بن الطفيل ومال عليه كل الميل وانحط عليه انحطاط السيل وصاح فيه فتخيل ولاصقه فتململ وحلأ ركابه بركابه ودنا منه ومسك بيده جلباب درعه وجذبه فاقتلعه من بحر سرجه وفى دون ساعة أسرسته من رفقته وساقهم الى أصحابه بشدته وعاد بعد ما خلص البنات وفعل فعالا كما سبقت له بها عادات وزادت هيبته فى قلوب السادات الذين هم من بنى أسد وهنوا أباهند الذى اتصل بهذا البطل الامجد ثم عادوا يطلبون الديار وزيد الخيل قدام بنى أسد الاخيار وهو ينشد ويقول

ياهند قرى ولا تخشى ولا تخفى * فدونك اليوم ليث غير منحرف
ياهند لو نظرت عيناك ما فعلت * مضارب لى فى أعالى البيض والجحف
وقد أسرت هما ما طال ما أسرت * بداه أسد الشرا فى موقف التلف
أسرته وغبار النقع مرتفع * والطعن أسرع من أنفاس ملتهف
ياهند هذى فعالى لا أغيرها * ولا أحل ضيفى ثقلة الكلف
ياهند كم من غبار خضت ظلمته * والخيل تمشى على القتلاء والجيف
قحمته وهو مثل الليل منعكف * وعدت وهو صباح غير منعكف
عشقت طعن القنا والخيل جائلة * فصرت أبلغ من العلياء والشرف

قال فلما فرغ زيد الخيل من أبياته تعجبت بنو أسد من فصاحته وقوة قلبه وشجاعته وعلموا انه بطل الاوان وفارس الزمان قال وكان الخطيئة الشاعر الذى تقدم ذكره من جملة المأسورين فقال لزيد الخيل ألا يا فتى أنت قد أسرتنا وصرنا أسراك اخبرنا الى أين سائرينا وما الذى تريد منا فقال زيد الخيل أنا سائر بكم الى ديار قومى بنى نبهان أشدكم وأعذبكم العذاب المهين وأطحنكم الشعير وأمخضكم

الالبان وأرعيكم النوق والجمال التى لى وللفرسان حتى تقطعوا على أنفسكم الاموال والنوق الكثيرة والجمال والاضربت رقابكم وبغت فيكم أحبابكم فقال الخطيئة الشاعر والله يافتى نحن نستاهل مثل هذا ولوفى لاناسببنا حريمكم وتعدينا عليكم وسبقت منا الاذية اليكم لكن ياوجه العرب لاتظلمنا ولاتطالب منا الاعلى قدر أحوالنا فأما أنا فرجل شاعر فقير قليل المال ولى عيال كثير ومن منذ خلقت ماقليت عقلى ولارأيت غارة ومللت عليها ولارجالا وتقدمت اليها ولانقدمت لحرب ولاجلاد الافى هذه المرة لما عدمت الاجواد وخابت المقاصد وأصبح سوق الشعر كاسد فخرجت مع ابن عمى عامر بن الطفيل من شدة الفقر والويل وقلت لعلى أكتسب شيأ أعود به الى زوجتى مع البنات فوقعت فى هذه البليات وأنا أقسم بمن بسط الارضين ورفع السموات العالم بما مضى وماهو آت ماخرجت من بيتى وعندى شئ به أقتات فان كنت تنفع منى بشئ من الشعر والمديح والاقتلنى هاهنا كى استريح ولاتتعب فى حملى الى بنى نبهان وتقضى الايام فى الحزيان لان فرسى أخذتها أنت وأهلكتها وسيفى ورمحى وعدتى عارية وأنت قد أخذتها وما أملك الساعة الاما على جسدى وهذه الحبال التى قد أنعبت رجلى ويدى فقال له زيد الخيل المنتسب وحق ذمة العرب ماترى فرجا منى فى يومك الاان كنت تمدحنى وتهجو قومك فقال له يامولاى هذا أمر هين ثم انه أنشد وقال

وقر الشيب فالمشيب وقار * واغنم المدح فالمديح فخار * كن رحيما اذا ملكت فقيرا
وحليما اذا أعدك جاروا * احذر صروف الزمان يازيد عما لاتجد لديها انتصار
ان صفى يوما وراق لقوم * غيرته قبل المسا الاكدار * أعاذك الله من بلاه يازيد
مدا الدهر ليل أونهار * يافريد الزمان يافارس العصر يامن له العلا والافتخار
لك سيف يقد حادثات الدهر * ورفه وفى حده لهيب ونار * وسنان تندب حوله المنايا
كلما اهتز منه الخطار * وجنان وعزة مثل موج * كالبحر ما للعدو فيه قرار
قد علمنا يازيد ماقد جنينا * ماالجانى القبيح الا الاعتذار * وبنو عامر وأنتم سواء
فهم ليل داج وأنتم نهار * وأنت ليث الثرى ونحن ذئاب * وقتال الذئب لليث عار
أنت بحر ونحن خيجات منك تروينا اذ جفتنا البحار * فاغنم المدح والثنا من فقير
لادرهم معه ولادينار * فارس كلما رأى نار حرب تلظى يقول طاب الفرار
وسيفه الغمد من ظلمه لم يزل * عليه من الصدا ثم واصفرار
واذا نظرن لى حريمات فقر * زاد منهم لنحوى الانتظار

قال فلما سمع زيد الخيل شعره ضحك وفرح كيف ذم قومه ومدحه وخاف من مذمة الشعراء والمشايخ الكبراء فأطلقه وأعطاه النافة التى تحته وأعتقه وقال له اذهب الى قومك وقل لهم يحملوا فى فدية أصحابهم والاضربت رقابهم واعلم انى جعلت جائزة قصيدتك اطلاق مهجتك ولولا انك أتيتنى محارب لاغنيتك وأغنيت من خلفك من الابطال والاصحاب والاقارب على انى فى هذا المكان غريب بنفسى ولاأملك غير عدتى وجوادى وترسى قال فشكره الخطيئة الشاعر على مقاله واثنى عليه ودعا له ثم تقدم الى عامر بن الطفيل ورجاله وقال لهم ما الذى أقوله وما الذى توصونى به الى أهلكم وما أقول لهم اذا سألونى عن حالكم فقال عامر لانقول لك يا ابن العم الاقد كسوتنا عارا لايمحى أبدا بهجوك لنا ومدحك للاعداء ولكن أنت عذرك واضح والذى فى رأسه عقل يكون لك مسامح لانك رجل فقير ووقعت مع الاعداء أسير ومالك خلاص الا بهذا الوجه الحقير فاذهب الى عنتر واعلمه بما جرى من قصتنا وحدثه بما رأيت من نائبتنا وان سألوك قومنا عن حالنا فلاتحدثهم قط بما جرى

لنا

لنا حتى لاتشمت بنا أعداؤنا فانى أعلم اليوم ان من أعظم أعدائى ويطلب لى المهالك ابن خالتى غشم ابن مالك فقال الخطيئة الشاعر والله مارمانا فى هذا البلاء الا أنت ياعامر لاننا كنا أول الحال قد ظفرنا باموال بنى هلال ووقع فى أيدينا ما نعود به الى العيال فما قنعت أنت بذلك بل سرت بنا الى هذه المصائب والمهالك ثم أوعدته بسرعة العودة وسار يقطع الروابى والقفار حتى الفق بعنتر فى ذلك المكان وحدثه بما جرى وكان فلما فرغ من شرح هذه القصة دخل على قلب عنتر غصة وأى غصه وقال لقد كان عامر غنيا عن هذه الفعال لاننا ما فارقناه وسرنا بغير علمه الا لنخفف عنه الاثقال ولكن نحمد رب السماء الذى التقينا ك هاهنا واسترحنا من التعب والعنا حتى لايطول على عامر المطال ولا يقيم فى الاسر والاعتقال فعد بنا من هاهنا الى بنى نبهان حتى أريك ما أفعل بزيد الخيل ومن معه من الفرسان وأخلص عامرا من قيد الاسر والهوان وأطلقه من يد ذلك الاسد الهدار الذى امتلأت بذكره القفار وأنا أتمنى لقاه وأشتهى أن أراه ولكن كثرة الحروب منعتنى عن نيل المطلوب والآن قد سهل ما تعسر والذى قد طلبته تيسر قال فلما سمع الخطيئة الشاعر هذا المقال وقع به الانذهال فقال يامولاى وأنت فى أربعين من الفرسان تريد تسير الى بنى نبهان وتخلص عامرا من يد ذلك الجبار الشيطان الذى قد أسعده الزمان ياوجه العرب ما أنا من أشير عليك بهذا السبب ولا أتبعك فى طريق ولا أكن لك برفيق لانى ان وقعت هذه المرة فى أسر زيد الخيل أنزل بى الذل والويل ولا يعود يطلقنى من الهوان ولو مدحته بكل شفة ولسان وان كان ولابد لك من المسير اليه والقدوم بهذه الفرسان عليه اكمنوا فى أرضه لعلكم ان تصلوا اليه والا ارتوا كما كنتم فى هذا المكان واكمنوا فى بعض المكامن حتى أسير الى بنى عامر وأرسل لكم بعض أصحابكم على الخيول الضوامر وان شئتم ألقيت فى القبيلة النفير وسيرت اليكم الكبير والصغير على ان عامرا قد أوصانى أن لا أعلم أحدا بقصته سواك ولا أبوح بها الا لك ولكن أخشى عليك من اجتماع القبائل وتلقى ذلك البطل الهمائل فقال عنتر ياوجه العرب ما هذا الكلام فوحق الذى أرسى الاعلام ورفع قدر البيت الحرام لاأمكنك من هذا المعنى ولابد لك أن تسير معنا باختيارك ليكون طبق المرام ولا كتفتك وأخذتك بغير احترام حتى تنظر قتالنا وتتفرج على وقع مضارب أسيافنا ولك اسوة بنا وأى شئ جرى علينا يجرى عليك مثلنا فقال الشيخ وقد اغتاظ أنا علمت والله انه نهار عجيب وهلاكى فيه قريب وهذه فرحة بغير الاختيار وعودة غصب واضرار ولقد كانت سفرتنا مع عامر من أشأم السفرات وغارة أبشع الغارات لاننا عندما نحو نا من التلف صادمنا من يشد منا الساعد بالكتف ويأخذنا على رغم الانف فقال عنتر ياوجه بنى عامر عد معنا ولا تخف فاننا لا نسلم نفوسنا حتى تلعب الخيل برؤسنا فنحن مثل غيرنا ومن حين انتشينا ما رافقنا جبان ضعيف الجنان فقال الشيخ يامولاى اذا كانت هذه النية نيتكم فلا تأخذونى صحبتكم لانى جبان ضعيف الجنان ومذ ركبت الخيل ما حضرت قتالا ولا باشرت حربا ولا نزالا ولا عمرى لاقاتلت ولا دعانى أحد الى براز ولا سئلت ثم انه أنشد وقال

وفارس ما مثله فارس * يهزمه ضعيف من الفعل * اذا جرى فى الجيش أغناهم
بفارطة فيهم عن الطبل * يصبط أقدامه حذرا * من هوج فيه ومن خبل

ثم انه قال الرأى عندى انكم تمضون الى حال سبيلكم وتدعونى أمضى الى حال سبيلى واحسبوا أنى ما لقيتكم ولا لقيتمونى فتبسم عنتر وقال وحق ذمة العرب ما تبرح من هذا المكان الا الآن تسير معنا فى ذلك الامر والشان ولابد ما أعطيك شيأ من أموال بنى نبهان تكفيك أنت وعيالك طول الزمان ثم أمر شيبوبا فاحضر له فرسا من جنائبه وطيب قلبه وأوعده بنيل مطالبه فقال يامولاى كونى أريد

ان أعود سالما وأعيش فقيرا خير لى من الاموال والتدمير ثم انه سار معهم وهو يعلل نفسه بعسى ويقول أنا أعلم انى أقتل فى هذه السنه وأحترم الصباح والمسا هذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من زيد الخيل فانه بعد اطلاقه للشيخ سار فى البر والقفد حتى انه وصل الى بنى أسد وأقام عندهم يومين وفى اليوم الثالث ودعهم وسار بزوجته حتى وصل الى ديار وأشرف على قومه وعشيرته فوجدهم فى حرب شديد وقتال يشيب منه الطفل الوليد ورأى بنى سليم قد أغارت عليهم فى خلق كثير وأدخلوهم الى الخيام والمضارب ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم والبنات الكواعب قال فلما تحقق زيد الخيل ذلك الحال وعرف الصحيح من المحال صار يهمهم كما يهمهم الاسد الريال ووكل بزوجته والاسرى من كان صحبته من العبيد والرجال فعند ذلك لبس درعه وركب جواده واعتدى آلة حربه وجلاده وحمل على بنى سليم حملة أسد لا يوصف ولا يحد وقتل فيهم فتكا هذا وقد عرفت بنو نبهان صوته فتصايحت من بين الاطناب وقويت عزيمتهم بعدما كانت أشرفت على الذهاب وأخذتهم الحمية على الكواكب الاتراب وأجادوا الطعان والضراب قال وكان زيد الخيل قد أشرف عليهم نصف النهار فاترك المساء يمسى حتى رد بنى سليم وأخرجهم من الاطناب وفرقهم فى البيداوهم يطلبون النجاه فى عرض البر والفلاه وخاص من أيديهم الاموال والاحرار واجتمع بسادات عشيرته وحدثهم بما جرى له فى غيبته ففرحوا بذلك وزادت عندهم منزلته لاجل فعاله وقتاله واسره لفرسان بنى عامر وباتوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الصباح فنزل زيد الخيل وطلب من بنى سليم الحرب والكفاح وكان مقدم بنى سليم مرداس بن جابر وهو الذى سكنهم الى اليوم الثانى وأوعدهم بقتل زيد الخيل ورد الغنيمة التى أخذت منهم وما يعود الى أرضه حتى يفنيهم ولا يترك منهم انسان وكان حسابه فيه نقصان وعاقبته خسران لان زيد الخيل لما حمل وللحرب استقبل سمع وقع مضاربه فى صدور أقوامه فاستدل عليه بحملاته وصياحه ومازال يطلبه حتى وقع به فى الميدان وجرى بينهما ساعة تنعوذ منها الانس والجان وتزهق منها قلوب الابطال والفرسان من صعوبتها وشدة أمرها ولهيب جمرها وزاد الامر حتى اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة زيد الخيل فوقع السنان فى صدره خرج يلمع من ظهره وبعده وقع الذل على بنى سليم فقاتلوا الى قرب المساء وولوا الادبار تحت الظلام وعادت فرسان بنى نبهان بالغنائم والاموال وما فيهم الا من يدعو لزيد الخيل ويثنى عليه ويصف قتاله وفعاله وكان المهلهل أبو زيد الخيل سيد القبيلة ومقدم العشيرة فخدد من الغد عرس ولده وشرع له فى وليمة عظيمة جمع فيها السادات والامراء والكبار والصغار وما بقى من الحى أحدا الا أكل من الوليمة وبات فرحان شبعان ريان وشكر والمهلهل وزيد الخيل على ذلك الشان فلما كان عند الصباح تبدلت أفراحهم بالتراح وسمع فى مضاربهم بكاء وصياح وعديد ونواح فسأل زيد الخيل عن ذلك وقد انزعج وقال ما الذى دهاكم فقيل له أسراك هربوا مع عامر بن الطفيل وما أصبح لهم فى الديار خبر ولا أثر وما ندرى أفى الليل هربوا أم فى النهار لان العبيد الذى كانوا بهم موكلين قد أصبحوا على الارض مطروحين قال فلما سمع زيد الخيل هذه الاخبار طار من رأسه الكر وطار من عينه الشرار وصاح صياح القهر وصارت عيناه مثل الجمر وقال لبعض عبيده آتنى بالجواد الهطال حتى ألحق عليه هؤلاء الانذال وأنهب فى هذه النوبة أجسادهم على أسنة الرماح الطوال ولو بلغوا الى منزلهم والاطلال فعندها مضى العبد وعاد وهو أصفر اللون مسلوب الفؤاد فقال له زيد الخيل ويلك أين الجواد وايش الذى جرى عليك حتى عدت على هذا الحال يا ابن الاوغاد فقال العبد يا مولاى جوادك قد سرق والذى كان يحفظه ممدود فما أدرى من قتله قال فزاد به الغيظ عند سماع هذا الكلام ولطم

على

على رأسه من شدة الاحتراق والآلام وخرج بنفسه الى بين المضارب والخيام وتقلد بسيف عريض مهند وركب جواد أجرد وانقلب الحى عند ركوبه ووقع فيه الصياح والانزعاج وشاع الخبر بما جرى وركبت الفرسان وخرجت الى الصحرا وركب المهلهل أيضا على أثر ولده وكانت بنى نبهان أوفى من خمسة آلف عنان فتسابقت وتتابعت وطلبت رؤس الروابى والقيعان وتفرقت فى جميع الروابى والوديان وكان زيد الخيل فى أوائل الرجال يركض يمينا وشمال ويفتقد الحوافر والنعال فبينما هم كذلك واذا ببعض الفرق قد لحقته وقالوا له أيها السيد اعلم اننا عبرنا ونحن نطرد على وادى الجماجم فرأينا فى جنباتها قوما من أصحابنا قد قتلت والحجورة التى كانت فيه مع المهارة قد أخذت وأصبح الوادى منها خالى الآثار من الحجرات والامهار قال وكانت هذه الخيل والحجورة التى ذكرناها أزيد من ألفى فرس ويتبعها مهارتها وكان فيها لزيد الخيل وأبيه ألف حجره والباقى لسادات القبيلة ومقدمين العشيره وهى التى كانت بها بنو نبهان تفتخر على سائر العربان وكانت من أعلى الخيل الجياد ولما بلغه أخذها زاد به الجنون واطم على وجهه حتى كاد أن تطير منه العيون ثم هام فى جنبات البر الاقفر ليقتفى من الارض الاثر فلما أبصر أبوه حاله شق عليه ما جرى له فقال له يا ولدى ترفق بنفسك ولا تقتل روحك لاجل شئ ما أحطت به علما واعلم ان هذه المصائب التى نزلت علينا ما هى الا من بنى عامر وما فعل هذه الفعال الا جماعة كثيرة قد طرقت ديارنا وطلبت قلع آثارنا والصواب انك تصبر حتى يصح عندنا الخبر وتنفذ عيدنا الى سائر القبائل تكشف لنا باطن هذا الامر المهائل واذا عرفنا الامر على الحقيقة قصدنا من كان لنا قاصد وتركنا ديار شماتة للعدو والحاسد فقال زيد الخيل لا تطيل الخطاب فما مصيبتنا الا من بنى عامر لانى أعلم انهم أتوا فى خلاص بنى عمهم فرأونا مشتغلين بالافراح والولائم فبدلوا أفراحنا ترح وهذا جزاء من تهاون بالامور العظائم ثم انهم عادوا على وادى الجماجم وافتقدوا آثار الخيل التى أخذت وصارت الفرسان تركض حتى أمسى المساء وعادوا وقد تبينوا حوافر الخيل فرأوها طالبة نحو ديار بنى عامر فقال زيد الخيل لابيه ما قلت لك العامرون هم الذين دهونا وأخذوا أموالنا وسبونا فقال المهلهل يا بنى ما قلت الا الصواب بنظرك المستطاب والرأى عندى انك تعود بنا الى أرضنا حتى ندبر غير هذا التدبير والاحل بنا الامر النكير وحلت بنا الخساره من وجوه كثيرة أحدها ان غرماءنا قد فاتونا ونعلم أنه ليس معهم نوق ولا جمال حتى نقول اننا نلحقهم اذا جدينا فى آثارهم فى البرارى والجبال ولا أخذوا الا خيولا أنت أعلم الناس بها يا سيد الرجال انها تسبق الاطيار وما أحد يلحق لها غبار والوجه الثانى ان الليل قد أقبل واشتد ظلامه ونخاف أن نسير على غير أثر فيضيع من المرء أيامه كمن ألقى نفسه فى التعب والويل وان تبعنا بنو عامر ونحن هكذا على ظهور الخيل يبلغوا منا المراد بلا امهال ونكون قد فعلنا فعال الجهال من الرجال ورمينا نفوسنا فى الهلاك والوبال وبنو عامر خلق كثير وفيهم فرسان الموت وأبطال المنايا بلا نكير خصوصا ملاعب الاسنة غشم بن مالك البطل الخطير ومن يجرى مجراه من النظير وهم ثلاث قبائل على ماء واحد وفى هذا العام قد جاورهم بنو عبس وعدنان وانا أعلم اننا ان سرنا اليهم مسير الطمع خسرنا وفى المهالك نقع وانما الصواب عودتنا الى الديار ونأخذ الاهبة والاستظهار فلا بد لى أن أنفذ الى ملوك بنى طى واعلمهم بما قد جرى علينا من البغى وأطلب منهم فرسانا وموا كب تسير بين أيدينا وأجمع حلفاءنا ولا أسير الا ومعى عسكر جرار أبلغ به ما أختار حتى لا ينكسر عزنا ولا نهان قال فلما سمع زيد الخيل من أبيه هذا الخطاب استحى وأجاب وعلم أنه قد أتى بالصواب والامر الذى لا يعاب فرجع وهو يأكل كفيه ندم ويهمهم من شدة ما جرى عليه ولا يعلم كيف كان هروب الاسارى مع عامر بن

الطفيل ولا يدرى من قتل عبيده وساق الخيل قال وكان السبب فى ذلك ان عنترا لما جرى له مع الطائية الشاعر ما جرى وأخذه معه وسار وطلب ديار بنى نبهان الا انه جد فى مسيره حتى شارف ديار القوم وانفذ أخاه شيبوبا يكشف له الاخبار عن الاحياء وتفكر من أين تدخل عليهم المصائب ويبصر ما تم افرسان بنى عامر وما جرى للاسرى فسار شيبوب وقد ترك عدته عند أخيه فى المكان الذى أوصاهم أن يكمنوا فيه ومازال سائرا على هذا الشان حتى قارب ديار بنى نبهان ورأى المضارب والخيام قد ملأت الصحصحان وعبيدا وغلمانا وأبطالا وشجعان ورجالا وفرسان والكل مشغولون بشرب المدام عاكفون على الخمر واللذات وسماع غناء القينات هذا وقد حضرت الغلمان وهم آمنون من نوائب الحدثان غافلون عن طوارق الزمان قال فلما رأى شيبوب هذا الامر علم ان القوم قد صرفوا الهم فى تناول الخمر وسماع صياحهم قد قلب الفكر فقال هذا وقت اغتنام الفرصة وتمام ما أريد من القصد بالاتفاق والليلة أخلص عامر بن الطفيل من الوثاق ومن معه من الرفاق وأفرج عنهم ما هم فيه من ضيق الخناق ولا أحوج أخى الى نعب ولا أكلفه هم القتال والنصب ثم عاد الى غدير الماء وجلس بجانبه وجعل يحك رأسه ويفلى ثيابه وهو كانه قائم من منام وهو ينتظر المساء وقدوم الظلام واذا بجماعة من مولدات الحى قد أقبلن فى طلب الماء فقال لاحداهن يا مولدة العرب أعندكم جارية ترف على بعلها أم هذه عادات بنى نبهان على طول الزمان لانى أرى الحى منقلب بشرب الراح والصياح والافراح فقالت الجارية كيف لا تكون الافراح عاداتنا والامان فى ديارنا بوجود فارسنا الاوحد وسيفنا المهند وحاميتنا الذى ما مثله فى الحرب يوجد زيد الخيل بن المهلهل النبهانى الذى كمل بالوصف والمعانى الذى قال فى حقه حسان بن هانى

همام كمى فى الحروب مروع * تهون عليه فى المعانى الكبائر
بصير اذا الابصار زاغت مهابة * ولم يبق الا ماخلا الرمح ناضر
عليه من الصبر الجميل تجمل * يرى دار عامن تربها وهو خامر
يخاطر فى الامر الجليل بنفسه * ولم يدرك الا خطار المخاطر

قال ثم ان الجارية حدثته بزواج هند بنت دارع وعودتها بفرسان بنى عامر وكسرهم لبنى سايم وأعلمته أن هذه الافراح والولائم من أجله وقالت له فى آخر حديثها وأنت يا فتى مالك قد قمت من ضيافتنا بالماء والنظر فحولك والخيام فان الخير فيها كثير وقد شبع من فضل سيدنا كل غنى وفقير ونحن نعرف انك عابر سبيل وزادك قليل فادخل واشبع واحمل ما تطيق مما يعينك على قطع الطريق فقال شيبوب يا جاريه وعلى هذا معول ومانزلت ها هنا الا لطلب الراحة لانى اليوم قطعت أرضا بعيدة على ضعفى فأين تكون أبيات زيد الخيل عرفينى بها حتى أقصدها وأسدجوعتى منها فأشارت الى المكان المعهود للافرح وعادت الى جملة الاماء وملأت القرب وبقى شيبوب مكانه حتى اسود الظلام ودخل الناس فى المضارب والخيام وهو يتوكأ على عصا ويجر رجله من الامام الى القفا والما توسط الحى رأى أكثر أهله نياما والباقون لا يقدرون على القيام ولا على الكلام وما فيهم من يقدر يتحرك من لذيذ المنام كما قال فيهم الشاعر حيث يقول

جلينا تحت أستار الظلام * عروس الكرم ما بين الكرام
ونام الدهر عنا فانتهبنا * مع الطاسات أقداح المدام
وفرق بيننا الساقى فرحنا * وفينا كل منجم الكلام
يصير أميرنا فى الحى عبدا * ويرقد بين أطناب الخيام

قال فلما رأى شيبوب القوم على تلك الحالة أمن على نفسه وقصد أبيات زيد الخيل فرآها خالية لانه كان

فى أبيات أبيه وأعمامه وجواره وخدمه نائمون فدشيبوب نظره الى خيمة فعرفها بذكائه ومعرفته
فقصدها وتحققها واذا فيها عامر بن الطفيل ورفقته وعندهم ثلاث عبيد نيام وكل منهم غلب عليه
السكر والمدام فرمى نفسه على باب المضرب والعبيد غطيطهم قد علا وزاد فعند ذلك فرح شيبوب وعلم
أنه قد بلغ المنا وسمع عامر بن الطفيل وهو يقول لاصحابه يا بنى عمى لوان لنا فى هذه الليلة من يخلصنا
ويقطع أكتافنا لكنا خلصنا وقطعنا البيداء من غير أن يشعر بنا أحد واذا بشيبوب قد دخل عليهم
وقال هاقد أتاكم من يقطع عنكم حبالكم ويقضى شهواتكم وتبلغون آمالكم ثم عرفهم بنفسه
وأعلمهم ان أخاه عنترة أتى فى طلبهم ثم قطع أكتافهم وقال لهم اطلبوا المرج الذى فى آخر الغدران
واجعلوا قصدكم كثيب الغزلان فان أخى عنترة هناك فى الانتظار وما فى طريقكم من تخافون منه
انكار واسرعوا فانى لاحق بكم اذا أخذت لعامر ما يركب من هذه الخيول التى ما رأيت مثلها فى حلل
العرب فقال عامر يا شيبوب ان لزيد الخيل فى هذا المضرب الذى بجانبنا جوادا يقال له الهطال وحق
من أحصى عدد الرمال ما أقول على وجه الارض له مثال وروحى على الدوام تتمناه ثم ودعه وسار
مع رفقته وما فيهم من يصدق بالنجاه وبعد ما ذهب عامر ولحق برفقائه مال شيبوب على العبيد الثلاثة
وذبحهم لياً من أمرهم وقصد بعد ذلك المضرب الذى فيه الجواد الهطال ودخله وهو هائم فرأى فيه عبدا
نائما فنام بجانبه وذبحه أيضا لانه كان معه خنجر أمضى من الشفر وأسرع من لمع البصر ثم أخذ مفتاح
قيد الهطال من رأس العبد ودنا منه ليفتح قيده واذا بزيد الخيل قد أقبل ومعه جماعة من العبيد والاماء
وهو مثل ثنية الجبل طافح من السكر يمايل من كثرة ما نهل الا انه لما أراد أن يدخل الخباء واذا هو
بالجواد قد صهل فلما سمعه زيد الخيل أنكر أمره وقال ويلك يا عبد الخير لاى شئ يصهل فى هذا الليل
فقال شيبوب يا مولاى ما أدرى وأقول انه الساعة طالب الماء فقال له دونك أخرجه وسيره عند أذيال
الخيام واعرض عليه الماء يا ابن اللئام فقال له شيبوب يا مولاى أنا الليلة أريد أن أسيره فى الفضا
لان لك أياما ما ركبته ولاجل هذا زاد صهيله وغضبه وأنا لا أقدر أقاربه اذا لم أتعبه فقال زيد الخيل
اذا كنت تعرف هذا منه فاخرجه الى ساحة الفضا واركض به جهد قدرتك عليه فقال شيبوب وحياة
رأسك يا مولاى لاسيرن به طول هذه الليلة لانك تعلم محبتى له دون خيل الحلة ثم صبر حتى دخل زيد
الخيل المضرب الذى لزوجته هند وحل الحصان وخرج من الحلة بأمان ولما ان صار به فى الفلاه
ركبه وطلب به أخاه وقد أخذ به فى عرض البر الاقفر والمهمه الاغبر خوفا من افاقة الاسد الغاشم
وركض به فأتى طريقه على وادى الجماجم وكان هذا الوادى حصنا من أرض بنى نبهان وفيه كانت
تبيت المجوره ومهارتها الحسان سوى الخيل التى كانت لسادات العشيره الا أن شيبوبا دخل فيه
فرآه يموج بتلك الخيل المسومه فقال شيبوب هذه غنيمة لها قدر وقيمه ولابد وأن أخى يسوقها بين
يديه ويعوض المال الذى أخذه من بنى عامر وتم على هذا الحال فى الليل حتى وصل الى أخيه عنتر
قبل ما يصل عامر بن الطفيل وأصحابه الذين كانوا معه وما كان أكثر من ساعة بقدر ما حدث أخاه بما
فعل واذا بعامر قد وصل فرآه انه سبقه فقال له يا شيبوب أنت من بعض العفاريت الطياره ويلك كيف
سبقتنا ونحن تركناك وراءنا فى الخيام وما فينا الا من ركض حتى ورمت منه الاقدام فقال شيبوب
أنا سبقتكم على ظهر الهطال بعد ما ذبحت جماعة من العبيد الانذال ثم أعاد عليهم ما جرى له مع زيد
الخيل فضحك عامر بن الطفيل وقال جزاك الله يا شيبوب عنا كل خير

﴿تم الجزء الحادى عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد﴾

الجزء الثانى عشر من سيرة الفارس الهمام والبطل
المقدام من انتشرت شهرة فروسيته فى كل
واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٧ هجريه)

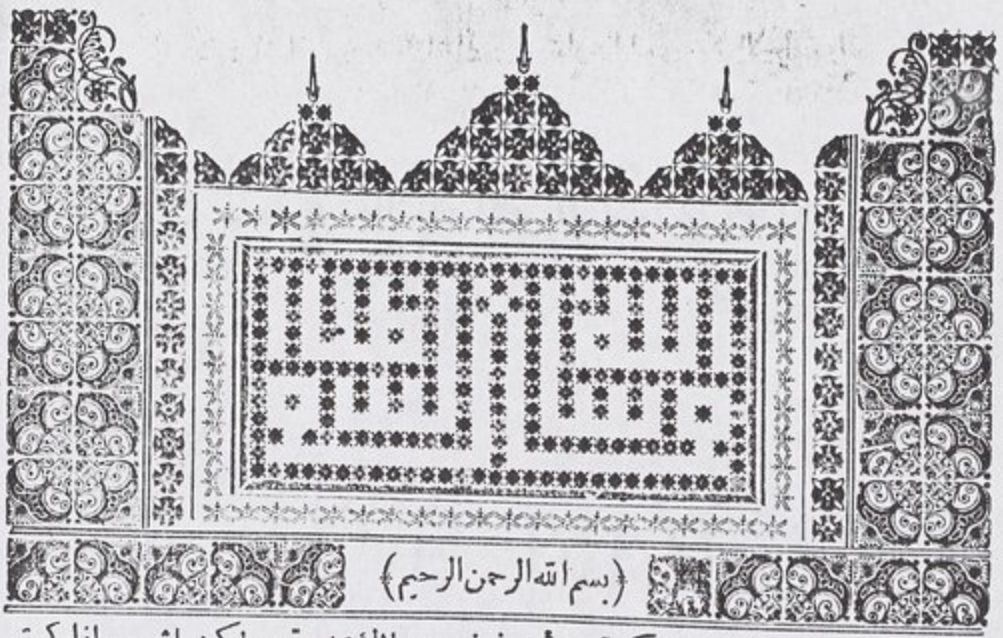

ولقد قضيت شهوتى وفرجت عنى كربتى وأنقذتنى من هلاك مهجتى ولكن ياشيبوب اذا ركبت
أنا هذا الجواد ما الذى يركبه رفقتى فعندها حدثهم بحديث الحجورة والمهارة التى رآها فى وادى الجماجم
ووصفها لهم وقال رأيت من الرأى انكم تتبعونى حتى أدلكم عليها من جهة بنى نبهان وأدعكم تسوقونها
وتذبحون العبيد الذين عندها وتطلبون الديار مادام الليل راخى الاستار فقال عنتر وبلك ياشيبوب
كيف نترك زيد الخيل الذى فعل هذه الفعال باخى عامر بن الطفيل سالما ولم نذقه ألم التعب والويل
فقال شيبوب الرأى عندى انكم تمضون وأنتم سالمون وأما ان أثرتم حربا لقيتم تعبا وكربا والصواب
عودتكم وأنتم رابحون من كل جانب حتى لا يغركم الطمع بجمال الغوائب وتجتمع عليكم المواكب
والكتائب وتقصدكم العرب من كل جانب وترجعون تخاطرون بأنفسكم حتى تخلصوا أرواحكم
وتفوتوا الغنائم ويعود كل واحد منكم وهو نادم فقال الخطيئة الشاعر ياشيبوب لقد صدقت ولا يقع
موضع الخسران الامن انقطع أمله ودنا أجله وأما زيد الخيل أنا أعلم انه اذا أصبح الصباح وأبصر ما قد
جرى عليه تبع آثارنا مع جميع قبائل العرب من بنى طى وسار خلفنا الى ديارنا لانه يعد نفسه بالبطل
العظيم وأبوه المهلهل رجل مطاع كريم فى هذه الديار وله عز ومقدار ونحن اذا صح هذا الحساب
وسار معنا الى ديار بنى عامر بلغنا المقصود ولو جاء الينا أهل عاد وثمود قال فلما سمع عنتر هذا الكلام
قال لاخيه شيبوب دعنا الساعة من هذا الملام وسر بنا حتى نسوق الخيل الذى ذكرتها ونرجع ومن
تبعنا كان لنا وله حساب يسمع فسار شيبوب قدامهم على الطريق الذى أتى منه وما مضى من الليل
ساعة حتى حطهم على وادى الجماجم من ناحية بنى نبهان وفرقهم ثلاث فرق حتى لا يفلت من الوادى
انسان وحملوا على الخيل فى ظلام الليل فساقوها بعد ما قتلوا العبيد الذين كانوا عندها وسار وا فى
عرض القفار يطلبون الاهل والديار وشيبوب يخالف بهم الطرقات الى أن أصبح الصباح وغاص
بهم فى السباسب والبر الاقفر وقال اعلموا ان الانسان ينال بالتدبير ما لا ينال بالصارم الذكر وصار يدلهم
على الطريق الواضح ويجد بهم السير فى البرارى والقفار طالبين الاهل والديار قال وركب زيد الخيل
كما ذكرنا وجرى ما وصفنا وعاد راجعا كما قدمنا ومن مشورة أبيه المهلهل نزل والنار فى قلبه تلتهب
وتشتعل وأرسل الى سائر العرب من بنى طى وطلب منهم النجدة على بنى عامر وأقام يتأهب لهما وأما
عامر بن الطفيل وعنتر بن شداد ومن معهم من الرجال الاجواد فانهم ساقوا الخيل وأوصلوا سيرا النهار

بسير الليل وكان عنتر قد اشتاق الى عبلة وأقلقه الهوى وتباريح الجوى وكلما لاح له نور الصباح بهيم ثم تحيا اذا هب عليه نسيم محبوبته عبلة عند الدجا فتنفس صعدا وأبدا لوعة قلبه وأنشد يقول

كيف اصطباري وطيب العيش مسلوب * بعد الانيس ودمع العين مسكوب
شوقا وجدا وأشواقا مؤبدة * وبعد الف غدا بالبين محجوب
ولوعة كل وقت لا انقضاء لها * بين الضلوع لها وهج ولهيب
وعبلة قد ناها البعد عن نظري * وقد غدوت حزين القلب متعوب
يا عبل لو عاينت عينا كي ما صنعت * يدي الفراق بات متعوب
بكيتي لي رحمة يا عبل حين غدا * نائي المزار بنار الوجد ملهوب
بانت مالك أشواقي اليكي لها * تأجج في سويد القلب مصبوب
ان كنتي جاهلة ما قلته فسلي * يوم النزال وذيل الحرب مسحوب
في يوم كناعلى وادي الجماجم * في حرب تصير لها شبانها شيب
والخيل قد رجعت من خيفتي هربا * والسيف بالدم مصبوغ ومخضوب
سلي الفوارس عنا يوم قام لنا * سوق النزال وأضحى الليث مرعوب
وقد أخذنا الخيل القوم حين بغوا * حتى غدوا بين مقتول ومنهوب
وعامر كيف خلصناه حين غدا * عنا أسير عن الابصار محجوب
اذا تعلمي أن لي عـــزم أقدبه * كل الجموع اذا ما القرن منهوب
كم من كمي لقد صيرت مهجته * يوم الكريهة رزق الوحش والذيب
لولا عين القضا قرن ينازلني * صيرته في رحا الحرب معطوب

(قال الراوي) ثم انهم ساروا وجدوا في المسير حتى أشرفوا على ديارهم والمنازل فما صدق عنتر ان تبان له الخيام ويرى عبلة حتى يبل شوقه منها ويقبلها تحت اللثام وبين عينيها فلما فابلها سألها عن حالها وكيف كان مقامها في ديار بني عامر فقالت والله يا ابن العم ما زالت طيبة العيش في حظ وافر وما برحت من عندي كبشه أم عامر تؤانسني وتهون علينا أسباب الردا والخطر وأما بني عبس فانهم انقطع منهم الاثر وما ترك لهم دريد بن الصمة ذكر يذكر ولهم ثلاثة أيام وهم يرسلون في طلبك وأتى من عند الملك قيس جماعة من الرسل يسألون عنك وأنا أردهم خائبين وأقول لهم والله ما أدري أين مضى من حيث أنفذ أحمال الخمر وقد سمعت يا أبا الفوارس انهم في شدة شديدة وعمارة بن زياد أمره دريد وأنزل به كل مكيده وقد عول على صلبه اذا فرغ من بني عبس وينزل به التعس والنكس وقد حلف انه لا يبقي عليه ولا على بني زياد كلهم ولا يترك منهم أحد في الفلا لانهم كانوا السبب في هذا البلا فقال عنترا نا أعلم شؤمهم تغطى على الملك قيس واخوته وأما انفاذهم خلفي وارسالهم الى فأنا منهم وما هم مني وما بقي بيني وبينهم قرابة وما طردوني الا أنفاعلى أنفسهم من عبوديتي فبأي وجه ينفذوا خلفي ثم أقام عند ابنة عمه يطفي نار أشواقه كلما نظرا اليها ويبل شوقه منها ويقبلها بين عينيها قال هذا ما جرى من حديث هؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من حديث بني عبس وعدنان فانه كان حديث عجيب وأمر غريب نسوقه على الترتيب بعد ما نسمع من يصلي على النبي الحبيب لانهم سمعوا ان دريد سالم من طعنة عماره وانه جمع قبائل العرب وعول على غزوهم ويطالبهم بدم أخيه عبد الله فتفكروا في ذلك ولم يصدقوا بل رجعوا واتفق رأيهم على ارسال الجواسيس الى بني جشم وهواذن وكشف الاخبار عن حديثهما فأرسل الملك قيس ثلاث عبيد من عبيده وأوصى الربيع بسرعة العودة فساروا وغابوا أياما

وعادوا يخبروا بصحة الحديث الذى بلغهم عن دريد انه صحيح وانه قد جمع فرسان القبائل وأتى فى خمسة عشر ألف مقاتل سوى الطماعة والنهابة وانه قد سار الى نحونا طالب قتالنا وقد كاتب اللقيط بن زراره وقال له التقيني على بنى عبس الذين قد نزلوا على بنى عامر حتى أخرب ديارهم وأخذ منهم بالثار قبل قبائل العرب ما تعايرنا بلباس العار قال فلما سمع قيس ذلك المقال انذهل وتحير وجمع وجوه العرب وأخبرهم بذلك الخبر وقال يا بنو عمى هذه خمسة عشر ألف فارس سائرين الينا وفيها مثل دريد بن الصمه وسبيع بن الحارث وان لم نحسن التدبير والاوقع بنا الهلاك والتدمير فقال بعض الجواسيس يا ملك سبيع ابن الحارث لا تخافون منه فانه مريض جريح وقد تخلف عن المسير مع دريد لانه غزا الى بلاد اليمن مع خمسمائة فارس وأغار على الملك الريان بن معمر صاحب أرض العنبر وأخذ أمواله ونوقه وجماله ولما عاد تبعه فى خمسة آلاف فارس وأرادوا خلاص الغنيمة فما قدروا على ذلك وكسرهم وقتل أكثر فرسانهم المذكورة وعاد وفيه ثلاث جراحات وقد وعد دريد انه يلحق به اذا برئ من جراحه فقال قيس الله لا يشفيه ولا يوريناوجهه لانه والله لا يلتقى ولا يخاف جيشا عند اللقاء وهذه محنة أعادنا الله منها ولا بقى الا التدبير لان الموت قدم على الحريم والاجتهاد فى دفع الغريم فقال الربيع مرادنا نعلم ما فى نفوس بنى عامر ان كانوا يعينونا أو يتخلوا عنا فقال الملك قيس بنى عامر لا نراسلهم ولا نبعث خلفهم فأنا أعلم انهم علينا أحقد من الاعداء ولو قدروا على أذيتنا ما تركونا الى غداء والصواب اننا نأخذ حذرنا منهم ونترك لنا عليهم عيون وأرصاد قبل أن يدهمنا دريد ويقع القتل والجلاد لانى أعلم انه اذا قارب أرضنا أرسل لهم مرسال ودبروا على قلعنا ثم أخذ قيس فى التدبير والتأهب للحرب وصار يبات ويصبح متفكر يقاسى الهم والكرب قال فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الكلام وأما ما كان من دريد فانه لما برئ من جراحه جمع له من قومه خمسة عشرة ألف فارس من كل قرم مداعس وسار بهم يجد المسير فى ذلك العسكر الجرار والبحر الزخار بهمة لا تقاس بالهمم وعزم لو صدم به جبل لاهتدم قال ولما أبعد عن أرضه وأبصر طول عسكره وعرضه فرح بذلك وجد فى مسيره وهو ينشد ويقول

أتتنى جيادالخيل عن أم معبدى * بعافية أم أخلفت يوم موعدى
وبانت ولم أحمد لديك جوارها * ولم تدع فينادرة اليوم أوغدى
كان حول الحى اذ طلع الضحى * تناصفه السخناوعصبة مزودى
فقلت لهم ظنوا بألف مرجح * سراتهموا فى السائر المتشردى
أمرتهموا أمرا بمنعرج اللوى * فلم يستجيبوا النصح منى الى غدى
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم أوانى غير رشدى
وهل أنا الا عز قوم وان غوت * غويت وان ترشد به غير أرشدى
تناخا وقالوا اردد الخيل فارسا * فقلت أعبد الله أخى وأرشدى
فان كان عبد الله أخلا مكانه * فما كان وقافا ولا طايش اليدى
تراه خميص البطن من غير حاجة * عنيدا ويغدو فى الحروب ويرشدى
نظرت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياحى فى الفسيح المنضدى
دعانى أخى والخيل بينى وبينه * فلما دعانى لم يجدنى بمجدى
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت * الى ان علا من حالك الليل أسودى
فما زلت حتى جرحتنى رماحهم * وعدت رهين فى البقاع ممددى

فعال

فعال امرئ أفدا أخاه بنفسه * ويعلم ان المرء غير مخلدى
وأهون وجدى انى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى
أعاذل كفى بعد لومك مقصرا * وان كان علم الغيب رأى فأرشدى
أعاذل ان الدهر مهلك خالد * ولا عز رفيع أهلك الدهر عن يدى
فقالت ألا تبكى فقلت وما البكا * عروف ياحداة للزمان المبددى
أعاذلتى كل امرئ منه مانع * كزاد منع من ركب غير مرددى

قال ومازال يقطع الفجاج ويسير بهذا الجيش الذى يحاكى البحر العجاج حتى بقى بينه وبين أرض بنى عامر ثلاثة أيام وقال لاخيه خالد كن أنت مقدم القوم فى المسير وارفق بهم حتى أتقدم بين أيديكم وأزور الاخوص بن جعفر سيد بنى عامر وأسأله عن بنى عبس ومن أنجدهم من العرب وهل علموا بمسيرنا اليهم أم لا واسمع مايقول فى حقهم وان كان يشق عليه هلاكهم أو يسره لان الملك النعمان قد أوصاه بهم واكشف سائر الاحوال قبل الحرب والقتال حتى لا يبقى من بنى عمنا كلام ولا ملام قال ومن وقته وساعته ادعا بعشرة من الرجال وكانوا هؤلاء الرجال من أولاد عمه الذى يعتمد عليهم لاجل كشف همه وغمه فركبوا وساروا وكان بينهم وبين جذع الطواف يوم أو بعض يوم فأجهدوا فى مسيرهم وركضوا بالخيل وكان مرادهم الدخول فى الليل حتى لا يعلم أحد بهم ويعود الى عساكرهم قال وساروا يريد مع العشرة فرسان الى أن قرب من الديار فسمع حس رجال وركض خيل فقال لقومه اكشفوا الخبر وما هؤلاء القوم الذين سائرين فى ظلام الليل المعتكر فما تم كلامه حتى أتى منهم فارس وسار قدامه وقال لهم من أنتم من الفرسان وكيف انكم سائرين تحت ستور الظلام قال وكان هذا الفارس الذى يخاطبهم الربيع بن زياد وكان السبب فى ذلك الايراد ان الملك قيس من حين ماسمع بركوب دريد أمر الربيع ابن زيادان يأخذ فى ليلة مائة فارس ويبعد بهم فى الصحرا ولم يزال كذلك الى الصباح وكان تلك الليلة دائر ومعه المائة فارس ولم يرالوا سائرين الى أن مضى من الليل الربع الاول فأراد أن يرجع فسمع حس رجال تركض على الخيل والى تلك الديار قادمه فى الليل فقال الربيع لمن معه نظرتم الذى أنا ناظره فقالوا بلى ياأمير هذه خيل الى عندنا قادمه وقاصده فقال الربيع ما يكشف خبرها الا أنا ثم انه حرك جواده حتى قارب الخيل وأنتم ياساده تعلموا ما كان فى الربيع من المكر والخبث والخداع الا أنه لما قارب الخيل وسألهم افتقدم اليه دريد وقال له ياأخا العرب اننا قوم من بلاد اليمن وقد أتينا برساله للاخوص بن جعفر فأنتم من تكونوا فمن حذاقة الربيع استلغى دريد ولكنه ماحققه بل انه استند على الاقوى وقال له ياوجه العرب ونحن من بنى عامر والمقدم علينا غشم بن مالك واننا كل يوم وليلة نخرج ونطوف أطراف الجبال ننتظر فارس الاقطار ومشبع الاطيار دريد بن الصمه لان مقدمنا ألزمه النعمان أن ينزل أعدائه فى جواره وهم بنو عبس الذين قتلوا خالد بن جعفر وتركونا عليه نتحسر ومن حرارة مقدمنا فى كل وقت من الاوقات يفرق الفرسان فى سائر الطرقات لاجل كشف أخبار راحات الحرب وشيخ العرب دريد بن الصمه وهانحن سائرون مع أخيه طراد فى مائة فارس أجواد وقال لنا سيروا فى الليل ولا تتركوا الصباح يصبح عليكم الا وأنتم فى أرض بعيده حتى لا يعلم بكم أحد من بنى عبس وأيما لقيتم شيخ العرب دريد استحثوه على الخبر ولا تتركوه يقر فى المنازل لا يفوته ماهو مؤمل ونحن كما ترى مجدين فى هذه الامور فأنتم من تكونوا من العرب وأى أرض أنتم طالبون تحت ظلام الغيهب فقال دريد وقد فرح فرحا شديدا ابشر ياوجه بنى عامر فقد قرب عليكم الطريق ووصلتم الى من أرسلتم اليه بلا تعويق فأنا دريد بن الصمه وتركت خلفى عساكر املاء القيعان ألقى بها بنى عبس والملك

النعمان ولو كان معه سائر العربان وما جئت أرضكم الا بهذا المعنى زائرا ومستخبرا والا ما كنتم لقيتموني
قريبا من الديار وكنت عدت الى قومي وما أضيع تعبي ولا بد من زيارة بن عمي الاخوص بن جعفر
لان زيارته واجبة علي وهي مثل الفرض فعد الى صاحبك طراد وأعلمه بما سمعت حتى نعود جميعا ونبر
على هلاك أعدائنا فيعاود ضيعا فعندها عاد الربيع وهو ينادي بمكره ودهاه ابشروا يا بني عمي فهذا
دريد سيد العرب أتاكم زائرا واكم معينا وناصرا ومعه قبائل وعساكر لم تدع من بني عبس سالما
ولا ناظرا ومازال كذلك حتى صار مع بني عبس وقال لهم يا بني عمي ابشروا بالنعمة فهذا دريد بن الصمه
ومعه عشرة فوارس وطالب أرض بني عامر ليدير على قلع آثارنا وخراب ديارنا وأخذ أموالنا وسبي
حريمنا وعيالنا وقد جرى لي معه كذا وكذا والصواب انكم تظهرون الفرح بلقاه ويترجل اليه منكم
عشرون فارسا ونكن قد ملكناه ونحمل بعد ذلك على الخيل التي معه والا ان صحنا وطلبناه وعلم اننا
من أعدائه ما نقدر عليه ولا نصل اليه لانه كما سمي راحات الحرب ومافينا من يقدر يقاتله اذا كان
متأهبا للطعن والضرب هذا ان طلب قتالنا وان توهم اننا خلق كثير نجا في الليل وقطع خلفه الخيل
ويجمع علينا العرب من سائر القبائل لانه ماتم في البر قبيلة الا وله فيها مكرمة وفضيلة من سائر الفرسان
وأرباب الضرب والطعان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعوا كلامه قالوا له رأيك صادق وما في الامر غير ذلك
ثم ان الربيع أخذ منهم جماعة وأتوا الى دريد وداروا حوله ولما علم الربيع ان دريدا ما بقي له سبيل الى
النجاة صاح دونكم يا بني عمي ثم صاح يا لعبس يا لعدنان فلما سمع دريد كلامه أراد أن يجرد حسامه فما
مكنه الربيع ومسكه وتكاثروا عليه وقتلوا جواده ثم أخذوه أسيرا وداروا بقية بني عبس بالخيل
التي كانت معه وقتلوا منهم ثلاثة وأسروا سبعة وعارضوا الجميع على الخيل وعادوا طالبين بني عبس في
ظلام الليل فلما بقي بينهم وبين جزع الطواف ساعة من النهار تقدم الربيع وأرخى عنان جواده قاصدا
الى الملك قيس يعلمه بأسر دريد بن الصمه فلما وصل الخبر الى الملك قيس فرح فرحا شديدا ما عليه من
مزيد وركب في سائر اخوته الى لقاء الربيع وركبت بنو زياد الى لقاء أخيهم وفرحوا الحي فرحا بذلك
الاخبار وخرجوا الى أذيال الخيام الكبار منهم والصغار والتقى قيس بالربيع وشكره على هذه
الفعال وقال له يا ابن العم بهذا الفعل ننال المقصود وتتفرق عنا العساكر والجنود وان لم يأمر دريد
عساكره بالرحيل عنا هد منا بقتل دريد ركن العسكر وكان دريد سامع هذا الكلام فقال له يا قيس ان
أردت أن تقتلني دونك وما تريد واترك هذا الكلام فانا أهون ما عندي شرب كأس الحمام لاني
قطعت من العمر أربعمائة وخمسين عام ونفسي كرهت ممر السنين والايام وأنا أعلم بعدي ما يبقى لكم
ذكر يذكر ولا بد ما ينقطع منكم الاثر لان خلفي خمسة عشر ألف فارس مع أخي خالد وفي غد يكون عليكم
قادم ولا أحد الا وله عندكم دم وخلفي أيضا صهري سبيع بن الحارث الذي رأيتم فعاله وسمعتم باعماله
وكذلك اللقيط بن زراره يطلبكم في بني مشاجع وأنا أعلم أن ما يطلع لكل خمسمائة رجل من أعداكم
واحد منكم اذا ثارت نار الحرب واشتد الطعن والضرب والصواب أن تقتلوني وتقتلوا كل من معي
وكل من وقع في أيديكم وخذوا بثاراتكم قبل فناكم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام احتار وعلم أنه
جبار من الجبابرة الاقيال لا يبالي بقرب الآجال وما يخطر له الموت على بال فقال له أنا ما أقتلك في
هذا الوقت وانما اذا قدمت هذه القبائل اللاتي هددتنا بها وان عجزنا عنها كان لنا معك تدبير آخر ثم
انه شده في بعض الخيام وأقام عليه الحرس وقال الملك قيس يا بني عمي الصواب اننا نتأهب من اليوم الى
غد ونسير كلنا واذا لاح لنا غبارهم انقسمنا فرقتين ونترك فرقة تنادي يا لعبس يا لعدنان والفرقة الثانية
تنادي يا لعامر الشجعان حتى يظن العدا ان بني عامر سارت معنا لاجل الجوار وانهم قبضوا على دريد

لما أتاهم زائرا وركب طريق الاخطار لتنفذ به الاقدار ومن لا يركب النوائب انحطت منزلته عند
أرباب المناصب فلما سمع الربيع هذا الخطاب قال له والله يا ملك أشرت بالصواب فاعلم رجالك بما
خطر ببالك وابشر ببلوغ آمالك وقوى عزمك لتنال النصر والظفر وتعلم سادات القبائل ان عنتر
كان بنا ما كنا نحن بعنتر فأرسل الملك قيس عبيده الى رجاله وأعلم فرسانه بحاله و باتت القبيلة يتهيؤا
للقتال ويفتقدون العدد والزرد للجمال وما أصبح الصباح حتى خرج كلا منهم الى ظاهر المضارب
وترتبوا كتائب ومواكب وانقلب البر من صهيل الخيل والجنائب وبريق السيوف القواضب وركب
الملك قيس فى موكب كبير من بنى عمه والاقارب ودارت حوله فرسانه وعشيرته وركب الربيع فى
سائر اخوته ومافى القوم الا من خرج على نية الحرب والجلاد بعد ما ودعوا الحريم والاولاد وساروا وهم
ثلاثة آلاف فارس كانهم الاسود العوابس وكان سيرهم بلا عجل ولا وجل لانهم سمعوا من دريد ان
العساكر تشرف عليهم ذلك اليوم أو غدا فوقفوا بالخيل حتى تعينهم عند اللقاء ويجادلون بها الاعداء فى
الملتقاء ومازالوا وهم يقطعون الاكام حتى اعتكر الظلام فنزلوا وباتوا الى الصباح فاسمعوا للعدا
خبر ولا وقعوا لهم على أثر فقال الملك قيس ارحل بالناس يا ربيع فكلما بعدنا عن الاوطان والاطلال
تقع هيبتنا فى قلوب الشجعان والابطال اذا علموا باحوالنا يقولوا لا أنهم فى غاية الاستظهار ما جبوا
فى طلبنا وسار وا فى القفار فرحل الربيع فى المقدمة وتبعه الجيش وكان سيرهم فى المرحلتين الذى
رحلوها دون المرحلة للفارس المجد ثم باتوا على مثل ذلك وزاد بينهم الحديث والافتكار حتى مضى الليل
وأقبل النهار وساروا الى أن انبسطت الشمس فى الاقطار وساروا وقت الضحى ومدوا أعينهم فرؤا
غبار وقتام قد علا وغما وصعد الى عنان السما وله جلبة ولمعان أسنة رماح وبريق صفاح وأمور
تدل على حرب وكفاح وجيوش سدت الآفاق وملأت الطرقات وسد البرارى والفلوات كما قال
فيه القائل هذه الابيات

جيش اذا صاب وجه الارض عارضه * أفنى المصارع آخره وأوله
يمد ما بين أوله وسابقه * كالبحر لا تدرك النظار أقصاه
والسابقات تبارى تحت نار وغا * تجرى عليها من الهامات أفواه
والباشقات اذا نشرت كواكبها * رأيت أسفل ما فى الفرق أعلاه
كذا النبال تبارى عند رشقتها * مثل الجراد اذا ما سار مرعاه

فلما رأى الملك قيس ذلك قال والله ان هذه مواكب الاعداء وان صدقنى حذرى فقد وقع بينهم أمور
وهذه سبب ابطائهم عنا ثم قال لبعض الفرسان يا ابن العم حرك جوادك وائتنا بالاخبار وابصر لنا ذلك
الغبار حتى ندبر على قدر ما نرى فيه الصلاح فاطلق الفارس عنان جواده وطلب القتام وما غاب الا
قليل وعاد يركض بالجواد فقال له الملك قيس ما هذا الخبر وما حال هؤلاء فقال يا ملك حالهم غير مبارك
عليهم لانى مضيت خطيت أذيال الغبار أطلب من أسأله عن الاخبار واذا برجل خرج مجروح وهو
يطلب أقطار الصحراء الاجل يشم الهوى فقلت له يا وجه العرب كيف حالكم وما هذه الطوائف المتقابلة
وعلى أى شئ وقع بينهم الحرب والقتال فقال لى يا فتى أما أنا فلا تسأل عن حالى فانى قد جرحت وأخذ
رمحى وحسامى وقتل فرسى وأما هذه الطوائف يتقاتلوا على حطام الدنيا التى يطمع فيها كل أحد
والسبب فى ذلك اننا خرجنا من بنى كريم ابن صارم مع صاحبنا الكليم ونزلنا على بنى غراب وتركنا
ديارهم قفرا خراب وسقنا نوقهم وأموالهم والدواب ولم نتركنا لهم مضارب ولا قباب وعدنا نطلب
الديار فالتقانا هذا العسكر الجرار الذى ما تقع له على عيار فابصر والغنائم معنا والدواب فتبادروا

علينا مثل الذئاب وأرادوا أخذ الاموال منا فقاتلناهم ومارأينا على أنفسنا أن نفوت غنائمنا ولنا يومين فى هذا القتال نرد القبائل التى سدت الاراضى والجبال وهى تضربنا بأمواجها من كل جانب ونحن ندافع عن أرواحنا وغنائمنا ولولا فارسنا وشجاعنا الكليم بن صارم مابقى منا لاقاعد ولاقائم وهذه قصتنا يافتى شرحنا لك وان كان عندك فرج والا ارجع من حيث أتيت فلما سمعت قصته ضمنت له النصر ورجعت وهذه أخبارهم (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذه الاخبار قال لاصحابه هذه الاسباب قوة لنا وضعف لاعدائنا ولكن الصواب اننا نقيم على مانحن عليه من التدبير ونقسم فرقتين فرقة تنادى يالعبس يالعدنان وفرقة تنادى يالعامر الشجعان ونحمل على هذه الفرسان لعلنا نكسرها ويكن الامر قد هان فقال الربيع هذا هو الصواب والرأى الذى لايعاب ورب البيت قد بعث لنا من يعيننا بغير حساب وأنا أعلم أننا اذا حملنا ورأى هذا الفارس فعالنا وصارت له معونه منا فانه على الاعداء يعاونا ثم انهم انقسموا فرقتين وأطلقوا الاعنه وقوموا الاسنه (قال الراوى) وكان هذا الفارس الذى قدمنا ذكره فارس مذكور وبطل مشهور من أبطال العرب الاقيال اذا عدت الابطال يذكر فى أول الرجال ويحسب من الاقيال وكانت الفرسان تسميه بحر الهلاك ومرج المنايا وكانت قصته كما ذكرنا فى هذا الكتاب وانه عند عودته من غزوة بنى غراب جرت له هذه الاسباب وقاتل عساكر دربد كما ذكرنا أول يوم الى آخر النهار ولما رأى كثرتهم طلب منهم البراز فقاتل معهم الى المساء وقتل منهم خمسة وسبعين وحملت عليه تلك الفرسان فردهم بالسيف والسنان وحمى أصحابه وثبتهم للطعان فانهم كانوا أرادوا أن يطلبوا الهزيمه ويتركوا الاعداء الغنيمه فطيب قلوبهم وأوعدهم بالنصر على أعدائهم وقال لهم بالله عليكم يابنى عمى اصبروا على قليل حتى أشبع من الحرب مع هذه العسكر وأترك لى ولهم حديث يذكر مابقيت الشمس والقمر مادام انهم مقيمين على برازى وان تكاثروا على احموا أنتم ظهرى وأنا أظهر فيهم عجائبى وأفرجكم على طعانى ومضاربى ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوب أصحابه وباتوا يصلحون رماحهم وصوارمهم وأما خالد أخو دربد فانه لما عاد من القتال جمع فرسان القبائل والمقدمين على الجحافل وقال لهم ضيعتم اليوم والنهار وأخطأتم بمبارزة هذا الفارس الجبار لان الفرسان الجبابره ماتغلب الا بالمكاثره لاسيما هذا الفارس الذى أذل الشجعان ورمته الارض الينا من أبعد مكان ولو لم يكن ذو قوة ظاهرة ماسمى بين الفرسان بحر الهلاك والرأى عندى انكم عند الصباح أقصدوه كلكم باسنة الرماح ثم انهبوا جسده ومن معه بشفار الصفاح والا ألقى الهيبة فى قلوبكم ويكسيكم عارمادام الظلام وطلع الصباح لاسيما أخى دربد وراءكم وطلبكم فكيف تنفروا من فارس واحد فى البراز فهو عليكم عار وانتم أبطال الحجاز وأخى أراد أن يلقى بكم فرسان بنى عبس وهى قبيلة قد قاومت الاعارب وهذه فعالكم من فرد فارس واحد منقطع فى القفار والسباسب فلما سمعوا الابطال منه هذا المقال عرفوا المقصود من خالد فقالوا له لا تلومنا ولا تعتب علينا فما قد منا فارس دون وهذا شجاع ومثله لايكون على ان الذى لم بارزه لم يعرفه ولو عرفه ماقاربه وعند الصباح نحمل كلنا فى سائر القبائل ونقصده بالرماح الدوابل وننجز أمرنا مع هذا الجمع اليسير ونساق غنائمهم بين أيدينا ونسير وماصدقوا بان الليل ينقضى والصباح يضىء حتى نار الفرسان مثل الابالس وقصدوا الكليم وأصحابه الالف فارس وأخذوا معاهم فى القتال وطلبوهم بكل صارم فصال فعندها حمل الكليم عليهم وجال فيهم وهو يمانع مما نعة العقاب القاتل ويبرى بسيفه الرماح الدوابل وصارت أمواج المواكب تلطمه كيف مال وهو يخطف الارواح من الاجساد وينثر الرؤس تحت الاقدام حتى قتل أوفى من مائتين فارس تمام وكثرت عليه الاقوام وساعدوه

أصحابه

اصحابه من بنى كريم الكرام فما كنت ترى الا دما فائرا وجوادا غائرا ورأسا طائرا وعظمت المصائب والكبائر ودارت بهم الابطال والعشائر ثم طلبتهم أمواج العساكر وخسرت الاوائل والاواخر وطلع الغبار الثائر وأيقنت بهلاك الكليم واصحابه الضمائر ولا بقى يدرى لمن يحارب ولا لمن يبادر وخالد يحس عليه العساكر وما بقى الا أخذه باليكف فأقبل الملك قيس فى أبطال بنى عبس وأسنة رماحهم حجبت ضوء الشمس ونظروا الى القتال فحملوا من سائر الجهات بعد ان تفرقت قبائلهم ثلاث فرق وزعقت فرقة يالعبس يالعدنان وفرقة يالعامر وفرقة يالغطفان ابشروا بالهلاك والخسران ياويلكم دريد قتلناه وعلى فعاله جازيناه وقد امتثلنا أمر الملك النعمان وقتلناه (قال الراوى) وكان هذا من تدبير الربيع بن زياد حتى يلقى الهيبة فى قلوب الاعداء والاجناد فلما سمعت القوم هذا النداء تفرقت فى جنبات البيداء هذا وبنو عبس باعت النفوس بيع السماح وعلا منهم الضجيج والصياح وسد فى وجوه الجميع أبواب النجاح حتى تثلمت الصفاح وتقصفت الرماح فانكشفت عن الكليم الغمه وبرق برق المنايا من حسامه ولاح وتفرقت عنه العرب وأخذوا فى الهرب فقال خالد ياويلكم يابنى عمى تهدموا مجدكم بالفرار وستندمون اذا بانت لكم حقيقة الاخبار على ان أخى دريد سالم وعن قريب نرونه اليكم قادم فاجتهدوا فى جودة الطعن والضرب وابشروا بالغنائم والكسب ومازال على ذلك حتى رد الفرقة المنهزمة من رؤس الجبال والتلال وقتلت الخيل هربا وشكت الرجال كربا وأنبع كل انسان سيبا وجرى الدم وانسكبا ولا يلتفت الحبيب الى حبيبه وعاد الصبر منقلبا وصار النهار غيهبا وأظهر الكليم العجب لما انكشفت عنه الكرب وعلم ان هذا الاتفاق من سعادته قد اتفق فصاح وزعق ولمع صارمه وبرق وسال الدم وانهرق وامتلأ غيظا ومازال الامر كذلك حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعاد كل جمع عن الآخر وافترق ونزلت بنو عبس فى وسط الاعدا وملأت جنبات الارض بالقتلا وما قتل منها الا نفر يسير وأخذ من بنى عبس خمسين فارسا أسيرا لان خالدا صاح فى الرجال وقال لهم كل من قدر على عبسى لا يقتله بل يشده كتاف ويحفظه حتى نفدى به أخى دريد من الاتلاف ووقع كما ذكرنا فامتثلوا أمره ومقاله وكان هذا رحمة لهم ولما وقعت الاسرى فى يد خالد أحضرهم بعد الانفصال من الحرب والقتال وسألهم عن أخيه دريد بن الصمه فقال له العقلاء منهم والله ياوجه العرب ظفرنا به وهو سائر الى بنى عامر وعند فراغنا من سيره سرنا الى لقاكم طمعا فيكم وقلنا نبدد شملكم وكان الذى كان ولولا فعالك لم شمل الناس كنا طمعنا فيكم فقال خالد ومن الذى خلفتموه فى الديار لما رحلتم لحفظ المال والعيال بعد مسيركم فقالوا له أيها السيد أهلنا فى أمان من تغير الزمان وأكثر القبيله تخلفت فى الابيات وما سرنا الا فى نفر قليل من الناس وهى هذه الطائفة التى تراها فقال خالد كذبتم يابنى الزوانى وكان عدتكم حين خرجتم من بلاد اليمن أكثر من هذا الجيش ونحن ما سرنا فى طلبكم حتى صح عندنا أخباركم وسمعنا ان عبدكم الذى كنتم تتكلون عليه غضبان عليكم وان القبائل كلها طلبتكم فقالوا له صدقت ياوجه العرب أما الذى حدثكم بغضب عنتر فهو صادق ولكن عند مسيرنا اليكم صالحناه وتركناه عند خيامنا ومعه الفرسان والحماة مثل مقرى الوحش وعروة بن الورد وابن أخت عنتر الهطال وعبده أبو الموت سيد السودان وجماعة من بنى غطفان وفرقة كانت تبعتنا من بلاد اليمن وهذه فعال ما كنا قيس خوفا من بنى عامر لانه فزع منهم أن يضيعوا حرمته عند غيبتنا ما بيننا وبينهم من الدما (قال الراوى) وكان السبب فى كون العبسى قال هذا المقال خوفا على الاهل والعيال لاجل ما سمع من المقال الا أن خالدا لما سمع منه ظن انه صحيح فجرد من ليلته خمسة آلاف فارس من الشجعان وأمر عليهم رجلا جبارا من بنى جشم يقال له سابق بن ثابت وقال له يا ابن العم سر بهذا الجيش

من وقتك هذا ولا تفتر ولا تهدى لعلك أن تصيح مضارب بنى عبس صباحا وتخلص أخى دريد ويكن
انفصل الحال و بلغنا الآمال فقال له ومن بقى فى بنى عبس حتى تبعثى اليهم فى هذا الجيش فقال
له أخبرنى بعض الاسارى ان عنترهناك ومعه طائفة قويه فان كان الامر صحيحا فهذه خمسة آلاف
تدهمهم وتكسرهم بها وان لم يكن الامر صحيحا فانزلوا فى خيام القوم وخلصوا دريدا واقسموا مضاربهم
على الفرسان والذى يأمركم به الشيخ دريد افعلوه لانه يفعل على قدر مايرى فقال سابق السمع والطاعة ثم
تقدم امام الجيش وسار يقطع الارض تحت أذيال الاعتكار وبقى خالد فى دون العشرة آلاف فارس
ينتظر الصباح ويعد الابطال بالنصر والمال المباح فهذا ما كان من هؤلاء ﴿قال الراوى﴾ وأما
ما كان من بنى عبس فانها لما نزلت عن ظهور الخيل عند اقبال الليل أتاهم الكليم فارس بنى كريم
وشكرهم على فعالهم وسلم على الملك قيس وحياه وكان حوله سادات بنى عبس مثل الربيع بن زياد
واخوته فقال لهم لا تظنوا أيها السادات أن فعلكم معى ضائع فانى ما أنساه مادامت الرماح اللواميع
ولا بد ما أقاتل حتى تنهب جسدى السيوف القواطع لانكم أحسنتم الى وفرجتم عنى الكرب على اننى
لو كنت أطلب النجاة كنت نجيت ولكن نفسى لم تحدثنى بالهرب وما سرت فى بنى عمى الا لاجل
المعايش والمكسب وها أنا التزمت وكان الذى كان ولا بد من تفريق هؤلاء القبائل والفرسان كى
لا أصير عندهم حديثا على طول الزمان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس كلامه أعجبه وقام اليه
وأجلسه بجانبه وقال له ياقتى لو كان هنا انصافنا كنا كلنا سعينا بالاسعاف لانك نصرتنا على الاعدا
والجميل لمن بدا ونحن والله ما تسببنا فى معونتك قصدا وانما اتفق لنا هذا الاتفاق والهدى من سعادتنا
وعلو مجدنا والا ما كنت تخلصت فى أمسك وكانوا أعدموا رفقك لاجلك ولا كانت أهلك تراك فكفاك
ما لقيت من الحرب فى أمسك ويومك فخذ لنفسك الراحة من هذا الصدام واطلب النجاة برجالك
تحت أستار الظلام ونحن دعنا نقاتل من بلينا بقتاله من هؤلاء اللئام فقال الكليم لا وحق مسير
الغمام لا أفارقكم حتى أشفت هذه القبائل فى البرارى والآكام أو أشرب معكم الكاس الذى تشربون
منه والسلام فقد صار لى على هؤلاء القوم ثارا أطلبه ودينا أخلصه ولا أتوانا عن سببه فشكره الملك قيس
والجماعة وقال بعضهم لبعض يا أجواد أحلف الله علينا عوض عنتر بن شداد هذا الفارس وهو أثبت
من عنتر فى الحرب والجلاد ومعه ألف فارس شداد ثم قدموا لهم الطعام وصار بين القوم حرمة وذمام
وأضرموا حولهم النيران وما أظلم الظلام حتى أخذوا فى المشورة والتدبير والحيلة فى تفريق هذه
الاعداء الجيش الكبير فقال الملك قيس الرأى عندى اننا نأخذ الراحة ساعة من الليل ونعود الى
ظهور الخيل ونحفظ حريمنا بالاحياء ونجعل قتالنا قدام الحريم بلا امتراء ولا نأمن من خالد أن
يرسل أحدا من فرسان هذه القبائل حين يأتى الظلام الهائل فيسوقون الكواعب وتعظم علينا
المصائب لانهم ان فعلوا هذه وعادوا علينا وصار وامن خلفنا وبين أيدينا تعظم الامور علينا وهذا
الحساب خطر ببالى وقلبى منه خائف وان دريدا ذكر لى انه أرسل الى لقيط بن زرارة وأعلمه انه يلاقيه
على أرضنا ويشغل قلوبنا ونحن هاهنا و يطول المطال فنهلك الحريم والعيال وتملك ديارنا والاطلال
والاهل والعيال والذخائر والاموال وتفتضح بين القبائل فى الارض والجبال فلما انتهى الملك
قيس من هذا الحديث علم جميع رجاله والاصحاب انه أصاب وان خاطره قد حدثه بالصواب فقال
الربيع بن زياد يا ملك لقد حسبت حسابا مناسب ونظرت فى العواقب نظر اللبيب بالفهم الثاقب
وان كان أعداؤنا اتفقوا على هذا الرأى الصائب نخيلهم ولا بد سارت من الليل تحت ظلام الغياهب
فسر بنا أيها الملك على الاثر حتى نرى أحوالهم وأعمالهم فلما سمع الكليم بهذا الامر العظيم قال لهم

ارحلوا

ارحلوا أنتم الساعة واطلبوا أهلكم حتى أسير أنا خلفكم على أثركم ومن تبعكم كفيتكم أمره وقطعت همزة
فعندها رحل بنو عبس الكرام طالبين المضارب والخيام تحت أستار الظلام وتركوا النيران على
حالها زائدة الاضرام ولم يعلم بهم أحد من الانام لانهم جرائد على الخيول الجياد وتخلف بعدهم
الكليم ومن معه بسيوف حداد ورماح مداد ولما أصبح الصباح صبحت قبائل العرب أرضهم فلم
يجدوا لبني عبس خبر فانذهل خالد وتحير وعلم انهم طلبوا الديار فعندها أقبل خالد على رفقاه وبني
عمه وأقرباه وقال لهم لابد ان بني عبس علموا بمادبرناه وسمعوا بخبر الجيش الذي سيرناه ورحلوا
على أثره خوفا على مالهم وحريمهم وعيالهم ونريد نحن أن نلحقهم والا ضيقوا على دربدلانهم علموا ان
المصائب من أجله فسار واعليه باسم الهزيمة وهانحن خلفهم نجد في طلبهم ومتى أدركناهم نعول
على هلاكهم وفنائهم ثم انه ركب وركب ذلك الجيش الجرار الذي كأنه البحر الزخار وفي قلبه على
أخيه دريد لهيب النار وجدوا على هذا الحساب في الروابي والهضاب وكان أول من أشرف على
خيام بني عبس ثابت بن واثب الذي سار في الاول يطلب خلاص دريد من الاسر والعذاب فلما قرب
من الاحياء فرق الجيش في سائر الجنبات وانتظر أن يخرج اليه أحد من بني عبس القناعس فلم يرى
الا دون المائتين فارس ظهرت في أذيال الخيام وهم مع نوفل أخو الملك قيس الا انه لما رأى تلك
المواكب والكتائب تفرقت من كل جانب وأحاطت بالحريم وصارت بين المضارب ورفعت
الصياح من المشارق والمغارب ورجفت قلوب النسوان على فقد الحبائب وانقلبت الدنيا بضجيج
البنات الكواعب واختلطت الاحرار بالعبيد وقاتلوا القتال الشديد ومانعوا عن الحريم والعيال
وقد ظهرت من سابق وأصحابه الاهوال فصاح وأعلن بالصياح وقال عليكم بأبيات الملك قيس
باسنجحال فما يكون سيدكم دريد الا هناك فيمن معه من الرجال ومتى خلص انصلح الحال وبلغنا
الآمال فعند ذلك مالت الابطال وعظمت الاهوال وركضت بين الاطناب الخيل والرجال واشتد
على الملك قيس القتال وبرقت النصال فما كان أكثر من ساعة على هذه الاحوال حتى أقبلت بنو
عبس مواكب وسرب وطلع غبارهم مثل الزوابع ورأوا القتال دائرا بين أطنابهم وشائع فصار
الغيظ في قلوبهم متتابع وصاحوا صياحا منكر وأقبلوا مثل موج البحر اذا زخر وفي الحال صار وامع
أعدائهم في الخيام وحارت الافهام وأظلمت الاقطار مثل الغمام وما ضاحا النهار حتى عادت بنو
جشم الى القفار وأخرجتها بنو عبس من خيامهم قوة واقتدار ونهبت منها نفوسها وطيرت رؤسها
وأدركها فارس بني كريم في الالف فارس المقدم ذكرها ورأى القتال يعمل فأقبل هو ورفقته وجودوا
العراك وأشرف بنو جشم وبنو هوازم على الهلاك وعلمت انه ما بقي لها من الموت فكاك وقاتل
سابق قتالا شديدا وكثرت الآلام بينهم والبوائق ومانجا الا من كان جواده سابق وهلك من نفذ فيه
الحمام الماحق وانقسمت المواكب في سائر الجنبات ونفخ على بني هوازم وجشم بوق الشتات وبقوا
في هزيمتهم حيارى وبعد الربح عادوا في خساره وفي ذلك الوقت أشرف عليهم اللقيط بن زراره في خمسة
آلاف فارس من كل مدرع ولابس ورأوا غبار الحرب ثائرا وقتام المعمعة فائرا فمالوا عليه وحملوا
على بني عبس وطلبوهم من كل المواضع لانهم حارسون أنفسهم باشد الموانع ودارهم لا يقصدها
الا من له على بني عبس ثار وقصدهلا كهم والدمار وكان عندهم علم ان دريدا يلقاهم في تلك الارض
كما تقدم الحديث فقصدوا الغبار ومالوا اليهم في سائر الجهات والاقطار فلما نظرهم بنو جشم مالوا اليهم
وأخبروا اللقيط بحال سيدهم دريد وان أخاه خالدا أرسلهم لاجل ان يخلصوه من أسر بني عبس فلما سمع
اللقيط ذلك الكلام صاح في أبطاله وحسهم على حرب بني عبس وركب في أوائلهم جواد النوبه وقلبه

ملآن بالحنق والحرق لاننا ذكرنا سابقا ما بينه و بين بني عبس من الثار وما جرى لهم من الحرب القديم خوف العار فطلب بنو عبس بفرسانه وحمل عليهم بشجعانه وكان قد وصل معه عشرة من اخوته لانهم كانوا تسعة عشر أخا من أم واحدة وأب واحد والكل فرسان وأبطال خبيرون بالطعن والنزال ورماحهم طوال فتفرقوا خلف الهاربين في رؤس الجبال وعاد بنو عبس خوفا على الحريم والعيال واجتمعوا لما رأوا ذلك الجيش الذي كالرمل السيال والتقوا أعداءهم على هذا الحال وصاح الملك قيس يا بني عمي هذا اللقيط بن زراره أتانا بهذا الجيش الكبير فاقتلوهم قبل أن يصل الينا الذي تركناهم خلفنا فيكثر علينا العدد وتشتد مصائبنا وعلى الحقيقة اهتزت أرض جزع الطواف وتزلزلت النواحي وملئت البطاح وبيعت النفوس بيع السماح وانحطمت الرؤس والاكتاف وقطعت الايادي والاعضاء من خلاف وفزع الجبان من الموت وخاف وحمل الكليم في بني عبس وعدنان وصار يقاتل بالسيف والسنان وكان بحر الهلاك وموج المنايا كما سمته الفرسان فتك في بني دارم وأذاقهم الهوان ومازال القتال يعمل حتى تضاحا النهار وبنو عبس على قلة عددها قاتلت ونصحت في قتالها لانها أيقنت بهلاكها وو بالها وفي تلك الساعة وصلت عساكر يد مع أخيه خالد وقد ذكرنا انها عشرة آلاف الا انها لما رأت الغبار تاثر والحرب دائر حملت وطلبت القتال وما أهملت وكلت بنو عبس من القتال وتعبت عند ذلك عادت الى الخيام وقد أظلم على الناس الظلام وبات بنو عبس سكارى من الصدام أقوى مما يسكر من شراب المدام ولما أخذوا الراحة واستقروا في الخيام أخذوا في المشورة والتدبير وكانت قلوبهم قوية بالكليم لانهم أبصروا منه شيأ ما أبصروه من غيره هذا والملك قيس أعرض عليه الاموال والخيل وأن يأخذ ما أراد هو وقومه و يعول على الارتحال في الليل فأبى وقال وحق من جعل الليل سكنا والنهار معاشا وفي علم غيبه قد احتجب لارحلت عنكم ولا ذكرت ديارى حتى أبصر آخر أمركم كيف يكون مع الاعداء واجعل روحي وروح أصحابي لكم الفداء ثم قال الكليم اعلم يا ملك اني من قوم يحفظون الوداد و يعرفون حق الزاد وعند الصباح أنا أخرج الى البراز وأطلب منهم الانصاف فان بارزوني بلغت منهم المقصود و باتوا في انتظار الصباح وافتقدوا آلة العدد والسلاح وهم يدبرون أمرهم للكفاح وتقرب الكليم من قلب الملك قيس وعول أن يزوجه بنته الجمانة ان تفرغ قلبه من هذه المصائب ودارت حولهم القبائل واحتاطوا بهم من كل جانب والتقى خالد مع اللقيط بن زراره وأخذوا يتشاورون في خلاص يد فقال اللقيط عند الصباح نهجم على بني عبس ونخلص يدا ونحجز أمر هذه القبيلة التي عادت سائر القبائل ونذهب أموالهم والحلائل ولما كان عند الصباح تبادرت الفرسان من كل جانب وضيقوا على بني عبس المذاهب وقاتلوا بنو عبس في أذيال المضارب واشتدت الاهوال والمصائب وبطل خطاب المخاطب وفاضت بحار الاعداء على بني عبس سواكب لانهم اجتمعوا عليهم في عشرين ألفا ماش وراكب وأوهموهم بالصباح واغلقوا في وجوههم باب النجاح وكان لهم يوم عظيم الشان مما صار فيه من الضرب بالسفاح والطعن بالرماح كما قال فيه الشاعر حسان في هذه الابيات الملاح

ويوم طال فيه الافتكار * به نار يلوح لها شرار * وخيل تحرث الميدان حرثا
وأقحاف الرؤس لها بذار * ودم السيف يصب مثل سيل * ومن حد القنا تروى القفار
فشق به المفارق عن شقيق * يظل مبرقعا منه النهار * ربيع لم يشم به ثؤادى
ولم تشمم برائحته عذار * وقد عادت سماء النقع أرضا * بهم تهوى الى جهة القرار
هتكت مجابه بريق سيف * وللغمرات طي وانتشار

وطعن

وطعن للقلوب به انتظام * وضرب للرؤس بها انتثار * وخيل للغبار مشردات
وهامات تطير وتستطار * وأجساد هنالك مطرحات * وقد أبدت أنينا واختوار

(قال الراوى) ولولا الكليم فارس بنى كليم ما كانت طائفة بنى عبس أتى عليها الظلام ولا بقى منها شيخ ولا غلام واذا كان فارس جيد فى طائفة ضعيفة حماها وجرأها على الثبات الا أن الليل ما دخل حتى قتل من بنى عبس أوفى من مائتى بطل وباتوا وهم حيارى فى غاية الخذلان يودعون الاولاد والنسوان وأما الكليم فانه قال لاصحابه يا بنى عمى لو علمت أمرنا ينتهى الى هذا الحال كنت أنفذت الى قومنا رسولا يعلمهم بمصائبنا ويأتى بهم الى نصرتنا ولكن كان الذى كان وانى خائف على هؤلاء القوم الذى أكلنا زادهم وصرنا بين حريمهم وأولادهم والله لا تخلت عنهم حتى تلعب الخيل برأسى وأبقى تحتهم لا أعرف ما أقاسى (قال الراوى) وقد قاتلوهم فى ثانى يوم يوما كاملا وهم بين الخيام والاطناب ودافعوا عن الكواعب والاتراب وتمددت وتفتت الاكباد وصارت النساء أرامل والاولاد أيتام وما صدق بنو عبس بدخول جيش الظلام حتى تفرقوا ووقع الانفصال فقال الملك قيس للربيع بن زياد ما بقى يا ابن العم الا أننا ندخل على دريد بن الصمه ونسأله فى الصلح ونطلقه من الاسر وان طلب منا الفداء أعطيناه ولو طلب ما نملكه لبذلناه ونطلق سبيله وينصرف عنا بهذه القبائل والا صرنا مثلا لكل قائل لاننا قتلنا أخاه وعمارة أخاك طعنه فى أحشاه وجعله ممدودا فى الفلاه وهذه الفعلة ما تزول من قلبه ولا ينساها الا أن نطمعه فى المال ونرق له بالسؤال والا جمع علينا كل الفرسان وانا بطال فانه رجل عالى القدر فى القبائل والحلل وأمره مسموع وممتثل والمال الذى يأخذه منا ان عشنا رجع الينا واستخلف وأما الارواح فلا ترجع بعد الهلاك ولا تسف فقال الربيع ما هذا الا نعم الرأى فافعله أيها الملك حتى يكون على قدر جوابه التدبير وأما أنا فلا أقع فى عينيه حتى لا يلزم اللجاج لاجل ما فعلت به من الانزعاج فأخذ قيس جماعة من عشيرته ودخل على دريد وسلم عليه وقال له اعلم يا سيد بنى جشم أترك بيننا العناد وترميل النساء وتيتيم الاولاد وأنت تعلم اننا قط ما ذللنا البشر وما برحنا فى القتال أصحاب النصر والظفر وانما قتل لنا فى بلاد اليمن فرسان كانوا لنا عند الحرب أركان ونريد نتخذك صديقا لنا ويكون فى مصادقتك عز وفخر لنا ونبلغك الآمال فاطلب ما أردت فدا أخيك حتى اننا نحمله اليك ونبلغك الآمال ولا تكن من أدنى الرجال وأعطيت هذا العمر الطويل وتفعل فعل الجهال وقد سألناك أن لا تبغى علينا ولا ترد السؤال لان الدهر ما دام لاحد على حال وطبعه التغير والانتقال وأمرك يا شيخ العرب أولى وأنت الى طريق الصواب أحرى فلما سمع دريد بن الصمه ذلك خاف من عاقبة البغى والنكال وقال للملك قيس اسمع يا قيس أما الاحوال التى فعلها بنو زياد فقد ملأت قلبى أحقاد وأما كلامك أسمعه وحق سؤالك لا أضيعه وأما قولك تعطينى مالا ما أقبله فالمال مردود عليك ولكن أريد منك أن تسلم لى الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وطائفة بنى زياد حتى آخذ منهم دم أخى عبد الله فانك تعلم أن الربيع فعل معى هذه الفعال ورمانى فى الاعتقال بالمكر والاحتيال ولا ترك لى بين العرب رأسا تشال ولا عادت العرب تسمع لى مقال واذا اطلقتنى أطلق كل من كان معى أيضا فى الاعتقال بغير فداء ولا مال وبعدها اتكافح أنا وبنو زياد حتى استوفى دم أخى منهم بالحسام الفصال أو هم يقتلونى ويبلغون بقتلى الآمال وان كان يصعب عليك تسليم بنى عمك وهم بنو زياد وتخاف من معيرة العباد فلا ملام على هذا الايراد انما انفيهم بعيدا عنك فى البر والوهاد وأنا أطلبهم فى كل شعب وواد واذا كانوا يحتجون بالمكاثرة وقلت الانصاف فأنا أبارزهم فارسا لفارس بلا اسراف فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال له لابد من المشورة فى هذا المرام وقام الملك قيس من

عنده وأتى الى الربيع وأعلمه بذلك فقال عمارة اطلقه ودعه يطلق أسرانا فان رجالنا أنفع لنا فقال الملك قيس خائف أن أطلقه فما عندنا من يقاومه فى الميدان ولا يثبت له فى جولان فقال عمارة يا ملك اطلقه هو من المضره وأنا على به أيضا هذه المره ولا تخشى يا ملك من باسه وسوف أهدم أركانه من أساسه وأقطع يديه مع راسه فان ما أسرته فى مقام الطراد ما كنت أنا الامير عمارة القواد والا فأعد من الاوغاد ولا أحد بنادينى يا أمير بل أكون بين العربان كالطنجير واتفق الرأى على اطلاق دريد والمبارزة بينه وبين بنى زياد ثم أرسل الملك قيس الى دريد من يأخذ عليه العهد والميثاق ويطلقه من الوثاق فأطلقه وخلع عليه وأعطاه عدته وجواده وسيره الى أخيه وكان وقت السحر وما أصبح الصباح الا وهو عند قومه وعشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بخلاصه وما طلعت الشمس حتى أطلقوا كل أسير لبنى عبس وردوا عليهم خيلهم وعددهم فقال له أخوه خالد لو كنت صبرت اليوم كنا خلصناك بلا فدا وأهلكنا جميع العدا فقال دريد خفت يا أخى من عاقبة البغى والردا لان الملك قيسا دخل على وتذلل بين يدى فأجبته فى اطلاق أسراه وان هذا لا ينفعه ولا أرضاه ولا بد من أخذ الجميع وأصنع بهم أقبح صنيع ان مانعونى عن عمارة وأخيه الربيع ثم انه أمر ذلك اليوم بترك القتال لاجل السلام على الفرسان والابطال ولما كان من الغد اصطف سادات العرب فى المجال وعرفوا اماهم متفقون عليه من البراز والنزال وركبت طائفة بنى عبس وبنى زياد وفى أوائلها فارسها شيخ العرب عمارة المنتخب وسار فى المقدمة يفتل سباله وينفش لحيته وبهزا كتافه ويجر الرمح من خلفه ويرقص أردافه وعزم على براز دريد بن الصمه حتى يصدقوه الناس فى مقاله ويعلموا اجناسه وكان راكبا على مهرة حمرا يقال لها خضرا ومعتقلا بقناة سمرا فسار يمشى قدام القوم ويجر رمحه من ورائه جرا وينتظر خروج دريد حتى يخرج الى لقائه ليسقيه شرابا مرا فبينما هو كذلك واذا بدريد برز الى الميدان وجال وصال كما تجول الفرسان وتذكر انقلاب الدهور والازمان عندها أنشد وقال

قطعت من الدهر عمرا طويلا * وأفنيت أجيالا وأبقيت جيلا * هذبنى الشيب حتى عرفت به
أمان الصديق وصرت به خليلا * شبت وما شاب عزمى ولا * وهن الدهر من حيلى وبيلا
مابت الاوظهرا الحصان مقيلى اذا قل عنى المقيلا * فيوم ترانى قتيل المدام
وبين الرياحين أمسى جليلا * ويوم ترانى رويحات الحروب * أجود الطعان وأشفى الغليلا
فويل لمن أبيت فى نومه * يرانى أمر الحسام الصقيلا * وويل لمن ظن فى نفسه
مقاتلتى أو يرانى قتيلا * أنا من نائبات الزمان الذى * أذل العزيز وأرفعه ذليلا
وجارى مجار من النائبات * وخصمى صريع فى معامعه قتيلا * وفى السلم لى فى المعاطى نخار
وأهب المال والملك الجزيلا * ولى همة فى نهار الطعان * ترى الخصم منها عفيرا جديلا
واحتقر الجمع عند القتال * وعندى كثير الاعادى قليلا * وان أردت بالليل ردع العدا
لدى الصبح لم ترى لهم مقيلا * فقل لمن ساقنى بالخداع تأما * وصار بأسرى يجر الذيولا

اذا كنت يوم اللقاء فارسا * تهز القنا فوق ظهران الخيولا
فبارزنى لتلقى فتى شرسا * لتنظر نهارا عليك وبيلا

وقد عنى بالبيت الاخير الربيع بن زياد لما خدعه وأسره هذا وعمارة لما نظر الى دريد وسمع مقاله فهز رمحه وحرك جواده وسار يميز أعطافه فسبقه ذوات بن أسماء من فرسان بنى زيادا المذكوره وهو الذى قتل عبد الله أخا دريد وصار مع دريد فى المجال وصرخ فيه وزمجر وقال له ويلك يا دريد أنت تدعى انك فارس شجاع لا تكل من القراع ولا تفزع ولا ترتاع وتفتخر بما أعطيت من العمر الطويل مع انك

لا يطول

لايطول الاعمر من كان جبانا ذليلا وأن لو كنت فارسا شجاعا وقرمامناعا فأنا أفرس منك فى الحرب والقراع فانى أنا الذى قتلت أخاك فى منعرج اللوا ومنتظرك حتى ألحقك به لنلتقى بلاسوى فانك احتقرت الناس وغرك طول عمرك وبعد الاجل وافتخرت فروسيتك فى السهل والجبل وهذا يدل على انك ذليل مهان لان الشجاع لايكون عمره طويلا وعمرك قد دنا واليوم أذيقك كأس المنا وأجابه على عروض شعره يقول

لقد خضت فى الجهل عرضا وطولا * وجاوزت فى الدهر عمرا طويلا * وغرك طول الامل والزمان
وجردت للبغى سيفا صقيلا * ومن جعل البغى سيفا له * ومد به يده كى يطولا
ولايخشى عاقبات الزما * ن فوسط المعامع عمى قتيلا * أما تستحى بعد فقد الشباب
تمادى الجهل باعا طويلا * وتحتقر الناس يوم الطعان * وتبصر كل كثير قليلا
وجسمك قد أخلته السنى * وغادره الدهر رسما وقيلا * فما قتل الدهر الاشجاعا
ولاوهب العمر الاذليلا * فبادر حياتى تكن صبورا * فانك خصمى ولالك مقيلا
قتلت أخاك بهذا السنان * وأنت به اليوم تضحى قتيلا

فلما سمع دريد بن الصمة من ذوات أسماء ماقاله وما أنشده من الشعر والمقال علم ان هذا الذى قتل أخاه على كل حال وبان له الصدق من المحال وهذا هو خصمه ومابقى يمكن امهاله وعلم هذا ذوات ابن أسماء وقد غابت عنه الارض والسماء فرمى الرمح من يده وجذب الحسام من غمده وهزه فى يده حتى دب الموت من افرنده ومنعه الغيظ عن الكلام فطلب خصمه كما يطلب الصقر أبراج الحمام وضرب رمحه بالحسام براه برى الاقلام ثم قاربه وانحط عليه انحطاط جبار قاسى النوائب والاخطار وفتح باعه ومد بالحسام ذراعه وضربه ضربة مشبعة بهمته فنزل حد الحسام الى وسط قمته فقطعت البيضه والرفاده ونزل السيف الى نصف قامته وزياده فمال وانقلب وصاحت فرسان العرب وتعجبوا من ذلك الضرب كل العجب ولما نظر عمارة ماوقع بذوات ابن أسما فانتلى بداهية عظما ورفع رأسه الى السما وأدرك الويل والعمى وطارت من رأسه الشجاعه وبقى فى غاية الخوف والضراعه وذهب عنه فشاره وعجبه وأراد أن يولى دبره فاستحى من العربان فثبت جنانه فى الميدان وهو تائه العقل حيران فقوا جنانه وأطلق عنانه وقوم سنانه وتلقى دريد وقال فى نفسه ان الفزع مايفيد فأخذ معه فى المجال واستقبله دريد ولما أبصر عمارة ان دريدا قد قاربه حمل عليه وقاتله فصار عمارة من فزعه يأخذ فى الميدان عرضا وطول ويحاول خصمه وخصمه عنه لايحول ولايزول ولما زاد عليه العيار أراد أن يطاول دريدا بنشيد الاشعار فأنشد يقول

اليوم طاب الضرب بالقرضاب * والطعن بالسنان والحراب * دونك حربى ياديد فانى
أنا عقاب الطعن والضراب * أنا عمارة الفارس الندب الذى * أدعى لدى الحرب بالوهاب
صبور لطعن القنا يوم اللقى * ولم أكن من العداهراب * أيادريد اثبت لتنظر همتى
ومهرتى فى مشيها انجاب * انظر لابسى فى الحديد وركبتى * وحربتى وسيفى القرضاب
أبى زياد وأنا عمارة ابنه * ذو الفضل والاحساب والانساب * كم من فوارس فى اللقا قهرتهم
وقد تهم فى الجبل مثل كلاب * فأخى حامى بنى عبس الذى * يدعى الربيع الفارس المنهاب
وسوف ألقيك فى الثراء مجندلا * معفر الخدين بالتراب

(قال الراوى) فقال له دريد يانذل بنى زياد تعسا لك ولاخيك وأمك وأبيك أللهم تقول هذا الكلام الذى تذكر به نفسك فى شعرك قطع الله أهلك وفرعك خسارة فيك الكلام لانك ندل من دون

عرب الانام فعندها انحط عليه الامير دريد انحطاط الباشق الجسور على أضعف الطيور وعقد على رؤسهما الغبار فسار الربيع يتطاول وينظر الى أخيه وهو محتار وقد علم عماره انه فى مقام الاخطار والربيع خائف على أخيه من القتل والدمار ويتمنى له الاسر ويدعو له بالنصر الى أن تعالى النهار وانجلا الغبار عن الفارسين واذا بعماره قدام دريد أسير وهو يسوقه سوق الحمير لان دريدا أتعبه واكربه وطعنه بعقب الرمح قلبه وكانت طعنة من يد رجل جبار فقصفت ضلعين من جنبه اليسار وتبادرت فرسان بنى جشم اليه ووكزوه فى أخاده وظهره باسنة الرماح وقالوا له أين الفخار يا فشار ونادوا يا ثارات عبد الله هذا والربيع لما رأى ذلك ما كان منه الا أنه تمطى فى شعر ذقنه نحله ونزل على وجهه وقد عدم عقله وشق ثيابه وعمامته ولم يدر ما فعله وصار يلطم وجهه ورأسه حتى كاد أن يقلع أضراسه وصار يقول واذل بنى زياد بعدك يا عماره لقد شمتت أعداؤك بما أصابك من الخساره وصاح جميع بنى زياد وا أسفاه عليك يا وهاب لا طابت لنا بعدك الحياه ولا فينا من يريد المقام فى دنياه ثم حملوا عليه من كل جانب ومدوا الى دريد الاسنة والقواضب ولما أبصر دريد ذلك حمل عليهم حملة الليث الواثب وصار يضرب فيهم ضربا مثل صواعق العذاب وصاح وقال طاب الموت يا كلاب وخاض فيهم بطعن مستبق وساعد فى الضرب منطاق وصار اذا طعن فارسا أرماه وان قبض على أحد أعدمه الحياه ومازال كذلك حتى قتل سبعة عشر وأسر خمسة وكان نصف النهار قد عبر فلما رأى الربيع بن زياد ذلك الحال زادت ناره اشتعال قفز الى دريد فى الميدان وقاتله بهمة قوية وهجم عليه وكان الربيع كما ذكرنا فارسا شديد البأس لا يقع به ملل اذا اشتد المراس فبقى مع دريد حتى أقبل الليل ورجع وهو يشكو عدم القوى والحيل فتلقاه الملك قيس وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك فقال يا ملك ما هو الا كاسمه راحات الحرب لانه لا يخاف من الطعن ولا من الضرب ولكن نحن أخطأنا حيث حكمناه على أنفسنا وأطلقناه من الاعتقال بعد اذ لاله وأمسى أخى وبنى زياد فى حباله وأنا خائف عليهم من الهلاك لانه ان أهلكهم بدم أخيه ألبسنا العار الى الممات وتركنا بعدهم نتقلى على الجمرات فقال أسيد بن جزيمة عم الملك قيس الخطأ فى الاول كان منكم فى ابعادكم عنتر بن شداد لانه سعادة هذه القبيلة العبسيه ومذ غاب عنها ما فارقتها البليه وكان حاميتها وجامع شملها وأنتم ما عرفتم قدره وكرهتم ذاته ومهره فان بنى عبس ما ثبتت فى هذه الايام وقاتلت الاغصبا وكانت معولة على الهرب فلو كان حاميتها معها لم يقدر أحد اليها يتقرب واعلم يا ربيع كل من كان فى القبيله من كبير ووضيع يدعو عليك وعلى قيس بن أخى حيث كان لك مطيع وقد فرح فيك وفى أسر اخوانك العدا وأحبوا أن يقتلوهم ولا يطلقوهم لما لهم عليكم من الثار من ابعادكم عنتر الفارس الكرار ولا بقى لكم ذكر يذكر فقال الملك قيس صدقت يا عماه والرأى عندى أن ننفذ اليه ونأخذ بخاطره ونطلب منه النصر على الاعداء ونتذلل بين يديه حتى يرضى فقال أسيد هذا هو الصواب بان تنفذوا اليه وتعتذروا له من أفعالكم الرديئة فان أجاب كان ذلك خيرا منه وكرما وان لم يجب فهو معذور لان الطرد أعظم ما يكون فى الامور فقال الربيع وان كان الامر كذلك فأنا أسير اليه وأقبل يديه ورجليه وأتذلل له وأبذل له ما تملكه يدى وأسأله أن يعاونى على كشف بلوتى فقال الملك قيس قصدى أن أرسل اليه رسولا واسمع منه ما يقول ثم انهم أنفذوا اليه بعض الفرسان وأمره قيس أن يسير اليه ويحدثه عما هم فيه ويلين له الكلام ويترضاه بحب الاوطان ومشاهدة الاخوان فسار الرسول اليه وهم باتوا تحت الظلام يحرسون أنفسهم ويتشاورون فيما نزل عليهم من الاحكام هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من دريد بن الصمة فانه لما عاد الى قومه وكان أشفى فؤاده وفرح بأسر أعدائه

واخذ

وأخذ ثاره أشار الى خالد بأن يقتل كل من وقع فى يده من بنى عبس و بنى زياد و يطلب الجميع حول بيوتهم وان رأينا الملك قيس حاما عنهم بذلنا فى بنى عبس سيوفنا وحملنا عليهم بجمعنا وأرحنا العرب من شرهم ثم انه بات ينتظر الصباح بعد ما وكل بعمارة واخوته جماعة من العبيد وأمرهم بان يعذبوهم العذاب الشديد فلما ذهبت أذيال الدجا وأقبل الصبح مبتلجا زعقت الخيل وترتبت للقتال فقال اللقيط بن زرارة اصبروا اليوم حتى ان الشيخ دريدا يأخذ غرماه وينال ماتمناه ويبلغ من بنى زياد مناه ونحمل نحن على الخيام والمضارب ونسبى النساء والبنات الكواعب حتى لا نكون قد أتينا من بلادنا المتباعده ونعود بلا فائده وترجع بنو عبس عن هذه الحالة المقدم ذكرها وكان أول من خرج وطلب البراز دريد بن الصمه ونادى يا بنى عبس أخرجوا لى غرمائى كما وقع الاتفاق بينى و بينكم ثم انه صال وجال وافتخر فى المجال وأنشد وقال

يا ندمى اسقنى كاس الحميا * فى ثنايات الخمام كفريا * بين روض ونبات مزهر
حسنه اهدى لنا مسكا زكيا * من كل عذرا جنوب قدها * يخجل الاقار والشمس المضيا
قد شنفت كاساتها من قرقف * فتعيد الميت للذات حيا * يا ندمى اسقيانى واجتهد
ودعانى أبصر الشيا آن شيا * ففؤادى قد صحا من سكره * واشتفى الداء الخفيا
ليت عبد الله خلاء الردى * فى نعيم أو يعود اليوم حيا * ليته يرجع كما أعهده
حسن القامة وضاح المحيا * ليرى أعداءه مع وحش الفلا * تنهب من جسمهم لحما طريا
زرتهم والخيل تركض فى الحما * وعليها كل جبار عتيا * فتركت الارض فى عرصاتها
تدعى بعد الظما شبعا وريا * يا بنى عبس لقد أورثكم * قتل عبد الله ذلا سرمديا

فوحق البيت والركن ومن * طاف بالاركان والحجر النقيا
لا تركت اليوم فى أرضكم الامن * كانوا شمطا أو شيوخا منحنيا

وكان دريد يقول هذه الابيات والربيع يتأهب للقائه والملك قيس عن ذلك ينهاه ويقول له يا ابن العم لا تخرج الى هذا الشيطان الذى أخذ من الزمان أمان وتخاوا معه مخاوات الاخوان فانه ان ظفر بك أهلكك وأهلك أولاد عمك وأنا أعلم انه ما أبقى عليهم الا حتى يظفر بك فالصواب انك تصبر حتى يعود رسولنا من عند عنتر واذا أتى معه فرج عنا ما نحن فيه من الكربة والغمه ودفع عنا شر دريد بن الصمه فبينما هم فى المجادلة واذا بالكريم فارس بنى كريم تقدم الى الملك قيس وقال أيها الملك ما هذا التوقف عن هذا الشيخ المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه وأنا ما تأخرت عن براز الا لاجل الشرط الذى بينكم و بينه والا كنت برزت اليه فقال الملك قيس يا فتى جزاك الله خيرا أما أنت فقد أوليتنا من الجميل ما لا نقدر على حمله ومع ذلك فانا خائفون على ابن عمنا الربيع أن يظفر به هذا الشيطان فيهلكه وهو شيخ القبيلة والعشيرة كلها تحت مشورته وقد عودنا أن نتعاون اليوم حكم ما كنا أول مره ونصبر على هذه المضره ونساعد بعضنا بعض حتى لا نصير معيرة فى سائر الارض فقال الكليم ان كنتم عودتم على ذلك فاصبروا حتى أجرب روحى مع هذا الشيخ الذى فى قلبى منه النار ولى عنده أيضا ثار ثم انه قفز الى الميدان مثل السلهب وانتحى نخوة العرب وامتزج بالغضب ثم أنشد هذه الابيات

يا حسامى آن لك أن تراعى الزماما * وتوافى العهود والصداما * وتقد القدود ظهرا و بطنا
وتريق الدما وتبرى العظاما * فغرام على ان عدت فى النقع * أشهر السيف أو أسل الحساما
قد نزلنا بحى قوم كرام * أكرمونا ودونا احتراما * والتقينا معهم صدور الاعادى
وكان أكثرهم قوم لئاما * مالهم ناصر على مادهاهم * ونهلكهم وان كانوا كراما

قسما بالبيت الحرام ومن حج وزار من بعد الطواف مقاما
لاتخليت عن حماهم بجهدى * حتى أمسى بالفلاء رماما

﴿قال الراوى﴾ فلما نظره دريد قال له أنت ايس من بنى زياد بل أنت الكليم فارس بنى كريم فما سبب نزولك هل انتقض الشرط الذى كان بينى وبين قيس فقال له الكليم دونك والميدان لاتحتج بما يكون وكان ثم انطبقا انطباق الجبال واقتتلا قتال من لايهاب الرجال وداما كذلك حتى عبر نصف النهار وكلت الابطال من الانتظار وانحصر تحت الغبار غاية الانحصار وكثر الكلام بين الخاص والعام وكان كل واحد من هذين الفارسين له محبين وأنصار فقلقوا القلة معرفتهم فى الاخبار وفى تلك الساعة وصل الرسول الذى كان أرسله الملك قيس فى طلب عنتر وأعلم الملك قيس انه غائب فاشتدت على بنى عبس المصائب وقالوا مابقى لنا من يفرج عنا كربتنا غير الكليم فيارباه اجعل فرجنا قريب على يديه

﴿قال الراوى﴾ وكان دريد قد تعجب من فروسية الكليم وأبصر من قتاله الهول العظيم فوقف عنه وكان عبر نصف النهار فقال له يا كليم فاى شئ رأيت من بنى عبس من الخير حتى عرضت نفسك للهلاك واخترتهم على محاقك وفناك وكان أبوك أصدق الناس الى وأحظاهم لدى فوقف الكليم عن قتاله وسمع مقاله واعتمد على مكره واحتياله وقال له ياراحة الحرب الذى أحوجنى الى القتال مع بنى عبس سبب ماعكنى أطلعك عليه فقال له دريد وذمة العرب ان قلت لى على قصتك لاوصلتك الى غرضك وأردالك غنيمتك وأعطيك من أموال بنى عبس ماتحتاج ولاتعادى مثلى وتلزم اللجاج بين هذه القبائل التى كانها البحر العجاج لان الشرط الذى بينى وبين بنى عبس انفك بخروجك وفى غداة غد آمر القبائل بالحملة عليهم وأنهبهم باطراف الرماح الدوابل وأنت تندم حيث لاينفعك الندم فعد برجالك الينا واجعل معولك علينا وابشر بما يسر فؤادك ان صدقتنا وان كنت هويت بعض بنات العرب فأنا أجعلها لك خادمة ولو كانت الجمانة بنت ملكهم قيس أوغيرها من بنات سادات قبيلتهم حتى نقلع منهم الآثار ونأخذ منهم بالثار فاظهر ما فى قلبك لاحياء وابشر بالمنى فقال الكليم وقد أتاه الامر على مراده حيث حدثه فى حديثه بما كان أعرض عليه من بنى عبس وأضمر فى فؤاده فتبسم وقال لله درك ياأبا النظر لقد فقت بالفصاحة فى حال الكبر والصغر لانى فى هذه الايام نظرت الى الجمانة بنت الملك قيس فهام قلبى بحبها وماخرجت الى قتالك الامن أجلها ودخل فى عقلى انى أقدر عليك وأتقرب الى قلب أبيها قيس وجدها الربيع وأخطبها منهم اذا انكشفت هذه الشدة عنهم والآن فقد خاب ظنى فى أمرك وعجزت عن أسرك واستحييت من علو قدرك لكنى ماآمن من غدرك الا أن تعطينى يدك وتحالفنى بالرب المعبود انك لاتزول عن الايمان والعهود حتى انى أجول معك فى هذه الساعة التى بقيت من النهار وأعود واذا كان عند الصباح ومالت الطوائف تطلب الحرب والكفاح حملت أنا على اعلام الملك قيس برجالى وأجتهد فى معونتك بكل آمالى اذا اشتغلت قلوبهم باخذ ملكهم حملتم أنتم بعدى عليهم وانقضت تلك الاشغال وبلغنا الآمال واذا لم تفعلوا ذلك طال عليكم المطال وتنقضى الايام والليال لانهم فى الليل أنفذوا المال الى الفرسان المذكورة فى القبائل وسوف تأتيهم بالفارس والراجل وتمتلئ عليكم الارض كتائب وجحافل وأرسلوا أيضا يسترضون فارسهم الاوحد وحسامهم المهند الذى ماماثله فى هذا الزمان يوجد وهو عنتر بن شداد الفارس الاسود فلما سمع دريد مقاله انطلا عليه محاله وانه قد انخدع وبذلك حدثته نفسه وقال هذا رجل غريب وماركن لبنى عبس الامن أمر عجيب فظن ذلك الظن الحسن وظن أنه يكون من حزبه أو يبقى معينه على تصاريف الزمن وأما الكليم فانه حسب حساب آخر وقال هذا رجل أسعده الزمان

والوصول

والوصول اليه بالطعن والضرب على غير الامكان وكان الكليم يخادع دريد بن الصمه ولما رآه انخدع
رمى الرمح من يده الى الارض ومد يده الى الشيخ دريد ففعل دريد كفعاله ولكنه ماخفى عليه من رجفان
الكف والزنود وانزعاج الاحشاء والكبود وعاد الصلاح بينهم مفسود وصاحا صيحات الرعود
وتجاذبا بمجاذبة الاسود وكان لهم وقت مشهود يشيب منه كل طفل مولود ويذهب منه الصخر الجلمود
ومازال على مثل ذلك حتى تعبت منهم الخيل ووقعت الى الارض من شدة التعب والويل وتراكضا
فى الميدان حتى ضجت من أفعالهما الابطال والفرسان وحار من أفعالهما الاقران وظن الكليم
أن دريدا يتعب عند المعاركه لانه دخل عليه الاسى من ملاقاة الفرسان شيأ ضايقه فرآه عرقا لايلين
ومضاربه كالاسد العرين وداما على المواثبة والمجاذبة حتى آيس كل واحد من صاحبه الحياة عند
المقاربه فقال الملك قيس لمن صحبه يابنى عمى ماهو من المروءة اننا نتخلى عن هذا الرجل الذى أحسن
الينا وبذل نفسه دوننا ونتركه مع هذا الجبار فى مقام الاخطار والصواب اننا نحمل عليه حملة واحدة
ونخلصه والا هلكه وأهلكنا من بعده فهم فى الكلام واذا بالفرسان الذى مع الكليم حملت تطلب
خلاص فارسها وشرعت أسنتها وأشهرت سيوفها ونادت واغربتاه واقلة ناصراه فأبصرهم خالد
فحمل عليهم فى بنى هوازن وجشم وحمل اللقيط بن زرارة فى بنى دارم وبنى مشاجع وتتابعت القبائل
من سائر المواضع فعندها حمل الملك قيس وركضت أبطال بنى عبس وعدنان من كل جانب ومكان
ولم يتخلف منهم ماش ولا راكب وارتجت الارض بما عليها من المواكب وظنوا ان اسرافيل قد نفخ
فى الصور وبعث الله أهل القبور وثبت الصنديد الغيور وولى الجبان الخائف المدعور وشن الحسام
على الرقاب والرمح فى الصدور وفاض الدما على اللحا والشوارب وطارت الرؤس بشفار القواضب
وقد غاصت الاسنة فى البطون الى الكواعب واشتد الامر المهول وكان بنو كريم قد أدركوا صاحبهم
وأركبوه على بعض الخيول وناولوه عدة الجلاد وكذلك فعل بنو جشم وأركبوا دريد بن الصمه وأعطوه
آلة الحرب ولما ركب الفارس قاتل كل واحد منهما مع عسكره وفرسانه حتى مضى النهار وأقبل الليل
بالاعتكار وكانت بنو عبس قد خسرت لقلة عددها وقل صبرها وجلدها وفرحوا بخلاص الكليم
وهنوه بالسلامة من يد دريد بن الصمه وهو يقول ياوجوه العرب ما كنت عن خصمى بعاجز وما كان
على رايحا لما كان لى مبارز وخدعته لانجاز امره وقطع أثره واكف عنكم شره لانه رجل كبير
وبضرب السيف خبير وقصدت هدركنه بالمعاركه لابلغ منه الامل بالمشابكه وظننت انى آخذه على
عجل فرأيته شيطان فى صورة انسان لايبالى بقتال فقال الملك قيس ماهو ممن يلين بالخداع ولا
ينقاد للقراع ثم انه أنفذ رسول ثانيا الى عنتر بن شداد وقال له اكشف خبر ابن عمنا لعله يكون قد عاد
فهذا ما جرى لهؤلاء (قال الراوى) وأما دريد بن الصمه فانه لام خالدا أخاه على حملته وقال ياخالد أى شئ
جرى على حتى حملت أنت فى العسكر وحق ذمة العرب ما كنت مع خصمى الا فى غاية الاستظهار وكنت
قادرا على مسارعته ومقارعته باقى النهار وما كنت أرجع من الميدان الا أن آخذه أسيرا فقال له اللقيط
ابن زراره ياأبا النظر دعنا من لوم أخيك والعتاب فما كان فعله الاصواب ومابقى لنا نية فى براز ولا
مجال ولا تحمل الا كلنا سويا حتى ينجز الامر والحال والاطال علينا المطال وانقضت الايام والليال
وربما أتى الى بنى عبس ناصر من بعض القبائل والعشائر أو يصالحون أسودهم ويعظم علينا شرهم
وكيدهم ولو كان الاسود حاضرا فى بنى عبس ماتخلى عن مساعدتهم ولاطال علينا حربهم وسألت
من الاسرى فأخبرونى أنه غائب والراى عندى ان نغتنم الفرصه بهذه الكتائب الذى جمعناها من
أقطار البلدان قبل حضور عنتر الشيطان (قال الراوى) وباتوا على أنهم يزحفون عليهم بسائر

العساكر والدساكر والفرسان ومازالوا يتقلبون تحت مشيئة الرحمن الى أن أصبح الصباح ونبادرت الرجال مثل العقبان وزحفت جميعها الى بنى عبس وعدنان واقتتلوا باصارم اليمان وتطاعنوا بالاسنة حتى جرى الدم من الابدان وسال كانه طوفان وفنيت العدد الغالية الاثمان ودافعت بنو عبس عن الحريم والولدان وعمل السيف اليمان والرمح المران الى ان طلع النيران وغابت الثريا والميزان وتسرطن السرطان وتفرقدا الفرقدان وحمل الحمل ضيغم الليل فلين سواده وطلبت الابراج الامان وضربت الجوزه بشروق الفجر فانصدعت كالسندبان وتحرك نسيم الحرب فأعمى الخلائق واشتد المجال وكثرت العوائق وجاوبت الرعود زعقات البوائق وهجم ضيغم الاسود فانفلق الصباح بانوار الاشراق وبان وحصدت السنبلة بمناجل السيوف ومالت كفة الميزان ووقع الحوت وبان عليه الخسران ولذغ العقرب بحية القضاء واللعان وانكسرت الخدود وقطعت البنان وجرى على الجدى من الثور مايهد كواثر العقبان وتزحزح زحل من موضعه وطلب الانهزام وبيع المشترى بأخس الاثمان ولم يزالوا على هذا الحال حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ورجعت بنو عبس بالضر والعيش المر وداموا كذلك ثلاثة أيام والرسل تسير الى عنتر وتعود بلا خبر وفى اليوم الرابع صار معهم القتال فى الخيام والمضارب وكثر على بنى عبس العدد ودهمتهم المواكب وجالت عليهم الخيل والجنائب وندبت النوادب وعظمت المصائب وشبكت فيهم أنياب النوائب ودافعوا عن أنفسهم الى أن أظلم الظلام وعادوا وهم سكارى من غير شرب مدام وكان آخر من مضى الى عنتر قرواش بن هانئ ابن عم الملك قيس فرآه عادمن السفر من عند زيد الخيل مع عامر بن الطفيل فهجم حليهم فى السرادق وبكى وانتحب وصاح وقال يا أبا الفوارس أطلت الغيبة وتركتنا من بعد الصحبة بالخيبة وان لم تدركنا والا فما بقى لنا ولد ولا حرمه ولا قدر ولا قيمه والحرائر تسبى سبى الاماء ثم حدثه بما جرى لهم من دريد ابن الصمه وما هم فيه من الكربة والغمه وقال فى آخر الكلام يا حامية عبس ماتريد تصنع والعرب طمعت فى قومك أى مطمع فبادرهم لعل ان تلحقهم وفيهم رمق والا تشتت شملهم وتفرق وقل عددهم وانمحق وهم قد ندموا على معاداتك وعادوا الى محبتك وودادك وحلفوا أنهم يكونون لك عبيد ولا يفعلون الا ماتريد لاسيما بنى زياد فانهم ندموا كثيرا الندم وعزم كل منهم أن يكون لك من الخدم وهم ينادونك بحيرهم من العدم لانهم من يوم أبعدوك يأكلون كفوفهم أسفا يا مكرم ومرادهم يسترضوك ولو تطلب أموالهم يعطوك وبار واحهم يفدوك وعمارة واخوته فى العذاب الشديد والذى أسرهم دريد أذلهم ذل العبيد ومابقى الا الربيع ودريد بن الصمه معول على صلب الجميع وأما الملك قيس فلا تسأل عن حاله فانه خابت آماله وقتلت رجاله وندم على فعاله فالعجل العجل قبل قدوم الاجل وانقطاع الامل (قال الراوى) وكان قرواش يحدث عنتر بهذا الكلام وعنتر منكس رأسه يسمع ولان قلبه وخشع وركع طرفه ودمع وأراد أن يشاور عامر بن الطفيل ويسيرهو واياه فتفكر طردا الملك قيس وكلام الربيع وما سمع من الكلام الوجيع فقسى قلبه عليهم وقال يا مولاى أنا سمعت هذا الحديث من بنت عمى عبله وأخبرتنى بما جرى لهم مع دريد بن الصمه فلو كان لى فيهم نية كنت سرت اليهم بالكتيبه ولكن ياقرواش كم أهان وأسمع وكم يطردونى وأرجع وألقى روحى فى كل نائبه وتعود أعمالى معهم خائبه وأنت أكبر شاهد بما فعلت فى أرض اليمن ببنى حذيفه وبنى كنده وبنى سعد ومعاوية بن النزال وبنى تميم وبنى كلب بن وبرة فى مياه عراعر ولولا سيفى والسنان ما كان عمرو بن هند أبقى منهم انسان وما كان نفعهم الملك النعمان ولما وصلوا الى ههنا وسلموا من نوائب الزمان فعلوا معى تلك الفعال بلا ذنب وطردونى طرد الكلب وماعادوا يذكرونى بذكر حتى ظنوا اننى أصبح

هالكا

هالكا وأصير بين القبائل والاحياء منهتكا والآن كان الذى كان وقد استرحت من الذل والهوان ومعادات العربان وملاقات الفرسان وبعد ذلك يا ابن العم ما أنا من فرسان دريد بن الصمه ولا أقدر أقف قدامه اذا سل حسامه وهو المسمى براحات الحرب ولا سيما ومعه جشم وهوازن فارجع الى قيس وحدثه بما أنت به سامع ولا تعتب على فيما أمانع (قال الراوى) فرد قرواش على عقبه ودموعه على خده تسيل وكان قد خرج من بنى عبس فى أول الليل فرجع اليهم وقت السحر وأعلم بنى عبس بما سمع من عنتر فارتجف قلب الملك قيس وتحير وقال يا ابن العم ما يسمى المساء وفينا رمق وما بقى لنا غير الهرب والا أهلكناهؤلاء العرب ثم ان الملك قيس أحضر الربيع بن زياد وجمع أعمامه وأعلمهم بالحال وما قال قرواش من المقال فأخذتهم الحيرة والانذهال فقال الربيع ما بقى فى الامر الا اننا عند الصباح نجتمع موكبا واحدا ونترك الاموال ونبذل أنفسنا للرماح الطوال ونقاتل جهدنا بكل ما نقدر عليه من الفعال وندفع الخيل الجياد الى أبيات عنتر بن شداد فاذا نحن وصلنا اليه طرحنا أنفسنا عليه وأحوجناه أن يقاتل معنا ويعيننا على الاعداء فان القبائل لابد أن يتبعونا فقال قيس يا ربيع ما أظن أن يسلم منا من المائة واحد لان المكان بعيد وتنهب الاموال ولا نستفيد وأنا أعلم غير هذا وهو أن نرسل لعنتر جماعة من النساء الاحرار والبنات الابكار ونوصيهم اذا وصلوا اليه أن يكشفن رؤسهن بين يديه ويقبلن يديه ورجليه ويطلبن منه صيانة الحريم والمساعدة على هذا الامر العظيم لانى أعلم أنه شديد الغيرة على النساء والبنات والاطفال المرضعات فقال الربيع هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فافعل يا ملك ما أشرت به من الكلام وارسلهن الى عنتر الهمام لعله يدركنا قبل تلف أرواحنا والاجسام وها أنا ايضا أرسل له بنتى وزوجتى ونساء اخوتى مع نساء أكابر العربان فلعله يلين قلبه بهذا الشان وما مضى من الليل غير ساعة حتى اجتمعت ثمانون امرأة من حريم سادات بنى عبس وأعلمهم الملك قيس ما يقلن لعنتر وما يفعلن اذا وصلن اليه وما هم فيه من الامر المنكر وشدوا لهن على الخيل فركبن وسرنا فى ظلام الليل وكانت القبائل دائرة ببنى عبس من كل جانب وما تركوا مكانا الا ومسكوه الا طريق بنى عامر فانهم تركوه لعلمهم أنهم ما يركبون ذلك الطريق أبدا وان كان بنو عامر لهم من جملة الاعداء وما زالت النساء تقطعن البر والآكام تحت استار الظلام وهن فرحات بالقدوم على عنتر البطل الهمام وأخفين حسهن عن الكلام هذا ما جرى يا كرام لهؤلاء (قال الراوى) وأما عنتر فانه لما أصبح الصباح أتاه عامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد والهطال ولما دخلوا عليه وجلسوا يشربون المدام ويتذاكرون بنى عبس وما هم فيه من الشدة والقتال وما منهم الا من هو متعجب من قساوة قلب عنتر عليهم وصبره على ما فعلوه فى حقه فبينما هم كذلك واذا بالنسوان أقبلت على الابيات ونزلت وهن مهتكات بدامع منهملات وغرقن البراقع بالمدامع ولم يلتفتن الى بشر غائب أو سامع وعقدن النواح وعالين البكاء والصياح وكشفن الوجوه وأرخين الشعور ونادين بالويل والثبور وأشرن جميعا الى عنتر وقلن له يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب وما بيننا من حرمة القرابة والنسب لا يمنعك عن نصرتنا الغضب ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فاننا أشرفنا على السبى والانتهاك وما لنا أحد غيرك يحرسنا الان رجالنا هلكوا وساداتنا ملكوا والذى طردوك وأبعدوك قد ندموا ولاموا أنفسهم على فقدك وأصابهم نوائب الدهر لما عاندوك لاجل ما لقيوا من آفات الزمان وطوارق الحدثان فارحم من بقى فى الحى من يتيم ويتيمه وأجرنا على عادتك القديمه ثم تقدمت الجمانه بنت الملك قيس وقد ذكرنا ما أعطيت من الملاحة والفصاحة فوقعت فى صدر عنتر وفاض دمعها وانحدر وقبلت يده وأشارت له تشكى وتنشد وتقول

حامية عبس يا ابن السادة النجبا * يا من له الفخر والاحسان والادبا
حامية عبس لا تنسى مودتنا * واحفظ لنا حرمة الود الذى ذهبا
جرنا فقد أصبحت خيل العدا سربا * من حولنا ينهبون المال والسلبا
حامية عبس لو أبصرتنا سحرا * بين المضارب نشكو الويل والحربا
مهتكات تنادى أين فارسنا * أغضبتموه وما راعيتم النسبا
أبعد تمور جلا لولاه ما ذكرت * عبس ولا ضربت بيتا ولا طنبا
لو كان فى الحى ما حاط العدو بنا * ولا استقام لدينا فى ساعة هربا
ليث اذا سل يوم الحرب صارمه * أعاده بدم الابطال مختضبا
وان تفاخرت الفرسان قال أنا * قد اتخذت حسامى صاحبا وأبا
حامية عبس قد خاب الذى قدموا * بعد دارك لما عاينوا العطبا
وقد غدا بعضهم فى البر منطرحا * تهوى الطيور عليه كلما انقلبا
والبعض فى الاسر لا يرثى له أحد * اذا بكى من عذاب الشد وانتحبا
فلا تؤاخذنا بالقول من رجل * غرقان فى جهله لا يعرف الادبا
فما عمارة من يرجا لمكرمة * ولا له هيبة تخشى اذا غضبا
فارحم بكانا ولا تنسى مودتنا * فقد بكت لبكانا أعين الغربا
عودتنا العز من بعد الهوان فلا * تنسى الوداد ولا تشمت بنا العربا

(قال الراوى) فلما فرغت الجمانة من شعرها تناثرت الدموع من أجفان الحاضرين ورموا من أيديهم أقداح المدام ودبت فيهم نخوة العرب الكرام وعلا منهم الضجيج والكلام ورمى عامر بن الطفيل من يده القدح وبكى وانتحب وقال للامير عنتر وحق ذمة العرب الكرام ما بقيت آكل معك زادا حتى تسير الى نصرة قومك الامجاد نخذ الاهبة من يومك خوفا عليهم من تلك الاوغاد لانى آلمنى بكاء النسوان وأنسانى ما جرى لى طول الزمان وكذلك قال مقرى الوحش وعروة بن الورد وما زالوا مع عنتر حتى جرى دمعه وانحدر ورق قلبه وكاد أن يتفطر وقال يا وجوه العرب وحق من فى علم غيبه احتجب ما بقى بعد هتك الحريم والاولاد الا الرواح لملاقاة دريد الفارس الجحاح ومن معه من الفرسان الاوقاح (قال الراوى) ثم انه صاح فى أخيه شيبوب وأمره فى ساعة الحال أن يشد له الابجر ويحضر له عدته وكذلك سائر الفرسان تأهبوا للسير فى صحبته فعند ما ارتفع الصياح فى الحى من النساء والبنات الكواعب وركبت الرجال على الجنائب وتقلدوا بالسيوف القواضب واعتقلوا بالرماح الكواعب وأنفذ عامر بن الطفيل الى أصدقائه وأصحابه ورفقائه فاجتمع معه خمسمائة فارس أبطال قناعس تعودوا خوض الحروب فى المهاد وركب بنو قراد على الصافنات الجياد فلما هموا الى المسير والرحيل أمر عنتر النساء أن يقمن عند بنت عمه عبله وقال لعامر بن الطفيل يا أخى الرأى عندى أن تشاور فى رحيلك معى ابن خالتك غشم بن مالك والاخوص بن جعفر وتعلمهم بالمسير الى قتال دريد بن الصمه لان ذلك أظن ما يجبهم ويوجب عليك لومهم وعتبهم فقال عامر يا أبا الفوارس أين غشم وغيره من العرب الكرام وحق الملك العلام خالق الضياء والظلام لو كان من بنى عامر الذين يعادونك لوضعت فيهم الحسام وأحرمتهم لذيذ المنام فانك عندى أعز من أهلى وأقاربى فشكره عنتر على مقالته ثم ركب وسار فسار معه عامر فى أبطال عشيرته وكان من جملتهم الخمسمائة فارس الاسود العوابس وكلهم فى الحديد غواطس وهم بالخيول الصواهل والسيوف الفواصل والرماح الدوابل وجدوا السير

باقى

باقى النهار وتمام الليل وفى مقدمتهم عنتر وعامر بن الطفيل ولما قربوا من حزع الطواف نزلوا للراحة لما عول الليل على الانصراف ورحلوا طالبين بنى عبس الكرام فرآهم كأنهم أشباح بلا أرواح مما نالهم من الحرب والكفاح وكان وصولهم قبل الصباح ومدوا أعينهم فرأوا ثلثمائة خشبة منصوبة على رؤس الروابى والتلال وتحت كل خشبة واحد من المأسورين من الرجال وعمارة وأخواته بجملتهم مربوطين تحت الاخشاب بالحبال وفرسان بنى جشم حولهم بالسيوف الصقال منتظرين اذن دريد بن الصمه فى قتلهم قبل وقوع الحرب والكفاح وهذه العبارة كان السبب فيها اللقيط بن زراره لانه قال لدريد بن الصمه يا أبا النظر أنت شيخ كبير وما تحتاج الى مدبر ومشير وما الذى تنتظر فى هذه الاسارى اضرب رقابهم وارم رؤسهم لاصحابهم وبهذا تقطع ظهورهم ويحتارون فى أمورهم وبذلك يعجزون عن القتال وتبلغ منهم الآمال فقال دريد يا لقيط أنا معول على هذا اذا ملكت الكل أصلب الجميع فى هذه الديار وأفرق عليكم نساءهم ليكونوا لكم جوار وأقلع منهم الآثار ولكن ما أخالف لك مقال ولا أرد لك سؤال فانى أعلم ما فى قلبك من هؤلاء الاذلال وعند الصباح خذ منهم القادات واضرب رقابهم بالسيوف المشرفيات ثم ان دريدا أمر عبيده أن ينصبوا لهم الاخشاب من الليل فأيقن جميع الاسارى بالكرب والويل وكان فى أوائلهم الامير عمارة بن زياد وكان ذلك التدبير فى الليل وفى الصباح أشرف عنتر بن شداد وكان دريد قد أخرج الاسارى للصلب من حنقه عليهم وغيرته وقارب بهم أبيات بنى عبس وأوقف كل واحد تحت خشبته وجعلهم ثلاثة أقسام وعزم أن يسقيهم كأس الحمام وقال لرجاله وعشيرته اذا رأيتمونى صلبت عمارة بن زياد وأسقيته كأس منيته فكل من كان معه أسير يضرب رقبته ﴿قال الراوى﴾ ولما نظرت بنو عبس الى هذه الفعال خافت وهاجت كما تهيج الجمال وماجوا يمينا وشمال وقد صاحوا خوفا على الرجال ولطم الربيع بن زياد على رأسه حتى كاد يوقع أضراسه وهو ينادى واحسرتاه عليك يا ابن أبى وأمى ويا من أرجوه لكشف همى وغمى ويا حزنى عليكم يا اخوتى وبنى عمى ومن بعدكم من أرجوه لكشف همى وغمى ثم أراد أن يحمل هو ومن معه من أقارب المأسورين حتى يخلصوهم مما هم فيه من العذاب المبين واذا قد أشرف عليهم فى ذلك الوقت عنتر بن شداد ومن معه من الرفاق الاجواد ونظر بنى عبس محصورين بين الخيام ليسوا قادرين على الكلام فحمل بمن معه بقلوب ملآنة حنق وصاح فى أوائلهم عنتر وزعق وأطلقوا رؤس الخيل فقال عنتر لابنه شداد وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش جودوا أنتم الطعن والضرب ولا تشغلوا أرواحكم بأسر ولا بنهب وجدوا بنا حتى نخلص هؤلاء المأسورين الذين أشرفوا على الهلاك ونجود عليهم بالفكاك ونبعد الاعداء عنهم فى فسيح البر وبعد ذلك لنا تدبير آخر ﴿قال الراوى﴾ وان قبائل العرب ارتخت عزائمهم وضعف منهم الحيل لما رأوا ذلك الجيش وعلموا أن هذا عنتر ووراءه عامر بن الطفيل وعلموا انه صالحهم وما بقى له قعود عنهم فعند ذلك ترتبوا للقتال وقال اللقيط يا دريد هذا الحساب الذى حسبناه وأنا كنت أقول لك فى غيبته أطلب الانجاز وأنت تطاولهم فى البراز فقال دريد وما الذى تغير علينا وبعد ساعة تفنى هذه الطوائف التى قدمت علينا وأقول ما هم أكثر من خمسمائة فارس وفيهم طائفة من بنى عامر وأتوا اعانة لهم على ما نزل بهم وأنا أريك ماذا أفعل بهم وببنى عامر من بعدهم وما أنزل بهم من التعس والنكس بعدما أفنى بنى عبس ثم انه صاح فى فرسانه ووكل بالاسارى جماعة من العبيد وأوصل الطعن بسن الاصل واختلف الضرب تحت الغبار والقسطل وفرحت بنو عبس بقدوم الامير عنتر فصاحت وكادت قلوبها من الصياح أن تتفطر وخرجت من بين المضارب والخيام وجعل الملك قيس ينادى ها قد أتاكم الفرج يا بنى عبس الاخيار خذوا لانفسكم بالثار وقاتلوا الاعداء

الاشرار وساعدوا من أتاكم يعينكم ويحفظ أموالكم وحريمكم فنادوا كلهم بلسان واحد يا ملك قيس ما بقى لنا حجة تمنعنا عن القتال ومن لم يجود الطعن والضرب فما هو بولد حلال ثم انهم تبادروا يرقضون بالخيل خبب وانتخوا نخوة العرب وماج البر وانقلب وتزعزعت جوانبه واسود من الجو مشارقه ومغاربه وهاج الجيش واضطربت مواكبه وصاحت الخيل بالصهيل وضاق على الهارب فسيح البر وباسبه وسدت طرقه ومذاهبه وشاب الطفل الصغير وابيضت ذوائبه وانعجم اللسان عن رد الجواب لمن يخاطبه هذا وأبو الفوارس حامية عبس عنتر أظهر عجائبه وشاهدت الشجعان طعناته ومضاربه ومازال هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ورجاله وأقاربه حتى ردوا القبائل الى الفجاج وضعضعوهم وساقطوهم افرادا وازواج وبانت الاخشاب الذى نصبها دريد للاسرى وصارت من وراءهم فى البر والفلا ونجوا جميعا بشجاعة عنتر حامينهم من الصلب والبلا وجعل كل من له قريب يحله من كتافه بعدما كان أيقن بتلافه وطلب كل واحد أهله وأقاربه وهم لا يصدقون بالنجاة وكان من جملة الذى خلصوه الامير عماره وهو الذى كان أصل هذه العباره فارتخت مفاصله وزادت به الخساره ومابقى يساوى بين الفرسان شعرة حماره فأقبل اليه بنو عبس وحلوه ومن لحيته سحبوه فوجدوه مما حصل به حزنان فاشتبك ثوبه فى الخشبة فشقه وصار كانه عريان ولكنه بخلاصه من القتل فرحان وبقى يجرى ويلتفت من خلفه كانه لذغه ثعبان ونظره دريد وهو يجرى فى القيعان وعورته مكشوفة وحاله لم يسر انسان فعند ذلك التفت دريد الى بعض الفرسان وقال له الحق هذا الرجل الهارب واسقه كاس المعاطب وان لم تدركه فاضربه بنبلة تهلكه وحسر عليه ناسه فان هذه الفتنة من تحت راسه فأطلق الفارس لجواده العنان وطلب عماره مثل الشيطان ونظر عماره ذلك الفارس قاصدا اليه فشد عزمه وهو خذلان وبقى من شدة خوفه يجرى مثل الحصان فما كان من الفارس الا انه أخرج نبلة من كنانته وضربه بها من حرقته وبخره وبالمصادفة أتت عماره فى دبره فتحملها عماره هاربا حتى دخل الخيام وداربه العبيد والخدام وهنوه بسلامته وصبره وأخرجوا النبلة من دبره فزادت فرحته ومسرته بعد ان أيقن بنزول قبره

(قال الراوى) هذا ما كان من الاسارى وشيخ العرب عماره وكيف حل به من الخساره وأما ما كان من بنى عبس وبنى عامر وما فعلوا فى ذلك اليوم من الهول الغامر فان عامر بن الطفيل عمل فى بنى مشاجع وبذل هو وبنو عمه فيهم السيوف القواطع وطعن سعيدا أخا اللقيط فقتله فعندها حمل اللقيط عليه وقاتله وعلى أخيه جرت مدامعه ودام الضرب مختلف والغبار منعكف والدماء ترفرف حتى أقبل الليل وافترقت الرجال والخيل ولما عاد عنتر تلقاه الملك قيس واخوته والربيع بن زياد وجماعته ونزلوا عن الخيل وتباشروا باللقا وصاروا يقبلون ويدعون له بالعلو والارتفاع ويقولون له يا ابن العم سامحنا عما سلف ولا تؤاخذنا بما جرى من العيوب والكلف فأنت المالك ونحن المماليك ولا لك فينا شريك فشكرهم عنتر على مقالهم وترجل اليهم وقبل صدورهم وقال يا سادتى ما أرحل الا اذا طردتمونى لاجل التخفيف عن قلوبكم ولو أعلم انكم تردوا عنى بعد يوم أو يومين مثل ما تفعل الحبائب ما كنت أغيب عنكم ولا أكون غاضبا ولو قطعتم جسدى بالسيوف القواضب ثم انه دخل الى المضارب وكل من كان من بنى عبس تقرب اليه حتى نساءها الحى أعظمته أعظم حى وهم يدعون له ويثنون عليه ويقبلون يديه وصدره ويقولون له لا أوحش الله منك يا سيفنا القاطع ودرعنا المانع وبان بنو عبس تلك الليلة فرحين غير حيارى بخلاف الليالى الماضية لاجل الاسارى واطمأنوا على البنات العذارى ولما غسق الظلام قدموا ألوان الطعام وافتقد عنتر لعروة بن الورد فما رأى له خبر وسأل

عنه

عنه فما أعطى عنه أحد خبر فتنغص عيشه وتكدر والتفت الى من عنده وقال الليلة ما أخوفني عليه
ممن يقتله فقال شداد رأيته مع دريد بن الصمه يقاتله ويجادله وما أدري أمره أقتله أم أنزل به شيأ من
النقم فقال عنتر ان فعل ذلك لاقتلنه أشر قتلة وأهلك بني هوازن وجشم وأذبح الجميع ذبح الغنم وبات
عنتر ضيق الصدر على عروه ما يدري ما حل به من البلوى وأما دريد بن الصمه فانه رجع وقد خسر في
ذلك اليوم أعظم خساره وبات وهو بعض يديه أسفا على ما فاته من قتل الاسارى وكيف كان خلاصهم
وكذلك جرى على اللقيط بن زراره من أجل قتل اخوته وما جرى عليهم وصار يقول لمن معه من الرجال
يا بني عمي لابد ما أبذل المجهود وأجمع العساكر والجنود وأبطالا وفرسان أخيار حتى أقلع من بني
عبس الآثار وكذلك بني عامر الاشرار ولو تعلقوا بالفلك الدوار وكذلك جرى على دريد من معونة
عامر بن الطفيل لعنتر وما صدق ان الفجر قد انفجر حتى خرج الى الميدان وطلب البراز وأراد بذلك
الثبات لمن معه من الفرسان لان أكثرهم عولوا على الهرب والارتحال وعند مجيء عنتر قد خابت
الآمال فخرج دريد يصطلي نار الحرب بنفسه وبروحه وينظر صهره ذا الخمار سبيع بن الحارث لانا
ذكرنا انه تركه قادما على أثره الى هذه الديار ويعلم أنه اذا أتى قضى الاشغال وقتل الابطال فبرز
الى الميدان وصال وجال وطلب البراز والقتال واذا بعنتر الوحش هم أن يبرز اليه فمنعه من ذلك عنتر
وقال له يا فارس الشام أنا أعلم أن ثبات هذه القبائل كلها بهذا الشيخ ولولاه ما ثبتوا وان ظفر بواحد منكم
عادت عازمهم قويه كما أتوا فدعه أنت للملك قيس وعاونه على ترتيب الصفوف ولا تزالوا وقوف حتى ترونى
أخذت هذا الجبار الموصوف فاحملوا ذاك الوقت بحمله صادقة بنيه موافقة ومكنوا من الاعداء السيوف
الماحقه ونكون قد بلغنا المنى لان هذا الرجل ما يخفى عليه من أبواب الحرب ما بعد أودنا لاجل
ما فاسى من الفرسان ولاقى من الابطال والشجعان فى هذا العمر الطويل من العنا وان لم يبرز له عنتر
ابن شداد ما أحد يبلغ منه مراده لانه جبار مكار فتبسم مقرى الوحش من كلام عنتر وعلم انه بمثل هذه
الامور أدرى وأخبر لاختباره الفرسان بين يديه حين تذكر فتأخر مقرى الوحش وتقدم عنتر الى
الميدان ولما قارب الاعداء صال وجال حتى حير عقول الابطال ثم تذكر ما جرى عليه من الاحوال
فأنشد يقول هذه الابيات

سكت فغر أعداء السكوت * وظنوا أنني أهلي نسيت * وكيف أنام عن سادات قوم
وفي افضال نعمتهم ربيت * أنا عبد لهم ان أبعدوني * بعدت وان هموا رضوا رضيت
وان دارت بهم خيل الاعادى * ونادوني أجبكرها أبيت * بسيف حده نقم المنايا
ورمح سنه الموت الممیت * أنا العبد الذي ألقى الاعادى * بفرح في لقا الهيجا ثبوت
فني الحرب العوان ولدت طفلا * وفي حجر المعامع قد ربيت * أرى الدنيا تحت أقدامي تزلزل
وتهتز الجبال اذا مشيت * فالرمح في جسمي نصيب * ولا للسيف في الاعضاء قوت
خلقت من الحديد أشد قلبا * وقد بلى الحديد وما بليت * وأهوى الطعن بالسمر العوالى
ومحيا يا بها وبها أموت * ولو أني شربت دم الاعادى * باقحاف الجماجم ما رويت
ولي بيت على فلك الثريا * تخر لعظم هيبته البيوت * واني قد برزت اليك حتى
أذيقك من يدي الموت الممیت * أنا عنتر بني عبس المسمى * اذا دعيت فوارسها دعيت

(قال الراوى) فلما سمع دريد بن الصمه كلام عنتر وشعره زاد به الحقد والغيظ فصاح فيه وقال له ويلك
ياردىء اللبن ويا أسود البدن عدت وذليت لبني عبس بعد ما طردوك وأبعدوك وأنكروا نسبك
وما حمدوك واستعروا من النسب وما أعطوك وأهانوك والآن أحضروك وفي قتالي أطمعوك

فقال عنتر يا دريد لقد خانك دهرك وطاش سهمك ولا بقى لك من الخلاص سبيل الا ان كنت تعتذر لى قبل أن أقطع عمرك الطويل واتركك فى هذا البر قتيل وأما قولك انى رجعت الى قومى بعد الغضب فاهذا عجب لان الموالى لابد على عبيدها تارة ترضى وتارة تغضب وهذا مقام القتال ماهذا مقام المحاجة والمقال وفى هذا اليوم يبان الرابح من الخاسر اذا سال الدماء من الاوداج والمناخر فدافع عن نفسك بالسيوف البواتر والا تبقى طعما للوحوش والنسور الكواسر (قال الراوى) ثم انه انطبق عليه وصاح وقد اشتد بينهم طعن الرماح وضرب السيوف على الصفاح وتكافح الاثنان أشد كفاح واندهشت منهما المقل الصحاح والحمام أرسل بينهما سهام وملك الموت سل على رؤسهما حسام واختلف بينهما الضرب والصدام وكثر بينهما المعاركة والخصام وقل منهما الكلام وكان دريد بن الصمه عرقا لايلين فلان وأبصر فارسا ما نظر مثله فى سالف الازمان فاظهر الجلد حتى تقطعت الرماح فرمياها وتقاتلا بالصفاح التى هى أقرب الى نهب الارواح ودام الامر بينهما على ذلك الحال حتى اعتدلت الشمس فى قبة الفلك وتعب كل واحد منهما وهلك وما كان أكثر تعبا وملل الادريد بن الصمه لكثرة ما فعل لانه أحس ان مفاصله قد انفصلت وسهام المنية اليه قد أرسلت فخاف أن تحط منزلته عند قبائل العرب ويقال عنه انه أسره عبد لا قدر له ولا نسب فقال دريد وقد وقف للراحه وقال اعلم ياحامية عبس ان مثلى لا يدخل عليه المحال والصدق عند العاقل أحب الاشياء والانصاف من أعلى مراتب المروءة فى الانصاف وأنا وحق ذمة العرب أصدق من نفسى ولا أتخلق بالكذب ولا أرضى به وأنا قد قل منى الحيل والقوى واسودت فى عيناى أقطار الدنيا ورأيت منك ما لا رأيته من أحد الا أن يكون من صهرى سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وهو الذى شاع ذكره فى الاقطار وأريد منك ان تسترحالى وتخفيه ولا تظهر لاحد ما نحن فيه حتى لا تحط منزلتى بين القبائل وتخالف الفرسان أمرى وجميع الحافل فتفعل ما أقول لك وتخلينى لك عدة عند كل نائبة وشدة وترى بعد ذلك ما أفعل وما يصل اليك من الهدايا والمال اذا قبلت منى هذا المقال وتتركنى أعود سالم وعلى جاهى قائم فان الشجاع ما يكمل فى الشجاعة حتى يكمل بالمروءة والكرم والقناعة وأريد منك أن تقاتلنى ساعة وتعود عنى وتظهر لسادات قومك انك طلبت الاقاله منى ثم تشير على الملك قيس ان يأتى ويسألنى حتى أعود عنكم بهذه القبائل وأفرقها الى غدرانها والمناهل وتكون عودتى عودة المذلول فى رق الرابح المسؤل وترى بعد ذلك ما يصل اليك من الانعام وما فى حقك أقول بين محافل الكرام وان كنت تظن هذا الكلام خداعا أو غفول ولا دخل فى أذنك والمعقول فأنا أسلم روحى اليك وأبقى أسيرا بين يديك حتى يأتى صهرى سبيع ويخلصنى بالمال أو بالحرب والقتال وانما يفوتك صداقة مثلى وتندم حيث ما سمعت قولى فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الانبهار ورغب فى صداقة هذا الجبار والاسد الكرار الذى تطيعه سائر القبائل والسادات وأراد أن يبنى له بذلك مجدا ويكسب شكرا وحمدا فقال له افعل ما بدا لك وان كنت طلبت الاقاله فان عنتر قد أقالك لان مثلى لا يخيب سؤالك ولا يرد مقالك ولا يخالف أمثالك على انى وحق ذمة العرب لو أردت قتلك من أول النهار لقتلتك وتركتك رزقا لوحش القفار وانما أردت أسرك ليلا ونهار لما سمعت ذكرك فعظم على أمرك وانك فارس كرار فغلب على الحياء منك وعاملتك بالاعتبار وبعد ذلك أراد عنتر أن ينزل الى دريد ويضمه ويقبل صدره واذا بالمواكب تتابعت وأقبلت الخيل وخالد قدامها يزعق وهى مثل البرق اذا لمع وهم طالبون عنتر من كل موضع ولما أبصر عنتر الى هذه المصائب فعلم أن دريدا كاذب وانه خدعه وطلب أخاه بقاتله معه فقال له يا دريد على مثلى ينطلى هذا المحال قطعت شيبتك وقطع منك المحال وأما أنا لا بدلى

أن أفرق هذه الجيوش فى البرارى والتلال ثم صاح به صيحة أرجف بها فؤاده وضربه بالسيف رمى به عنق جواده فوقع دريد واشتغل بنفسه واستقبل عنترا الخيل القاصده اليه وبرى أكثر رماحها بحسامه ونزل عليها باهتمامه وحمل مقرى الوحش وعامر بن الطفيل وصاح الملك قيس فى باقى الرجال والخيل وحملت رجال عروة بن الورد وزعق عم عنتر مالك بن قراد والامير شداد وتصايحت الفرسان على الخيل الجياد وقد عملت الصوارم الحداد وعاد الصلاح فساد وتمددت من القتلى الاجساد على الارض والمهاد (قال الراوى) وما كان قول دريد الا حق لانه لما رأى شجاعة عنترا اشتهى أن يكون له صديقا ومجيرا ولكن جرت الاحكام بخلاف الضمير لاجل آجال تقاربت وأعمار تناهت والاصل فى ذلك ان خالدا أخا دريد كان يعرف منه اذا بارز بعض الفرسان وطال معه فى الميدان وأبصره يحدثه لاجل أن يخدعه فيشغله الى أن تحمل الفرسان وفى حملتهم اما أن يقتله واما أن يأسره وكانت هذه اشارة بينهم حتى لا يقال عنه انه ناكس العهود فلما دارت الحرب ضربه فألقاه حيران ولما وقع على الارض تضعضع وانهان وكان وقوعه بشدة وما أفاق على نفسه حتى أدركه شيوب وشده كتاف ولم يزل السيف يعمل بهم حتى مضى النهار وطلبت القبائل الغريبة الفرار الى الاهل والديار وأراد اللقيط الهرب فأدركه مقرى الوحش وطعنه بعقب الرمح أقلبه وأخذه أسيرا وما أقبل المساء حتى ما بقى من القوم نسمة واحدة قدام بنى عبس الا بنى هوازن وجشم وكانوا معولين على الهرب فثبتهم خالد أخو دريد وقال لهم ياقوم أخى دريد فى المصائب ونطلب الهرب والنجاة من النوائب ونبقى حديثا بين الاعارب اصبروا باقى اليوم على الاثقال لما ننظر على أى شئ ينفصل الحال فما بيننا سبيع لابد ما يصل الينا فى الحال وأخى دريد لابد له يصالح بنى عبس ونرجع بسلام وان لم تتم هذه الامور ورأينا الغلبه هربنا لان الهرب ما يفوتنا ولا معنا شئ يعيقنا وداموا على مثل ذلك حتى أقام من القبائل الذى يلزمها من دريد يلزم مثل بنى هوازن وجشم وأما بنو سليم وبنو مشاجع أقاموا مع أخى اللقيط ينتظرون ما يكون من أخيهم وكان عروة معهم أسيرا فعولوا على ان يفادوا به اللقيط ويعودون وجملة المقيمين كانوا عشرة آلاف فارس وأما العشرة آلاف الاخر قتل منهم من قتل وأسر من أسر وهرب منهم من هرب هذا ما جرى (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم عادوا مسرورين بالنصر والظفر وما منهم الا من يشكر عنتر وهو مشغول قلبه لاجل عروة فاحضر دريدا وسأله عنه فقال وذمة العرب ما هو عندى بل عند اللقيط بن زراره وان خلاصه هين ما دمت أنا فى يدك ولكن من الرأى ان تتخذنى صاحبك لاجل الصلح حتى آخذه وأرحل بهما عنكم قبل أن يصل من لا يقبل مصالحه ولا يعجز من المكافحه وهو ذو الحمار لانه ان وصل وأنا فى الاسر سفك الدما وهذا الرأى لكم فيه الحظ الاوفر من وجوه عديده ولو لم تقع محبتك فى قلبى ما قلت لك هذا المقال وما كنت صالحتك بعد هذه الفعال وأريد أن أتخذك لى صديقا على ممر الايام والليالى فقال عنتر يا دريد ما بقى ينطلى على خداعك والمحال بعد ما فعلت الذى فعلته فى القتال وأشغلتنى بالمحال حتى حمل على أخوك خالد فى فرسانه والابطال وأما قولك عن سبيع وتخويفك لى منه فهذا شئ لا يدخل فى قلبى منه خوف ولا بد لى أن أفضحه بين الصفوف وآتى به أسيرا أو أتركه على الارض طريحا عفيرا وان أعاقته الاقدار عن دخوله الى هذه الديار سرت الى بنى حمير وأقلع منهم الارض وأخفى منهم الاثر ولا أخلى أحدا غيرى بالفروسيه يذكر ولا يوصف فى قتال وأسود بذلك على جميع الاقيال فخلف له دريد بن الصمه ان خالدا ما كانت حملته باختياره ولا أراد حملته ولا أمره بذلك ولا استشاره وانما يا بالفوارس هذه أقدار وآجال كانت تقاربت عندها الاعمار (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بجرير أخى عنتر أقبل من بنى عامر

ودخل على عنتر وعلى وجهه آثار تدل على أنه فزعان فقال له عنتر ويلك ياجرير مالى أراك فى هذه الحاله وهذه الحيله فأخبرنى من تركته عند عبله فقال جرير يا ابن الأم ان نوائب الدهر تأتى بما لم يكن فى الحساب وعبله وسائر النساء أشرفن على السبى والذهاب وان لم تدركهن والا نزل عليهن المصائب والعذاب لانه من بعد مسيرك من عندنا صابحتنا بنو نبهان مع زيد الخيل وأحاطوا بنا وبنى عامر وأنزلوا بنا وبهم البلاء الغامر ودار واحول القبيله بالخيول الضوامر وتدفقوا مثل موج البحر الزاخر لانهم قبائل مجتمعة وعشائر وأول ما فعلوه نهب الاموال وسوق الخيل والجمال وأوقعوا بين القوم الحرب والقتال وزيد الخيل جرح ملاعب الاسنه جرحا قد أشرف منه على الوبال ونسف بعده الابطال وساق بنى عامر بالحسام حتى ردهم الى أذيال الخيام مخضبين بدماهم الروابى والاكام وترك بنى عامر مشرفين على الهلاك ولا بقى لهم من الموت فكاك ولولا كبشة أم عامر بن الطفيل لكان سقانا زيد الخيل كؤس الردى لاننا لما كنا فى أطراف الخيام واختلطنا بأهل الحى بغير أمر الاخوص ابن جعفر ونحن فى الليل والنهار يا أخى فى شدة الخوف والحذر فقال له عنتر ان بنى عامر ما علموا بنزولكم بجوارهم فقال جرير يا أخى ماهم راضون بجوارنا ولا هم قادرون أن ينظرونا فقال عنتر ان لم يكونوا راضين بجوارنا فانا أخليهم يرضوا عنا ثم ان عنتر دخل على الملك قيس وقال له يا مولاى أنت تعلم ان حريمكم فى بنى عامر ونحن جميعا بين أيديكم وفى هذه الايام قد طرق أرضهم زيد الخيل مع بنى نبهان واذا سبيت حريمهم سبوا حريمنا معهم وأنا لا بد لى أن أدركهم وها أنتم مستظهرون على أخصامكم ولا بقى عندكم من تحملوا همه واذا حضر الفارس ذو الخمار ولا لكم به طاقة فسالحوا دريداوهو يرد هذا العدو عنكم وأنا لا اغيب الا مسافة الطريق فقال عامر بن الطفيل يا أبا الفوارس أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أقم عند أهلك وأنا أمضى الى بنى عامر أتحمل هذه الكبائر فقال عنتر هذا لا يكون ثم انه أوصى مقرى الوحش بالحرب والقتال وأوصى الملك قيس بالتدبير والاحوال وبعد ذلك اعتمد وسار من أول الليل هو وعامر بن الطفيل وأبو شداد وتمام العشرة فوارس من بنى قراد وكان قد ترك ابن عمه مالك عند عبله يحفظها فى نفر قليل من الابطال ولما أبعد عن منازل بنى عبس وعسعس الليل صار يذكر الحروب التى توالت عليه والنوائب التى تتابعت اليه فأنشد يقول

حار بنى يا نائبات الليالى * عن يمينى تاره والشمال * واجهدى فى عداوتى وعنادى
فرزايا لا تسلمى بسالى * لى قلب أشد من عزم الحديد * وعزم أقوى من راسيات الجبال
وحسام اذا ضربت به الدهر * تنجلى به القرون الخوالى * وسنان اذا انعسفت فيه ليلا
هدانى وردنى عن ضلال * وجواد اذا ما سار بارق البرق * أراه يعدو أثر النعال
أدهم يخجل الدجا بسواده * بين عينيه غرة كالهلال * يفدينى بنفسه وأفديه
بحر وبى ومهجتى ثم مالى * فاذا قام سوق حرب العوالى * وتلظت بالمرهفات العوالى
كنت دلالها وكان حسامى * تاجر يشترى نفوس العوالى * سماع الفلا للحرب لما اشتعلت
نارا أذابت لشاهقات الجبال * وتقول خذوا من اللحم قوتا * لبنيك الصغار والاشبال
واشكروا واذكروا ما رأيتم * واحمدوا واشهدوا لى بالفعال

فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات أطرب من كان حوله من السادات ومامنهم الا من تحرك حواسه ومالت به نخوة رأسه وصار الموت عنده ألذ من الشهد وساروا حتى حصل لكل منهم الجهد الى أن تنصف الليل ونزلوا حتى استراحت الخيل وركبوها الى أن صبحوا أرض بنى عامر صباح الا انهم ما قاربوا الخيام حتى سمعوا الضجة والصياح وبان لهم بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وعلموا

ان

أن القوم فى حرب وكفاح وتبينوا أحوال الطائفتين فرأوا فرسان بنى عامر خامدة الاصوات قريبة الحركات وهى تقاتل بين المضارب والابيات وتدافع عن النساء والبنات وملاعب الاسنة تارة يحمل يمينا وتارة يحمل شمالا وهو موثوق بالجراح والمواكب تصدمه من كل جانب كما تصدم الغريق الموجات وزيد الخيل ينادى فى أوّل القبائل ويقول هيهات هيهات يا بنى عمى الاطايب ابذلوا أيديكم اليوم فى ضرب القواضب ولا تبقوا على ماش وراكب فاليوم تملكون المضارب والنساء الكواعب (قال الراوى) فلما سمعت الرجال كلام زيد الخيل تدفقت من كل جانب لانهم كانوا عالما كثيرا بعدد الكواكب وقد ذكرنا سابقا ما جرى لزيد الخيل مع عامر بن الطفيل لما أسره وأخذ خيل القوم من وادى الجماجم وعاد عامر بن الطفيل من أرضهم بالاموال والغنائم وأحوج زيد الخيل ان يجمع هذه القبائل ويسير بها الى ديار بنى عامر وكان قد أشرف على قلع آثارهم وخراب ديارهم لولا وصول عنتر بن شداد فى أبطال بنى قراد ولما نظر القتال عمال والدم يسيل قال لمن معه البدار يا بنى عمى البدار فبادروا قبل أن تسبى الديار ويعتريكم العار فانا اليوم أترك بنى عامر تسترضى عنى وتحمد جوارى وتتحدث عنى بكل خير فقال عامر بن الطفيل أنا لابد لى من خصمى زيد الخيل لعلى آخذ منه الثار وانى لم أجد لذلك سبيل والا أشغلته عنك الى ان تلقى الهيبة فى قلوب الاعداء وتبيدهم فى البيداء فقال له عنتر اذا كان ولابد من ذلك فخذ معك أبى شداد ومن معه من فرسان بنى قراد حتى أصدم أنا وأخى شيبوب الرايات والاعلام ونقضى النهار بالصدام وضرب الحسام واذا كان فى غداة غد أتولى أنا برازهم وأشفى قلبى وقلبك من زيد الخيل وأفرق هذه الطوائف قبل قدوم الليل ثم ان عنتر صاح صيحة الغضب ودخل تحت غبار الغيهب وغاص فى قبائل العرب وفرق جموعها وحمى شيبوب جواده بنباله وقد أبصر من ذلك اليوم ما هاله هذا وعامر بن الطفيل قد حمل وكان فارس قومه كما ذكرنا وحامية عشيرته كما وصفنا ففعل ذلك اليوم فعل الرجال وكذلك شداد ومن معه من فرسان بنى قراد هذا وبنو عامر لما أبصرت فارسها ارتفع صياحها وعاشت بعد الموت أرواحها بعد ان لم يبق من الابطال الا أشباحها واستوى عندها فسادها وصلاحها وهربت الاندال ورضيت بافتضاحها ورأت سلامتها أجل ارباحها ومازال عامر بن الطفيل حتى وصل الى زيد الخيل وتزاعقا وتلاصقا واوسعا فى المجال حتى بعدت عنهم الرجال وأخذ فى الصدام والالتزام وتجريع الموت الزوام الا ان زيد الخيل سطا على عامر سطوة الجبابرة وأيقن عامر بالممات وما أشغل زيد الخيل الا صيحة علت من تحت الاعلام فالتفت فرأى الاعلام مالت وعنتر فعل فيهم كما يفعل الذئب فى الغنم فخاف على أبيه المهلهل فعاد اليه وترك عامر بن الطفيل (قال الراوى) وكان الذى مال أعلام بنى نبهان وفرق جموع القبائل والفرسان عنتر بن شداد لما حمل هو وأخوه فى طلب الاعلام ووصل اليها بعد نصف النهار وقد ترك الارض مملوءة من القتلى مخضبة الوجوه بالدماء ولما وصل الى الاعلام جرح أخوه شيبوب ووقع على الارض مطعوبا فرجع اليه عنتر كالريح الهبوب وأجلسه وهجم على الفرسان يطعن فى غاية الامعان فوقع شيبوب ثانى مره وأطبقت عليه الفرسان فرجع اليه عنتر كالاسد الغضبان ففرق الخيل من بين يديه ومن حواليه وزعق فيه فقام على قدميه ويرميهم بالنبال حتى وقع فى الموكب الكبير فلما علم عنتر ذلك صرخ فى صاحب العلم الكبير وطعنه فانصرع وتفرقت المواكب وأبصر المهلهل هذه الامور فجعل يقاتل عن نفسه وكان حوله أبطال المعامع وارتفع الصياح من سائر المواضع ومازال عنتر يدافع الابطال ويطعن فى صدور الرجال حتى التقى به زيد الخيل وتواصلت معه الكتائب والعشائر وبان الحق من الباطل وتناثرت الجماجم مثل الحصى والجنادل فوقعت

الرجال من لى ظهور الصواهل وكان زيد الخيل قد وقع بعنتر عند المساوفاته حتى انفصلت المعامع وافترقوا وفى قلب كل واحد منهم لهيب النار كيف ما بلغ من خصمه ما يختار على ان عنتر لولا انه تعبان من الضرب والطعان ما كان فارقه الا بالانفصال ولما رجع دارت به فرسان بنى عامر وقد زال الحقد وعرفوا قدره وقد صفت لبنى عبس نياتهم وعاد عنتر هو وعامر بن الطفيل الى أبياته واجتمع مع ابنة عمه مالك وسألها عن حالها فشكرت كبشه أم عامر على ما فعلت معها من الجميل فى غيبته وطيب عنتر قلب مسيكه وأعلمها ان مقرى الوحش قد تركه عند بنى عبس يحفظهم وبات النساء يشكرون عنترا وأما زيد الخيل فانه عاد الى بنى نبهان وهو مثل الاسد الغضبان وهو يقول لهم لولا هذا العبد ولد الزنى وهجومه عليكم اليوم كنا قد فرغنا من هؤلاء القوم فقال المهلهل يا زيد الخيل لا تقول هذا عبد ولا تحتقر احدا فوحق الواحد الاحد لم تلد مثله النساء ولقد رأيت منه عجائب عند هجومى عليه ما لا رأيت من السباع الضوارى الذى أصيدها طول عمرى فقال زيد الخيل وحق من أتى بهذا الليل لا نثرن عمره عند الصباح ولوان يده تمسك الفلاح متى تركه النجاح ولا فرجنك عليه ولا تركه الا والطير والوحوش يأكلوا فى لحمه وعينيه ثم انه أقام على مثل ذلك حتى ذهب الليل الحالك وطلع الصباح الضاحك وركبت الفرسان واعتدلت الصفوف وكانت بنى عامر قد باتت طول الليل حول أبياتها وكان عنتر قد دخل على أخيه شيبوب عند الصباح وقد سأله عن ما هو فيه من ألم الجراح فقال له والله يا أخى ما بت الا وأنا مسكين لان جراحى مشطبة وقد توهم منها قابى من أجل منام رأيته فزاد كربى منه فقال له عنتر وما الذى رأيت يا شيبوب فربما يكون أضغاث أحلام لانى بت مكروبا فقال يا ابن الام ما كنت عن نفسى مغلوبا وانما صبرت على ألم الجراح الى وقت السحر وقد غلب على النوم فنمت من أجلها وأنا كثير الهم والفكر فرأيت انى عند الكعبة الحرام وأشكوا الاصنام وأطلب منهم العافية من الآلام وكان الصنم المسمى بالهبل يقول لى ابشر فان جراحك تبرى عن قريب ويكون لك ولاخيك حديث عجيب وعند الصباح تنتصرون على بنى نبهان وتظفرون عليهم بالطعان وتتفرق عنكم العربان ولكن قل لاخيك يحسن الى زيد الخيل ولابيه وان ظفر به لا يؤذيه لانهما يخلصا كما من الغلبة اذا ظهر عندهم الرجل المكنى بالاسد الرهيص ويكون على قتلكما حريص ويبدل حياتكما بالتنغيص ويبطل عليه أخاك بعض أعضاه وفى ساعة واحدة يموت هو واياه وهذا الامر بارادة الله وقد اقترب الاجل وفى أثره تطلع الشمس ويظهر الرجل كريم النسب ويدل الناس على الطريقة الواضحة وينال الطالب المطلوب وترمى هذه الاصنام من على البيت الحرام ويرتفع عند الناس قدر شهر رجب ثم بكى شيبوب وانتحب وقال يا ابن الام انى أخاف ان أجل أحدنا قد اقترب وقد استحى هذا الصنم ان يخاطبنا بالصحيح فلوح لنا هذا التلويح وما كنا نريد الا الحياة والعمر الطويل الى أن يظهر هذا الرجل الجليل ونتعلم منه طريق الهدى ونكون من جملة أعوانه على العدا فقال عنتر أما هذا الرجل فقد تواترت الاخبار بظهوره وأما العدو الذى لنا فقد أشكلت على أموره وقد اشتغل قلبى بهذا المنام وقد أحوجنى ان أمد يدى بحسام لشيخ أو غلام ومالى الا انى أعتمد على أخذ الاسارى وأسلم أمرى الى صاحب هذه القبة الخضراء فاكتم أنت يا شيبوب هذا المنام حتى اننا نفرغ من هذه النوبة ونقصه على بعض الكهان ونسمع تأويله ثم انه افتقد جراحه وشدها وعاد على ظهر الجواد وأخذ أخاه جريرا وخرج من المضارب فوجد الصفوف قد اصطفت فقفز من بين الصفوف الامير عنتر وجال وصال وهو على ظهر الجواد الابجر وهو متفكر فى المنام الذى رآه أخوه شيبوب وكان قد سار وهو كثير الفكر فسلم نفسه للقضاء والقدر فخطر فى نفسه أبيات تناسب أحواله فجعل ينشد ويقول

اذا

اذا كان أمر الله أمرا مقدرا * فكيف يفر المرء منه ويحذرا
ومن ذا الذى يرد الموت أو يدفع القضا * وحربته مسمومة لا تعترا
وقد هان عندى الدهر مما عرفته * على أننى فى ذى الممات أخبرا
فليس سباع البر مثل ضباعها * ولا كل من خاض الهجاجة عنترا
سلوا من صفوف كانت ملمة * فرحنا والموت فيها مشهرا
بصارم حد لو ضربت بحده * ظلام الليل ولى وهو بالصبح يفترا
دعنى أحد السيف فى طلب العلا * وأعلوا ولا أموت واقبرا
وكم من منام قد أتاك محذرا * وكان رسولا بالسرور مبشرا
قفى وانظرى يا عبل فعلى وعاينى * طعانى اذا طار الغبار مكدرا
ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا * ويرجع عنه وهو أشعث أغبرا
ولا ينثنى حتى يخلى حاجم * تمر بها ريح الجنون فتسترا
وأجساد القوم يسكن الطير حولها * الى ان يرى وحش الفلا فينفرا
هذى فعالى يا ابنة العم دائما * وانى بمادون البرية أخبرا

(قال الراوى) ولما ان فرغ الامير عنتر من هذه الابيات حتى تبادرت اليه الفرسان من سائر الجهات ومدت نحوه أسنة المرهفات لان جملة القبائل باتت تشتغل بفعاله وتنتظر الصباح حتى تخرج الى قتاله ولما ان أبصر هؤلاء الابطال نحوه تبادرت خاف من بنى عامر أن تحمل الى معاونته وتبطل عليه مبارزته فأمر أخيه جريرا أن يرجع بنى عامر ويوصيهم بالامتهال عليه والتقى هو والشجعان المبادرة اليه وطلبها مثل ما طلبته ثم انه كفها بحسن خبرته ومعرفته وما عاد اليه جرير حتى طرح على الارض عشرة وجرح جماعة فلما ألقى الهيبة فى قلوبهم وأبعدهم عنه واتسع عليه المجال قصد الرجال الذين من بنى نبهان واعتمد على أسرهم لاجل المنام الذى ذكره شيبوب وأخذ معهم فى الطراد الى ان عبر نصف النهار فأسر مائتين فارسا وكان زيد الخيل كلما هم أن يبرز اليه يمنعه أبوه المهلهل من شفقته عليه ومازال يمنعه الى ان بان من عنترما بان وأسر من أسر من الفرسان هذا وزيد الخيل قد زاد به الغيظ وصار النهار فى عينه مثل الليل ومن شدة ما جرى عليه أطلق عنان جواده وخرج من غير أمر أبيه وكان تحته جواد مسمى الورد فانطلق به مثل الرعد حتى صار مع أبطال قومه فاقسم عليهم وردهم الا أنهم قد ملوا وقصروا ولما رجعوا أظهر حسامه وهزه بقوة اهتمامه وطلب عنتر وهو يقول هذه الابيات

اذا جرح كفى حسامى مهندا * تمخض موج البحر منه وأزبدا
وأطرق وجه الارض جرا لهيبه * وفرق ما بين النفوس وأبعدا
ونحن طرقنا أرض عبس بخيل * عتاق لا نخاف من الردى
وصلنا عليهم صولة بعزيمة * بنينا بها فى العز حصنا مشيدا
ولما رأونا قد تركنا ديارهم * لوحش الفلا فى عرصة الدار موردا
أتونا بنو عبس بعبد يعزهم * ويصلح والعبد ما زال مفسدا
فلا بد لى ما ان أخلى ناويا * تقلب الطير منه عظما مجردا
لقد علمت نبهان انى حميتها
وانى جمعت الشمل أن يتبددا * وكان جوادى كلما مال صولة * أقويه حتى يرى الموت أسودا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه ورآه قد أركز رمحه أيضا فاستقبله بفؤاد ملآن وأجابه على عروض شعره يقول هذه الابيات

خلينى طاب الموت والنقع أسودا * بطعن الردينى والحسام المهندا
لحا الله شخصا قد يميت وقلبه * من الموت وجل اذا راع واعتدا

نخلتى أوفى الرمح حقـــه اذا * ماطمابحـــر المنية مزبدا
أنا الليل فى كونى وكونى ومزبدى * أنا الصبح فى رفدى اذا الصبح بدا
أنا البحر الا أننى غـــير مطعم * أنا الليـل الا أننى سمح اليـدا
أنا القطر الا أننى غـير جالس * أنا الجـبل القاسى لقرن اذا بدا
أنا كاشف الغمات عنـد حلولها * أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
سـلى المشرفى المهند عنى فى الورى * يخبرك أننى فارس الدهر أوحدا
تعودت خوض النقع مذ كنت يافعا * وكل امرئ جار عـلى ما تعودا
خليلى شرب الموت حتما على الفتى * ولو كان فى قصر عليه مشـيدا
تعـايرنى ياندل انى أســـود * ولست جبانا أو مقصر اليـدا
فان عيبت جلدى بالسـواد مانرى * بريق حدود السيف حين تجردا
وان كان يوم الكـريهة ماضيا * فـلا عيب فيـه كلما مر هـددا
كـذلك لونى أسـود وفعـائلى * تزداد على نور الهـلال اذا بدا

(قال الراوى) ثم ان عنترا استقبل زيد الخيل بقلب قد اعتد للقاء الفرسان وانصب عليه أيضا زيد الخيل انصباب الغيث اذا هطل فطالما بالسيوف الهامات والقلل وتضار باحتى حارت من فعالها العقل وصار عليهما الغبار وتقسطل واشتد الموت واقترب الاجـل وحكمت لصاحبها كل طائفة بالموت المعجل وارتفع الصياح حتى أسفر السهل والجبل وتقدم المهلهل باعلامه ورايانه من خوفه على ولده وكذلك فعل عامر بن الطفيل فلله در الامير عنتر فى ملاقاته لهذا البطل الجواد بعـد ما أسر من أسر وقتل من قتـل من الفرسان ومازال مع خصمه يطاوله ويضرب بالصارم البتار حتى تقارب آخر النهار لانه كان يريد أسره لاجل المنام الذى رآه أخوه شيبوب والا ما كان داراه هذه المداراه وكثير من يطلب أمر غريمه وغريمه يريد قتله الا عنترا لما سمع ضجيج الرجال ورأى النهار قد تغير لونه واستحال خاف أن يعود بغـير انفصال فصاح فى زيد الخيـل صيحة أذهلته من عظمها حتى سمعها القاصى والدان وضربه عمدا بسيفه فطير الراق الفوقانى فسمع للضربة جلبة عظيمة وأوهنت أعضاه وقد ظن انها طيرت أعلاه وفى هذه الدهشة صدمه عنتر وفاجاه وقبض على رقابه وجذبه من على ظهر الجواد وسلمه الى أخيه جريرهذا والليل قد عبر ونشر أجنحة السواد ومنع الطالب من المراد ورجعت سائر الطوائف والمهلهل أبو زيد الخيل يعض كفيه لهفا من فزعه على ولده وكذلك قبائل العرب فزعانه على فارسها زيد الخيل ومن فيهم الا من ذم الليل كيف انه أقبل والنهار كيف ولى وارتحل وقد انكسرت أغراضها وانهدت منها أركانها وأبصروا من عنترما هالهم وأما عنتر فانه قد عاد وقد تلقاه عامر بن الطفيل وهناه بالسلامة وشكره على فعاله وكذلك فعل ملاعب الاسنه والاخوص بن جعفر وسائر فرسان بنى عامر وما فيهم الا من قال والله ياحامية عبس لقد كسرت اليوم نفوس الاعداء ولا نقول انهم يقيموا عندنا أكثر من غد وقد فرقناهم فى سائر البيداء وحنبانها فقال عنتر والله ياوجوه العرب ما هم الا خلق كثير وفيهم كل بطل شهير وان لم أداومهم هكذا يومين أو ثلاثة ما ينكسرون ولا يذلون وهذا أمر يريد طولة الروح وأنا والله قلبى الى قومى وبنى عمى مشتاق ويحترق غاية الاحتراق لانى جئت وخليتهم تحت الوعد والفزع من هذا الحمار وأخاف بعدى أن يكون وصل اليهم وقتل فيهم والرأى عندى اذا دجا الظلام تشرفون على زيد الخيـل وعلى سادات قومه الذين أسروا معه وتقولوا لهم قد أقلنا لكم ناصحين وفى اصطناع المعروف لكم راغبين فاذا قالوا لكم وكيف ذلك فقولوا لهم ان هذا العبد الاسود الذى أسركم

اليوم

اليوم فى الكفاح قد عوّل أن يضرب رقابكم جميعا عند الصباح و يحذف رؤسكم الى بنى عمكم حتى
ينكسرون وهذا نحن ما نشتهيه لانكم فى أرضنا ودماؤكم تبقى علينا ونطالب بها صباحا ومساء وهذا
الرجل ضيف ان أقام عندنا اليوم ما يقيم عندنا غدا ونريد منكم أن تحلفوا لنا انكم ترحلوا عنا حتى اننا
نطلق سبيلكم بغير علة فى هذا الليل فان أبيتم فأنتم تعرفون ما تلقون عند الصباح فوحق رافع السماء انه
عوّل انه لا يبقى منكم أحدا أبدا وهذا كلامه الساعة سمعناه عند أكل الطعام وما قدرنا نرد عليه لانكم
أنتم أسراء فاحفظوا دماءكم والا هذا العبد يتيم أولادكم و يرمل نساءكم وعلى كل حال هذا عبد زنيم
لا حسب له ولا نسب واذا قتل أمثالكم ما يكون مغبون فى هذا السبب واجتهدوا فى هذه الاقوال
حتى انكم تملأون قلوبهم خوفا ورعبا لعلهم يرحلون عنكم و يتفرغ قلبنا لغيرهم والا دخلت المضرة علينا
كنا بمقامهم عندنا قال فلما ان سمعوا الحاضرون كلام عنتر تعجب كل من كان حضر من حسن فطانته
فأجابوه الى ذلك ونزلوا الاجل أكل الطعام وصبروا حتى امتد رواق الظلام فعندها قام عامر بن
الطفيل وملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر وجماعة من فرسان القبيلة وساروا الى المكان الذى فيه
الاسارى وكان فى وسط الحلة والعبيد دائرة بهم وكان جرير قد ساق زيد الخيل اليهم وتركه عندهم
وفى جملتهم الا انهم لما صاروا عندهم أعاد عليهم ملاعب الاسنة كلما سمعه من عنتر فى حقهم وأكد فى
الكلام وصعب النوبة عليهم حتى ارتعدت أبدانهم فقال زيد الخيل والله يا وجوه العرب ان القتل علينا
أصعب الاشياء وأنتم فرسان وتعرفون هذه الاشياء والامور وتعلمون ان أحدنا اذا ركب جواده لا ينزل
عنه حتى يقول انه يلعب برأسه جواده وهذا الكلام أصعب الاشياء وهذه النوبة ما سببها الا فارسكم عامر
ابن الطفيل لانه أتى الى ديارنا وسبى زوجتى هند وألقى العداوة بيننا ولما لحقته وأسرته وطالبته بالفداء
والمال فتسبب له الخلاص من حيث لا أعلم وما كفاه حتى انه ساق خيلنا وخيل أهل الحلة عن آخرها
بعد خلاص نفسه وأحوجنا ان نجمع هذه العساكر لاجل خلاص أموالنا منكم وقد أتينا اليكم ولولاه
ما كان اتفق لنا هذه الامور والآن قد ملكتم فاحكموا وأمروا بما شئتم حتى اننا نفعله وحلفونا على
جميع العسكر حتى اننا نرحل به والاموال التى كانت لنا فدية لنفوسنا وجزية لرؤسنا قال فهم فى
الكلام الاوجرير أخو الامير عنتر داخل عليهم ومعه حبل طويل وهو يعيط و ينفخ والدموع تجرى
من عينيه فقال له عامر بن الطفيل مالك يا جرير وما حالك فقال له ان أخى شيبوب قد أشرف على الهلاك
والعدم من الجراح الذى فيه والساعة دخل عنده أخى عنتر ليفتقده فرآه هالك لا محالة ولم يبق له عمر
يوديه الى الصباح فبكى أخى عند رأسه وناح وقال له يا ابن الام اطلب منى حاجة قبل رحيلك من الدنيا
فقال له ما أريد منك يا أخى الا عشرة فوارس من بنى نبهان و يكونوا من أعز الفرسان وتذبحهم بين
يدى قبل ان تخرج روحى من جسدى لانى تحت اعلامهم جرحت فلما سمع منه ذلك أخى عنتر قال
له هذا أهون الاشياء الى ثم انه نادانى وأعطانى هذا الحبل وقال لى امضى فى هذه الساعة وشد زيد الخيل
وعشرة من الفرسان المشاهير من ساداتهم وأتينى بهم مسحوبين مذلولين حتى انى أنحرهم قدام أخى
شيبوب واذا بقى الى الصباح ضربت رقاب الباقين بين يديه وكانت هذه الرسالة من صاحب الهمة
شيبوب لان عنترا لما تفرغ مما كان فيه سار الى افتقاد أخيه شيبوب وكان مطروحا عند أمه زبيبة
فأعاد عليه ما فعل ومن قتل ومن أسر وذلك الكلام بعد ان رآه قد انصلحت أحواله وهو قاعد يحدث أمه
بما جرى ففرح بسلامته وأعلمه أيضا بما دبر حتى تنفك عن بنى عامر هذه الجيوش فقال شيبوب هذا
تدبير جيد وأنا أوكد القصة بكذا وكذا حتى يذل زيد الخيل و يفزع وان أمروه بشئ لا يمنع لان نفسه
عليه عظيمه وانه لا يختار القتل على الهزيمه فلما سمع عنتر ذلك رآه صواب وأنفذ جريرا بذلك الخطاب

فأتى الى قومه وهم فى الحالة التى ذكرناها فبلغهم الرساله وأدى المقاله فما فيهم الا من ظن ان هذا الامر صحيح الا عامر بن الطفيل فانه من كثرة مخالطته عنترة علم ان هذا تأكيد فى القصة فشد قلبه وقال له يا مولد العرب ان هذا الامر لم نطاوع أخاك عليه ولم نفرط فيمن وقع فى أيدينا مادام فى خيلهم قوة وهذا الامر الذى عزم عليه فيهم يكون فى أرضه وبلاده وهذا شئ لم نمكنه منه مادام ان هذا صار فى بلادنا وأرضنا وهذه الكثرة كانت عندنا وهم حوالينا على انى أعلم انك ما ترجع الى أخيك الا بما طلب والا اشتد على أمراء الغضب وما فى الامر الا انى أسير أنا اليه واسأله فى ذلك ولا أتسبب لهؤلاء القوم فى أسباب المهالك ثم انه قام الى جرير يسأله عن هذه القصة ان كان لها حقيقة أم لا فقال له زيد الخيل وقد انقطع معالقه وقال يا عامر انى حلفت بالله العظيم رب زمزم والمطيم انى لا عدت أجرد فى وجهه سيفا ولا أمد له قناما دمت فى دار الدنيا ان هو أطلقنى سالم وان رأيته لج فى هذا الامر وطال وانه لا يقبل منك سؤال فاشير عليه أن يحمل له عشرة فرسان من الذين هم مأسورين معنا فى هذا المكان من مجاهيل قومنا ودعه يذهب هم قدام أخيه ويتركنا ونحن نحمل اليه دية رؤسنا ولو كانت وزنهم ذهبا ان هو أطلقنا من أسرنا والاعتقال وكان فى الاسرى رجل صعلوك وكان بعيدا عن الديار وقد أتى فى طلب المكسب والمعاش وكان اسمه المدفوق ولقبه المذلول وقال يا زيد الخيل لم يقبل فى هذه النوبة سؤال ولا يقتل عوض أخيه الا رجل منسوب وقتل الذليل ما يشفى غليل فلا تردد عن نفسك بسواك ولا تفر من الموت اذا أتاك قال فضحك عامر بن الطفيل من هذا الخطاب وعلم أن الجميع قد فزعوا من ضرب الرقاب فقال لهم عامر ابشروا بما تريدون فما يأتيكم الامر الا بما تشتهون ثم انه أخذ جريرا وغاب قدر ساعة وعاد بعد ما علم بالمقصود والمراد وقال للاخوص بن جعفر خذ القوم يا أمير وحلفهم وأطلقهم قبل الصباح والا نهبت أجسادهم بشفار الصفاح لان هذا الرجل ما يفكر فى عاقبه ولا يخاف من النائبه وان مات أخوه شيبوب قبل ذهاب الظلام فلا يصبح من هؤلاء القوم لا شيخ ولا غلام فعند ها قال الاخوص لزيد أى شئ تقول يا وجه العرب تحلف ان تأمر قومك وأباك بالرحيل حتى نطلق لك السبيل أو تلزم اللجاج وتقوم فى أسر هذا الشيطان الرجيم فقال زيد الخيل أيها السيد ما بقى فينا من يريد المقام ان تفضلت علينا بالاطلاق بل نحلف لك برافع السبع الطباق أننا نرحل بقومنا من قبل ذهاب الظلام وما ندع الصباح يصبح وحولكم منا ديار ولا من ينفخ النار ثم انه حلف له عن نفسه وعن بنى نبهان وكذلك حلفت باقى الاسرى من فرسان القبائل فخلوهم بنو عامر من الوثاق وأفرغوا عليهم عددهم وحلوهم من وثاقهم وقد انسلوا تحت ظلام الليل والدجا وهم لا يصدقون بالنجا وما وصلوا الى مكانهم كل طلب منهم قبيلته وعشيرته وأخذهم وسار يطلب ديارهم والاطلال وأما زيد الخيل فما صدق أبوه أن يراه سالما وقد أعلمه بقصته وقد كره المال والجمال وما طلع النهار الا والدنيا منهم بلاقع وعلمت بنو عامر بذلك فطابت قلوبهم وانجلت كروبهم وخلى أيضا بال عنتر ثم انه ركب صهوة جواده الابجر وقال لابيه يا أبتى هذا باب عنا قد انسد وهذه النساء اللاتى قد آمنا عليهم ولكن أنا فزعان من هذا الحمار على قومنا أن يكون وصل اليهم من بعدى وسطا عليهم بغروسيته فان كان هذا الامر كما خطر ببالى وقد جرى فأنا أعلم أنه يخلص زيد بن الصمه من الاسر وربما انه أسر مقرى الوحش ان كان كما سمعت عنه أنه من أهل الشجاعه والبطش فقال له شداد والله يا ولدى ما حسبت الا حساب الرجال وما فى الامر الا العودة اليهم والكشف عن أحوالهم ثم انه ركب هو ومن معه من الابطال وكذلك فعل عامر بن الطفيل وقد استكثر من فرسانه والشجعان وعلم الاخوص بن جعفر بذلك فركب وسار فى فرسان بنى عامر فرده عنتر وقال له يا ملك ما قد امنا أمر يوجب الى اتخاذك والمسافة بيننا قريبه وأما ملاعب الاسنه فانه حلف أن يكون

بصحبته ولم قدر عنترأن يمنعه من ذلك فشكره عنتر وسار واطالبين ديار بني عبس ومازالوا سائرين حتى قاربوا الديار واذا بالغبار قد ثار والقتال عمال وأهوال تدل على حرب شديد مهول فقال عنتر يالله العرب ما هذه والله علائم خير ثم حرك الجواد وساق وتبعته الرجال والرفاق الى أن وصلوا تحت الغبار فأبصروا فرسان بني عبس وهم نافرون ومن خلفهم فارس طويل القامة هائل الصورة عريض الاكتاف وعليه حلة حمراء وفوقه ثوب من الزردوهو راكب على جحرة حمراء وبيده قناة سمراء وهو يطعن في ظهور الرجال وكلما طعن فارسا أرماه ومعه فارس آخر كانه النسر المعمر وهو يرد الابطال ويقصر الاعمار الطوال وهو ينادي يا آل حبر أنا المسمى بذوالخمار ومشبع الاطيار وخالد الآخر عن يمينه وكذلك دريد بن الصمة ينادي أنا دريد بن الصمة عالي العزيمة والهمه وعن شماله اللقيط بن زراره وقد اشتهر بالقوة والشطاره والابطال من حولهم متتابعه والرايات والاعلام من كل جانب مخفقه والسيوف تلمع من تحت الغبار والصيحات مرتفعه والجماجم مدحرجه فلما نظر عنتر ذلك ابيض سواده وزحف قلبه ونادى يا بني عمي أما تنظرون الى تلك المصائب والله لقد حسبت ذلك الحساب واذا وصلنا الى الصفوف ما فيكم من يرد جواب بل احملوا وجددوا الطعن والضراب ثم انه مد عينه فرأى مواكب بني عبس والملك قيس في الانقلاب وقد مالت عليه كالعقاب فصرخ صرخة الغضب وكان جواده مع أخيه جرير بجنبه فقدموه وركبه وصار يطلب آخر الهاربين وأوائل الطالبين وركبت فرسان بني عامر النجائب وتصارخت فرسان بني عبس من كل جانب وعرفت عنتر وسمعت صوته فردوا الاعنه وقوموا الاسنه وصاحوا من شدة الفرح وانقلب البر بالصياح والتقى عنتر بذوالخمار واصطدما مثل موجات البحار وكذلك ملاعب الاسنه مع دريد بن الصمه واللقيط بن زراره مع عامر ابن الطفيل ﴿قال الراوي﴾ لكن صدمة ذوالخمار مع عنتر كانت مصيبة عظيمه لانها ارتجفت منها الابدان وشيبت الولدان وحيرت الشجعان وطال بينهم الامر وصار كل واحد منهم يهجم كما يهجم الاسد الجيعان وزين لهم وجه الهلاك فيالها من ساعة ما أشدها لما لان بني عبس عند عود تها رأت ذوالخمار ودريد مشتغلين عنهم فطحنت المواكب التي خلفها وما كانت الاظاهرة على أعدائها وانما ذوالخمار كسرها وأنزل بها العذاب لانه صبحهم في الليلة التي صار عنتر فيها الى بني عامر وقد ذكرنا انه خلى عندهم دريد أسير وكذلك اللقيط بن زراره وانه أصعب الاعداء الذين كانوا مع خالد بن الصمه وترك مقرى الوحش وقواه بثلثمائة فارس وما فارقهم الاوهم على غاية الاستظهار ولما ان أتى ذوالخمار تلقاه خالد بن الصمه وبكى في وجهه واعلمه ان أخاه أسير وأعلمه انه لولا استظهاره كان قد هرب في الليل فقال ذوالخمار وقد آلمه ذلك الكلام من أسر دريد وفعل معكم هذه الفعال فقال له يا ابن العم فعلها معناء تربن شداد ثم انه حدثه كيف ان عنتر كان غضبان في بني عامر وكيف انهم كانوا أشرفوا على نهب أموال بني عبس وهلاكهم وكيف أتى عنتر وأسر دريد بن الصمه في المجال وفعل بهم تلك الفعال فلما سمع سيمع منه ذلك الكلام اسودت الدنيا في عينيه وقد غشي عليه وقال الى متى يا خالد تحدثني بهذا الحديث فانه قرح القلب والاحشا وحق من حال بين الظلام والمسا لاخليت من بني عبس من يمشي على عصى ثم انه غير جواده وغرق في عدة جلاده وكانت بني عبس قد ركبت وتعدلت وعلى أعدائها قد استظهرت ولولا وصول ذوالخمار ما كانت حمات وانما أشغلها وصوله اليهم لانها كانت سمعت بأخباره وعرف منهم مقرى الوحش ذلك فتقدم اليه لاجل أن يتلقاه ويكشف عنهم شره وينوب عن عنتر عند غيبته وكذلك فعل الكليم فارس بني كريم لانا قد ذكرنا قتاله وقتاله مع بني عبس وأخبرنا انه كان فارس جبار وكيف لحقوه بنو عبس وهو يقاتل عساكر دريد لما أخذوا غنائمه قبل هذا الكلام لانه كريم من نسل

قوم كرام وكان معه ألف فارس همام وهم مقيمين معه فقتل منهم أوفى من مائة فارس والباقى معه يقاتلون بنيات صافيات وكان هذا أيضا مقامه وحفظه للعهود وقد وقع فى حبال الهوى والقيود لانه نظر الى الجمانة بنت قيس لما خرجت من جملة النساء وسارت الى بنى عامر ترضى عنتر بن شداد وكان نظره لها سبب هلاكه فى هذه البلاد فلاجل ذلك طاب قلبه على القتال وقد تصور فى قلبه أنه اذا قاتل ونصح فى القتال وانكشفت الشدة عن بنى عبس يطلبها من أبيها ويتزوج بها ويقيم عندهم بالكلية وهذا من جملة الاطماع التى تضرب بها الرقاب ولقد أحسن مجنون ليلى لما ذكر فى شعره هذا البيت

أتطمع من ليلى بوصل وانما ✲ تضرب أرقاب الرجال المطامع

قال وهكذا أصحاب هذا الرجل لانه تقدم فى الاول ينتظرون سبيع ابن الحارث حتى يحمل عليه ويرد شره عن بنى عبس ويتقرب بالخدمة الى الملك قيس فطعنه سبيع فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره وأبصر مقرى الوحش هذه الطعنة فهاله وقال والله ما رأيت مثلها الا لعنتر ولقد صدق الواصف فيه ونحن مع هذا الرجل الاعلى خطر ثم انه قاربه وتلقاه وقد خاف من غيبة عنتر أن تطول فطاعنه بالرمح ساعة من النهار فرآه جبار لا يقع له على عيار وأبصر سبيع أيضا مقرى الوحش فرآه فارس عظيم وانه يجود فى الطعان فخاف أن يقضى معه الاوقات ولم يستدرك ما فات فاظهر التقصير والكسل وبين للطعن موضع ومقتل وأمهله حتى طمع فيه وقاربه وضربه ضربة جبار على عاتقه الايسر فقطع الزرد وحل كتفه ورماه من على ظهر الجواد فلما نظر بنو عبس ذلك حملوا عن آخرهم وسائر جموعهم وحملت معهم فرسان بنى كريم وقد أصابهم على صاحبهم مصاب عظيم وكذلك جرى على قيس واخوته ومافيهم الامن قال قتل الكليم وما جاز بناه على جميله وحملت مع سبيع اللعين الالف فارس التى وصلت معه من بنى جبير وحمل أيضا خالد بن الصمه فى العسكر التى بقيت معه من بنى هوازن وجشم وتغيرت الاحوال والشيم وذل الجبان الغشمشم وتساوى الذليل والمحتشم وعاد الوجود عدم وأظلم النهار واعتم وولى الجبان وانهزم وتساوت العبيد والخدم وما أمسى المساء الا وبنو عبس يقاتلون حول البيوت والمضارب وقد فنى منهم جمع كثير من الفرسان والاقارب لان ذوى الخمار نسفهم بسيفه نسفا وفرق صفوفهم بالطعن صفا وسقاهم من الموت كأسا صرفا وما مضى النهار وأقبل الليل حتى عدم من بنى عبس القوى والحيل ودارت بهم الرجال والخيل فقال ذوى الخمار لاصحابه امسكوا عليهم الطرق والمذاهب وابصروا ما أفعل بهم اذا طلع الفجر ولاح لانى قتلت فرسانهم الذين عليهم المعتمد وفى غداة غد ما أبقى منهم أحد وكان يحق لهذا الفارس ان يقول مثل هذا المقال لان العرب كانت تعده فى الحرب بالف فارس واذا كان معه ألف فارس كان يأتى بها سبعة آلاف فارس ولولا فرسان بنى عبس فرسان [illegible] ياما كانت أقامت بين يديه ساعة واحدة على انهم ما باتوا الا وهم مشرفون على الهلاك وأرادوا أن ينفذوا الى عنتر رسول فما وجدوا الى ذلك وصول فما توا يدبرون فى أحوالهم ويوعدون رجالهم وعيالهم لانهم قد أبصروا ما أهالهم وصار بنو زيادة يقولون هذا فارس عظيم وهو أفرس من عنتر وأشد قتال وجلادا لان مقرى الوحش كان يناظر عنتر فى الشجاعة وما أقام مع هذا الشيطان الا ساعة وكانت بنو جشم قد شالت مقرى الوحش من تحت أرجل الخيل وشدته كتاف وتركته عند عروه بن الورد ثم ان الملك قيس لما رأى ذلك الامر أرسل الى سبيع يطلب منه الصلح فقال له يا قيس هذا الامر ما تراه ولا فى المنام والا تسلم لى بنى زياد الذين اشتركوا فى قتل عبد الله بن الصمه والا أتركك كلكم مطروحين بين أطناب الخيام قال فلما سمع قيس ذلك الكلام عظم الامر عليه وأيقن بالاتراح وبات يفرق على عبيده وعبيد أهل الحلة العدد والسلاح ويطلب منهم المعونة على الحرب والكفاح ومازال على ذلك

الايضاح الى ان أضبح الصباح وزحف ذوالحمار عند اقبال النهار وطلبتهم المواكب من سائر الاقطار
وارتفع الصياح من العبيد والاحرار وعملت الصوارم عمل النار وأبدلت بنو عبس المهج وقاتلت قتال
من أيقن بالهلاك ومافيه فكاك ونظرت يوما مارأت أضيق منه وباتت تصيح بالنوائح وانت اصحابهم
من ألم الجرائح والقتلى بين الاطناب مثل البطائح ولما ان كان اليوم الثالث ترجل سبيع بن الحارث
وأخذ ترسه والحسام وهجم على بنى عبس وهم فى الخيام وأطلعهم من المضارب قوة واقتدار وأنفذ
جماعة الى دريد ومن معه فخلوهم من الوثاق وأركبوهم على الخيول العتاق ولما ان وصلوا الى بين يديه
هنأهم بالسلامة والاطلاق وركب هو والرجال الذين ترجلوا معه واتبعوا بنى عبس الذين تفرقوا فى أقطار
الفلا وجرى من القصة ماجرى الى ان التقاهم عنتر بن شداد وعدنا الى سياقة الحديث والخبر واقتتلوا
قتال من أيقن بالرحيل الى دار الآخرة وقد ذكرنا أن ملاعب الاسنة مع خصمه دريد بن الصمه وعامر
ابن الطفيل مع اللقيط بن زرارة والامير عنتر مع خصمه ذوالحمار وهم فى قتال ونزال ومصارعه ومطاعنه
تتعوذ منها الجبابره والفراعنه ورجعت بنو عبس وقويت بالفرسان الذين وصلت مع عامر بن الطفيل
ظهورها وعادت على الاعداء بقلوب حنقه ورجعت من أقطار البر بعد ما كانت متفرقه ونادى
بعضها بعض وقد استبشرت بوصول عنتر اليهم وقالوا يابنى الاعمام حامينا قد كفانا شر ذوالحمار فخذوا
أنتم من أعداكم بالثار واكشفوا عن أنفسكم العار ﴿قال الراوى﴾ وكان للقوم يوم ما أنجب منه فى
الايام ولا أشد حربا منه والسلام لان الفريقين كانت تقاتل وقلبها متعلق على الفرسان الذين عليهم
المعتمد وكان أكثر الاعتماد على ذوالحمار وعنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ ياكرام وقد تطاعنا الاثنان
حتى طارت الرماح قطع ومابقى منها شئ ينفع وأراد كل واحد منهم أن يجرد حسامه فما مكنه خصمه من
ذلك بل انهما زعقا وافترقا واصطدما والتزما واعتركا على ظهور الخيل حتى قل منهما الجلد والحيل
وأبصر عنتر تقصير حجرة سبيع وقد تعبت من شدة انهاضها وقد انزعجت من شدة جريانها فزعق الامير
عنتر فيه فتخيل و رفص الحجرة فى جنبها فوقعت ووقع سبيع من فوقها كأنه صنية الجبل ووقع عنتر
فوقه كالصخر الجامد فرض عظامه رض وهو فوق الحصى والجامد وماوعى على نفسه وثاق حتى
شد وامنه الوثاق فأبصر اللقيط هذه العجائب والاهوال فأوى عنان جواده وطلب المنازل والاطلال
فرأى عامر بن الطفيل خصمه وقد ضرب فرجع وضرب جواد دريد فانقلب وعاونه بن خالته عليه حتى
ملكه وكتفه فنظرت باقى المواكب الى ماحل بصاحبها فولت على أعقابها وقد تقطعت أسبابها
وعملت رماح بنى عبس فى ظهورها ومازالوا بين ضارب وطالب حتى وصلوا الى خيامهم والمضارب
وكان الليل قد نشر دجاه وكل واحد منهم قد طلب النجاه ولم يسأل القريب عن الغريب ولا الصاحب
على الصاحب وملكت بنو عبس خيامهم وأثقالهم ومابقى من أموالهم ورحالهم وخلصوا مقرى
الوحش وعروة بن الورد وكان عنتر قد تخلف بعدهم ساعة زمانية وعادت روحه اليه حتى أبصر ما بين
يديه لانه أبصر من ذوالحمار ما أهاله ولما أخذ لنفسه الراحة هناه ملاعب الاسنة وقال له يا أبا الفوارس
لو بلى بهذا الفارس جن الارض السفلى لعجز واعنه وعن قتاله فقال له عنتر صدقت ياغشم وانما أنا
ماوصلت اليه الا لاجل القضاء والقدر والا فما هو ممن يغلب فى الحرب ولا يقهر ثم شدوه وودريد بن الصمه
وأركبوهم وساروا بهم الى بنى عبس فرأوهم وهم فرحى بالغنائم والنصر والقهر لاعدائهم فهنأ بعضهم
البعض بكشف الغمة وزوال الظلمة وشد عنتر الاسارى والتفت الى مقرى الوحش وسأله عن حاله
فقال والله يا أبا الفوارس ماجراحى الا بالغة وما أقول انى أسلم منها وما تبقى يدى تنفعنى فقال عنتر يا أخى
لاتضيق صدرك فما جرحك دون ولا كنت فى قتاله مغبون ثم انه حدثه بما جرى له مع ذوالحمار حتى

أمره وفرح بذلك مقرى الوحش وأصبحت القبيلة تحت أذيال المسره يهنى بعضها بعض بكشف المضره
هذا وملاعب الاسنه قد دخل على الملك قيس وكان معه جماعة من قومه فهنوه بالسلامة وقالوا له
يا ملك ان أعداك ساروا أعدانا ودماك قد امتزج بدمانا ونخاف تتعب قلوبنا اذا كنا متفرقين
والصواب انكم ترحلوا معنا وتنزلوا فى جوارنا حتى تهيبنا قبائل العرب ويقل عناوعنكم الطلب
ويصير بيننا صلة ونسب ومازال على مثل ذلك حتى أجاب الملك قيس ورآه صواب وقد أمر بالرحيل
الفرسان حتى يكونوا بجوار بنى عامر واختلطت العشائر بالعشائر وعملوا بعضهم بعض الدعوات والولائم
وتساووا فى الاموال والذخائر وتم الامر على ذلك عشرة أيام وتساووا فى الاموال والانعام وأصبحوا فى
وسط الحى يتشاورون فى أمر دريد بن الصمه وذو الخمار وما يصنعون فى حقهم وكان بنو عبس قد عزموا
على قتل الاثنين لاجل ما فى قلوبهم منهم فقال الاخوص بن جعفر وسادات بنى عامر الصواب أن تمهلوا
عليهم فى هذا الامر وتنظروا فى عواقبه واعلموا ان دريد على كل حال شيخ القبائل وله فضل على كل حال
على الجحافل والرأى اننا نأخذ عليه الميثاق والعهود ونحن عليه بالاطلاق وعلى ذو الخمار ونكفى
شر بنى حمير وبنى جشم وبنى هوازن ومن لهما من الحلفاء والفرسان قال فبينما هم فى الكلام واذا قد
طلع عليهم غبار وغنام من ناحية أرض العراق فحققوه بنى عامر وبنى عبس فركبوا على صهوات
الخيل العتاق وقد قربوا من ذلك الغبار وحققوه واذا به سائر على مهل فحدقوا اليه بالابصار حتى
بان للنظار واذا تحته أعلام مذهبات ورايات مكتوبات وجنود وازدهارات وهوادج مرتفعات
وفيها جوار حبشيات وروميات وعربيات ومن بين أيديهم المتممات وهم مثل البدور وصبيان
أحسن من اللؤلؤ المنثور وحولهم فرسان مثل الصقور وهم على خيول تسابق الطيور فلما رأوا بنو
عبس هذه الامور فأيقنوا بالافراح والسرور فقال الملك قيس والله هذه الاعلام كسرويه والرايات
عراقيه نعمانيه وان صدقنى حدرى فهذه أختى المتجرده قد أتت زائرة المنا فقال عنتر وحق ذمة
العرب لقد صدقت وهذا الذى تحت الاعلام عمرو بن هند أخو الملك النعمان ثم ترجلوا من على الخيول
وحققوا تلك الاخبار فظهر والهم وتبينوهم فعرفوهم وسعوا لهم على الاقدام وعقدوا المواكب الكبيرة
وتقدم عمرو بن هند وهم أن يترجل فاقسم عليه الملك قيس أنه لا يفعل ثم انه سأله عن الاحوال وعن
أخيه الملك النعمان فقال كما تعهدونه وهو عند الملك كسرى فى أعلا المراتب وهو حاكم على أعلا سادات
العرب وأما أنا فقد أتيت فى خدمته وخدمتك لان أختك شكت اليه شوقها اليكم مرارا عديدة وسألته
فى زيارتكم فأذن لها بذلك وسيرنى بها كما ترى وقد أتيت معها الاجل تقضى حاجتها وتبل شوقها بكم فلما
سمع الملك قيس ذلك شكره وتقدم الى أخته وسلم عليها وأخذ بزمام ناقتها وسار بطلب أبياته وسائر
الفرسان يمشون حوله فى ركابه وركاب عمرو بن هند وقد رفعوا أصواتهم بالافراح قال ولما وصلوا الى
الخيام دخل الملك قيس باخته الى المضارب وأدخلها فى خيمته واجتمع اليها اخوتها يسئلوها عن حالها
وهى تبكى وتبوسهم وتقول لهم ما أنا الا روح الملك النعمان وكل أشغالى تقضى بما أريد وما أنا الا عادمة
رؤيتكم فقال الملك قيس وكذلك نحن أينما نزلنا تكون سيوفنا فى أعلا مكان ولكن والله اشتقنا الى
الاوطان لاننا من حين قتلنا أولاد بدر ما برحنا الا مهجرين فى البر ولولا سؤالك الى الملك النعمان
ما كنا خرجنا من بلاد اليمن ولا شفنا هذه الاطلال والدمن فقالت المتجردة يا قيس ان أرضكم قطعها
الملك لبنى فزاره حتى ترجعوا أنتم من بلاد اليمن وأنا فى هذه النوبة ان رجعت اليه ان شاء الله تعالى
أخليه يصلح بينكم وبين حصن بن حذيفه ويردكم الى دياركم فقال قيس هذا الذى أريد حتى لا نكون
قد خرجنا من تحت طاعته والا فنحن نقدر نقطع بنى فزاره الى الاثر ولا نخلى منهم فى الدنيا بشر ولولا

هيبته ماتركنا لهم ذكر بذكر ثم أخذ اخوته وخرج الى أخ الملك النعمان وترك المتجردة عند النسوان
(قال الراوى) وكان أخوا النعمان قد نزل على العيون والمناهل ومدت له الخيام والسرادقات وكان
الاكل من الدباج الرومى قد خلوا عليه هم والسادات من بنى عامر من بعد ما أمر واعبيدهم يذبحون
النوق والاغنام ويروقوا لهم المدام وفى دون ساعة ضجت الاغانى بالاصوات ودارت الافراح وكان
الملك قيس واخوته عن اليمين وبنى عامر عن الشمال وأراد الامير عنتر أن يجلس فى ذيل المجلس فقام
الملك عمرو اليه وأخذه فى يده وأجلسه عنده فى الجمله ولما دارت أقداح المدام ودار بينهم الكلام قال
عمرو بن هند للملك قيس عجب يا قيس انى قد أتيت اليكم فى هذه المرة وأنتم فى راحة من الحرب فقال
قيس يا ملك ومتى خف عنا كرب الحرب وبقى لنا عشرة أيام مقيمين فى الخيام ثم انه حدثه بما جرى
لهم مع دريد بن الصمه وذو الخمار وما قاسوا فى الحرب الليل والنهار فتعجب من ذلك وقد سمع الحديث
على صحته فقال له والساعة دريد وصهره عندكم فى الاسر والاعتقال فقال له قيس نعم واليوم كنا معوقين
على قتل الاثنين وأنت سعادتك لما أشرفت علينا أشغلتنا عن ذلك فقال عمرو والله يا قيس ما كنتم
معوقين الا على بئس الفعال لانكم لو قتلتم دريد وذو الخمار ما كان يبقى منكم ديار ولا نافخ نار ولا يبقى
لكم فى البر قرار يا قيس أما علمتم ان أمر دريد فى العرب مطاع مثل أخى النعمان لاجل ما قد ربى من
الشجعان وتفضل على الفرسان وحق خالق الشمس والقمر ان بقى عندكم شهرا آخر لا يقدم عليكم
الا كل من ركب قتب وضرب فى الارض طنب والصواب أنكم تحضروه حتى اننا نقيم عليه فعاله
ونصلح بينكم وبينه ونمن عليه بالاطلاق فعندها أمر قيس باحضار دريد فضى شيبوب خلفهم وأحضرهم
قدام عمرو بن هند فلما نظروا الى أخى الملك النعمان خدما ووقفا ثم قال عمرو يا دريد ما هذه الفعال التى
ما تصلح الا للجهال وأنت قد بلغت من الكبر الى هذا الحد ما آن لك أن ترجع عن جهل الصبا وترق
فقال دريد وما الذى فعلت يا ملك هو أنا خرجت عن سنة العرب وأنت تعلم ان بنى عبس لما كانوا
خارجين معك من بلاد اليمن قتلوا أخى عبد الله عند منفرج اللاوا وتركونى أنا طريح بين القتلى ولما
تسببت لى أسباب السلامه خفت من معيرة العرب فى أقطار الفلا فصرت أكشف عارى وأطلب
ثارى فانكسيت عليه عار وأسرت أنا وذو الخمار بعد ما قتلت رجالنا ونهبت أموالنا واخترق جاهنا
غاية الاختراق وبقينا معيرة فى سائر الآفاق فقال عمرو الآن مضى ما مضى وأنت تعلم يا سيد
هوازن ان الملك العادل كسرى ما ترك أخى مقدم على قبائل العرب الا حتى يصلح فسادها ولكن أشتهى
منكم أن لا تشغلوا خاطره ولا تتعبوا سرائره بل تحلفون بعضكم بعض وتطلبون طريق السلامه
وتقبلون سؤالى وأنا أكتم عنكم ما جرى ولا أخبر أخى بذلك ولا أترك عليكم عتب ولا لوم لانك تعلم يا دريد
ان بنى عبس اليوم أعز الناس عليه فيجب عليك أن تحترمه وتحفظ جاهه وتعاونه فى اصلاح القبائل
ولا تتبع رأيك الجاهل فقال يا مولاى لو أمرتنى أرعى جمال بنى عبس رعيتها اكراما لك ولاخيك
الملك النعمان ثم انه تقدم الى الملك قيس وعانقه وأخذ يده على الصلح وعاد الى عنتر ليفعل معه كذلك
فقام الامير عنتر اليه وقبل صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وأما ذو الخمار فانه قال لا أصالح عنتر حتى
انه يبارزنى بين يديك ويجول معى ساعة من النهار ولا يفارقنى حتى يقر أحدنا لصاحبه بالغلبه وتشهدون
أنتم للغالب بعلو المنزله ولا أمضى الى أهلى وفى قلبى حسره لانه لو ما علم بما كان فى تقصير بحرتى وضعفها
ما كان بلغ منى ما حب وما اختار وهذا أمر قد خطر ببالى واشتهى أن أحققه عند الانصاف حتى لا يبقى
لى عند العرب خلاف فلما سمع عمرو من ذو الخمار ذلك الكلام علم أنه جبار لا يصطلى له بنار وخاف
أن تزيد الاحقاد بينه وبين عنتر بن شداد فقال يا سبيع نحن قصدنا اصلاح الحال وما قصدنا عودة

الشر والكفاح فقال ذو الخمار والله يا ملك ان هذا القول ما قلته على سبيل البغي ولكن أنا أبين لك قصدي بهذا الكلام وهو انني في هذا العام كنت معول على الحج الى بيت الله الحرام وأعلق لي قصيدة من شعري حتى تسجر لها ملوك الاقطار ويعلو بها قدري عند سادات العرب والآن فقد أصبحت مأسور وما بقيت أعتمد على أمر من الامور الاان أقهرت هذا الجبار وتشهد لي العرب بعلو المرتبة والاقتدار فعندها قام عنتر على قدميه والغضب قد غلب عليه وقال والله يا سبيع ما أنت الا فارس مليح الاوصاف ولولا انك أوحد الزمان ما تعدى الحرب بسبعة آلاف من الفرسان ولكن يا وجه العرب ان السعادات لها أوقات وان اشتهيت أن تبارزني على سبيل الاختبار أنا أبلغك ما تحب وما تختار ولكن في غداة غد يكون من أقبال النهار حتى لا يتنغص على هؤلاء السادات وما أبرزلك وجه اه رأس هذا الملك الاورمحي خالي من السنان وما أبرز اليك الا وأنا عريان من الزرد وتشهد علينا الفرسان وان دمي لك حلال ودمك علي حرام قال فلما سمع الحاضرون كلام عنتر تعجبوا منه وقالوا ان هذا والله أمر عظيم وما حكم به أحد من فرسان العرب على نفسه لان قليل من يطلب قتل خصمه والآخر يطلب بقاه هذا وذو الخمار قد التهبت أحشاه بنار لانه من حين ركب جواده ما أسر ولا جرى عليه مثل هذه النوبة ولا قهر ولما رأى الجماعة تعجبوا من قول عنتر قال يا سادات العرب أما هذا الشرط الذي شرطه على نفسه ما أقبله ولا أدخل تحته ولا أريده ولم يخرج الى الا وهو كامل العده ويكون في رؤس الرماح خرقه مغموسه بالزعفران ومن وجد في صاحبه مقتل طعنه فيه وعلم عليه واذا افترقنا نتقدم الفرسان وتعدا الطعان وتبصر مواضعها في الاعضاء وتحكم للمغلوب والغالب على قدر الطعن الصائب وان حكم على نفسه وطلب الانصاف فالبيرزعلى جواد خلاف جواده الابجر ويركب على الخيول المجهوله مثل ما أركب حتى لا يبقى عليه صحة ولا كلام لانكم تعلمون ان الخيل اذا ألفت فرسانها وعرفت مواقع طعانها هانت في ميدانها واطاعتها على الانقلاب والالتفات وساعدتها وقت المقابضة بالقناة فلما ان سمع الحاضرون كلام سبيع عرفوا معناه فأجابه عنتر الى ما قال وانفصلوا على مثل ذلك الكلام فقال أخو النعمان نحن غدا نجعل شرابنا على الغدير العظيم وتكون فرجتنا على براز هذين الفارسين ولا نعود الى المضارب حتى نشهد على المغلوب ونخلع على الغالب ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من انتهاب اللذات وشرب الاقداح الدائرات ودريد يحدثهم بحديث الملوك القدما وينشدهم اشعار الفصحا والحكما حتى دارت في رؤسهم نشوة المدام وكان أول من انصرف ذو الخمار وقد سكر من الغيظ أكثر مما سكر من العقار لاجل عزة نفسه ونخوته فمضى الى المضارب التي كانت خليت لدريد بن الصمه ونقل لهم ما يحتاجون اليه ودخل عليهم الظلام وفرق الكاس شمل الناس وما فيهم من انصرف الا وهو يحدث على قدر سكره بما يريد يجري عند الصباح بين عنتر وسبيع بن الحارث وكان عنتر قد مضى مع أبيه وعامر بن الطفيل وهو لا يصدق أنه يرى وجه عبلة ويحظى منها بالوصال والذي جرى من أمر البراز والقتال لم يخطر له على بال

(قال الراوي) وكان عند الصباح جلس الملك عمرو بن هند وسادات العرب والمقدمين للسلام وذكروا ما جرى بينهم في السكر من الكلام قال واذا بعنتر قد أقبل وهو على حجرة صفراء صلبة العصب والعظام وبيده رمح بلا سنان وعلى جسده ثوب خام قصير الاكمام وهو مكشوف الرأس حافي الاقدام فلما وصل الى الباب ترجل وسلم عدته الى أخيه ودخل وسلم على الملك والموت يلوح من بين عينيه ولما ان سلم وقف مع جملة القيام وسأل عن خصمه ذو الخمار فقالوا له يا أبا الفوارس ايش هذا الاحتقار أما تخاف من ذو الخمار فقال لا والله يا بني الكرام ولا خطر كلامه لي على بال ولا بد ما أخليه فضيحة بين الرجال قال فبينما هم في الكلام واذا بدريد بن الصمه داخل عليهم فسلم وخدم فقام له كل من كان حضر فأجلسه

فأجلسه أخو النعمان الى جانبه فلما استقر به الجلوس سألوه عن ذوالخمار وعن مبيته وسكره فقال ياسادات العرب ان أحوال الزمان عجيبه ومايحق لاحد أن يتكلم فى أعجاب السعاده ولايطلب مالايقدر عليه الا أصحاب المشيئة والارادة بل نخضع للصورة المسعودة ولو انها من الحجر منحوته و يبصران قضى عليه القضاوالقدر وأنا من اليوم أريد ان أجعل عنترعضوا وسندا وأتخذ بنى عبس ذخرا ومعتمدا فقال له عمرو كيف ذلك ياأبا النظر وما الذى قد لاح لك من البرهان فقال يامولاى ان ذوالخمار قد أصبح فى حالة العدم وهو يتنغص فى جورأم ملدم وقد خلته مدثرمزمل لايعقل على من غاب ولامن حضر وأما قوله عن أم ملدم فهى الحمى الصلبه وأما قوله مدثرمزمل لقوله صلى الله عليه وسلم عن المجاهدين زملوهم فى ثيابهم يعنى لفوهم فيها وادفنوهم والحق سبحانه وتعالى خاطبه بالمزمل فلما سمع الحاضرون ذلك تعجبوا من هذا الامر فقال عمرو بن هند ياقوم ماهذا من سعادته وحده بل لنا كلنا فى ذلك الحظ الاوفر لاننا قد استجرنا من اللجاج وحفظ هذين السيدين الضاربين لانهم ما كانوا لم ينفصلوا بخير وسلام ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من شرب الراح واغتنام اللذات الى أن انقضى من النهار ساعات وبعد ذلك أحضر أخو النعمان الخلع التى كانت وصلت معه من عند أخيه الملك النعمان فخلع على الملوك والامراء والفرسان ومافيهم الامن راح وهو يسحب أذيال الحرير والديباج ومال سكرا وابتهاج وكان عنتر قد أتى وعليه ثوب خام فعاد وعليه خلعة من ملابس الملك النعمان كلها مكتوبة بالذهب الوهاج وعلى رأسه عمامة كبيرة خضرا كأنها من رياض الجنة وكذلك كانت حلة دريد بن الصمه لان عمرو طلب بذلك جبر قلبه وبعد ذلك بقيت الدعوات والولائم فى خيام الملوك وتساوى فيها الغنى والصعلوك تمام عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب دريد الرواح والانصراف ثم قال لعمرو بن هند يامولاى قد ثقل ذوالخمار فى مرضه والصواب أحمله الى قومه وأقصد بذلك التخفيف عن قلوبكم على ان لى فى ذلك الفائدة العظمى الكبرى لان خبرى ان غاب عن قومى جمع أخى خالد القبائل وأزعج العرب وطلب خلاصى ومابقى فى الامر غير المسير فلما سمع عمرو كلامه استصوب فعاله وسائر من حضر فعند ذلك رد عليه الملك قيس ما كان نهب من الخيام والمال والخيل والرجال وسيره وهو شاكر وخدم عمرو بن هند أخو الملك النعمان تمام العشرين يوم تمام وبعد ذلك قال عمرو اعلم ياملك ان أخى النعمان ما أمرنا أن نقيم أكثر من عشرة أيام فنحن قد أقمنا عندكم عشرين يوم ولابقى لنا مقام ولابد من المسير فى هذه الايام فودع أختك واوصيها بما تريد وجهزها حتى أعود بها على بعلها لانك تعلم انه مايقدر يصبر عنها فقال قيس سمعا وطاعة ثم انه أخذ فى تجهيزها وكانت هى قد أخذت من الزيارة وطرها وأغنت نسوان الحى من الخلع والهدايا وجددت بانزالها العهود فلما أخبرها أخوها قيس بما سمع من عمرو قالت والله ياأخى صدق ومابقيت أقدر على هذا المقام عندكم ثم انه جهزها فى ثلاثة أيام وخرجت الى الخيام الذى قاعد فيها عمرو بن هند وسارت فى اليوم الرابع وقد سار معها كل من كان فى الاحياء ولم يبق فى الخيام غير النسوان ذلك اليوم الثانى وفى اليوم الثالث ردهم الملك عمرو بن هند وحلف عليهم وودعهم وعادوا الى الابيات وانجلت لهم الاوقات ووقعت هيبتهم فى قلوب السادات وكان مقرى الوحش قد برئ من جراحه ومرضه وفرح به عنتر الفرح الشديد وصار يقضى معه الاوقات فى الخلوات وشرب المدام الى أن عادوا فى الصحبة كما كانوا ثم ان عنتر صار مواظب الشرب على المروج والغدران مدة من الزمان وكان يخرج ومعه عامر بن الطفيل وجماعة من الفرسان فجرى بينهم حديث ذوالخمار وماقاسوا منه فقال عنتر يابنى عمى ماهو الافارس همام لايوجد مثله فى الانام وماسار الاوقد ترك فى قلبى نار وكلام فقال له ياأبا الفوارس وماهذه

النار والكلام ابديه لنا ولا تخفيه فقال لهم ان ذوالخمار لما كان بحضرة أخي الملك النعمان والملك قيس والفرسان فقال لهم ان قيسا أسرى له في ذلك العام كان أراد أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويترك سادات العرب يسجدوا لها فزعا من رمحه والحسام وها أنا أقدر منه عليها ولا بذلي ما أبذل روحي فيها وأترك لبني عبس شرفا يبقى من بعدي فقال مقرى الوحش والله يا ابن العم ما أنت الا قد وعدت على تعبنا الى مطلع الشمس وتحرم أحدا يقول أنا من بني عبس وتجلب لنا فرسان العرب من بعدها ومن اقترب ومن سائر البراري والقيعان وتترك المنادي ينادي في ديارنا بالقلعان والله يا فارس الزمان ان هذا الامر ما يقدر عليه الملك النعمان ولا كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ولو استعان بملوك عبدة الصلبان فقال له عنتر قصدك تكسر أغراضي فوحق من ركب الارواح في الابدان وجعل الارض ميدان وسمى نفسه بالرحيم الرحمن لابد أن أبلغ هذه المنزله ان ساعدني الملك الديان وخالق الانس والجان وان قتلت ونفذت في سهام الحمام فلا عتب على الايام لاني ما أظن أحدا قبلي قد خلد من الانام ولا ترك الموت شيخ ولا غلام قال فلما سمع عامر بن الطفيل هذا الكلام ظن أنه سكران ولم يعبأ على انسان فغمز مقرى الوحش وقال بالله عليكم يا وجوه العرب دعونا الساعة من هذا الكلام وديروا علينا أقداح المدام لان هذا حديث ما يجلب لنا منه مسره وما هو الا هم ومضره ولا يمكننا أن نعزم على هذا السبب حتى نشاور عليه ملوك العرب والا كانت آثارنا تنقلع عن آخرهم وتزعق في ديارنا الغربان ثم انهم أخذوا في شرب المدام وتحدثوا في عنتر بهذا الكلام قال وكان عروة بن الورد قد قدم من وليمة الربيع بن زياد ورآهم مجتمعين كما ذكرنا على المدام وجرى بينهم ذلك الكلام كما وصفنا فقال له عنتر يا أخي أوحشتنا في هذه الايام فأين كانت غيبتك يا ابن الكرام فقال عروة يا أبا الفوارس كنت في دعوة الربيع بن زياد ويا ليتني ما كنت حضرت دعوته فقال له ولم ذلك فقال له أنت تعلم أنه كثير اللجاج من دون الانام وقد جرى بيني وبينه مخاصمة وهي من أجلك فقال له عنتر ولم ذلك فقال له وقع بيننا كلام في الشعر والنظام فقلت له يا ربيع ما يوجد اليوم في بني عبس وعدنان أفصح من عنتر لسان ولا أقوى منه جنان ولا أبطش بنان فعند ذلك قال الربيع يا ابن الورد أنا عملت قصيدة زهريه لا يقدر ولد شداد ولا غيره من فصحاء الزمان يقول منها بيتا أو بيتين وها أنا أنشدك اياها فاسمعها مني وانشدها واظهرها عني ولا تخفيها ثم انه أنشد يقول

قدم الربيع بزهرة المتسلسل * والغيث بين مروجه متجدول
وعلى الرياض من الزمرد خلعة * أطرافها رقمت بأنواع الحلى
من أبيض في أصفر ومعصفر * متعقر في أزرق متجلجل *
والطير يشجع في الاراك مغردا * والغصن يرقص حين غنا البلبل
وتصفق الاوراق في أدواجها * بسمارها والشر فيها ينجل
فانهض الى الراح القديم مبادرا * ودع العزول مع العزول بمعزل
فالعمر أيسر ما يكون وينقضي * وبمج أعضائك البلا بالمفصل
أما الجبان يموت بين غوانيا * وكواعبا يندبنه في المنزل
وأما الشجاع يموت فوق ضوامر * تحت السيوف مع ازدحام القسطل
فانهب زمانك اذ يكون موالیا * ما بين ندمان وبدر مكمل
وأنا الربيع أخو عمارة في الوغا * ابن الاكارم والاناس الفضل

قال

(قال الراوى) ولما فرغ عروة بن الورد من انشاد زهرية الربيع بن زياد قال عنتر هذه القصيدة التى لا يقدر أحد يعمل منها بيتا أو بيتين ولا ينظر شكلها ولكن اسمع منى على البادية ما سمح به الخاطر وما تبديه السرائر وما كنت به الضمائر فى وقتنا هذا الحاضر قصيدة مثلها أصحاب الفضائل بالمعلقة على البيت الحرام ولا ينال أحد عبرى هذه الطبقة من سائر الانام ثم ان عنتر ترنم وجعل ينشد ويقول

قم واسقنى وانهب رحيق السلسل * واشرب ولا تجفل بقول العزل * لاغروان راض الربيع رياضها
قبل اقتنائها اجليت بانواع الحلل * والروض بين تألف وتهتف * وتعطف وتصرف وتململ
بمخضر فى أصفر ومعصفر * ومعنبر ومكوفر ومصندل * ومفضض ومذهب ومكتب
ومقمع ومرصع ومحلل * والجو بين مغلس ومعبس * وتنزل وتبرقى وتسلسل
والطير بين مغرد ومعزم * وترنم وترخم وتجلل * والزهر بين مفتح ومطرح
ومفلج وملوج لم يكمل * ما بين منشور كثوب معلم * لكنه بيد امرئ لم يعمل
والورد بين مبهج ومفرج * ومتوج ومرهج ومكلل * يزهو باحمر كالعقيق وأصفر
كالزعفران وأبيض كالسنبل * غصن النبات بديعة ألوانه * أحكمته ألوان السحاب المهطل
وبنفسج يحكى اذا عاينته * آثار قرص فى ذراع ممثل * والنرجس يحكى العيون اذا رأت
أجفانها لكنها لم تكحل * وكأن مبيض الاقاح ثغور من * يزهو على حسنه المتذلل
وكأنما الشيح الزكى نسيمه * يحيى النفوس اذا جرى فى شمل * وكأنما شجر النخيل عرائسا
يجلون فى حلل الشعور السبل * وكأنما النارنج فى أغصانه * حضر المطير فى حريق يشعل
وكأنما جرى المياه اذا بدت * من جدول وتحدرت فى جدول * حيات فرت خفن من مستطلب
يسعين سعى الخائف المستعجل * والروض بين أوانس وعرائس * ومنافس بمذهب ومثقل
بادر الى خلس الزمان لانها * فرص وان الدهر ليس بمقبل * والزم لها ذا واجسرن له
واقبل اليه اقبال دهر مقبل * هذا هو العيش الذى ما مثله * فى دهرنا ولا الزمان الاول

وأنا ابن شداد واسمى عنتر * فوق الثريا قد علوت بمنزل

ولقد وقعت على دواوين المتقدمين والمتأخرين وجميع النظام ما سمعت ولا رأيت أعظم ولا أحسن من هذا الكلام ولما سمعت الحضار هذه الزهرية من عنتر بن شداد فما منهم الا من تحير من فصاحته ثم انهم أثنوا عليه بكل لسان وتمايلت الحضار طربا واهتزت عجبا وقال عامر بن الطفيل لعنتر لا رد الله فاك ولا كان من يشنأك فما أفصح لسانك وأقوى جنانك وحق ذمة العرب لقد شوقتنى الى الشعر والنظام وقد اشتهيت ان أعارض الربيع فى الكلام فأنشد يقول

راق الربيع لنا باحسن منظر * والنرجس الغض الرطيب كناظرى * والغيم باك والزهور تبسمت
والوقت صاف لم يكن متعكرى * وكذا بكاء السحب فيها قد حكت * تخرج لنا زهر الرياض العبقرى
فانظر اليه مجيب ومكتب * ومعشب ومذهب ومجوهرى * من أزرق ومخفق ذو رونق
وشقائق وحدائق ومعطرى * مع أصفر وأحمر متعصفر * فى أصفر ومدور ومنثرى
وكذلك العصفور فوق غصونها * تبدى فصاحة راهب فى منبرى * وكذا الهزار مرقيا ومسبحا
ومقدسا ومهللا ومكبرى * والغصن ساجد والزهار راكع * صنعة اله قادر ومقدرى
والروض جامع الازهار ببسطه * وقناديل الاترج فيه تنورى * والكاس دائر والحبيب منادمى
والدهر طوعى والزمان مدثرى * فاذا شربنا الخمر فى كاساتها * يبدو لها حب ودر جوهرى
بكرا شموسا عتقت فى دنها * عذرا عوان لم يلبها مكبرى * فكأنها شمس وبدر كاسها

قد خالط الجوزا يريد المشترى * ها حضرة الانس التى تسمع بها * فاشرب وامل وزيل تكدرى
بيع القفا واشترى العقار تكرما * لاخير فى مال يكون مكدرى * واجلى لنا بنت القسوس ورقها
فى الروض بين منظم ومنثرى * فالكاس قد راق اشتياقا لاجلها * وبقى عليلا مثل عود أصفرى
والشمع يحكى عاشقا آلم قلبه * نار الهوى خليت ولا تتفجرى * هذا هو العيش الذى ما مثله
والزهر راق لم يكون معكر * فاشرب بكاسات السرور مبادرا * فالدهر لا يبقى وجل مغير

(قال الراوى) فلما ان فرغ عامر بن الطفيل من شعره تمايلت الفرسان طربا واهتزت عجبا وقال له عروة بن الورد والله يا اخى لقد شوقتنى أن أعارض الربيع فى أقواله وأتبع منك مقالك لانى أنا من بعض رجالك وقد أردت أن أقول شيأ خطر ببالى ثم أنشد وجعل يقول

راق الربيع وأشرقت أنواره * والعبقرى تفتحت أزهاره * والغيث هامل ثم هامى أدمع
والارض انبهجت بطيب مراره * وأبدت لنا من سوسن وشقائق * وقرنفل و بنفسج وبهاره
وكذلك اللمام لم يعطره * والورد مايس والنسيم دثاره * والنرجس الدبلان يحكى عاشقا
مضعف حزين قد علاه صفاره * قد نظم النسرين معه نوفر * وكذلك المنثور أبدى بشاره
والدوح بين معبق ومغبق * ومطرق متسقر وزاره * وكانما السرو الطوال اذا زهت
وتمايلت فى سندس وخماره * يشبهن هيفا للنود اذ بدت * مياسة ميالة بشعاره
وكذلك الاترنج فوق غصونه * يحكى مشاعل ركب فى أنواره * وكذلك الغدران فى جريانها
أحناش كل طالب أوكاره * فانهض الى هذا الرياض غمرة * سحر وبرد عن فؤادك ناره
وانهب زمانك لا تقول الى غدا * واسمع أديبا قد نظم أشعاره
فالدهر لا يبقى بحال واحد * يصفى ويحدث بعد ذلك مراره

(قال الراوى) فلما ان فرغ عروة بن الورد من شعره ونظمه فقال مقرى الوحش وأنا الآخر أعارض الربيع بن زياد وأما أبو الفوارس عنترة فان ما فى عصره من يلفظ بافظة من كلامه ولا يضاهيه فى شعره ولا فى نظامه فعندها قال عنتر يا فارس النياق ما أنا الا عبدك ولهؤلاء الشجعان وأريد أن أسمع منك ما قد خطر ببالك حتى انى أتبع مقالك فقال مقرى الوحش أنا ما قلت الا أن أعارض الربيع بن زياد لانه لى ولك من جملة الاعداء والحساد فقال الامير عنترة هات ما عندك فها أنا الا من بعض غلمانك وجندك فشكره مقرى الوحش وأثنى عليه و بعد ذلك جعل مقرى الوحش ينشد وجعل يقول

الغيم يبكى فى السماء ويهطل * بدامع تنهل من قطار الندى * والزهر باسم فى الرياض كأنه
بسط يحاكى لونهن زبرجدى * صنعة اله العرش جل جلاله * رب لطيف واحد منفردى
وكذا تكون الشمس عند طلوعها * يبقى ضياها أحمر متوقدى * ومفضض ومذهب ومدثرى
و بجوهر ومعبقر ومورد * والآس بين شقائق وحدائق * والغصن بين موشح ومقلدى
والطير بين مسبح ومقدس * وتهال وتكبر وتمجدى * والماء بين ترقرق وتدفق
وتهرج وتسلسل وتجيدى * والدوح يرقص والنسيم مشيب * والنهر صفق فى الجروف تقررى
والورد يحكى فى الغصون محاجر * نارعلى ماء الحيا لم تخمدى * والياسمين مفتح ومغلق
يحكى به عقول الحسدى * وكذلك الزهر أصبح باسما * فى ثغره سيرا برائحة الندى
والاقحوان بقوسه و بسيفه * يلمع ولم يقطع بحد مهندى * والنوفر أصبح غارقا فى نهره
واصفر خوفا كاد ان لا يهتدى * وانشق ظهر بنفسج عطراله * حتى الشقيق شق اثياب تعمد
والنرجس العطشان أصبح عائلا * يشبه حزين مفارق لا يهتدى * والآس وسوسان حين نراهم

ما

ما بينهم شئ يعاب من الردى * فى جامع الازهار شبه قنادل * تشعل لنا نارا للهيب توقدى
وأما الهزار مسبح ومؤذن * من فوق رأس الدوح بالصوت الندى * والطير يخطب والغصون منابر
وسائر الاثمار منهم سجدى * من بعد هذا قد رأيت عجائبا * الصبح يطرد للظلام الاسود
وذلك صنع الله جل جلاله * قد اتقن الاشيا بما لم تهتدى * خلق الخلائق ثم قدر رزقهم
رب تعالى واحد متمجدى * أجرى الامور بحكمه فى خلقه * من ذا يعارض حكمه أو يعتدى
خلق العباد مخالفا ألوانهم * بيض وحمر منهم وسود * فيهم غنى حاله متيسر
يصبح ويمسى فى نعائم سرمدى * ولمن أراد لفقره لا مسعد * يغنيه منه سوى الاله الواحد
يشقى ويسعد من يريد بفضله * يعطى ويمنع واحد لا يجحد * قسم المعايش بينهم من عدله
وكذا خزائن رزقه لا تنفدى * يقبض ويبسط ثم يرفع واطيا * يدنى ويجعل من يشا متباعد
فانظر لحكم الله فى أحكامه * جل الاله الواحد المتفرد * لا رب غيره نعبده سبحانه
تبا لعبد جاحد أو ملحد * لا خالقا للناس غير الهنا * فتبارك الله العظيم الواحد

وأنا بقرى الوحش اسمى فى الورى * لكن بعنتر سرت انى مهتدى

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره ونظامه قال له عنتر لا رد الله فاك ولا كان من يشناك يا فارس النياق ومطير الاحداق ولكن أنا قد خطر ببالى انى أقول فى حضرتكم هذه الساعة شئ من الابيات قد خطرت بقلبى حتى تسمعها هؤلاء السادات فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس ويازين المجالس هات ما عندك من الشعر والنظام فعند ذلك أنشد عنتر يقول

أترى ظلام جفاكم يتشعشع * وضياء بحر رضاكم يتقنع * فلقد اضاء الهجر منكم مهجتى
فمتى أرى التواصل قد ارتاع * ومتى أرى شمس الوصال منيرة * فى برج سعدى والكواكب تلمع
ومتى أرى ذاك الجمال مشاهدا * لا راح ياسترا ولا متبرقع * واكرر النظرات فى روض البها
وأنا باول نظرة لا أقنع * وأقول للعزال موتوا حسرة * هذا الحبيب وها أنا المتمتع
خجلت الحساد رؤية عبلة * فى غفلة الرقبا وطى المرتع * والروض بين مبيض ومخضر
ومحمر ومصفر يتشعشع * والشيح والمنسور ثم بنفسج * ثم الخزام تمدهن الزعزع
والسوسان بين مفضض ومذهب * ومصبغ ومجوهر ومخدع * والطير بين مترجم ومرنم
وموضح ومحسن ومشجع * والدر والقمرى فى أغصانها * ولهن فى تلحينهن تخضع
وكذلك الكبروان يشجو وسوطه * ويهز فوق دماغه ويشيع * يسمع لها سحرا سماعا مطربا
هذا يترجم ثم ذاك يجمجم * والعيش فيها والحبيب منادمى * والكاس مترع والهنا يتردع
والوقت صافى والمدام يديره * بكراعر وسايجتليها الاروع * ماحازها كاس ولا علق بها
فى يد عصار ولا يتصنع * بل عمرها من منذ ألست بربكم * وأنا بها لخطبتى أتشفع
ياصاحبى ان ترد أن تحظى بها * فتذل طوعا للحبيب وتخضع * ما منهما أمرى وقوة صفوتى
لا شك كنت بعبلة متولع * وبعت نومى واشتريت شهوتى * ياخيبة الشارى وفرح البائع

(قال الراوى) فلما ان فرغ عنتر من هذه الابيات حتى تمايلت السادات وزادت الناس خمرا على خمورهم وتحيروا من هذه المقالات والصفات وهذه الفصاحة والبلاغة وتعجبوا من حيرتهم فى أمورهم ثم قال مقرى الوحش زادك الله فصاحة وشجاعة وبراعة يا أبا الفوارس وقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ويازين المجالس مابقى أحد يقدر يسبقك الى هذه الفصاحة والمعانى فعندها قال عنتر يا أبا الابيض فمن يكون هذا المقال مقاله وهذا القتال قتاله مايصلح أن يعلق له قصيدة على البيت

الحرام ويفتخر بها على الخاص والعام فعندها قال عروة لابد ان كان لك فى الغيب آمال لابد أن تلحق بأصحاب المنازل العوال والفصحاء من العرب والاقيال قال فبينما هم فى الكلام والشرب واللهو والطرب اذ أقبل عليهم رجل من صدر البر وهو طالب الخيام وعلى كتفه حقيبة من الطيب وهو يهمز من تحتها كهمزات الغزال فقال مقرى الوحش وقد طلب بذلك أن يشغل الوقت بشئ مما هم فيه فقال ياشيبوب ائتنا بهذا الحدار حتى نقضى معه باقى النهار ونسأله عن مالاقى من العجائب والغرائب عند دورانه فى الاقطار فقال عنتر والله يا ابن العم لقد أصبت ونلت الآمال فيما ذكرت بيننا من المقال فعقلاء العرب تستعمل المقال عقب الفعال ائتنا به ياشيبوب قال فانطلق شيبوب مثل شعلة النار وقد أتى ومعه الحدار فلما نظر الرجل الى ارتفاع القباب وكاسات المدام تدور أيقن بالتحير وأرمى الحقيبة من على أكتافه وخدم وسلم وقال جعل الله أيامكم كلها أعيادا ومواسم وحمام السحاب تمطر عليكم سرورا دائما لانكم فى أوقات الحظ والاغتنام فاذا رآها العاقل سعى اليها وتقدم فابقاكم الله بالفرح والارواح وأنزل على دياركم الفلاح والنجاح وعلى دياراعداكم الاتراح ثم أشار ينشد يقول

ولازال النعيم لكم قديما * يخبركم بكاسات الخمور
فهذا يابنى السادات وقت * يسلى صاحب النعم الكثير
فهموا واقطعوا عيشا هنيا * ولذوا واسمعوا قول المشير
لقد ذل الزمان لكم قديما * بخيل تشتهى ذات الشهور
فان أعطيتم الايام مالا * فلا تشروا بها غير السرور
فكل فتى يرضى غنيا * يعيش بماله عيش الفقير
وعند الموت يلقى شر بؤس * ويسكن وسط نار السعير
فان أعطى وصدق واتقى الله * فيا بشراه فى يوم النشور
والله يخفف و زرظهره * ويرقا فى الجنان اعلى القصور

(قال الراوى) فلما فرغ الحدار من شعره وهذه الابيات تعجب الحاضرون من كلامه وحسن نظامه فقال له عنتر ان هذه مقالة بالغة تحث العاقل على نهب عمره قبل فناه وتهون عليه بذل جميع ما ادخره وحواه فى دنياه ثم انه أمر الحدار بالجلوس فجلس وأتى له بما أكل وشرب ودارت عليه أقداح المدام وبعد ذلك أقبل عليه الامير عنتر وقال له من أين طريقك هذا يافتى فقال له الحدار من مكة يامولاى فقال له عنتر هناك مقامك فقال لا والله يامولاى ولا أقمت هناك الا خمسة أيام بقدر ما اشتريت الحصان وخرجت أدور حلل العرب كما ترى فقال له عنتر وما الذى رأيت فى أسفارك من العجائب فقال والله يامولاى قد رأيت فى الكعبة كل ما جرى للانام ورأيت كل عجيبة مع الاصنام التى على البيت الحرام فقالوا الجماعة وقد صغوا الى كلامه بالله عليك ياوجه العرب حدثنا بهذا السبب وابشر بنيل الارب و بلوغ الطلب بلا تعب ولا نصب فعندها قال الحدار اعلموا ياسادات العرب انى فى هذه الخمسة أيام التى أقمت فيهم فى البيت الحرام عبرت ذات يوم الى الكعبة وأردت بذلك الفرجه فرأيت قصايد ملوك العرب التى هى على البيت الحرام وعبد المطلب جالس على العرنوس الذى يعظ الناس عليه وقد جمع أهل الحرم اليه ومعهم من الفرسان خلق كثير لا يقع عليهم عيار وهو يعظهم ويخوفهم من شدة هذه الاعوام ويقول يامعشر العربان اصدقوا فى الكلام واحفظوا الزمام واطعموا الطعام واحسنوا الى الارامل والايتام ففى هذا العام يظهر الرجل الذى يرمى الاصنام ويعظم قدر البيت الحرام ويجلى عن أبصاركم الظلام وينزل عليه من السماء كلام تعجز عنه الافهام وينشق له البدر اتمام بأمر صاحب الاحكام ويبين لكم الحلال من الحرام ويوضح لكم الحق من الباطل بالمعجزات والدلائل فاجتنبوا الكذب والنميمة وراقبوا صاحب القدرة العظيمة لعل هذا الرجل يراكم وانتم على الطريقة المستقيمة فيسكن هذه الديار ويتخذكم له أنصار ويذل بكم أهل الامصار وتنقلبون

الى

الى مقلب القلوب والابصار (قال الراوى) ومازال الحدار يحدث عنتر وأصحابه بهذا الكلام حتى اشتغل القوم عن شرب المدام ومافيهم الامن قال هذا الحديث قد سمعته مرارا عديدة وتواترت به الاخبار وكنا نشتهى على الله أن يمدنا بالاعمار حتى يبعث هذا الرجل ونراه وننصره على من عاداه فقال الحدار ياسادات العرب وما هذا الامر الا قد اقترب وفى أثره تطلع شمسه وأنا أحدثكم بأعجب من هذا الحديث وأغرب لانى قد سمعت هذا الكلام من عبد المطلب وقد اشتغل خاطرى وبت وهو فى ضمائرى فرأيت فى المنام وهو كأنى واقف قدام الهبل وهو الصنم الاكبر الذى على الركن اليمانى وكانى سألته عن هذا الرجل الروحانى وقلت له يامولاى متى يكون ظهوره وفى أى مكان ينتظم سروره فقال لى اذا أينعت نخلات يثرب ووقع الجوع والغلاء فى بلاد المغرب وانشق ايوان كسرى وخرب ووقعت الوقعة العظمى وعلق قصيدته فارس بنى عبس الادهم وأجل سفك الدماء فى الحرم وذلت له رقاب الفرسان من العرب والعجم وأتته الهدايا من ملوك اليمن وانتصرت أهل صنعاء وعدن وكثرت فى الارض الوقائع والفتن وهنالك تطلع شمس النبوة من هذه الشعاب وتلمع أعلام الحقيقة على رؤس التلال والهضاب وبيان الخطأ من الصواب ويصير للحقيقة انصار وأصحاب وتتمنى المشايخ أن يعودوا شباب حتى يكثروا من العبادة لرب الارباب ويسألوه الرحمة يوم العرض والحساب ثم قال الحدار وبعد ذلك انتبهت من منامى مرعوب والى الآن من أجله مكروب وأريد أن أعرف أين نزل بنو عبس من حين خرجوا من بلاد اليمن لاجل أن أقصد فارسهم الذى يسمى بعنتر وأحدثه بما سمعت فى حقه من هذا الامر المعتبر الذى يصير له به الشرف العظيم ويفتخر بذكره بين زمزم والحطيم قال ولما فرغ الحدار من كلامه غشى على عنتر وكل من حضر وقالوا ان هذه القصة ينبغى أن تنشر وتسطر على أوراق الشجر لانها عبرة لمن اعتبر وقوى عنتر على تعليق القصيدة وفرح بذلك المنام واستبشر وقال للحدار ما اسمك ياوجه العرب فقال اسمى جابر ياموالاى، فقال له عنتر ابشر ياجابر بغناك وبلوغ منك لان وجهك وجه مبارك وما أنا الا فى انتظارك لاننا فى مثل هذا كنا نتحدث قبل وصولك الينا وما ساقك الله الا لبلوغ مأمولك واذا هو بفارس عبس الادهم والليث الغضنفر والاسد الضيغم قال له لابد فى هذا العام أن أسير الى البيت الحرام وأعلق عليه بعض قصائدى التى ذكرها الهبل الاعلى وأخبر بها وأترك العرب تصلى لها فى كل عام (قال الراوى) فلما سمع الحدار مقال عنتر قام وخدم وقال يالها من طريق ما أجودها ومن ساعة ما أسعدها والله ياموالاى لقد حسبت هذا الحساب وقلت ان اتفق لنا هذا الاتفاق بان هو الصواب وأريد من اليوم أن تجعلنى لك غلام وتتخذنى لك من بعض الخدام الى أن ينقضى ما فى هذا العام ونحج الى بيت الله الحرام وأسير وأبصر صحة هذا المنام فاذا انتصرت على من تشاء وبلغت آمالك انعم على بشئ أرجع به الى الاولاد والاحباب فقال عنتر وحق ذمة العرب لاجعلنك من اليوم فى منزلة أخى شيبوب المهذب وكذا أنت المحكم فيه الى أن تبلغ المقصود والمطلوب وترى ما أفعل فى حقك انزل عنك الكروب لانى أعلم أن رب السما قد ساقك لاجل سعادتك وعلو قدرك ورفعتك ثم عادوا الى ما كانوا عليه من اللهو والطرب وقد أركب عنتر للحدار جنيبا من جنائبه وعند الصباح عادوا الى الاحياء ثم انه خلع على الحدار خلعا سنيه وأمر شيبوبا أن يكرمه ويخدمه للغاية ويزيد فى اكرامه ويقضى أشغاله بالكليه وشاع الخبر فى بنى عبس وكثر الكلام فى العرب فكان المحبون لعنتر يقولون لابد لنا والله من مساعدته على ما يريد أن يفعله وأما المبغضون فيقولون والله ما هذا العبد الا قد تجبر وقد دنا أجله وأما بنى زياد فقد زاد بهم الحسد وذابت أجسادهم من الكمد فقال عمارة نخاف أن يفيض شؤمه ويسوق كل من فى الدنيا الينا ونحترق بناره وينقطع آثارنا

وآثاره فقال الربيع نحن اذا رأيناه قد جد فى هذا وطلب المسير الى البيت الحرام رحلنا نحن الى بنى فزاره وتركناه هو ومن معه يفعلون مايشتهون ثم انه دخل على الملك قيس وشاوره فى ذلك وخوفه من عواقب الامور التى تأتى منه فقال الملك قيس يا ربيع لا كلام حتى ينقضى باقى هذا العام ونبصر ماتحدثه الايام وندبر على قدر مانراه من الاحكام لان عنترة شديد فى الامور الملاقص عليه الحدار ذلك المنام وكيف أخليه يهلك هذه العشيرة لاجل أضغاث أحلام وعلى أنه لابد له منه كان عليه أن يشاورنى فى أمره ويطلب منى المعونة فكنت أخليه يفعل ذلك ولا أبطل عزمه عما هو طالب وأخوفه من شر العواقب ثم انه طيب قلب الربيع ولم يرده خائب ومضى على ذلك أوفى من عشرة أيام وعنترة يزيد للحدار فى الاكرام الى ان كان فى ليلة من بعض الليالى وقد عاد عنترة من دعوة عامر بن الطفيل فافتقد الجواد الابجر فلم يجده ولم يرى له خبر وطلب الحدار فلم يجده وما وجد له أثر فظن ان مفاصله قد تفصلت وان روحه من جسده قد طلعت وعلم ان الحدار كان سلال محتال وان المنام الذى رآه كذب ومحال فقال عنترة واحر قلباه من شماتة الاعداء والحساد ومن فرح بنى زياد والله لقد دبر هذا الملعون وماقصر وماقصد الا جوادى الابجر وأنا أقسم بمن أظهر النبات والشجر وفرق بين أصناف الثمر وأنبع الماء من الحجر لابد لى ما أبدد شملهم فى البر الاقفر ولو أنهم بعدد الرمل والمدر ولو كانوا أمة ربيعة ومضر وقد طار النعاس من رأسه فقال لشيبوب ويلك ومتى راح هذا الملعون فقال له يا ابن الام من أول الليل كنت أنا واياه فى المنزل وأتيت الى خدمتك وتركته على الطريقة التى هو عليها وهذا آخر العهد منه فقال عنترة يا شيبوب كيف العمل وكيف الاجتماع على من بكل حيلة قد اشتمل ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجىء هذا السلال الى بنى عبس أن اللقيط بن زراره لما أبصر عنترة قد أمر ذوالحمار وردين الصمه وقت كان عنترة عائدا من دعوة بنى عامر بن الطفيل كما ذكرنا وهرب فى البر الواسع الاقفر فلا زال اللقيط سائرا ذلك النهار وطول الليل هو ومن انهزم معه من الخيل حتى قاربوا أرض بنى دارم وهم يتذكرون حديث عنترة وشجاعته وما أعطاه الله من السعادة والاقبال فقال رجل منهم والله لا أفلح رجل بعادى عنترة ولا بنى عبس مادام فيهم هذا الرجال آفة الزمان من يلعب به هج الابطال ولقد خلقه الله آفة لا يقدر عليه أحد فى عصر ولا فى زمن ولولاه ماخرج أحد من بلاد اليمن ولا كنت أبصرت منهم من يشرب اللبن لانى أنا كنت دخلت الى تلك الديار ورأيت بعينى ماحل منه بذى الحمار وشاهدت وقعة عقبة الفروق وأرض المصانع ورأيت منه مالا أقدر أصفه بلسانى ولا يحيط به جنانى ولما عاد عنهم وهو بين الابطال تذكر ماجرى له من أصحابه وأهله فصار يردد القصائد التى له ومن جملة ماقال

رعى الله ربعا بالحمى ظل باليا * وأصبح منا موحش الدار خاليا * وكان لنا دون الفروق مواقف
محينا بها ذكر السنين الخواليا * حلفت لقومى والقنا يقرع القنا * بمينا بمن أرسى الجبال الرواسيا
بانى أردت الخيل وهى حمائك * وفرسانها ما بين شاك وباكيا * وبادرت كبش القوم حتى تركته
فى البر من خوف المنية واليا * ومابلغ الاعادى منا مرادهم * ولا نحن قلنا واشماتة لعاديا

﴿قال الراوى﴾ وكان فى أرض المصانع قد جرى لهم مع بنى تميم أمر مهول لان عنترة أباد شجعانهم وجندل أقرانهم وسار من أرض المصانع يريد أمياه عراعر وجبال بنى كلاب بن وبره وهو ينشد ويقول

اذا كشف الزمان لك القناعا * ومد اليك صرف الدهر باعا

﴿قال الراوى﴾ وأنشد الشيخ الشعر الذى قاله عنترة وقعاته وليس فى الاعادة افادة فلما سمع اللقيط بن زراره زاد غضبا وقلقا وامتلأ قلبه حنقا وقال والله يا ابن العم ماهو الا رجل مسعود ومن تمام سعادته

له

له أخ يقال له شيبوب وجواده الابجر لانى يا ابن العم رأيته عند القتال ان أشار عليه بالوقوف وقف وان طلب منه الانعطاف انعطف وان قام فى ركابه ليضرب خصمه شال يده معه وأعطى جانبه وان أراد أن يطعن عدوه يأتيه عن شماله حتى تقع الطعنة ممكنة من قباله وان تقابض هو وقرينه ترسخ قوائمه فى الارض كالاوتاد وان رأى الاسنة قد دارت به انسرق من بين المعاكر ومضى فلا يلحقه أحد من العباد وأما أخوه شيبوب فهو خلفه يرمى بالنبال ويعمل مالا تعمله صناديد الرجال وحق ذمة العرب قد ثبت عندى لو لم يكن على حصانه الابجر ما قدر على ذى الحمار الاسد الابتر لان ذو الحمار كانت حجرته من تعبها تحته وقعت وأما حصان عنتر فانه كان كالحجر الجلمد ولو أن أحدا يسرقه لى كنت أعطيه من الجمال والنوق والعبيد ما كان يشتهى ويريد ومن المال شيأ ما عليه من مزيد واذا حصل لى هذا الحصان كنت أريكم ما أفعل عليه بالفرسان كى أترك لى ذكرا يذكر شائعا فى كل مكان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحداد الذى أتى الى عنتر وكان اسمه المختلس بن ناهب الطميى وهو من قوم يقال لهم بنو طميم فقال يا لقيط أنا آتيك به وأذبح لك شيبوبا وان أردت نفس عنتر أوان آتى لك برأس عنتر لفعلت وان فعلت ذلك ما الذى يكون لى عندك من البراطيل فقال له اللقيط وحق ذمة العرب يكون لك عندى كلما تريد ولو طلبت ملكى وملك اخوتى سلمناه اليك فقال له المختلس ما أريد منك الا أن تزوجنى ابنتك وتحكمنى فى أموالك ونعمتك فقال له اللقيط لك على ذلك وكلما تريد أسلمه اليك وهؤلاء بنو عمى يشهدون على وعليك ﴿قال الراوى﴾ ثم ان اللقيط مد يده للسلال الذى هو المختلس وعاهده على ما طلب وشهدت عليهم فرسان العرب وما فيهم الا من فرح لهلاك شيبوب وعنتر ومازال اللقيط يحث السلال حتى سار وجد فى المسير والرمال حتى وصل الى الديار وقرب الى منازله فدخل المختلس الى بنى طميم وجدد باهله عهدا وأقام عندهم يومين وفى الليلة الثالثة لبس فروة خلقة وعليها سجاف مقطع الاركان وتعمم بعمامة خضراء قد عبر عليها الزمان ﴿قال الراوى﴾ وضيق لثامه وترك باقى أطرافها على أكتافه وأخذ فى حقيبته شيأ من الطيب وخرج من الخيام فى غسق الظلام وتبطن فى البر والآكام وكان رجلا همام وكان من شجاعته يقدم على الامور العظام وكان يلتقى الاهوال الجسيمه وكانت خلقته شنيعة كانها خلقة الجان وكان أعجوبة تلك الزمان وكان داهية من دون الانام وكان الذى حمله على هذا الخطر الخطير محبته فى ابنة اللقيط لانه لما سمع بصفاتها وعلم انه ما هو من رجالها لان اللقيط كان من الشجعان الكبار والمختلس رجل سلال جبل غدار فقال فى نفسه ارم نفسك فى بحر الهلاك عسى أن يكون لك من الهوى فكاك فصادفت المقادير بما جرى بينه وبين اللقيط فسار يخاطر بروحه ويرميها فى كل أمر خطير حتى وصل الى الارض التى فيها بنو عبس المشاهير واتفق له ما اتفق على جانب الغدير وقد دخلت على عنتر حيلته وما فعل من خبائثه من أمر المنام وزخاريف ذلك الكلام وأقام عندهم تلك الايام وهو مع شيبوب يخدم الجواد الابجر ولما رآه يخفره من دون كل أحد أكثر المخالطة معه وصار اذا مضى شيبوب الى خدمة أخيه عنتر لم يتبعه بل يقول له يا مولاى لا عمل لما لا طاقة لى به لانك تشرب مع الملوك ذوى الاعتبار وأنا رجل فقير حدار ما أقدر أجلس الا مع من يكون مثلى ولا يكون بيننا تكليف ولا اعذار وكان ذلك القول منه خبث وخداع وكتم أمره وصار يسيس مع شيبوب الابجر ويعاونه عليه حتى انه ألفه وصار لا ينكره حتى انه كان يقول لشيبوب نم أنت يا مولاى وأنا أنوب عنك فى هذه الليلة خدمة فرس مولاى عنتر ومازال كذلك حتى انتهى الامر وعول فى تلك الليلة أن يذبح شيبوب ويطير من عندهم مثل الهبوب ولم يقتنع بالابجر وانما الهيبة التى وقعت له من عنتر وأسباب أخر وأتت المقادير بخلاف ما أضمر وأبطأ عنتر فى دعوة

عامر بن الطفيل ومضى شيبوب الى أخيه الامير عنتر وكان ذلك سببا لسلامة نفسه من الذبح (قال الراوى) فلما خلا الحدار بنفسه ونظر أصحاب الخيام وقد استولى عليهم المنام قال الحدار هذا وقت بلوغ المرام باخذ الابجر والنجاة به فى الظلام وطلب الكثير يرث الملام ثم انه لبس الجبة التى كان يلبسها شيبوب لما أنه يسيس الابجر وترك الفلنسوة على أسه وشد وسطه بحزامه وتقدم الى الفرس وهو فى زى شيبوب وحله من شكاله وقاده الى أذيال الخيام وأطراف البيوت وساربه الى ساحة الفضا وقفز ونط عليه مثل القضا ولما عاد شيبوب من عند أخيه عنتر وتفقد الحدار فما رأى له خبر وتقدم الى محل الجواد فلم يرله أثر فصرخ صرخة عظيمة وعاد الى أخيه عنتر وأعلمه بما جرى فطار من رأسه الخمر وصارت عيناه مثل الجمر وما نام تلك الليلة ولا التفت الى عبله لانه كان يحب جواده أكثر من حب عبله وقد ذكروا أن عبلة كانت عنده أعز من روحه التى بين جنبيه وانما كان يعلم ان سعادته بالابجر وبه كان يبلغ المراد وقوة الجلاد وقد ذكرنا انه كان يسقيها اللبن بعده يعنى الفضلة فعتبت عليه فى بعض الايام وقالت له يا ابن العم من حيث انقشيت وأنت تدعى حبى وتحلف بحياتى وتقول ما عندى فى الدنيا أعز من عبلة وأراك تختار فرسك على وتسقيه اللبن قبلى فما هذا السبب فى هذا المعنى ثم انها بكت وانتحبت فتألم قلبه من بكاها فأنشد يقول

لا تحسدى مهرى اذا أكرمته * ففيه اذ اهان العزيز مكرم * واذا غضبت فلى اليك وسيلة
اما بعقد أو بثوب مسلم * ابن العمامة ما اليه وسيلة * الا بطيبة مشرب ومطعم
وأنا وأنت به ولولا ظهره * أمست ديار أبيك قدر الدرهم * ان كان حبك فى الفؤاد محكما
ففى أعظمى يجرى كما يجرى دمى * فاروى ظماه اذا عطش فلعله * ينجيك من هول الغبار المظلم
انى أخاف أن تقولى مدة * هذا غبار الخيل أين الادهم * ذرى الجوع والعطش الذى
برثانه ضعفا عند التزاحم * والخيل كالسيل وهذا نارها * الابجر المسمى بالكحيل الادهم

(قال الراوى) وقد جرت عادت العرب بمثل ذلك لانها كانت تنتخب الخيل الجياد وتدخرها الايام الطراد وتفضلها على الحريم والاولاد وحكى عن بعض الفرسان أنه خطب بنت عمه وانه بذل لابيها مالا جزيلا فقال له عمه يا ابن الاخ أموالك بارك الله لك فيها وأنا ما أريد مهرا بنتى الا فرسك الذى أنت راكب عليها قال فسكت الغلام وبقى حائرا مايدرى مايفعل ولما طال به التحير نظرت اليه بنت عمه وقالت له ويلك يا ابن العم ما هذا التوقف فى الكلام أنا ما أساوى عندك مهرا واتجعله لى مهرا فلما ان سمع الغلام كلام بنت عمه أشار اليها يقول

وقعقعة اللجام برأس مهرى * أحب الى مما تعربينى * فما هان الجواد على حتى
أجود به ورمحى فى يمينى * أخاف اذا وقعت أنا بضيق * وجد السير أن لا تحملينى
فمهرى فى المعامع هو نجاتى * اذا كان الاعادى طالبينى * فان كنت معى فى يوم حرب
فهو ينجينى من الهول المبينى * فمهرى لى وللك يحمى حمانا * بجولانه من الاعداء ينجينى
وان فارقت مهرى يوم حرب * تدسنى الخيل وأنت تنظرينى * ولا لك أيدى تمنع عنى
منع جوادى حياة عينى * اذا جار الاعادى واكمنوالى * بهذا المهر أخرج من كمينى
فمهرى اذا ركبته أنتصر به * وأنت اذا ركبتك توقعينى

(قال الراوى) لهذه الاخبار ثم ان شيبوب بعد هذا التعليل والافتكار وثب على قدميه وقد غير زيه وسار وقد تبطن فى تلك البرارى والقفار بعد ما قال لاخيه يا ابن الام انى سائر أبذل المجهود لا تنتظرنى فى هذه الكره فانى لا أرجع الا بالمقصود ثم انه بعد ذلك الكلام سار تحت ظلام الليل المعتكر وقد أطلق

ساقيه

ساقيه للريح وطلب البر الفسيح ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من أمر شيبوب وسفره وأما ما كان من الامير عنتر وخبره فانه بعد سفر شيبوب أقام فى الديار وقد صار يقاسى الهموم بالافتكار وكان أشد الاشياء عليه شماتة بنى زياد ومن مثلهم من الاعداء والحساد الا أن عنتر بعد ذلك أقام مدة من الزمان وهو قلق القلب على أخيه شيبوب وكاد قلبه من أجله أن يذوب فصار عنتر كل يوم يركب مع ندمائه وأصحابه ورفقائه ويبعد هو واياهم فى البر الفسيح ويتعاهد الطرقات التى يأتى منها أخوه شيبوب وكل حين يسمع من أطراف السفار أخبارا مختلفة ما فيها لمن سأل استبشار الى ان كان يوم من بعض الايام وقد أبعدوا عن المضارب والخيام كما جرت بهم العادة فى ذلك البر والاكام هنالك تذكر فى أحواله وشأنه وما جرى له وكيف قهره من لا يعد من أشكاله فأنشد وجعل يقول هذه الابيات

سقى الغيث وادى الجذع من أرض نعمان * حتى امتلا القاع من وادى البان
وهل عاد وادى البان بعد الرى مفتكرا * لمن كان ظمآنا غير ريان
وهل دافع ان روت السحب أرضه * وانى من أمنيائه غير ريان
وفى القلب منى لوعة وصبابة * لواعج الشوق بل زفرات نيران
على من له قلب لا يضيق من الضنا * على كثرة أخطار وفرقة أوطان
منازل كان الدهر فيها أنيسنا * وعاد وحيشا من خطوب وهجران
ديار تخلت عن أنيس حاضرا * وكان لها ود وعز بجيران
اذا غنت فيها الحمائم هيجت * غرامى وأذكت نار شوقى وأحزان
فيا ليت شعرى اذ بكت هل ترنمت * وغنت على فنن الغصون بألحان
وهل عندها مانى فناحت صبابة * على وأبكاها غرامى وأشجان
وشتان بينى فى الغرام وبينها * وان كان للذات فى القرب سيان
ولو أنها مثلى لكانت جفونها * تفيض بدمع واكف الودق هتان
وما لبست فى الجيد طوقا لزينة * ولا خضبت كفا بحنائها القان
وما وجدت من يبكى آسفا متوجعا * كوجد الذى يبكى لصد وهجران
انى الى الله أشكو ما الاقى من الاسا * لفرقة اخوانى وآخران أزمان
ألوم على صبرى فى زمانى تألما * وما ضرنى الا ثقاتى واخوان
تعصب الناس على ظلمى بأجمعهم * وأظلم ما لاقيت أهلى وجيران
وكان زمانى اقبال ونصيحة * فأصبح خوانا لعهدى كاخوان
لكل امرء شيطان يكايده * وان لى بين الورى ألف شيطان
فمنهم بنى زياد أصل بليتى * لان ما فيهم ود لانسان
ولما أتى الحدار زادنى بلا * لاجل منام كان زوار بهتان
وزاد سرورا للربيع وبهجة * وأيضا عمارة صار فى الحى فرحان
وشيبوب أبطأ فى البلاد ولم يعد * يفرج لمانى من همومى وأحزان

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام وهو ينطلع الى تلك البرارى والقفار الا وقد أقبل من كبد البر راجل وهو يهتف على الارض مثل السيل أو كأنه ذكر النعام اذا جفل فلما نظر اليه عنتر وقد صح عنده النظر والخبر وهو يظن أنه أخوه شيبوب لما رآه فى البر يغدو ويروح ومثل الريح الهبوب فعند ذلك عدل بفرسه عليه وقد طار قلبه من بين جنبيه وقد تجارت الفرسان كلهم من حوليه فلما أن قاربته

الابطال سلموا عليه وترحبوا به وقربوه فلما ان قرب منهم بدأهم بالسلام فردوا عليه السلام فقال لهم ياوجوه العرب هذه ديار بنى عامر فقالوا نعم ياوجه العرب فقال لهم وبنو عبس فيم انزول فقال له عنتر وما حاجتك يازين القادمين فقال له حاجتى عند أبو الفوارس عنتر بن شداد فلما سمع عنتر بذكره فرح واستبشر وفى الحال دنا منه وصار يسأله عما كان عليه قادم ويفهم ماعنده من اللغو والكلام وصار يرجو منه بلوغ المرام فنظر الى رجل طويل الساقين مخلوع الركبتين أسود الوجه أزرق العينين فعندها تعجب عنتر من خلقته وأيضا أصحابه من رؤيته وبعد ذلك قال له عنتر باقتى ها أنا عنتر بن شداد بشراك بما يسرك ويدفع عنك مايضرك قل الآن مابدالك نجح الله أعمالك فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا وفينا عنك دينك وخلصناك من مصيبتك وان كنت ضالا عن الطريق أرشدناك وان أردت الاقامة عندنا جعلناك من جملة فرساننا فلما سمع الاعرابى ذلك الكلام قال يامولاى اعلم انى رجل سلال ومن حيث نشأت ما أكلت لقمة حلال ولا بت ليلة بلا سرقة مال أو حصان أو شئ من الرجال وهذا الكلام ما أقوله لك الا وقد صح عندى أنه فخر عند الرجال والشجعان فالشخص ان لم يكن مقدما على الاهوال لم تعده الرجال من جملة الفرسان واني ياأبا الفوارس سمعت فى هذه الايام ان فى ديار بنى دارم حجرة يقال لها سكاب وقيل لى عنها انها فى جريها تسير سير السحاب وتفوق القطر عند الانسكاب وتساوى اقليما عامرا ماهو خراب فقلت فى نفسى من أخذ هذه الحجرة ينال الغنى وبلوغ المنى فهززت روحى وسرت الى ديار بنى دارم ودخلت فيها فما وجدت الى سرقتها من سبيل وقد وجدت عندهم رجال أكارم فأقمت هناك مقدار عشرة أيام فما وجدت لى قدرة ولا اقدام بل وجدت صاحبها عندها ينام ومن محبته لها دائما يتلذذ بروائح أنفاسها وعبيده فى ظلام الليل وضياء النهار لم تبرح من عندها وهم لها حراس فأيست من الوصول الى سرقتها وهممت أن أعود الى أهلى ولكن لم أزل مشغول القلب والبال من أجلها فسمعت بخبر جوادك الابجر انه قد وصل الى اللقيط بن زراره وقيل انه أعطا للذى سرقه مالا كثيرا وانك أنت متحسر عليه وعلى من يأتيك بأخباره فقلت فى نفسى لابد لى أن أطول روحى لعلى أصل الى هذا الجواد وأرسله وأرده الى صاحبه عنتر ابن شداد وآخذ منه مايعينني على معاش العيال ثم انى وصلت الى المكان الذى قد تركوا فيه الجواد فابصرته فرأيته سهلا على الطالب ولكن ماقدرت على سله وقلت ان تعديت عليه قتلنى وان احتلت عليه وركبته رمانى أو كسرنى أو رمى بشر دمنى فى القفار وخلانى وأكون أنا قد ضيعت زمانى وخاطرت بروحى وجسمانى والصواب انى أعود الى صاحبه وآتى به الى هاهنا يركبه وربما يكون معه العبد الذى كان يسيسه ويألفه حتى أدخل أنا واياه عليه واذا لحقتنا الخيل يمانع عنا الفرسان وقد بلغنا الآمال ولما تصورت فى قلبى هذا الرأى سرت اليك ياأبا الفوارس كما ترى وها أنا قد أخبرتك بما تم لى وجرى فدبر الآن أمرك واشرح صدرك (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الخبر فرح واستبشر وبان السرور على وجهه وظهر وفى الحال قال للسلال ابشر ياوجه العرب ببلوغ الآمال والمطلب وأنا ما أردك خائبا ثم ان عنتر لما فهم كلامه التفت الى أبيه شداد وقال والله لقد ضاع تعب أخى شيبوب فلو كان هنا حاضرا ما رجعت الى الديار بل كنت أسير من هاهنا الى ديار بنى دارم وأجازى اللقيط بن زراره على ماهو عازم والرأى انى أنظره اليوم وغدا وان ما أتى أخذت معى أخى جريرا وسرنا فقال السلال ياوجه العرب وان كان قد عدم سايسه فسر أنت معى واستعجل العجل فانا أخرجه الى أذيال الخيام ولو أنه أسد من أسود الآكام فقال عنتر ياأخا العرب سايس الجواد ما عدم وانما سار فى كشف أخباره وان هو أبطأ علينا يوما واحدا فعندنا من يخلفه وهو أخيه ابن أمه وأبيه ثم ان عنتر بعد كلامه هم أن يأخذ

السلال

السلال و يعود به الى الخيام واذا بالفرسان قد نظروا الى البر الاقفر واذا قد أقبل عليهم من البر غلام أغبر وهو يكدى على الاقدام كأنه ذكر النعام ويصيح صيحات منكرات ويقول يا أبا الفوارس اقبض على هذا الشيطان السلال المحتال وهو الذى قد أتى اليك فى زى حدار وسرق الابجر وطار وقد ساقته المقادير بسعادتك بهذا الزى والاخبار لانه كان مراده يقلع منك الآثار فلما سمع عنتره هذه الاخبار حار وأخذه الابهار الا أن القوم لما رأوا ذلك الغلام فتبينوه واذا به شيبوب ففرحوا به فرحا شديدا وقد بقوا حائرين من هذا الامر الذى أخبرهم به شيبوب فعندها التفت عنتر الى أخيه شيبوب وقال له ومتى رأيت هذا الرجل المسكين حتى انك تتهمه بهذه التهمه وذلك الشيطان كان أبيض أشقر وهذا أسود أدهم فقال شيبوب كل هذا حيله ومكر وخداع وان كنت يا ابن الام تشك فى مقالى فقلعه ثيابه وانظر الى أحواله فتبان لك الحقيقه وتظهر لك الطريقه فعندذلك نزل شداد من على ظهر الجواد وكشف ثياب السلال واذا جسده أبيض فلما نظر عنتر الى ذلك تعجب وفى الحال سل عنتر سيفه من غمده وأراد أن يدنو منه لضرب رقبته فعندها صرخ السلال بملو ماغه وقال لا تفعل يا أبا الفوارس فأنا الذى أخذت حصانك وأنا أرده عليك وأتوب على يديك فقال عنتر وقد أمهل أمره الى أين وديت الجواد يا نسل الاوغاد فقال يا مولاى هو عند اللقيط بن زراره لانه قد لعب بعقلى وأوعدنى أن يزوجنى ابنته وكان وعده كاذب وقد ردنى اليك على الاعقاب فأتيت اليك ووقعت بين يديك وكان لهذا الحديث سبب وأى سبب وأعجب من كل عجب لان هذا الرجل الذى هو المختلس بن ناهب السلال لما تم حاله على عنتر وأخذ فرسه وقصد به أرض بنى دارم ودخل به على اللقيط بن زراره فلما ان نظر اللقيط ومعه الجواد فرح فرحا شديدا وفى الحال خلع على السلال بملو ماغه وقال لا تفعل يا أبا الفوارس فأنا الذى أخذت حصانك وأنا أرده عليك وأتوب على يديك فقال عنتر وقد أمهل أمره الى أين وديت الجواد يا نسل الاوغاد فقال يا مولاى هو عند اللقيط بن زراره لانه قد لعب بعقلى وأوعدنى أن يزوجنى ابنته وكان وعده كاذب وقد ردنى اليك على الاعقاب فأتيت اليك ووقعت بين يديك وكان لهذا الحديث سبب وأى سبب وأعجب من كل عجب لان هذا الرجل الذى هو المختلس بن ناهب السلال لما تم حاله على عنتر وأخذ فرسه وقصد به أرض بنى دارم ودخل به على اللقيط بن زراره فلما ان نظر اللقيط ومعه الجواد فرح فرحا شديدا وفى الحال خلع على السلال وضرب له أبيات بجانب أبياته وقد نقل اليه كل ما يحتاجه وحكمه فى نعمته وأمواله وقد كان اللقيط عول أن يجعل الابجر مركبه فما قدر على ذلك ولا جسر أحدا أن يقربه لا من الاحرار ولا من العبيد لانه أنكر المكان الذى كان فيه واستوحش الموضع فصار الابجر كلما دنا اليه أحد يقتله حتى قتل تسعة من العبيد الا تالية فعندها توقفت عنه العبيد والفرسان وصاروا ينظرون اليه كما ينظرون للاسد الكاسر العنيد وقد حار اللقيط فى امره وتاه رشده وضاع عقله وفكره فقال فى نفسه والله لقد ضاع تعبنا فى هذا الجواد وما بلغنا منه المراد فقال له أخوه حاجب يا لقيط هذا أمر ما يجى ء الا بطول الروح والصواب أن نخلى هذا الفرس حتى أنه ينسى راكبه ونشيله على بعض الحجورة وبعد ذلك تكثر من الدخول والخروج عليه فان أطاعك للركوب كان والا فاتركه برسم المباح واركب مهاراته المنسوله لانه يأتى باحسن منه فلما سمع اللقيط ما قاله أخوه فى غاية الصواب وكان فى ديار بنى دارم حجرة يقال لها سكاب وكانت هذه الحجرة لرجل يقال له مفرج بن وثاب وكان خبرها وصل الى الملك النعمان فلما سمع بها أنفذ الى صاحبها مفرج بأن يشتريها منه فأبى صاحبها ولم يسمح بها لاحد وقد كتب الى النعمان كتابا يقول فيه هذه الابيات

أيا ملكا زها فخرا ومجدا * ومن للجود قد زاد ارتفاعا
أتطلب تشترى منى سكابا * سكاب لا تعار ولا تباعا
فهذه مكرمة علينا * نجيع لها العيال ولا تجاعا
فلا تطمع بها ملك البوادى * فبيع سكاب ما لا يستطاعا

(قال الراوى) الا أن اللقيط من شدة فرحه بالابجر اشترى هذه الفرس من صاحبها وقد تقوى على مفرج بن وثاب وأخذ منه الحجرة سكاب وقد شدها قريبا من الابجر وأراد بذلك أن يشيله عليها حتى انه ينسى أرضه وراكبه وصار اللقيط فى أكثر الاوقات يقعد عند الجواد الابجر ويؤانسه ويطعمه من يده هو السلال الذى أتى به وكان اللقيط قد قال للسلال يا أخى أنا قد أعطيتك يدى على زواج ابنتى اذا أنت

أتيتنى برأس عنتر بن شداد وأخيه شيبوب وأنا وحق الرب القديم على كلامى مقيم فان قنعت منى بما أعطيتك فامضى الى حال سبيلك وان أردت أن تكون صهرى تقم لى بما ضمنت من الضمان فعندها قال المختلس للقيط السمع والطاعة أنا أبلغك كلما تريد فاكتم هذا الامر عن الاحرار والعبيد وأنا آتيك برأس شيبوب وعنتر الصنديد فقال اللقيط كيف تقدر أن تعود الى القوم وقد عرفوك قبل هذا اليوم وأكلوا معك الزاد وألفوك فقال المختلس يا مولاى هذا أمر ما أفكر فيه لانى أقدر فى هذه الساعة أتشكل باشكال عديدة وأدخل عليك وأفعل ما أريد من دون أن تعرفنى ان كنت من الاحرار أو من العبيد (قال الراوى) وكان سلالون العرب فى ذلك الزمان يعرفون حشائش وعقاقير شتى كثيرة وكانوا بها يغيرون ألوان الخيل ويبيعونها على أصحابها ولا يعرفونها قال فنهض المختلس من حضرة اللقيط واختلا بنفسه تلك الليلة وصبغ روحه بعقاقير يعرفها فصار اسود صافى وابس على جسده ما يوافق لونه وفى الحال دخل على اللقيط فى الصباح وقد أوراه ما فعل من الامور القباح فعند ذلك أيقن اللقيط ببلوغ الآمال من شيبوب وأخيه الفارس الريبال فما كان من جواب اللقيط الا أنه أوعده بكل ما يريد فعند ذلك ودعه السلال وصار بعد ما أوصاه بمراعاة الابجر وقال له يا مولاى ان العبد الذى يسيس الجواد قل له أن يلبس الجبة الصوف التى أتت معى والقلنسوة ويتقرب اليه ويطعمه ويسقيه ثم ان السلال بعد كلامه خرج من الحله قبل أن يصبح الصباح وسار وقد جد فى المسير يقطع الروابى والبطاح وقد هون عليه العشق تلك الامور القباح (قال الراوى) وقد ذكرنا فى أول حديثنا أن عنتر أمر أخاه شيبوبا أن يقصد احياء العرب فسار شيبوب كما ذكرنا من عند أخيه عنتر وجد فى البر الاقفر وقد ذهب الى ديار بنى فزاره والى بنى دارم التى فيها اللقيط بن زراره وقد قال فى نفسه ان لم أجد الابجر فى هذين الجهتين قصدت البيت الحرام ولا أعود من تلك الديار الا بحقيقة الاخبار (قال الراوى) ومازال شيبوب يتذكر فى هذا المقال حتى وصل الى ديار بنى فزاره وأقام شيبوب فى أرضهم ليلة واحدة لان شيبوبا دخل الى الاحياء فى أول الليل وخرج وقت السحر وقد آيس من خبر الجواد الابجر من ديار بنى فزاره ولم يجد له أثر فعند ذلك هيج شيبوب على وجهه فى القفار وقد طلب فى طريقه أرض بنى دارم وهو مثل المجنون وكان أكثر سيره فى ظلام الليل ومازال كذلك حتى وصل الى ديار بنى دارم وبقى بينه وبينها مقدار يوم وليلة فمن هناك خاف شيبوب على نفسه فغير زيه وصار فبينما هو سائر فى الطريق اذ سمع حس انسان فدارى نفسه منه حتى ينتظر ما يكون من الامر المكتوب واذا هو برجل مجد فى المسير فتبعه شيبوب وكان هذا الرجل هو السلال بن ناهب وقد سار من عند اللقيط ذلك اليوم وتلك الليلة الا أن شيبوبا لما ان نظره أخفى نفسه حتى عبر عليه فعند ذلك اقتفى شيبوب أثره وقال فى نفسه هذا الرجل قريب العهد من هذه الديار التى أنا طالبها وأريد أن أتبعه مقدار ساعة من الزمان لعلى أسمع منه ولو كلمة واحدة فى هذه القفار أستدل بها على الاخبار ثم ان شيبوبا بعد هذه الافكار سار خلفه فى القفار وهو منه فى افكار ولا له به اظهار فبينما السلال سائر وشيبوب خلفه ولم يعلم به فتنفس السلال من فؤاد عليل وكان قد هجر عليه الليل الطويل وقد بكى بكاء كثيرا من كثرة شوقه الغزير لانه تذكر محبوبته لما زاد عليه الغرام والآلام من أجل بنت اللقيط وكان اسمها بانة العلم وكان هذا السلال قد نظرها فى هذه النوبة لما انه جاور أباها فى الخيام فنظر اليها وهى واقفة فزاد به العشق والغرام فأنشد وقال

ها أنت عالمة بابانة العلم * مما أقاسيه من ضر ومن سقم
لولا هواك لما أمسيت منفردا * أكابد الجن فى داج من الظلم

ولا

ولاقدمت على غبس وفارسها * محكم الضرب فوق البيض والقمم
ليث اذا رأى الابطال عابسة * من شدة الطعن أبدى وجهه مبتسم
سرقت أبجره لما صنعت له * من المحال منما ما كان فى الحرم
وها أنا راجع أسقيه من حيلى * ومن خداعى كؤس البؤس والنقم
واترك الذئب يسعى حول جثته * خوفا عليه من العقبان والرخم
وأشفى النفس من شيبوب صاحبه * حتى أنال المنى من بانة العلم
فبلغى يا رياح الصبح ما لكتى * عنى سلامى وحيها الذى سلم
وأخبريها بانى فى محبتها * قد بعت أهلى وما أحويه من نعم
وقد تبعت لقيطا فى مقالته * وما نلت نظرة منك الا بسفك دمى

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام قال بلغت والله المرام ولا شك ان هذا هو الحدار الذى كان ينادمنى بالليل والنهار ولاسيما وقد ذكرنى فى شعره انه راجع ليقتلنى ويقتل أخى ولكن وقع فى الشرك لا محالة وفى هذه النوبة أضرب رقبته وأكفى أخى مؤنته والصواب اننى أسير خلفه ولا أعلمه بحالى لانى اذا قاتلته أكون معه على خطر عظيم من سوق له فى جنح الليل البهيم والآن فهاهو سائر من غير تعب ولا شقاء وأنا وراءه فى اللقاء أجد فى البر الاقفر الى ان يحضر عند أخى عنتر وأنظر ما يفعل من الحيل وأنا أقتفى منه الاثر فالسعيد من قضيت حاجته وسلمت مهجته ثم انه تبع آثاره حتى طلع الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك توارى منه شيبوب لانه بجميع الطرقات دروب وصار فى عرض البر والبطاح ينظر اليه بعيونه الصحاح وهو بعيد عنه وقد انبسطت الشمس على الاقطار فنظر اليه فى ضوء النهار واذا هو اسود ووجهه اسود فتعجب شيبوب من هذا العمل الانكد ومازال السلال سائر حتى قارب ديار بنى عامر التى فيها بنو عبس نزول وأما السلال فانه نزل على بعض الغدران يشرب فطلع شيبوب على رابية عالية ونام على وجهه ونظر اليه فرأى وجهه اسود مثل الغراب الابقع فعرفه شيبوب وقال فى نفسه ما هذا الا شيطان فى صورة انسان فلو وصل الينا قبل ما أعرف حاله كان قد بلغ آماله ثم انه تبعه حتى وصل السلال الى أخيه وجرى ما جرى وقلعوه ثيابه وبان أمره ومحاله وحدثهم شيبوب بما سمع من فعاله ومقاله فقال عامر بن الطفيل ما فى حياة هذا القرنان فائده ثم انه سل حسامه وضربه على الهامه حذف رأسه قدامه وبعد ذلك تحدثوا فى خلاص الجواد الابجر فقال عنتر الصواب اننا نكتم هذا الامر من بين العباد ونسير من هاهنا على سبيل الانفراد حتى لا تعلم بنا بنو زياد ولا غيرهم من الاعداء والحساد لانهم ربما أنفذوا الى اللقيط وحذروه وبالخبر أعلموه فقال شيبوب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فسيروا أنتم معى فى ثلاثين فارسا ولا تعرفون خلاص الابجر الا منى فعندها أنفذ أخاه جريرا وأمره ان يأتيه بعددهم وزردهم وقت المساء ففعل ذلك وما أتى الظلام الا وقد حصل عندهم ما يحتاجون اليه ثم انهم لبسوا العدد والزرد وساروا تحت الظلام الاسود وكانت جملة الخيل عشر فوارس فمنهم أربعة يلقون قبيلة من قبائل العرب مثل عنتر فارس الخيل وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد وباقى الفرسان الستة من رجال عروة ابن الورد الذين يعرفون بالثبات يوم العرض وقد جربهم فى النائبات فساروا تبطن بهم فى القفار تحت ظلام الاعتكار وكان فى قلب عنتر شعل النار من فعل اللقيط بن زراره فعول فى هذه النوبة على هتك أحراره وهلاك عساكره وأنصاره وكان عنتر راكبا على حجرة صفرا مثل الذهب المصفى فأنشد يقول

اذا ما عسفت البر غابت كواكبه * وفر الدجا منى وشابت ذوائبه

لان ظلام الليل يعرف همتى * ومن جرب الاشيا كفته تجاربه
أراد اللقيط أن مهرى يطيعه * ليركبه هيهات خابت مطالبه
جوادى غيور لو علا فوق ظهره * جبان ذليل ما استقرت منا كبه
تعود منى كلما خاض قسطلا * من الحرب فاشتدت عليه مذاهبه
أخلصه منه بطعن اذا رأى * مواقعه صرف القضا لان جانبه
ومن ركب الخيل الجياد ويبتغى * بها هربا فالذل لاشك راكبه
وعما قليل يشهد السيف بيننا * وتنظر منى باللقيط مضاربه
ويبقى كلانا تحت ظل عجاجة * تصيح عليه بالعويل نوادبه
خزى الله من لا يترك الدار بلقعا * ولو أن جن الارض فيها تحاربه
رمحى رسولى كلما مال بادرت * طيور المنايا للذى هو طالبه

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت من فصاحته جميع الابطال وتواعلى حالهم يقطعون الروابى والتلال وشيبوب يهيم بهم فى البر يمينا وشمال حتى بدت لهم ديار بنى دارم وتلك الاطلال والمعالم فعندها أنزلهم شيبوب فى واد كان هناك منقطع عن الطريق ليكمنوا فيه حتى يدخل على اللقيط بحيلة ويخاص الابجر من يده فبينما هو كذلك واذا بعبد قد اعترضهم فى الطريق وهو سائر لا يلتفت الى رفيق فقال عنتر ويلك ياشيبوب لقد راعنى أمر هذا العبد المريب وان صدقنى حذرى فانه عن هذه الارض غريب لانه لا نظر الينا ولا عن علينا والصواب انك تأتينا به حتى نسأله عن حاله ونسمع ما يقول من مقاله فانه لا يخلو عن فائدة اما لنا واما علينا فقال شيبوب السمع والطاعه ثم انه انطلق خلف ذلك العبد وعاد وهو معه والاثنان يتحادثان ويلعبان فانكر عنتر تلك العباره وتبينه واذا هو عبد من عبيد بنى فزاره وهو عبد سنان بن أبى حارثة فحياه عنتر وقال له ويلك يا ابن الحالة أريد أن تصدقنى فى الكلام وما الذى ألقاك فى هذه الارض والاكام فقال العبد والله يا مولاى لم أكتم عنك شيأ مما أنا فيه لانى ان كتمت عنك شيأ وقعت فى يدك مرة أخرى قطعت أوصالى وهو انى يا مولاى أتيت رسولا من عند مولاى سنان بن أبى حارثة الى عند اللقيط أقول له اجمع من قدرت عليه من الفرسان والابطال وابذل للعرب الاموال والنوق والجمال وبشرهم بهلاك بنى عبس فى الحال لان الحارث الوهاب سيد بنى غسان قد سار من دمشق فى جيوش وعسكر لا يعرف لها أول من آخر طالب بنى عبس كى يفنى أبطالهم ويأخذ أموالهم لاجل أن يأخذ بثار ولده بدر الذى قتلته أنت يا مولاى فى أرض تيما لما مضيت مع مقرى الوحش وخاصت مسيكه لانه يا مولاى أرسل جواسيس تكشف له أخبار بنى عبس فغابت وعادت اليه وقالوا له اعلم ان الذين قتلوا ولدك كانوا من بنى عبس ولكنهم رحلوا الى بلاد اليمن وهاتيك الاطلال والدمن خوفا من الملك النعمان لانهم قتلوا أولاد بدر الشجعان والصواب أن تصبر حتى يرجعوا وينصلح حالهم مع الملك النعمان ويقرون فى المنازل والاوطان فترسل لهم جيوشا يقودونهم بين يديك وتصلب ساداتهم على أبواب دمشق فاعتمد الحارث على هذا الحديث وكتب كتابا وأرسله الى سنان بن أبى حارثة وهو يقول له فيه ان عادت بنو عبس الى أرضهم من بلاد اليمن ارسل اعلمنى بذلك حتى أركب وأقلع آثارهم وأخرب ديارهم ففرح سنان بذلك وقال لحصن ابشر بالسعادة ونيل الارادة بايسر الاسباب لان هذه الاشياء ما كانت لنا فى حساب وأنا أعلم أن ملك الشام ينتقم منهم غاية الانتقام ثم انهم أقاموا على ذلك الحال الى ان رضى عنهم الملك النعمان وردهم الى المنازل والاوطان فسارت الرسل تختلف بينهم حتى سرق اللقيط جواد عنتر وسار طالبا خلاصه

والنوق

والتقى بالعبد فقال له يا مولاى ان الجيش خرج من الشام وأرسلوا النار سولا يقول خذوا أهبتكم للقتال فأنتم لكم المال والنوال ونحن لنا الرجال والعيال فلما ان سمع عنتر هذا المقال من عبد سنان بن الانذال غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال له كذب فى مقاله ولا أرشد فى آماله والله لاتركت له طريدا من الجيش لا كثيرا ولا قليلا الا من كان عمره طويلا ثم انه قال للعبد وأنت كم لك من يوم عند اللقيط فقال العبد يا مولاى سبعة أيام ومن يوم وصلت اليه أنفذ اخوته الى سائر القبائل من العرب بالمال والذهب وما سرت من عنده حتى رأيت أول العرب قد أقبلت وبوادر الخيل قد وصلت واعلم ان الذى فى قلبه منكم أقل مما فى قلبه من بنى عامر لانه يريد أن يطالبهم بثار اخوته ومن قتل له من جماعته فقال عنتر هذا الحديث قد عرفناه فما عندك خبر من جوادى الابجر فقال نعم وهو عند اللقيط مخدوم مكرم لكن ما يقدر أن يدنو منه أحد ومن شدة ما فى قلبه منه علاه على حجرة يقال لها سكاب وهى قوية الاعصاب ويقول انه تركب من مهارته وقد ذكر لى أيضا أنه أرسل اليك من يقتلك وقال لى بشر مولاك بذلك وكان قد عول أن يمسكنى عنده حتى أحضر وليمة مالك بن حاجب أخو اللقيط لانه تزوج بجارية من العنبريين يقال لها مهرية واليوم أو غدا يكون عبور العروس عليكم وأنا أعلم أنها لم تنفذ من أيديكم وهذا الامر أظهرته لكم فدبروا أموركم كيف أردتم ثم ان العبد ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار قال ولما ان بعد العبد عنهم فقال عنتر الرأى اننا نكمن فى هذا المكان واذا عبرت علينا هذه العروس التى ذكرها العبد يسير أخى شيبوب على آثارهم ويدخل على بنى دارم وهم مشتغلون بوصول العروس فيسرع بتدبيره على خلاص الابجر ويعودا لينا سريعا لاجل أن نروح الى أهلنا قبل أن تدهمهم عساكر الشام فقال شيبوب أما دخولى الى بنى دارم فلا تحمل همه وأما العروس اذا وصلت الى ها هنا نخذوها هى ومن معها حتى لا يكون سعيكم فى طريقكم خائبا وأنا أعود اليكم بالابجر ولو أنه فى يد كسرى أو قيصر فقال عنتر يا ابن الام ان فعلت ذلك فلم أجد لك مكافأة أبدا ولكن العبد أعلمنا أنه علاه على حجرة يقال لها سكاب من أجود خيول الاعراب وأنا أعرف انها تلد له حصانا ماله نظير والابجر قد كبر وقل حيله وهمته فقال شيبوب وكأنى أترك الحجرة والجواد لاوحق من خلق العباد بل أجيب لك الاثنين وأجعله عليهم ما مقروح الفؤاد ثم انه تم معهم الى الوادى وأخفاهم فيه وأكمنهم فى كهوفه ونواحيه حتى أمسى عليهم المساء فقال عنتر يا شيبوب سر اليهم فى جنح الظلام حتى تختفى بين لمضارب والخيام فقال شيبوب لاخيه عنتر والله يا أخى لم أدخل الحلة وهذه الديار الا نهارا جهار لان الامر الذى أنا عازم عليه لم يحتاج الى استتار ثم انه أقام عندهم الى الصباح وقصد عرض البر والبطاح فلاقى العروس المقدم ذكرها قد أقبلت ومعها جماعة من الفرسان الصناديد وجماعة من الاحرار والعبيد وحول هودجها أربعة هوادج مزينة بالعقود والجواهر والثياب الفاخرة وهم سائرون فى أفراح وجلبة وصياح فلما ان رآهم شيبوب الاغبر عاد راجعا الى أخيه عنتر وأعلمه بالحال والخبر ثم انه قال للجماعة تفرقوا أنتم من كل جانب ومكان ولا تتركوا ينفلت منهم انسان حتى يخفى حالنا ونقضى جميع أشغالنا فقال عنتر من يقدر أن ينفلت منهم ورمحى فى يدى محكما ولو أن لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء فوحق من رفع السما وجعل البيت الحرام أمنا وحما لاهتكن صاحبة هذا الهودج وأسن هذه السنة القبيحة ولابد لبنى دارم من فضيحة ويركبهم العار والذل والشنار ويعلم اللقيط ان مثلى ما يضيع له ثار (قال الراوى) ثم انهم تفرقوا ثلاث فرق كل فرقة ثلاث فوارس فى جانب وطلب عنتر وشيبوب ظهور القوم حتى لا يهرب منهم هارب وفى دون ساعة أخذوا عليهم الطرقات والمذاهب وصاحوا عليهم صياح الاسود اذا خرجت من الدحال وضيقوا عليهم المجال

ونهبوهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال وكان مع العروس خمسون فارسا وجماعة من العبيد
فدوهم على الصعيد وما انبسطت الشمس وطلع النهار حتى ما بقى منهم ديار ولا نافخ نار وقد
انقضت جميع الاشغال وساقت رجال عروة الاموال وعادوا يطلبون عنتر الاسدالرئبال هذا
وشيبوب قال لهم هاقد انقضت أشغالكم فعودوا الى المكان الذى كنتم فيه ولا تغفلوا عن أنفسكم ولا
ترقدون لانى فى الليل أكون عندكم بالابجر والحجرة ولقد هان الامر وتيسر ثم انه ودعهم وسار طالبا
الى ديار بنى دارم وهو كأنه الاسد الهائم وكان مسيره من أول الليل فأشرف عليهم وقت الزوال
فرآهم قد زينوا المضارب والخيام وهم فى انتظار العروس وهم فى جمع كثير فقال شيبوب هذا وقت
انتهاب الفرصه لان القوم كثر عليهم الطارق وزاد عليهم الجمع والمدد وما بقى أحد منهم يسأل عن أحد
ولا الوالد يسأل عن الولد فعند هاقصد شيبوب أبيات اللقيط وأكمن بالبعد عنها وقعد هناك وهو ينظر
الى الجواد الابجر والحجرة سكاب والعبد الذى يسايسه وأى طريق يسلك به اذا خلصه ومازال كذلك
الى ان أمسى المساء وقد أقبل اللقيط وهو سكران وحوله جماعة من العبيد والغلمان لانه كان فى وليمة
أخيه وهم منتظرون العروس فلما غابت وأقبل الليل فما أحد أجاب لهم خبرا فآيس منها هو واخوته
وتفرقوا فرقا وظنوا انها انعاقت لامر من الامور الا أن شيبوب بالمرأى اللقيط وقد أقبل على ذلك الحال
يتمايل فعند ذلك أقبل عليه وتقدم وقبل الارض بين يديه وخدم وأثنى عليه فلما نظره اللقيط
وقف له وقد استغرب به لما ان وقعت عينه عليه وقد أنكره وبهت فيه ثم قال له ويلك من أى العرب أنت
يامولد العرب فقال له شيبوب وقد قوى قلبه وجنانه وانطلق عند ذلك لسانه وقد عرف من هو قدامه
فتى عاجل الحال باس الارض وقال له يا أمير أنا من عند سنان بن أبى حارثة وقد أرسلنى اليك من أجل
أمر قد وجب وأريد أن أقصه عليك فقال له اللقيط حيا الله ذلك الامير والسيد الخطير وبالامس
مضى من عندى عبده لامع فقال له شيبوب صدقت يامولاى وقد لقيته فى الطريق وأخبرنى أنه قد
أقام عندك سبعة أيام وقد ردبته وهو شاكر منك بالاحسان والانعام لانه أخى أيها الامير وقد أخبرنى
أنه أمرك بجمع العربان من كل جانب ومكان وأما أنا فقد أتيتك محذرا من أعدائك وأخبرك بأمور
سوف تبلغ بها منالك لان مولاى سنان من حين خرج لبنى عبس من بلاد اليمن قد ترك عليهم العيون
والارصاد وأقام سيدى سنان ينتظر لهم العثرات لعله يامولاى أن يأخذ منهم بثار بنى بدر لما قتلهم بنى
عبس على جفر الهباق الا أن سيدى سنان بعد ارساله أخى لامع اليك أتاه بعض عبيده وأخبره أن
السلال الذى أتاك بالابجر وعاد من عندك ليأتيك برأس عنتر قد عرفوه وأول من عرفه أخوه
شيبوب وقد قبض عليه وضربه وقوى الضرب عليه حتى ان السلال أقر بكل ما فعل وقد أخبره بعد
ذلك أن فرسه الابجر قد أتى به اليك فلما سمع عنتر أمر بضرب السلال وأن يصلبه على قال الجبال
ومن يومه أخذ جماعة من قومه وسار الى ديارك يطلب خلاص الابجر من يدك ولما سمع مولاى سنان
بهذه الاخبار خاف عليك من دواهيه ومن خدائع أخيه شيبوب ذلك الكلب المكاوب الذى فتت
بفعاله القلوب وترك كل أحد من فعاله مكروب وانه لما علم بذلك أرسلنى اليك لاحذرك من ذلك
وأقول لك تطرح لاخيه شيبوب الرجال والعبيد والغلمان على سائر الطرقات فلعل أجله أن يكون قد
اقترب وقد سار برجليه الى الهلاك والعطب وشيبوب أنا أعرفه انه لم يقدر أحد أن يخلص منه اذا هو
طلب ولا يهرب منه لانه شيطان فى صورة انسان يغلب ولا يغلب ولا يوجد مثله فى قبائل العرب
ورأسك يامولاى ما بقى يسلم من هذه الايام ويشرب كأس الحمام هو وسائر بنى عبس الكرام
لاسيما اذا سرت أنت اليهم فى هذه الجموع واختلطت بعساكر الملك الوهاب فقال اللقيط بعد ما تار السكر

من

من رأسه والله يامولد العرب لقد قطعت ظهري في هذه الساعه وحيرتني في أمري وأشغلت سري بهذا الخبر وقلبي خائف على هذا الجواد الابجر لان عندي من قبائل العرب خلق كثيرة وما يمكن أن أحترز من أحد ولو أتى عنتر في ألف فارس واختلط في هذه الجموع ما بان من كثرة الفرسان وكان يفعل ما يريد ويدبر ما يختار وما بقي في الامر يا وجه العرب الا انني أجعل على هذا الجواد الابجر جماعة من العبيد والغلمان وآمرهم أن يحرسوه ويحفظوه من شر هذا الشيطان وأنت يا وجه العرب تكون معنا لانني قد بان لي رأي وأريد أن أقول لك عليه فقال شيبوب وما هذا الرأي ياسيدي وأنت صاحب العساكر والجنود والكتائب والمواكب فقل لي على هذا الرأي حتى انني أجيبك عليه ان كان رأيا جيدا قال فعند ذلك قال اللقيط اعلم يا وجه العرب انه قد خطر ببالي رأي بأن أرسل صحبتك عشرون عبدا وعشر فوارس من قومي حتى تحفظوا هذه الجرة وهذا الجواد الى أن ينقطع خبر بني عبس من هذه البلاد ونجتهد بعد ذلك في قتل عنتر بن شداد وقد بلغنا كل المراد ما تقول يا مولد العرب في هذا الايراد فقال شيبوب يا مولاي ان قولك كله صواب واعلم ان حفظ هذا الجواد الابجر من غاية الصواب مادامت أرضكم بهذا الحال لان كل يوم يطرقها قوم بعد قوم خصوصا ومن هذا الشيطان شيبوب فأنا أعرفه حق المعرفة دون غيره فتخاف منه عليه ولان القوم الذي يقال لهم بنو عبس كانوا الناجيران كما تعرف وان وصل هذا الشيطان مع أخيه عنتر الى هذه الديار اعلم يا مولاي انه كان يفعل فيهما من العبر والدواهي ما يختار ولو أن حول الجواد مائة عبد ذبحهم ذلك المحتال ابن الاوغاد ولو كانوا من الفراعنة الشداد وأنا وحق الكعبة الغرا وأبي قبيس وحرا خائف منه أن يكون هذا سبق أخاه الى هذا المكان أو يكون تركه خلفه مكمنا هو وعسكره وفي هذه الليلة يدور حول مضاربنا والخيام والصواب انكم تحترزون على أنفسكم في هذه الليلة الى أن يطلع الصباح واذا طلع النهار أنا أتخفى وأدور على هذا الشيطان شيبوب بين القبائل وأقبض عليه وأمسكه من رقبته وأسلمه اليك تفعل به ما تريد وان كنت تريد أن تتم أفراحكم فاصلبه بين الخيام أو علقه من كعبيه حتى يتفرج عليه النساء والرجال والغلمان وبعد ذلك يرمى بالنبال والسهام وأكون قد كفيتكم شره ومكره فترتاحون منه ومن شؤم طلعته على الدوام (قال الراوى) فلما سمع اللقيط من شيبوب ذلك المقال قال له وقد صغى الى كلامه ومقاله فقال يا مولد العرب دبر أنت أمرنا في هذه الليلة بما يكون فيه الصلاح وما تنظر عينك من الصواب فافعله واحتفظ على أبياتنا مادام ان فرساننا سكارى من الشراب وخذ معك من أردت من هذه العبيد الانجاب وكونوا رقودا بين الخيام والاطناب واجعلوا بالكم من المكان الذي فيه الابجر والجرة سكاب الى أن يقبل النهار وندبر على قدر ما نرى من الاخبار ثم ان اللقيط بعد كلامه أمر عبيده وغلمانه بطاعة شيبوب ثم انه دخل الى أبياته وهو من حديث شيبوب سكران ومكروب من المشروب ومن الذي قد ساقه اليه من المحال شيبوب حتى انه غاب عن الوجود وبقي مولها مكمود ولما ان سار اللقيط الى أبياته تفكر في أمره وفي الحال عبر في فراشه ونام قال وأما شيبوب فانه لما انصرف اللقيط من عنده وثب على قدميه وقد صفق بيديه وأخذ من العبيد ثلاثة وقال للبقية انصرفوا أنتم يا أولاد الحالة الى أماكنكم لانكم تعالى مما قاسيتم من الخدمة في هذا النهار وهذا الامر الذي ذكرته لسيدكم الا ليكون على يقظة من أمره وأما من هذه الساعة الى خمسة أيام لم يقدر عنتر وأصحابه على المجيء الى هاهنا (قال الراوى) وكانت هذه العبيد الثلاثة الذي اختارهم شيبوب طاغين من السكر وكثرة شرب العقار لا يعرف أحدهم من الليل من النهار فجلس بهم شيبوب بعد ان صرف العبيد الذين تقدم ذكرهم على باب الخيمة التي فيها الجرة سكاب والجواد الابجر وما استقر بهم المقام حتى أتاهم من عند اللقيط الطعام والمدام فأكل شيبوب من ذلك الطعام الى ان اكتفى

وبعد ذلك وضع بطة المدام بجانبه وملأ وشرب الى ان طلعت الخمر فى رأسه فافتكر اصدقاءه وأحبابه فبكى وأن واشتكى وأنشد يقول هذه الابيات

فراق أحبتى قد زاد نحبى * وأسقم مهجتى وأضنى فؤادى * أنوح أسا اذا ما جن ليلى
وتسهر مقلتى والليل هادى * وان فراقكم قد زاد نارى * وبعدكم قد الزمنى وسادى
هجرتمونى بلا ذنب ولا جرم * وأشمتم بنا سائر الاعادى * تذكرون زمانا كنت فيه
مع الاحباب كانت لى أيادى * فمن بعدكم قد صرت مضنى * كئيب النفس متعب فى البلاد

(قال الراوى) وقد صار شيبوب يبكى وينتحب وتلك العبيد الى جانبه وهم يهدونه من بكائه ويسكتونه حتى هدأ من بكائه فقال العبيد طيب قلبك فان سيدنا يبلغك منالك وهو يوصلك الى هواك فقال لهم شيبوب والله يا أولاد الحالة مالى اليها من وصول لان سيدى رجل جبار يقال له ذو الخمار وأخاف انى ان سرت اليه ووقع بى هذا الجبار قطعنى وأعدمنى الحياة والاصطبار وأريد اذا وصلت الى سيدى سنان وقضيت على يدى هذه الاشغال أسير الى البيت الحرام وأهجر المنازل والاوطان وأجعل مقامى فى مكة الى آخر الزمان هذا وهو يحدثهم ويشاغلهم بمثل هذا الهزيان الى ان رقدت العبيد وانطفت النيران ونام كل من فى الحى من الرجال والنسوان وقد انطرح العبيد مثل القتلى وارتفع غطيطهم وعلا قال فلما نظر شيبوب الى ذلك الاقوام قد رقدت والنيران قد خمدت نهض قائما على قدميه مثل النمر الحردان وتخطى المضارب والاطناب وفى أسرع وقت دخل على الابجر والحجرة سكاب فنظر شيبوب الى العبد وهو راقد بين المدودين وهو الذى كان يخدم الفرسين فدنا منه شيبوب فرآى جبته وقلنوسته عند رأس العبد فأخذهم ولبسهم وقعد الى جانبه وسل خنجره وحطه على وريده واتكى عليه فزاح رأسه من بين كتفيه وبعد ذلك تقدم الى الابجر قليلا قليلا وصفر له الصفرة المعروفة التى كانت بينه اذا قدم عليه فلما سمع الابجر ذلك الصفر هبت فيه ساعة زمانية فعرفه فخمعم عليه وتذكر ما كان منه اليه فصار يلعب بيديه ورجليه فتقدم اليه وحل شكاله وفعل بالحجرة مثل فعاله وفى عاجل الحال قاد الاثنين وخرج بهم الى خارج البيوت وقد صار على الطريق التى اختبرها بالنهار وعلم انها خالية من الاقطار والوراد وسليمة من الاخطار قال ولما سار شيبوب فى البر الاقفر ركب الابجر وقد جنب الحجرة سكاب وسار تحت أجنحة الظلام والاعتكار وهو طالب الوادى الذى فيه أخوه عنتر وعامر بن الطفيل ورفقته هذا ما كان من أمر شيبوب وجسارته وأما ما كان من عنتر ومن معه من فرسان بنى قراد وعامر بن الطفيل وشداد فانهم لما أخذوا العروس ودخلوا بها الى الوادى وأنزلوها من هودجها فتأملوها فرأوها صبيحة الوجه أحسن من الشمس والقمر وأضوء من الفجر اذا انفجر وكأنها من الحور العين وقد خرجت من الجنان أو من بنات الملوك أصحاب التيجان وعليها قلائد وعقود من الزمرد الاخضر والياقوت الاحمر وهى فتنة لمن لها ينظر والبنات التى معها يقاربنها فى ملاحتها ويشاركنها فى حسنها وبهجتها فعند ذلك قاموا يحرسون أنفسهم ويتحدثون فى أمر شيبوب طول ذلك النهار الى ان أقبل الليل بالاعتكار فأكلوا وشربوا وقاموا البنات واستحلوا المحرمات لانهم جاهلية قلوبهم على بنى مشاجيع مملئه (قال الراوى) وأما الامير عنتر فانه كان من حيث مر فى جواده الابجر ما دنا من عبلة ولا ضاجعها وقد أبصر فى ذلك اليوم الى مهريه وهى بذلك الحسن والجمال والقد والاعتدال فعند ذلك سلبت عقله وتركها فى تلك الليلة ضجيعته ولم يزل معها الى ان وصل شيبوب بالحجرة والجواد فرآه الدبادبة والحراس فأتوا وأعلموا الامير عنتر بقدوم شيبوب ومعه الحجرة والجواد ففرح بذلك وسر منه الفؤاد فوثب اليه وتلقاه وسأله عن حاله فأخبره شيبوب بما جرى له عند اللقيط بن زراره وكيف تحايل عليه

بالكلام المحال وكيف انه وكله بالحجرة والجواد وكيف أنه ذبح العبيد بعد ما أسكرهم بالكلام البهتان ثم
قال لهم ياوجوه العرب المقصود انكم تلجؤن فى هدوء الليل قبل طلوع النهار حتى لا تلحقكم سوابق الخيل
ويحل بناو بكم عظائم الويل لان الارض من بنى مشاجع امتلأت بالفارس والراجل من كثرة العشائر
والقبائل ونحن قلو بناعلى أهلنا ولا ندرى ماتم عليهم من عساكر الشام ومن بنى قرادة اللئام قال
فلما سمع عنتر هذا الكلام رآه عين الصواب وقال لابيه يا أبتاه ان شيبوبا قال الصواب ولولا هذا
السبب ما برحنا من هذه الارض حتى أكافئ اللقيط على فعاله وما قد صنع ولو ان عنده كماء الفلا أومن
مشاعلى الارض وعلا ولكن لابد له ان يسير الينا هو ورجاله ويرى منا ما يعجز عنه هو وأبطاله قال
فنهض عند ذلك شيبوب وقد شد لاخيه عنتر على ظهر جواده الابجر وفى عاجل الحال ركب عنتر على
ظهره وركب جميع رفقته وقد أركبوا النساء والبنات وكل من كان معهم من الاماء على الخيول
الحاليات وبعد ذلك ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وهم يقطعون الفلوات فى تلك الدياجى المظلمات
وما طلع عليهم النهار الا وقد بعدوا عن الديار فهذا ما كان من أمر هؤلاء من العباره وأما ما كان من
أمر اللقيط بن زراره لما انه صحى من سكره عند السحر وقد خطر كلام شيبوب فى قلبه فافتكر وارتجف
قلبه على الجواد الابجر من أمر أبى الفوارس عنتر وما صدق ان يرى الفجر قد ظهر حتى انه وثب من
منامه مثل الفهد اذا اندعر وقد خرج من خيامه وأتى الى المضرب الذى قد أمر شيبوب بحفظه فنظر
الى العبيد حوله فرآهم نياما فصرخ عليهم فانتبهوا من خمرهم وهم فى خيال قال فلما انتبهوا سألهم عن
العبد الفزارى وقال لهم ما كان منه فقالوا له والله يا مولاى ما ندرى أين قصد لانه لما أخذنا معه وأتى
بنا الى هاهنا قال لنا أنتم على كل حال تعابا وسكارى فقوموا الى ان تخلصوا من غلبة المدام فأنبهكم للحرس
وأنام أنا بعدكم فقبلنا يا مولاى منه ما قال لنا وغنا وما استيقظنا من غلبة المدام الا فى هذه الساعة كما ترى
فقال لهم اللقيط لما سمع منهم ذلك وقد حس قلبه بالبلاء ياويلكم ما أخوفنى أن يكون هذا العبد ما هو من
بنى فزاره ولا هو من عبيد سنان بن أبى حارسة ولا أتى الينا هذا العبد الا عن امر محتال وقد قال ما قال من
شقشقة اللسان والكلام ولكن ما قال لكم على اسمه ولا عن لقبه ولا شيأ يعرف به بين العبيد فقالوا له
بلى والله يا مولاى انه قد أخبرنا ان اسمه جامع واذا مزح معه سيده يقول له يا مخادع فقال لهم اللقيط
هذا والله هو الصحيح ولان الرجل عرفكم بحاله وما أخفى عنكم شيأ من أحواله لانه قد أتى الينا مخادعا
ولكن أنتم ما عرفتم مقاله ولا وعيتم كلامه قال ثم ان اللقيط بعد كلامه للعبيد قام من عندهم ودخل
الى المضرب الذى فيه الجواد الابجر والحجرة سكاب فما رأى لهم خبرا ولا أثرا ثم انه نظر الى العبد الذى كان
يخدمهم فرآه مذبوحا وهو جسد بلا روح فعند ها قال يا جامع لا جمع الله شملك على من تحب يا ابن الملعونه
ثم انه نظر الى ما حل به من تلك الاشياء فأكل كفيه أسفا عليه وعلى الجواد والحجرة سكاب وقد أحس
بان روحه وقلبه قد انفطر وقد علم ان العبد الذى فعل معه تلك الافعال هو شيبوب أخو عنتر فتلهب
وتحسر وفى عاجل الحال جمع اخوته اليه وهم ثمانية عشر وقد أخبرهم بما جرى عليه فتوجعوا لما قد
جرى له وأخذهم القلق عليه فعند ها قال لهم اعلموا يا اخوتى ان هذا الشيطان قد تجار أعلينا مرارا عديدة
ونحن ما نحترز من محاله ولا من شقشقة لسانه على أن هذا الشيطان ما أتينا الا بالحديث والخبر الذى
يكون فيه وما ندرى من يعلمه بأحوالنا كأنه هذا الولد الزنا يعلم بما فى قلوبنا بمكره وخديعته فقال له
الحاجب يا لقيط هون عليك هذا الامر فان الابجر ينفعك ولا ينقاد لما تريد من أمرك وان تولعك به
خطأ ومع هذا يا أمير فنحن كلنا سائرون الى ديار بنى عبس ومجتهدون فى قلع آثارهم وخراب ديارهم
ونهب أموالهم وعيالهم فان تم لنا هذا كان عنتر والجواد الابجر وكل ما تريد بحكمك وان هم رزقوا

النصر علينا وعلى غيرنا من عساكر الملك الحارث الوهاب فهذا أمر ما لاحد فيه حيلة ولا أسباب ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم يتحدثون فى أمر شيبوب وما فعل وكيف تحايل عليه وكيف سرق الجواد والحرة واذا بثلاث رجال قد أقبلوا من البر عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له أيها الملك اعلم ان العروس الذى زوجتموها للامير مالك قد سبيت والمال الذى معها قد نهب والعبيد والغلمان والنساء والبنات الابكار ملكوا والفرسان الذين معهم قتلوا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع اللقيط هذا الخبر وان العروس قد سبيت هى ومن معها من النسوان زاد باللقيط ومن معه الهم والاحزان ورموا بنوائب الزمان وقد اشتعلت قلوبهم بالنيران وجرا على اللقيط هو واخوته ما لا يجرى على قلب انسان فقال اللقيط لاخوته ولاهل مملكته احفظوا أنتم ياوجوه العرب الحال والمضارب والعيال والنوق والجمال فربما يصير علينا هذا الشان مرة ثانية ويجعلنا فضيحة عند سائر العربان ﴿قال الراوى﴾ فلما تكلم اللقيط بن زراره بهذا المقال ما بقى أحد من بنى مشاجع الا وقد احتفظ على ماله وعياله ونوقه وجماله وزاد بالقوم الفزع وقد احترزوا على أنفسهم جميع أهل الحله باقامة المصاصين على الطرقات والحدود وبعد ذلك سار اللقيط واخوته وفرسانه الى وادى الاخدود ونزل فى ذلك المكان أياما وليالى بمن معه من الجنود وصار يجمع العساكر من العربان وعلم أن الامر قد تم عليه من شيبوب وأخيه عنتر وعلم أنه ان تبعه كان معه على خطر فعند ذلك أنفذ اللقيط أخاه حاجبا الى الملك الجون سيد بنى كندة يخبره بالخبر وأيضا الى ملك بنى تميم وأعلمه بقصته وما جرى عليه فى نوبته وسأله هو ومن بصحبته من الفرسان فى نجدته قال وأقام بعد ذلك اللقيط فى وادى الاخدود هو واخوته وصار يقهر ويقهر ويمزق نفسه ويكابد حرقته ويتكمد بغصته ويفرق على قبائل العربان ماله ونعمته وما قد جمعه فى طول عمره ومدته من النوق والجمال والخيل والانعام ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من اللقيط واخوته وأما ما كان من عنتر بن شداد ورفقته فانهم جدوا فى المسير ليلا ونهارا فى الغدو والابكار مقدار خمسة أيام ثم بعد ذلك ترفق على نفسه فى المسير لاجل النساء المسبيات اللاتى معه فصار عنتر يكرمهم بالطعام ويترفق بهم فى اللغو والكلام وأما العروس مهريه فانها صارت تبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ولا تسكت لها لوعة ولا تنشف لها دمعة ولم تلتذ بطعام ولا غمضت عيناها للمنام فقال لها عنتر فى بعض الايام يامهريه بكاكى هذا على مالك بن حاجب الذى كنت سائرة اليه وترفى عليه فقالت له لا وحق عينيك يامولاى ما هو عليه وما تزوجت به باختيارى وما كان ذلك الا عصيانا منى وانما بكائى على ابن عمى لانى قد ربيت معه من الصغر وقد ألفته وألفنى من زمن الصبا الى الكبر فزوجنى به والدى وقد مضى يأتى بالمهر المعتبر من بعض أحياء العرب فابطأ وقد أيسنا منه ولم نعلم ما قد جرى عليه من الخبر أو الضرر وقد اتفق أن حاجبا زارنا فى أيام عيدنا الكبير فرآنى وسط البنات وأنا أدور حول الصنم فهو بنى فعاد الى أهله واعمامه ومد أبى بالخيرات والنعم بعد ان شكى اليهم حاله وسألهم أن يزوجوه بى فأجابه اخوته الى ذلك فانفذوا الى والدى وخطبونى منه وأنفذوا له شيأ من المال والنوق والجمال ففرح أبى بنعمتهم وزوجنى به غصبا وساقنى اليه كما ترى وقد جرى على منكم ما جرى والى الآن ياسيدى وأنا متحسرة على ابن عمى ومتذكرة أيام الصبا فلما ان تكلمت مهريه بهذا الكلام قال لها عنتر يامهريه هذا أمر هين وأنا أقضى حاجتك وأبلغك أمنيتك وانى متى وقعت به أو سمعت خبره أنفذت خلفه زوجتك به وألم شملك عليه ﴿قال الراوى﴾ وكان الامير عنتر أو عد عروة بن الورد بهذه الصبية وقد عزل ان يوهبها له من خوفه من بنت عمه عبلة اليه الا ان عنترا واصحابه ومن معه والجارية مهريه ما تموا كلامهم حتى لاح لهم من صدر البريه خيل وجمال ونوق وأموال وهى تتسابق الى الغدران فعند ذلك قال عنتر هذا ركب سائر وأقول لابد

ما

مامعه خبر من بنى عبس وعدنان و بنى عامر غرك جوادك يا ابا الابيض واسالهم عن تلك الديار
وماقد جرى لهم من بعدنا ان كان معهم خبر عن الاهل والعيال لان قلبى خائف عليهم من هذه العساكر
الجراره ومن سنان بن أبى حارسة ومن اللقيط بن زراره فعندها أطلق عروة الجواد وقوم السنان
وحرك العنان وتبعه خمس فوارس كأنهم العقبان ومازالوا يركضون بخيولهم حتى قاربوا الجمال
والنياق وحققوها بأعينهم والاحداق فاذا هم بخمسة من العبيد وفارس واحد كأنه البرج المشيد
وهو غائص فى الحديد والزرد النضديد وتحته جواد شديد هذا ولما نظره عروة أراد أن يبدأه
بالسلام واذا بالفارس قد قفز اليه مثل ثنية الجبل أو الغمام اذا هطل وطلبه كما يطلب الجارح الحمام
فعند ذلك قال له عروة ياوجه العرب من أين طريقك والى أين غادى فى هذا البر الاقفر والمهمه الاغبر
فقال البدوى بعد ما صرخ فى وجهه صرخة تهد الجبال ويلك ياجاهل ماهذا مقام السؤال فانزل عن
جوادك وسلم ما معك من السلب والاموال والا وحق ذمة العرب ومن عن خلقه قد احتجب هتكت
بسنان هذا الرمح منكم ودائع الصدور وتركتكم رزقا للوحوش والطيور ثم ان الفارس بعد كلامه
طلب بسنانه صدور الفرسان الذين مع عروة وهو مثل المجنون العاشق الولهان الذى قد أبعد عنه
أحبابه وهجره خلانه وأصحابه ﴿قال الراوى﴾ وفى دون ساعة جرح الفارس من أصحاب عروة ثلاثة
رجال وطمع فى جانبهم واستطال فلما أبصر عروة ما حل باصحابه وجهل هذا الفارس وقتاله خاف
منه على نفسه ورجاله فعندها حمل عليه حملة الحنق وصاح فيه وزعق وصدمه صدمة الاسد وفى
عاجل الحال تضاربا بالرماح حتى تقصفت وبعد ذلك عادوا الى الصفاح ومازالا كذلك حتى آيسا
الاثنان من الارواح هذا وقد اختلف بينهما ضربتان قاتلتان واصلتان كلت منهما مضارب السنان
وقد وقع سيف كل واحد منهما على مهنة صاحبه فانقطع ومابقى فى أيديهما الا المقابض التى لاتنفع
﴿قال الراوى﴾ و بعد ذلك القتال والضراب والنزال تقابضا على ظهور الجوادين وقد طال الامر بين
الاثنين حتى كادت أنفسهما تتجرع غصص البين ومازالا يتحاربان ويتجاذبان ويتواثبان حتى
ان عروة خاف عليه أصحابه منه فداروا بالبدوى من كل جانب ومكان وطعنوا فرسه بالاسنة والقواضب
فوقع من فوقها وسقط على أم رأسه فانقلب فأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وفى الحال عادوا به
وبالعبيد الذين معه والنوق والجمال وقدموه بين أيدى الامير عنتر بن شداد وعامر بن الطفيل وأخبروهما
بفعاله وجهله وماقد جرى لهما معه وطلبت الرجال قتله فقال عنتر اقتلوه وعلى الارض جندلوه
و بعده جدوا بنا فى المسير لان لنا شغلا أهم من هذا كثير قال فبينما هم فى ذلك الكلام واذا هم بمهريه
قد ألقت روحها الى الارض وارتمت عليه وقد بكت وعانقته فى صدره وقبلته بين عينيه والتفتت الى
الامير عنتر وقالت له ياحامية عبس ان أردت قتل هذا الغلام فاضرب بنى قبله بالحسام واقتلنى لان
هذا الفتى هو ابن عمى ولحمى ودمى وهو الذى كنت أشكوا اليك أمره من قبل وما أجد من المحبة
والوداد من أجله وقد سمعت عنك يا أبا الفوارس انك قاضى حاجات العشاق فى هذا الزمان لكثرة
ماقاسيت من أجل ستى عبلة من الذله والهوان وسرت من أجلها فى بلاد العراق واصفهان حتى
جمع الله شملك بها وأنا يا أبا الفوارس قد ربيت مع هذا الغلام من عهد الصبا فحرمة مابينك و بين
سيدتى عبلة من المحبة والوداد والغرام لاتقبحنى فى ابن عمى هذا الغلام فلما تكلمت مهريه بهذا
الكلام قال لها عنتر والله يامهريه لقد أقسمت على بقسم عظيم وما هو هين ولاجل قسمك آمنك على
ابن عمك وأطلقه لاجلك وأطلقك أنت معه ولانؤاخذه بما فعل بابطالنا لاجلك فعند ذلك فرحت
مهريه بكلامه فما كان عندها غير انها دعت له فعند ذلك حن قلبه عليها وعلى ابن عمها وقد تعجب عنتر

من هذا الاتفاق وكذلك جميع من حضر معه من الرفاق فعند ذلك التفت اليها الامير عنتر وقال لها يا مهرية أتحبيه فقالت له وكيف لا ياسيد بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان وهو الذي قد شكوت اليك محبته ووعدتني بجمع شملي بشمله وقد قرب الاجتماع به على يديك وكان (قال الراوي) فعند ذلك تعجب عنتر من هذا الاتفاق الغريب السديد وأمر عروة بن الورد ان يطلق الغلام والعبيد ويرد عليه فرسه وسلاحه ونوقه وجماله التي كانت معه وما يريد ففعل عروة ما أمره به عنتر وحله من اعتقاله فعند ذلك وثب الغلام على قدميه ولبس ثيابه وتقلد بسيفه وتمكن بدرقته واعتقل بسنانه ورمحه وتقدم الى ابنة عمه فوثبت اليه وهي مزينة باللبس والعقود والجوهر ووقعت على صدره وقالت وا ابن عماه وآمهجة قلباه فسأل عنتر بن عمها عن طول غيبته فقال والله يا مولاي من حين خرجت من عند قومي رميت بروحي في المعامع والحروب والاخطار وقد درت سائر الاقطار حتى سهل الله لي هذه النوق والجمال ومع هذا لم تف ببعض ما طلب عمي من المهر والصداق الحال وما فعلت هذه الفعال مع أصحابك الا لاجل تحصيل ما بقي علي من المال فقال له عنتر هاقد خلصت من حمل المال والنوق والجمال والاماء والعبيد وقد أتاك الامر كما تريد وقد حظيت بابنة عمك وهانت الامور عليك ولولا أنا ما كنت رأيتها لك ضجيعة لان أباها قد غدر بك وزوجها للملك بن حاجب قال ثم ان عنتر حدثه بقصتها وما جرى لهم من قضيتها وقال له عنتر يا وجه العرب خذ بنت عمك وتزوج بها ولا ترجع بها الى أهلها فتؤخذ منك غصبا واعلم اننا قوم كثرت أعداؤنا ولولا ذلك لكنا أخذناك معنا الى ديارنا واوطاننا وعنتر ما قال له ذلك الا فزعا من عبلة وخوفه أن تسمع من بعض النسوان ما جرى له مع مهرية طول الطريق فتعمل على أذيتها وأيضا تكدر عيش عنتر معها فلاجل ذلك وهبها لابن عمها وجاد عليها بها وكان سيف الغلام ورمحه قد تكسرا كما ذكرنا فأعطاه عنتر رمحا طويلا وسيفا صقيلا فكان عنتر يستعمله وقت الضيق ويستعين به على قطع الطريق وكان اسم ذلك السيف المضني قال فعند ذلك فرح ابن عم مهرية بذلك وقد شكره وأثنى عليه بعد أن عرفه أنه حامية بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فما كان عنده شيء يكافئه به غير جوهرة اللسان التي يفتخر بها بين السادات والعربان وهو المدح والثناء على الاصحاب والخلان فعند ذلك شمر عن يمينه واشار بمدح عنتر بهذه الابيات

لك الله ما أعلى محلك وأرفعا * وأحرى الى كسب الثناء وأسرعا
وأعداك عدوا في الانام كقطرة * اذا جاء سيل للبرية أروعا
واسرع كفا والملوك بخيلة * واشجع ان داع الى نصرة دعا
جمعت على الناس السماح ولم يكن * لولاك أنت لم يستجمعا
كما طبت خبرا في الانام ومخبرا * كذلك جودك في البرية مشبعا
فما فارسا فاق البرية كلها * علاء ومجدا كان طفلا ومرضعا
بلغت من العلياء ما أعجز الورى * ولم يبق في فخر لفخرك مطمعا

(قال الراوي) فلما فرغ الغلام من مدحه لعنتر شكره وأثنى عليه وفي عاجل الحال وهب له شيأ من المال وكذلك عروة بن الورد وهبه على قدر ما يليق وكذلك عامر بن الطفيل ومقرى الوحش نزل من على فرسه وسلمها اليه وما أحد من الفرسان الا وأنعم عليه ولم يبق غير شيبوب فانه لما نظر الفرسان تكرموا على هذا الغلام فقال يا وجوه العرب ما أنا فارس حتى انني أتكرم وأسعف هذا الرجل وأنا لا تعرفني العربان الا صاحتا لا من مكان الى مكان وان كان هذا الرجل يريد أن يتعلم شيأ من المكر والشيطنة والحيل فانا أملأ له فردا ملآن بلا أودان وأعلمه كيف يسرق الخيل من كل مكان ويبيعها

الى

الى أصحابها بعد الادهان و يأخذ المرأة من حضن زوجها وهو نائم أو يقظان فهذه تجارة لم تفرغ على مدى الازمان قال فلما سمعوا من شيبوب ذلك الكلام تضاحكوا عليه وعلموا أنه يخرج من يده أكثر مما قال فعند ذلك أخذ الغلام ابنة عمه مهرية وودع القوم وسار الى حال سبيله وكذلك عنتر ورفقته قد ساروا و جدوا فى المسير وهم طالبين أرض بنى عامر هذا وعنتر تقدم الى امام القوم وتذكر ماجرى عليه من هذا المجرى فأنشد يقول

الا انني قد طفت كل المعالمى * ودرت على عر بانها والاعاجمى
ولاقيت شجعانا وكل غضنفر * وفلقت هاماتٍ لهم بصوارمى
وأحميت قومى عند مشتجر القنا * وصلت على أعدائهم فى التلاحمى
فلا تجهلوا فعلى وعظم شجاعتى * فانى جسور فى اللقا والتهاجمى
الا خبروا ضدى اذا الحرب شمرت * وصلت على الهامات بيض الصوارمى
الا خبروا عنى لقيطا انني * سأرغمه عند اشتباك اللهادمى
وخبره عنى أنى سأذيقه * كؤس المنايا من سموم الاراقمى
وأقهره رغما من بعد سبي حريمه * وأشهرهم بين الورى للعوالمى
ليعلم أنى الفارس البطل الذى * ذكرى على الافخر ما الدهر قائمى
تنبه يا مغرور ان كنت نائما * بانى غداة الحرب ليث القشاعمى
أما سمعت أذناك يوما بموقفى * وقد فر منى الرجال الضراغمى
بانى أقطع فى الهيجا رؤسها * وحكمت سيفى فى الكلا والجماجمى
ومن عرب العربا فخرى ونسبتى * وذكرى فيما بينهم وبك قائمى
ستعلم يا هذا ويظهر ماخفى * بانك فى الهيجاء قتيل بسارمى
أنا عنتر العبسى ألقى حماتها * غداة أوريك كيف التصارمى
ولا أرجع عن حرب قومك دائما * لانى أنا قرم شجاع ملازمى
وانى قد لاقيت ألف مدرع * ملوك حماة لا يخافوا التهاجمى
قطعت نواصيهم وفرقت جمعهم * وشتت عربانا لهم والاكارمى
أنا عنتر لا تنكرون فعائلى * اذا ما بدا لى الموت كنت مهاجمى
فلا بد لى مما أحاول ثاويا * وأتركك ملقا عفيرا ونادمى
وتنظر أنصارا لكم قد تهاربت * فزعا لما قد نالها فى اللهادمى
أسرت دريدا ثم فرقت جمعه * فماذا لقيط بعده فى تهاجمى
أقول لصحبى ان ذكرت عبيلة * وزاد اشتياقى نحوها وتقادمى
وقد فاح من نحو الديار لمية * أضاءت لنا الاكوان والليل معتمى
وأجلى الدياجى منه نورا كأنه * سنا الشمس بل أبهى سناء واعظمى
خليلى هذا النور منه لنا بدا * فذا الفحرام نار تشب وتضرمى
فقالوا رعاك الله ذا النور ضاويا * ديار أبيها ظعن الحبيب مخيمى
فقلت أميلا عن مثانى ركابنا * فهذا الذى كنا نبدو ونختمى
والآل والاصحاب جملا وآلهم * ماناح طير على الغصون وترجمى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك طربت جميع الفرسان وقالوا لا ردا لله فاك ولا كان من يشناك يا أبا الفوارس ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا غدوا وابتكارا حتى وصلوا الى المنازل والديار قال وكان وصولهم أول النهار فوقعت لهم البشائر فى الاهل والعشائر الا انهم ما وصلوا الى المضارب والخيام حتى أقبلت اليهم رسل الملك وقد أمروهم بالحضور فأجابهم بالسمع والطاعة وقد امتثلوا الامر فى تلك الساعة وفى الحال خلعوا عنهم الزرد والحديد وآلة السفر ولبسوا ثياب الحضر ثم انهم عادوا ووصلوا الى الخيام فنظروا فرسان القبيلة كلهم مجتمعين وفى أصل أمورهم يتشاورون ولما أقبلوا وثبوا لهم بالحضور قياما على الاقدام وهنوهم بالسلامة وعظم الشان وسألوهم عن سفرتهم وما جرى لهم فى غيبتهم فحدثهم عنتر بما جرى له مع اللقيط بن زرارة قال فلما سمعوا منه ذلك الكلام تعجبوا من تصاريف الايام فقالت أبطال بنى عبس يا أبا الفوارس لما أعلمتنا بهذه الاخبار لما سرت كنا نتبعك ونقلع من بنى مشاجع الاثر ولا نخلى لهم ذكرا يذكر ما طلعت الشمس وغاب القمر فقال عنتر يا موالى ما أردت أن أتعب خواطركم فيما لا يسوى ولا أكلفكم أكثر ما كلفتكم فى قبائل الاعداء وبسعادتكم قد تم أمرى وانقضى وأنتم يا وجوه العرب ما الذى تجدد عندكم من الاخبار وكيف مقامكم فى هذه الديار فقالت الرجال والله يا أبا الفوارس ما كان مقامنا الا أطيب مقام الا انه كان فى الامس آخر النهار وقد كنا مجتمعين فبينما نحن هكذا اذ أقبل علينا رجل من بنى فزارة فنظرنا اليه وهو مضيق اللثام تام الطول والقوام وهو راكب على ناقة عالية السنام ولما قرب الينا لا تكلم ولا سلم الا انه نزل من على ناقته ورمى فى وسطنا ثوب خام وهو مشدود الاكمام ومربوط ربطتين وجعله صرتين ورماه بين أيدينا وعاد ركب ناقته وسار وقد غاص فى البرارى والقفار ونحن ننظر اليه وباهتين فيه ولما غاب عنا تقدمنا الى ذلك الثوب وفتحناه فوجدنا فى الصرة الاولى رملا أصفر وفى الصرة الثانية شوكا مثل رؤس الابر وأيضا فى الثوب عشرة أحجار صغار فلما نظرنا الى الثلاثة اشارات قد انزهلنا وتحيرنا من هذه الصفة وضاقت علينا المسالك ولا فينا من عرف هذا الحال ولا حملنا هذا الاشكال وقد قلنا فى أنفسنا والله ما أتى هذا الرجل الا ليحذرنا من قوم يصيبنا منهم ضرر وما فى الامر الا انا نركب الخيل ونلحقه ونمسكه وانه يحدثنا بالذى فعله معنا يا كرام ولما هممنا الى هذا الامر التفت الينا الملك قيس وقال يا بنى عمى الرجل مأخوذ عليه العهود والمواثيق انه لا يكلمنا بشفة ولا بلسان ولو انكم تشيلوه بعوامل الرماح ما أظهر لنا سره ولا باح وأما هذان الصرتان أنا أحدثكم عن معناهما فأما الرمل فانه يقول لكم قد أتتكم عساكر بعدده وأما هذه الصرة الشوك فانه يخبركم ان هذه العساكر الواردة اليكم فانهم فى شوكة قوية وكون أن الرمل أصفر فانه يخبركم أن العساكر من بنى الاصفر وأما هذه العشرة أحجار فانه يقول لكم بعد عشرة أيام يكونون عندكم قال فلما سمعنا ما تكلم به الملك قيس صدقناه فى معرفته ونطقه ولكن يا أبا الفوارس ما نعلم من أين تأتينا هذه العساكر فلما سمع الامير عنتر منهم هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لهم يا وجوه العرب أما الملك قيس فوحق ذمة العرب لقد أصاب فى تفسير هذا الاشكال المستغرب وأما هذه الجيوش القادمة عليكم فأنا أخبركم بخبرها واترك خيلنا تتعثر بجماجم فرسانها وركابها وهى منهزمة بين أيدينا تطلب ديارها وأوطانها ثم ان عنتر حدثهم بحديث خبر الشام وانهم يريدون أن يأخذوا بثار ابن ملكهم الذى قتلته أنا فى أرض تيما فأتوا الى هذه الديار يطلبون ثاره ثم انه أخبرهم أيضا بمكاتبة سنان ابن أبى حارسة وانه سائر الى ملتقاه فى فرسان بنى فزارة هذا وقد عرفهم عنتر بالجموع التى جمعها اللقيط بن زرارة هذا ولما انتهى عنتر من كلامه وقد بين لهم القصة على

جليتها

جليتها التفت بعد ذلك الى فرسان بني عامر وقال لهم اسمعوا يا وجوه العرب واعلموا ان طلبنا أكثر من طلبكم والدماء علينا أكثر مما عليكم فان كانت قلوبكم تطيب بجوارنا وأنتم تساعدونا على الاعداء فلا مانع والا فاعلمونا حتى نرحل من جواركم ونبعد في البراري والقفار عنكم وما يدبر كل أحد ما يحب ويختار لانكم أنتم يا أصحاب هذه الديار ونحن لكم من بعض الرعية والجوار فلا تكافوا أنفسكم الا بما تصلحوا به نفوسكم وشأنكم وأمركم وأوصيكم أن لا تعتمدوا على شئ يضركم (قال الراوي) ولما سمعوا بنو عامر كلام عنتر وما أبداه استحسنوه وشكروه وقالوا له يا أبا الفوارس أتريد أن تنسبنا بين العرب لفسخ الذمام ونترك نا معيرة بين الانام والذي أرسى شوامخ الجبال ويعلم عدد الحصا والرمال ما بقي أحد منا يثني عن صاحبه حتى انه يقتل الى جانبه فدع يا أبا الفوارس الملوك يدبروا نفوسهم ونحن نتبعهم فيما يدبرون فلما تكلم العامري بهذا الكلام قال الملك قيس للاخوص بن جعفر سيد بني عامر فاذا كنتم يا وجوه العرب قلوبكم طيبة بهذا القول فهو الصواب ونعم الرأي نجدد ما بيننا وبينكم العهود والمواثيق اننا كنا نكون على عزم واحد ونلقى هذه العساكر والجيوش بغير معاون ولا مساعد فقال الاخوص أيها الملك افعل ما تريد وما تشتهي وما يخطر على بالك فعند ذلك التفت الاخوص ابن جعفر الى بعض فرسانه وأمره أن يمضي الى الديار وأن ينفذ فرسان القبائل ومقدمين العساكر لانهم فرق تحت ادارته شتى وهم بنو كلاب وبنو عامر وبنو غنا وبنو الحرث هذا ولما سارت الرسل الى جميع القبائل والحلل أعلموهم بما اتوافيه فلما سمعوا ذلك القول لبسوا عددهم وركبوا خيولهم وساروا طالبين طوع سيدهم الاخوص بن جعفر فلما وصلوا اليه قبلوا الارض بين يديه فقال لهم الاخوص بن جعفر اسمعوا أيها المقدمين من أصحاب الحلل والقبائل ان فرسان بني عبس قد تحرك عليهم بعض عدوهم وهو الملك الحرث الوهاب الغساني الحاكم على مدينة دمشق وارض غزة والرملة وبلاد عسقلان الاديار مصر ونيلها وصعيدها وقد التجأت الينا هذه القبيلة العبسية وقد أكلت زادنا بين حرمنا وأولادنا وقد اختاروا جوارنا من دون سائر القبائل وهذه عساكر وفرسان وأبطال حامية على هذه الربا وان لم نحسن المعاشرة والاداستنا الخيول الغائرة ونحترق بنارهم ونتفرق في تيارهم ان لم نكن يدا واحدة وكلمتنا على بعضنا البعض نافذة ومساعدة والا صرنا قطعا بالسيف ونذوق الحسرة والحيف فها أنا قد أعلمكم بالحال ان وافقتمونا فيها والا ارحلوا عن هذه الديار واعتصموا بالروابي والتلال وقد بلغنا ان الاتي علينا مائتا وخمسون ألف عنان سوى العبيد والغلمان فلما سمعوا مقدمون الحلل والقبائل من أميرهم ذلك المقال قبلوا جميعهم الارض بين يديه وقالوا له أيها السيد اعلم انك لو أمرتنا بالبحار لخضناها ولو أمرتنا بالنيران لنزلناها ودسناها لانك صاحب رأينا ومشورتنا وأنت سيدنا وملكنا والحاكم علينا والآمر الناهي فينا فلما سمع الاخوص من قومه ذلك الكلام شكرهم وأثنى عليهم ثم انه أخذهم وأتى بهم بين أيادي الملك قيس وقبل الارض بين يديه وقال أدام الله أيام الملك الوهاب والسيد المفضال اعلم أنه قد انصلح الحال وتم الامر بين المقدمين وما بقي غير الرحيل من هذه الديار للقى هذه العساكر والجيش الجرار فجددوا العهود والمواثيق بينهم حتى صاروا عصبة ويدا واحدة على الاعداء من بني غسان وغيرهم من جميع الانام وانهم يكونوا مع بني عبس وعدنان طول الشهور والسنين والاعوام قال فأجابه الملك قيس الى ذلك ولما انتظم الامر بينهم على ذلك الحال أمر الملك قيس لهذه القبائل أن يركبوا خيولهم ويحفظوا طرقاتهم ثم انه أمر الجواسيس بأن يسيروا الى سائر الجنبات من الارض ويتجسسوا الاخبار فسارت عند ذلك الجواسيس وقد أخفوا امورهم وطلبوا الطريق الواضحة التي يمكن أن تدلهم على آثار أعدائهم

قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه قال لابيه ويا أبتاه انى خائف على اختى مروة وعلى ابنها الهطال وأيضا على بنى غطفان لانى أنا أعلم ان سنان بن أبى حارثة اذا اجتمع بعساكر الشام وفرسان بنى غسان لابد أن يقول لهم هؤلاء بنو عمى الذين قتلوا ابن ملككم فافلعوا آثارهم واخربوا ديارهم فتهلك عساكر بنى غطفان من أجلنا ويحترقون بنارنا فقال له شداد ياولدى انى متعجب كيف ان بنى غطفان يسمعون بهذه الاخبار ويقيمون فى الديار فقال عنتر لعلهم ما سمعوا بذلك لان سنان بن أبى حارسة ان اجتمع بطوائف أرض الشام وفرسان بنى غسان يهلكونهم عن آخرهم ولا يجد أحدا من الفرسان ولا من أبطال بنى عبس وعدنان فى ذلك الوقت من ينجدهم فقال شداد والله لقد صدقت ياولدى ولعل سنانا يكون من خبثه ولعنته من حين سمع بخبر عساكر الشام وهذه الطوائف طلبتنا قد أوقف الرجال بالطرقات ومنع الناس من بنى فزارة أن لا يمكنوا أحدا من الخروج من الديار وكذلك سائر العشائر حتى لا يبلغ الخبر الينا ولا نسمع هذه الحديث من بشر وكان هذا الحديث من عنتر أعجب من كل عجب لانه قد أصاب فى الحديث والكلام وكان سنان قد فعل هذه الفعال وقد وكل بالطرقات الرجال حتى لا يعلم بنو عبس بما هم عليه وتدهسهم هذه العساكر على غفلة منهم وقد مسك سائر الطرقات والمذاهب وحفظ الخيام والمضارب ولا صار يترك أحدا من أهل الحلة ان يخرج من الديار الى مكان ولم يخرج من الاحياء الا ذلك الرجل الذى قد أتى لبنى عبس لان امه كانت من بنى عبس فلما ان جرى هذا المجرى قالت لولدها ياولدى اعلم أن هذه النوبة صعبة على بنى عبس وان غمت على أخوالك فنوا بالحسام وتساق نساؤهم الى أرض الشام والرأى ياولدى انك تتسبب فى الرواح اليهم وتقص هذه القصة عليهم لعلهم يرجعون الى بلاد اليمن أو يلتجؤن الى جبل يحميهم من طوارق الزمن ثم انها بكت حتى بكا ولدها وقال يا أماه على أن أبذل المجهود فى بلوغ المقصود ثم انه ركب ناقته وخرج يطلب البر فردته الفرسان التى وكلها سنان على الطرقات ثم انهم ساقوه الى بين يدى سنان فلما أقبل عليه قال له الى أين أنت غادى فقال له يا مولاى الى المراعى لان العبيد أخبرونى البارحة أن الفحل الذى لى قد شرد وأخذ النوق والجمال معه وأنا ذاهب لاردها بلا امهال فقال له سنان هذا منك محال فما أنت سائرا الا الى بنى عبس تخبرهم بما نحن فيه لان أملك منهم وقد ضاق صدرها عليهم فلما ضاق صدرها على أولاد بدر الذين قد مزج قيس دماءهم بماء النهر فارجع الى الخباء والا وشحتك بالحسام فقال له الرجل وكان اسمه الصامت والله يا مولاى ما عندى من هذا خبر وما أنا سائرا الا فيما قد ذكرت لك فقال سنان ان كان هذا صحيح وأنت صادق احلف لى بالرب القديم وزمزم والحطيم أنك لم تتحدث بحديث الى عبسى أبدا قال فحلف له كما اختار فأطلقوه وسار يقطع البيدا والقفار الى أن أشرف على بنى عبس وبنى عامر وقد بقى فى هذا الامر حائر ومن شدة حذاقته ومعرفته وذكائه نزل عن ناقته وخلع ثوبه وشدا كما مه وملأ جنبه الواحد ملا والآخر شوكا ورماه بين يدى القوم وعاد راجعا وعدنا الى سياقة الحديث والخبر فلما قال عنتر لابيه شداد أنا خائف على أختى مروة وعلى بنى غطفان ومرادى أرسل اليهم عروة بن الورد لان أخته سلما عندهم وأجيب الجميع الى عندنا وأساويهم يا أبى بأرواحنا فقال له أبيه ياولدى لقد نظرت موضع النظر ولكن اصبر اليوم وغدا حتى تكون قلوبنا طيبة لاجلك ونسمع ما يتجدد من الاخبار والاقوال (قال الراوى) ولما كان ثانى يوم واذا بنواصى الخيل التى كانت على الطرقات قد أقبلت تخبر الملك قيس ان قد بان لهم غبار وقتام أسود وهو قد ملأ الاقطار وما ندرى ان كان هم عساكر الشام أو خلافها أو بعض قبائل من الاعداء قد سارت الينا فمن هنا ركب الملك قيس واخوته

وقد

وقد نادت العبيد في القبائل فركبت الخيول الصواهل وفي دون ساعة امتلأ البر بالفارس والراجل وقد ركب عنتر وعامر بن الطفيل وعروة ابن الورد وركضوا في طلب ذلك الغبار وكشف الاخبار وماهم الا أن قاربوا السواد فرأوا الخيل قد خرجت وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان يا لغطفان (قال الراوي) وكانت هذه الخيل المقبلة هي التي كان عنتر مراده يسير خلفها خوفا عليهم فأتوهم بحريمهم وأموالهم وعيالهم وهم يطلبون الحماية على أنفسهم خوفا من الاعداء وكان سيد القبيلة ومقدمهم زياد ابن ماجد وهو على رأسه علم وهو كأنه أسد قسور فسلم على بني عبس وعلى عامر بن الطفيل وبعد ذلك ساروا وهم يتحدثون في أخبار القبائل والعشائر فقال لهم عنتر اليوم كنت على نية المسير اليكم من خوف عليكم لاننا قد تعجبنا كيف قراركم قرار مع سماع هذه الاخبار فقال زياد يا ابن العم ما سمعنا بخبر صحيح الا في هذه الايام لان سنانا من ملعنته قد مسك على بني فزارة الطريق حتى لا تسمع أخبارا صحيحة عن عساكر الشام وما مكن أحدا من زيارتنا اليكم خوفا أن يظهر ما هم فيه رجل من بني عمنا متزوج من بني فزارة فقال لنا ارحلوا من ساعتكم من هذه الديار واطلبوا أرض بني عبس الاخيار وكونوا لهم جوار لان سنان بن أبي حارسة وحصن بن حذيفة قد سارا بفرسان العشيرة وانتشروا في أرض مثل الجراد ولولا خلوا الطريق ما قدرت أن أصل اليكم فارحلوا من يومكم واسرعوا في المسير لعلكم أن تصلوا الى بني عبس قبل أن يأتيكم ما ليس لكم به طاقة وتشمت بكم الاعداء والحساد وتسبي نساؤكم والاولاد لان سنانا نيته عليكم رديئة اذا وصلت اليكم العساكر الغسانية فلما سمعنا ذلك رحلنا كما ترى وقد قطعنا الصحرى وفي طريقنا عبرنا على أرض بني فزارة فرأينا أموالهم سائبة فسقناها وقدامنا وهي لا تحصى لها عدد وهي التي تورث القتام الاسود لانها أموال كثيرة العدد (قال الراوي) فلما سمع عنتر كلام زياد فرح واستبشر وعاد القوم الى بني عبس وعامر هذا وقد وقعت البشائر ونحرت النحائر وقد نزل بنو غطفان في أعز مكان واجتمع عنتر بأخته مروة وكذلك عروة بأخته سلمى وقد اجتمع كل قريب بقريبه وقد أصبحوا ينشاورون في لقاء الاعداء والاضداد وقد اجتمعت كل القبائل والسادات وفرسانها الجلاد وما بقي في ذلك اليوم ممن له عادة بالحضور الا وقد حضر وحدث بما سمع وأبصر لحضرة زياد مقدم بني غطفان وعنتر والملك قيس والاخوص بن جعفر هذا ولما طال عليهم الحديث قال الملك قيس لزياد يا ابن العم ومع هذا كله ما سمعت بعدد عساكر الشام التي هي واصلة الينا فقال له بلى اني قد سمعت انها مائتان وخمسون ألفا سوى التبع والنهاب وأصحاب الطمع وقيل ان المقدم عليهم رجل جبار يقال له ضامر وهو ابن عم صاحب دمشق وربما هذا الكلام يزيد وينقص ولا تظهر لنا الحقائق الا عند المشاهدة بالحدائق فقال له الملك قيس على كل حال لا يريد الانسان أن يكذب خبر ليكون من أمره على حذر وأنا أعلم ان عساكر الشام تكون في هذا العدد وأكثر والا ما كان يخاطر بها الى هذه الديار ولابد لسنان من المسير اليه في بني فزارة مع من يكون من خلفائها وأقل ما يكونون عشرين ألفا فيكون المجموع أقل من ثلاثمائة ألف عنان وهذا عالم عظيم الشان والصواب أن نجعل رأينا رجل منا ونعتمد عليه في المقال ولا نخالفه في الفعال فعندها قال الاخوص بن جعفر سيد بني عامر يا قيس اذا كان الامر على ما ذكرت فما فينا أجود من رأيك ولا أحسن من تدبيرك وأنا أول من يسلم أمره اليك ويعتمد في أموره عليك وما يخالفك منا انسان لا من الملوك ولا من الفرسان (قال الراوي) فعندها أشار كل الحاضرين بذلك وقبل الجماعة أمرهم بالسمع والطاعة فقال لهم الملك قيس يا وجوه العرب اذا كنتم جعلتم الامر لي والمعول علي فابشروا بهلاك أعدائكم ولا تعرفون تفريقهم الا مني ولو كانوا بعدد رمل البيداء ولكن اعلموا أن الصواب عندي اننا نحترز على الحريم والعيال من قبل معانات الحرب والجلاد

مع الرجال فقالوا له وكيف ذلك أيها الملك فقال لهم وهو اننا نرحل الى شعاب جبله ونترك المال والعيال فى الوادى الذى تعرفونه بين الجبال ونلقى الاعداء على رؤس المضيق ونكون قد حمينا أنفسنا من هذه الخلائق قبل حصول التعويق الان تأتينا عساكر الملك النعمان لاننا لابد لنا أن ننفذ اليه نجاب ونطلعه على هذه الامور الصعاب (قال الراوى) فان الملك قيسا ما قال هذا المقال الا لما ثبت عنده ان بنى عامر لم تثبت قدام العساكر القادمة وخاف أن قبائلها عند اللقاء تتفرق فى أقطار الفلا وتترك بنى عبس فى هذا البلا فقال ذلك المقال وأراد أن يجعل الكل فى الجبال حتى لا يبقى للهارب مجال قال فلما سمعوا مقاله استصوبوا رأيه ثم انهم تفرقوا من المجلس وتوجهوا الى خيامهم ومضاربهم يدبرون أنفسهم فى أمر الرحيل وفى اليوم الثانى والثالث عادت اليهم الجواسيس يخبرونهم بوصول الجيش وقربه من الديار وقد وصفوا لهم كثرة عددهم وزيادة مددهم وازدحام راياتهم وصلباتهم وكثرة فرسانهم وأجنادهم (قال الراوى) ومازالوا يزيدون فى الوصف حتى صاح فيهم عنتر وقال لهم ياويلكم الى كم تصفون اندال بنى غسان الذى مالهم شبيه غير النسوان فوحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها من مثقال ما النقيهم الا فى ألف فارس ولو ان معهم الجن والابالس وها أنا مقيم فى هذا المكان حتى يصلوا وتبصرون صدق ما أقول (قال الراوى) ثم انه قال للملك قيس ارحل أنت بالناس الى شعاب جبله كما أمرت وعلى الرأى الذى عزمت حتى أقيم أنا وعامر بن الطفيل فى هذا الفلا والاكام حتى تقدم عساكر الشام ونميز أولها وآخرها ثم اننا نغارسها ونختبرها ونبصر ما يحل بالتى أنت تحذرها (قال الراوى) فعند ذلك نادى الملك قيس بالرحيل وكذلك الاخوص بن جعفر فى بنى عامر وزياد فى بنى غطفان ورحلت سائر القبائل بالاهل والعيال والبنات والنسوان والصبيان والنوق والجمال فكانوا فى عدد عظيم وكان بينهم وبين شعاب جبلة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقروا فى الشعاب ونصبوا المضارب والقباب وكان الوادى واسع الجنبات كثير المنابع والغدران فسرحوا فيه الجمال والنياق والخيول العتاق فكان لهم ضجيج يسمع من خمسة أميال من كثرة الاموال والعيال والعبيد والغلمان والصبيان (قال الراوى) هذا وقد باتوا فيه ليلتهم وعند الصباح وثب كل واحد منهم وقد نصب خيامه واركز أعلامه وقد أمر الملك قيس بخروج الشيوخ والشباب من الفرسان والابطال وأرباب الحرب والقتال فخرجوا عند الصباح وقد استعدوا للحرب والكفاح وهم متقلدون بالصفاح معتقلون باسنة الرماح هذا ولم يبق داخل الشعاب غير النساء والاتراب أو مجنون أو مصاب (قال الراوى) هذا وقد قام الناس جرائد على ظهور الخيل ينتظرون قدوم عنتر وعامر بن الطفيل فأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم أقاموا بعد رحيل القبائل ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلع عليهم غبار عساكر الشام وصار كأنه قطع الغمام ولم يزالوا متتابعين الى آخر النهار حتى ظهر المقدم الذى هو على بنى غسان وقد انعقدت على رأسه الرايات والصلبان وكان الى جانبه سنان ومقدمون الفرسان والابطال والشجعان الذى هم من بنى غسان (قال الراوى) هذا ولما أقبلت العساكر الى ديار بنى عامر رأوا جذع الطواف الذى كان فيه بنو عبس خاليا ليس فيه جس جسيس ولا أنيس ولا جليس فلما رأى سنان الارض خالية بعد ما كانت ملآنة بالفرسان فى الطول والعرض تعجب من هزيمة بنى عبس وبنى عامر وقد صار يتفكر كيف وصلت لهم الاخبار مع ذلك الاحتراز الذى كان فيه الا أنهم لما أن رأوا الديار خالية نزلوا فيها ونصبوا الخيام وشرعوا فى أكل الطعام فقال سنان عند ذلك لمقدم بنى غسان يا أمير الظاهر أن القوم قد سمعوا بأخبارنا فهربوا وهذه الديار هى ديارهم وان صدقنى نذرى ولم يخطئ بى فكرى فانهم قد تحصنوا فى تلك الشعاب بين الجبال من خوفهم على

الحريم

الحريم والعيال فقال له ضامر وهذه الجبال تمنع هذه العساكر لا وحق المسيح لا تركن منهم من يمشي على قدم ولا سوقنهم سوق الغنم لان الملك الكبير في قلبه نار السعير لاجل ولده بدر النصرانية الذي قتله هؤلاء الكلاب وانه قد عزل أن يصلب رجالهم على أشجار الفواكه (قال الراوي) هذا وعامر بن الطفيل وعنتر قد أبعدوا عنهم في البر وترجلوا عن خيولهم لينظروا الى بحر عجاج وهو لا يقابل ولا يخاض عميق العجاج فتعجبوا كل العجب فقال عامر بن الطفيل والله لقد أصاب الملك قيس في رحيله الى الشعاب والجبال واحترازه على الحريم والعيال لان هذا الخلق بحر فيه الشجاع وقد أشرفوا علينا ونحن في المنازل ما ثبت قدامهم منا الا كل فارس بازل فقال له عنتر صدقت يا عامر ولكن لا تخبر قومنا بهذا الحديث فتقطع ظهورهم وتحيرهم في أمورهم ولكن نصلي نحن نار الحرب بأرواحنا وتقوى بذلك قلوب رجالنا وفرساننا هذا وبعد ما وصل اللقيط ولا بان عنه خبر وما أظن اذا وصل يبقى للعساكر طريق الى الطلب والفرار والهرب (قال الراوي) ثم انهم أقاموا على ما هم عليه الى وقت الغروب ثم رحلت العساكر والجيوش ودقت الناقوس وصاحت الرهبان والقسوس وأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم ما زالوا يجدون السير في عرض البر حتى قارب الصباح وساروا ذلك النهار وتلك الليلة وفي اليوم الثاني أشرفوا على بني عبس فتحادروا اليهم مع فرسان بني عامر وهنوهم بالسلامة وسألوهم عن العسكر فطيب عنتر قلوبهم وقال لهم ما الامر الا دون ساعة وأما ما سمعتم يا بني الاعمام فلا تحملوا على قلوبكم هما ولا غما وكان الملك قيس وسادات بني عامر الكل تحت الرايات قيام فسلموا جميعا وأبدوا الابتسام وقالوا له يا أبا الفوارس أخبرنا بما شاهدت من هؤلاء اللئام فقال لهم والله ما جاءكم من أرض الشام الا هدايا وانعام وملك تتهنون به طول الزمان وتوسعون به على الارامل والايتام على ان الجيش كثير الجمع غزير ولكنه في عيني حقير صغير وان منهم مزوقين يزي الحضر وما لهم هيبة الا عند النظر ولو نظرتهم عند رحيلنا من الديار ما طاوعتكم على هذا السبب ولا تركنا علينا اسم الهزيمة والهرب (قال الراوي) ولم يزالوا على مثل ذلك الكلام حتى اشتدت ظهور الرجال فعند ذلك قال الحرث أخو الملك قيس يا وجوه العرب أين قول الجواسيس من قول ابن عمنا عنتر لان ابن عمنا نظر بعين فروسيته والجواسيس نظرت بقلة معرفتهم فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس ومتى يصلوا الينا فقال لهم غدا عند الصباح أو ضحوة النهار وترون غبارا يذهل الابصار وأعلاما وصلبانا تملأ الاقطار ولكنهم طعام الجائع ومنهل العطشان (قال الراوي) ثم ان عنتر تركهم يتشاورون وفاتهم ودخل على ابنة عمه عبله فرآها له في الانتظار وفي قلبها الاجله لهيب النار هذا ولما رأت ابن عمها عنتر نثرت من أجفانها دموع الافراح على خدود احسن من التفاح وخرجت اليه وقد ترجل هو أيضا لها واعتنقها وقد قبلت يديه وقالت له يا ابن العم كم تركب طريق الاهوال والهلاك لما لا تجعل طريق المصائب لسواك فقال لها عنتر يا ابنة العم أنا ما أعد هذه الامور من الاخطار لانني أنا أعلم ان الذي حضر أجله في الليل لا يموت بالنهار ومن كان أجله بالنهار لا يموت وقت الزوال (قال الراوي) ثم انه أقام عندها حتى أقبل الظلام وتناول شيأ من الطعام وعاد الى جواده وطلب الشعاب وشيبوب في ركابه مثل العقاب فرتب للحرس ملاعب الاسنة غشم بن مالك وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرين من بني عامر وأبعدوا عن الشعاب وركبوا الخيل وركدوا على طريق الجيش يكشفون الاخبار ولم يزالوا على ذلك حتى عبر عليهم نصف النهار وقد مدوا أعينهم فرؤا على البعد غبارا قد ثار وكدر الاقطار فقال عنتر الآن صحت الاخبار وما بقي غير الاستظهار والطعن بالاسمر الخطار (قال الراوي) ثم

انهم وقفوا حتى انكشف الغبار وبان للنظار وقد ظهر من تحته جيش كبير غرموم وصليب من الذهب وعلم وكان هذا الجيش طليعة بني غسان وهو يزيد عن عشرة آلاف عنان كلهم أبطال وشجعان معدون للحرب والطعان فقال عنتر ماقولكم في قتال هؤلاء قبل قدوم رفقائهم فقال ملاعب الاسنه اعلم يا أبا الفوارس ان هذا الرأي خطر ببالي لانهم كفاية واحدنا فقال عنتر ياغشم ماهذا وقت الافتخار والمطال وما في الامر الا تحمل كلنا مرة واحدة خمسة من على اليمين وخمسة على اليسار ويكون قصدنا الصليب والعلم لانه اذا افترقت هذه الجيوش وانهزمت انقطع ظهر من خلفها من الامم لاسيما اذا سمعوا ان عشرة فوارس كسرت عشرة آلاف فارس وقتلت أكثرها فقال ملاعب الاسنه افعل ماتريد ودبر ماتحب وتختار حتى انني أتبع فعالك ياقهار ﴿قال الراوي﴾ ثم ان عنتر أراد الحملة على الميمنة وأراد أن يتبعه عامر بن الطفيل وثلاث فوارس آخر فقال عنتر ماهذا صواب فأنا لا يتبعني في الميمنة غير أخي شيبوب المهاب وأنتم كلكم مع غشم بن مالك عينوه على هؤلاء الكلاب قال وكان الامر كما ذكر وحمل عنتر على الميمنة ومعه أخوه شيبوب وحمل ملاعب الاسنة على الميسرة كأنه البلاء المصبوب وتبعه مقرى الوحش الليث المهوب وعروة بن الورد فارس الحروب وحمل الفتى المطال الفارس الريال وأوقدنار الحرب اشتعال وحمل نازح خذل الرجال والاربع فوارس الاخر وكلهم أبطال وقصدوا ذلك الطليعة ولا خافوا من كثرة الجماعة فنظر مقدم الطليعة الى هذه الفعال فوقع به الانزهال وقال لمن حوله من الرجال وحق المسيح ماحسبت هؤلاء الفرسان الا رسل أرسلوهم لنا يطلبون منا الامان وأراهم قد انقسموا قسمين قسم منهم تسع فوارس والقسم الثاني راجل وفارس وأظن ان هذين الاثنين أبالس والا ما كانا يحملان على خمسة آلاف فارس ان هذا الامر عجاب باقتحامهم هذا الجيش العرموم من غير خطاب وما وجد فيهم أحد يرشدهم للصواب ولكن ماجاؤا الا لفروغ آجالهم وأقول ان خلفهم كمين يريدون أن يلقونا فيه والا ما كانوا فعلوا هذه الفعال فوحق المسيح قد حصل لي وهم من هؤلاء الاندال وأقول انهم يفنون لا محال فدونكم واياهم ومن قدر على واحد منهم فلا يقتله بل يحضره بين يدي حتى أكتفه وأقدمه لمقدمنا ضامر فالفان منكم يخرجوا الى هؤلاء الاثنين الكوامر وألف يخرج الى هذه التسع فوارس وأتوني بالكل أسارى حتى تنالوا المنزلة العليا ﴿قال الراوي﴾ فعند ها تناخت الفرسان ونادت باسم جدها غسان وقصد عنتر ذلك الالفان من فوارس الشام وغسان وكذلك غشم بن مالك ومن معه لانهم احتقروهم وما علموا أن بين أيديهم نارا لا تطفى ولهيب لا يخفى وان كل واحد منهم يلقى قبيلة ويروح عليها الا أن الغبار ما طلع عليهم واعتكر حتى تساقطوا من على الخيل مثل أوراق الشجر وطارت جماجمهم مثل الاكر وعاد الاقل منهم يطلب الاكثر هذا ومقدمهم شاخص اليهم بالنظر وكان يقال له كافر بن فاجر فلما نظر ما جرى على أصحابه اشتد عند ذلك مصابه فما كان قدر ساعة الا والالف الذي قدام غشم ومن معه قد عاد منهم خمسمائة وهم يضربون اكفال خيولهم ويلتفتون الى ورائهم قال واذا بالالفين فوارس الاخر الذين كانوا قدام عنتر وشيبوب قد عاد منهم ألف فارس وهم يصيحون ويقولون واويلاه من هؤلاء العفاريت العتاه فعند ذلك التفت المقدم عليهم وقال لهم ياويلكم دونكم واياهم وعودوا اليهم قبل أن تأتي العساكر وينفضح لاجل ذلك الامير ضامر ﴿قال الراوي﴾ وما تم هذا المقال حتى أخذتهم الصيحات من اليمين والشمال وأبصروا باقي الجيش يتسع ويضيق والطعن يعمل في جنباته مثل الحريق فخاف على الفرسان تنهزم ودخله من ذلك الفزع فحمل بنفسه وطلب القتال وطلع من تحت العلم وما هو الا أن تقدم حتى أدركه ملاعب

الاسنه

الاسنة وضربه على وزديه أطاح رأسه من بين كتفيه فصار يلعب بيديه و رجليه فوقع فى بنى غسان
الانزهال ورأت رجالا أشد من أسد الدحال وطعنا يسبق الآجال (قال الراوى) فعند ذلك ولوا
على الاعقاب وانقلبوا أى انقلاب ومازال الطعن فى ظهورهم حتى أقبل الليل وأظلم وأقبل السواد
الاعظم ولاح الغبار الاقتم وأبصرت فرسان بنى عبس وعامر الى غبار العساكر فعادت طالبة الجبال
وقد نهبت بعض الخيول والاسلاب وأما الرجال الذين سلموا من الطليعة فانهم التقوى بنى غسان
بالبكاء والعويل قال وحدثوهم بما جرى عليهم من الحرب الطويل فتعجبوا من ذلك كل العجب
فأوصلوا الخبر الى ضامر وحدثوه بأن عشرة فوارس التقت عشرة آلاف فارس من بنى غسان وقد
أهلكت أكثرها فقال سنان نعم أيها السيد هؤلاء العشر فوارس الذين أتيت فى طلبهم من أرض
الشام وأنا أعرفهم حق المعرفة أولهم مقرى الوحش الذى أتانا من عندكم وكنتم تسموه فارس النياق
فقد التجأ الى بنى عبس وطاب له عندهم المقام وهو الذى ساق عبدهم الاسود الى بلاد الشام حتى قتل
ابن ملككم وخاص الذى يهواها وهى مسيكة وأقول ان معهم ملاعب الاسنة فارس بنى عامر وان كان
قد صحبهم عامر بن الطفيل فهو الذى حمل بهؤلاء الويل وعلى ان عنتر وحده يلتقى هذه العساكر
كلها والرأى أن تكون منهم على حذر وان طلبوا منك البراز فلا تفعل بل نكاثرهم بالقتال الشديد
لعلك أن تنال منهم ما تريد فقال ضامر وقد تبسم من مقاله ما أنت ياسنان الا قد جزعت من هذه
الطائفة والا ما كنت وصفتها بهذه الصفة وسوف أريك ما أفعل بهذا الشجاع البطل على انى أقول
انه لم يكن فى هذه الارض أشجع من مقرى الوحش ولا أشد منه فى القوة والبطش وانه بقى قدامى
يوما كاملا حتى انى أصبت منه بعض المقاتل و بعد ذلك خلعت عليه وطيبت قلبه ومن ذلك اليوم
الى اليوم اسمه فارس النياق وارتفع ذكره وعلا أمره فى الآفاق فقال له سنان يا مولاى ومن هو
مقرى الوحش لو أن فى هذه الارض ألف ألف مثل مقرى الوحش وألف ألف من الفرسان
الصناديد قدام عنتر بن شداد الرفيع العماد يلتقطهم كما يلتقط الطير الجراد (قال الراوى) فلما
سمع المقدم ضامر كلام سنان قال له ياشيخ حيث علمت ان هؤلاء بهذا الشان لما لا أعلمتنا وعرفتنا
بذلك حتى كنا جمعنا كل من فى البلاد من الخاص والعام وجميع العباد فقال له سنان يا مولاى أنا
ما قلت ذلك الكلام الا على سبيل المبالغة لاجل ما وصفت مقرى الوحش بهذه الصفة وأما بهذه
العساكر تبلغ الآمال وتنقضى الاشغال وفى هذه الايام تنقضى الاشغال ويلحقنا اللقيط بن زرارة
بفرسان بنى دارم مثل النجوم السيارة والكل غدا يكونوا بين يديك فقال ضامر ولكن ياشيخ
سنان لا يطمع اللقيط ولا غيره فى أسير من بنى عبس ولا من غيرهم لان الملك الكبير أمرا كم
بالاموال وأمرنى أن أسوق اليه الاسارى من بنى عبس وعامر الطائفة الغداره فقال له سنان افعل
ما تريد (قال الراوى) ثم انهم ساروا على هذا الترتيب ولم يزالوا سائرين الى أن أشرفوا على شعاب جبلة
قبل المغيب هذا وقد دقت الطبول لاجل النزول وارتجت الارض عرضا وطولا هذا وبنى عبس
على صهوات خيولها لان عنتر وأصحابه لما عادوا أخبروهم بما فعلوا فى الطليعة من الاهوال
ففرحوا بذلك الحال وأدخلوا الخيل والاسلاب وقد طابت قلوبهم وقلوب النسوان وقد باتوا
تلك الليلة ولهم صياح وضجيج أشد من أيام الحجيج (قال الراوى) ومازال الحرس حارس لهم حتى ولى
الظلام وارتحل ولما أصبح الله بالصباح تهيؤا للحرب والكفاح وتزاعقت تلك الخلائق والفرسان
الملاح ولمعت بروق الصوارم واللتوت والرماح كأنهم الاراقم وقد سبق فيهم حكم الحاكم وساروا
بين عاطب وسالم (قال الراوى) وكان لشعاب جبلة ثلاث مواضع للقتال فسكنت بنو عبس وبنوا

غطفان القرن اليمين و بنو عامر القرن الشمال قال وأما عامر بن الطفيل وعنتر وملاعب الاسنه ومقرى الوحش وعروة بن الورد فى المقدمة ومعهم تمام الالف فارس وهى الفرسان التى عليها المعتمد فى الجانب الثالث ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد صاحت بنو غسان وملأت البرارى والقيعان وانتشرت حتى ملأت الجبال والشعاب وزحفت الى القتال من كل جانب ولاجل كثرتها ما ترتبت بل انها صاحت باسم المسيح ابن مريم وحملت وقد صاحت خلفها القسوس والرهبان ﴿قال الراوى﴾ فلما ان رأى عنتر الى حملتهم تلقاهم هو ومقرى الوحش ومن معهما من الفرسان وحمل أيضا الهطال بخيل الرجال وحمل نازح البطل البارح وحمل أبو الموت فى سودانه وهم بلغم و بلاغم ودمدم ودماد ومداغ الشكل وزبلة الفرس وأصداغ الجمل وقاطم بوزه وأبو رجل عرجه وهؤلاء سودان عنتر البطل القصور وكانوا خمسمائة تمام وحملت بنو عبس و بنو عامر و بنو غطفان هذا وقد اختلطت أسنة الاشطان عند الضرب والطعان وقد بكت الابطال على فراق الشجعان والاوطان وصاح عليهم كل شيطان وألقت خلق البطان و رملت النساء ويتمت الصبيان وقد ذل الشجاع وفر الجبان وخاف البطل الشديد الباس وتقطعت الدروع والاتراس وعملت الرماح فى الاشباح ونادى المنادى وصاح وقد تمنى الفارس أن يطير بلا جناح و بيعت الانفس بيع السماح وقد تساوى المساء والصباح و بان شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وصاحت الفرسان من ألم الجراح كما تصيح النوق عند الرواح وزعق غراب البين عليهم وناح وفر الجبان وطاب الرواح ﴿قال الراوى﴾ وقد ضاق على عنتر الميدان والمجال وقد هانت عليه الاهوال وصار يكبكب الخيل الذى بين يديه تارة يمين وتارة شمال وكيف مالت فرسان بنى غسان كأنهم الجمال هذا والفرسان والابطال تطلبه مواكب وسرب وترجع من زعقاته تتكبكب وكان معه فى ذلك اليوم مالك أبو عبله وأخوها عمرو فأبصروا من فعاله العجب وصار عمه يلتقى عنه الاسنه و يظهر له المحبه و يقول يا أبا الفوارس الله بين فضلك على أعدائك و يزيد مجدك وعلاك ﴿قال الراوى﴾ ولله در عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فلقد أشفيا الصدور وفعل فعلا يبقى ذكره على ممر الايام والدهور وكذلك عروة بن الورد ومقرى الوحش والهطال ومن معهم من الرجال لانهم لاقوا الاهوال وقاتلوا أشد قتال وتم السيف يعمل والدم يسفل والرجال تقتل والرؤس تتناثر الى أن اسود مفرق الشمس وغسق الظلام وعادت بنو غسان وهى متعجبة من عظم ما لاقت فقال ضامر لقومه و يلكم ما وراءكم ومن بشره رماكم وما الذى دهاكم وأراكم عدتم بالخساره وأخذا كثركم أسارى فقالوا له لا تحقد علينا أيها الامير واشكر المسيح الذى أعادنا اليك سالمين فاننا وحق المسيح ومن عبد الصليب وشد الزنار لقد قاسينا يوما ما مثله فى الايام لا ننار أينا رجالا يسابق طعنها سهام الآجال لاسيما هذا العبد الاسود الادهم الذى كان على الطليعة مقدم وحق المسيح ابن مريم ما مال على جمع الا وفرقه ولا قصد موكب الا ومزقه ولا زعق زعقه الا وقلنا البرق قد خفق وما يلومنا على قولنا هذا الا كل أحمق لان هؤلاء القوم ما يقدر أحد يلقاهم ولا يصبر على بلاهم والصواب أننا ندوسهم جميعا بالقتال والا أهلكونا فى المجال فلو قتل منا كل يوم ألف ومنهم كل يوم واحد كنا نحن الرابحين ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال لهم ضامر ها أنا صابر عليكم يومين أو ثلاثه فان فعلتم كما أريد والا صليت أنا الحرب بنفسى قال فهذا ما جرى لمقدم بنى غسان وأما ما كان من بنى عبس وعدنان وبنو عامر و بنو غطفان فان فرسانها رجعت وهى من الدما مثل شقيقة الارجوان ورماحها قد تحطمت من ضرب السيوف وقد تعبت خيلها ولكن حيث بلغت الفرسان مأمولها لم تبال بتعب النفوس هذا وعنتر قدام بنى غنى وكلاب وابطال

وأبطال بنى عامر فافتكر ماقاله عمه مالك بن قراد فى وسط الحرب والجلاد فأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ولقد حفظت وصاية عمى فى الضحى * اذ يقلص الشفتان عن وضح الفم
اذ يلتقونى الاسنة لم أحل * عنها ولكنى أضايق مقدم
لما لقيت الخيل أقبل جمعهم * يتبادرون كررت غير مدمدم
ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويلك عنتر اقدم
يدعون عنتر والرماح كأنها * أشطان بئر فى لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها * برق تلألأ فى سحاب مظلم
يدعون عنتر والدروع كأنها * حدق الضفادع فى غدير مفعم
مازلت أرميهم بغرة أبجرى * وشاته حتى تصرب بالدم
فازور من وقع القنا فزجرته * فشكى الى بعبرة وتحمحمى
لو كان يعلم مايخاطبه اشتكى * أو كان يعلم ما الكلام تكلم
مار آنى لاأبالى جمعهم * فاض الدما تحت الغبار المظلم

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الابيات ترنمت لها السادات ولم يزالوا سائرين حتى اقبلوا على الشعاب فعند ذلك نزلت الفرسان والابطال ومافيهم الا من يذكر ماقاله عنتر من الشعر والنظام وكان معهم جماعة من الجرحى فادخلوهم فى الشعاب فلما أخذت الفرسان الراحة تولى عنتر الحرس وعامر بن الطفيل ودارا حول الشعاب وهم يحرسون الاهل والعيال بطول ذلك الليل حتى رحلت جيوش الظلام وعاد الصباح أشرف بالنور والابتسام فعند ذلك عاد عنتر وعامر بن الطفيل ودخلوا المضارب والخيام يريدون الراحة وأكل الطعام فلما أكلوا وشربوا توانبوا الى خيولهم ركبوها بعدان أفرغوا عليهم الحديد والزرد النضيد واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف الصفاح وتمكنوا بالدرق ودفعوا خيولهم وخرجوا من المضارب والخيام فنظروا الى البر واذا بالصفوف تصففت والكتائب تقابلت فلما ان نظروا الى هذا الحال أطلقوا أعنة خيولهم وتجارت من خلفهم الفرسان من بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب وبنى عبس وبنى غطفان (قال الراوى) فلما ان نظروا عساكر الشام الى عنتر وقد أقبل والفرسان من حوله بحفل بعد بحفل وقد لمعت أسنة الرماح من بنى عبس عند طلوع الشمس فعندها أشار سنان بن أبى حارثة الى مقدم عساكر الشام أن يحمل عليهم فى وسط المجال ولا يطمعهم فى البرارى والتلال (قال الراوى) وما فرغ سنان من كلامه حتى أشار ضامر بيده الى عصابة من بنى غسان تنوف عن مائة ألف عنان وقد جعل عليهم مقدما من أرض حوران يقال له مالك بن حسان وقد أراه المقدم ضامر أن يحمل فى هذه الفوارس ويأتيه من فرسان بنى عبس بألف أسير فعند ذلك تار مالك بن حسان ثورة الاسد الغضبان وقد أرغا وأزبد ووثب على خيله ولبس الزرد واعتد بعدته وركب على ظهر جحرته وسار وقد انحدرت خلفه الكتائب والمواكب ولم يزل سائرا حتى صار محاذيا لعنتر بن شداد ونظر الى فرسان بنى عبس الاجواد والكل لابسين الحديد والزرد النضيد وكاملين العدد وعنتر بينهم كأنه أسد فلما نظر اليه مالك بن حسان صرخ فيه وقال ويلك ياوغد يالئيم ويا أوسود يازنيم اليوم آخر أيامك ثم انه أنشد وجعل يقول

خلينى لما طاب الموت والنقع أسودا * بطعن الردينى والحسام المهندا
رعى الله انسانا يبيت وقلبه * من الموت فزعانا اذا راع واعتدا

ذريني أوف السيوف والحرب حقه * اذا ماطما بحر المنية مزبدا
أنا كاشف الغمات وقت حلولها * وان علائي بالسعادة قد بدا
وأنا من تنكر الناس فعله * ولكن فعلي كل يوم يجددا

(قال الراوي) ولما فرغ حسان من هذه الابيات طربت لها بنو غسان السادات ثم انه أشار الى عنتر بالبراز وسال الانجاز فحمل عليه عنتر حملة منكرة وجال الاثنان تحت الغبرا وسمع لهما همهمة وزمجرة واعتركا اعتراكا مليا وتضاربا ضربا وفيا وغاصا في الاوابد وصبرا على الشدائد وأخذ على الخيل بالشكائم والمراود وطلع عليهم الغبار وغاب عن الابصار وفي دون ساعة عرف عنتر قتاله واختبر طعنه ونزاله فلاصقه وأنعبه وأبهره وطعنه بالسنان طعنة الغيظ والحنق فسقط مالك من على ظهر فرسه قتيلا وعلى وجه الارض جديلا فلما رأت بنو غسان الى مالك وقد قتل صرخت وجلت على عنتر وقالوا له شلت يداك وأنا ملك وقطعت مفاصلك يا عبد يا زنيم ويا وغد يا لئيم لقد قتلت فارسا كريما وحملت عليه المائة ألف حملة واحدة فعندها صرخ عنتر في عروة بن الورد ورجاله وعامر بن الطفيل وفرسانه ومقري الوحش وأبيه شداد وأبطال بني قراد الاجواد فعند ذلك نظر المقدم ضامر الى تلك العساكر وقد جالت والمواكب قد مالت والطيور في الجو على القتلا حامت هذا وقد اشتد الحرب والقتال بين الطائفتين وقد حكم الصارم اليماني بين الجماجم والابدان وهمهمت الاسود وحامت العقبان وطلع الغبار الى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى أنه ما كان وضاق الميدان وصحا السكران وقد حت سنابك الخيل شمل النيران وجاء الحق وحمد الزور والبهتان وقوى القتل بالصارم المران واشتد الضرب والطعان بعوامل الرماح والاشطان وتنكست من السروج الاقران وافتخر الشجاع على الجبان وغلبت فرسان الحجاز أبطال بني عسان وهجموهم الى أبعد مكان واستظهر واعليهم استظهار الاسود على الغزلان فلله دره من يوم عظيم الشان حمي فيه الحديد على الابدان ولا رأوا مثله في سائر الايام (قال الراوي) وأما عنتر فانه في ذلك اليوم يصول ويجول في عرصة المجال وهو يهول الابطال والفرسان وقد بلغ العرق في ذلك اليوم الى الاذقان وعنتر ينادي في وسط الميدان ويقول أنا الليث الغضبان أنا متبع الوحوش والعقبان هذا وهو يخوض تحت الغبار ويذهب النفوس ذات اليمين وذات الشمال ويأخذ مهج الفرسان والابطال وتناجت الرجال لانفسها وأقامت في أيديها أسنتها فلم تكن غير ساعة حتى بددوا أقوامهم وأقرانهم وجندلوا أبطالهم ورجالهم ورملوا نسوانهم وصرخوا عليهم من كل جانب فعند ذلك اندقت الاقران والفرسان هاربة ولم يجدوا لهم صبرا على مضارب سيوف بني عبس وغطفان فما كان عندهم أصوب من الفرار فهجمت المائة ألف فارس على وجوهها في القفار وقد ألوت أعنت خيلها وطلبوا الهرب وقد اتسعوا في وسيع الفضا وتموا منهزمين لا تسمع لهم الا هدير الخيل الشارده فلا ترى لهم أثر وخلوا الاموال والغنائم والاسلاب والخيام والمضارب ورجعت بنو عبس عنهم وهم فرحانون بالنصر والظفر ولكن بقوا من الدما مثل شقيقة الارجوان مما سال عليهم من أدمية الفرسان وأما رماحهم فقد تحطمت من ضرب السيوف المواحق وتعبت خيولهم وقد بلغت مأمولها وكان لها السعد موافق وبعد ذلك رجعوا الى الشعاب والجبال وباتوا تلك الليلة ولهم صياح وعياط وصراخ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من فرسان بني غسان وأبطالهم فما زالوا في هزيمتهم حتى عبر عليهم الظلام ووصلوا الى أصحابهم وهم في الخيام فلما نظر المقدم ضامر ذلك الحدق يده على يد وفي الحال أمر باحضار سنان بن أبي حارثة فما كانت غير ساعة حتى انه حضر وباس

الارض

الارض وتأخر فعند ذلك أعلمه المقدم ضامر بما جرى عليهم فى ذلك اليوم العبوس من انكسار عساكره وتفريق مواكبه فقال له سنان أيها المولى ماقلت لك لا تبارزهم ولا تستعمل معهم البراز فان هؤلاء شياطين الارض ومعروفين فى البلاد وسائر المغازى بانهم أسود الحجاز ولكن فى غداة غد آمر العساكر أن تحمل عليهم حملة واحدة وهى تكون وقعة الانفصال ونربط ساداتهم فى الحبال ونحطهم فى السلاسل والاغلال فعند ذلك سكت ضامر على الغيظ وقد بات تلك الليلة فى أعظم مبيت وهو فى هموم وغموم بطول ليلته كلها ﴿قال الراوى﴾ هذا ما جرى للمقدم ضامر وسنان بن أبى حارثه وأما ما كان من عنتر بن شداد وأصحابه الاجواد فانه لما أخذوا الراحة قول الامير عنتر جرسهم هو وعامر بن الطفيل وقد دام عليهم الامر كذلك حتى رحلت جيوش الظلام وأقبل الصبح بالابتسام فعند ذلك عاد عامر بن الطفيل وعنتر الى الاصطباح وكاسات الراح من شفار الاسنة وضرب السلاح وكان يومهم الثالث أشد من اليومين وأعظم من الايام التى مضت ومازالت الحروب بين العرب وبين فرسان بنى غسان وهم على ساق وقدم وهى على هذا المنهاج ليلا ونهارا هكذا مدة خمسة وعشرين يوما على التمام والكمال الى أن ضعفت الخلائق وسلب من القوم القوى والحيل من شجعانها وأبطالها قال ولما أصبح الله بالصباح وهو السادس والعشرون بردت نيران الحرب وقل الطمع من كثرة الجرحى من الطائفتين من تواتر الطعان وقد طلب الفريقان الراحة بالبراز فعند ذلك اصطفت الصفوف وتعدلت المياه والالوف وترتبوا للطعن والضرب والقتال والنزال وكان أول من تقدم الى الميدان وأوسع فى الجولان كان مقرى الوحش فارس الشام لانه هو صاحب القريحة وهذه العربان والوقائع والحروب كلها من أجله وقد تعصبت له هذه الخمس قبائل وهذه العربان كلها ﴿قال الراوى﴾ فلما ان حصل فى طابق الجولان صال وجال ومد واستطال ولعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الفرسان فعند ذلك ثارت جيوش بنى غسان ولما دنا من فرسانهم ناداهم وقال لهم يا أولاد الزنا ما كان لكم أن تظاهروا بالعداوة لهؤلاء العربان وقد تعديتم عليهم فظلمتموهم وظلمكم قد عم عليكم لانى أنا خصمكم وأنا الذى سلطت عليكم من قتل ابن ملككم وخلصت محبوبتى من أرض الشام بطعن الرماح وضرب الحسام وها أنا قد خرجت اليكم حتى أجازيكم على أعمالكم القبيحة وأشتت شملكم وأفنى عددكم فابرزوا الى ياعبدة الصلبان والصور المصوره فى الحيطان ان شئتم وافارسا لفارس أو عشرة لفارس أو مائة لفارس أو ألف لفارس لانى أعرف أن ما فيكم أحد يقوم قدامى ساعة من النهار اذا ملكت حسامى ومددت اليكم رمحى وحسامى الا أن يكون مقدكم ضامر ولكنه اليوم مقدم على هذه العساكر والدساكر وانه ما يرى على نفسه أن يبرز الى مثلى فقير صعلوك حقير ولكن اذا اشتهى أن ينظر من شجاعته طرفا فليبرز الى أهل الحجاز وفرسانها ويخرج الى الميدان يطلب الضرب والطعان ﴿قال الراوى﴾ وغلظ مقرى الوحش فى كلامه حتى نفرت اليه الفرسان من بنى غسان وطلبته الشجعان من كل جانب ومكان لاجل ما فى قلبها عليه من الحقود قال وفى دون ساعة دار واحواليه وقد خرجوا الكل عليه وقالوا له ويلك ياشيطان هجرت بلادك وتركت الاوطان وتخليت عن عبادة الصلبان والصور المصوره فى الحيطان وتخليت أيضا عن عبادة المسيح وصرت تعبد الحجارة والاوثان الويل لك مما تلعنك القسوس والرهبان فعند ذلك ثار مقرى الوحش وقال والله يا كلاب بنى غسان لقد كذبتم فى قولكم والكلام وأتيتم بالزور والبهتان لان هؤلاء العربان ما يعبدون الاصنام والاوثان كما تعبدون أنتم المسيح وما رى حنا المعمدان وانما يجعلونها واسطة الى خالق الاكوان والانس والجان ومطلع النبات ألوان أخضر وأحمر وأصفر

وأبيض صنع ربى فتبارك الله العزيز الرحمن وأيضا لهم الزمام والقول الصادق فى الكلام والحج الى بيت الله الحرام وعلى أننى اليوم ما فى قلبى أحلى ولا أجل من الرب القديم الديان الذى كان من قبل الزمن والدهور وهو الحى القيوم الذى رزقنى من زوجتى مسيكة ولداوهو سبيع اليمن وكناذ كرنا انه أتاه ولد فى بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان يحبه محبة عظيمة مفرطة زائدة لاجل حسنه وجماله وقده واعتداله وملاحته وصورته الا أن مقرى الوحش بعد ذلك الكلام حمل على الفرسان والابطال وجال فيهم وصال و جود الطعن والضرب بالعوال والسيوف الصقال وفى الحال أشعل نار الحرب والقتال قال وما صار نصف النهار حتى أهلك مقدار خمسين فارس كرار وجرح أكثر من ذلك المقدار (قال الراوى) فلما نظرت الفرسان الى ذلك حارت وصارت تطلبه من اليمين والشمال من غيظها وحقدها عليه ومقرى الوحش يقال عددها ويمحقها هذا كله يجرى لفارس النياق وأما بنو عبس وعدنان وعامر بن الطفيل والامير عنتر بن شداد فانهم صاروا يتعجبون من أفعاله و يستحسنون لقتاله ونزاله وأما المقدم ضامر فانه انشقت مرارته من الغيظ الذى حصل له وذابت مهجته وقد حار فى قصته ومن شدة ما جرى عليه خرج بنفسه من تحت الاعلام والصناجق والبنود وقد سأل من كان حوله من الفرسان من بنى غسان عن مقرى الوحش فحكوا له عن ما كان له من الشجاعة وانه عند عنتر زاد فى الفروسية والبراعة أكثر ما كان فى بلاد الشام فعند ذلك قفز الى الميدان وقصد اليه وهو يهمهم و يدمدم و يزمجر وكان تحته فى ذلك اليوم حجرة عربية تسبق الرياح الغربية مع البروق البحريه وقد أخذ فى يمينه قنطاريه خلنجيه غليظه شديده وعمل على رأسها حربة بسم الافعى مسقيه وقد لبس على جسده زرديه لها عيون بالذهب مطليه اذا لبسها الانسان كان آمنا من حلول المنيه وهو متقلد بصفيحة هنديه ضرب الهند وسقاية السند وان هذا المقدم لما كملت عدته وانصلحت حالته وصار على ظهر حجرته قفز الى الميدان كما ذكرنا وسارى مقرى الوحش فى طابق الجولان كما وصفنا ولما حصل فى وسط الميدان فعند ذلك التفت عنتر الى من كان حوله من الابطال والفرسان وقال لهم يا وجوه العرب هذا الفارس الذى برز الى صاحبنا بخلاف الفرسان الذين برزوا اليه ولكن أرى الفرسان تظهر له الخدمة والحذر عليه وأما صاحبنا مقرى الوحش فأنا أعلم أنه تعبان من القتال وجواده قصر من المجال على ان صاحبنا لو نصر عليه ما تخلت عنه أصحابه ويقع والله بنا الخسران والصواب أن ينزل فارس منا ويرده و يتلقا هذا البطل لعله أن يقتله و يفرق هذا الجيش عنا و يتقلقل لانى أرى ركبته سلطانيه وفى نفسه فى شهامة قويه فعند ذلك التفت ملاعب الاسنه الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أفعل ما قلت عليه وما تكلمت به من المقال وان لم أقتله بعد برازى له فما أنا ولد حلال فقال له عنتر دونك يا غشم وهذا الشيطان عندها قفز ملاعب الاسنه ورد الاعنه الى الميدان بين الصفوف وقد جال وصال ولعب بالقنطاريه حتى حير عقول الابطال و بعد ذلك التصق الى جانب مقرى الوحش وحاداه وأشار اليه بعينه وقال له ارجع عن طابق الجولان وخذ لنفسك الراحة من التعب والخذلان فقال مقرى الوحش لا وحق الاله الدائم بلا زوال الحنان المنان خالق الانس والجان ما أطلع من هذا الميدان ولا أرجع عن خصمى لأن بينى و بينه حقود قديمه من زمان وما صدقت أن أراه معى فى الميدان وموقف الجولان وما أفارقه الا بالانفصال و بلوغ الآمال فاما أن يقتلنى وياخذ تاره واما أن أنصر عليه فاقتله وعلى وجه الارض أجندله وأشفى غليل صدرى وفؤادى منه وأفرق هذه العساكر قبل المغيب فعد أنت يا وجه العرب عنى الى خلفك ولا تشوش خاطرى وأقرى سلامى على عنتر ومالى عنده وصية غير ولدى سبيع اليمن وزوجتى مسيكه وعلى

الدنيا

الدنيا السلام بعد الأهل والاصحاب بل ان كنت ياغشم تعاونى وتساعدنى أعطينى جوادك وخذ جوادى لانه قد تعب من تحتى وقصر وما بقى يقدر يتقدم ولا يتأخر ﴿قال الراوى﴾ فلما تكلم مقرى الوحش بهذا الكلام فعند ذلك ترجل ملاعب الاسنه من على ظهر جواده وسلمه اليه وقد ركب حصانه الذى كان تحته وتأخر عنه قليلا ووقف خلف ظهره من فزعه عليه فعندها طلب مقرى الوحش خصمه بالحصان المستريح وزعق فيه ووكزه فجربه مثل الريح وفى الحال التقا المقدم ضامر وقد اتكل فى أمره على المسيح وتصارعا وتطاعنا حتى أذهلا بفعلهما النظر الصحيح وجرى بينهما من الحرب ما يخرس به اللسان الفصيح وعلم المقدم ضامر ان مقرى الوحش خبير بالطعن والضرب فرمى فى الحال قنطاريته من يده وسل حسامه من غمده وعوّل على القتال والضرب والنزال فعند ذلك تضاربا ضرب الحنق حتى تطايرت السيوف على الدرق فلما نظر الى ذلك المقدم ضامر التفت الى قربوس سرجه ونظر الى الجراب الذى معه فاخرج منها حربة من تحت فخذه وفى الحال هزها حتى خيل للخلائق انها تقطعت وتمزقت وأرسلها اليه فخرجت من يده كأنها شهاب من نار قد رمى بها شيطان من مردة الجان فلما نظر اليها مقرى الوحش وهى مقبلة اليه خيل له انها سحابة عذاب أو كأنها ثعبان فصبر عليها حتى قربت منه وسحبها على رائق درقته وكسر حدتها بعدما كانت كالصاعقه وفى الحال استقر فى قربوس سرجه وقال فى نفسه أعوذ برب الفلق من شر هذا القلق ومن شر هذا الفارس المتطبق ﴿قال الراوى﴾ وأبصر ضامر الى مقرى الوحش وكيف سلم من تلك الضربه والحربه وفعل ما فعل من أعماله من الفروسيه فزاد غيظه وحنقه وبلباله فعند ذلك أخرج حربة ثانية وهزها حتى برق الموت من سنانها ولمع فظن كل من رآها انها سارت قطعا وفى الحال ضربه بها فخرجت من يده كأنها شعلت نارا وصاعقة عذاب فوقعت فى الدرقة عبرت فيها وخرقتها وفى الحال وصلت الى جسده فمن قوة نارها وقع السيف من كفه وكان مقرى الوحش من التعب مثل السكران فمال عن الحصان كأنه طود من الاطواد ووقع الى الارض والمهاد هذا وقد وقف ضامر على رأسه حتى تبادرت اليه بنى غسان من كل جانب ومكان فعندها حمل ملاعب الاسنه وقد طلب خلاصه وكذلك عنتر بن شداد وعامر بن الطفيل وحمل عروة بن الورد والهطال وتمام المائتى فارس من الرجال الاقويه الانجاب فصدموا بنى غسان وقد حال بينهم وبينه فعند ذلك صدمتهم بنو فزاره بامر سنان بن أبى حارثة وقد وقع بينهم وبين بنى عبس القتال والطعن والنزال ﴿قال الراوى﴾ وكان بنو فزاره فى عالم عظيم ينوف عن عشرة آلاف فارس من الابطال القناعس فحالت بينهم وبين فرسان بنى عبس وقد أخذوا مقرى الوحش أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وطلب ملاعب الاسنه أن يرجع فارجع من كثرة الخلائق والمواكب بل صدمته من كل جانب وكان الحصان الذى تحته قد هلك من التعب فحمله أكثر من ساعه حتى صدمته الخيل فانقلب على ظهره وقد بقى مرميا فى القفار وفى الحال أخذ أسيرا بعد ما سل حسامه الصقيل ودافع عن نفسه وقتل خلقا كثيرا وحملت بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان وطلبوا الوصول الى عنتر فما قدروا على ذلك من كثرة الخلائق لان سنان بن أبى حارثة زعق فى بنى فزاره وقال يا ويلكم ما تبصرون أعداءكم فى هذا البلاء ومثل هذه العساكر تقاتل معكم فانصحوا واطلبوا أخذ الثار ﴿قال الراوى﴾ فعندها حملت بنو فزاره وهى تنادى يا لثارات بنى بدر يا لثارات حذيفة وطلبوا عنتر بالصوارم والنبل وكان عنتر قد زعق فى عساكرهم حتى قارب المضارب فطلب الاعلام هو وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ومائتا فارس أخر فطلب العلم والصليب وملؤا الارض بالدما الخضيب وفرقوا المواكب بالطعن الصائب ولم يبق بين أيديهم الا الخيام والمضارب وكان قد

حصل لهم تعب عظيم وخرج بعضهم وقتل من خيلهم وهم يقاتلون عن أنفسهم حتى ركبوا من الخيول الشارده وبذلوا الرماح والسيوف وكان عنتر على جواده الابجر وفي يده رمحه الغليظ الاسمر فما بدله وما كان معه من آلة الحرب غيره لانه لما أبصر مقرى الوحش قد وقع على الارض اسودت الدنيا في عينيه ورمى البيضة عن رأسه وخفف وأعطى سيفه لاخيه شيبوب وانصف وحمل على الصفوف وهو يقول هذا يوم طعن القنا ما هو يوم ضرب السيوف ﴿قال الراوى﴾ ولما بذلوا الرماح سمعوا أصوات أصحابهم من الصياح فساروا يطلبونهم من فزعهم عليهم ﴿قال الراوى﴾ وفي تلك الساعه وصل اللقيط بن زراره بالعساكر الذى جمعها في وادى الاخدود وكانوا ثلاثين ألف فارس وكان اللقيط في المقدمه يسمع ارتفاع الضجيج والزعاق ونظر بعينه الغبار قد سد الاقطار والآفاق فعلم ان القوم في ضيق الخناق وان الحرب قد قام على قدم وساق فقال لمن حوله من فرسان عشيرته هذا وقت انتهاز الفرص لان بنى عبس وبنى عامر ما التجأت الى هذه الجبال الا من خوفها من هذه العساكر وان لم نبلغ منهم غرضنا في مثل هذا الوقت ما نبلغه أبدا ﴿قال الراوى﴾ ثم انه فرق اخوته على سائر القبائل وأعلمها بهذا الحال وأمرها بالقتال ورمى الصياح في اليمين والشمال فأقبلت المواكب مثل الجبال وحمل اللقيط يطلب الغبار الثائر واذا قد اعترضه سنان بن أبى حارثة في جماعة من بنى فزاره وأخبره ان عنترا بين يديه في طائفة قليلة وانه انقطع عن بنى عمه وعشيرته فبادره قبل أن يخوض الحجاج ويعتصم بالجبال ودعنا ننهب جسده بالرماح الطوال فعندها صاح اللقيط بن زراره وافرحتاه بعد ترحاه وركض في أول العساكر وقدامه سنان بن أبى حارثة وتتابعت خلفه الفرسان وأبصر عامر هذه المصائب فأيقن بحلول الحمال الصائب وقال لعنتر يا أبا الفوارس ما بقى من الهلاك مهرب لاننا قد وقعنا في بحر متلاطم بالامواج فما ترى من الرأى فقال عنتر ما هنا من الرأى غير استقبال القادمين والطعن فيهم بالرماح وخطف الارواح لاننا ان رجعنا نطلب أصحابنا فتكت هذه الطوائف بنا وبث فنا وما بقى في الامر الا اننا نلقاهم ونكفى بأنفسنا الهلاك لان الرجل اذا قتل لا يقتل الا اذا قتل خلقا كثيرا وبعد هذا يكون مغبونا ثم انه تلقا الخيل كما تلقى الارض العطشانه أوائل المطر والسيل وتبادرت اليهم الرجال التى كانت متخلفة في الحلة وعادا اليهم ضامر مقدم الشام وطال عليهم في قطعة جيدة وأمر بنى غسان أن تحمل كلها حملة عنان فحملت الابطال وحملتها اهتزت الجبال والارض يمينا وشمال وجرى الدم وسال وفنيت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وارتجت الجبال والدنيا انقلبت والحياة منعت والسيوف قطعت والرماح كسرت والدروع تمزقت والرجال جالت والشباب شابت والآمال خابت والبطون تفجرت والظهور تقسمت والدماء من الجراح هطلت هذا وهم بين طريح وطارح ومذبوح وذابح وباك وناثح وزاعق وصائح وخسران ورابح وغادر رائح وباك وناثح ومشبوح وشايح والدماء على الارض سائح حتى صارت القتلى مثل الذبائح هذا وهم في صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام ﴿قال الراوى﴾ وقد قال القبائل اذا كثرت الكلاب على السباع أنزلوا بها العذاب واذا اجتهدت العصافير على الباشق الصيود أتعبته ونالت منه المقصود الا أن القوم ما مضا عليهم أكثر ساعة من النهار حتى قتل منهم جماعة وأسروا عروة بن الورد والباقى سلموا أنفسهم الا عنترا وعامر بن الطفيل فانهما بطول نهارهما يقاتلان الى أن دخل عليهم الليل وأخذوا أسارا وقادوهم حيارى وسلموهم الى العبيد ورجعوا الى الخيام واستقر بهم المقام فعند ذلك جمع سنان بن أبى حارثة بين لقيط بن زراره وبنى ضامر مقدم العساكر فهنوا بعضهم بعض بالسلامة والنصر وقال اللقيط لضامر أيها السيد هنيئا لك هذا النصر والارشاد فقد بلغنا كل المراد من الاعادى والاضداد الذين قد ملوا النساء ويتموا الاولاد فشكره ضامر على ذلك الايراد وقال

له

له أيها الامير انى قد أمرنى صاحبى بفناء بنى عبس وها أنا قد أتيت لهم قاصدا ولابد ما أسوق اليه منهم
جماعة مع مقرى الوحش وأبيض وجهى عنده بهذا العبد الاسود وما نسأل عن الباقين فقال له اللقيط
ابن زرارة يا مولاى الامر اليك افعل كما تريد لان الاعداء حبسوا أنفسهم فى هذا الوادى ولا تركوا لانفسهم
نجاة ولابد ما نهلك الفوارس منهم والعوام ولو رحمت بهم سقناهم قدامك الى أرض الشام وقد أقاموا على
رؤس الشعاب من يحفظها حتى لا يخرج هارب منها ودارت بهم الكتائب من كل جانب وباتوا فرحانا تم
على أعدائهم من العذاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم من حين أتى اللقيط
ابن زرارة وتلك الجموع والخلائق قد عادوا الى ورائهم وقاتلوا على رؤس الاودية والمضائق من فزعهم أن
تملكهم الاعداء وما زالوا كذلك حتى أمسا المساء ورجعت الاعداء وانتظروا عنترة ومن معه فلم يروا لهم خبر
ولا أثر فتقطعت ظهورهم وحاروا فى أمورهم وعلموا ان القوم قد هلكوا فجمعوا رأيهم على أن يدخلوا فى
الجبال والمقاتلة هنالك عن الحريم والعيال ولما صاروا فى الوادى وأبصروا النساء مشققات الثياب كثيرين
البكاء والانتحاب لان الخبر قد وصل اليهم وسمعوا ما جرى على رجالهم من النوائب واطموا على الخدود
والترائب ومشوا بين الخيام والمضارب وهم مكشفات الرؤس منشورات الذوائب ولم يعلن السالم من
العاطب وأقمن العويل والبكاء وارتفع الضجيج فى الوادى وعلى وودع الوالد الولد وتقطعت الاكباد من
شدة الحزن والكمد وكان الملك قيس قد نشأ له ولد وسماه زهير وكان دون البلوغ وهو مبدع فى الجمال
وكان يحبه محبة عظيمة ومن شدة محبته له واشفاقه عليه خطر له خاطر وتصور فى عينه أنه صواب وكان
ذلك الهاما من رب الارباب والامر كان سبق فى أم الكتاب فجمع أمراء القبائل والمقدمين من العساكر
وقال لهم يا بنى عمى أنتم تعلمون ان هلاكنا قد آن وما بقى لنا طريق من خلاصنا من هذا الوادى لان
فرساننا قد قتلت والاعداء فينا قد طمعت والجموع حولنا قد كثرت وأنا قد بان لى أمر وأريد أن تعاونونى
عليه ولا تسألونى عنه فقالوا وما الذى تريد من المعاونة حتى اننا نعاونك على ما تريد فقال لهم يا بنى عمى
من هذه الليلة كل من كان له نوق أو جمال يأمر عبيده باعتقالها وتوصوهم أن لا يمكنوهم من الماء والمرعى
حتى أرى بكم تدبيرا تهلكون به الاعداء جميعا فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم انصرفوا وأمروا عبيدهم بمثل
ذلك وأنفذ الملك قيس الى الاماء التى عند النساء ينهونهن عن البكاء ووعدهم بالنصر على الاعداء
وذكر لهم أن رجالهم سالمون غير هالكين وان الجواسيس قد أتت وأخبرتنى بذلك وفى غداة غد ندبر
فى خلاص الجميع (قال الراوى) وكان هذا الكلام يطيب به قلوب النساء وفزعا من الاعداء أن تسمع
النواح والبكاء فيزيد بهم الطمع فسكت بهذا الكلام جميع الناس وأقام الحرس على رؤس الشعاب
وباتت بنو عبس فى أعظم ما يكون من الهم والاكتئاب هذا والربيع بن زياد قد أيقن بالهلاك وسوء
الارتباك وقال عمارة مازال الملك قيس يسمع من رأى عنترة حتى هلك وأهلكنا معه واحسرتاه على السلامة
وعلى زواج عبلة ولو ليلة واحدة فقال له الربيع التهى حالك لا وخفى ويلك يا مذلول السبال وأنت
بعد ذلك مولع بزواج عبلة اما يكفيك ما أنت فيه من هذا الوقت الخبال فقال عماره يا اخى انى ما أنسى
هواها مادمت فى قيد الحياة واحسرتاه آه وآه وادهوناه على ما أصابنى وكان شيوب قد جرى عليه مالم
يجرى على قلب بشر وعلم أن الحرس شديد عند رؤس الشعاب فما قدر أن يظهر ولا فعل شيأ الى أن أصبح
الصباح وأضاء بنوره ولاح وركبوا الجرد الملاح وتقدموا يطلبون الحرب والكفاح فسد الشعاب بكثرة
الخلائق وأبهروا الابصار بلمعان البوارق وأدارت فرسان بنى عبس وبنى غنى وبنى عامر الحرب فى
ذلك اليوم وقاتلوا من داخل الشعاب خوفا على الحريم والاولاد وجمع الملك قيس جميع عبيده وعبيد
القبائل الاجواد وأطلعهم على قرون الجبال وعانوهم بالنبال والاحجار واشتد الحرب والقتال وعظمت

الشدائد والاهوال ومازالوا على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار واستحال وعادت العساكر والقبائل الى الخيام وقد زادبهم الطمع والمحال وعند عودتهم عير اللقيط بن زراره على عنتر وقال له كيف ترى ياولد الزنا حالك وعاقبتك وهذا الذى جرى عليك بسبب تعديك على الفرسان مدى الدهر والازمان فابشر بما تلقى وما يحل بك قبل القتل من العذاب وما ترى بعينك من الذل والهوان وحق رافع السماء لاقتلنك واقتل عبلة بين يديك وأقطع يديك ورجليك وبعد ذلك يحملك الامير ضامر الى سيد بنى غسان يصلبك على باب دمشق ويشفى منك قلوب عبدة الصلبان فقال له عنتر لو استحييت يا ابن اللئام ما تكلمت بهذا الكلام لانك ذليل جبان لا تكشف شدة ولا تصلح لنجدة وأما أسرى أنا فما هو عار لانى ما أسرت حتى اجتمعت على عساكر الشام وعرب الحجاز وقتلت منهم أبطال بعجز غيرى عن لقاء بعضهم فى البراز ومن يكن كل يوم يطمع فى لقاء الشجعان وأصحاب الاقدار وينكس الاعلام تحت قساطل الغبار لابد مايصيبه سهم من سهام الاقدار وبعد ذلك فما أنا قاطع من الحياة الاياس مادامت تتردد فى هذه الانفاس لان الرجل اذا كان له فى الدنيا زاد لا تعمل فى جسده السيوف الحداد واذا كان لى فى الحياة حظ ونصيب فحزاك على يدى يكون قريب (قال الراوى) فلما سمع اللقيط مقاله هاله ذلك وقال يا ابن الامة مابقى لك من الهلاك فكاك ولو نزلت اليك الملائكة من الافلاك ثم تركه ومضى عنه ودام القتال على ذلك الوجه خمسة أيام الى ان علم الملك قيس أن النوق قد جدبها العطش ودار فى الليلة السادسة فى القبائل وأمرها أن تصف النوق صفوفا وتترك رؤسها الى مقابل رؤس الشعاب وتدع فصلانها كلها قدامها ففعلت ذلك وما فى القبائل من علم ماذا يريد أن يفعل ولا سأله عن ذلك أحد بل أقاموا ينتظرون الفرج بأى وجه كان فلما كان وقت السحر قال الملك قيس للعبيد أخرجوا الفصلان الى البرقيل القتال وكانت شيأ كثيرا مثل الرمل اذا سال لا يقع عليها عدد ولا يحصى لها مدد الا انها لما خرجت حنت خلفها امهاتها ورفعت بالجنين أصواتها وكذلك هى عند فقد أمهاتها وكانت العبيد تضربها بالعصى وتخرجها من الوادى فأقبلت الدنيا بالضجيج فركبت العساكر على حسها وظنوا أن بنى عبس خرجت بالاموال تطلب الامان لان الفصلان قد تتابعت من مضائق الشعاب تطلب رؤس الاودية والهضاب وهى مثل الايتام لا تدرى ما يفعل بها الا ان الفرسان لما رأتها تتابعت اليها ونهبتها وأمرت العبيد بذبحها هذا واللقيط بن زراره يقول لسنان بن أبى حارسة أنت على كل حال شيخ من مشايخ العربان وأقول انك أخبر منى بحلول المصائب والنوائب فما تقول فى خروج بنى عبس الفصلان بين لى هذا الشأن وأوضح لى هذا البرهان فقال له سنان هذا الحال ما يحتاج الى برهان فان الماء عند أعدائنا قليل وهم خلق كثير وقد أخرجوا الفصلان ليردون الماء للناس الذين عندهم والصبيان والصواب انكم من اليوم تخلون القتال وتحفظون رؤس الجبال حتى يقل عنهم الزاد كما قال عنهم الماء فقال له اللقيط وقد سره ذلك وحق رافع السماء لازحفت عليهم الا بسائر الجيوش والكبراء ثم انه قال لضامر يا أمير ما تريد العودة الى بلاد الشام فقال بلى نادى فى بنى غسان وقل لهم يركبوا فى هذا الصباح حتى نهجم على هذا الشعاب ونقود المشايخ والشباب ونترك الكل ينقادون قود الكلاب فقال ضامر هذا وحق المسيح أكبر مرادى ثم انه أمر النقباء فنادت فى العساكر وقد أعلمت سائر الدساكر وكذلك فعل اللقيط بن زراره مع بنى مشاجع والعرب التى جمعها من سائر المواضع قال وما أصبح الصباح الا وقد ركبت تلك الخلائق وامتدت فى المضائق وازدحمت الدروب واشتدت الكروب حتى كادت الاكباد أن تذوب فعلم الملك قيس بذلك الاتفاق فأنفذ العبيد الذين قد تركهم فوق الشعاب وقال لهم القوا بالكم الى آخر جيوش الاعداء واذا رأيتموهم قد جدوا فى

طلبنا وخلت منهم البيداء ومايق لهم فى البر أحد ارفعوا العلم الوسطانى حتى نعلم بهذه المعانى ثم انه قد نادى فى القبائل وأمر فرسانها وأبطالها أن تقف قدام نياقها وجمالها ثم انه قال لهم واذا رأيتم بوادر الرجال قد ظهرت والى القتال تبادرت فحلوا جميع النوق والجمال من عقالها وأضربوها بالاسنة فى أنقابها حتى تنقضى الاشغال من غير قتال وتدوس من أعداءكم الرقاب وتبطحها تحت أرجلها فى الروابى والهضاب ونكون نحن قد بلغنا الآمال وفدينا أنفسنا بالمال واشتريناها النساء والعيال ولما سمعت فرسان القبائل هذا المقال بان لهم وجه التحقيق من المحال وقد عرفوا مادبر الملك قيس واشتهر الامر وظهر وما فيهم الا من فرح واستبشر وقالوا لقد صدق هذا الرجل وما خاب من سماه قيس الرأى ثم انهم امتثلوا كلامه ومقاله ووقف كل واحد منهم يحفظ نوقه وجماله هذا وقد لج اللقيط فى الطلب وغره فيهم الطمع ثم انه حمل بترسه والحسام وقد تقدم قدام عساكر الشام وهو يبشرهم بالنصر ويحدثهم بالغلبة والقهر ويشد الابطال ويحثها على القتال وهو مع ذلك ينشد ويقول

اليوم أشفى النفس من كل العلل * وأشعل الحرب بأطراف الاسل
وأترك الطير بيت حائما * على أناس سكنوا طرف الجبل
وأنا الهمام البطل الندب الذى * أنازل الموت اذا الموت نزل

(قال الراوى) هذا والملك قيس يدبر الناس ويصف السادات وينظر العبيد حتى انهم يرفعوا العلم الذى أمرهم به فبينما هو كذلك اذ سمع الصياح وقد علا وترعرعت الابطال الى الفلا وأبصر العلم وقد رفع والعبيد الذى عنده أظهرت الفرح والشعاب قد اشتدت بالكتائب ولعب السيف فيها من كل جانب والغبار قد حكى ظلمة الغياهب والاسنة تلمع مثل الكواكب هنالك نادى الملك قيس فى الصفوف نعات نوقها وجمالها وأطلقتها من شدادها واعتقالها ولزغتها بالاسنة فى أكفالها وأجنابها وكان شئ كثير لانها أموال سنة قبائل وقد عطشت خمسة أيام وقد اخرجت فصلانها عنها الى البر والجبال فشبت على رؤس الرجال وصدمت الاعادى فى أضيق الاماكن ولطشت رؤسها وصدورها وداست الفرسان والخيل وكانت الابطال الذى اجتمعت فى الضروب أبصرت البلا قد أتاها فرجعت بالخيل الى ورائها أنها تطالب الطلوع وكانت العالم مثل البحر الزاخر وما زالوا على مثل ذلك حتى ضربوا بعضهم بعض بالسيوف ورموا عن أيديهم الرماح من ضيق المكان وضرب الاخ أخاه والاب أباه وذهبت القرائب والانساب وكان لهم يوم مشهور رفعادوا يطلبون النجاة مما شاهدوا واندا سوا تحت أرجل الخيل والجمال وألقوا السيف فى أعناق بعضهم بعض وصارت العساكر تحت أرجل الجمال عبرة لمن اعتبر وكان الذى سلم منهم يقوم مثل السكران الا أنه ما يفتح عينه الا ويجد على رأسه فارس من بنى عبس وغطفان فان كان فيه روح أخذوه أسيرا وما تقارب النهار حتى امتلأت الشعاب بالقتلى وفاضت الدماء وما سلم من العرب ذلك اليوم الا بنى فزارة لان سنان بن أبى حارثة أشار على اللقيط أن يحاصر بين الجبال ويطاولهم الى أن يقل عنهم الماء والزاد ويبلغ منهم المراد فخالف مقاله وما سمع ما به عليه أشار وأراد يبلغ من بنى عبس ما يحب ويختار فقال سنان لبنى فزارة يا بنى عمى قفوا خلفى ولا تتبعوا اللقيط فى هذه المضائق لان قلبى خائف من هذه النوبة وأنا أعلم ان بنى عبس لا تغفل عن أنفسها ولا بد ما تعمل مكيدة لاسيما وعندهم الربيع بن زياد بخبثه ودهاه وشيطنته وقيس بن زهير وعبارته وما أظنهم أخرجوا الينا الفصلان الا مكر ومحال وربما انهم دبروا حيلة وتكون عاقبتها وبيله فاقبلوا منى ولا تدخلوا الشعاب فقبلوا بنو فزارة كلامه وأقاموا قدام المضارب والاعلام فخار وا مما أبصروا من الاهوال التى

رأوها فقال سنان لمن معه من الفرسان من سادات بنى فزاره كيف رأيتم مشورتى عليكم فقالوا له وما الذى ننتظر أطلب بنا الهرب قبل ما تخرج علينا بنو عبس فانهم ان خرجوا ألحقونا ببنى بدر وحذيفة وحمل فقال سنان لمن معه من الفرسان وحق من فى غيبه قد احتجب ما بقى ينفعنا الا الهرب ولا لنا من يحمينا من قبائل العرب وهذه عواقب البغى والعدوان وهذا يدل على أنكم من أول الزمان باغين على عنتر وعلى بنى عبس وعدنان فلما سمع حصن بن أبى حذيفة هذا المقال بكى وقال كيف التدبير يا عمارة فقال سنان من هذا كنت فزعان من دخولنا الى هذا المكان والرأى اننا نتبع المنهزمين من بنى غسان ونطلب أرض الشام فقال حصن هذا ما أفعله أبدا وما لنا الا اننا ندخل على المأثورين ونحملهم من وثاقهم ونطلب من بنى عبس وعنتر الزمام فلما سمع بنو فزارة كلامه رأوه صوابا ثم انهم عطفوا نحو الخيام ونزلوا على عنتر ومن معه وحلوهم من الشد والاعتقال وطلبوا منهم الزمام والامان فقال عامر ابن الطفيل لسنان بن ابى حارسة ما فعلتها الا عن أمر صعب شديد ولكن ما نخيب قصدك وأنت من جهة بنى عمنا فى أمان فقال عنتر أنا ما أذم لك من بنى عبس حتى ترضى عنك ساداتهم لانى أنا عبدهم والعبد ما يذم أحد ثم انهم توا ثبوا على ظهور الخيل وطلبوا باب الشعاب وما سلم فى هذه النوبه الا بنى فزاره وقتل اللقيط بن زراره لا نناذكر نا فى ذلك اليوم أنه ترجل فى أول العسكر وترجلت معه بنو اعمه ودار وا بنى عبس هم وعساكر الشام وكان اللقيط بين يديها ومتقدم عليها وهو فرحان بوقوع عنتر وأراد أن يبين قدام ضامر شجاعته وقوته وبراعته وتذكر أيام سرقة الجواد الابجر وكيف احتال عليه شيبوب وأخذه مع الحجرة سكاب وكيف سباعنترا مرأة أخيه حاجب وقد ذكرنا هذا الحديث فيما تقدم فترجل وأمل أن ينال من بنى عبس غرضا فجاءه القضاء والقدر عليه نزل وهلك هو وثلاثة من اخوته والباقون سلموا الا ان سنانا عجل بهم فى طائفة بنى مشاجع قبل خلاص عنتر ورفقته وكانت هذه الواقعة من أعجب ما جرى فى ذلك الزمان وكان الذى قتل اللقيط بن زراره الربيع بن زياد لانه أدركه وقد نار من تحت أرجل الجمال فقتله وأنشد يقول

أفاطم لو سألت الشعب عنا * أجابك وهو منطلق اللسانى
بأخبار يشيب الطفل منها * ويهرب وهو مخضوب البنانى
طفينا نيران حر الاعادى * بفيض دماء فرسان الطعانى
وخلينا اللقيط بها طريحا * كأن عليه حلة أرجوانى
شككت جنابه لما تولى * بسيف مثقف ماضى السنانى

وخرجت بنو عبس من الجبال وهى تطعن فى صدور الرجال وقلوبهم مشتغلة بمن لهم فى الاسر والاعتقال لانهم ما يعلمون كيف حالهم وما جرى عليهم وما زالوا واقفا حتى انهم التقوا بعنتر ووقعت العين على العين وأبصر بنو عامر ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وأخبروا الناس بأنهم سالمين ففرحوا بذلك وهنوهم بالسلامة وكذلك فعلت بنو عبس بعنتر ومقرى الوحش وأما بنى فزارة ترجلوا ورموا سلاحهم وتقدم سنان وحصن بن أبى حذيفة وجماعة من المشايخ وقصدوا الملك قيس وهم رجاله واعتذروا اليه من فعالهم وقالوا أيها الملك اننا ندمنا على ما فعلنا ونريد أن نصفى لبعضنا ونرجع الى أوطاننا ونجعل مقابلة خطانا ما تطلب وتريد فانك قادر على هلاكنا وفنانا وهدم حصننا وقبل ركاب الملك قيس وسأله العفو والبقاء فاستحى الملك قيس من الطوائف التى حواليه وأعطى لبنى فزاره الذمام ورحلوا بعد ذلك يطلبون الديار وقد ملأت سائر الاقطار وفى اليوم الثالث رحلت بنو عبس تطلب الديار والاوطان وركبت سادات بنى عامر وغطفان وسار والوداعهم يوما كاملا وعامر بن الطفيل

تأسف

تأسف على فراق عنتر بن شداد ويقول يا أبا الفوارس لولا ما يشق عليك لكنت حلفت انى ما افارقك فشكره عنتر وقال له يا عامر ان كنا تباعدنا عن العيون فالحب فى القلب مسكون فلما سمع عامر كلام الامير عنتر حمده وشكره وبعد ذلك ودع بعضهم بعضا وسار وا يطا بون أوطانهم بعد أن عانق عنتر لعامر بن الطفيل وأنشد يقول

اذا ودعتنى أودعت قلبى * غراما لا يزول الى الممات
ولو انى أكون بحكم روحى * لما فارقت مثلك فى حياتى
ولكنى لعلة عبد رق * فلو خالفتها كسرت قناتى

فلما سمع عامر بن الطفيل ما قاله عنتر بن شداد عذره وعاد مع قومه وبعد ذلك رجع عنتر مع مقرى الوحش وعروة بن الورد وهو مسرور القلب والفؤاد بما قد وصل اليه من نيل المراد وهلاك الاعداء والحساد وهو يمشى قدام العساكر ويفتخر على ظهر حصانه وهو يذكر ما جرى لهم من الوقائع فأنشد يقول

فؤادى قد برته يد الاسقامى * وعينى دمعها فى الخد دامى
على زمن تقضى فى انتصاب * وعين الدهر تكحل بالمنامى
بكل خريدة خود رداخ * كان جبينها بدر التمامى
بقد كالقضيب وحسن طرف * والحاظ أحد من الحسامى
وألفاظ تحاكى الشهد فيها * وقد مزجت حقيقا بالمدامى
وقلبى فاطر والدهر صاف * لنا والعيش حظ واغتنامى
وأيام الشبوبة والتصابى * لذيذات كما بين الخزامى
ولو أعلم بما فى الغيب مقضى * ومنهم حكم جارى فى الانامى
ألا يا عبل لو أبصرتى ما قد * جرى لى عند معترك الزحامى
وخيل الشام قد دقت ودارت * على وقد أتتنى للصدامى
وجاءت مثل بحر وهو طامى * ومالت مثل غيث من غمامى
ولم أشعر بروحى اذ رمونى * أسيرا تحت قساطيل العتامى
وانطبقت على الارض حتى * انى قد شربت من الحمامى
وقد أطلقت من قيد وثيق * ولم أحفل بأل بنى اللئامى
سلى عنى كلا بامع عمير * وعامر يوم كربى واقتحامى
سلى يا عبلة عنى آل بدر * وقد أرويت من دمهم حسامى
وكيف تركتهم فى القفر صرعى * كأعجاز النخيل مع الصدامى
تنوشهم السباع بكل باب * عرايا بين أطناب الخيامى
وانى فارس أسد هدور * كريم الجد من أولاد حامى
ولم أحفل بأهل الارض جمعا * وحق الركن والبيت الحرامى
عليك سلام الله من بطل كريم * بطول الدهر ما هتف الحمامى

فطربت فرسان بنى عبس السامعون وشكروه جميع الحاضرين وسار عنتر مع قومه بنى عبس وعن شماله عروة بن الورد وعن يمينه مقرى الوحش وهو يقول لهم يا عمى نحن سائرين الى الاوطان وما فى قلبى طيب بمجاورة بنى فزاره وسنان بن أبى حارثة لانى أعلم أنه لم يجى من مجاورتهم خير وشرهم كثير فقال عروة بن الورد يا ابن العم دعنى من بنى فزاره وغيرهم وعاونى على أمر قد وقعت فيه ورزية قد طرقتنى على غفلة وما لقيت أحدا يحمل لى منها خلاصا فلا تستقل عقلى فى هذا الامر لو قدرت على حمله ما استغثت بك عليه ولا كفانى من الامر ما كتمت وتمنيت القتل حتى لا أبوح به لاحد فما هو سهل فقال عنتر وقد قامت عيناه فى أم رأسه ويلك يا أبا الابيض وما الامر الذى تريد القتل دونه والهلاك أخبرنى به حتى أعرفه أما علمت أن الانسان اذا كتم مرضه يكون على مخاطرة من أمره فقال عروة وقد تحسر من قلب مجروح وهطلت من أجفانه الدموع لما كنا فى ديارنا قبل قتال بنى فزارة وقبل دخولنا بلاد اليمن ويجرى هذا الامر الذى قد جرى علينا والمحن فكانت أختى سلمى قد أتت الى زائرة من بنى غطفان وكانت تقيم عندى أياما وتعود الى زوجها وكلما أتت ورأتنى خاليا أشارت على بالزواج

وتقول لى ياأخى ان فى جوارنا جويرية يقال لها لميس بنت همام الغطفانى ماخلق مثلها فى هذا
الزمان فكأن الصباح يطلع من غرتها والليل يطلع من سواد شعرها والورد يقتطف من وجنتها
والشهد من ثناياها ونكهتها واشتهى أن تكون زوجتك فأنعم لى بالاجابة وقبولها حتى أخطبها لك
من أبيها وأعينك بجميع ما أملك من المهر والصداق وأدعك تتهنا بها حينا من الدهر لان النظر
لوجهها يجلى ظلمة البصر والذى يضاجعها يفوز بالفوز والظفر ياأبا الفوارس اذا سمعت كلامها
لا التفت اليها ولا أميل قلبى اليها وأقول لها ياأم حسان نقل الجفان الى الضيفان واغاثة الملهوف
على جور الزمان أحب الى من مضاجعة النسوان ولاجل هذا كانت العرب تسميه عروة
الصعاليك لانه كان كلما يكسبه فى القتال والمال والعيال ينفقه على اليتامى والارامل والصعاليك
وانه قال لعنتر فى آخر شكواه ياأبا الفوارس ومازالت على مثل ذلك حتى اجتمعنا نحن وبنو غطفان
فى هذه النوبة فى شعاب جبلة وجرى من القصة ماقد عرفت وكان أكثر مقامى عند أختى سلمى فى
بنى غطفان وفى بعض الايام رأيت لميس خارجة من بيت أمها داخلة الى بيت عمها فارتجف فؤادى
وغاب رشادى فهبت ناظرى وحار خاطرى وأبصرت صورة غريبة الكمال والجمال زائدة الحسن
والدلال قد خلقت فى وقت سعيد وأعطيت من الملاحة أوفى نصيب فقلت لاختى ياأم حسان من
هذه الجارية من بنى غطفان فوالله لقد انعجم لسانى لبعض صفاتها وأصابت فؤادى بينهم بسهم
جفنيها عند التفاتها وسلبت عقلى مع قلة رغبتى فى النساء ولحسن ذاتها الا أجد عنها صبرا ولا سلوانا
فقالت وقد تبسمت هذه لميس ابنة همام بدر التمام وبديعة الانام التى كنت اشتهيتها لك زوجة وأنت
لم تلتفت الى ولا تعتنى بكلامى فقلت ياسلمى ماعلمت أنها بهذه الصفة وأريد منك أن تحدثى مع أمها
بسببها حتى تنكشف هذه الشدة وأخطبها فقالت ياعروة مابقى لك الى هذا سبيل ولا بقى لاحد فى
هذه الجويرية مطمع لان القوم قد زوجوها برجل جليل القدر عظيم الامر وقد عاهدوه أبوها على
ذلك وقد غدا يأتى بمهرها ويأخذها فلما سمعت ذلك يابن العم زادنى الوسواس والهم وقلت ياسلمى
ويلك ومن زوجها من سادات العرب وكم حمل اليها من المهر من الفضة والذهب فقالت أما المهر فما
سألت عنه ولكن سألت عن الرجل فقالوا هو عمرو بن معديكرب الزبيدى وأبصرتها فرحانة وتصفه
بالحسن والجمال وكثرة الخيل والمال والنوق والجمال وقالت انه حج الى بيت الله الحرام وشهدت له
فرسان العرب بأنه أشجعها وأحسنها وأدفاها نسب وذكرت فى آخر حديثها أنهم ينتظرون أن يأتيهم
بالمهر وقد انقطع خبره ولولا ذلك ما كانوا أتوا معها وانحصروا فى هذه الشعاب بل كانوا أنفذوا خلفه
وتركوه يردعنهم عساكر الشام من بنى غسان ولا يتركها بعيدة عن الاوطان فلما سمعت هذا
الحديث ياأبا الفوارس طار فؤادى وجفانى رقادى وأردت أخبرك بهذا السبب فوقعنا فى هذا الامر
وأشرفنا على الهلاك وقلت فى نفسى ها قد أتانى ما أشغلنى عن جميع الاشياء وأنا أعلم انه مابقى يسلم
منا أحد والصواب انى لا أحمل ابن عمى هم آخر لانه يكفيه ماهو فيه والآن قد من الله علينا بالاطلاق
وأنا حائر فى قصتى خائف من هذا الامر سكران من غير شراب خمر ولولم أكن قد عجزت عن حمل
أثقالى ماشكوت اليك حالى (قال الراوى) فلما سمع عنتر حديث عروة تعجب منه وعذره فى
شكواه وقال ياأبا الابيض وما الذى أوصل هذه الجارية الى بنى زبيد وكيف تزوج بها هذا الرجل
العنيد وما سألت أختك عن هذا الامر فقال عروة ياأبا الفوارس سألتها فقالت لى ياعروه أمها من بنى
مراد وكانت سارت الى زيارة وابنتها هذه معها وأقامت عندهم أياما وكانت كبشة أخت عمرو فى بنى
مراد لان القوم جيران فى أرض واحدة وانها لما أبصرت لميس ووصفتها الى أخيها عمرو وأتى اليهم
وخطبها

وخطبها من أبيها وبذل له مالا جزيلا فأعطاها له وعاهده على أن القوم مازوجوا بينهم حتى أمرتهم أنا بزواجها وأنا قد عرضتها عليك من حين كان لها من العمر تسع سنين الى الآن وما سألت عنها مع أن أهلها قد اعتمدوا على قولي وتركوا معوّلهم على وكنت اذا أتيتك زائره وصفتها لك فأرى منك التهاون والفتور والنية الباردة فأعود بقلب مكسور وأكتم ذلك وأقول لام الجارية انهضوا أنتم وأتموا أمرها وكنت أرجو بذلك أن ترجع وتقبل قولي ومازال الحال على مثل ذلك حتى وقع بينكم وبين بني فزارة الوقعة الكبيرة وقتلتم حذيفة وأخوه حمل على أعدائه الهبا وغضب عليكم الملك النعمان ودخلتم بلاد اليمن وعلمت أنا بذلك فقلت في نفسي لا قطعت رزق هذه الجويرية ولا كسرت بختها ثم اجتمعت بامها وقلت لها يا أم ليس جزاك الله عني كل خير لانك قد فعلت ما يعجز عنه غيرك من حفظ الذمام وحرمة الجوار والآن قد جاء الامر بما لم يكن في الحساب لان أخي قد دخل مع بني عبس الى بلاد اليمن ولا أدري يرجع أم لا وما هو من المروءة أن تترك البنت بلا زوج فزوّجيها من اليوم لمن شئت ودبري ما هو بيتي فوالله يا أخي لقد شق عليها كلامي وأقامت على ذلك برهه من الزمان حتى اتفق لها هذا الاتفاق وزارت أهلها وزوجتها العمرو بن معديكرب الزبيدي وجرى من القصة ما جرى فعدت أنا الى بني غطفان فرأيت أمها فرحانة وقالت يا سلمى قد عوض الله لابنتي مثل أخيك وأوفى وما قطع بنا رب السماء فقلت الحمد لله الذي وقع لابنتك رجل قوي وما على ملام فقال عنترة وقد عرف القصة على جليتها وقال لقد سعى عمرو لقصر أجله وقد مشى في انقطاع أمله والصواب انك تكتم سرك وتخفي أمرك وتوصي أختك تنفذ تعلمك اذا جاء وقت الزواج ووصل عمرو الى بني غطفان وزفوا الجارية عليه حتى تكمن له في الطريق وتأخذها منه غصبا واذا لامنا أحد في ذلك نقول نحن أحق بابنة عمنا وقد جرى بيننا وبين بني زبيد وقائع من أيام خالد بن محارب وابنت عمه الجيدا أوفق من أن نخاطب أباها في ذلك ونطلبها منه لانه ربما يقول أنا مسكت ابنتي لعروة وأعرضتها عليه مرارا ولم يقبلها ولما وقع لها من يستترها عاد يطلب هتكها وتقع الفتنة بيننا وبينهم ولا تنال غرضا ولا سيما ان كان هذا الرجل راغبا في بني زبيد كما ذكرت وهذا الامر نحن في غنا عنه ولا بد ما ندبر شيأ نبلغ منه المنا فقال عروة لقد صدقت يا أبا الفوارس لا عدمتك اصدقاك ولا برحت سوقك في رقاب أعدائك ثم ساروا الى الديار وقد بنوا أمرهم على ذلك المعيار وأوصى عروة أخته سلمى وكذلك أوصى عنتر أخته مروة ﴿قال الراوي﴾ ياساده يا كرام وكان عمرو بن معديكرب الزبيدي الذي تزوج هذه الجارية الغطفانية في ذلك الزمان فارسا لا يخاف الجبابرة من الفرسان وتبطل عند قتاله حيل الانسان وكان من الشجعان قد كمل ومن الفصاحة والبراعة والكرم والملاحة وكان منشؤه في بني زبيد كثير الكرم والاحسان ولكن في صباه قد زاد به الهم في أكل الزاد وكانت العرب تسميه أولق بني زبيد والمألوق في كلام العرب المجنون وقد ذكر في أشعار بعضهم حيث يقول

أسد حزامي فوق ظهر مضمر ✻ كأن به من شدة السير أولقا

يعني جنونا وكان أبوه كلما رأى نفسه مهيئة يزيده هوانا ويلبسه الصوف ويستخدمه كما يستخدم العبيد والغلمان ويطلب بذلك أن ينتهي عن ما هو فيه ويتخلى لروحه وهو لا يعرف ما يراه منه وما يطلب الاشياء لا يبرح يشتكي الجوع ﴿قال الراوي﴾ وبلغني انه كان لا يشبع الا اذا عمل أبوه وليمة أو نزل به قوم يعزون عليه وكان يأكل في ذلك اليوم ناقة ويشرب زق خمر ويطلب بذلك استظهارا لايام أن تأتيه ومع هذه الشهرة كان عظيم الخلقة كبير البطن طويلا واسع المناكب هائل الاكتاف والجوانب وكانت أصابعه تزيد عن الفتر وراحته أوسع من الشبر مكحول الطرف لطيف الشمائل وكان كلما

أرسله أبوه فى رعى الاموال وأبعده فى البر يتعلق بركوب الخيل ويتعلم عليها الكر والفر ومازال
على ذلك حتى وصل الخبر الى قومه ان الاشعث بن ضمرة الكندى قد عوّل على غزوكم وقلع آثاركم
وأخذ الخراج منكم والمدد (قال الراوى) وكان هذا الاشعث ملكا من ملوك الزمان كثير القبائل
والاعوان والاجناد والفرسان وله منازل مقيمة بأرضه كلها تحمل اليه الاموال والانعام على ممر
الشهور والاعوام ولما قوى وكثرت جنوده أخذ الخراج وبسط يده فى الظلم وكانت قبائل العرب
تفزع منه وأما بنوز بيد فانها لما طابها رد وارسوله خائبا مذلول الشارب فاشتد به الغيظ فسار اليهم فى
جيش عظيم ولما علم بنوز بيد بمسيره اليهم اتفقوا على لقائه وركب الجميع وساروا حتى أبعدوا عن
الاحياء على ثلاث فراسخ فالتقوا بالاشعث ووقع بينهم القتال فخسر بنوز بيد وأوا عين الهلاك من
كثرة العدد وتزايد المدد فخافوا على أنفسهم وعادوا الى الخيام والمضارب وكانت عودتهم فى الليل عند
ستور الغياهب وعند الصباح داسهم الاشعث بكتائبه والمواكب وضيق عليهم الطرق والمذاهب
وسدت عساكره المشارق والمغارب ودارت عليهم من كل جانب ودخلهم الطمع وبرق الحديد ولمع
وطلع الغبار وارتفع وبكت النسوان من شدة الفزع وتجرعت الابطال كاسات الموت جرع وأبصر
عمرو أخته كبشة وقد نشرت الذوائب ووجد نساء الحى وهن صارخات على أبواب المضارب فقال لامه
يا اماه واحسرتاه لو كنت شبعان من الطعام لكنت أفعل فعلا بهؤلاء اللئام وأضرب أعدائى برمحى
والحسام فقالت أخته لا أشبع الله لك أحشاء ولا أروى لك ظمأ لانك ما تبرح تأكل وتشتكى
الجوع ابعدعنا أبعدك الله ولا أشبعك لان عندنا شغلا شاغلا عنك وعن غيرك فقالت امه ويلك
دعى ولدى يا كبشة ما الذى تريدين منه يا لخنا ما كفانا هذا العار والفضيحة بأن أموالنا قد صارا كثرها
فى يد الاعداء وولدنا ما يشبع منها ثم وهبت له ناقة وحكمته فى كل خبز كان فى البيت واشتغلوا
عنه بما هم فيه وتسلم عمرو الناقة وذبحها واضرم النار على بعض الجبال وصار يشوى ويأكل ويتفرج
على القتال وما أقبل عليه الظلام الا وجدوه لم يترك منها غير العظام وعند المساء رجعت بنوز بيد
وأكثرهم جرحى بعد ما قتل منهم فى ذلك اليوم خلق كثير وجمع غزير وباتوا يحرسون أنفسهم
حتى أصبح الصباح واتصل الطعن بالرماح وقلعت الارواح من الاشباح وبيعت الانفس بيع
السماح وندموا كيف ما بعثوا اللاشعث عدادا وأيقنوا بسبى النساء والاولاد وكان عمرو على الجبل
المقدم ذكره منبطح على وجهه وقد أصبح شبعان ريان فطلبت نفسه القتال والطعان وضربت
فيه نخوة العرب لما سمع بكاء النسوان وهانت عليه المنية وقلت فى عينيه الآلاف والميه ولم يهوله
كثرة الفرسان وبدل الله قلبه من مكان الى مكان وغيره من حال الى حال وأنفذ فيه مشيئته التى
جعلته من أهل السعادة وأنفذ فيه حكمه وارادته حتى يحظى قدام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بالشهادة فيكون من المختارين الذين قد مدحهم الله فى الدارين فنزل من على الرابية وهو يقول
فى نفسه لابد لى من مقاتلة هذه العساكر واترك الاول لا يلحق الآخر ثم انه هم ان يركب بعض
الجنائب ويطلب من أبيه عدة واذا بأبيه معد يكرب قد أقبل منهزما ومعه بعض رفقائه وهو يكد
الجواد ويلتفت الى ورائه فتقدم عمرو وقد ساواه بقامته وهو راكب فتمسك بأزياقه وجذب رجله
من على ظهر الجواد وركب مكانه وقال له أعطنى عدتك وامض أنت الى النسوان لانك قد كبرت
وما يصلح لك مقام الفرسان فتعجب أبوه من فعاله لانه ما كان له بهذا سابقه فناوله السيف والرمح
وقد تمناهلاكه حتى لا يكون له ولد جبان هذا وعمرو قد حمل على الشجعان والاقران وكانوا خلوا بين
البيوت وبدؤا فى نهب الاموال وسبى العيال ومازال يطعن فى صدور الرجال ويضرب فى أعناق

الابطال

الابطال ويصيح فى وجوه الاعداء حتى أخرجهم الى ساحة البيداء وكان صوته عاليا مفزعا فسموه أباثور وعرفه القريب والبعيد وقالوا لبعضهم ما قصر ابو ثور الأوراق لان طعناته كلها صائبة لاتخطئ فى النحور والحدق فاحملوا بنا الى معونته لعل الله يكون جعل له سعادة ليبلغ بها الارب ثم حملوا بين الخيام بالرمح والحسام وعمرو ينثر الكواكب تحت القتام ويطلب الرايات والاعلام وقد قويت قلوب بنى عمه بحملاته وهالهم ما رأوا من توالى طعناته وكان أبوه قد وصل الى أبياته وهو راجل خال من السلاح فسألته زوجته عن حاله فأخبرها بما فعل عمرو به عند عودته وأخبرها انه فرق العساكر من الاعداء بحملاته فخافت عليه ولامت أباه كيف ماردده عن جهله فقال أبوه ما كان له معقول يسمع به ما أقول ولقد رأيت له وجها أوحش من وجه الغول وهو يهمهم بكلام لا يقع له الانسان على محصول ولو لم أسلم اليه الجواد والعدة لكنت أمسيت مقتول ومابقى فى قلبى حسرة الا أن يكون جائعا وقد ندمت كيف انى أهينه ولم أحفظ قدره فقالت زوجته أما جوعه فلا تحمل همه فأنا أمس وهبت له ناقة فأكلها فقال ويلك لما أعلمتينى حتى كنت أطعمه ناقتين ليكون أشد على الاعداء

(تم الجزء الثانى عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد)

الجزء الثالث عشر من سيرة الفارس الهمام والبطل
المقدام من انتشرت شهرة فروسيته فى كل
واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٧ هجريه)

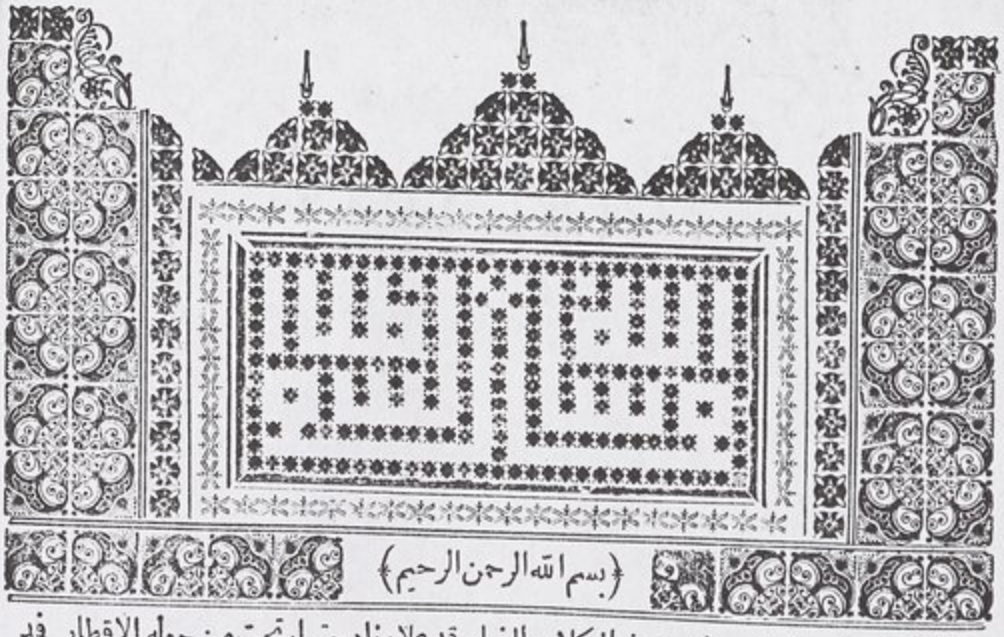

(قال الراوى) وبينما هو مع زوجته فى الكلام والغبار قد علا وزاد حتى ارتجت من حوله الاقطار فدمعديكرب عينيه فرأى عساكر الاعادى قد قتلت وعزماتهم انحلت فسر بذلك وبشر النساء وقال كسر والله عمرو جيش الاعداء بحملاته وفرقهم بصرخاته وشلت يمين من يمنع عنه شيأ من النوق والجمال والمواشى والاغنام ولو أكل الكل فى عام ولما علم النسوان بذلك ارتفع منهن الصياح وتباشرن بالافراح وكان عمرو قد وصل الى صاحب العلم وطعنه فى فاه أخرج الرمح من نقرة قفاه وزعق بعده فى مواكب الاعداء فرقها وأدرك الملك الاشعث وقد عول على الهرب فضربه بقوة ساعده طير رأسه عن جسده ولما أبصرت العرب المجتمعة أنه قد قتل أميرها طلبت كل قبيلة منها ديارها لان أكثرها كانت سائرة معه بغير اختيارها وما أمسى المساء وقد بقى حول بنى زبيد أحد من تلك الخلائق وعاد رجال الحلة حول عمرو وهم يشكرونه ويثنون عليه وقد اشتغلوا به عن نهب الاموال وعجبوا منه كيف نقله الله من حال الى حال وأبصر عمرو اجتماع القبيلة حوله وثناءهم عليه فقال يا بنى عمى لو أتى اليكم من يطالبكم بخراج أو بعداد الحقته بقوم عاد وانا أقنع منكم كل يوم بناقة وأى عدو قصدكم النقوه بى ولا تحوجونى الى زاد فقال بنو زبيد يا عمرو ما يقيمنا نريد حامية سواك ولا يكون علينا مقدما الا أنت ثم عادوا وكان فى حال عودته قد تنبه جنانه وصح بالشعر خاطره ونطق به لسانه وأضاء قلبه باذن الله سبحانه فذكر الواقعة التى جرت فسار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا بنى العم عجلوا لى بزاد * والتقوا بى وقع السيوف الحداد لا تعيبوا على ما كنت فيه
من خلاص قد صحا رشادى * كان بى السر ذا خفاء فلما * نفذ الامر أصبح السر بادى
فدعينى يا أم اكسب مجدا * وعلا ما دامت احدى قيادى * ما غبار الفتى بخز وبز
ولباس الحرير والابراد * بل طعان اللقا اذا ما نادت * لى باسم الآباء والأجداد
فاشروا يا بنى زبيد بليث * حاميا للحريم والاولاد * يوم قد غاب أمسه ثم أضحى
بعد ما كان ناقصا فى ازدياد * فوحق المقام والبيت والحج وساع اليه من كل وادى
لاجلوان طالبا فلك المجد بيض الظبا وسمر الصعاد * وأرد العدا بكل غلام
ساهر لا يذوق طعم الرقاد * واذا ما أقبلت خلفت ذكرى * مثلا لا يزول بين العباد

(قال الراوى) ولما وصل الى الخيام تلقته النسوان بالفرح والاستبشار وهنوا أمه واخوته بما قد

ظهر

ظهر فيه من الشجاعة وبات كل من في الحي يتعجبون من حديثه وفعاله وفصاحته ومقاله ونزل في قلب أبيه معديكرب المنزلة العظيمة حتى قدمه على أخيه عبد الله الذي كان قد أوصى له بالتقدم من بعده وكان عمرو قد أخذ درع الاشعث سيد بني كندة وجواده وسلبه وعدته وكانت أشياء تساوي أموالا كثيرة لانه كان ملكا جليلا ومن جملة عدته صمصامة ما اقتنت مثلها الملوك ويقال انها عتيقة ماضيه أنفذ من أسباب المنايا القاضيه ﴿قال الراوي﴾ وتفرس عمرو من ذلك العام وواظب على الغارات والغزوات وهانت عنده البليات واستفرد بنفسه للنائبات واستنصر على صيد الاسود من الغابات وجز في الحرب نواصي السادات وشاع ذكره في سائر الجنبات وأتته الهدايا والتحق بملوك البلاد وحملت القبائل له الغفارة والمداد وكثرت أمواله وهابت أفعاله السادات ومات أبوه وشرب كأس حمامه واتفق هو وأخوه عبد الله على الاعداء ورسم له ميدانا وجعل حوله خيام المسافرين والضيفان وقصدته الفرسان من كل ناحية ومكان وبارز الابطال والشجعان وقهر فرسان القبائل وكل بطل حلاحل وقرت له بالغلبة حماة القبائل ووهب وتكرم وكثرت عبيده والخدم وتحدثت البنات بحسنه وجماله وشجاعته وملاحته وفصاحته ﴿قال الراوي﴾ وفي بعض الاعوام حج الى بيت الله الحرام وزار الكعبة واجتمع بسادات العرب والزوار وملوك الاقطار فزاد فخاره وفخار وما بقي من الملوك أحد الا أحضره وأكرمه وخلع عليه وخدمه لاجل شجاعته ومروءته ونظروا الى عظم خلقته وعذوبة منطقه ﴿قال الراوي﴾ وكان في أرض حضرموت ملك يقال له زياد بن أكال الاكباد والمرائر وكان ملكا شديد العزمة والصولة قوي الهيبة عظيم النخوة مستقيم الدولة كثير الاموال والرجال والجيوش والابطال وكان معدودا من جملة الملوك المتوجة أصحاب الاكاليل والتيجان والاقاليم والبلدان وكان له بنت يقال لها غفران وقد أعطيت من الجمال والاحسان ما لا يقدر أن يصفه انسان وكانت الملوك يخطبونها والفرسان يطلبونها وهو يقول أنا ما أزوج ابنتي غفران ولا أسمح بها لاحد من ملوك الزمان ولا أملكها الا لرجل قد كمل بالحسن والجمال والشجاعة عند ملتقى الرجال ودعه يكون فقيرا بلا مال ولا ذوق ولا جمال لان في الخلق من يكون كثير الاموال خاليا من الشجاعة والجمال وفيهم من يعطى هذه الصفة ويكون حظه الفقر والاقلال وأريد لابنتي من يسر قلبها اذا صاحبها وضاجعها في المنام ويحميها من بعدي اذا أنا شربت كأس الحمام وما زال كذلك يرد الخطاب ويمنع الطلاب حتى قال له وزيره أيها السيد هذا الذي تريده لا يقدر أحد عليه فافعل ما أقول لك عليه فقال وما هو اني لا أخالفك فيما تقول فقال الوزير أنت تعلم ان في كل عام تجتمع قبائل العرب وفرسانها في البيت الحرام والصواب انك ترسل بعض حجابك بخلعة سنية وصفحة هنديه وفرس عربيه الى الكعبة البهيه وتأمره أن ينادي في الحرم اذا وصل اليه فتجتمع حوله القبائل وفرسانها ومن شهدت له الفرسان انه قد استكمل هذه الصفات فتأمره أنه اذا رآه أن يأتي به اليك وتحكمه في نعمتك وتزوجه ابنتك وتقضي شهوتك وتبلغ ارادتك فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام والمقال صغى اليه وأنفذ بعض حجابه وكان جليل القدر حسن السياسة وأوصاه بالاجتهاد في ذلك فأجاب بالسمع والطاعة وسار يطلب البيت الحرام من تلك الساعة قال وكان وصوله في العام الذي حج فيه عمرو بن معديكرب الزبيدي لان الله سبحانه وتعالى اذا أراد سعادة الرجل سبب له أسباب لا يهتدي اليها أولو الالباب ثم ان الحاجب لما وصل الى الكعبة وأبصر ما حولها من الامم فعل كما أمره صاحبه وكان قد حج في تلك السنة جماعة من فرسان العرب منهم يزيد بن عبد المدان ومروة ابن مسيكة والاصهل بن شرحبيل وجعفر بن عقيل وغيرهم من الابطال الذين تضرب بهم

الامثال فلما سمع النداء فى الحرم جميع القبائل تبادروا اليه من كل جانب واجتمعوا حول الحاجب وعرفوا القصة على جليتها فتقدم يزيد بن عبد المدان ليلبس الخلعة ويركب الجواد فقال بعض سادات بنى قحطان يايزيد كيف تتقدم على عمرو بن معديكرب وقد حضرت ميدانه وصرت من بعض أعوانه وشهدت لنفسك بالعجز عن ضربه وطعانه فاستحى يزيد بن عبد المدان وتأخر وتقدم من بعده مروة بن مسيكة العنبرى فقيل له مثل ذلك ومازالت الفرسان تسمع النداء وتتقدم وتتأخر حتى بلغت النوبة الى عمرو وقد علمت بالهيكل والقدر الذى وصفناه به فضجت السادات لقدومه وهنوه بما قد وصل اليه من الشكر والثناء ووصفوه عند الحاجب بالشجاعة والملاحة والكرم وقالوا له هذا الرجل أحق منا بهذه القضيه فتبسم عمرو وتقدم ولبس الخلعة وركب الجواد الادهم وتقلد بالسيف وكان محلى بالجوهر المعلم فقال له الحاجب الذى أتى بالخلعة ان صاحبى قد أمرنى أن لا أسلم هذه الخلعة الا الى أشجع العرب وأحسنها وأنت ما الذى بلغ من حسنك وجمالك وشجاعتك وقتالك فقال عمرو اما الذى بلغ من جمالى فانه ما نظرتنى قط امرأة من سادات العرب الاحرار أصحاب النسب الا سألتنى وطلبتنى وتقول لى أنا أخلى زوجى وأختارك عليه وأعطيك من المال ما تصل يدى اليه وأما البنات فانهن افتتن بى فى سائر الجنبات وصرن يهذين باسمى فى الخلوات وما فيهن الا من تمنت نظرى وسألت عن خبرى حتى رملة ابنة الملك الحرث باحت باسمى الى أترابها وقالت ليت دعلى كعمرو بن معديكرب ولما بلغنى هذا المقال علمت أنى قد بلغت رتبة الجمال فقال الحاجب لمن اجتمع حوله من الابطال ياسادات العرب أصدق عمرو فى المقال فقالوا نعم وحق من أرسى الجبال وقدر الآجال فقال الحاجب وما الذى بلغ من شجاعتك وغارتك وجسارتك فقال عمرو فالذى بلغ من شجاعتى اننى مازلت أطرق أحياء العرب فى الليل والنهار حتى هجمتها فى القفار وصار الرجل منهم اذا خطب ابنته أحد غريب يمتنع ولا يزوجها الا لاهل عشيرته خوفا ان ألقاها فى الطريق فآخذها سبية وسمعت ان منازل بن النهال سار الى بنى جلهمة وخطب ابنة حسان وبذل لها من المهر ما يعجز عن وصفه كل انسان فقال له حسان يامنازل ما أنت الا كفؤ كريم وسيد عظيم ولكن بأوجه العرب ما أقدر أخرج ابنتى من عشيرتى ولا أظهرها من قبيلتى مادام عمرو بن معديكرب يركب الخيل ويعسف فى الليل وقال فى ذلك هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

منازل ما أعرضت عنك ملالة * ولكننى أخشى على البنت من عمرو
فتى أينما سرنا وسارت ركابنا * رأينا حيالا منه قدامنا يسرى
فلا الليل يثنى عزمه عن مملة * ولا نائبات الدهر تفنيه من عمرو
فمن كل أرض قد سبى بنت سيد * وأفنى ليوث الحرب بالبيض والسمر

(قال الراوى) فعند ذلك قال الحاجب ما تقولون ياسادات العرب فيما يقول عمرو فقالوا صدق فيما قال فقال الحاجب يا عمرو فما الذى بلغ من جسارتك وهجومك فى الليالى المظلمات فقال عمرو والذى بلغ من جسارتى اننى ركبت فى بعض الايام اطلب الغزو الى بعض أحياء العرب حتى وصلت الى بنى هوازن واردت أن أدخل اليهم فى الليل واذا بصوت من فؤاد مجروح يقول هل ههنا من يوصل خبرى الى بنى زبيد ليدركنا فارسنا المنتخب عمرو بن معديكرب لعله يبادر الى خلاصنا قبل الهلاك والعطب فلما سمعت الصوت لهبت النار فى فؤادى فترجلت عن ظهر جوادى وقلت لاصحابى لا تزولوا من مكانكم الى الصباح فان عدت اليكم والا فارجعوا الى قومى وانعونى الى أخى فان صوت هذا المنادى قد أشجى فؤادى وأريد أن أخاطر فى خلاصه بروحى حتى أبلغ مرادى ثم سللت حسامى وطلبت الخيام

تحت

تحت ستور الظلام ووصلت الى الاسارى لانى كنت أسمع كلامهم وشكواهم فدنوت منهم وقطعت كنافاتهم وقلت لهم اتبعونى فانى عمرو بن معديكرب فتبعنى القوم وهم لا يصدقوا بالنجاة الا انى ما قاربت قومى حتى ثار من خلفى الفرسان وتبعتنى الخيل من كل مكان فركبت جوادى وفاتاتهم الى وقت السحر فأهلكت منهم الابطال واتسع على المجال فصحت فى وجوههم ياويلكم اسمعوا نصيحتى وعودوا الى ورائكم فأنا أبو ثور عمرو بن معديكرب فارس بنى زبيد فارس الاقطار والبيد فلما سمعوا ذلك رجعوا من قدامى وقد أرويت من دمائهم حسامى ورجعت مسرورا بخلاص بنى عمى وكان القوم سبعة أنفار ثم رجعت اطلب قومى وأتذكر ما جرى وأنشد وأقول صلوا على طه الرسول

ألم ترانى فارس البيد والقفر * أخوض عجاج الطعن بالبر والبحر
سمعت المنادى فى الدجا فعرفته * فغاب رشادى من ندائى ياعمرى
فقلت لصحبى ارفقوا بى فانى * أعود اليكم قبل اضاءة الفجر
وأشهرت سيفى ثم بادرت نحوهم * بعزم يقد الصلب من جامد الصخر
يزيد وسفيان ووهب ومالك * وسعد وعلوان وسابعهم جبرى
ولما أتتنى الخيل فرقت جمعهم * بطعن كشخص الموت فى قلبه شرى
ونجيت أسرى مذحج من هوازن * ولا مسنى خوف ولا خاننى صبرى

(قال الراوى) ثم قال الحاجب سمعتم أنتم ياسادات العرب بهذه الانباء فقالوا نعم وحق من رفع السماء ثم تقدم منهم رجل شيخ من مشايخ العرب وقال لحاجب الملك ياوجه العرب لا تطول العبارة ما أخذ الخلعة الا مستحقها ومن هو أولى بها من كل أحد ومابقى عليك كلام ولا ملام ثم أشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

أيها المرسل الصلات الى البيـ * ـت بسيف وخلعة وجواد
اصـ * ـلاح أتيت لا الفساد * أعط عمرا وما يليك فى النا * س ودع قول معشر الحساد
ليس قيس ومروة بن مسيك * وابن ضبيان من قبيل مراد
فلعمرو وقائع لو حضرها * غيره ما رأى من الموت فادى

(قال الراوى) ثم تفرقت العرب وأخذ الحاجب عمرا الى جانبه وأحضر له الطعام والمدام وأكرمه غاية الاكرام وقال له ياعمرو أبشر بما قد نلته من السعادة بما ترى عند صاحبى من الكرامة لان له سنين يسأل عن كمل بالفصاحة والملاحة حتى يتخذه نديما ويساويه بما هو فيه من النعم حديثا وقديما وما بقى غير المسير معى حتى يرتفع عند صاحبى قدرك وأنا أعلم أنه اذا رأى شجاعتك وحسنك والجمال ومالك من الاحسان ويعلم بما قد شهدت به الفرسان يزوجك بابنته غفران ويساويك بملوك الزمان لان هذه الجارية ما يوجد مثلها عند كسرى صاحب الايوان ولا ولدت مثلها حرائر النسوان فقال عمرو وقد فرح الفرح الزائد الشديد وعلم أن سعادته فى مزيد اعلم أيها السيد أن الذى قد جرى هو لسعادتى وعلو قدرى ولكن يمنعنى عن المسير معك أمر وأريد منك أن تبسط لى العذر وتصبر على حتى أرد أهلى والنساء الى الاحياء سالمين وأخبر قومى بما قد جرى وبعد ذلك ألحقك عند صاحبك فقال له كم تكون المهلة بيننا فاذكرها حتى اذا رجعت الى الملك أعلمته بأخبارك فقال عمرو اكثر ما يكون أربعين يوما وان كنت سالما من نكبات الدهر وحوادث الايام فأجابه الى ذلك وافترقا من يومهم على ذلك وعاد عمرو بأهله الى الديار والدنيا لم تسعه من شدة الفرح بعلو مجده وفى عودته نزل على بنى مراد وكانت الجارية نميس بنت همام الغطفانى الذى شكا عروة حبها العنتر قد أتت مع أمها وأبيها

الى القوم زوارا كما قد ذكرنا وأبصرتها كبشة أخت عمرو فى مدة مقامهم ووصفت لاخيها ما فيها من الحسن والجمال وأشارت عليه أن يخطبها وقالت له يا عمرو ان فاتتك هذه الجارية لا تجد مثلها فى الدنيا وكان قصدها أن تعوقه بالزواج حتى لا يقيم عند الملك الذى قد بعث خلفه ولربما يتخلف عن ديارهم وأوطانه وينساهن كيف وقد تعودن منه الحمى والستر الا أن عمرا لما سمع بذكرها ليس اشتغل قلبه بها لكثرة رغبته فى النساء ومابرح حتى أبصر الجارية فسلبت فؤاده وقال لولا أنى رهنت لسانى عند صاحب الملك وعاهدته انى أسير اليه والا ما كنت تبعته أبدا انى ما أعلم هل يطيب لى المقام أم لا وهل يزوجنى بابنته أم لا والرأى انى لا أترك هذه الجارية تفوتنى بل أجعل هذه السفرة برسم مهرها وأعود آخذها ثم أتى الى أبيها وخطبها منه ورغبه فى المال فزوجه بها وأعطاه بدله بعد ما شاور بنى عمه فأشاروا عليه بذلك ووصفوا ما فى عمرو من الفروسية ففرح هما بذلك وعاد الى بنى غطفان وعمل شغل ابنته وقد وصل الخبر الى أهله وخاف أن يفوته الاجل الذى قد أجله فتجهز من ساعته وسار من بنى زبيد فى الخمسة فوارس الذين كان يعتمد عليهم الا أنه جد فى قطع أراضى حضرموت وقد أخذ معه عشر جنائب مسومة مجللة بجلالات الابريسم وعشر سيوف قواطع محليات بالذهب الوهاج وجماعة من العبيد الاجواد وعشر مولدات هدية للملك الذى توجه اليه ومازال يطوى المراحل حتى أشرف على القوم فى اليوم الحادى والاربعين الا أنه لما وصل أبصر براوا سعا وعيونا نابعة ومروجا يانعة وخلقا كثيرا وخياما ومضارب فتعجب من ذلك ثم انه لم يزل طالب السواد الاعظم والخيام الابريسم واذا بالملك قد ركب فى موكب عظيم وهو بينهم وعليه هيبة ووقار وكان ركوبه فى ذلك اليوم لاجل عمرو ولملتقاه لان حاجبه لما عاد اليه أخبره بما جرى له فى البيت الحرام ووصف له عمرو بن معديكرب وكيف أعطاه الخلعة المقدم ذكرها وذكر له ما فيه من الحسن والجمال والخبر والاحسان وما شهدت له به الفرسان وقدومه على الاهوال وذكر أنه فى اليوم الواحد والاربعين يكون عندنا فقال الملك هذا الذى كنت أطلبه ثم أقام حتى قرب حلول الاجل وصار كل يوم يركب ويوسع فى الفلاة والبر ويطلب عمرا ويتشاغل بالصيد والقنص الى أن كان ذلك اليوم فأشرف عمرو وأبصر الملك فرسان بنى زبيد فقال الملك لمن كان حوله ان كان عمرو قد صدق فى مقاله فهو هذا بلا محال فعندها خرج الحاجب المقدم ذكره فلما قارب عرفه وقد دنا منه واعتنقه وقال يا عمرو لولا انك أتيت فى هذا اليوم لتلفت روحى وكان صاحبى قد كذبنى فى مقالى ثم عاد الى الملك وأخبره بوصول عمرو فعلا الصياح وبان السرور والافراح ووقع الصوت فى حضرموت والتقوا عمرا أحسن ملتقى وترجل عمرو بن معديكرب ومن معه ودعوا الملك بطول العمر والبقاء ولما عادوا الى ظهور الخيل باسط الملك عمرا فى الطريق بالحديث وصار يكثر نظره اليه وقد أعجبه حسنه وجماله فأمر عبيده أن تضرب له سرادقا من الديباج بجانب سرادقه ونقل اليه كل ما يحتاج من الاوانى والآلات وأكرمه غاية الاكرام وأوقف الخدم فى خدمته ووقع فى قلبه محبته وترك ذلك اليوم لاجل الراحة فأراح واستراح ومن الغد حضر الملك الى حضرته وكان قد قدم قدامه الشراب وصنع وليمة عظيمة ومازحه وحادثه فرآه فصيح اللسان كامل الحسن والاحسان فزاد رغبة فيه ونزل فى قلبه المنزلة الرفيعة ومازال على مثل ذلك الحال ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ركب الملك الى ميدانه وأحضر كل من يعتمد عليه من أبطاله وفرسانه وأمرهم أن يتطاعنوا وقدام عمرو لان الملك يريد أن يبصر طرفا من شجاعته لكنه يستحى أن يأمره بذلك فعرف عمرو ما فى خاطر الملك فأخذ الرمح بيده وجال وصال وتقلب على ظهر الجواد حتى أذهل عقول الرجال وبعد ذلك قلع سنان رمحه وحمل على الابطال وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف بطل ففرقهم

وجمعهم

وجمعهم فألقى الهيبة فى قلوب شجعانهم ورأوا من فعاله مالا يرونه من غيره ومن شدة ماوقع للملك من محبته أن زوجه بابنته غفران وزفها عليه بجارية كأنها قضيب بان أوغزال عطشان أوهلال شعبان فنظر عمرو ذلك الحسن والجمال والقد والكمال والنعم والاموال فنسى قومه وأهله وما تذكرهم الا بعد ثمانية أشهر فتذكر الاوطان والاهل والخلان فاستحى أن يخاطب الملك فى العودة الى أهله فشكا ذلك الى زوجته وأمرها أن تستأذن أباها فى المسير معه وكانت قد افتتنت به وأحبته محبة عظيمة فلما رأته يشتكى اليها شوقه الى أهله خافت أن يزيد به الشوق فيمضى بغير علمها فتم لك فعند ذلك استأذنت أباها بذلك وأخبرته بما فى قلبها وقالت فى آخر كلامها وان راح من عندى بغير علمى قتلت روحى بعده فقال أبوها يابنتى أنا ما فعلت ذلك كله الا من أجلك كيلا تتغربى عن وطنك فان كان قلبك يشتهى ذلك فافعلى أنت مابدا لك وأنا أعلم أن بعلك ملك كفؤ كريم قادر على حماية الحريم ولا بد له من أهله ثم انه عمل شغل ابنته فى عشرة أيام بكل ماقدر عليه وسيرها بسير بنات الملوك بالخيل والجنائب والاعلام والمضارب والهوادج والعبيد والخدم والصناديق والاثقال والمال الممدود والخيرات التى ليس لها حدود والجوار الابكار النهود ولما نجز أمرها وسارت مع بعلها سار أبوها لوداعها ذلك اليوم ومن الغد عاد بعد ما أوصى عمرو بن معديكرب بأن لا يقطع زيارته ولا يكتم عنه حال ابنته على مر الليالى والايام والشهور والاعوام فقال يامولاى ان لسانى قصير عن شكر ما أوليتنى من الاحسان وان لم أرع ما استودعتنى فما أكون عمرو بن معديكرب ولا أصدق بعدها وأكون موصوفا بالكذب ثم ان عمرا سار يقطع القفار ويطلب الديار وكان قد عول الملك أن يسير مع ابنته خيلا تغفرها فأبى عمرو ذلك وقال يامولاى هذا شئ لا أفعله لئلا تقول فرسان العرب عنى أخذ زوجته بغفير وسار يقطع القفار مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس شكت الجارية الى عمرو من حث الركاب وتواصل السير وصوت وقع حوافر الخيل والدواب لانها كانت رقيقة المزاج والبشرة مترهفة البدن من منذ خلقت ما فارقت الجدار ولا خرجت من الوطن فأورثها ذلك مرضا ووهنا فصعب على عمرو حالها وصار يقرب لها المراحل ويقيم من أجلها على المناهل وهى كلما سارت اشتد مرضها فزاد حتى امتنعت عن أكل الزاد وأقام عمرو فى البر تمام العشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر شربت كأس الحمام وجرى على عمرو من أجلها ما لا يجرى على أحد وقال واخجلتاه يوم الملتقى ثم أمر جواريها أن يواريها تحت الثرى وبكت حولها الكواعب الاتراب وحار عمرو فى قصته وافتكر فى نوبته فقال له رجل من بنى عمه ياعمرو وما الذى تقدر أن تعمل فى الموت الذى قد أعيا من قبلك من الحكماء والكهان والعلماء وما سلم منه جبار عنيد ولا ملك شديد ومن يلقى بصدره أسنة الرماح ويخوض معامع الحرب والكفاح ويعجب من مفارقة الاجساد والارواح فالصواب أنك تشكر الرب القديم الدائم البقا الذى جعلك نجما من يعاديك محرقا لم تزل وأنت على كل حال فى عنفوان الشباب تسير وبنات العرب كثير ولك عروس مثل القمر المنير وهى لميس بنت همام الغطفانية ذات العقل والتدبير وربما تكون هذه الاسباب بسعادتها وبختها والصواب أنك تسير من ههنا الى بنى غطفان وتسلم الجويرية من هذه الاموال ماشئت وتأخذ زوجتك وتعود بها فى هذا الهودج وتطلب حلتك حتى يكون سرورك قد اتصل والهم والحزن عنك قد انفصل ومازال الرجل يعدل عمرا ويهون عليه الامر حتى قبل رأيه وسار يطلب ديار بنى غطفان ومازال سائرا الى أن وصل اليها وقدم عليها وعلم به القوم فخرجوا اليه وأكرموا مثواه وما فى العشيرة الا من هنا أبا لميس بما وصل اليه من مهر ابنته وفرحوا بعمرو بن معديكرب الزبيدى وقالوا هذا يكون حامية لنا

من النوائب وحصنا نأوى اليه اذا جالت علينا فرسان الاعادى (قال الراوى) ونزل عمرو على بعض الغدران وضربت له العبيد المضارب والخيام وأقام ذلك اليوم فى دعوة صهره همام ومن الغد حمل اليه من الاموال ما أغناه ومن الرجال ما ذهلت به عيناه وطالبه بزواج ابنته فأجابه الى ذلك وأخذ فى تدبير أمرها وقد ذكرنا أن عنترا أوصى أخته مروة أن تعلمه بخبر عمرو بن معديكرب اذا أتى بزوجته ليس لاجل أن يكون له عندها عودته ويأخذها منه لعروة بن الورد وكان عروة ايضا أوصى أخته سلمى بمثل ذلك فلما وصل عمرو الى بنى غطفان وجرى له ما جرى فاجتمعت مروة بسلمى واتفقتا على انفاذ بعض العبيد ليخبروا عروة بن الورد وعنتر بن شداد بهذا الخبر وكان عنتر من حين وصل الى الديار وقر به القرار قد واظب على الصيد والقنص وشرب الراح واستراح من معاناة الحرب والكفاح واختلس الايام بالهناء بتناول أقداح المدام ومعاشرة الكرام وكان يقضى نهاره بذلك وليله بمعانقة عبلة ابنت مالك الا أنه لما وصل العبد من عند أخته بخبره بزواج عمرو ما كان عنتر حاضرا بل كان توجه لجلب المدام هو ومقرى الوحش وأبو شداد فأخبر العبد عروة بن الورد بما أتى فيه فلما سمع ذلك الخبر كاد قلبه أن يتفطر لاجل ما يجده من محبة ليس ابنة همام وزاد به الوجد والغرام وخاف انه ان أقام فى انتظار عنتر يفوته الامر ويسير بمحبوبته عمرو فأخذ من رجاله خمسين فارسا وسار فى الليل حتى قارب الديار وعدل برجاله الى واد يعلم أنه لابد لعمرو عند عودته من العبور فيه وترك أصحابه هناك وأوصاهم باليقظة والاحتراز وقد غير زيه وسار الى بنى غطفان ليبصر ما تجدد من حوادث الزمان وخاف أن يكون عمرو أخذ العروس وما ناله من السعى اليها الا الخسران فشارف الخيام وقت الضحى ووقف ينتظر من يسأله عما جرى فرأى الحى منقلبا بالافراح منزعجا بالصياح مبتهجا بالمعان الصفاح وقد راج أمرهم وحسن حالهم وسمع صوت الاماء وهن يلعبن بالدفوف والطار فعلم أن القوم انتهى شغلهم بلا انكار وان ليس تزف على عمرو فزاد به لهيب الجمر وسكره من غير خمر وتأمل على ظهر جواده الاذعر وبقى حائرا وفى أمره يتفكر ويتمنى حضور الامير عنتر * فبينما هو على مثل ذلك واذا ببعض العبيد خارج من أطراف الخيام وفى يده كراع مشوى فناداه عروة وقال له يا مولد العرب أرى قومك فى أفراح زائدة وطرب هل عندكم وليمة لسيد من السادات أرباب الحسب والنسب فقال العبد نعم يا وجه العرب عندنا عرس ما صنع لاحد مثله من جاء أو ذهب ولا فى بلاد اليمن ولا كل من ضرب وقد أشبعنا اليوم فى البيداء طنيب من اللحم والخمر وترك أرضنا غارقة منه كالماء والليلة تزف عليه جارية أحسن من بدر السماء فقال عروة وقد طلب بالاطالة تحقيق ما هو فيه من سوء الحال يا مولد العرب ومن هى العروس ومن أبوها ومن بعلها فقال العبد أما بعلها فهو الفارس الكرار ومشبع الاطيار صاحب الغارات المتواترة والاحاديث السائرة صاحب الحسب والنسب بلا كذب الامير عمرو بن معديكرب وأما العروس فهى ليس بنت همام التى لا يوجد مثلها فى المنام والليلة ترى بعينها ما يسرها من الاسد الضرغام وتحمل الى القبة الحمراء فاترك عنك السؤال فيما لا يعنيك والمراد دونك والزاد ان كنت جائع الفؤاد فاملأ منه وعاك ولا تنتظر لما هناك ثم ان العبد طلب الصحرا وبقى عروة لا يسمع ولا يرى ولا كأنه فى دار الدنيا وما كان له غير الرجوع الى أصحابه وقد زاد فى مصابه فسار على أثره وجد فى السير فوصل الى أصحابه فى الليل وأخبر بما أبصر وتلهف وتحسر وقال يا بنى الاعمام أنتم تعلمون اننى عشت هذا العمر وما رأيت من بنات العرب غير القليل وقط ما مال قلبى الى بنت عذراء ولا تركت للعشق على من سبيل الا فى هذه الحرة ذات الخد الاسيل وأريد منكم النصيحة اذا عبر عمرو والمعاونة على هذا الامر لانى سمعت به مرار وقيل عنه انه فارس كرار ولا بد لى ما أصادمه بصدرى وأبذل معه جهدى وصبرى

ولا

ولا أفارقه الا أن أقتل أو أقتله وأبلغ الامل فقال رجاله يا أبا الابيض ما فينا من يتخلى عنك حتى تذهب نفسه ويدخل فى رمسه فطب نفسا وقر عينا ولا يضيق صدرك فاننا لا نحتاج الى وصية فكمنوا لعمرو فى الوادى وأقاموا له فى الانتظار بعد ما ترك بعضهم على رأس الوادى يكشف له الاخبار

(قال الراوى) وزفت لميس على عمرو بن معد يكرب فى تلك الليلة بخلت عن فؤاده الهموم والكرب ولا أبصر مثلها فى بنات العرب وكذلك هى أبصرت رجلا قد كمل بسائر الاوصاف ذا حسب ونسب قال وأصبحا وقد تألفت بينهما المحبة وطابت لهما الصحبة ثم ان عمرا ما أقام فى بنى غطفان بعد أخذ لميس غير يومين وفى اليوم الثالث استأذن أبا الجارية فى المسير وشكا اليه من شدة غيبته وأنها قد طالت فأذن له فى العودة وأراد أن يسير معه بعض المال الذى أتى به فأقسم عمرو لا يرجع معه شئ الا هودج زفافه برسم زوجته وجواده وعدته ثم تجهز وسار من يومه وتبع لميس من بنات عمها وأبيها جملة من البنات وسرن معها الى الليل وبتن عندها الى وقت السحر فودعنها ورجعن الى بيوتهن وسار عمرو طالب وادى بنى زبيد والخمس فوارس الذين صحبوه من قومه معه فسار يجد السير ومازال يطارد وحش الفلا حتى قارب نصف النهار ووصل الى الوادى الذى فيه عروة بن الورد ورجاله وكان فى الوادى غدير فعول عمرو على النزول عليه بالخيل واذا بالخيل قد تبادرت والرجال من الكمين قد ظهرت وعروة فى مقدمتهم ينادى وافرحاه بعد ترحاه خابت آمالك يا سراو الجهر وقد أتاك من هو أحق منك بزوجتك يا عمرو ثم طلبه وقد هانت عليه البوائق لانه للجارية محب وعاشق وتجارت الخيل خلفه مثل البواشق وأبصر عمرا يتبسم عجبا وزاد فرحا وطربا ومازال ينتظر الفوارس حتى خرج من الكمين خمسون فارسا فعند ذلك قال لصحبه وذمة العرب لا يحمل معى منكم أحد ولا يعاونى على هؤلاء القوم بل احفظوا أنتم الهودج وتفرجوا على هؤلاء الانذال كيف أطرحهم على الرمال لان لى مدة ما خضبت سنانى ولا سقيت من الدماء حسامى ثم زعق وحمل بذلك الزى والقد والهيكل وكان أول من لقيه عروة ابن الورد وجال معه فرآه خبيرا فى الحرب بالطعن والضرب وأبصر باقى الرجال خبيرين بالطعن والنزال وقد أدركوه فعطف عنه وتركه وحمل على تلك الفرسان وصار يبرى الرماح بصمصامته ويكفكفها بمعرفته وخبرته حتى اتسع عليه المجال فقصد الطعن فى صدر الجواد وما مضى عليه ساعة من النهار حتى طرح منهم خمسة عشر فارسا كرار ومدد هم على وجه الارض والقفار وطعن فيهم بعقب الرمح طعنات قويات وتركهم مطروحين كالاموات ولما وقعت هيبته فى قلوب الباقين عاد الى عروة بن الورد وكان قد قارب الهودج طمعا منه فى العروس فرده الخمس فوارس ومنعوه عنها ورجع عمرو اليه رجوع الاسد اذا اشتد به الغضب والحرد فقاتله حتى أتعبه وطعنه فقلبه وشد كتافه ومازال يطعن الهارب بتواتر طعناته حتى أخذ منهم تمام الخمسة وعشرين الى أن أمسى المساء فولت العشرة الاخر تطلب الديار وقد سترها الظلام عن أعين النظار ولما هدأت نيران القتال وانقضت الاشغال وشد عمرو الرجال وجمع الاموال أمر أصحابه بالنزول وبات على الغدير فرحان مسرورا الا أنه لما أكل الطعام ودجا الظلام قدم عروة بن الورد وكان قد عرف انه عبسى وسمعه وقت حملاته ينادى باسم قومه فقال له ويلك من تكون من بنى عبس وكيف قد سمعت بخبرى ووقفت لى فى الطريق فحكى له عروة القصة على جليتها وأخذ كرانه طاب لميس قبله وانها كانت سميت عليه من أيام الصبا ولكن ما هام بها حتى رآها وعاد طالبها فرأى الامر قد فات فيها ففعل هذه الفعال فقال عمرو ويلك اذا كنت قد عرضت علينك وما أردتها فلما ملكتها مثلى عدت طلبتها ولكن ما كان منك هذا الطمع الا لاجل أن تقع وتتجرع كاسات الموت جرع على أننى أعجب كيف لم يأت معك عنتر بن شداد وأعانك على هذه

النوائب الشداد لانى قد سمعت انه كثير الفضول وجسور على كل أمر مهول وان لى عليه ثارا قديما لانه قتل منا خالد بن محارب وسبى زوجته الجيدا وأسر أبى فى نوبة جبال الردم ووادى الرمل وهذا الامر قبل زواجه ببعلة وما أشغلنى عنه الا الغارات والاسفرات والآن فقد وقعت فى يدى ولا بد لى ما أسير الى قومى وأسلمك الى أهل خالد ولكن ما أخليهم يقتلوك حتى يجىء عنتر يطلب خلاصك فان ظفرت به بلغت رتبته على المدا ومافيكم من يرجع الى الاهل أبدا وان ظفر بى كنتم أنتم لى فدا فقال عروة هذا الحديث لا بد أن يكون واذا لقيته بازل ذلك الفارس الكمى من المغبون وأما قول انه كثير الفضول فهذا قول جاهل لا يعلم ما يقول وما الرجل الا فارس بهلول لا تقاومه الفحول لانه أشد الابطال باعا وأخبرهم بالحرب قراعا وعن قليل تراه فى أثرك فى هذه الديار وتصح عنده ملتقاه الاخبار على انه لو كان وقت مسيرى حاضرا فى العشيرة كان أتى معى وقضى الاشغال وأظهر الحق من المحال لانه قط ما توجه فى أمر الا ونال فيه غاية المنى والآمال ولا قاتل عساكر الا ونادى ملك الموت فى أقطارها بالفناء والزوال فقال عمرو يا عروة وهذه الفروسية التى تصفها فيه ما قدرت أن تكتسب منها شيأ مع صحبتك له فى هذه المدة فقال عروة لو لم أكتسب منه فروسية وثباتا عند الخطر والبؤس ما كنت كنت لك لا خذ منك العروس على انى ما أنا قطرة من سحابه ولا دمعة من شرابه لان الشجاعة سعاده وعطاء من صاحب المشيئة والارادة فتعجب عمرو من صفات عنتر وصار له فى قلبه أثر واشتاق الى لقاه كما تشتاق الارض العطشانة الى وابل المطر وكانت زوجته قد بكت وخافت عند خروج الخيل عليه وخافت من أيدى المنا يا أن تصل اليه فعاتبها على ذلك وقال لها يا لميس لا تفزعى على من المهالك فما أنا ممن يفزع عليه فقالت لميس أنا قد سمعت بفعالك وأخبرت بقتالك وقد ازدادت فيك المحبة وزدت فى قلبى منزلة ورتبة والصواب أنك تطلق هؤلاء العبسيين ولا تتركهم مثل عنتر لك من المبغضين لانى رأيت أفعاله لما كنا مع بنى عبس محصورين فى الجبال شيأ تعجز عن بعضه صناديد الرجال فقال عمرو ما هذا المقال وحق ذمة العرب لا لقيته الا قدامك وأتركه مطروحا فى البيداء وأدعه يساق مثل العبيد والاماء ولولا شوقى الى لقاه كنت أطلقت لاجلك رقاه ثم أخذ الراحة الى وقت السحر وشد الاسارى على الجمال وسار يطلب الاهل والعيال ومازال يقطع البر والقفار حتى تضاحى النهار وتذكر عمرو بكاء زوجته وخوفها عليه من الاعداء وأعجبه فعاله وبلوغ المنا فشرع ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أجرت لميس الدمع من أجفانها * وتبدلت من خوفها بامانها * فزعا على بأن أصاب وطنها
انى كمن فى الحى من فرسانها * قلت اتركى عنى كلامك واعلمى * انى أنا الايام فى حدثانها
والخيل تعلم والفوارس أننى * عند اللقا أسطو على فرسانها * واذا الغبار على الوثار أقبلت
أفرانها تدعو والى اقرانها * لاقيتها وقبضت من فرسانها * أرواحها وعفوت عن أبدانها
فى كل أرض لى حديث شائع * تتعاون الابطال يوم طعانها * واذا حضرت الاسد فى غاباتها
أقطعتها فى الليل عن أوطانها * وبنيت لى فوق الثريا غابة * شمس الضحى والبدر من أركانها
فتحملا يا صاحبى رسالة * وعلى بنى عبس قفا بيانها * قولا لعبد بنى عبيس انى
بدلت عز رجالها بهوانها * وأسرت عروة وهو ليث فارس * حامى العشيرة من صروف زمانها
فلعله يأتى الى يزورنى * وتجره الاقدار فى ارسانها
وترى لميس بعينها من بعلها * طعنا يبدل خوفها بامانها

(قال الراوى) وجد عمرو فى السير تمام خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف على أرض يقال لها الفتال وكانت أرضا موحشة الاكام منقطعة عن العمران بعيدة عن السكان كثيرة الاوغال والادحال

والادحال فما هو الا أن توسطها وصار بين أجمتها حتى رأى فرسه قد وقف ونخر وشخر ونشر ناصيته وتأخر وضرب بحوافره الارض والحجر واجتمع حتى بقي مثل الحجر لا ينفع راكبه ولا يجي صاحبه فقنعه عمرو بالسوط وزعق فيه فدخل بين الادحال والشجر وسلك مسالك الخوف والخطر ومد عمر وعينيه فنظر واذا بأسد قد ظهر طويل الشعر أغبر كبير الرأس غائر المحجر واسع المنخر طويل الاظافر يطير من عينيه الشرر وتهتز منه الاقطار اذا هم الا أنه لما نظر عمرا كشر عن أنياب مثل الخنجر ومخالب مهولة المنظر فهاله ما أبصر وعلم أنه لا ينال منه ما يريد ولا يظفر به من ضيق المكان وقاق الحصان فأعطى الاسد ظهره وعاد الى الصحراء وحدث أصحابه بهول ما رأى وترجل عن الجواد وسلمه اليهم وقال ظهر الارض أثبت لي من ظهر الفرس وهز صارمه وعاد يطلب الاسد وقلبه قد امتلأ بالغيظ والحرد وخاف من زوجته أن تنظر اليه بعين النقصان لاجل الاسد فعاد اليه وقد ظن أنه فر منه ولما علمت بحاله أرادت أن تمازحه فدنت اليه وقاربته واشارت تقول قد كنت أحسب أن عمرا اذا رأى ليث العرين يقوده كحمار مهين حتى رأيت الليث ثم رأيته لما رآه فر منه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عمرو كلامها ازداد جنونه وانقلبت عيونه فقال يا ميس لمثلي يقال هذا المقال ويفزع من سباع الدحال قفي وابصري العجب ثم هجم على الاسد وكان قد طلبه وضرب بذنبه جوانبه فقفز عمرو وقد أخذه الغضب وتقدم اليه وشمر عن ساعده وساوى الاسد في وثبته وضربه بصارمه فحكم بين عينيه فتم يقطع الى أن خرج من بين فخذيه ومسح سيفه في جلد الاسد وقد تعجبوا من فعاله وقوة جلاده وقد انذهل عروة من فعاله وشدة تجبره وقال ما رأيت مثل هذه الضربة الا لعنتر بن شداد ﴿قال الراوي﴾ وسار عمرو وقد سكن غيظه وهو يعاتب ميس على مقالها وظنها فيه ويقول لها يا ابنة همام مثلك يحتقرني عند تأخري عن الاسد وهو أهون الاشياء علي فقالت له يا عمرو يا سيد الفرسان أنا كنت أمزح معك لاجل ما فعلت من الفعال التي تعجز عنها صناديد الرجال وانني أحصنك بهذه الكلمات التي سمعت بهن الخواطر لما ضربته هذه الضربة التي حيرت النواظر فلما سمع عمرو كلامها خف عنه غرامه وانجلت أحزانه وصار بعد ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أكبشة لو شهدت بطن غاب * وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا * اذا لرأيت ليثا رام ليثا
وليثك ذاك لا يخشى هزبرا * تظن لميس ان الليث مثلي * وأقوى همة وأشد صبرا
واني خفته ورجعت عنه * مخافة أن يعد الى تظفرا * وقد خابت ظنون لميس فيه
وأمسى البرخالي منه قفرا * تأخر عنه مهري اذ رآه * فقلت له فلا وقيت مهرا
أنا قدمي بظهر الارض اني * رأيت الارض أثبت منك ظهرا * وقلت له وقد أبدى انصالا
بحذورة ووجه مستشرا * يدل بمخلب وبحد ناب * وباللحظات تحسبهن جمرا
فوافيته بماض الحد أبتي * لمصرعه قراع الحرب قطرا * وقلبي مثل قلبك ليس يخشى
ولو لاقى المنايا وهي تترا * وقصدك تأتي للاشبال قوتا * وقصدي اليوم أني نلت فخرا
فكيف تريدني ان أولي * وأترك يدي للنفس قهرا * نصحتك نصح ذي شفق فخاذر
فعالي لا تكن بالليث غرا * فلما ظن اني قلت هزلا * وخال بانني قد قلت هجرا
هززت له الحسام فقلت اني * صدعت به مع الظلماء فجرا * وكانت ضربتي من غير رعب
فقدت جلده بطنا وظهرا * فخر مضرجا بدم كأني * هدمت به بنانا مستمرا
وقلت له بعزعلى اني * قتلت مناسبي جلدا وصبرا * ولكن رمت شيأ لم يرمه

سواك فلم أطق يا ليث صبرا * تريد بأن تعلمني فرارا * فقلت له لقد حاولت نكرا

(قال الراوى) ومازال على مثل ذلك يقطع القفار ويشتغل بالصيد ويمدح لميس بالاشعار حتى وصل أرض ذات المضارب فرأى بالقرب منها أوفى من ألف ناقة وألف جمل تسير سير مزعج بلا مهل وفى عراضها أوفى من خمسين فارسا أحرارا وعبيد وكلهم مدرعون بالحديد مسربلون بالزرد النضيد وبين أيديهم فارس أسود كأنه شيطان مريد الا أنه خالى من اللباس والزرد ومكشوف الرأس عليه ثوب خام مشرف القوام أدهم كأنه لون الظلام مسفر اللثام وعيناه مثل المشاعل وللفروسية عليه شواهد ودلائل والخيل التى خلفه أخف من الطيور وعليها فرسان مثل الصقور فلما نظر عمرو ذلك أراد بعض بنى عمه أن يركض ويكشف الاخبار وماهؤلاء الاقوام ومن جاء بهم الى هذه البرية ومن أى الناس هم واذا بالفارس المقدم ذكره قد مال اليه وقارب به وناداه من أنت من فرسان العرب اذكر حالك والحسب والنسب لعل أن يكون لك به الى السلامة سبب فقال عمرو بن معديكرب الزبيدى وقد تبسم بالعجب ويلك يا عبد السوء ارجع الى وراك واطلب بقاك قبل محاقك وبلاك لانى ماخليت التعرض بكم الا رحمة لكم وان كان قد غرك الطمع فى معرفتى فأنا أخبرك عن اسمى وحسبى أنا عمرو ابن معديكرب الزبيدى المكنى بأبى ثور البعيد الفور ياساده ياكرام (قال الراوى) فلما سمع الفارس المقدم ذكره كلام عمرو هز قناته ونبه جواده وقال أهلا وسهلا يا ابن معديكرب وحق ذمة العرب اليوم يضيق عليك البر وتتعلم الابطال منك الفر والكر لان هذه الغنيمة التى مجى من قومك سقتها بعد ماجرحت أخاك عبد الله وقتلت جماعة من الفرسان من بنى زبيد وفرقتهم فى البيد وعدت كما ترى أطلب تمام غنيمة من هذه الارض فاتفقت أنت لى حتى تكون المطالبة واحدة والسفرة محمودة العاقبة (قال الراوى) وكان هذا الفارس يقال له سليك بن سلكه وكانت العرب تسميه غول البر وتعده من جبابرة الفرسان وتحترز على أنفسها منه فى كل مكان لانه ما كان يبقى على أحد لا عدو ولا صديق ولا يقر فى أرض يوما ولا يعرف له وطن وكان يقاتل فارسا وراجل ويقطع خلفه الخيل الصواهل وكانت صورته منكرة (قال الراوى) وهو الفارس الذى كان عمرو بن معديكرب رضى الله عنه يصفه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فرسان الاسلام اذا رأت قتاله هالتهم أفعاله ويسألونه عن فرسان الجاهلية فيصف لهم مارأى من شجاعتهم وجسارتهم ويقول ما أشرفت على غدير قط ورأيت عليه سوادا وخفت الامن عبدين وحرين ذأما العبدان فعنتر بن شداد وسليك بن سلكه وأما الحران فعامر بن الطفيل وزيد الخيل (قال الراوى) ولما التقى سليك بن سلكه عمرو بن معديكرب فى ذلك اليوم ومعه لميس بنت هشام وما كان اجتمع به قط الا فى تلك المرة الا أنه لما رأى صورته وسمع مقالته تغيرت حالته لانه من حين نشأ ما نابته نائبة ولا لقى فارسا الا وأذله وقهره وكان قد رآه خاليا من السلاح مكشوف الرأس فقال له ويلك يا سليك لقد عرضت نفسك للهلاك وقد مشيت برجلك الى أرض مالك فيها فكاك ارجع الى قومك والبس من الحديد مايرد عنك طرق المهالك ويدفع عنك سنان الرمح المتدارك حتى لا يبقى لك عذر اذا أيست من الفرج ولا يقال عنى ان ابن معديكرب استعجل على فارس بالحرب والمراس قبل أن يحترز بالعدة واللباس فقال سليك ويلك يا عمر وأنا لا أخاف ولا أحتاج الى زرد ولا أخاف من السنان والحسام المهند وحق البيت الحرام لا لاقينك بهذا الثوب الخام ولا تركن الفرسان تتحدث بفعالى عاما بعد عام ولابد ما أعانق الليلة صاحبة الهودج وأنام (قال الراوى) وما كان من فرسان العرب أكثر محبة للنسوان من هذا الفارس الغضبان ومحبته هى التى جسرته على النوائب

وهونت

وهوّنت عليه البلاء والمصائب لان أصحاب النسب والسادات ما كان يرون على أرواحهم أن يزوّجوه بالبنات العربيات وكان من عزة نفسه ما يرضى أن يتزوج بالاماء فانتهى الامر به الى الهيمان فى الفلوات واقتناص المخدرات لانه ما ظفر بنت الاوهتكها ولا عربية الا سباها وما جرى بينه وبين عمرو هذا الكلام انطبق بعضهما على بعض انطباق الغمام وأخذا فى الطعان والصدام والفرار والاقدام واختلف الطعن بينهما وبان حتى تزلزلت من تحتهما الجولان وغشيهم القتام ساعة من النهار واختبر بعضهما بعضا غاية الاختبار وما جرى لاحد من فرسان العرب ما جرى لهذين الفارسين من البراز والصدام لانهما كانا مثل الجبلين اذا اصطدما بالابدان أو شبه الاسدين اذا حالا فى الميدان ﴿قال الراوى﴾ ولما طال بينهما الامر صعب على سليك أخذ عمرو فسل من تحت فخذه حربة أحد من البلاء وأمضى من المضاء وأخرج رجله من الركاب وصار على وجه الارض ونادى يا عمرو احترز على نفسك من هذه الحربة لانى كنت على ظهر الجواد بحكمك والآن صرت بحكم روحى ثم أطاق قدميه من الشكال فكان تارة يأتيه عن يمينه وتارة يأتيه عن الشمال وعمرو يرى قتاله فهالته أعماله وكانت ليس تصيح فيه وتنحه وهو مشتغل بما هو فيه فلما طال بينهما الامر أيست ليس من عمرو وقالت لبنى عمه يا ويلكم لا تعينوا ابن عمكم قبل ما ترون ما يفعل فقالوا يا حرة العرب نخاف اذا حملنا لمعونته تنطاق علينا هذه الخمسون فارسا الذين مع هذا الشيطان ويكون هو الهلاك الاكبر فقالت ليس اذا كان الامر كما ذكرتم وقد خفتم فما بقى لى أنا ان أخلى بنى عمى فى الوثاق تتحكم فيهم الاعداء ثم انها خرجت من الهودج وألقت نفسها الى الارض وسعت الى عروة وحلته من الشداد وأمرت عبيدها بحمل الباقين وقالت لعروة اعلم يا ابن العم ان أحوالنا قد اشتهرت والاعداء علينا قد ظهرت والصواب أن تنجوا بأنفسكم قبل أن يعم شرنا عليكم على ان عمرا ما كان اليكم فى نية ردية وما حملكم معه الا ما وصفت عنترا قدامه وهو قد قال لى لما سألته فى خلاصكم يا ليس لا تضيقى صدرك لاجل قومك فما يكونون عندى الا مكرمين الى أن يأتى عنتر ويطلب خلاصهم وأجرب روحى معه فان ظفرت به بلغت من الفروسية المكان الرفيع وأطلقه وأطلقهم معه وان ظفر بى فديت روحى برفقاء واتخذته لى صديقا باقى عمرى والآن قد نزلت المقادير بخلاف التدبير ولينا بهذا وجه الغول الذى قد حير بفعاله العقول وما أظن انه بقى لهم اليه وصول ولابد ان يمسى أحدهم مقتول فاذهبوا الى ديارهم مادام عنكم مشغول وان قدرتم توصلون خبرى الى أبى فافعلوا لينتسبب فى خلاصى ثم بكت وبكى عروة وقال ما بقينا نتخلى عنك بعد هذا المقال ولابد أن نبذل المجهود بين يديك فى القتال ﴿قال الراوى﴾ وقد ذكرنا ما كان فى قلب عروة لها من المحبة فخطر فى قلبه أن عمرا يقتل وتخلص له ويتزوجها ويعود الى أهله سالما وعملت معه نخوة العرب وكان قد بقى معه خمسة وعشرون فارسا لانه كان أتى فى خمسين فارسا فقتل منهم خمسة عشر وانهزم الذى انهزم وفى هؤلاء الذين قد ذكرناهم الا أنهم وثبوا على خيولهم وهموا بالحملة واذا بصيحة عظيمة ترعب القلوب فمدوا أعينهم الى نحوها واذا بسليك بن سلكة قد أتعب عمرو اوضربه بالحربة التى كانت فى يده فخرقت الدرقة وكانت ثلاثة أطباق وعبرت الى الزردية ونفذت الى كتفه فهزته وعن ظهر الجواد أرمته ونهض عليه سليك وشده كتاف فقال عروة هذا وقت الاجتهاد فى حماية الحريم وابذل النفس فى قتال الغريم ثم صاح فى رجاله وحمل ومدوا الى الاعداء أطراف الاسل وحملت الفرسان الذين كانت مع سليك بن سلكة والحروب بين الاثنين مشتبكة وكان المساء قد اقترب وفرق بينهم فى ظلمة الغيهب ولولا تعب عمرو لقتل بنى عبس وأفناهم الا انه عاد وهو فرحان ثم قال لاصحابه اعلموا أن هذا الفارس

الذى أسرته هو سيد بنى زبيد وما بقيت أطلقه الا بما أريد ولولا هذه الجارية قد اشتجارت بهؤلاء
الصبيين وأطلقتهم وبكت بين أيديهم حتى قاتلوا عنها وما قصروا ولولا الظلام كنا قد محقناهم
وكانت العروس الليلة باتت ضجيعتى ولكن تفرقوا لعولهم الى الصباح حتى لا يأخذوها ويهربوا
لانى تعبان والا كنت هجمت عليهم فى الظلام لان الفارس الذى أسرته لا نلد مثله النساء ولولا أنه
يكون أوحد زمانه ما كان قعد أمامى الى المساء فتفرق رفقاه حول عروة ومن معه من الرجال ونزل بهم
على تل عال وبات على حر القتال من وجوه عديدة أولها أنه قد اجتمع بليس فى مكان غير أمان وما
حظى منها بغير النظر والهيمان والثانى أنه خائف من سليك ومن شجاعته فقال لاصحابه يا بنى عمى ما كان
أحوجنا عند الصباح نبصر عنترة لانه كان يكشف عنا هذه الغمة وا أسفاه عليه قبل ذهاب الليل
واحسرتاه تركب الرجال بعده صواهل الخيل يا بنى عمى تهنوه بنيات صحاح وابعثوا أنفاسكم اليه مع
هبوب الرياح ثم زاد به الغرام فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لو كانت الريح حقا تحمل الخبرا * حملت ريح الصبا أخبارنا سحرا * الى الهمام الذى ما سل صارمه
الا وسال دم من خده وجرى * ليثا ملاقى رجال الحرب مقتدرا * وطعنه فى حشاها يسبق الحذرا
كأنما أنفس الابطال فى يده * فأيهم شاء فى يوم اللقا أسرا * يا ليت عبس تدارك نا فان لنا
ليلا نقضيه من خوف العدا سهرا * وقد رجوناك عند الصبح تدركنا * ومن دهاهم ترى الصارم الذكرا
فقد ظفرت بمن قد كنت همت بها * ولا قضيت لها وصلا ولا نظرا * ولا صفا الدهر حتى لا أفوز بها
ولا له عاد بصفو قط اذ كدرا * يا برق فى العلم السعدى لنا رجل * أقصى تمنيه أن يسمع لنا خبرا
فامدد اليه بنانا منك وارشده * الى الحما فهو يقفو خلفنا الاثرا

(قال الراوى) وما فرغ عروة من مقاله حتى توجعت له رجاله ونام كل واحد منهم قدام جواده
يحرس نفسه وحسامه فى يده مشهور وباتت ليس بين أترابها تذكر ما جرى لها وعلى جمالها
تحسر لانها عند الصباح ما تدرى ماذا تلقى ولما قارب الصباح قام سليك بن سلكة وليس عدة
الحرب والكفاح ونادى فى رحاله وصاح وكان خف تعبه واستراح فقال لاصحابه دوروا بهؤلاء القوم
حتى ننجز أمرهم فى هذا اليوم ونغدو فى اشغالنا مخافة أن يتفق لنا فى البرمن يعوقنا عن بلوغ آمالنا
فهو فى الكلام واذا واحد من فرسانه أتى اليه وكان من الفرقة التى مسكت على بنى عبس الطريق
الذى كان عمرو بن معديكرب أتى منها فقال لسليك قد رأينا الساعة وقد بتنا على ظهور الخيل أن عددا
واقفا ينتظرنا لينا وأذيال الدجا تستره لانا لما رأيناه صحنا فيه وطلبناه فعاد على أثره مثل الثمر اذا انذعر
أو ذكر النعام اذا نفر وغاب عنا فى البر الاقفر فطلبناه فما رأيناله أثر ولا ندرى أى طريق سلك ولا
فى أى الجهات انحسر وانفرك فقال سليك وأى شئ فى هذا مما يرتاب لان الطرقات ما تخلو من
ظعن سائر أو قفل عائر ولا شك ان بعض الاظعان قد رأى سوادنا فانكر أمرنا وأنفذ الينا من يكشف
خبرنا وان كان الامر على ذلك فهو أمرها لك وخبر متدارك ثم أكثروا حول عروة الصياح وأشهروا
فى وجوههم الصفاح ومدوا اليهم قطع الرماح وأدنوا بعضهم من بعض يطلبون استلاب الارواح واذا
بثلاث فوارس قد أقبلت مثل سهام المنايا اذا أرسلت ومقدمهم رجل أخف من الظبا وأسرع من
ريح الصبا وهو يصيح يا بنى العم قروا وابشروا بالنصر وبشروا أعداءكم بالقتل والاسر فهذا حامى حيتكم
عنتر قد وصل اليكم تابعا لآثاركم من خوفه عليكم (قال الراوى) وكانت هذه الفوارس قبل عنتر
وهم أبوه شداد ومقرى الوحش والرجل شيبوب لاننا قد ذكرنا أن عروة بن الورد لما سار من بنى عبس
الى بنى غطفان فى طلب عمرو بن معديكرب ما كان عنتر حاضرا فى العشيرة بل كان قد صار فى طلب

شئ

شئ من الخمر ولما قضى حاجته وعاد الى الديار طلب لعروة فلم يجد له خبرا فسأل عنه فاعلمه أعمامه أن
قد أتى اليه من عند اخته سلمى عبد وتحدث معه بشئ ما اطلعنا عليه بل رأيناه قد أخذ من رجاله
خمسين فارسا وسار الى بنى غطفان وسألناه عن مسيره فقال أنا سائر الى زيارة أختى وان أتى عنتر وسأل
عنى أخبروه بهذا فلما سمع عنتر بهذا الخبر علم أنه قد قد سار يلتقى عمرو بن معديكرب لان عنده من
حديثه خبر اخاف على عروة ورجاله من عمرو وقال لمقرى الوحش أنا أعلم يا فارس النياق ان عروة
يخسر مع هذا الجبار الذى قد تواترت بشجاعته الاخبار وان لم ندركه والا أهلكه ثم بات تلك الليلة عند
عبلة حتى استراح وأخذ أباه شدادا ومقرى الوحش عند الصباح وجعل قصده أرض بنى
غطفان لانه قال من هناك نأخذ الاخبار ونقتفى الآثار ومازالوا سائرين الى ان أشرف على ديار
القوم وعرج أخوه شيبوب الى المراعى وسأل عن لميس فأخبره العبيد بخبر العرس والزفاف
فاعلموه أن عمرا سار من عندهم من منذ أيام قلائل يطلب ديار بنى زبيد فلما سمع شيبوب ذلك عاد
الى أخيه وأخبره بما سمع فقال الآن اتضح البرهان وانكشف وبان وعلم أن عروة كمن لعمرو عند
عودته وان صدق حذرى فانه يقتله أو يأسره فاسلك بنا يا شيبوب الآثار فى وسط البر والقفار
واطلب بنا وادى ذيال وجبال طويلع منازل بنى زبيد ففعل شيبوب ما أمره وسار على الاثر فى ذلك
البر الاقفر ومازال كذلك حتى وصل الى بنى زبيد الذى كان عروة قد كمن فيه لعمرو ومن هناك عرف
ان عروة فى الاسر والاعتقال لانه أبصر فى تلك الارض آثار المعمعة والقتال ورأى جماعة من بنى
عبس قتلوا وهم ممدودون على الرمال والذئاب من حولهم تعوى والطيور تحوم وتهوى فقال واحرماه
هذا عروة بن الورد ورجاله قاده عشقه الى حتفه ووباله وأنا أقسم بحق من احتجب عن الابصار
وأوسع القفار لآخذن له بالثار ولا تبعنه ولو غاص فى البحار أو تعلق بالفلك الدوار فقال مقرى
الوحش يا أبا الفوارس لا تهتم لهذا الامر ولا يضيق صدرك لبعد عمرو والرجل ما هو بعيد عنا وما هو
الا قريب منا لان هؤلاء القتلى تدل على ذلك ثم جدوا فى المسير وقطعوا المفاوز والمراحل وشيبوب
بين أيديهم يدلهم على الغدران والمناهل ويقتفى أقرب الطرقات والمنازل حتى أدركوا القوم كما
ذكرنا وكان اشرافهم عليه وقت الغلس أول ما طلع النهار وبان الصباح وتنفس وأبصر شيبوب
سوادهم وهم فى المقدمة ووقف ومازال حتى عرف أحوالهم وسمع أصواتهم ومقالهم وعاد الى أخيه عنتر
وأعلمه بالخبر وبما سمع وأبصر وجرى من القصة ما جرى وعرف عروة عنتر ومن معه عند حقيقة النظر
فذهب عنه الهم واندفع هوور جاله وصاح ثم مالوا الى أصحابهم بالافراح ونادى بعضهم الى بعض
ما أبركه من صباح وتلقوا حاجاتهم وحدث عروة لعنتر بما جرى عليه من عمرو بن معديكرب وما جرى
لعمرو مع سليك بن سلكة وأخبره بالقصة على جليتها فقال عنتر ابشر بهلاك أعدائك وأنا قد خطرت
بقلبى هذه الاسباب ولقد حدثت رب السماء الذى نجاك حتى لقتلك سالما من الاعداء فتأهبوا
للقتال وتقدموا لطلب الطعن والنزال وكان لما رآهم سليك وجماعته وقفوا ينظرون اليهم والغبار
قد انقشع فصاح سليك ويلكم يا بنى الاعمام ما وصل الى أعدائكم غير هذه الثلاثة فوارس وهى
زيادة فى غنائمكم فدونكم وهؤلاء الاذلال وأبصروا اليوم القتال فعند ذلك حملوا مثل السلاهب من
كل ناحية وجانب وكانوا فرسانا وقاح قد تعودوا بنهب الارواح وهانت بلوغ الآمال فقاتلوا أشد
قتال وثبتوا ثبات الرجال الا انهم ما طال بينهم المطال الا وقد طوى عنتر أكثرهم على الرمال
وأبصر سليك طعنات عنتر لا تبقى ولا تذر ونظر اليه وهو كيف ما حمل قتل وأين ما زعق أرعب وأين
ما ضرب أعطب فوقعت فى قلوبهم هيبته وعرفوا مقدار شجاعته وأبصر سليك أيضا قتاله فعلم أنه

يفنى ابطاله فطلبه وانحط عليه انحطاط العقاب وتلقاه عنتر البطل الوثاب ووقع بينهم الضرب
خطأ وصواب فتطاعنا بالطوارق والقنا حتى تقارب الموت منهم ودنا وأيقنت الارواح بالفنا
وتقلدا بالامانى لعلهما أن يبلغا المنى وتقصفت عوالى الرماح وتثلمت البيض الصفاح واشتعلت
نيران الكفاح وضاقت الصدور وبهتت العقل الصحاح وتقضى اكثر النهار وعلا الغبار وسطا
مقرى الوحش على باقى العرب ونثر اكثرهم بالسيف اليمانى السنان وكذلك فعل شداد بالابطال
الشداد وأما عروة بن الورد فانه شفى فؤاده وبلغ من الاعداء مراده وعلم سليك أنه خاسر من كل
الجهات وأبصر من عنتر ما لا يعهده قبل هذه الاوقات واسودت فى عينيه أقطار الفلوات وخاف من
نزول الآفات ومن شدة ما جرى عليه أخرج من تحت فخذه المزاريق ووثب على وجه الارض
قائما على قدميه وأراد أن يفعل بعنتر كما فعل بعمرو وعادت عيناه من شدة الغيظ مثل لظى الجمر
فسعى وجال وطلب خصمه والى مال ورآه عنتر وقد عمل هذه الاعمال فخاف عنتر على جواده الابجر
من شره وغدره فتر جل الى الارض والمهاد وجالد خصمه أشد جلاد هذا وشيبوب دائر من حوالى
ويرد سليك بن سلكة ويرعاه من غدر أعداه هذا ولم يزالوا فى عراك وشباك وإقبال وادبار الى ان
عوّل النهار على الارتحال ولم ينفصلوا عن بعضهم البعض وقد ردوا بأرجاهم رمال الارض وقد ضاق
على سليك بن سلكة الحال وأيقن بخيبة الآمال فاستقبل عنترا فى الحال وكان فى يده حربة ماضية
الآجال وتقصر الاعمار الطوال فزجها اليه وقد ظن أنها تقضى عليه وقال له خذها يا ابن الاندال
من يد سليك فارس الابطال فاستيقظ عنتر عند ذلك وصبر عليه الى ان وصلت اليه فخطفها من
الهوا بشدة حيلة والقوى وجد وراءه فى وسيع الفلا فلما نظر سليك الى فعل عنتر اذهل وتحيرفا
كان منه الا انه ولى من أمامه هاربا والى النجاة طالبا وقد خاف على نفسه من المعاطب فعند ذلك زعق
عنتر على الرجال ونبه فى الحال الابطال وقال هيا اتبعوا هذا ولد الاندال الذى خاف من حلول
الآجال فعندها زعقت الفرسان وجدت وراءه الشجعان وطلبته الخيل من اليمين والشمال وقد
هرب أيضا عرب سليك فى وسيع الرمال وقد تبعهم فرسان عنتر الفارس الربال وقد أرخى الليل
علهم سربال هذا وسليك يهمز همزات الغزال لما نظر تتابع الرجال وهو يجرى مثل السهم اذا مرق
أو الماء اذا اندفق وقد طلب النجاة من موت الفجأة فهو كذلك واذا بشداد أبى عنترا عترضه وصار
له مقاربا لانه كان يتبع المنهزمين فى وسيع السباسب الى ان غابوا عنه وقد أظلمت الغياهب فعاد
عنهم وقد لقى سليكا كما قدمنا فحمل عليه وأراد أن يؤثر أذيه اليه وقد استقبل بطعنة من وراه وأراد
أن يجعل بها فناه فنظره سليك وهو اليه قاصد فتجنبه وزج اليه حربة كانت فى يده وحررها عليه فخرجت
من يده كأنها نار محرقة أو صاعقة مبرقة فوقعت فى جسده جرحته وعلى وجه الارض طرحته وفر
هاربا والى النجاة طالبا وتم على حاله * هذا والخيل جدوا من وراه وشيبوب يجرى فى وسيع الفلاه الى
ان غاب عنهم فى الاقطار وقد ابتلعته الفوات القفار حتى دجا الليل وأظلم الظلام وضاع منهم فى البرارى
والآكام وانقطعت وراءه الخيول الجياد وعادت الفرسان خائبة من بلوغ المراد وما بقى على أثره
الا شيبوب ولكن ما جسر ان يقف خلفه فى البر فى الليل فعاد عنه فحموا الخيول والاسلاب والنوق
التى كانت مع سليك وكان قد ساقها من بنى زبيد وما فيهم الا من رجع يتعجب من فعال هذا
الشيطان المريد وكان شداد قد وقع عن جواده من شدة الضربة التى ضرب بها ونزل عنتر اليه وشد
جراحه وعض كفيه كيف نجا سليك سالما من بين يديه فقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ما يحق
لاحد أن يفتخر ما دامت النساء تحمل وتضع لانى كنت أبصرت من عمرو بن معديكرب ما أذهلنى

وتصور

وتصور فى قلبى ان ما فى شجعان العرب من يقوم مقامه وان الجن تعجز عن فعاله فقال عنتر صدقت ولو لحقتكم أفنا كم على انى ما علمت ما يريد أن يفعل لما ترجل والا كنت سقيته شراب الاجل ولكن الرجل اذا كان له فى الدنيا عمر وحياه فتسبب له أسباب النجاة والآن هذا الامر قد فات وقد صفت لك الاوقات فاقتل عمرا وخذ محبوبتك حتى نأخذ الراحة ونعود عند الصباح الى بنى غطفان ونقول لابيها نحن أحق بابنة عمنا ولو علمنا من الاول انك قد زوجتها العمرو بن معديكرب ما كنا تركناه يتم هذا الامر وبعد ذلك تصل أنت الى رضاك وتبلغ منالك فقال عروة يا با الفوارس ان هذا الرأى أكبر مرادى ولكن قصتى مشكلة وأنا خائف من سوء العاقبة فقال عنتر وكيف ذلك فقال لان الجارية قد تعلق قلبها بمحبة زوجها عمرو بن معديكرب وقد صار له عندها محبة عظيمة ومنزلة عالية لانى رأيت من وقت ما جرح وأسر ما نشفت لها دمعة ولا بردت لها لوعة والله قد كمل له الجمال والملاحة والفراسة ونحن والله اذا قتلناه وعدنا الى أبيها وطلبناها منه واستأذنها أبوها فى ذلك تقول أنا ما أريد بعد عمرو بعلا و نكون قد أهلكنا مثل هذا البطل الحلاحل وما حظينا بطائل والصواب اننا نطلقه ونمن عليه ونتخذه لنا صديقا وأصرف نفسى عن هذا الامر ولا أحمل ما لا أطيق لان الانسان اذا طلب من لا يميل اليه تعب واذا أحب من لا يحبه ذل فلما سمع عنتر كلام عروة عجب من انصافه وقال يا أبا الابيض لو كان قلبى مثل قلبك ما كنت قاسيت فى هوى عبلة تلك المقاساة ولا لقيت ذلك الملتقى فقال عروة بن الورد قد كانت عبلة تريدك مثل ما تريدها وكانت مخلوقة لك ومن رزقك والا ما كنت وصلت اليها ولا قدرت عليها فقال صدقت وكل شئ لا يقدر لا يكون ثم أنفذ أخاه شيبوب فأتاه بعمرو وحل شده وفك قيده ولما حضر خدم وحيا تحية العرب فترحب به عنتر وأمره أن يجلس وقال له اعلم يا عمرو ان هذه الجارية التى تزوجت بها ابنة عمنا وما عارضك صاحبى عروة الا غيرة عليها لانه ظن أنك لست كفؤا لها فأراد أن يردها الى أهلها ويتزوجها أو يزوجها لمن يصلح لها وقد جرى له معك ما جرى وأبصر حسن دفاعك وشدة قراعك وظفرت أنت به كما تظفر الفرسان والآن قد خلص من أسره وملك أمره وعفا عنك وطلبك له اخا وقد رضيك لابنة عمه بعلا وتكون لها أهلا بعد ما أشار عليه أصحابه بقتلك واخذها منك فقال لا فعلت ذلك أبدا ولا عدلت عن طريق الانصاف والهدى وهذا الرجل أحق بها منى لانه أوفى حسنا وجمال وأثبت فى القتال وقد أحضرناك لنختبرك ان كان فيك موضع للصنيعة فعندها قال عمرو وقد نكس رأسه من شدة الحياء والله يا وجه العرب ما أقول الا قد وضعتم الصنيعة فى موضعها ووضعتموها عند من لا يضيعها وان كان لى عمر فسوف أجازيكم بحسن المجازاة وما أعرف لى ذنبا استوجب عليه القتل غير انى ما تزوجت بهذه الجارية وسمعت ان لكم فيها طالبا ولو علمت بذلك كنت تزوجت بغيرها من البنات الكواعب وأما السيد عروة فهو كان لى فى الطريق وظهر على يطالب قتالى من غير اعذار ولا انذار ولما نصرت أنا عليه وظفرت به وعرفته أردت أن أطلقه فوصف لى شمائلك وشوقنى الى لقائك فخشيته لاجل ذلك لان الصدق أجل الاشياء والآن ظهر ما خفى لانك قاتلت الذى أسرنى وفعل بى هذا الفعال ورأيته بين يديك مثل الغزال امام الاسد الرئبال فعلمت أن الخاطر الذى خطر لى أنا فى لقائك محال وانك أوحد الزمان فى الشجاعة والسعادة والافعال وقد أصبحت أنا عبدك وزوجتى أمتك فافعل فينا ما تشاء ودبر ما تختار وان كان قد جرى منى خطأ فها أنا واقف على قدم الاعتذار (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام ألجمه بلجام بحسن أدبه فأجلسه الى جانبه وأكل معه الطعام وصارت بينهم حرمة ونظام ولما كان عند الصباح أعطاه جميع ما كانوا ملكوه من الخيل والاسلاب والرجال وأمر الخمسة فوارس الذين كانوا

معه من بنى زبيد يسوقون النوق والجمال التى كان قد غنمها سليك ويردها على أصحابها فشكره عمرو على ذلك وودع عمرو عنترا وعول على العودة وقال يا أبا الفوارس ما أخلصك تعود حتى تأتى الى ديارى وتقيم أنت وأصحابك عندى أياما حتى نحظى بخدمتكم ومعاشرتكم لنا والقيام فى أرضنا وماندرى بعد هذا الوداع والفراق متى يكون الاجتماع والتلاق فقال عنتر يا عمرو ان هذا الامر مالى اليه سبيل لانى البارحة قد رأيت منامافهو لى قلبى وقد أصبح منه مشغول ثم عاد على الطريق التى كان قد أتى منها ولما تمادى به السير وخلت خواطرهم قال مقرى الوحش لعنترة يا أبا الفوارس انى سمعتك تقول عند وداعك لعمرو انك قد رأيت البارحة منامامهول وخاطرك قد أصبح منه مشغول فبحق ذمة العرب بين لنا ذلك أحقا قلت أم حجة تقلتها حتى لا تسير مع عمرو الى أرضه فقال عنتر لا والله ماقلت الا حقا ومتى سمعت انى أقول محالا فقال مقرى الوحش فما الذى رأيت فى المنام بين لنا أحواله وحملنا بعض أثقاله وكذلك قال عروة بن الورد فعندها قال عنترا علموا يا بنى عمى انى بت البارحة وأنا مسرور القلب بذل فرسان العرب بين أيدينا وبطاعتهم لنا فحمدت الرب القديم على كثرة غنائمنا وأصدقائنا لانناقد صارلنا مثل عامر بن الطفيل وزيد الخيل وملاعب الاسنة ودريد بن الصمة وعمرو ابن معديكرب الزبيدى ومافى هؤلاء الامن يحكم على عشيرة وقبيلة وجماعة غير قليل فلو أردنا أن نلقى بهم كسرى ملك العجم أو قيصر ملك الروم للقيناه وربحنا عليه وماتحيرنا ولما عرض هذا على قلبى وأنا متفكر فرأيت فى نومى كأن عامر بن الطفيل فى حرب شديد وكان حوله جماعة كثيرا من الابطال والشجعان وهو معهم فى ضرب وطعان وقد انقطع بطان جواده والعنان وهو يقاتل وينادى باسمى يا عنترا دركنى حتى أودعك وأشبع منك بالنظر قبل أن أشرب كأس الحمام وهذا يدل على أن الرجل مريض مشرف على الموت أو يريد ياقى جيشا كبيرا وقد نادى باسمى ليودعنى قبل الممات لان المنام يتقدم أو يتأخر وهكذا سمعت من سادات مكة ومابقى لى بد من زيارته وكشف حاله وقصته لانه قد نادانى من دون أهله وعشيرته على أن زيارة الاخوان من مكارم الاخلاق والعاقل الذى يبادر صروف الدنيا قبل أن ينادى منادى الفراق ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع بنو عمه مقاله تعجبوا من علو همته وعظم نخوته ومروءته وجوده وحفظه للوداد فقالوا له يا ابن العم ان كان الامر على مثل ذلك خذنا معك فانك ماتستغنى عنا ولا تحمر منا مرافقتك فقال عنترما هذا صواب لان لنا عوائق وأسباب وأمورهم لا توافقنا على مانريد لامور أحدها انى بهذا الجرح الذى قد أشرف منه على الهلاك والبوار ولا يمكن انى أبعد به فى الاسفار وركوب الاخطار والوجه الثانى أنى أخاف أن يكون هذا المنام له صحة ونزوره هذا الرجل فى هذا الجمع ونكلفه مالا يطيق ونكون قد فعلنا فعال عدو فى زى صديق والصواب انكم تقصدون الديار وتقيمون عند الحريم والعيال وأنا ومقرى الوحش وعروة نمضى فى هذا الوجه ونعود اليكم بعد أيام قلائل ثم سار معهم ذلك اليوم لاجل بعد الطريق تلك الليلة وعند الصباح ودعهم وسار يطلب ديار بنى عامر بعد ما أوصى أخاه شيبوب بمداراة أبيه شداد وخدمته وسار هو ومقرى الوحش وعروة يقطعون القفار ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون به أحاديث الاهل والاوطان والاحباب والخلان حتى أشرفا على ديار بنى عامر وكان اشرافهم عليهم ضحوة النهار ولما قاربوا الديار أبصروا حول الخيام التى للقوم فوجدوا غبارا ثائر وفوقه الطير حائر ودائر وفى أطرافه بريق صوارم تلمع وتحته صياح قد علا وارتفع وأمور تدل على قتال وحروب وناهب ومنهوب وغالب ومغلوب فقال المنام الذى رأيته قد صح وبان واتضح البرهان وان صدقنى حذرى فان بنى عامر غياب فى بعض الغزوات والحى خالى من السادات وأقول ان أخى عامر قد تخلف لحماية الحريم فى

نفر

نفر قليل وقد طلبه هذا الجحفل الثقيل وهو اما أسير واما قتيل أو مشرف على الهلاك والصديق
على مثل هذا يراد وههنا تبين الرجال الاجواد ويعرفون أهل الوداد فقال مقرى الوحش يا أبا
الفوارس اذا كان الامر على ما ذكرت انزل على الخيل حتى نريحها قليل قبل أن نرميها في هذا الجحفل
الثقيل ﴿قال الراوى﴾ وكانت خيولهما موقرة من الصيد فنزلا وأرمياما كان عليها وأرخيا لها الزمام
والحزم حتى أخذوا الراحة ورجعا الى ظهورها واستلما الرماح وطلبا الغبار المظلم والصياح ولما خاضا
كرب المجال وعرفا حقيقة الحال ونظر عنتر الى عامر بن الطفيل وهو واقف في صدور الخيل وخلفه
دون العشرين فارسا أكثرهم جرحى قد أشرفوا على العطب وقد عولوا على الهرب وهو يصيح فيهم
يا بني العم بحرمة البيت الحرام قفوا على قليلا واحموا ظهري حتى أفرجكم على طعنات تعلمها من أخي
عنتر وحلاته في العساكر وهو ينادي يا لعبس يا لعدنان ويحاكي عنتر عند حلاته ويذكر اسم بني
عبس ويترك بني عامر ولما نظر عنتر هذه الاحوال وسمع ضجة الرجال فزادت ناره اشتعال وقال
لمقرى الوحش هكذا والله أبصرت في المنام فدونك وهؤلاء اللئام ثم زعق وغاص في ذلك المقام والقتام
والقسطل وصاح وقال ابشر بالنصر على أعداك فانك ناديت لمن نداك وأجابك ولباك واليوم أبلغك
مناك وحل وبحملته زادت نيران المقامع لهبا وولى الجبان هربا وتفرق الجمع سربا وهطل الدم
منسكبا وعرفه عامر بن الطفيل فمال فرحا وطربا وزاد سرورا وعجبا وصاح أهلا وسهلا يا حامية
عبس ومرحبا ثم غير جواده وجواد قتاله وحلاده وصاح الى بني عامر ويلكم يا بني عمي عودوا الى حماية
الاولاد والمحارم وابشروا بالغنيمة فقد أتاكم القيل الاسود والبطل الامجد والنار التي لا تخمد ﴿قال
الراوى﴾ يا سادة على ان الحساب الذي حسبه عنتر في بني عامر صحيح لان فرسانهم كانت غائبة وقد سار
بهم الاخوص بن جعفر الى جبل في اليمن يقال له جبل مسافر يطالب سكانه بثار كان له عليهم وترك
عامر بن الطفيل بحمى الديار في عشرين فارسا الا أنه ما بقي بعد رحيلهم الا أياما قلائل وصحبه هذا
الجيش الثقيل مع رجل يقال له نور بن عقيل وكان شيطانا من شياطين العرب قد ربى على أكل
الحرام ونهب الاموال وكسب الخيام ولما بلغه ان ديار بني عامر قد خلت من الحماة والفرسان جمع
هذا الجيش الشديد أحرارا وعبيدا كلهم أبطال صناديد وقد عرفوا بالقوة والشجاعة وغزوا معه مرارا
كثيرة فسار بهم الى هذه الارض لاجل كسب المال وسبي النساء والعيال وهم ألفان وخمسمائة فارس
ما فيهم الا كل مدرع ولابس فصبح بني عامر قبل ارتفاع ستور الظلام وكبسهم في الخيام ولولا عامر
ابن الطفيل كان قد قلع منهم الآثار وخلا ديارهم قهار وانما هو الذي حمى في ذلك اليوم الحريم
وفعل افعال الرجال الكرام وبذل نفسه لاطراف القنا حتى لا يقال عنه انه عند أهله وعشيرته وتمكنت
منهم الاعداء الا أن عامر بن الطفيل كان من جبابرة العرب وفرسان الجاهلية فقاتل ذلك اليوم
القتال المنكر حتى وصل اليه مقرى الوحش وعنتر وأخرجوا الاعداء الى الصحراء وأبصروا طعانا
لا تحمله الابطال صبرا وضربا ينثر الاعمار نثرا فخاف كل واحد منهم على نفسه من الهلاك والوبال وزال
طمعهم من كسب الغنائم والاموال ولولا فزعوا من الذل والعار كانوا تفرقوا وطلبوا الفرار ولكن
أبصروها عيبة ينهزمون من ثلاثة فوارس وهم في ذلك الخلق الكثير فقاتلوا وصبروا على الشدائد
ويحمي بعضهم على بعض وأقبلوا بصياحهم على جنبات الارض وفعل هذه الفعال من لا يعرف عنترا
ولا أبصره في قتال وأما الذين عرفوه فعلموا انه يكسر الجيش ولو كانوا أضعافهم فتفرقوا بما وصلت
أيديهم اليه من المال وولوا يطلبون النجاة ودام القتال كذلك حتى ولى النهار بضياه وأقبل الليل
بدجاه وأبصر فسيح البر قد امتلأ من رفقاه وأبصر طعنات عنتر كأنها تسابق القضاء اذا نزل من السماء

نخاف أن يعتريه فيجعل فناه فعاد تحت الظلام خائبا وقد أبصر جيشه شاردين فى الاقطار وخلت
منهم الديار والقفار وعاد عامر الى خدمة عنتر وحمده وشكره وسأله كيف كان سبب وصوله فى ذلك
الوقت فأخبره بالمنام الذى رآه وعرفه أنه أتاه زائرا وخاف عليه من غدرات الزمان الغادر فقبل عامر
صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وعادوا يطلبون الخيام واذا بجماعة من بنى عامر قد التقوهم فى
أذيال المضارب وهم يبكون فقال لهم ما حالكم يا بنى عمى فهل قتل لكم من يعز عليكم ووصلت الاعداء
بالمضرة اليكم فقالوا اى والله يا أمير قد سبى من الحى سبع حرائر فى جملتهم أمك كبشة وأختك مارية
وقد أتينا نعلمك قبل أن يبعدوا فى البيدا ولا تجتمع بهم أبدا فلما سمع عامر ذلك الكلام انحلت
مفاصله ورجف فؤاده ووقف حائرا على ظهر جواده وما بقى يدرى كيف يعمل فقال عنتر وحق
من احتجب عن النواظر وثبت عند كل أحد أنه قادر لابد ان نتبع أعداك الى آخر بلاد اليمن ونخلصهم
من بين أيديهم ولو غاصوا فى البحر الزاخر ثم تناولوا شيأ من الزاد وأخذوا معهم ثلاث جنائب من
الخيول الجياد وساروا يقتفون آثار الاعداء ويقطعون فى الظلام أقطار البيداء وعنتر يقول ما كان
أحوجنا فى هذا الوقت لى أخى شيبوب لانه أخبر منا بالمسير على الآثار وأعرف بسلوك البرارى
والقفار فقال عامر بن الطفيل ما أقول الا ان النساء ما أخذوا الا فى أول النهار قبل وصولك يا أبا
الفوارس وان كان هذا الحساب صحيحا فهم الساعة فى أرض بعيدة وأنا خائف اننا نتعب ومانتال
مقصودنا لان هؤلاء الاعداء كانت مجموعة من قبائل شتى وماندرى اى فرقة التى معها الحريم ولا أى
جهة سارت فقال عنتر ان كانت آجالهم قد اقتربت لحقناهم ولو أنهم على ظهر الغمام لان الخيل
ما تنجو بقصير الاعمار ولا تهتدى فى الليل ولا فى النهار ثم جدوا فى المسير حتى لاح ضوء النهار وتأملوا
الآثار فرأوه ظاهرة الا أنهم على غير طريق فاستراحوا على الغدران ساعة من النهار ثم ركبوا ظهور
الخيل وساروا حتى تقارب المساء وقد أنكروا الارض التى وقفوا فيها وظلوا فى نواحيها فقال مقرى
الوحش ما أخوفنى اننا نهلك فى هذا البر ولا ننال طائلا كان والصواب مقامنا فى الديار وأنفاذ
العبيد الى القبائل تكشف لنا الاخبار حتى اذا علمنا من سبى النسوان طلبناه عن يقين وبرهان فقال
عنتر قد فات الامر وما بقينا نرجع الا بما نريد ولو صده منا جبال الحديد (قال الراوى) واذا قد لاح
لهم بين أيديهم أشباح متفرقة فى أقطار البطاح وسمعوا بكاء ونواح فقال عامر ها قد أدركتنا الاعدا
وقرب الله عين المدا وهذا الصياح الذى نسمعه صياح النساء فقال عنتر اى وحق من رفع السماء ثم حركوا
يطلبون الصياح * قال وكان الذى سبى للنساء فارس جبار يقال له مشهور بن الاعرج وهو من قوم يقال
لهم بنو معن وكان يعرف عنترا وقد شاهد قتاله مرارا عديدة مع الرجال فلما رآه فى ذلك اليوم قد أقبل
علم أنه يكسر القوم والحفل فقال لقومه لما رآه يا بنى عمى هذا عنتر بن شداد العبسى واليوم يفنى هذه
العرب المجموعة ويكشف عن بنى عامر الفجعة لانه حليفهم ومؤاخى عامر بن الطفيل والصواب
أن لا نتعرض له باى شئ كان ونجوا بأنفسنا مادام القتال عما لا والعرب مشغلة عنا وان لم نفعل
ذلك خسرنا وتعبنا ومن ظفر به هذا العبد أهلكه وأنا قد رأيته مرارا عديدة فى الحروب ورأيت منه
شيطانا مريدا لا يرتد ولا يقع على فروسيته أحد (قال الراوى) وكان مشهور هذا معه خمسون فارسا
من قومه كلهم يرجعون الى رأيه ولا يخالفون مشورته فقالوا الامر اليك ونحن بين يديك والصواب
اننا نجوا بأنفسنا ثم مالوا يطلبون الخيام والاوطان وقد تركوا الناس مشغولين بالضراب والطعان
فأول من وقع فى أيديهم مارية أخت عامر وأمه كبشة لانهن قد خرجن الى أذيال المضارب ينظرن
اليه ويدعون له من خوفهم عليه فسبوا الاثنين ودخلوا الى البيوت وأخذوا خمسة جوار أبكار

كأنهن الاقمار وعاد مسرورا وهو يقول اطلبوا بنا الديار ودعوا هؤلاء ينفصلون كيف ما أرادوا ثم ركضوا في عرض البر حتى أصبح الصباح ونظروا حولهم فرأوا أنفسهم قد ضلوا عن الطريق وقد أصبحوا في برأقفر أغبر لا يعرف فيه تل ولا علم فقال مشعرعد منا والله توفيقنا وضل عنا طريقنا والرأي انا ننزل في هذا المكان ويقعد بعضنا عند النسوان ويتفرق الباقون يمينا وشمالا وخلفا وأماما لعلنا نرى طريقا واضحا يرشدنا ثم نزلوا هناك وقضوا أكثر نهارهم بالدوران وسارت الفرسان تضرب في البر الفسيح والفرسخين وتعود بغير فائدة ﴿قال الراوي﴾ وقد أشرف عليهم عنتر ومقرى الوحش وعامر وهم على تلك الحالة ولما بانت لهم الاشباح في أقطار البطاح وسمعوا من النساء العويل والصياح وقع بهم السرور والافراح وركبوا الجنائب وحملوا عليهم بقلوب قريحه وما كانت الا ساعة حتى شكوا المقيمين بأسنة الرماح وخلصوا الحريم من ذلك الامر والبلاء وركضوا خلف الباقين فأهلكوا منهم الاكثر وعادوا وقد أرخى الظلام أستاره واعتكر ونزلوا في ذلك المكان وما جسروا على العود خوفا من الضياع لانهم كانوا قد علموا أنهم قد أصبحوا ضالين عن الطريق وكان الله قد ألقاهم على أثر قوم قد فنيت أعمارهم وقصرت آجالهم على أيديهم لان الله سبحانه وتعالى له في عبيده احكام تحير فيها ذوو الافهام ولا تهتدي اليها الاوهام ومن ذلك الوقت صدق عامر قول عنتر أن الخيل ما تنجو بقصير الاعمار ولا تهتدي في الليل ولا في النهار ﴿قال الراوي﴾ ولما مضى الليل وكان وقت السحر رحل هؤلاء عائدين على الطريق التي أتوا فيها فما ازدادوا الا خيبة وضلالا وطلع عليهم النهار وكثرت عليهم الآثار واتسعت بين أيديهم القفار واختلفت عليهم الاقطار ووقعوا في بر وعر كثير التلال والوديان ما فيه مجيب لمن صاح وزعق ولا ماء يبل به الانسان الرمق فتحيروا وأخذهم القلق واستشوروا فيما يعملون فقال عنتر ما في الامر الا أن نسير الى جهة واحدة ونطلب الخلاص من هذه المفاوز مادام في الخيل رمق فان كان لنا نجاة أدركناها وان كانت المنية قد حضرت نحن وإياها فقال مقرى الوحش ان كان الموت قد اقترب ودنا ما يكون الا من عدم الماء وأنا ما أسفى على الدنيا ولا أسفى على شئ الا الذي ما شبعت من نظر ولدي سبيع اليمن لانا ذكرنا انه قد أتاه من زوجته مسكة ولد في بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان له في قلبه منزلة عظيمة وقد أمل فيه الآمال وترجى أنه يركب الى جانبه ويعينه على القتال فأيس منه في ذلك اليوم وخاف أن يموت قبل لقاه الا أنهم ساروا كما قد أشار عليهم عنتر وأخذوا في المسير في ذلك اليوم في البر الواسع ودخل عليهم الليل وبكت النساء من شدة الفزع والتعب والتجؤا الى بعض الشعاب ونزلوا والخيل قل نشاطها وفتحت مناخيرها اللهواء من شدة الحر والعطش وما فيهم الا من ارتاع من ذلك البر الواسع واستوحش وبقي عامر من أجل هذا الامر الصعب منكسر القلب لان مقرى الوحش وعنتر من أجل حاجته قد التقوا هذا الملتقا ووقعوا في بحر الخطر والشقا فصار عنتر يهون عليه القصة ويقول له يا عامر لا يصعب عليك شغلنا واعلم أن لنا رباً عظيما قادرا اذا أراد نجاتنا وسهل لنا الماء وسقانا وان كان قد حكم الله بهذا فما يقدر كل من في الارض على فكاكنا وقد رأيت كيف ساقنا الى قوم ما كانوا النا في حساب فضربنا منهم الرقاب وخلصنا منهم هؤلاء الكواعب الاتراب ثم باتوا على مثل ذلك حتى طلع الصباح وركبوا على برد الهواء ومازالوا يقطعون أقطار الفلا ومقرى الوحش قد زاده الشوق والبلا وذكر ولده سبيع اليمن فبكى وسار ساعة يتأمل في أقطار الفلا وتارة يتأمل الى رؤس الشعاب وعالي الربا وهو يتحسر وينشد ويقول صلوا على الرسول

ان جرى دمعي وأوهاني الحزن * فغزير الدمع أشفى للحزن * واذا الشوق تناهى حده

فارقت روح المعنى للبدن * ياخليلى اسعدونى وقفا * نحو تلك الدار منا والوطن
واذا مت اشتياقا بلغا * عظم أشواقى الى سبح اليمن * ولقد كنت أرجوه اذا
نزل الشيب برأسى وقطن * فرمى الله علينا نكبة * حارت الافكار فيها والفطن
ووقعنا فى تلال قفرة * نزل الشيطان فيها وقطن * وترى الشيطان فى أقطارها
تائها ينـدبن آثار الدمن * ياحماما بات فى أغصانه * نائحا يدعو ولا يدرى لمن
نح علينا كلما جزت على * علم السعدى سراوعلن * واذا جزت على وادى الحمى
فاسأل السكان عن سبع اليمن * وابك عنى كلما عاينته * سائل الدمعة من فرط الحزن
كان أنسى ومنى القلب الذى * أترجاه وروحى فى البدن * فقضى الله علينا حكمه
ببعاد والضنى بعد الوطن * وبلينا بزمان غادر * صرفه يرمى سهاما من محن
والنارب عظيم قادر * يكشف الضر ولا يخشى الزمن

(قال الراوى) ومافرغ مقرى الوحش من هذه الابيات حتى انهملت من جفونه العبرات وجرت على الوجنات وبكت كبشة أم عامر ومن معها من البنات وفى الحقيقة أيس كل واحد منهم من نفسه وأيقن أنه لايخرج من ذلك البر وساروا حتى اشتد عليهم الحر وتوسطت الشمس فى كبد السماء وألقت حرها على الصحراء وصارت مثل اللظى وتلهبت أقطار الفلا وزاد على القوم البلا وقصرت الخيل من شدة العطش والظما وأيقنوا بالهلاك والفنا ولم يلتفت الرفيق على الرفيق ولا الصديق على الصديق وكشف النساء رؤسهم وقد زادبهم البلاء ونادت كبشة الى رب السماء وقالت يامن احتجب عن خلقه فلا يرى يامن أنبت النبات والمرعى يامن بيده نواصى الخلق جمعا يامن أخرج من ظلمة الاحشاء نسمة تسعى يامن قسم الارزاق عطاء ومنعا أسألك بالرجل الذى ظهوره قد اقترب ونوره قد انتقل فى أصلاب سادات العرب الذى اخترت له البيت المحرم وخلقت من أجله الحطيم وزمزم ورفعت لذكره قبل ظهوره علما وجعلته هاديا للعرب والعجم وفضلته على سائر الامم الا ماسبيت لنا فرجا وجعلت لنا من الضيق مخرجا وهديتنا على الطريق يامن ينجى من اللجج الغريق بعد الشدة والضيق سيدنا ومولانا حارت منا النواظر والافكار وأنت العالم بالاسرار والاستار أسألك باسمك المحيط بالعرش والفرش يارازق الطير والوحش ياذا الشدة والبطش أن ترزقنا من السماء ماء يبرد أكبادنا من الظما فأنت رب الارض والسما الذى لاتخفى عليك الاسما ياخالق النور والظلما (قال الراوى) والى دعاء العرب المنتهى ولاجل ذلك قال سيد الاولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أم القرى تعلموا منهم الدعاء الا أن كبشة باتت هذه الدعوات والكلمات حتى عطف الله عليهم بجميل العوائد وسبب لهم أسبابا تنجيهم من الهلاك والشدائد لانهم كانوا سائقين فى برمقر واذا قد سمع فى ذيل السماء قعقعة الرعد فملاوارتفع وغما وابيض بعد الكدر وصفا بعدما كان معتكر ومازال يغوط ولاوعرض حتى التحم بعضه الى بعض فمنع شعاع الشمس أن يقع على الارض ثم بعد ذلك انهل مثل أفواه القرب وسال وانسكب وفى دون ساعة سمع له دوى وخرير وللروابى ضجة وزفير وامتلأت الجفار واستأنست القفار ورويت أصول الاشجار ورويت الخيل من ماء السما ورويت الاكباد بعد العطش والظما ومازال الامر على ذلك حتى قارب المساء وبات القوم فى تلك الصحراء وقد صفا الجو وصحا وكان الماء فى ذلك الوقت لهم دوا ولما كان من الغد وطلعت الشمس وانارت كشف السيل الطرقات الدارسه وبانت الآثار وضحكت الاقطار بعدما كانت عابسة فساروا على بعضها وقد طابت أنفسهم ولاح لهم وجه السلامة

وكان

وكان لهم فى المعمار فوائد كثيرة احداها انهم رأوا الماء بعد العطش والظما والثانى ان الماء سحب لهم الوحش من الارض العامرة الى تلك الارض الخراب فأكلوا منها بعد ما صادوا وشربوا وسار واعلى النواحى والوحوش قد انسحبت اليهم من ناحية العمارة يغدوا فى المسير حتى قارب المساء وعولوا على النزول واذا قد لاح لهم أبيات وخيام منصوبة فى جبل عال حصين فدفعوا الخيل نحوهم حتى قاربوها واذا بغلام قد قصدهم عن أيمانهم وخرج من شعب هناك وتحته فرس عربى وعليه من صيد البروقرة فلما رأى القوم مال اليهم وقصدهم وقد دنا منهم ونادى أهلا وسهلا يا وجوه العرب بحق الاله المعبود انزلوا عندنا فى أبياتنا وشرفونا بنزولكم على فى هذه الليلة فقال عامر بن الطفيل السمع والطاعة يا غلام سر بين أيدينا الى أين شئت واعمل فى حقنا ما هو يت لاننا من أقنع الخلق وأحوجهم الى الانس ثم حدثه بما جرى عليهم من الضيعان والضلال وما قاسوا من الشدائد والاهوال فشق ذلك عليه وعاد بين أيديهم يهرول حتى وصل الى أوائل البيوت واذا بامرأة عجوز فى جانب البيت فقال لها أضرمى النار واسمعى الاخبار ثم أنزلهم وقدوطألهم وقامت أمه الى النساء وأدخلتهن الى داخل الخباء وأضرمت النار وزوجت لهم الطعام من لحم الوحش وكان عندها طرامين مخبوزة من النهار فقدم الغلام الجميع الى بين أيديهم وكذلك فعلت أمه مع النساء وشرعوا فى أكل الزاد والحديث وقد طابت قلوبهم بالامان فقال عنتر للغلام يا وجه العرب من أى الناس أنتم فقال له يا مولاى من بنى كنانة ولنا ههنا أكثر من عشرة أيام ونحن أربعون كما ترى ولنا مقدم يقال له سريع بن قادر وسبب نزولنا فى هذه البرية ان مقدمنا كان بينه وبين ابن عمه مقاولة وحروب فصعب عليه ذلك فرحل بنا وأنزلنا فى هذا المكان من خوفنا من عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان وما يمضى علينا يوم الا ونقول يصبحنا فيه أو يمسينا ويقودنا فى الجبال ويسبينا ياساده يا كرام (قال الراوى) فلما سمع عنتر وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش ذلك داخلهم العجب من عظم ما وقع لعنتر من الهيبة فى قلوب العرب فقال عنتر والله يا غلام أزيلوا هذا الفزع من قلوبكم من هذا اليوم ولا تحدثوا به نفوسكم وأبشروا بالامان فأنا عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان وقد ساقنى اليكم مكتوب الاكوان وصار لكم عندى جائزة وذمام فطار عقل الغلام من شدة الفرح وترك الطعام وقام يغدو الى المقدم الذى لهم وقال له يهنيك السلامه فان الذى كنت تخافه وتفزع منه قد أمسى ضيفنا وأكل طعامنا فقال سريع وكيف ذلك أنا ما كنت خائفا عليكم الا من عنتر بن شداد ومن فزعى أردت أن أرحل بكم من هذه الجبال وأنزل على بعض الملوك (قال الراوى) فعندها حدثه الغلام بما جرى فزال عنه الكرب وأخذه الفرح وقام الى مشايخ قومه فاستصحب منهم جماعة وساروا الى نحو عنتر فسلموا عليه وأكلوا معه الزاد وطلبوا منه آلة المدام فودعهم بكل جميل وقال لهم ارحلوا معى حتى أنزلكم فى أرضنا وديارنا وأحميكم كما أحمى أهلى وعيالى وأبذل روحى قداميكم ومالى فازدحموا لما سمعوا هذا الكلام والخطاب ونزل على قلوبهم أحلى من الجلاب وأجابوا بالرحيل معه الى أرضه وقد اهتدوا على الطرقات وعرفوا البرارى العامرة من المقفرات وفوضوا اخيامهم مع عنتر بن شداد واستبشروا بالامان فساروا ذلك اليوم والثانى وودع عنتر عامر بن الطفيل ورجع يطلب ديار قومه وسار عنتر ابن شداد يطلب أرضه وقد رآها واسعة ولاحظ أنه كيف يعود الى أهله خالى اليدين من المكسب والمال فصار كلما وقع فى طريقه بحال ينهبها وكلما أبصر أبياتا يسوق أموالها ويقتل من يطلب حمايتها وبنو كنانة يبصرون ويقول بعضهم لبعض انه أراد أن يصيبنا ويمكر علينا (قال الراوى) ولما وصلوا الى ديار بنى عبس أنزلهم عنتر فى وادى يقال له وادى القرى وكان من جملة منازل بنى عبس طيب

الماء والمرعى فقال عنتر هذا المكان لكم وتحت أمركم وعلى حمايتكم ثم وهبهم من المواشى التى قد ساقوها معه شيأ كثيرا وتم عنتر الى بنى عبس هو ومقرى الوحش ولما وصل الابيات أتى اليه عروة بن الورد وهناه بالسلامة وكان شداد قد برأ من جرحه فأتى اليه وسأله عن زيارته لعامر بن الطفيل وحدثه بحديث ابن الطفيل وما جرى عليهم من الضيعان وكيف هطل عليهم السحاب فى تلك البرارى والقفار فعجبوا من ذلك وقالوا لقد أيستم الامن نعمة أخرى ولقد سلمنا نحن أن تشمت بنا الحساد ويصح فينا قول بنى زياد فقال عنتر وكيف ذلك يا أبتى فقال شداد يا بنى انى لما وصلت مجروحا مع عروة وأخيك شيبوب ظن الحساد الذين هم بنوزياد انك قد قتلت وتحدثوا بكل قبيح (قال الراوى) وكان عروة بن الورد حدثه قد شاع فى الحلة من جهة عمرو بن معديكرب وسمع بنوزياد بما جرى لاجل ليس ابنة همام وكيف أسروا عروة وقتلوا رجاله وكيف علموا أيضا بعنتر لما وصل بالخبر الى أبياته وتركه وعادوا وعرف القصة على جليتها الا أنه كان هو واخوته دائما يتطلعون على أحوال عنتر وبنى قرادويتوقعون لهم العثرات لاجل الحسد والحقد الذى كان بينهم * قال فلما اطلع الربيع ابن زياد على هذه الامور اجتمع على الملك قيس وقال له يا ملك أنت تعلم ما قاسينا من الفرقة والهجاج فى بلاد اليمن ومن هلك منا من الفرسان ولولا أختك المتجردة سألت فينا الملك النعمان ما عدنا الى ديارنا والاوطان والآن قد تعطف علينا الزمان وسبب لنا العودة الى الاوطان ثم حدثه كيف تزوج عمرو بن معديكرب الزبيدى بليس ابنة همام وسار هو ومقرى الوحش وعروة ليأخذها منه فأسره وقتل رجاله وان عنتر سار هو ومقرى الوحش وأبوه شداد يطلبون قتل عمرو بن معديكرب وخلاص عروة من يده وأنا يا ملك خائف على القبيلة من جهل عنتر وقبيح فعاله لانه ان ظفر بعمرو وقتله أو أسره تقوم علينا بنوزبيد وتسير الى ديارنا مثل الجراد ونبتلى بالقتال والجلاد ويتجدد ما بيننا وبينهم من الاحقاد كما فعل معنا فى شعاب جبلة من شؤمه وقتل ابن صاحب دمشق وأخرج المنابنى غسان وسلمنا من الهلاك والقلعان ولولا تدبيرك أنت وعملك تلك الحيلة وتعطيش الجمال وردتهم عنا بالمكر والاحتيال والا كانوا نهبوا الاموال وأخذوا النيال فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الربيع بن زياد قال يا ربيع ما بقينا نرضى بهذه الامور ولا نطاوع عنترا على ما يقول بل ان رجع وأثار الفتنة وتاه من يطلبه قبضنا عليه وسلمناه اليه أو نقول له ارحل عنا وانفصل أنت وغرماك كيف شئت لان البرواسع والمنازل كثيرة وأنا بعد ما قد نشأ لى هذا الولد ما بقيت أسأل عن أحد وقد ذكرنا أن الملك قيس كان قد نشأ له ولد وسماه زهيرا لانه كان مليح الوجه وكان من محبته له قد حكمه فى أمواله ونعمته وما انفصل الربيع من حديث عنتر الا وقلب الملك قيس قد قسا على عنتر وبعد ذلك وصل شيبوب وعروة ومعهما شداد على هذه الحالة مجروح واشيع ان عنترا قد قتل فقال عمارة أنا أسأل رافع السماء أن يجعل ذلك الخبر صحيحا حتى يخف كربى وأستريح لان مهجتى منه قد ذابت وذوائبى من فعاله قد شابت وآمالى فيه قد خابت وأنا أحد الرب القديم حيث أن عبلة لا تحبل ولا تلد ولا تخلف له خلفا الا فى لو رأيت له ولدا مت حسرة وكمدا فقال الربيع ان كانت عبلة حرمت الاولاد فقد عوضه بذلك رب العباد وقد أنتج له فرسه الابجر مهرا ما سبق مثله لاحد ولا يرجع الزمان ينتج مثله ما دام الابد لانه أعجوبة الزمان وزينة من تعجب وحسرة فرسان العرب وهذا دليل أن لله فيه عناية هذا ان كان ما قتل عمرو (قال الراوى) وهذا الخبر الذى ذكره الربيع قد ذكرنا كيف سببه وأخبرنا ان لقيط بن زرارة لما سرق الابجر فرس عنتر أعلاه على الحجرة سكاب وأراد أن يركب من أمها حيث رآه ينفره منه ولا يألفه وذكرنا موضع ما دخل منه وأخذ الحجرة معه

بتدبير

بتدبير شيوب وخلى فى قلوب أصحابها حرارة وكروبا واحتوى على عروس القوم مهرية واقتنصها وهو سكران وردها على ابن عمها لما انتقاه وجرى من القصة ما جرى ولما تم حمل سكاب ولدت مهرا خلفة عجيبة أحسن من أبيه الابجر أيام صباه وكان عنتر قد جعل اعتماده عبلة بعد الابجر لما رآه قد استولى عليه الكبر وتغير من ملاقاة الحروب وخوضات الوقائع والكروب والغارات (قال الراوى) وقدم عنتر الى الحى سالم وعدنا الى حديثه وعودته بالقائم وحدثه بنو أعمامه بما قال فى حقه بنو زياد فما غيظه وزاد وقال والله لابد لى معهم من يوم تشيب فيه رؤس الاطفال ثم بات تلك الليلة عند زوجته عبلة ومقرى الوحش وبل شوقه من نسيم اليمن وزوجته مسيكه ولما كان عند الصباح سار عنتر الى الملك قيس وسلم عليه وهنأه بالسلامة وسأله عما جرى له ولعمرو بن معديكرب وأعتب عليه لاجل ذلك السبب فقال عنتر يا ملك ما تعديت الواجب ولا فعلت ما لا يجب بل قد جعلت لك مثل عمرو صديق لكل شدة وضيق وسيفه يعينك على الشدائد ثم أعاد عليه قصته وما جرى له معه وكيف أطاق سبيله واصطنعه فخف على قلب قيس بعض الكروب التى كان قد حملها له الربيع ابن زياد وعلم أن للقول بينهم حسدا قديما فأزال عن قلبه الجميع وأمسك عنترا عنده ذلك اليوم وسقاه وأكرم مثواه وكان معه مقرى الوحش وعروة بن الورد وجماعة من فرسانه وندمائه ولما انقضى النهار وعادوا الى أبياتهم وجد لهم عنتر أوقات السرور لما انقضى ليلهم بالافراح وشرب الراح لانه يحب الشراب مع أصحابه ويتكلف لهم الا أن الملك قيس علم أن الربيع من بغضته لعنتر يتكلم فيه وأما عنتر فانه شرب تلك الليلة فوق طاقته وأصبح مخمورا لا يطيق القيام على الأقدام وكان قد ركب قيس عند الصباح وحوله أعمامه وبنو زياد ورجعوا الى القبيلة وأخذوا فى طرد الوحش حتى عبر نصف النهار ورجعوا يطلبون الخيام وطريقهم على وادى القرى الذى أنزل عنتر فيه بنى كنانة وأبصر قيس مضاربهم ورحالهم فأنكرهم ولم يعرف حالهم فوقف يريد الكشف عن أخبارهم واذا قد ركب اليه سيدهم سريع بن قادم وأتى امام الملك قيس وترجل وسلم فرد قيس عليه السلام وقال له يا شيخ من أى الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذه الارض فقال سريع يا مولاى نحن من بنى كنانة والذى أنزلنا ههنا عنتر بن شداد ثم حدثه بنزوله عليهم وما جرى له معهم وانه رحلنا وأنزلنا ههنا ووهب لنا المنزل وضمن لنا الجيرة والذمام فتعجب الملك قيس من ذلك وقال أكرمت يا وجه العرب بنزولكم وأعزه من أنزلكم فانتم كلنا فى حماية عنتر وفى ظل سيفه ثم تركه وعاد وقد علم الربيع أنه ما قال ذلك الا من قلب ملآن على عنتر فزاد غيظا وصار يقول ان هذا ضيم لا يصبر عليه أحد لاننا ما صدقنا نعود الى الاوطان ونستريح من مقاساة العربان حينا من الزمان حتى عاد هذا الشيطان علينا بما لا نريد ويقطع لمن لا نعرفه الارض والله ان هذه الفعال أنا ما أقدر أفعلها وأنا الربيع بن زياد ولا أجير بغير علم الملك قيس فقال أسيد عم الملك قيس مثلك يا ربيع تنقل قلب ابن أخى على عنتر الذى ما يلتئم شمل العشيرة الا به على ان هذا الذى فعله نخار ما هو عار واست أنت تريد الفخار والشرف أليس فى هذا يقال عند سائر العرب ان صارت عبيد بنى عبس تجير الخائف وتشبع الجائع فقال الربيع وقد زاد غيظه والله يا أسيد ما قلت هذا الا شفقة على الملك قيس كيف أنزل عنتر هؤلاء القوم فى أرضه بغير اذنه وهذا يدل على انه ما له عنده قدر ولا قيمة وحق ذمة العرب سمعت عنه لما قال فى حال سكره أنا الذى حكمت قيسا على رقاب بنى عبس وتركته ملكا ولو أردت تركت بعض اخوته مكانه وعزلته لانه بأى شئ يتفضل عليهم وكلهم من أب واحد وأم واحدة ومازال الربيع على مثل ذلك حتى نقل قلب قيس على عنتر وترك فيه من هذا الحديث أثر ومازالوا على مثل ذلك حتى وصلوا الى الخيام ودخل قيس الى

خيامه ولم يحرك ساكنا وبعد ذلك بأيام اشتاق عنتر الى بنى كنانة وطلب افتقادهم وأن يزورهم ويطيب
قلوبهم فعزل من جماله مائة ناقة وأضاف اليهم مائة رأس من الغنم وخمسة أحمال خمر وأخذ معه
مقرى الوحش وعروة بن الورد وبعض رجاله وسار الى وادى القرى فعلم القوم قدومه فاستقبلوه أحسن
استقبال وانزله سريع بن قادم فى أبياته وأمر عبيده فروّحوا الطعام وروّقوا المدام وجلسوا ودارت
عليهم الاقداح وأرادت رجال بنى كنانة أن تقف كلها فى الخدمة قياما فما مكنهم عنتر من ذلك بل
أجلسهم عن يمينه وشماله وتركهم وقعدهم ودونهم بعد ما حلف أيمانا لا يشرب الا على هذا الترتيب فشكره
سريع وأثنى عليه وحدثه بحديث قيس وكيف أجارهم وسأل عنهم وترحب بهم لما قالوا جيران عنتر فقال
ولو لم يرض بكم جيرانه كنت رحلت بكم وأنزلتكم فى أرض تكون أحسن وأطيب من هذه الارض
وأكثر مرعى وأتركها لكم منازل وديارا ثم ان عنترا أدار عينه على مالك بن قادم الذى أنزله يوم المطر فى
بيته فما رآه فسأل عنه سيدهم سريع وقال له ابن أخيك يا أمير ما حضر معنا فى هذا المقام فقال سريع
ما أبا الفوارس قد ذهب يطلب المعاش والمكسب لان الفقر قد أضر به وقد علمت أنه اذا عاد سالما
أزف ابنتى عليه لان أخى أوصانى به قبل موته وخلف له أموالا كثيرة وكنا نحن والله فى نعمة غزيره
وانما تواترت علينا أعوام كثيرة العوائق والفلا قليلة العيش والكلا فوقع فى أموالنا الفنا فبقينا كما
ترى (قال الراوى) فقال عنتر وقد صعب عليه ذلك والله يا أمير لو عرفت هذا ما تركت ابن أخيك يتغرب
ولا يخاطر بنفسه مع شياطين العرب بل كنت أنا تولّيت وليمته وأنجزت أمر زوجته ولكن هذا أمر قد
فات ولا بد أن يعود ان شاء الله تعالى وأعمل له وليمة وعرسا من الاعياد وأكيد يفرحه الاعادى والحساد
فشكره سريع على ذلك المقال ودعا له وأقام عنتر عند القوم ثلاثة أيام وعاد وفى قلبه أثر من حديث
الغلام وكانت هذه الجارية التى قد راح مالك يأتى بمهرها فريدة دهرها ودرة لا يعرف قدرها وقد وفر
من الجمال قسمها وكسى من الملاحة جسمها وقد وافقها عند ولادتها طالع سعيد فربّاها فى حجر الكمال
والتأييد فنشأت كما تشتهى وتريد ولما نزل بها أبوها فى أرض بنى عبس كان قد كمل قدها وبرز نهدها
وتورد خدها وبلغت فى الاعتدال حدها والجمال على كل حال يتم على آبائه ويظهر ما سم أصحابه فزارتها
النساء العبسيات وأتت اليها من بنى فزارة الفزاريات ومافيهن من عادت من عندها الا وهى تهذى
بوصفها وتحدث جارتها بما رأت من ظرافتها وتصف حسن قوامها ولطفها ونعومة أنامليها وكفها
وضفائرها التى خلفها وبلغ حديثها الى بنى فزارة وتذاكرت به الرجال والنساء وبلغ الى حصن بن
حذيفة وسمعه مرارا من عجائز الحى والزوار وكان اسمها نوار فالتهب بها قلب حصن على السماع لانه
صبى على كل حال وهو ملك شجاع فشكا حاله وأفشاه الى سنان بن أبى حارثة وقال له يا عماه قد
اشتهيت انى أنظر هذه الجارية الكنانية التى قد نزلت فى فؤادى وان أعطيت من الجمال هذا الحديث
خطبتها من أبيها وأغنيت قومها ونقلتها الى ديارى وتركتهم من بعض جوارى فقال له سنان يا ولدى
اعلم أن السماع يزيد وينقص والدخول فى الاشياء بغير اختبار جهل والصواب انك قبل خطبة الجارية
تتوجه الى أرض قومها بحجة الصيد والقنص وتدعونا حتى ننظر أحوالها ونسأل عن أنساب رجالها
فان كانوا من سادات كنانة وأصحاب الحسب والنسب وقد غدر بهم الزمان وقلت أموالهم اتصلنا اليهم
وأنفقنا من نعمتنا عليهم لان الفقر مما يزرى بأصحاب النسب ولا يحط سادات العرب وان كانوا من أرذل
الناس وأردئهم فما أدعك تحملنا بقربهم العار ولا ندخل فى أنسابنا الا الاخيار فقال حصن نعم ما قلت
يا عماه فدبر ما تختار ثم كتم هواه وأخفى عشقه وجواه ثم انه فى يومه ركب فى عشرة فوارس
من رفقته ومازال سائرا حتى قارب وادى القرى فترك حصن أصحابه مشتغلين بالصيد والقنص

وقصد

وقصدا الى أبيات بنى كنانة وطلب الغدران هو وسنان وكان ذلك الزمان فصل الربيع والارض ريانه قريبة بانسكاب دموع الغيث الهطال فركض حصن طالب الخيام يريد النظر الى أحوال سكانها واذا قد اعترضه مرج واسع ومنابع الزهر حول الجميع منقوش كأنه بساط مفروش وفى وسطه جماعة من بنات الحى أحسن من الاهلة الطالعة وهم يرتعون ويلعبون ويتقلب بعضهم على بعض وقد رموا عن وجوههم البراقع وصرن يتسابقن فى المروج والمواضع ومافيهن الا من خرج وظهر طيبها ولمع فى الخد وجناتها وبرزماء الحياة من رواق خدودها فلما رأى حصن ذلك اشتغل عما كان فيه ووقف يتفرج وقد عجب من ذلك الاتفاق الذى قد راق واذا ببعض الجوار تقول لاترابها يابنات عمى من سبقت منا غدا على هذه المواضع يكون على المسبوقات طعامها وشرابها الان أبى قد سمح لى بالخروج الى ههنا ثلاثة أيام كما يفعل لى فى كل عام وبعد ذلك لا يرجع يمكننى من أذيال الخيام فتأمل حصن التى قد تكلمت بهذا الكلام واذا بها أحلى من الكل مزاجا وابتساما وأتم اعتدال وقواما وأوفى توقيرا واحتشاما وهى قد سلت من لحاظها على عاشقها حساما فقلق حصن لذلك وترنح على ظهر الجواد من شدة الغرام وظن انه قد رأى ذلك فى المنام ومن شدة ماجرى عليه نزل عن ظهر الجواد الى الارض وقعد ومسك فؤاده وقال ياعماه مابقيت أريد الجارية التى سمعت صفاتها ومابقيت أريد الجارية التى سلبت عقلى بملاحتها وأريد منك أن تنفذ الى بعض الاماء وتسأل لى عنها والا هجمت على وجهى فى هذه الفلوات فقال سنان أى شئ هذا المقال تأن على نفسك وأبشر ببلوغ الآمال ثم تقدم سنان الى جانب الغدير وصاح لبعض الجوار وقال لهامن أى الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذا المكان لاننا قد طرقناه مرارا عديدة وهو خالى من السكان فقالت الا ياموالاى نحن من بنى كنانة ومانزلنا فى هذا المنزل الا بأمر أصحابه فقال لها وهذه الجويريات بنات قالت نعم فقال ومن تكون هذه الجويرية ومن أبوها وأشار بيده الى الجارية المقدم ذكرها فقالت له ياموالاى هذه نوار بنت مقدم مناميريع بن قادم وان كنت سألت عنها وعجبت من جمالها فان هوى هذه البلاد وافقها وقد كساها من الجمال مايحير البشر ومانظرت الا موضع النظر فلما سمع سنان ذلك الكلام زاد تعجبه وأعذر حصنا فى حب الجارية لاجل مارأى من كمال صورتها وحسن خلقتها وعاد اليه وأخبره بما سمع ومارأى وقال له لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فان الجارية التى سمعت صفتها هى هذه التى سبيت بملاحتها ولاجل ماجرى عليك هذا المجرى فى هواها فأنا أزوجك اياها من حيث لا يطلع أحد على أحوالك من أجلها ثم عاد الى الصيد والقنص ساعة وأتى ورجعوا الى أبياتهم وحصن على غير الاستوا من تباريح الجوى ومما جرى عليه فى تلك الليلة مانام بل قضى أكثر الليل بالشكوى ولما نظر سنان الى حاله خاف عليه أن يمرض أو يدخل على عقله عارض فأرسل الى أبى الجارية يقول له ياسيدنا بنى كنانة قد سمعت حديثك وفصاحتك ونشتهى أن تجعلنا بطلعتك أنت ووجوه قومك وعشيرتك وتجعل لبنى فزاره التمام فى الزياره ولما مضى الرسول أخذ سنان فى اصلاح الطعام وترويق المدام ولما وصل الرسول الى سريع بن قادم وبلغه الرسالة فرح بذلك وأجاب ونهض وأخذ من وقته وساعته فى الاهتمام ولبس ثيابا جميلة وأخذ معه جماعة من أهله وعشيرته وسار مع الرسول الى نصف الطريق وحرك الغزارى جواده حتى يبشر قومه وبقى سريع سائرا وهو يحدث قومه ويقول لهم ياابنى عمى قد نفر قلبى من دعوة هؤلاء القوم لان لنا هذه المدة ههنا ما من علمنا أحد من بنى فزاره وما أقول انهم انفذوا خلفى لاجل ابنتى يطلبونها لبعض ساداتهم وأنا أستحى أن أتم هذا الامر وماذا أقول لابن أخى لانى وعدته بها

وقد مضى كما علمتم يحصل شيأ يستر به حاله ويعود يطلبها وهذه قضية مشكلة ان هي تمت فقال بعض المشايخ من قومه والله يا أمير ان تم لك هذا ما يكون في الدنيا أسعد منك لانك تنال الشرف التام والمال والجمال وأما ابن أخيك فانك لا تراه لانه قد سار فريدا وحيدا غريبا وان كان في أجله تأخير ويجيء سالما فايعود بأكثر من فرس يشدها وبركبها أو ناقة قد غفل عنها صاحبها وهذا شئ ما يكشف ضرا ولا يبل رمقا والصواب انك تصل الى سادات بني فزارة وتنقلنا الى أرضهم وهيبتنا قائمة ولا تدعنا نطرد من بني عبس بالتعس والنكس لاني قد سمعت ان ملكهم ماهو راض بنزولنا في أرضهم وانه قد عتب على عنتر كيف أنزلنا في هذا الوادي بغير أمره والصواب اننا نرحل بالذل والمهانة فقال سريع وأنا أيضا قد سمعت بهذا الحديث عن الملك قيس وصدري ضيق منه والآن ماندبر أمرا ولا نجد مقالا حتى ينكشف لنا باطن هذا الحال ولما أشرفوا على ديار بني فزاره وأبصروا الفرسان قد ركبوا الى لقائهم وسنان بن أبي حارثة في مقدمتهم وحصن بن حذيفة قد لبس حلة حمراء وتعمم بعمامة خضراء وهو راكب على حجرة أبيه الغبراء وتحته مركب ذهب وهو في رتبة تصلح للملوك الكبار ولما رآه بنو كنانة في تلك النعمة هابوه وترجبوا به وسعوا الى خدمته وكذلك وصل سنان الى سريع واعتنقه وترحب به وقال له يا أمير أنا عاتب عليكم من حيث تنزلتم في هذه الديار ما عنى الينا أحد منكم وقد اشتهينا كم الملك حصن أن تكونوا نازلا عليه ولكنني أنا منعته من ذلك وقلت له يا ولدي هؤلاء قوم غرباء وقد غدر بهم الزمان ولا يجب الثقل عليهم ولكن اذا أردت المعرفة بهم فانفذ خلفهم فاذا حضروا عندك فاكرمهم وأنعم عليهم فسمع وصيتي وأنفذ خلفكم يتجمل بكم فباس سريع صدره ويديه وشكره لما سمع كلامه وأثنى عليه وعادوا الى ظهور الخيل وساروا طالبين الخيام فرأى بنو كنانة ملكا عظيما يصلح أن يكون صاحب الاقاليم وأبصروا في الحي سرادقا كبيرا من الديباج الاحمر وحوله قباب من الديباج المدثره فتعجب القوم كل العجب وتمنوا أن يصير لهم في تلك الارض صلة ونسب وما استقر بهم القرار حتى نقل اليهم الطعام ووقف على رؤسهم العبيد والخدم ودارت عليهم أقداح المدام وانبسطوا في الحديث والكلام ومضى عليهم يوم ما رأوا مثله ولا سمعت الأنام شكله وكذلك في اليوم الثاني أحسن اليهم سنان وأكرمهم غاية الاكرام وقال سنان لسريع بن قادم على السكر اسمع واعلم يا وجه العرب ان هؤلاء القوم الذين هم بنو عبس تعدوا على الملك حصن بن حذيفة وقتلوا أباه وأعمامه أولاد بدر وهم قوم ما لهم أمانة ولا ذمام وأقول انك سمعت حديثهم مع أولاد بدر ونحن نفيناهم الى بلاد اليمن وأبعدناهم من هذه الاطلال والدمن وقد خرجوا بهيئة الملك النعمان لانه تزوج بنتهم ولولا ما كنا تركناهم يجاورونا لانهم قوم سوء ما لهم ذمام وقصدنا انهم يرجعون ويكونوا تحت أمرنا ونهينا طول الابد وأنتم قد نزلت في أرضهم بغير خبرة وقد زدتموهم قوة وكثرة وقد صعب ذلك على الملك حصن وأراد أن ينفذ اليكم من يرحلكم من جوارهم فما مكنته أنا من ذلك وأشرت عليه أن ينفذ خلفكم ويتخذكم من جنوده وانصاره فلما سمع قولي أجاب وقد رآه صوابا وقال يا عماه أريد أن تزوجني بابنة سيدهم حصن فيتصل بيننا الانساب وقد دعوتكم حتى أشاوركم وأنا أقول ان لكم الحظ الاوفر والجاه الاكبر لان عدوكم يصير ذليلا وعيشكم مع عيشنا هنيئا وبعد ذلك الامر مردود اليكم والله أعلم بما يعود منفعته عليكم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع سنان كلامه عرف أبو الجارية مقصوده وما طلب فخفق فؤاده من شدة الفرح لانه أحس نعمة عظيمة وملكا كبيرا واكراما زائدا فقال لسنان والله يا مولاي ان هذا الحال ما خطر لي على بال والا كنت أتيت بسائر عشيرتي ووقع في خدمة هذا الملك

لاني

لانى أعلم ان الله قد أيدنى بسعادته و جبر كسرى ورحم غربتى فمن يكون أسعد منى اذا أصاب الملك حصن صهرى وأنتم وخافاؤكم خاف ظهرى ثم ان سريعا قام على قدميه وشكر حصنا واثنى عليه وقال يا مولاى عند الصباح أنفذ خلف قومى وأوقفهم فى الخدمة بين يديه ونجعل اعتمادنا بعد على الله وعليك ثم أعطاه يده وعاهده على الزواج وازدادت الوليمة طربا وانزعاج وقال حصن لابى الجارية أنا ما أريد بنتك ليلة الزفاف بلا رياء لاجل أن أكون أنفقت من المهر والصداق ما يبهر الاحداق وتكون الهوادج كلها مزينة بالديباج والاكليل والذهب الوهاج ثم تخرج بنتك من خيامها مع بنات عمها والرجال الكرام وهم فى الهوادج يقطعون الروابى والاكام وأعمل لها يوما يذكر ما بقيت الليالى والايام ثم انه خلع عليه وعلى أصحابه الخلع الغوال وأنفذ معه بعض عبيده تسوق الجمال وزادلهم فى الاكرام والاجلال وفرحوا بهذا الانعام وقدموا لهم الجنائب الحسان باجلال الابريسم وهى بمراكب الذهب وأعطاه ما أغناه وما أبهر عينيه وقد انقضت الوليمة وخرج معه لوداعه أكابر عشيرته وبعد ذلك قال له حصن يا أمير هذا مهر بنتك ما يصل اليك والى عشيرتك ثم تقرر بينهما الكلام على زفاف الجارية بعد عشرة أيام قال لان لنا أصدقاء وحلفاء وأبطالا ونريد نرسل خلفهم الغلمان حتى يحضروا الى هذا المكان فقال هذا الامر اليك افعل أيها الامير ما يعود نفعه عليك ثم ان أبا الجارية عاد الى وادى القصب هو ومن معه من فرسان العرب والدنيا ما تسعه من شدة الفرح والطرب ومعه تلك الجمال والنياق والفضة والذهب حتى وصل الى قومه ونظروا ما معه من الجمال والمال والجوار فأخذه بالفرح والاستبشار وقص عليهم قصته وكيف زوج حصنا بابنته فزادت عندهم منزلته حتى استقر بهم القرار والمقام وخلع على رجاله الكرام الخلع العظام وأخذ فى اصلاح بنته وقد زادت فرحته وكانت الجارية نور تحب ابن عمها مالك بن قادم فجرى على قلبها ما لا يجرى على قلب بشر وصارت فى بكاء وضجر (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عنتر ابن شداد فانه كان جالسا على باب مضربه وعروة بن الورد وأصحابه بين يديه واذا هم برجل من الاعراب قد أقبل وهو ينادى يا أبا الفوارس أنجدنى فانى بك مستجير وأنت على انصافى قدير فعندها قال له عنتر يا وجه العرب ما حالك وما الذى أصابك فقال له الاعرابى يا أبا الفوارس أنا فى ذمتك وذمامك وأنا جارك فقال له عنتر وما يقال لك من العرب حتى تقول هذا الكلام وما أظن أنى رأيتك الا فى هذا اليوم فقال له صدقت يا أبا الفوارس أنا يقال لى فايق بن علوان العنبرى فقال عنتر وأى جوار بينى وبينك فقال اعلم يا أبا الفوارس انى خرجت من ديار قومى ومعى مائة ناقة وقد عولت أن أسير بها الى وادى ديقار أبيعها بشئ أجل به حالى وحال بنتى فسرت حتى وصلت الى أرضكم فرأيت عبدك ميمونا يسقى ابلك من البئر فدلیت حبلى الذى معى فلم يصل الى الماء فاستأذنت عبدك أن يوصل حبلى بحبله وأسقيت ابلى ومضيت فلما أبعدت فى المسير خرج على رجل يقال له دريد بن حرملة الفزارى ومعه جماعة من قومه بنى فزاره فأخذ النوق منى ومضى وقد أتيت اليك حتى تخلص لى نوقى من بنى فزاره لان اتصال الجبل بالجبل ذمام وما أعرف نوق الا منك لانى بقيت جارك وفى ذمامك فقال عنتر أنت فى ذمامى وكنفى ولك على كل ما ذكرت ولكن فى أى وقت أخذها منك فقال الاعرابى فى هذه الساعة وما أظن انه قد وصل الى بنى فزاره فعند ذلك قال عنتر بن شداد لشيبوب أخيه قدم لى الابجر فقدمه اليه مسرجا ملجما فنهض عنتر على ظهره فقال عروة يا أبا الفوارس تسير الى بنى فزاره ولم تعلم الملك قيس ولا تستأذنه والرأى انك لا تسير الا باذنه فقال له عنتر ما هذا الهزبان انما يستأذن الا الجبان فيا ويلك يا عروة كيف أستأذن ولى هذه الابيات الحسان شعرا

تفندنى فيما ترى من شراستى * وشدة اقدامى زبيبه ولا تدرى * فقلت لها ان الكريم اذا خلا
بيت على حال أمر من الصبر * وفى اللين جبن والشراسة هيبة * ومن لم يهب يحمل على المركب الوعر
وانى على أسد الشرى ذو جراءة * ولكننى قشر أذوب على القشر * فان تعذلانى تعذلا سيد العلا
كريم على الاعسار مستدرك اليسر * اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * وصمم تصميم الجواد على الامر
(قال الراوى) ثم انه ركض بالجواد وتبعه مقرى الوحش وكذلك عروة بن الورد ومازالوا مجدين الى
الى ان لحقوا دريدا الفزارى والنياق بين يديه تساق فزعق عليه الامير عنتر زعقة عظيمة تفلق الحجر
ونادى ياعربان أنا عنتر بن شداد كيف انكم تغيرون على جارى وتأخذون أمواله وتقتلون رجاله
وهو من جملة عيالى وماله من مالى (قال الراوى) ولم يجعل عليهم بالشر خوفا من عواقب الامر فعاد
اليه مقدمهم دريد الفزارى وقال له يا أبا الفوارس اعلم ان هذه النوق قد أخذتها من رجل كنانى
كيف انها لك أو تكون من أموالك وتريد أن تلقى الفتنة بين قومك وبين بنى فزاره وتتركها عداوة
بين الامارة فقال له عنتر معاذ الله أنتم الذين تريدوا أن تأخذوا مال من استجارنى وتحتقروا بى وتزدروا
بنسبى فقال دريد يا أبا الفوارس نحن نمضى جميعا الى قاضى العرب ونجمع فرسان القبيلتين وشجعان
الطائفتين فان حكموا لك بها خذها بحق وان ثبتت لى أخذتها فقال عنتر أنا أريد أن أرد هذه
النياق الى يد صاحبها فهى الساعة بحكمى كما كانت بحكمك وبعد ذلك أسير معك حيث شئت فان
ثبت لك على حق دفعته اليك وان لم يكن لك فيكون مالى تحت يدى ولا أتركه لك وهذا شئ لا يكون
أبدا ثم انه سلم النوق الى صاحبها فقال صاحب النوق يا مولاى أنا أخاف أن يقطعوا على ويأخذوها
منى فقال عنتر سر أنت فى ذمامى الى أن أموت وألقى حمامى فان عارضك فيها كسرى هدمت ايوانه
أو قيصر قتلت رهبانه ونكست صلبانه ثم ان الرجل سار وقلبه مشغول بوعد عنتر وتبطن بها فى البر
الاقفر وأما عنتر فانه أنشد وقال

ان جارى فاعلموا * ذاك من أدنى عيالى وأرى ناقة جارى * مثل نوقى وجمالى
ان للجار علينا * رفع ضيم بالعوالى كى يزول اللوم عنى * ان مال الجار مالى

(قال الراوى) ولما ان فرغ من شعره قال له مقرى الوحش لله درك ودر أبيك وبارك الله فيه وفيك
فهذا ما كان من عنتر * وأما ما كان من دريد الفزارى فانه سار الى بنى فزاره وقد حلت به الخساره
ودخل على حصن وقد أخبره بما قد جرى وقد زاد به النكد وفى عاجل الحال أرسل الى قيس رسولا
ليعلمه بما قد جرى ويأمره أن يحضر عنتر ويعاتبه على فعاله والا نرحل ونخلى لكم تلك الديار وان
هذا ما يرضيك وتطفئ هذه النار فتأمر عنتر أن يرد الى دريد النوق والجمال والا وقع بيننا وبينه القتال
فلما وصلت هذه الرسالة الى الملك قيس اغتاظ غيظا شديدا وأنفذ خلف عنتر فحضر وسلم فقال له الملك
قيس يا أبا الفوارس ما هذه الفعال تريد أن ترمى بيننا وبين بنى فزارة السيف والنساء ما خلعوا عنهم
ثياب الاحزان فان حصنا قد أنفذ الى مع هذا الرجل يذكر أن صاحبه دريد يشتكى منك وقال انه
أخذ النوق من رجل كنانى وأنت قد ادعيت بجواره فلم تدعى أنت بالباطل فقال عنتر والله يا ملك
ما ادعيت بالباطل بل بالحق وهو جارى ومنى ومن قال انه ما هو جارى أرميه بالسيف أترضى يا ملك
تخفر ذمتى وأنا منك والبك وأنت تملكنى كما أن حصنا لا يرضى لدريد أن يخفر ذمتى فقال قيس معاذ
الله ولكن أخبرنا ما الذمام الذى بينك وبين الرجل لنعرفه ونعلمه فعندها قال عنتر يا شيبوب الحق
الرجل صاحب النوق ورده فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب وما كان الا شئ قليل فأتى وهو متغير
اللون فقال له عنتر لا بأس عليك اشرح للملك قصتك وأوضح له نوبتك فشرح له الذى جرى وكيف

أوصل

أوصل حبله بحبل عبده ميمون وأسقى ابله واتصال الحبل بالحبل ذمام والتماس الطنب بالطنب طنب
فقال عنترا فعل مابدالك فعند ذلك ركب قيس واخوته والربيع بن زياد واخوته القوادون وسار
عنتر معهم حتى وصلوا الى بنى فزارة ومازالوا الى ان أقبلوا على سرادق حصن فترجل الملك قيس
والربيع وسار بنو عبس فتلقاهم حصن وبنو فزارة وسلموا على بعضهم البعض وجلس قيس والى جانبه
حصن بن حذيفة والربيع واخوته فى الجانب الآخر وحضرت سادات بنى فزارة وسنان بن أبى
حارثة ومنصور بن عقبة ودريد الفزارى والرجل صاحب النوق وقالوا لعنتر انزل عن جوادك
للمحاكمة فقال أنا ما أنزل ولا أحاكم الا على ظهر جوادى ثم حكى الرجل صاحب النوق ماجرى
فقالوا كلهم ياعنتر تعديت على بنى فزارة وليس اتصال الحبل بالحبل ذمام ولا فعل ذلك أحد بين
الانام ولا من العرب الكرام وكان يقول هذا المقال والكلام لسنان بن أبى حارثة فقال عنتر وأنت
تقضى بيننا والله انك خصم على كل حال وأنا أقسم عليك بذمة العرب وبشهر رجب لعل
ماسمعت أن عامر بن لؤى جاز بديار قيس بن هودة يستقى الماء على البئر فأذن له باتصال الحبل
بالحبل فأوصله وأسقى ابله ومضى وبعد مضيه خرجت عليه رجال من العرب فأخذوا نوقه وجماله
فرجع عامر بن لؤى الى قيس بن هودة وشرح له ماجرى وقال أنا فى ذمامك وما أعرف نوق الا
منك فسار قيس بن هودة وردّ النوق الى صاحبها وقد لزمه مثل مالزمنى وان قالت العرب بأن اتصال
الحبل بالحبل ليس بذمام فأنا أجعله من اليوم ذماما لانى من القوم الذين يلبون الصائح ويمدحون
المدائح فان عارضنى على هذا معارض أخذت رأسه وأخذت أنفاسه ثم بعد ذلك ردّ رأس جواده
وعاد فلم يجسر أحد أن يعارضه ويكلمه فقال حصن بن حذيفة يابنى عمى اسمحوا لى فى هذه الفعال
وماطلب عنتر بهذا الاحسن ذكرنا بين العرب فاشهدوا على أنى قد أجريت ذمامه وقد قبلت كلامه
على أن هذه النوق مادخلت فى ماله ولا أخذها ولا طلب الاحسن الشيم وان كان يادريد يفعلك
هذا خذ منى عوضها نوقا وجمالا ولا تقم الحرب بيننا وبين عمنا فأبى دريد أن يأخذ منه عوضها
وكان حصن قد خاف أن يوقع الحرب مع عنتر فيبذل فيهم الحسام ولا يبقى منهم لا شيخا ولا غلام * قال
ورجع عنتر وقد فاز بالذكر الجميل وكان معه الحرث أخو الملك قيس فقال عنتر للحرث أراد
أخوك قيس أن أذل لبنى فزارة وهم عتقاء سيفى فقال الحرث لله درك من همام ياسادة يا كرام فهذا
ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الغلام مالك بن واقد فان الدنيا لم تسعه من شدة الفرح لما وصل
سالما من عبر الزمن ومعه ثلاثمائة ناقة وأربعون عبدا قد كسبهم من ناحية أرض اليمن فلما دخل
الى أمه قامت اليه واعتنقته وبكت عند لقائه أشد ما كانت تبكى عند غيبته لانها كانت أيست منه
ولبست ثياب السواد حزنا عليه ولما رأته طفت بلاقاته نيران أحزانها وشكت له ماجرى فى أيام دهرها
وزمانها وما عمل أبو الجارية فلما التفت اليه ولا سأل عنه لان عاد المنزلة يغير طبع الانسان ويلبسه
من حال التكبير ألوان * هذا والغلام قد أخذ يسأل أمه عن ابنة عمه وماجرى بعده وقال لها فى آخر
كلامه ياأماه أبصرت اليوم اعمى سرادقات وهمة واهتماما ما كنت أبصرها قبل هذه الايام فقالت
أمه وقد بكت ياولدى لان غيبتك قد طالت على عمك فزوج ابنته لغيرك ثم ذكرت له قصة حصن
ابن حذيفة وماجرى له ولابى الجارية وكيف عاد من عنده بالخلع والمال والنياق والخيول وحدثت
بالحديث الى آخره فلما سمع الغلام هذا الكلام غشى عليه حتى غاب عن الدنيا وانهل دمعه وجرى
وترك يده على أحشائه وقد خفق من شدة ذلك فؤاده وصار يقول واحسرتاه كيف ضاع تعبى والعنا
فيا ليتنى نهبتنى أطراف القنا ولا عدت سالما من الاعداء على أننى وحق من رفع السماء ما أترك

ابنة عمى تخرج من الاحياء حتى أتقطع بشفار السيوف وأبقى طريحا على البطاح فقالت له أمه وقد زادها البكاء خوفا عليه من القتل والله يابنى ما بقى لك الى الجارية سبيل مادام انها قد تزوجت بهذا الملك الجليل وان أنت حركت من أجلها ساكنا هلكت لانك رجل غريب وحيد فقير قليل السعد خائب المنى وحصن بن حذيفة ملك كبير والصواب عندى انك تسلو عنها وتتزوج بغيرها من البنات وأنا والله أزوجك بأحسن منها وأوفى قيمة ولا تعدمنى شخصك وتدعنى أبكى عليك الليل والنهار فقال الغلام والله لا أتزوج بغيرها أبدا ولا أشمت بى أحدا من الاعدا ولا بد لى عند الصباح أن أمضى عند خالى عنتر بن شداد الذى من أجلى أمن أباها وأعطاه الذمام وأنزله فى هذا المكان والبلاد وأحدثه بقصتى وأشكو اليه مصيبتى فان هو نصرنى على هذا الظالم الغدار والا هممت على وجهى فى البرارى والقفار ولا أرجع أذكر نوارا حتى أموت منفردا عن الاهل والجوار ثم انه بات تلك الليلة يتقلب على الفراش يمينا وشمالا ويلح على أمه فى السؤال وهى تكرر عليه ما جرى وتخبره أن نوارا غير طيبة القلب بهذه الفعال وانها تبكى عليه فى الخلوات وتذكره فى سائر الاوقات وهو كلما سمع كلام أمه زاد به الطمع ووكف طرفه ودمع وكلما طال عليه الليل يجرى دمعه على خديه كالسيل ويعاتب أمه ويشير عليها ويقول صلوا على طه الرسول

عللينى يا أم بالتذكار * واطفئى للجوى بذكر نوار * واذا الدمع خاننى فاسعفينى
بدموع من مقلتيك غزار * طال ليلى وقد تيقن قلبى * أننى لا أرى ضياء النهار
ليتنى مت فى بلاد الاعادى * أو قتيلا بالسيف تحت الغبار * يا حمام الاراك كن لى معينا
مسعدا بالحنين فى الاسحار * أسعدينى اذا تنوحى بليل * للمعنى الحشا البعيد المزار
فدموعى تروى الظماء وتطفى * ما أكنته من لهيب النار * جارعمى ظلما ولم يبد عذرا
خاب ظنى فى الظالم الغدار * وتعدى وجار بالشؤم جورا * قد يؤدى الى خراب الديار

(قال الراوى) ولم يزل على مثل ذلك حتى طلع الصباح وأشرق فى الاقطار ولاح وركب وسار الى جهة عنتر فلما وصل اليه ودخل عليه فى المضرب وهو من الهوى يتحسر ويتلهب فلما رآه سلم وخدم وأراد أن يشكو حاله اليه فسبقه الدمع وجرى على خديه ولما أبصره عنتر عرفه وهنأه بالسلامة وترحب به فرأى دموعه جارية وحسراته متتابعة فسأله عن حاله فباح بأسراره وحدثه بقصته وما تم له من أوله الى آخره وقال له فى آخر الكلام يا أبا الفوارس ما شكوت اليك أحوالى الا وقد أشرفت على الهلاك وما أقاسى من ألم الهوى وتباريح الجوى فلما سمع عنتر هذا الامر ضاق صدره ونفد صبره وسب حصن بن حذيفة وبنى بدر وأبا الجارية كيف مالت نفسه الى كثرة المال وقال عنتر لما لك طب نفسا وقر عينا فأنا آتى بها اليك وأزفها عليك وان حرك حصن ساكنا أسقيته كأس حمامه ثم أحضر له شيأ من الطعام وترفق به فى الكلام وطيب قلبه ثم ان عنترا أحضر مقرى الوحش وعروة وجماعة من الرجال الذين يعتمد عليهم فى المقال وطلب بذلك أن يأخذ رأيهم فيما يفعل فلما حضروا ورأوا الغلام قد عادسالما فسلموا عليه وسألوه عن حاله وما الذى جرى له فحكى لهم عنتر عما جرى بينه وبين عمه وكيف غدر به وزوج بنته الى حصن بن حذيفة ثم ان عنترا شاورهم عما فى ضميره وقصده فقال له أبوه شداد والله يا ولدى ما هذه الا قصة مشكلة وربما تكون عاقبتها غير محمودة مهملة لاننا ان أحضرنا أبا الجارية وعاتبناه على فعله ضيعنا ما عملناه من الجميل كما تعلموا ان الرجل صعلوك وقد وقع لبنته على ملك من الملوك وربما احتج علينا ويقول ان ابن أخى قد طالت على غيبته وأيست من قدومه والبنت مالها الا الزواج وربما يحتج علينا بذلك غاية الاحتجاج

وان

وان أخذتها غصبا أقاموا علينا الغارات ووقعت الفتنة بين بني عبس وبني فزارة ويصير الناس كلهم علينا ويقول حصن ان عنترا سبى زوجتي وأخذها من بين أيدينا وأعانه الملك قيس على حربنا ونبتلى بشئ لا نطيقه ولا نقدر ندفعه عنا وينفتح علينا باب لا يسد وهذه الامور التي تجلب الشر مايطا وعنا عليها أحد وان بلغ أبا الجارية اننا قد انفذنا من أجل ابن أخيه رجلا الى بني فزارة وأخذ الجارية فانه يأتي الى حصن بن حذيفة ونبقى نحن ما نقدر لهذا الغلام على نصرة ولا نجلب لقلبه فرحة وهذا الامر لا يخلو من هذه الوجوه واني قد شرحت لكم شيأ تعرفوه * قال فلما سمع عنتر من أبيه هذا الكلام زاد به الغيظ وقال يا أبت وحق من أرسل الاعلام ويعلم ما تخفي الصدور والاوهام وأحصى عدد الليالي والايام لا كسرت قلب الغلام ولا خذن له ابنة عمه ولو سار بها أبوها على ظهور الغمام وها أنا صابر ولا أتحرك بحال من الاحوال ولا أطلع أحدا على هذه الفعال حتى يتنجز أمر هذه الجارية وتزف على حصن ولا يبقى كلام فعندها أخرج أنا وآخذها من الطريق وكل من مانع عنها حلقت رأسه بهذا الحسام واذا صارت في خيامنا منازعة فيأتي كل من في الدنيا يأخذها مني ويعرف أحواله وما تكون ومن هو الذي يخسر ومن هو الذي أمره يهون وعندها قال لهم عنتر لما كنت أنا وأنتم في دعوة أبي الجارية وذكر لنا انه زوجها لهذا الغلام من قبل مضيه وانه قد توجه يأتي بمهرها ويأخذها فلا أرى شيأ يغدر به ويمنعه عنها فقال الحاضرون بلى والله يا بالفوارس كان ذلك من غير ريبة ولا خيفة ولكنه غدر لما وقع له مثل حصن بن حذيفة وطلب كثرة المال وعلو الجاه وأمل أنه اذا صاهره يعيش تحت عزه (يا سادة) فقال عنتر ان كان قصده المال فأنا أعطيه كل ما يريد وان كان قصده الجاه فأنا أجيه بسيفي هذا من كل من لبس الحديد وان كان غدر بابن أخيه من غير سبيل فأنا أعيده على الحق ان أراد وان لم يرد وأكثر ما يقول لي الملك قيس ارحل عن أرضي وافعل أنت وغرماؤك ما تريد ثم انهم قضوا بقية ذلك اليوم بشرب الراح وتناول الاقداح فلما كان عند الصباح قال عنتر للملك عد أنت الى أبياتك ولا تكن بهذا الامر نادما ولا تقبح على عملك فعاله ولا تظهر لاحد انك صعب عليك أعماله واذا كان يوم الزفاف وابصرت بني عمك قد اشتغلوا بأمورهم فاتركهم وهم مشتغلون في فرحهم وسرورهم وأت بأملك وكل أموالك الى ههنا وابشر بعد ذلك ببلوغ المنى فباس الغلام يده وصدره وشكره على قوله وقد انجبر به كسره (يا سادة) وبعد ذلك بأيام تنجز أمر الجارية وانقضى الاجل وأنفذ لها حصن الهوادج وأيضا أنفذ أعلم الملك قيس واخوته والى الربيع بن زياد وعشيرته يعلمهم بقصته ويسألهم أن يشرفوه ويحضروا وليمته فعجبوا من ذلك وقال الربيع ما هذه الفعال فنحن ما كان في نسائنا ونساء بني فزارة من يرد حصنا عن هذه الاحوال حتى يتزوج من هؤلاء الكنانيين ويخالطهم بأنسابنا ويجعل أحسابهم متصلة بأحسابنا فقال الملك قيس لا ربيع لا تستقبح هذه الامور ومعانيها لان حصنا على كل حال صبي وربما يكون أبصر الجارية اتفاقا فهوى بها ثم تجهز في ساعة الحال وسار هو واخوته وجماعة كثيرة من عشيرته وأعرضوا على عنتر ان يسير هو وأعمامه فما أجابوا الى ذلك لان عنترا عازم على ما قد منا من أموره ومرامه فقال الملك قيس اني أخشى من الامور الحادثة وأنا أعلم أن بغضتي لا تزول من قلب حصن وسنان بن أبي حارثة ولا أشتهي أحضر مع من لا يريدني طول زمانه ويكرهني ومن حتى يريد أن يطردني فعذره قيس وانطلت عليه تلك الوسيلة وسار الملك قيس الى بني فزارة وولده زهير امامه في جماعة من فرسانه والكل بالثياب الملونة من الديباج المعلمة بالذهب الوهاج (يا سادة) فلما تمادى بهم المسير ولم يعلموا بعدهم ما تحدث به المقادير فخرج بعد ذلك عنتر وكمن خلف الحي في جماعة من الذين يلتجؤا اليه وقال لابيه شداد

وأعمامه اعلموا ان هذا الامر الذى عوّلنا عليه اذا نحن فعلنا ما يبقى لنا فى هذه الارض مقام فنريد أن ندبر
أنفسنا فيما عزمنا أن نفعله من المرام لان بنى فزارة والربيع بن زياد ناس كثيرون اللجاج واذا أبصروا
فعالنا يغزوا علينا وكذلك الملك قيس وحصن بن حذيفة ربما انهم أرادوا ان يوصلوا الاذية الينا والرأى
عندى انسا نرحل بالمال والعيال بين أيدينا ونأمر العبيد أنهم يبعدوا فى البر بالجميع ونبقى نحن على
ظهور الخيل مختفين منتظرين لما يأتى الينا سريعا الى أن تزف العروس وتقدم الى بنى فزارة نطلع نحن
ونأخذها ونلحق أهلنا وكل من لحقنا أنزلناه عليه الذل والخساره حتى لا نكون قد أنزلنا قوما فى أرضنا
ولا يقال عنا انا سبينا حريمهم واذا ملكنا الجارية فى أيدينا نزلنا على بعض الاماء وزفيناها على ابن
عمها ولا نعود حتى لا يقبل الملك قيس له حجة على حصن اذا عتب عليه فى ذلك الامر ويقول يا ابن العم
ان الذى فعل هذه الفعال قد خرج من تحت طاعتى وعصانى فى كل الاحوال فدونك واياه وجد
فى طلبه من غير تقصير وان ظفرت به افعل به ما تريد (قال الراوى) فلما سمع منه أعمامه هذا
المقال أطاعوه وعلموا أنه صواب واحتاجوا أن يتبعوا رأيه فيما أبدى لهم من الخطاب ولا يقيموا بعده
فى الديار فتغدر بهم بنو فزارة ويقطعوا منهم الآثار فقال لهم شيبوب والله يا بنى الاعمام هذا هو
الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب وانى أردت أن أشير عليكم بهذا الكلام فسبقنى أخى اليه وان
كلامه هو المعوّل عليه ثم انهم بتوا أمرهم على ذلك الحال وأخذ شيبوب المال والعيال ورحل بهم فى
الليل وجعل يذهب الارض نهبا الى أن وصلوا الى مكان يقال له مسارح الظبا وكان معه مائة فارس
وبقيت الابطال وهم أربعمائة فارس من الرجال الشداد لاننا قد ذكرنا قبل فى هذا الديوان ان بنى قراد
عددهم ثلاثمائة فارس أنجاد وهم أبطال أفيال شداد وكانت رجال عروة مائة فارس وانضاف اليه
عند مجيئه مائة فارس (قال الاصمعى) وعند الصباح وصل اليهم ذلك الغلام الذى هو مالك بن قادم الذى
طلعت من تحت رأسه هذه الامور العظائم فسأله عنتر عن الزفاف فقال له يا مولاى قد نجز الامر وما
بقى فيه خلاف وما خليت القوم الا على نية الرحيل عازمين بالعروس على الجد والتحويل وقد
وصل اليهم سنان بن أبى حارثة ومعه خمسون فارسا من بنى فزارة احترزوا من أمور تكون عليهم
حادثة والكل بالسلاح الكامل يريد بذلك الزينة وأما العروس فقال له عنتر اليوم اصبحهم
صباحا منحوس وأشتتهم فى البرارى والقفار وآخذ منهم العروس ومن عصى قتلته وأنزلت به العكوس
(يا ساده يا كرام) ثم ان عنترا صبر حتى أضحى النهار وعلم أن القوم قد انفصحوا فى القفار فركب هو
ومقرى الوحش وعروة بن الورد ومن معهم من الرجال الذين هم مدخرون للشدائد والاهوال الذين
قد مناذكرهم قبل هذه الاحوال وكانوا خرجوا كلهم يطلبون الصيد والقنص وهم يؤملون انهم
يبلغوا ما يرتجوه من الفرص الى أن بعدوا عن ديارهم فى البر والقفار فعند ما لبسوا السلاح ومدوا
صدورا لزرد وتسربلوا بالحديد المهند ركضوا على آثار بنى فزاره وهم يريدوا أن يأخذوا منهم
العروس ويوقعوا بهم الذل والخساره فلحقوهم وقد بقى بينهم وبين ديارهم فرسخ طريق وكان سائرا
فى المقدمة من غير تعويق ومن خلفهم الهوادج والنياق ومن حولهم العبيد بالدرق الرقاق
والسيوف الرقاق والرماح الدقاق وأقبلت الدنيا من فرحهم بالصباح والزعاق والجارية نوار جالسة
فى هودج مجلل بالابريسم الاخضر وكذلك الهودج دائما من العرعر وهو مصفح بصفائح
الذهب الاحمر ومكلل بالدر والجوهر وهو على بعير أحمر أسود الحدق طويل العنق وهو مخطم
بخطام من حرير ابريسم وذلك الزمام بيد عبد أدهم أدغم والجارية من داخل الهودج باكية حزينة
على ابن عمها ومن حولها أقاربها وقومها وهم بالزينة الفاخرة والحلل الظاهرة وهم بالعدد

الكاملة

الكاملة والزينة الشاملة وهم يطردون فى تلك البطاح ويتطاعنون فى مسيرهم بالرماح وقد أكثروا الفرح والصياح (قال الراوى) لهذه الاقوال الصياح وكان حصن بن حذيفة قد لبس ثيابا جميلة وتطيب وزين أحواله وركب على حجرة أبيه الغبراء وهى بمركب الذهب والاعلام على رأسه تلتهب والفرسان من حواليه دائرة وهم يرقبون الى حضور العروس ووصوله فلما أبصر عنترة الى تلك الاحوال قال لعشرين فارسا من أصحاب عروة الابطال دونكم وهؤلاء العبيد افرشوهم على وجه الصعيد وابذلوا فيهم السيوف وأسقوهم شراب الحتوف وسوقوا العروس هى ومن معها من الاماء والحقوا بأخى شيبوب الى مسارح الظباء ودعونا نحن نرد عنكم الخيل واذا عادت نتبعها فعمل ذلك رجال عروة حتى قاربوا العبد القائد بزمام ناقة العروس ضربه أحدهم على عاتقه بالحسام البتار واذا برأسه عن جسده قد طار وقتل أصحابه جماعة من العبيد وهرب الباقى فى جنبات البر والعبيد وتقدم مالك بن قادم وأخذ بزمام ناقة بنت عمه وقد زال عنه همه وغمه وسار وتبعه باقى الرجال الاخيار وساقوا النوق والاماء والهوادج ومن فيها من النساء الاحرار (قال الناقل) لهذه الاخبار فعندها بلغ الخبر الى سنان بن أبى حارثة من العبيد بهذه المصائب الحادثة فظن أن الذى فعل هذه الفعال خيل غائرة فركبوا الجنائب لينظروا من أين أتتهم هذه المصائب ثم انهم هزوا بأيديهم عوامل الرماح وجدوا الى أن تقاربوا واذا وقع بينهم الصياح فتقدمهم سنان فعرف عنترة بن شداد وعرف الدين بصحبته من بنى قراد وكذلك رجال عروة الاجواد فوقف سنان وقال ما هذه الاحوال يا بنى الاعمام سكارى أنتم أم عقولكم قد اختلت أو أنتم فى منام يا ويلكم تسبوا حريم حصن وساداتكم فى وليمته وتجددون الدماء بين القبيلتين وتحوجونا الى الشر واقامته وهذا ما نريده منكم وانتم تعلمون ان النساء الى الآن ما خلعوا عنهم ثياب الاحزان فقال عنترة نحن ما نسبى حريم أحد يا سنان ولا فعلنا هذه الفعال الا لاجل أبى الجارية الذى ظلم وفعل بئس الفعال وزوج بنته لابن أخيه مالك وقد شهد على نفسه بذلك وذكر أنه قد غدر به وشمت به أعداه وذلك لما أتيت أنا به وأنزلته فى جوارى وأمن هو وقومه لكونهم أقاموا فى ديارى ومضى الغلام يتسبب فى شئ يرضى به عمه من غير علمى وكان ذلك حظى وقسمى قد أتيتم أنتم وفعلتم هذه الفعال ورغبتم أبا الجارية فى وزن المال وتزوج بها حصن وطلب بذلك رغامى وهذا شئ ما أتركه يتم على من أعطيته ذمامى ولابد لى أن أعيد السيف الى أقاربه وأعطى الحق الى أصحابه وأقابل الظالم على فعاله ومن ركب على غير طريق الحق جازيته على أعماله بهذا الحسام ليرجع الى طريق الحق والانصاف فارجع أنت يا سنان ودع عنك كثرة الفضول والاعدت وأنت مرغوم مذلول (قال الراوى) فلما سمع سنان هذا المقال حار والتهب ولحقه الانبهار وخاف أن يطول فى المقال فيقتله عنترة قتلا وكتم أمره حتى كأنه ما علم بالخبر وقال له يا ابن العم أنت وشأنك أخبر ونحن ندعك يا أبا الفوارس تكون فى هذا الامر محكما حتى اذا رأيت عاقبته مذمومة ورأيت أنت نفسك فى الخطر تندم حيث لا ينفعك الندم لانك قد أغضبت القبيلتين اللتين أنت منهما وفعلت هذه الفعلة التى كنت غنيا عنها وأرضيت رجلا غريبا وأهجت الفتن وانى أخشى عليك من هذه المصائب والمحن (يا ساده) فقال عنترة يا سنان وحق ذمة العرب وفضائل شهر رجب والرب الذى اذا طلبه كل العباد غلب ما يحل الندم الا بك وبقومك أجمع اذا أنتم وقعتم فى ملاقاة الاسد الادرع أما أنت شاهدت وقعاتى فى بنى فزاره وما فعلت فيهم من العبر وكم مرة رددتها بأذيال الخساره وكم أهلكت منهم من فرسان وما فيكم من قدر على سيف ولا سنان ومتى رفع اليكم بنو العرب رأسا يا أخس الاجناس ويا ابن ألف قرنان ثم انه من شدة الغيظ الذى نزل به

أشهر الحسام وهم أن يهوى به اليه فلوى سنان عنان جواده وطلب العودة من غير خصام وعادت فرسان بنى فزاره وعاد عنتر وقد أشفى فؤاده بالكلام وأما أبو الجاريه فانه خاف أن يرجع الى بنى فزاره فيحل به ماحل بهم من الخساره فجمع أصحابه وتقدم الى بين يدى عنتر وبكى واشتكى وقال يا أبا الفوارس لاتظن انى فعلت هذه الفعال وانما أنا غضبت عليه فأنفذ الى حصن يقول لى ان لم تزوجنى بنتك والا أخذتها غصبا لانى صاحب هذه الارض والوادى والقوم الذين أنت نازل عليهم هم عندى وفى بلادى وكان أيضا ابن أخى قد سافر وطالت غيبته وقد أيست منه وخفت من اثارة الفتنة من جهته وأنا رجل غريب عن الاوطان فزوجته بالجاريه لعل أن تنطفى هذه المحن والآن ابن أخى أحب الى مادام قادرا على حمايتى وهو أحق ببنتى من غيره فقبل عنتر عذره وفعل معه فعل الرجل الكريم وقال له الحق أنت وقومك بالهودج والحريم ولاتخف من كل من فى الارض ولا من ملوك سائر الاقاليم (ياساده) فعادسريعا يركض خلف الهودج والنوق وقد رأى من عنتر مالم يره من مخلوق وعنتر يقول لابيه وأعمامه كان الصواب القبض على سنان أوقتله لانى أعلم أنه يعود الى بنى فزاره ويملأ قلوبهم علينا ويحثهم على النفور الينا ثم انهم ساروا وقد بلغوا المقصود وأملوا انهم يرزقون النصر من الملك الودود ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر سنان بن أبى حارثة فانه لما فارق عنترا ركض وجد فى المسير مقدار فرسخ وهو سكران من شدة الغيظ ولم يزل حتى أشرف على بنى فزاره فرأى حصنا وهو راكب على حجرة أبيه الغبرا وعليه كما ذكرنا حلل الجمال وحوله موكب كبير من الرجال وقد تباهى بالزينة والملبوس وقد ظهر الى خارج الخيام فى انتظار العروس وفرسان بنى فزاره عن يمينه وجماعتهم خلفه والربيع بن زياد وجماعته عن شماله وهم فرحى ببلوغ آماله ولما رآهم سنان وقرب منهم صاح وصار يقول أدركونى ياسادات العرب فقد ذهبنا وتعدى علينا هذا العبد الانكد فالعجل العجل قبل مايبلغ مناه هذا العبد ولد الزنا الاهل ﴿قال الراوى﴾ ومازال على مثل هذا الحال يكثر العتب والمقال حتى انه صار مع القوم فتبادروا اليه وسألوه عن حاله ومادهاه فأعاد عليهم ما فعل عنتر وكيف أخذ العروس وتجارى على هذا الامر المنكر ولما انتهى مما أعاد عليهم من تلك الاقوال القباح تبدلت أفراح القوم أتراح وعلا من الرجال الضجيج والصياح وأما حصن بن حذيفة فانه غاب عن الوجود ونضجت من شدة الغيظ الكبود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وأما الربيع بن زياد فقال لعن الله الاصل المفسود لانه أبد الدهر لايرفع ولايسود وأبصر الملك قيس ماجرى على حصن فطيب قلبه وخفف عنه ما اعتراه من كربه وقال وحق ذمة العرب ان هذا الولد ابن زنا وقد عدل عن طريق الاستوا ومابقى له بعد هذه الفعال الا السيف دوا ثم انه استشار الربيع فيما يفعل حتى ينظر مابيديه من كلامه فقال له مافى الامر الا أننا نعود الى الحلة حتى اننا نطبق على هذا الولد فى خيامه ونقبض عليه ونبدل بالذل اعزازه ونضرب من هؤلاء الكنانيين خمسة رؤس ونرد بعد ذلك على حصن العروس وبعدها فأنت الحاكم على هذا العبد الشرير ان شئت تدعه عندك أسيرا وتجعله دائما يطحن الحنطة والشعير وان شئت أبعدته ونفيته عن الحلة وتترك فرسان العرب تقصده وتأخذ ما لها عليه من الدماء أو يرجع اليك ويلزم ما كان فيه من رق العبودية ويتوب عن فعاله الردية فقال الملك قيس هذا هو الصواب ثم أوعد حصنا عما دار بينهم من الخطاب ثم ان الملك قيس عاد الى حلته وفى قلبه لهيب النار ومازال يفكر فيما يفعل حتى انهم أشرفوا على الديار فرأوها من عنتر بلاقع بلاقائل ولاسامع فقال الربيع هاقد عرف القرنان مايجرى عليه قبل أن نقربه وحسب الحساب قبل أن نحسبه ومابقى فى الامر الا أننا نرسل الى حصن نعلمه بهذا الحال وندعه يطلبه

بكل ما يقدر عليه من المراكب والابطال ثم انه أرسل بعض غلمانه الى حصن يخبره بهذا الخبر ويقول له يا ابن العم اعلم أن دهمك حلاز ومساح ونحن نعينك عليه بما نقدر عليه من الرجال والسلاح ولما وصلت هذه الرسالة الى حصن زاد بلاؤه وهانت عليه الاهوال واظلم على وجهه وقال لسنان يا عماه انظر ماذا تعمل معي والا انقطع من الدنيا مطمعي فان هذه الجارية ان لم تأتني ذاب جسدي وتفتت كبدي فقال سنان والله يا ولدي ان في قلبي من الهم أقوى مما في قلبك من هذا العبد ولد الزنا وان لم أحرص على هلاكه عند قلة ناصره مت كمدا ولا يدري بموتي أحد لانه رجل في دون المائتين فارس ورأيته سائرا الى ناحية مسارح الظبا وقد رحل رحيل من لا يرجع وما دام قد تخلى عنه قيس فاني عند الصباح أسير خلفه بجمع من الرجال وأرغم أنفه لعلنا نكاثره ونذيقه الوبال ونسبي حريمه ثم انه نادى بين الخيام والاطناب وأمرهم بأخذ الاهبة للطعان والضراب وبات حصن في نار الالتهاب فلما كان عند الصباح ركب واعتد للكفاح وخرج خارج الخيام وفي دون ساعة عقدت على رأسه الرايات والاعلام ودارت به الرجال من كل جانب ومكان ولحق به كل بطل همام وسار سنان في المقدمة وهو طالب الى مسارح الظبا وقد تكاملت الجيوش أربعة آلاف فارس من كل مدرع ولابس كأنهم الاسود العوابس هذا وحصن سائر امامهم وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ضنا في العشق يا سادات بدر * ففكوا بالسيوف وثاق أسري * أعينوني ببيض مرهفات
وأطراف من اللحظات سمر * أتسبي زوجتي وأبي وجدي * وتخشى العار في سهل ووعر
فوا عجباه كيف يذل مثلي * خميس الاصل عبد غير حر * وملك طيبة رشقت فؤادي
بسهم لواحظ كحلت بسحر * فتانة في القلوب لها لهيب * يذوب له الحشا من غير جمر
سأترك في ديار بني قـــراد * عويلا دائما في كل فجر * على العبد الذي أضنى فؤادي
وأسهر مقلتي وأطال فكري * فان صدتني الايام عنه * وحال بسيفه في آل بدر
طلبت الموت بالسمر العوالي * كما قدمات قبلي كل حر

(قال الراوي) وسار وا يقطعون الارض ركضا وأي ركض ويجيبون نهارها وخفض على ذلك الترتيب وقلوبهم تغلي بالمصائب والحداد على عنتر بن شداد * قال وكان عنتر لما ملك العروس وسلمها الى ابن عمها وعاد عنه سنان سار وهو يسوق الهوادج والمال والحريم والنساء حتى وصل الى أخيه شيبوب وقت المساء ونزل في أرض مسارح الظباء وطابت قلوبهم على بني كنانة وعادوا الى ما كانوا عليه من الذمام والامانة وفرحت الجارية بابن عمها وقد زال عنها همها وغمها وتكلم أبوها في زفافها فقال عنتر ما هذا محلا نتهنى فيه باعراس ولائم ولا نقدر على المقام في تلك الاطلال والمعالم لان بني فزارة عن قريب يغزونا وسنان بن أبي حارثة يجمع الجموع علينا والصواب اننا نبعد عن هذه الديار ونبطن في الهوات القفار ونفعل بعد ذلك ما نحب ونختار ولكن ما نرحل من ههنا حتى نكسر خيلهم ورجالهم ونبدد أبطالهم وأقيالهم ونرد فرسان بني فزاره وهي معلقة باذيال الخساره لاني أنا أعلم انهم عند الصباح يكونون عندنا لاني أعرف حماقة حصن ولجاج سنان لانهم يطمعون في انفرادنا وقلتنا ولا بد لي أن أؤثر في بني فزارة أثر واتركهم في أذيال الخسارة والعبر ثم انه رتب عروة بن الورد وعشرين فارسا للحراسة من الطارق والوارد وسار هو الى بنت عمه عبلة وبات عندها حتى مضى الليل واذا قد طلعت عليهم نواصي الخيل لان المسافة كانت بينهم قريبة وكان سنان سار في بني فزارة ذلك اليوم وأرفق في المسير حتى تلاحقت بهم الفرسان ولما كان وقت المساء أمر الناس بالنزول والراحة الى وقت السحر ورحل

فوصل الى مسارح الظباء عند الصباح وعند وصوله ارتفع من أصحابه الصياح وعلت الاقطار من بريق الصفاح فعرف عنتر حقيقة الحال وقال هذا الحساب الذى حسبته واليوم ألحق حصنا بأبيه وأعمامه وأعرفه كيف يكون على قومه شؤم طلعته ثم انه ركب على ظهر مهره كوكب بن الابجر وكان قد لبس الدرع وتقلد بسيفه الضامى الابتر واعتقل برمحه الكعوب الاسمر وقال لفرسانه الذين كان يعتمد عليهم دونكم يا بنى عمى وهؤلاء الاذلال القليلين الخبرة بأمر القتال ولا تطعنوهم الا باعقاب الرماح لان دماءهم علينا حرام لما بيننا من حرمة النسب والذمام ولكن عرفوهم قدرهم واقبلوهم على بغيهم وغدرهم ثم انه حمل على ظهر مهره كوكب وزعق فيه فاشتعل والتهب وطار بلا جناح ولا مال ولا تعب ودعس فيهم دعس النمر الاغلب وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أنا البطل النـدب يوم الكرب * اذا نشط القوم طعن القضب * أشط الرماح لنحر النحور
وأغمد فى الهام بيض الشطب * وأرعى لجارى حق الجوارى * وأردى العدو رهين التـرب
ترومون ظلمى بأفعالكم * وشرط الظلوم عناد العرب
وان لم أخلى لهيجانها * فلست ابن شداد شجاع العرب

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من انشاده حمل وتبعه مقرى الوحش وعروة بن الورد وحملت الرجال الذين كانوا معه وفى ساعة الحال اختلف الطعن واشتد القتال وعرف الادبار من الاقبال وعظمت الرواجف من شدة الزلزال وطاش العقل وزال وبطل حكم البراح والنزال وصار مهر عنتر يهمز من تحت الغبار كهمزات الغزلان ويسطو عليهم حتى انهم طلبوا منهم الانفصال وعنتر يطعن فى خواص الرجال ويعدد الابطال على الرمال وما زالت الطائفتان فى القتال حتى عول النهار على الارتحال فعند ذلك انهزمت بنو فزاره وعادت تعترف باذيال الذل والخساره لانهم أبصروا عنترا بين أصحابه يطعن بأعقاب الرماح فى القتال فعلموا انهم ما خطروا له على بال فتقطعت لذلك ظهورهم واحتاروا فى أمورهم وعلم حسن بن حذيفة بتقصيرهم فأيس من العروسة وكاد من شدة ما جرى عليه أن يهلك نفسه وهم أن يخرج من تحت الاعلام ويقاتل مع الفرسان فى الصدام فمنعه من ذلك سنان وخاف أن يصيبه عنتر فينزل به الهوان فقال له يا ولدى اصبر ولا تخاطر بنفسك فيهلك هذا الشيطان ودعنا نصادم هؤلاء الشياطين الى وقت المسا ونبايتهم الى غداه غدا وترى ما أفعل بهم من الذل والاسا لاننا لما أقبلنا عليهم علمت انهم يقصرون عند مقابلة عنتر وان لم تبسطوا عليهم لا ننصر ولا نظفر وأنا ما سرت بهذه العساكر الكبيرة الا لاتبع الغرض حتى اننا حلت بنا من العبد هذه الامور الخطيره وانى قبل مسيرى أرسلت الى بنى عمى هاشم بن حرمله وأوصيته أن يلحقنا بمن يقدر عليه من فرسانه المتحمله وأقول انه يدركنا عند الصباح وان بقينا على ما نحن فيه مع هؤلاء القوم من الحرب والكفاح فالزم أنت ناموس الملك وقم تحت الاعلام ودعنا نحن نبذل المجهود فى هؤلاء الاوباش اللئام (باساده) ولما فرغ سنان من هذا التدبير والمرام قال له رجل من قومه يقال له أبو حامد يا سنان ومن يقدر أن يقيم الى غداه غد وحق القديم الماجد ان أقمنا الى غد ما يبقى منا ولا واحد ولا يقدمنا الا خجل لا يخاف الفحول ولا يثبت بين يديه الا من يصبح أسيرا مذلول والصواب اننا نطلب منه الامان ونترك له العروس ونعود والا نحق عددنا هو ومن معه من هؤلاء الابطال والجنود ولا سيما هؤلاء الرجال الذين لم يخطر لهم الموت على بال وكل واحد منهم يعد بفرسان وقبائل فقال له سنان أذل الله رقبتك يا أبا حامد ما أخبثك فلا تجوت من الشدائد ولكن وحق الرب القديم الواحد لا رجعت عن هذا الامر حتى أبلغ ما أنا قاصد وسترى بعينك وتشاهد ثم انه صاح فى الرجال وحثهم على القتال

فقاتلوا

فقاموا حتى غسق الظلام ذن النهار بالانصرام فرأوا في ذلك الوقت من عنتر طعنات تحير الافكار وتذهل الابصار وبقوا لم يعرفوا ما مأتى لهم من الاخبار فولوا الادبار وطلبوا منازلهم والديار وقد ألهبهم عنتر بالطعن والضرب وعروة بن الورد ومقرى الوحش فد فرقهم شرقا وغرب ونجا حصن على فرس أبيه الغبراء وقد غاص في البيداء وهو لا يصدق بالنجاة ولا أن يرى روحه سالما من الاعداء

(ياساده) وكان قد انجرح جماعة كثيرة من بني فزاره وبقوا مجروحين على وجه الثرى وباتوا في تعب من أثر الرماح فأخذهم بنو عبس أسرى وعادوا عند المسا وهم يتباشرون بالنصر وقد أمنوا من الغلبة والقهر وعنتر بين أيديهم كأنه الاسد البهلول وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

اذا قنع الفتى بذميم عيش * وكان له اختفاء كالبنات * ولم يجثم على الاسد الضواري
ولم يطعن صدور الصافنات * ولم يخش النزيل اذا أتاه * ولم يرض الحمامة بني الحمامة
ولم يكسب بضرب السيف مجدا * ولم يك صائلا في النائبات * ويحمي عن حمى الجيران جهدا
ويروى الرمح من دم العداة * فقل للناعيات اذا نعوه * ألا فاقصرن فعل الناعيات
ولا تندبن الا ليث غاب * همام في الحروب الثائرات * دعوني للحروب اذا ألاقي
فموت العز أطيب من حياتي * وأضرب بالحسام اذا تنادت * أسود الغاب عند الضائغات
لعمري ما ألفت لكسب مال * ولا يدعي الفتى من السراة * سوى ان كان يدري الضيق يوما
ويطعن بالرماح الذابلات * ويقتحم الهجاج ولا يبالي * ويضرب بالسيوف القاطعات

ويذكر في الحروب اذا تنادت * حماة الحرب تصرخ بالحماة
فذاك الذكر باق ليس يفنى * مدى الايام من ماض وآت

(قال الراوي) لهذا الكلام فلما سمعت السادات من عنتر تلك الابيات والانشادات طربوا لها غاية الطرب وما فيهم الا من قوله وفعله تعجب ولما رجعوا وقربوا لمحل القرار جمعهم عنتر للمشورة في الاقامة أو الرحيل من تلك الديار وقال لهم يا بني عمي الذي أشير به عليكم ان هذا منزل لا نقدر على القيام فيه ولا لنا عيش هني لان سنانا لا يغفل عن غزونا وعما يدبر في أمورنا والصواب اننا نرحل من هذه الارض ونتحصن ببعض الجبال حتى نكون آمنين على الاهل والعيال والاموال فقال شيبوب ارحلوا بنا عند الصباح الى جبال بني عزية واقيموا في تلك الجبال الحصينة العلية لانها جبال طيبة المساكن خصيبة البقاع والاماكن وما لنا هناك جوار سوى دريد بن الصمة وقومه بني جشم وبني سليم وبني هوازن وان القوم مسافتهم عنا مسيرة يومين وأنا أعلم يا أخي ان دريد بن الصمة اذا سمع انك رحلت من بني عبس وعدنان وأتيت الى هنا ونزلت في هذا المكان فيأتي اليك ويسألك أن ترحل معه الى أرضه وتقيم عنده وعند بني هوازن وذلك يكون زيادة في جاهك بنزولك في جواره فقال عروة بن الورد لقد أتانا شيبوب بالصواب لاننا كلما بعدنا طالت المسافة بيننا وبين الاعداء واسترحنا من الحرب وكان أهنى لعيشنا وأريح لقلوبنا من العذاب ثم ان القوم بتوا أمرهم على مثل ذلك المقال والقيل فلما أصبح الصباح وقد عزموا على الرحيل واذا بالخيل قد أشرفت عليهم من عرض البر الطويل فكشفوهم فاذا هم مقدار خمسة وعشرين فارسا فلما حققهم بنو عبس أنكروهم وتبادروا اليهم وسألوهم عن أحوالهم وعن أنسابهم فأخبروهم وكانت هذه الخيل من سادات بني كنانة وقد أتوا يترضون أبا الجارية ويتبعوا معه حد الامانة لانا ذكرنا انه رحل عند قومه هو ومن معه غضبان ووقع بهم عنتر في البر يوم المطر وجرى لهم ما جرى من ذلك الامر والشان وفي ذلك اليوم أشرفت عليهم تلك الفرسان وقد تعارف الرجال بعضهم ببعض وفرحوا الان الله قرب عليهم العنا وتقابلوا في تلك

الارض وتباكوا من ألم الفراق وعتب القادمون على المقيمين لاجل الغربة والتشتت فى الآفاق وقد حلف الفرسان القادمون أنهم لايعودون الى قومهم الابهم أجمعين ثم انهم تقدموا الى خدمة عنتر وفى ذلك سألوه بعد ما حدموه على فعاله وشكروه فأجابهم عنتر الى سؤالهم وقد استحى منهم ولم يخيب قصدهم وقال ياوجوه العرب طيبوا قلوبكم أنتم فى ذمامى مادمت أملك رمحى وأضرب بحسامى فسيروا من ههنا بامان وشاققوا من شئتم من ملوك الزمان وزوج ابنة لك لابن عمها مالك حيثما قبضت منه مهرها فزف عليه زوجته ولا تهمل أمرها فانتم تعلموا انى ما رحلت عن قومى وشاققتهم الا من أجله ومن أجل حصن بن حذيفة وما أبدى من فعله فقال له أبو الجارية من حيث انك غضبان على قومك من أجلنا فسر معنا الى أهلنا وتكون بين قومنا وفى ديارنا وترتفع بجاورتك أقدارنا ونحكمك فى أرضنا ومراعينا حتى يأتى قومك كما أتى قومنا الينا فعند ذلك قال لهم عنتر لاوحق البيت العتيق المطهر لانزلت الا فى عرصات البراقفر لان طبعى صار ينفر من رفقة الشر (ياساده) وما قال عنتر لهم ذلك المقال الا من عظم همته وشرف نفسه بين الرجال لانه ما رأى على روحه أنه ينزل عند قوم كانوا هم نازلين عليه وتحت ذمامه ولم يرد الا أنه يعانى أموره وهو يحكم نفسه حتى يبلغ مرامه ثم انه أشهد على أبى الجارية المشايخ الذين أتوا معه وصاخه بأنه يزوج ابنته بابن عمها ويعاقده وينا لحه ثم ودعهم عنتر بعد ما طاب لنفسه ما طاب وعزم على الانفصال ثم انه سار وسار شيبوب على أثره بالاموال والحريم والخدم وتتابعت من خلفهم الفرسان والابطال وقد قطعوا الآمال من منازلهم والاطلال وكان أشدهم حرقة وأعظمهم مشقة عنتر بن شداد لاجل فعاله مع قومه ومايفعلون معه من تلك الامور التى توجب النكاد فسار شيبوب قدام القوم وقد تبطن الاودية والآثار وهم طالبون جبال بنى عروة وقد عزموا لهم بالسيف منازل عليه حتى قاربوا الارض التى هم اليها قاصدون والى نحوها مجدون فتذكر أرض الشربة والعلم السعدى وتذكر ما جرى عليه من قومه فجعل فى نفسه يعيد ويبدى وصار هو كثير الافتكار ومن عزة نفسه صارت دموعه نابية وحسرته متتابعة فخاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

اذا فاض دمعى واستهل على خدى * وجاذبنى شوقى الى العلم السعدى
أذكر قومى ظلم قومى وبغيهم * وقلة انصافى على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا * فلما تناهى مجدهم هدموا مجدى
أنا عندهم فى الحرب سيد قومهم * وعند انكشاف الحرب أحقر من عبد
يعيبون لونى بالسواد معاشر * فعالهم و بالقبح أسود من جلدى
فواذل جيران اذا غبت عنهم * وطال المدا ما ذا يقولون من بعدى
وكيف يحل الذل دارى وصارمى * اذا ظل يأتى البرق يلمع من نجدى
أياعاذلى مايدرك الطالب العلا * بآبائه الغر الكرام ولا الجد
وما الفخر الا من يحلى غاربا * بطعن سنان أو بمرهفه الهندى
ندمى اذا غنيتها بعد سكرها * فلا تسقنى أطلال سلمى ولا هند
ولا تذكرن لى غير خيل مغيرة * ونقع عبار حالك اللون مسود
لان غبار الصافنات اذا علا * نشقت له ريحا ألذ من الشهد
وريحانتى رمحى وكاساتى مجلسى * جماجم سادات حراص على المجد

ولى

ولى من حسامى كل يوم على الثرى * نقوش دمانفى الندامى عن الورد
وماذا يغيب السيف أغلاف غمده * اذا كان فى يوم اللقا قاطع الحد
ولله من ليل غمار قحمته * على ضامر الجنبين معتدل القد
وطاعنت فيه الخيل حتى تبددت * وفرت كأسراب القطاة الى الورد
فزارة قد هجنها ليث غابة * ولم يفرقوا بين الضلالة والرشد
فقولوا لحصن ان يعانى عداوتى * ينام على نار من الحر والوجد

(قال الراوى) فلما أنشد عنتر هذا الانشاد طربت له السادات وتعجبوا من تلك الاشعار وقد سرهم منه ما سمعوا من تلك العزمات ثم انهم ساروا فى ذلك اليوم بلا توانى وفى تلك الليلة وأصبحوا فى اليوم الثانى واذا قد أشرفوا على حلة تموج بقطانها وترج بسكانها كانها بحر زخار وموج تيار والحلة فى وسط مرج أفيح وفيه زهر قد فتح وعيون ماتسرح وغدير كبير كأنه البحر المستدير وفساطيط أرجوان مضروبة ورماح مركوزة وخيل مجنوبة وابل وأغنام وخيل وانعام فلما نظر عنتر الى ذلك صاح فى أخيه شيبوب وقال له يا ابن الام من يقال لهؤلاء القوم الذين هم فى هذا الامر المهول فقال له يا أبا الفوارس هؤلاء قوم يقال لهم بنو الجريش وهم حلفاء بنى عامر ولهم فارس عظيم يقال له معاوية بن شكل الجريشى وله ثناء ومفاخر وهم أقوام كرام ولهم حرمة وذمام فعندها قال عنتر اقصدهم يا أبا رياح حتى ننزل بالقرب منهم حيث ذكرت انهم ناس ملاح فعندها سار شيبوب الى أن قرب من الحى وأمرهم بالنزول فنزلوا وضربوا خيامهم وعلوا قبابهم عرضا وطولا وسرحوا مواشيهم مع رعاتهم فأنكرت رعاة بنى الجريش رعاة بنى عبس لما رأوا صفاتهم وقال العبيد بعضهم لبعض ترى هؤلاء من أى أرض وانهم قد نزلوا فى أرضنا بغير أمر ساداتنا ولم يشاوروا ملوكنا ولا ساداتنا ثم تقدم عبد منهم وقال حياكم الله يا وجوه العرب والسادات من ذوى الرتب المتوصلين من أين تكونون أيها السادات ومن أنزلكم فى هذه البوات فكان الجواب لهم بعض موالى عنتر لما سمعوا منهم ذلك الكلام المنكر بقوله نحن الكاشفون الامور الشداد الزياحون الضيم عن العباد بنو عبس وآل قراد وفيهم حاميتهم الفارس الجواد وليث الطراد وحية بطن الواد وأسد الآساد الامير عنتر بن شداد (يا ساده) فلما سمع العبيد منهم ذلك الكلام أسرعوا الجميع الى ساداتهم بالاعلام وأخبروهم ببنى عبس ونزولهم عليهم وأخبروهم بقدومهم اليهم فعند ذلك أسرع سادات الحى المشايخ والشبان لاستقبال بنى عبس وتعجبوا من نزولهم فى ذلك المكان فسألهم مشايخ بنى الجريش عن قدومهم عليهم لاى شئ كان فأخبرهم بنو عبس بالقصة التى جرت عليهم وانهم طالبون جبال بنى عروة ليلتحقوا اليهم فعند ذلك حلف سادات الجريش عليهم ونقلوهم الى مواضع قرب محلهم وأنزلوهم فيها فنزل بنو عبس عندهم واستقروا فى جوارهم وقد طاب لبنى عبس المقام ونقل اليهم بنو الجريش الطعام والمدام واكرموهم غاية الاكرام وطلبوا منهم أن يكونوا حلفاءهم فرضى بذلك بنو عبس فعندها تحالف مشايخ القبيلتين أن يصيروا يدا واحدة وأن يكونوا على الاعداء متعاونين وللاصدقاء مصادقين (قال الراوى) ياساده فهذا ما كان من عنتر وأحبابه وأما ما كان من الملك قيس وأصهاره فانه لما وصل اليه الخبر بأن بنى قراد وحاميتهم عنترا قد نزلوا على بنى الجريش وصاروا يدا واحدة ندم حيث لا ينفعه الندم وتفرقت القبيلة وعادت متباعدة وقال والله لا يخلف لنا الزمان مثل عنتر وبقى من ذلك الامر الذى طوى عليه والخلف الذى وقع فى القبيلة مكدر وأما الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد ففرحا بابعاد عنتر وآل قراد وقال الربيع لاخيه

عمارة ايش يكون شكرك على قلع الاسود الزنيم من هذه الديار فقال والله يا أخي ما بقيت في هذه النو به ترى له آثار وبعد ما أبعده الملك قيس لهذا الاخطار ما بقينا نرى له خبرا ولا سيما من جهة حصن ابن حذيفة وبني فزارة وما جرى بينهم من تلك الغزوات وتلك الاشارة ففرح عمارة بذلك وقال هذا اليوم الذي كنت اشتهي وأريد وانتظر يا أخي انه من تمام نفاسته نزل على بني الجريش وقد حاربهم فهل تقدر يا أخي أن تشتنه عن ديارهم فقال اي وأبيك وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم والله موسى وابراهيم ثم ان الربيع لما فرغ من كلامه وثب في الحال على أقدامه وأحضر كيسا من الاديم الطائفي يذهب وأخرج منه نافجة من المسك وخمسين دينارا من الذهب الاحمر وخمس طبلات من العنبر ووضع الجميع في فارغة وشدها شدا وثيقا وختمها وكتب رقعة الى النابغة الذبياني شاعر العرب يذكر فيها بأنه يسلم عليك ويستوحش اليك ويقول لك انه كثير الشوق اليك وقد اتكلت في أمور عرضت لي عليك وأريد منك ومن بلاغتك ان تهجو الى عبلة بنت مالك بما خطر على بالك مما يفرق بين بني الجريش فاننا نريد أن يبعدعنا ويتهنا بعيش وما نفعل ذلك معهم الا لكي يرحعوا الى أهلهم ويعطفوا على قبيلتهم لانها قبيلة قد تشتت شملها وأخاف من بعض الاعداء أن يغره الطمع فيها (ياساده) ثم ان الربيع بعد ما فعل ذلك الفعل الذي لم يفده أنفذ الكيس والكتاب مع عبد من عبيده وكان يثق بذلك العبد في سائر أموره وكان اذا جلس في محل خلوته ما يشتاق الا اليه في فرحه وسروره فأخذ العبد الكيس والرقعة وسار وطلب المسير في الارض والقفار الى أن وصل الى النابغة الذبياني وسلم الكيس والرقعة اليه فقرأها وفهم ما فيها من المعاني ثم فتح الكيس وأبصر ما فيه من الذهب فأعجبه لان الطمع كثير في شعراء العرب وأمر العبد بالانصراف بعد ما طيب قلبه وقال له اشكر سيدك وقل له ما عندنا في ذلك خلاف وعلينا كل ما طلبت وفوقه أضعاف وان الذهب يلعب بعقول الامراء فكيف الشعراء ثم بعد ما انصرف العبد أدار الشاعر فكره واحتلى بنفسه وجعل يدبر أمره ووضع أبياتا من الشعر تقتضي هجو عبلة وسبها بالزنا بابجلة ورمى فيها بقبيح الفعال وذكر فيها انها أحبت معاوية بن شكال لما فيه من الحسن والجمال وكرهت ابن عمها ذلك العبد الاسود الذي تصدى طوره وتمرد وان الشاعر امعن في القول وأبدع ولا فزع ولا راقب الله في قوله ولا خشع ومن جملة ما قال عن لسان عبلة هذه الابيات

حضرنا الى قوم كرام أطايب * لهم سيد يزهو على كل راكب
محبته قد مازجت مني الدما * وقد غيرت حسني وقلبي وقالبي
فان لم أنل من وصله ما أريده * أموت وتدركني جميع المصايب
فاني بليت اليوم من عشرة الذي * له لون أسود من سواد الغياهب
سألت الهي قبل موتي يقيلني * ويعتقني من وجه كلب الاعارب
وأحظى بوصل من حبيب أحبه * ويدعى ابن شكال نسل قوم أطايب

(قال الراوي) وزاد من مثل ذلك شيأ يقال وشيأ لا يقال ثم انه بعد ما فعل ذلك الفعال أعطى الرقعة لبعض العبيد وأمره أن يقصد بها حي بني عبس من غير تمهيد ويرميها بالقرب من مضرب عبلة ويجسر على ذلك الامر المنكر قال فأجاب العبد بالسمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار ومازال سائرا الى أن وصل الى حي بن عبس وفعل وما قصر وعاد في عاجل الحال الى الشاعر واعلمه أنه رماها بقرب مجلس عنتر وخاطر بنفسه وما قصر فشكره على ذلك ومضى وبعد ذلك صادف من القضاء ان رجلا من بني الجريش كان سائرا في الطريق فنظر الى تلك الرقعة فرآها مرمية في الارض تتداس

فاراد

فأراد أن يرفعها من تحت أرجل الناس وقصد بذلك التقرب لجماعة الكبار والالتماس فقصدها مضرب عنتر ورماها بين تلك الخلائق الجلاس وكان عنده جماعة من بني الجريش وجماعة من بني عبس وقد طابت بقربهم من بعضهم البعض النفس وكلهم مجتمعون فألقاها الرجل في وسط المجلس وقال هذه وجدتها في عرصة الدار ولم أعلم ما فيها من الاسرار فعند ذلك أخذها بعض الحاضرين وقرأها وأمعن في القراءة ولا اخشى ما وراءها ورأى ان عبلة تراسل ذلك الى معاوية سيد بني الجريش وانها تعشقه حتى انها من شدة عشقها له تكاد أن لا تعيش فلما سمعها عنتر وسمع هجو عبلة ورميها بالقبيح فعندها تغير مزاجه وطلع الزبد على أشداقه وثار ثورة الاسد اذا تهدر وضرب الذي أتى بها على عاتقه حتى طلع السيف يلمع من علائقه فعند ذلك شاش المجلس طولا وعرضا وهم كل من كان حاضرا من بني الجريش حتى أقلعوا جنبات البر والارض فبلغ الخبر الى فارسها المشهور وبطلها المذكور وهو الامير معاوية بن شكال الجريشي فلما سمع ذلك الصراخ قام ولبس أثوابه وتقلد بلامة حربه وضرابه وركب على ظهر جواده بعدما اعتد بعدة جلاده ومازال سائرا على هذا الامر المقدر حتى لقي عنترا ونظر اليه والى جماعته الذين حواليه فرأى الكل لابسين الزرد كاملين العدد وعنتر قدامهم كأنه قطعة جلمود وهو يهدر مثل الاسود (قال الاصمعي) ثم ان الامير عنتر بن شداد صال وجال وحمل على بني الجريش وهو وهج وطيش واتى بمقدمهم معاوية بن شكال وهو يغري الرجال ويحرضهم على الحرب والقتال وجعل يصول ويجول وقد أخذ الميدان عرضا وطول وهو ينادي ويقول ويلك يا ولد الزنا ويا نسل الحرام ويا خاين العهد والذمام اليوم أسقيك كأس الحمام وأحل بقومك الانتقام فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وعند ذلك مال اليه بالجواد وأراد معه الحرب والجلاد وتذكر شيأ يقوله من الشعر والانشاد فجعل يقول صلوا على طه الرسول

سواي الذي يرتاع أو يرهب الردى * وغيري يهوى أن يعيش مخلدا
ولكن أنا لا أرهب الدهر ان سطا * ولم أخش من موت الزؤام اذا غدا
ولو مد نحوي حادث الدهر كفه * لحدثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزمي يترك الماء جمرة * وحكم احتقاري يترك السيف مبردا
وفرط افتقادي للانام أنالني * أرى كل عار من حلى سودد مدا
ويأبى اباني أن يراني قاعدا * وأن لا أرى كل البرية مقعدا
وأظمأ ان أبدي لي الماء منة * ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقد ما بغيري أصبح الدهر شائبا * وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
وانك عبدي يا زمان وانني * على الكره مني ان أرى لك سيدا
وما أنا راض اني واطئ الثرى * ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي * لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
فلا تنكروا فعلي واشهار عزتي * فان علا يا في السعادة قد بدا
وما أنا ممن تنكر الناس فعله * لان سعودي كل يوم تجددا
تعودت خوض النقع مذ كنت يافعا * لكل امرئ من دهره ما تعودا
أرى الخلق دوني اذ مكاني فوقه * ذكاء وحلما واعتدالا وسوددا
أنا كاشف الغمات عند حلولها * أنا ضارب الهامات والنقع أسودا

وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا * من البر منه صار فى البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى ان هززته * فيا حسرتى الا أهز المهندا
اذا صار فوق الترس وقع صريره * فان صليل المشرفى له صدى
ولو شئت ترمى دار لى وهو ساجد * ولو شئت جاء الترس درعا مسددا
وان رفع الاقدار أو وقع الندا * فنى برجى الجود أو يرتجى الهدى
ومن كل شئ قد صحون سواه قد * أقام عذولى فى الغرام وأقعدا
اذا وصل من أهواه لم لك مسعدا * فليت عذولى كان بالصمت أسعدا
يلوم ولا يدرى يكون وصاله * من النجم أعلا أو من الافق أبعدا
يحب حبيبى من يكون مفندى * فياليتنى كنت العذول المفندا
فقالت وقد آنست نار ابخدها * فقلت وانى قد وجدت بها هدى
وانى لاهوى منك نفرا مفضضا * وانى لاهوى منك خدا معسجدا
ومارمت ذاك الخد بالحظ انما * علمت خلوفا حين أبصرت مسجدا
وكم لى الى دار الحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا قديما ومعهدا
لقد كنت فيها أبصر الليل أبيضا * وقد صرت فيها أبصر الصبح أسودا
يراقب طرفى ان يلوح خيالها * فقد طال ما قد صام حتى تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فيا خجلتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى مابطرفى صبابة * فلم ير تلك الدار الا تبددا
وكم لجوادى وقفة فى عراصها * تعود منها الجيد مما تعودا
تعود ذاك الجيد منى انى * أصيره من درد معى مقلدا
وما تلك دار بالعقيق و بالحما * ولكن هما ما أذخرت منه فرقدا
ألا رب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
فاصبح ذاك العقد منى محسرا * ويا طالما قد كان منى ممسدا
وكم أجعل الكف الشمال وسادة * فيبارك لى كفى اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عناق كاسما متجددا
وقربنى حتى طربت من النوى * وأبعدنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بأن الشهد والمسك ريقها * وما كنت لولا أن خبرت لأشهدا
وان السلاح البابلى لحاظها * ولا تسألوا انسانه كيف عربدا
ملىء بكسر الجفن والجفن قوسه * وكيف رمى للقلب سهما مسددا
فتبه وتسلط كيف شئت فانى * خلقت لأشقى أو خلقت لأسعدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من انشاده تلك الابيات المعتبرة حمل على فارس بنى الجريش حملة منكره وغاب الاثنان تحت الغبره وسمع لهما هيهمة وزمجره وكان لهما ساعة عسره ثم انهما اعتركا مليا واصطدما وفيا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وقد طلع عليهما الغبار حتى غاب عن الابصار واشتاقت الى نظرهما النظار ليعرفوا ما كان لهم من الاخبار (قال الراوى) باسناده يا كرام وفى دون ساعة من النهار لاصقه الامير عنتر بن شداد الفارس الجواد وأبهره وماحكه حتى أتبهه وبهره وأضجره وصرخ فيه صرخة هائلة أذعره ثم انه تأخر عنه مقدار فرسخ الى وراه وقد

أقبل

أقبل عليه وحاذاه وصار له منقربا وطعنه فى جانبه طعنة الغضب فطلع الرمح من الجانب الآخر كأنه كوكب فمال عن الجواد وانقلب وصار يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه (قال) ولما رأى بنو الجريش ما حل بسيدهم صعب ذلك الامر عليهم فصاحوا فيه وقالوا شلت يداك وقطعت مفاصلك وأعضاك فيا أقدمك على الامور وما أجهلك امن الله ظهر انسلاك فقد قتلت سيدا كريما وبطلا عظيما ثم انهم حملوا عليه وقد تبعتهم الخيل والرجل مثل السيل فعندها صاح عنتر فى عروة بن الورد ومقرى الوحش وأبيه شداد وبنى قراد الاجواد وحملوا على بنى الجريش ومامنهم الا من أمل انه بعد هذه الكائنة لا يعيش ثم جالت الخيل والفرسان وجعلت ترمى من على ظهورها الشجعان والاقران وكثر الضرب والطعان وحكم الصارم اليمان فى الجماجم والابدان وهمهمت الاسود من الشجعان وطلع الغبار الى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى انه ما كان وضاق الميدان وصحا السكران وحلت سنابك النيران وجاء الحق وذهب البهتان وزاد الضرب والطعان وغلبت فرسان بنى عبس فرسان بنى الجريش واستظهروا عليهم كما استظهروا على الرخم العقبان وافترسوهم كافتراس سباع الاجم للفريسة فى الوديان فلله دره من يوم كان على الانام عظيم الشان حمى فيه الحديد على الابدان وصار عنتر يجول فيه جولان ولا يعفو عن قتل الشيخ ولا الصغران وصار يحرض بنى عبس على قتال الاعداء وينادى فى الفوارس فلا تسمع النداء وصارت الفوارس تطلبه من جنبات البيداء فلما رأى عنتر الفرسان تقصده من كل جانب ومكان ويحملوا عليه حرصا على قتله من دون الفرسان فصاح بعروة بن الورد وعترى الوحش وأبيه شداد وعمومته وسائر بنى عبس الاجواد وصار يقول يا بنى عبس الى متى هذا التطويل الشديد اقصدوهم كل مقصد واحصدهم حصدا لحصيد فعندها تناخت الابطال وتتابعت الاقبال من اليمين والشمال وحملوا على بنى الجريش حملة منكرة وطلبوهم طلبة الاسود الكاسره فلم تكن غير ساعة حتى بطحوا أقرانهم وجندلوا أقيالهم وشجعانهم ويتموا أولادهم ورملوا نساءهم وزعقوا عليهم من كل جانب ومكان ورأوا من عنتر فى ذلك اليوم مالم يروه من انسان لانه هد قوى بنى الجريش ولم يجدوا لهم سبيلا على مضارب بنى عبس وعدنان وقد وقعوا فى أمر عظيم ليس لهم به طاقة فطلبوا فسيح الفضا وردوا خيلهم قدامهم منسافه وتوا منهزمين فى جوانب البيداء وحلوا الاموال والغنائم والاسلاب للاعداء وخدمهم وعيالهم لبنى عبس ومازال عنتر يقتفى آثارهم حتى أفنى خيارهم فلما أيسوا بنو عبس ببنى الجريش عن الديار رجعوا وعنتر يهدر فى مقدمه كأنه أسد هدار وعاد وهو يترنم بالاشعار يقول صلوا على طه الرسول

حيى الديار ببرقة وبجعر * ثم الكراع كأنها لم تعمر * زرنا قبائل عامر لمحلنا
منهم وانهم بذا ذو مخبر * ودهمت دار بنى الجريش بأسمر * بعد التملك لى ولست بمفتر
فطعنته وفككت بادر درعه * بمهند صافى الحديد مهيسر * تعسا ليومك أى يوم زرته
ولرب صعلك أى صبح أغبر * أنشد الى الخلان يوم لقاهم * صرعى يسائره الصفا لم يفتر
حاشا لعبلة أن تخون خليلها * بطل يغادرها كريم العنصر * انى أردت بنى الجريش ولم يكن
منها وبكفى بعد ذلك مفخرى * ياعبل هل بك تعلمين فعالهم * الا الثناء بدائع وتشكر
ولقد صدقت بما أقول وانى * عند اللقاء بهم أريق المزور * أحمى زبيبة ليس أنكر اسمها
فى الليل ضوء جبينها كالمحور * وأنا فتى من آل عبس منصبى * أغنى الى النسب الرفيع الازهر
أغشى الكريهة يوم كل كريهة * واذا الكرام تخمرت لم أخمر * واذا رأيت الركب أقبل جمعهم
يبغون السلام ذبحت أكبر عنصر * ذاك الذى فوق السماك محله * ومتوج أيضا بتاج قيصرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها السادات وتعجبوا من تلك الانشادات وأخذهم الفرح والمسرات ثم انهم جمعوا غنائم بنى الجريش التى أخذت فى الهزيمة فكانت الغنائم لها قدر وقيمة وأما ما كان من بنى الجريش الذين أخذوا فى الهزيمة فانهم عادوا واستجمعوا من رؤس الروابى والشعاب وهم يقولون بعضهم لبعض لعن الله رؤية هذا العبد المرتاب ما أطعنه بالرمح وما أضربه بالحسام القرضاب ثم انهم استشاروا فيما يفعلون فقال بعضهم ما فى الامر الا انكم من ههنا تسيرون وترموا أرواحكم على حامية بنى كلاب البحر العباب الفارس القيل المسمى بعامر بن الطفيل فهو صديقه ومحبه الاكبر وندخل عليه لعله أن يرسل اليه ويسأله فينا فعسى انه يستوهب منه ذنبنا ويرد علينا نوقنا وجمالنا فعند ذلك تجمع منهم الاكابر وساروا حتى وصلوا الى بنى عامر ودخلوا على عامر بن الطفيل وسلموا عليه وتزاحموا بالتقبيل على يديه وقالوا نحن مستجيرون بك أيها السيد الجليل والمولى النبيل مما قد حل بنا من الويل الطويل فلما سمع عامر مقالهم استخبرهم عما جرى لهم فشرحوا له جميع ما جرى عليهم ونالهم فأضافهم ورق لحالهم ووعدهم بنيل مرادهم فلما أصبح الصباح كتب لهم كتاب وأرسله معهم مع نجاب وهو يمدح عنترا ويثنى عليه ويصف شدة الشوق اليه ثم انه استعطف قلبه عليهم لانه رق لهم مما نالهم وسأله فى رد أموالهم ونوقهم وجمالهم ثم انهم أخذوا الكتاب واستصحبوا معهم النجاب وصاروا يطلبون عنتر بن شداد حتى وصلوا اليه فناولوه الكتاب فأخذه وناوله الى عروة بن الورد فقرأه عليه وسمع الثناء الذى أثناه عليه عامر بن الطفيل وبلغه عنه النجاب الثناء والمفاخر ثم ان عنترا لما رأى لطف شجاعته وما أثنى عليه من براعته أجاب سؤاله فيهم ورد أموالهم ونوقهم وجمالهم عليهم وطيب قلوبهم وخلع على الاكابر منهم وأعطاهم الذمام وقاموا على بعضهم بعض فى أماكنهم ثم انه أمر بعد ذلك أصحابه بالرحيل والجد وسرعة التحويل فرحلوا وساروا طالبين جبال بنى غزيه وقد بنى لهم بالسيف منازل عاليه وقد قطعوا فى البرا بأما متواليه * هذا وشيبوب بسلك بهم فى المنازل الخالية القليلة السكان والمخاطر التى لا يسلكها الا كل من يكون بنفسه مخاطر فلما قربوا من الجبال التى هم اليها قاصدون ودنوا من الشعاب التى هم عليها معولون أصبحوا فى بعض الايام فى أرض واسعة ويرى رملة شاسعة وكانت هذه الارض يقال لها رمال يفظان وهى قريبة من بنى غزية وهى كثيرة الرمال والكثبان فصبحوها فى الصباح وهموا بالنزول هنالك فى تلك البر والبطاح واذا فى قفرها خيل تطرد وصياح منعقد وأسنة رماح فى الحرب متخالفة وبريق السيوف مثل البروق الخاطفة وضجيج فرسان وزعقات شجعان وأمور تدل على حرب عوان فلما نظر عنتر الى ذلك وقف ودارت به أعمامه وقد زاد به لذلك الامر اهتمامه وقال لشيبوب ويلك يا ابن الام اذهب وائتنا باخبار هذه الحروب وأيهما الغالب من المغلوب فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب وما غاب أكثر من ساعة واحدة وقد عاد وهو مسلوب الفؤاد فقال له أخوه عنتر ويلك أيش الذى رأيته يا أبا رياح من الخبر فقال له يا أخى هذا صديقك وصاحبك دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وقد أحاطت به بنو الحارث ومافيهم الا كل خائن نا كس وقد نفرت عليه فى سائر بطونها وهو فى خمسين فارس وقد تكاثف لقاءها والقى نفسه الى الهلاك والموت المبين يريد أن يسقيها كاس منونها وهو قد أشرف على الهلاك ولم يجد له سبيلا فى هذه الارض لا ناصرا ولا معين فقال الامير عنتر واعجباه أيش أرمى دريدا فى هذه الارض والبلاد وهو فى نفر قليل من الرجال والكبار ولكن هذه عادته أن يأخذ الرجال الابطال ويذل بنفسه على الحلل والقبائل ويعودها الهجوم على المنازل وان لم تدركه والا هلك وهلك معه كل بطل بطل ثم ان عنترا أخذ من أصحابه خمسين فارس ما منهم الا كل بطل

مدرع

مدرع ولابس منهم مقرى الوحش وعروة بن الورد وأبو شداد وقد ركضوا خلفه على الخيول الجياد
وأخذ فى جملتهم ابن أخته الهطال وترك باقى أصحابه حول المال والعيال (قال الراوى) وكان
لاتصال دريد بن الصمة بهؤلاء القوم سبب عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب
وذلك أن دريدا قد ربى غلاما يتيما يقال له دثار بن ريق وكان أبوه قد قتل فى بعض الغزوات وكان دثار
صغيرا السن فرباه دريد مراعاة لأبيه الى أن كبر واشتد فصار أقوى من الاسد وصار يركب من خيل دريد
ابن الصمة ويتفرس عليها حتى صار من الابطال الثقال وكان يقاتل فارسا وراجلا ويهجم على
الاهوال والاخطار فى ظلام الليل وضياء النهار ويعسف البر فى السهل والجبل ويعمل فى الحرب أوفى
عمل ويحتال على سل خيول العرب بكل حيلة وسبب فن ذلك الوجه استغنى وصار له نوق وجمال
ونعم وأموال ومضارب وخيام وكان قد اتخذ له من شباب الحلة أولادا الابطال ندماء وأصحابا وأصدقاء
وأنجابا وكان كلما وصف له جوادا أو فرس من الخيل الجياد يسير اليه وينزعه من أصحابه تارة بالفروسية
وتارة بالسرقة واللصوصية ومازال على ذلك الحال حتى شاع ذكره بين الرجال وضرب به الامثال
وهابته الفرسان والاقيال واتفق فى ذلك الزمان انه سمع ان عند قوم يقال لهم بنو خويلد جوادا من
الخيول الجياد ووصف بين يديه مرارا عديدة فلم تمكن حيرته عنده توجه اليه وسافر له وملكه وله بعد
ما احتال عليه بحيلة عجيبة تسبى العقول وكان صاحبه يقال له بسام بن مسرور ولما عاد بالجواد
عرضه على دريد فأعجبه غاية العجب لانه رآه من أفخر خيول العرب وخلقته قد جاوزت عن الحد
والصفات وتاهت عن نعته جميع النعات فقال له دريد احتفظ بذلك الجواد ولا ترغب فى ثمنه فانه ينجى
راكبه من الاخطار فقبل دثار كلام دريد وعند بنى خويلد خلاه وعاد الى معاشرة أصحابه ورفقاه ولما أن
دخل عليهم هنوه بالسلامة فدعا لهم وشكرهم واثنى عليهم بفصاحة كلامه وبعد ذلك قال لهم يا بنى عمى
دعونى عن ذكر الجواد وعزونى لما فى قلبى والفؤاد فانى خليته فى بنى خويلد وتلك البلاد وما أتيت
اليكم الا وأنا بلا قلب ولا فؤاد وأقول ان هذا الجواد غير مبارك على من دون العباد قال فقال له
أصحابه يا دثار حدثنا بقصتك وما جرى عليك فى سفرتك وأخبرنا بحالك ونوبتك فقال لهم دثار اعلموا
يا بنى عمى انى لما سرت من عندكم قطعت حلى البرى والقفار والاوديه والسهول والاوعار حتى
انى قاربت ديار بنى خويلد فبقيت حائرا بأى سبب أدخل به الى القوم فلما قربت منى الخيل عدت
الى البر وعسفته فرأيت وحش غزال فطردته فى جوانب البريه وأجهدت روحى حتى اصطدته ولما
صار فى يدى ذبحته وشويته ومنعت جوعتى وأخذت منه جرابا أحمر وخلعت ثيابى وطليت به جسدى
من رأسى الى قدمى حتى لا أعرف ثم انى وقفت ساعة فى الشمس حتى جف الدم على بدنى ويبس ففركته
من جسدى وبعد ذلك نظرت الى روحى وجلدى فرأيت جسدى الى السواد أميل الا أن لونى لون
وحش قذر فقلت فى نفسى هذا الذى أريد واشتهى ثم انى بعد ذلك خرقت ثيابى ونفشت شعرى
وغرقت سيقانى وأقلبت جفونى الى فرق وأسلت ريالتى الى صدرى وقد طلع الزبد على أشداقى وبعد
ذلك سرت الى ديار القوم من بنى خويلد وأنا مثل المهبول ونظرى يطير العقول وكان دخولى البهم
وقت المساء فتوصلت الى أبيات سام وقد أظلم الظلام ودرت على الجواد فما رأيت له خيالا فبقيت
حائرا فى أمرى لا أدرى كيف اسأل عنه واكشف خبره فبينما أنا قائم متكئ على عصاى وأنا أظهر
الذل والفقر والمسكنة والارتعاش واذا بنت سام قد خرجت من بيت أمها فرأتنى بتلك الحالة فظنت
الصبية انى فقير اوسائل يطلب الصدقة فخرجت الى ومعها قطعة طرمرس فى يدها ولما ان وصلت
الى باب الخباء ونظرت الى وريالتى سائلة على صدرى وأحوالى أحوال المريض العليل وأنا مقلب

العيون وشعرى منفوش على أكتافى فلما نظرتنى الصبية على تلك الصفة ظنت انى مجنون أو عامر من عمار الدور والمخازن فأرمت الخبز من يدها وعادت الى أبيها وأمها وهى تجرى وتقول أعوذ برب البيت والحجر من هذه الصورة التى ما مثلها فى الصور وما أظن ان فى الارض أوحش منها ولا أذعر فقالت لها أمها من صد البيت ممن أنت متعوذة ياسيدى وايش حالك وما اعتراك فقالت لها ياأماه من هذا السائل الذى هو واقف على الباب ولولا انى ياأماه عندك فى البيت لكان أخرجنى من عقلى ثم ان دثارا قال لندماه يابنى عمى وكانت الصبية عائدة وهى تتحدث مع أمها وأما أنا فقد غاب عقلى من اين قوامها وعذوبة كلامها وثقل أردافها وسواد عيونها وفترات جفونها وحمرة خدودها وانعقاد نهودها فى صدرها وحسن نعمة خلخالها وتلبيد شعرها وهو منسبل على أكتافها يابنى عمى ومن شدة ما جرى على من الهوى والغرام تأخرت عن باب المضرب وقد لبدت بين الاغنام وقد صرت حائرا فى نفسى وأنا أنظر الى الخباء ساعة والى الصبية ساعة وحرت فى قصتى وما جرى على فى وحدتى وغربتى وعظم بليتى وحسرتى فبينما أنا كذلك واذا بأبيهم قد أقبل علينا وهو سكران طافح بالمدام من أطراف البيوت والخيام وتحته الجواد الذى دخلت الى هذه الديار فى طلبه والسلام الا أن المقدم سام لما وصل الى أطناب الخيام حول رجله من على الجواد وترجل والى صوب المنزل نزل عنه وأوصى عليه ثلاثة عبيد ودخل عند زوجته وابنته وفى نحو ساعة سكت عن حديثه وكلامه ونام وأيضا نامت العبيد وقد خمد الحى وسكتت الكلاب وقد انطفت النار فعند ذلك الوقت تقدمت للجواد قليلا وحليت شكاله وأخذته وفى الحال خرجت به الى أذيال المضارب وركبت ظهره وأنا أطلب الصحرا وما علمت بعدى ياوجوه العرب ما يجرى على انى قد وصلت به الى ههنا وما كائنى فى دار الدنيا من شدة العشق والجوى ومن نيران الهوى وانى أريد ان أعود الى ديار بنى كويلد واكن لابى الصبية على أن أظفر به وأقوده الى ههنا أسيرا ولا أطلقه حتى ينعم لى بزواج ابنته التى رأيتها (قال المؤلف) فلما ان تكلم دثار بهذا الكلام وقد سمع أصحابه منه هذه القصة تعجب منه القوم ومن أفعاله وبعد ذلك التفوا اليه العقلاء من أصحابه وقالوا له يادثار اعلم أن أبا الصبية ماله ذنب حتى يستوجب الاسر وانما الصواب أنك تنفذ الى خلف الرجل وتخطب منه ابنته على رؤس الاشهاد ومهما طلب من الاموال أعطه من النوق والجمال وتفعل فى حقه فعل كرام الرجال وتضمن له رد حصانه فان أجاب الرجل الى ذلك فلله الحمد والا فابذل فى حقه المجهود ولا تترك ياوجه العرب عليك ملاما لامن عدو ولا من حسود قال فلما تكلمت أصحابه بهذا المقال قال دثار يابنى عمى اذا كان الامر على مثل ذلك فأريد أن أشاور سيدى وريدا فى هذه القصة وأسأله أن ينفذ من عنده نجاب وينظر ما يقول أبو الصبية من الجواب ثم ان دثارا بعد هذه المشورة شرب مع ندماه الخمر حتى أمسى المساء وفى ذلك الوقت حمله السكر على الآفات والبلاء فوثب من عند أصحابه من ساعته ولم يزل يتقل خطاه حتى دخل على وريد وهو فى نار يتلظى وتؤاده على جمر الغضى وقد خدم بعد ما سلم عليه وباس الارض بين يديه وبعد ذلك شرح له قصته وما ناله فرحمه وريد وقد رثى له وسكته من بكاه بعد ما عرف قدر ما عنده من هواه ثم وعده انه عند الصباح ينفذ رسولا من أجله فان أنعم أبوها بما تكلمنا من الزواج والا أخذتها أنا لك غصبا وكلفنا أباها أن يزوجها والا أشبعناه طعنا وضربا قال فلما سمع دثار ما قال له وريد وما تكلم به انشرح خاطره واستقر خواطره لما رأى وريدا ناصره وفرح بذلك فرحا شديدا فعند ذلك رجع دثار الى أبياته (قال الراوى) ولما كان عند الصباح أرسل وريد بن الصمة رجلا من فرسان بنى هوازن

وكان

وكان هذا الرجل عاقلا لبيبا وقد أعلمه دريد ما يقول من الكلام لابى الجارية سام قال وكان من جملة ما قال دريد من هذه الرسالة اعلم يا أمير سام انى ما زلت لفرسان العرب بالمودة والخير والصلاح وهذا الامر الذى أرسلت لك من قبله فيه الحظ الاوفر والقسم الاكثر اذا زوجت بنتك سعدى بهذا الغلام الذى أنار بيته وقد اخترته لى ولدا وصاحبا وفارسا ومعينا وسندا وقد ارتضيته انه يدرجنى عند موتى فى الكفن لانه فارس حلو الشمائل والخصال ويرد الفرسان والابطال ويقهر الشجعان فى الميدان ويأتى بصدره من الرجال ألف عنان ويصير أيضا خلفك مثلى ومثل صهرى سبيع بن الحرث المسمى بذى الخمار وأيضا مثل زوج ابنتك الذى قد ظهر فيه من الشجاعة والفروسية والجساره والنجابه ما يقدمه على الاهوال ومالا يتأتى فى أحد من الرجال ومن جملة ذلك يا سام أنه تتسبب فى أخذ فرسك واحتيال عليها وهو فى زى سائل وقد ذكر أنه نظر الى وجه ابنتك فى الليل نظرة بالاتفاق أورثته قلقا عظيما وقد بلى بالبعد والاشواق وهذا الرجل يا سام يكون بسعادتك وعلو مجدك وأنت تنتصر به على جميع الاعداء والحساد وأيضا فان فرسك ترجع لك ومعه من الاماء والعبيد مهما تجعل عليه من صداق ابنتك وتريد فهو يوصل اليك فوق المزيد وهذا ما أشرت به عليك والرأى بعد ذلك اليك يا سام وأنت أخبر بما يعود نفعه عليك (قال الراوى) ولما فرغ دريد من هذه الخطبة ومن هذه الوصية أمر دريد الرسول أن يسير اليه فسار الرسول بهذا الكلام وهو يقطع الربى والاكام وسار يواصل سير الليل بسير النهار مدة ليالى وأيام فهذا ما كان من أمر دثار بن روق ومن هذا الرسول الذى قد سار بهذا الكلام (وأما ما كان) من سام أبى هذه الصبية التى نحن فى حديثها فانه من يوم سرق له الفرس قد حرم أكل الطعام ولذيذ المنام وطيب الرقاد ولازم السهر مع السهاد وقد بقى فى مدة ثلاثة أيام لم يطعم بزاد وكان كلما اشتد عليه الغضب يطلب الثلاثة عبيد الذين وكلهم بالفرس ويضربهم ضربا شديدا ثم ان سام جعل فى كل يوم يخرج الى البر ويدور فى الطرقات ويسأل عن الفرس من الواردين فما يسمع له خبر ولا يقع له على أثر (قال الاصمعى) ومازال سام كذلك فى هم وغم ووساوس ورجاء وخوف حتى قدم عليه رسول دريد بن الصمة ونزل فى أبياته وبلغه الرسالة وقد شرح له ما قاله دريد من المقال وقد فرج عنه الهم والغم وفرح سام باتصاله لدريد بالمصاهرة الى فرسان بنى جشم وطاب قلبه من الفرح وقربه من دريد وأيضا برد جواده الذى كان فى العدم وقد أجاب الرسول الى الزواج وأيضا فى الحال أنزل سام الرسول فى بعض المضارب والخيام ودخل على ابنته وزوجته وقص عليهما القصة فلما فرغ من كلامه وانتهى حتى ضجت ابنته سعدى بالبكاء ولطمت على خدها الى حتى بدا الدماء وفى الحال صرخت وولولت وقالت يا أبتاه من أجل فرسك تزوجنى ببعض العفاريت الطياره وتبليني بشيطان من الشياطين الغداره الذى هو أوحش الخلائق خلقة وخلقا وأنا وحق من انفرد بالبقا وأنزل الغيث من عنده رحمة لنا غدقا انى من حين رأيته فى زى سائل ما نمت ليلة من الليالى ولا برحت أنظره كل ليلة فى المنام الا وأفزع من رؤيته من قبح منظره وصورته وانتفاخ وجهه وريالته التى تسيل على صدره وشعره الذى هو منسبل على أكتافه وتبريق عينيه والدم الذى يسيل من رجليه فان أنت يا أبتاه نعمت لرسول دريد بالخطبة والزواج قتلت أنا روحى والله قبل أوان عرسى وأكون قد فعلت شيأ ما فعله أحد من أبناء جنسى فان كنت يا أبتاه تريد تزوجنى بالشياطين المتمردين الذين يسكنون فى الفلوات فانهم يأخذونى ويطيرون بى ويحطونى فى الجزائر الخراب المنقطعات فان كنت يا أبتاه أنا ضيقت عليك فى هذه المضارب والخيام المنتصبات فاطلقنى الى حال سبيلى حتى انى أسير الى البرارى والفلوات وأبعد

عنكم فى الاراضى الواسعات ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع أبوها منها ذلك الكلام والاشارات حارفى نفسه وقد أخذه الدمع والانبهات وفى الحال قال لابنته ويلك يابنتى فان رسول دريد قد ذكر لى أنه أحسن خلق الله والبشر فى هذه الايام والليالى وانه أوفاهم حسنا وجمال وقد اوا عتدال وهو أجسرهم على الاهوال وانه اذا حضر الحرب يعد بجماعة من الفرسان والابطال فعند ذلك قالت له سعدى والله يا أبتاه لقد كذب الرسول فيما قاله وادعاه فأنا بعينى رأيته انه أوحش من الغول وباذنى سمعت كلامه يرجف العقول وان أنت زوجتنى به خليت الاهل والديار وهجمت على وجهى فى القفار لاننى على كل شئ أصبر الا على معاشرة الجن ما أصبر ولا أقدر ﴿قال الراوى﴾ فلما تكلمت الصبية بهذا المقال فعند ذلك شاور أبوها أمها فيما يفعل فقالت له زوجته والله يا ابن العم ما أدرى ايش يكون العمل نسير الى أخى ضبيان ونسأله عن هذا الشان فان عنده معرفة وذكاء عقل وبيان وهو الذى يفصل لك هذا الامر والشان كما تحب وتختار من الرجال والفرسان ويكون على يديه تقضى الاشغال قال وكان هذا الرجل ضبيان خال الصبية وهو من فرسان قبيلة خويلد وقد رأى أهل قبيلته على رأيه ومشورته البركة والسداد والخير وفيه معرفة زائدة ورأى سديد وبصيرة فعند ذلك أرسل سام خلف ضبيان فلما حضر واستقر به الجلوس أعلمه سام أبو الصبية بما هم فيه من هذه المشورة وما هم فيه من العناد وقد أخبره وفى الحال طلب منه فى هذا الامر المعونة والامداد عن ذلك قال ضبيان والله ياسام ما هذه الاقصة مشكلة الجوانب صعبة الانحلال هذه الصبية قد وقع فى قلبها من دثار هموم ومصائب ولكن ياشيخ العرب أنا أفصل هذه النوبة بامر شديد ورأى جيد وأمر صائب رشيد قال له سام وكيف يكون هذا الامر يا ابن الكرام الاطايب فقال له ضبيان أريدك ياصهراه أن تعود الى الرسول الذى أرسله دريد وتقول انى قد أجبتك الى ما تريد وأنا لك من جملة الخدم والعبيد ولكن البنت قد وقع فى قلبها من دثار أمر ومابقى يزول الا ان كنت ترسل دثار بن روق الينا ويكون فى صحبته بعض الشباب ويكون قد لبس أفخر الثياب حتى تراه ابنتى وتبصره وتحقق منه النظر فان زال ما فى قلبها من بغضته فكان وان هى دامت على ما هى عليه أكرمنا رسول دريد واعتذرنا له وسألناه أن لا يحملنا ما لا نطيق واتخذناه لنا صاحبا وصديق *قال فلما تكلم ضبيان بهذا الكلام عندها قال له أبو الصبية ياضبيان لقد ذللت لنا الصعاب وما أبقيت علينا لوما ولا عتاب ثم ان سام سار من عنده الى الرسول وقد أكرمه غاية الاكرام وحدثه بما جرى فقبل الرسول عذره وقد علم ان هذه الامور متعلقة بعقول النساء فما كان له من الجواب الا أنه ركب من وقته وساعته وسار يقطع البرارى والقفار حتى انه وصل الى ديار بنى جشم ودخل الى دريد وسلم عليه وحدثه بما جرى وسمع عندهم فى الديار وبما تكلمت به الصبية عن دثار وبما شاهدت منه بالزى الذى كان قد أتاهم فيه دثار وهو فى صفة بعض العمار من تقلب عينيه ونفش شعره على أكتافه والدم الذى كان يشخب من ساقيه وكذلك الشق الذى فى كفيه وهو كأنه عفريت من الجن فلما سمع دريد هذه الاخبار تعجب من هذه القصة فقال دريد والله ان الصبية فى غاية الاعتذار بما قد نظرت وأبصرت وفى الحال أرسل الى دثار وأعلمه بما قال الرسول فتبسم دثار وقال والله يا مولاى ان الجارية معذورة لانها رأتنى وأنا فى أقبح صوره وما رجعت الصبية لامها الا وهى فزعانة مرعوبه فقال له دريد فاذا كان الامر على ذلك فخذ اهبتك وسر الى ديار القوم وأرهم صورتك وبعد ذلك مابقى لهم كلام فقال دثار يامولاى أريد من فضلك وانعامك أن تسير معى الى ديار القوم لعل بسعادتك وهيبتك وعلو منزلتك أبلغ منيتى وتقضى بجودك حاجتى فأجابه دريد الى ذلك فعند هار جع دثار وأصلح شأنه وأوصى عبيده وجواره بما يتفق من

أحواله

أحواله ولما أصبح الصباح فى ثانى يوم لبس قماشه وتقلد بسيفه واعتقل برمحه وتمنطق بترسه وفى الحال ركب على ظهر حصانه ولم يزل ينتقل سائرا حتى أتى الى دريد بن الصمة فاستأذن فأذن له فى الدخول فدخل فلما وقعت عينه عليه باس الارض بين يديه فما كان جوابه الا أنه زعق فى رجاله وأبطاله وقد انتخب منهم خمسين فارسا من الابطال الاوقاح المعدودين بضرب الصفاح والطعن بالرماح ومقاساة الاهوال وملاقاة الرجال فى أوقات الحرب والكفاح المعدودين بالصبر فى حومة الميدان ﴿قال الراوى﴾ وقد بلغنى أن دريدا لما سار تلاحقت به الرجال فأشار اليهم بالاقامة فى الديار وقد قال لهم يا وجوه العرب ما قد امنا ما يوجب انزعاجكم والبؤس وانما هو أمر يوجب خطبة عروس فليكن مقامكم فى الديار أوجب عليكم لحفظ المال والعيال ونحن ما لنا عليكم غيبة الا مقدار مسافة الطريق فعند ما سمعوا منه ذلك ودعوه ورجعوا الى ديار بنى هوازن وجشم وسار دريد يطلب طريق ديار بنى خويلد هذا ودريد ودثار سائران فى المقدمة وهم فى المنادمة والحديث وأشعار وأخبار مما قد جرى فى أوائل الزمان عن ملوك تلك الاوائل ويتحدثوا مما جرى من ملوك الارض فى طولها والعرض ولم يزالوا سائرين بطول ذلك النهار حتى أمسى عليهم المساء فعند ذلك نزلوا عن خيولهم وقد ضربوا خيامهم ومضاربهم وأوقدوا النيران وباتوا تلك الليلة الى الصباح خرج دريد وقام معه الفرسان والابطال وحملوا وساروا ولوا أن لهم أجنحة لطاروا ﴿قال الراوى﴾ وقد بلغنى ان دريدا وأصحابه لما كانوا سائرين على هذا المسير اذا اعترض لهم أسد عظيم الخلقة وقد ملأ البر من الجسير وقد بادر الى نحوهم من دحال يقال له ما دحال المخافة وكان هذا الاسد أحمر مجللا بالشعر والوبر عظيم المخبر من نظره يقشعر بدنه ويهابه أهل العقول وتكاد الالباب عند رؤيته أن تزهق وتزول قال وعند اعتراضهم له طلبته فرسان دريد وأرادوا الهجوم عليه وقد قاربوه الرجال وتبادروا اليه وقد عول دريد أن يتقدم فى طلبه فعند ذلك قفز اليه دثار وباس الارض بين يديه وقال له أسألك أيها الامير أن تمهل على وان تأمرنى بلقاء هذا الاسد فقال له دريد ويلك ما هذا أسد يقدر منك يقاتله ويحاربه وان كان لابد لك من ذلك فخذ حذرك منه واياك أن ينشب فيك مخالبه فقال دثار وحياتك يا مولاى لالقينه الا عريان الجسد خالى من السلاح والزرد ثم ان دثارا بعد كلامه نزل من على ظهر جواده وقد حقق زرده وقماشه وفى الحال أرمى بيضته من على رأسه وتقدم الى الاسد وجرد فى كفه حسامه المهند الا أن دثارا لما تقدم الى الاسد هم ودمدم وزمجر ورطن وبربر وقد طلع على شدقيه الزبد وما بقى يعرف ان بين يديه أحد وفى الحال خطى أول خطوة فلما نظر اليه الاسد كشر على أنيابه وقد بحلق له عينيه فعند ذلك خطى له دثار ولما قارب الاسد وثب وفرقع بذنبيه وزعق وصرخ فتهار بت الخيل من زعقته ومن شدة صرخته فاندهش دثار ثم خطى له ثالث خطوة واذا بالاسد أقرن أذنيه وقد أبرز له أظافر كأنها خناجر فلما نظر دثار الى ذلك شجع قلبه وقد أظهر نخوته وأغرز ذيله فى دور منطقته وصرخ فى الاسد بعلو صوته وفى الحال بادره بضربة بعد أن وثب عليه وكانت الضربة قد أصابته بين عينيه فطلع السيف يلمع من بين فخذيه فوقع الاسد شطرتين وقد صار جزئين وبقى على الارض قطعتين فلما قتل دثار الاسد وصار على وجه الارض ماتى ممدد ومسح سيفه فى جلده ثم عاد الى درعه وزرده ولبسها وعاد الى ظهر حصانه بعد ان قبل يد دريد ورجليه فى الركاب فعظم دثار فى عين أصحابه والفرسان وقد علم أنه بلغ غاية المنتهى فى الشدة والفروسية والشجاعة والحمية لان دثارا بعد ما قتل الاسد قال له دريد لله درك يا دثار وقدر بينك فوالله ما ضاعت التربية فيك فعندها قبل دثار يده ثانيا

وشكره وحمده وأثنى عليه و بعد ذلك سار القوم أياما وليالى وهم يرحلون وينزلون ولما توسطوا نصف الطريق التقاهم مقدار خمسمائة فارس وهم من فرسان قبيلة يقال لها بنى الحرث ومعهم مقدار خمسمائة وخمسون ناقة وجمل وهم قد كسبوها من بعض القبائل والحلل وهم طالبون بها ديارهم فلما أبصرهم دثار التفت الى دريد وقال له أيها السيد أنا أشتهى من احسانك أن تترفق فى المسير حتى انى آخذ هذه النوق والجمال التى مع هؤلاء القوم أستعين بها على بعض المهر وتكون والله من جملة مايطلبه منى صهرى سام أبو الصبية من الصداق أو أتقوى بها على عمل الوليمه والطعام والشراب وأطعم الاصحاب والرفاق وأنتم يا بنى عمى أشتهى أن تمهلوا على ساعة من النهار حتى أبدد شمل هذه الخيل فى الاقطار والبيدا فعند ذلك التفت اليه دريد وقال له ويلك يا دثار هذه الفرسان من قبيلة بنى الحرث لان أسلابهم تدل على أنسابهم وأيضا بيننا وبينهم دماء قديمه وأخاف أن يظفروا بك فستوفوا منك بعض الدماء فان كان ولابد فخذ معك عشرة فوارس يكونوا خلف ظهرك حماة لك قال دثار وحق الذى أجرى الماء وعلم آدم الاسماء وقد أثار الظماء لا يبرز للقوم الا أنا وحدى ولو أنهم يكونوا سباع البيداء فقال دريد ان كان هذا الامر قد تصور بقلبك فأنا وأنت نبادر القوم ونحمل عليهم ونحرمهم لذيذ المنام و يكون أنجز لمسيرنا فقال دثار أنت يا أبا النظر ما أقدر أرد عليك فيما تفعل ولا أعدل عن شورتك فيما تعمل فافعل يا مولاى ما تريد فأنا لك من جملة العبيد فاحمل أنت على أى مكان شئت حتى لا أكون قد تعديت عليك فعند ذلك حمل عليهم دريد وقد زعق على الميمنة وفى الحال حمل بعده دثار وطلب الميسرة وزعق فيها كأنه النار المسعره وكان فرسان بنى الحرث أيضا أبصروهم ورأوا أصحاب دريد فى قلة فعند ذلك وقفوا وصاروا يستشورون فى أخذ خيولهم وأسلابهم ومامعهم من سلاحهم فلما نظر بنو الحرث الى هذين الفارسين وقد أطلقوا الى نحوهما الاعنه وقوموا بين آذان خيولهم الاسنة فعندها تعجبوا من أمورهما وقد التقوهما وقد أبصروا من دريد وأيضا من دثار طعنا وضربا وأخذا وردا أحر من شعل النار (قال الاصمعى) والحديث ههنا مايذكر فى اطالته لاجل مابين القوم من التفاوت لان دريدا وحده يلقى ألف فارس ويكون عليهم مايقظا غير ناعس ولولا ذلك ما كانت العرب تسميه رحاة الحرب وكان دريد كاسمه قال ومامضى النهار حتى فتكوا فى بنى الحرث وقد قتلوا من الخمسمائة فارس مقدار أربعمائة وخمسة وتسعين وفى الحال هربت من بين أيديهم خمسة رجال وقد ولوا بخيلهم منهزمين هاربين وأخذ دثار النوق والجمال والخيول والاسلاب والاموال وفرحت قومه بما ظهر له من الشجاعه والفروسيه وأيضا من البراعة والشطاره والحميه وفى الحال جمع أصحاب دريد الخيول والدروع وكذلك الاسلاب وبات القوم تلك الليلة فى ذلك المنزل ولما أصبح عليهم الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك صرخ فيهم دريد فانتبهت الرجال وشدوا على خيلهم وتدرعوا بدروعهم وركبوا على ظهور صافناتهم وقد ساقت العبيد بين أيديهم النوق والجمال وتموا فى المسير ليلا ونهارا وغدوا وأبكارا وهم يوصلوا سير الليل بسير النهار حتى قاربوا ديار بنى خويلد وقد بقى بينهم و بينها مقدار نهار واحد ومن هناك خلعوا ثياب الزرد وآلة الحرب والقتال ولبسوا ثياب البهاء والجمال وألبس دريد دثارا خلعة من ملابسه كلها تشتغل بالفضة والذهب وهى تقد وتلتهب وعممه بعمامة خضراء وهى معلمة الاطراف وكان دثار هذا شابا به رائق وجمالة فائق فعند ذلك أرسل دريد من أول النهار فارسا من بنى جشم الى عند سام أبى الجاريه يعلمه بوصول دريد وأصحابه وأيضا بدثار حتى يتأهب للقاهم (قال الراوى) فهذا ما كان من دريد (وأما ما كان) من سام أبى الجارية وصهرهم ضبيان فانهم قد حدثوا الحى على هذا

الحال

الحال وبما جرى لهم مع دريد بن الصمة ودثار بن روق وقد أطلعوا أهل القبيلة بهذا الحال فلما سمعت القبيلة بهذا الخبر فرحوا بما قد سمعوا من اللغو والكلام وما في بني خويلد الا من فرح بهذا المقال وشكروا دريدا وأثنوا عليه قال فبينما فرسان بني خويلد يتحدثون في مثل هذا وأمثاله وهم يقولون اسام كملت سعادتنا ياسام اذا كان تربية دريد صهرنا فنعتز والله بسيف دريد وأيضا تخافنا العرب لاجل صهره سبيع بن الحرث المسمى بذي الخمار وما تكمل سعادتك وسعادتنا الا اذا صاهرنا ابن روق دثار قال وبينما عرب بني خويلد في هذا المقال واذا بالفارس الذي أرسله دريد بن الصمة قد أقبل عليهم وسلم عليهم وشكر وبعد ذلك قال لهم اعلموا يا وجوه العرب ان دريد ابن الصمه وارد عليكم هو وأصحابه وفرقة من الفرسان والابطال ﴿قال الراوي﴾ فوالله ما انتهى الفارس من آخر كلامه والمقال حتى توافت الفرسان والابطال ولبست دروعها وأسلحتها وركبت على ظهور خيولها بعد أن تقلدت بسيوفها واعتقلوا برماحها وكذلك النسوان والبنات قد خرجت من أبياتها والبعض من بين خيامها ومضاربها ولم يكن بقي في القبيلة من النساء والرجال والعبيد والغلمان الا وقد خرجوا يتفرجون على دريد بن الصمة وعلى أجناده وفرسانه كيف يكون عبورهم الى الحمى وكيف يكون ملتقى العربان في ذلك اليوم العظيم الشان (قال الناقل) فبينما العربان يهرعون والنساء والبنات يزغرتون ويهللون واذا بدريد قد أقبل بمن معه من الابطال والفرسان ودثار ابن روق في وسطهم مثل القمر اذا هل وبان وقد احتاطت به بنو هوازن وجشم وهمدان فعند ذلك تلقتهم العربان وقد سلموا عليهم وفرحوا بهم فرح استبشار فعند ذلك زغرت النسوان وهللت البنات والغلمان ورقصت العبيد والصبيان ولم يزالوا في فرح واستبشار حتى انهم وصلوا بهم الى المنازل والاوطان فعند ذلك وقفت العربان وسط القبيلة وهم راكب على ظهور صافناتهم وقد ملؤا تلك الارض وسلموا على بعضهم البعض بفرحة ومودة واحتشام وأما دثار فانه قد وقف بفرسه في وسطهم الجميع فعند وقوفه ميزته الرجال وكذلك النسوان فتعجبوا من رؤيته وبهجته ومن شبابه ورونقه وقد استحسنه النساء والرجال وقالوا لبعضهم البعض والله ان كان هذا على الحقيقة دثار فما هو الا فرجة للنظار وان أقام عندنا في هذه الديار فيفتن والله المتزوجات منا والبنات الابكار فهذا ما جرى من الرجال والنسوان وهم وقوف على الاقدام (وأما ما كان) من سعدى ابنة سام فانها ركبت في ذلك اليوم وقد سارت الى جانب أبيها في زي الرجال والغلمان والابطال وقد صارت تدير عينيها الى العربان والفرسان والاقيال ذات اليمين وذات الشمال وتطلب أن تعرف بعلها بمعرفتها وفراستها وقد صارت تكرر النظر فيهم وتدير عينها في جميع الحاضرين فما ترى أحسن منه ولا أجمل ولا أبهى ولا أشكل من دثار ولا أعظم هيبة ولا أشكل من ركوبه وهو مثل الاسد الهدار (قال الاصمعي) ولما أعجبها وقد افتتنت بشبابه فعند ها قالت لابيها يا أبتاه ان كان هذا الفتى الذي قدام ناظري هو بعلي فأهلا به وسهلا وان كان غيره فما أريد رجلا ولا زوجا ولا بعلا فقال أبوها يا بنتي اصبري على نفسك فأنا أبين لك الحال من المحال وأظهر الصحيح ثم ان سام بعد كلامه لابنته تقدم قليلا وصاح بين الطائفتين وقد أومأ الى الشيخ دريد بالسلام والاكرام وعند ذلك نادى بأعلى صوته في نداه أيها السيد الهمام والاسد الضرغام والليث المغوار والفارس الكرار ابن السادات الاميد ثار يظهر من بين الرجال والابطال ويكشف لناعن وجهه اللثام حتى يتضح البرهان وتبين للناس عيان فان النساء نواقص العقول ونظرهم خلاف نظر الرجال وما تم سام كلامه حتى قفز دثار اليه وفي الحال صار بين يديه ونادى بأعلى صوته وقال يا مولاي ها أنا عبدك الخاطب وقد أتيت الى جنابك وقبيلتك راغب فان

رضيتني ملكتني وكنت لها عبدا وخادما وكنت أيضا مملوكا لهذا البنت وان هي أبعدتني رجعت يا أمير
من حيث أتيت فقال سام لا يا ابن روق نحن ما نريد سواك ولا ندعوا الى الله الا برضاك وقد بين لهم
باطن حديثه وقصته فعندها ارتفع الصياح بالمسرة والافراح قال فعند ذلك قدم دثار تلك النوق
والجمال التي قد كسبها في الطريق وقال لابي الجارية يا مولاي هذه تكون برسم الهدية والضيافة
وأما مهر ابنتك فيكون أوفى مما تريد ثم ان دثارا بعد كلامه لجميع نزل هو وأصحابه يريدون الراحة وقد أمر
الى عبيده م والغلمان أن يضربوا المضارب والخيام فنزلت الفرسان وقد أمر دثار بذبح الخرفان
وتعليق القدر فهذا ما كان من دثار (وأما ما كان) من سام أبي العروس وفرسان بني خويلد فانهم
كانوا عربا كراما وبحيرا والخائف من لهفاته ويشبعون الجيعان ويكسون العريان وما فيهم أحد الا
نحر وعقر وكذلك در يد ودثارا استعدوا ونحروا وعقروا وبعد ذلك اتصلت الولائم والدعوات مدة
سبعة أيام على الدوام متواليات هذا والخلائق يأكلون ويمرحون ويتفرجون والجوار بالمزاهر
يدقون ويزعقون والعبيد بالمزاريق والحراب يلعبون وتحت الحجف يتقلبون وفرسان در يد
وفرسان بني خويلد الى الميدان يسيرون وبالرماح الطوال يتطاعنون والعبيد في كل يوم ما يقدرون
عليه يذبحون وينحرون وفرسان در يد من ميدانهم ما يرجعون الا ويلتقون الطعام ورائق المدام
يشربون فلما أصبح عليهم ثامن يوم أرادوا أن تزف العروس فزفت على دثار وكان ذلك النهار نهارا مباركا
فعند ذلك تقدم در يد الى وسط الجدار وأخرج الخلع الثمينة فأخلع على مقدمين الحلة وعلى كبارها
ولما فرغ در يد من تفريق الخلع فعندها وثب دثار على قدميه ونثر بين العربان من الفضة والذهب
شيأ كثيرا وقد صفت القلوب لبعضها بعض والاسرار وقد عاد حصان سام اليه فكان عنده أحلا من
بلوغ المنى ومن نور عينيه وأيضا من الروح التي بين جنبيه وبعد ذلك أقام در يد وأصحابه وفرسانه
عند القوم تمام خمسة وعشرين يوما وبعد ذلك استأذن در يد أبا الجارية انه يريد الرحيل فلما سمع
فرسان بني خويلد ما نطق به در يد شق عليهم ذلك الامر لانهم كانوا قد أحبوه ومن معه محبة شديدة
فعند ذلك خلعوا عليه فاقام عندهم عشرة أيام أخر وما حنثهم في الايمان وبعد ذلك رحل در يد وهو
عائد الى قومه في تلك الخمسين فارسا الذين قد وصلت معه * وأما ما كان من دثار بن روق فانه رفع زوجته
فوق هودج عالي وقد زينه بالجواهر والفصوص واللآلئ وكذلك بالعقيق الاحمر ومن البلخش
والزمرد الاخضر قال وبقي هذا الهودج من عظم ما رصع فيه من الجواهر الثمينة واللآلئ والفصوص
المعظمة وكأنه يدهش بالعقول وأما التي هي راكبة فيه فهي مثل الحور والولدان وقد وشح هذا
الهودج بثياب من السندس الاخضر والحرير والاستبرق وقد حلى الجمل الذي هو حاملها بالذهب
الاحمر والفضة البيضاء والقلائد الجوهر وبعد ذلك سارت فرسان بني جشم وهوازن طالبين الديار ولم
يزالوا سائرين مدة أيام وليالي حتى وصلوا الى جبال نقع فلما وصلوا الى هذه الجبال بامكان فلم يدروا الا
وقد خرجت عليهم ثلاث أكمان من فرسان بني الحرث وكان هؤلاء القوم في ثلاثة آلاف فارس وهم
من كل بطل مداعس وليث ممارس وهم بالسيوف والحجف والرماح والدرق وقد أقبلوا عليهم بالخيول
والرماح والدرق وتصايحوا من كل جانب ومكان وقد لطموهم الجميع بالقنا والقواضب وما في الثلاثة
آلاف فارس الا من نادى وقال في نداه الثار ولمثل هذا اليوم يا در يد قد كنا لك في الانتظار حتى
نستوفي ثارنا من قتلت لنا من الرجال الاخيار قال وكان السبب في ذلك ان در يدا كان أكثر غزواته في
ديار بني الحرث لان أهل هذه القبيلة ما كانوا يطيعوه ولا يعطوه خراجا ولا مالا ولا يحملوا له جزية
ولا عدادا ولا نوقا ولا جمالا لاجل كثرة عددهم وتزايد مددهم فلما ان كانت هذه القبيلة على هذا

المنهاج ولم يعطوا سمعا ولا طاعة فعند ذلك أباح دريد دماهم وقد ضيق عليهم وأفنى أكثرهم بكثرة غزواته اليهم وقد ذكرنا ان دريدا عند مسيره التقى منهم تلك الخمسمائة فارس وفتك فيهم مثل الليث الداعس وقتل منهم هوود ثار بن روق جماعة كثيرة وقد أخذوا منهم أموالا غزيرة ومن جملة ما أخذ منهم تلك النوق وقد انهزم باقيهم ولم يزالوا منهزمين حتى وصلوا الى الاماء وأخبروا بما جرى عليهم من دريد ومن قتل من فرسانهم ومن جندل من أقرانهم فلما سمعوا أهل القبيلة هذه الاخبار فبكت النساء على من هلك من رجالهم حتى أقلقوا بصراخهم الديار وأقلعوا الخمار وفي الحال وصل الخبر الى مقدم الحلة فأمر باحضار المنهزمين فما كانت غير ساعة حتى مثلوا بين يديه فسألهم عن حالهم وعما جرى لهم من الشدائد والكرب ومن هذا الذي أغار عليهم وفتك فيهم من أوباش الرجال فعند ذلك حدثه المنهزمون بما جرى عليهم من الاحوال وكيف صدمهم دريد بن الصمة بالرجال ومن قتل منهم من الفرسان والابطال فعندها قال لهم مقدم الحلة ويلكم وما علمتم أين مضى دريد والى أين قاصد فقالوا المنهزمين بلى والله أيها الامير سمعنا انه سار الى ديار بني خويلد حتى انه يخطب لدثار بنت المقدم سام ونحن أيها الملك نعلم انه ما يقيم هناك أكثر من عشرة أيام على التمام وبعد ذلك يعود الى دياره والخيام فقال الملك سيد بني الحرث فاذا كان الامر يا وجوه العرب على مثل ذلك فأنا أقلع أثر دريد ومن معه من الرجال في هذه المرة وأعرفه شؤم هذه السنة لانه قد بالغ في العداوة لنا وفي المضرة والاسى علينا وقد اطرح أمرنا وبنى على غيرنا ولما انتهى الملك من كلامه والمقال أمر وزيره بانتخاب الرجال والفرسان والابطال فما كان غير ساعة من النهار حتى انه جهز من عسكره كل فارس كرار وكان جملتهم ثلاثة آلاف فارس من كل بطل مداعس وقد ركب على حصان من أفخر الخيول التي ما مثلها في تلك الايام وقد نشرت على رأسه الرايات والاعلام وخفقت الصناجق والبنود وفي الحال زعقت الجاويشية وخرجت النقباء والغلمان فعند ذلك ركب الوزير بين يدي الملك ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ديار يقظان فعندها أمر الملك بالنزول لجميع الفرسان وضربت الفراشين السرادقات والمضارب والخيام وقد أكمن بهم الملك تحت ذلك المكان كما ذكرنا فهذا ما كان من أمر الملك (وأما ما كان) من دريد بن الصمة فانه لما عاد من ديار بني خويلد كما وصفنا وقد خرجت عليه الكمنا كما وصفنا وقد نادت الرجال على دريد بذلك النداء وأخذوا عليه من أقطار الفلا وجوانب البيداء وعرف دريد وتيقن حقيقة الحال كما شرحنا فعند ذلك التفت الى رجاله ونبههم من كان معه من فرسانه وأبطاله وقد وقع بينهم الحرب والقتال واختلف ما بينهم من الحرب والطعن وكان دريد كما سمي رحا الحرب حقا لانه جال وصال في بني الحرث شرقا وغربا وكذلك دثار بن روق وأما فرسان بني هوازن وجشم فقد قتلوا الفرسان وطؤوهم بأقدامهم طوقا أي طوق وقد فعل بنو جشم فعال السادات الكرام لان العدد كان عليهم كثير والجمع غزير لان بني الحرث كان عددهم ثلاثة آلاف فارس ودريد في خمسين فارس ولولا دريد ودنا ما بقي من الخمسين الذين معهم أثر (قال الراوي) وما زال الضرب والطعن بينهم يعمل والدما تجري حتى تعب دريد وقد كل ومل واندرس رسم شجاعته واضمحل وقتل جواده من تحته وصار يقاتل من خوفه على زوجته ويناصل وتزاحمت عليه الابطال وهم يقولون الثار الثار البدار البدار هذا يوم أخذ الثار وكشف العار (قال المصنف) وهو الاصمعي رحمه الله تعالى وفي تلك الساعة أشرف الامير عنتر وأرسل أخاه شيبوب ورجع اليه بحقيقة الخبر فعند ذلك حمل عنتر ومقرى الوحش في الخمسين فارسا واقتحموا القتال برماح تعلو مثل الافاعي وصرخوا يا لعبس يا لعدنان وقد جودوا الضرب والطعان (قال الراوي) فلما سمع دريد ذلك النداء

ظن أنه كمين آخر للعدى وما هدأ قلبه حتى رأى وجه عنتر فاشتد ظهره وهان عليه ما تعسر من أمره وقد تعجب من هذا الاتفاق واتسع عليه البر بعد ما ضاق وقويت عزائم من معه من الرفاق وكان وصول عنتر اليهم نصف النهار فما طال عليهم الوقت غير قليل حتى فرق بني الحرث في البراري والقفار ودرسهم درس الزمان للاعمار ومزق عنتر الثلاثة آلاف فارس كرار وبقوا طائرين في البر يزعقون ولما انطفت نار الحرب والقتال وشتت المنهزمين بين أحاقيف الجبال وقد التقى دريد بعنتر وصار يشكره على ما فعل وقال له يا أبا الفوارس ما الذي ألقاك في هذا المكان والى أين سائر يا سيد الفرسان ولمن هذا المال الذي معك والاظعان فحدثه عنتر بقصته وكيف اختصم مع بني عبس وبني فزارة لاجل فعالهم في حقه وانه طالب جبال غزية ومنازلها العلية يريد الاقامة هناك فقال دريد لا وحق مالك الممالك لا نزلت الا عندي وفي دياري ومن أشرف أيامي أن يكون مثل أبي الفوارس في جواري وان لم تجبني الى ذلك نزلت عن جوادي وقدمت بزمام ناقة عبلة ولا أزال ماشيا الى أن تصل الى الحلة فعند ذلك تبسم عنتر من كلامه واستحى من اهتمامه ثم انه أخذ عنتر ومن معه وساروا الى المضارب والخيام وما لحق أن يجلس حتى أتاهم الطعام وتقدمت سادات بني قراد وسلموا على دريد وأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا وحدثهم دريد بما جرى له في بني خويلد وكيف زوج دثار ابن سعدى بنت بسام وما جرى لهم في الحرب مع بني الحرث حتى أدركتنا أنت بهمتك يا زين الفوارس فشكره عنتر على مدحه وقبل يديه وصدره وباتوا تلك الليلة في أجل ما يكون حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأمر دريد العبيد أن يشدوا المحامل على النوق والجمال ففعلوا ما أمرهم به وركبت النسوان والبنات وكذلك الرجال على الخيول العربيات وتقدمت الابطال وسار الظعن أياما وليالي وغدوا وأبكارا حتى أشرفوا على الديار وقربوا من جبال غزية ومنازلها العلية فاختار دريد لعنتر من الارض قطعة كثيرة العشب والكلا والماء والمرعى ونحر لهم دريد النوق والجمال والفصلان وسمان الضأن وأضافهم وأكرمهم سبعة أيام وفرح بهم دريد فرحة عظيمة وصار لا يأكل ولا يشرب ولا يلتذ ولا يطرب الا هو واياه وكلما طال به المقام زاد له في الاكرام وكان لدريد ميدان تقصد اليه الفرسان من كل جانب ومكان ويعرضون أنفسهم عليه في الطعان وكان دريد يركب هو وجميع أبطاله وقومه ورجاله ويأخذ في صحبته عنتر ابن شداد وأعمامه ولا يزالون يتفرجون على الطعان حتى يحمى الحر ويوهج البر فعند ذلك يعود الجميع الى مجلس الشراب وكان دريد يعمل هذا مع عنتر لاجل انشراح صدره وتطييب بذلك قلبه ويرغبه في المقام في أرضه وقد أتت جميع فرسان بني هوازن وجشم وسلموا على عنتر وعلى جميع الحال التي يحكم عليها دريد وتسامعت به فرسان تلك الاقاليم والبلاد فأتوا اليه حتى ينظروه ويعرفوه ويسلموا عليه لانهم كانت تجيئهم أخباره مع السفار ويسمعون عن حربه وقتاله وفصاحته وأشعاره وما جرى له مع خداوندين كسرى وكيف قتل وردشان وما تم له في الحرب والطعان وكيف أخذ نوق النعمان من أبيه المنذر وما قاسى من حوادث الازمان حتى ضاقت بهم تلك الكثبان وصاروا يحضرون الطعان والرهان لان فرسان العرب كانت تراهن فانهم كانوا يعملون حلقة في رأس رمح عال وتركض الفرسان ويحدقونها بالرماح فكل من دخل رمحه في الحلقة سبع مرات يأخذ رماح الجميع * هذا وقد صارت القبائل تراهن وتبارز بعضها بعضا وتظهر براعتها في الطعان ودريد يحكم بينهم برأي عنتر بن شداد ويبين لهم الضلال من الرشاد وقد أقام الفرسان على هذا المنهاج أياما وليالي الى ان كان يوم من بعض الايام برز فارس من فرسان بني سليم الى وسط الميدان فنظر اليه الخلائق واذا به غلام أسود صافي السواد شديد

الاكتاف

الاكتاف معتدل القوام حلو المنطق واضح الابتسام وعليه غلالة رومية وهو على ظهر حجرة عربية
متعمم بعمامة خز كوفية وقد أرخى لها عذبة من الحرير الاحمر وعلى عاتقه سيف مجوهر وفي يده
رمح طويل أسمر مكعب تكعيب معتدل الانابيب وكان هذا الفارس شجاعا من الشجعان وقرما
من الاقرام وما انحدر الى الميدان جال وصال وتقلب على ظهر الحصان حتى تفرجت عليه الفرسان
وهز رمحه وهز الجواد فطار به طيران ولم يزل حتى خرق حلقة الرهان واستحق رماح الرجال
والشجعان ولكنه لما أخذ هاره ماها اليهم ولم يأخذ منها شيأ بل قال يا بني عمي أنتم تعرفون أني أنا
عبد وأنتم الموالي ولا يجوز لي أن آخذ رماحكم العوالي ولا أقدر أن أفتخر عليكم بفعالي وأنا ما خرجت
الى الميدان الا على سبيل الفرجة مع الاخوان لا على سبيل الطمع من الرهان ثم بعد ذلك رجع
الى طائفة أخرى فوجدها بطالها قد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فعند ذلك قلع من رمحه السنان
وبارز الابطال والفرسان فما نازل بطلا الا وسطا عليه ولا شجاعا الا وعلم عليه ولما ان أقرت له
الفرسان بالفروسية وأراد الانصراف تقدم الى عنتر وقال له يا مولاي قد أسأت اليوم الادب
بين يديك وتقدمت بجهلي عليك لانك أنت سيد الفرسان وعين هذا الزمان فالسيوف البتر
لكفك طبعت والرماح السمر لراحتك صنعت والفصاحة من بعض ألفاظك سمعت فأي بنان يقدر
يحمل بين يديك الحسام وأي جنان يثبت اذا سمع من أفواهك الكلام فقد جلت بقدومك أرضنا
ونورت من السعادة حظنا ورعت عند العرب قدرنا وعبدك يشتهي من تفضلاتك أن تتقل
أقدامك الى منزلي ومقامي وتجبر كسر قلبي بأكل لقمة من طعامي لان أخلاقك تعلم الناس مكارم
الاخلاق وسماع صفاتك السائرة في الآفاق على ألسنة الناس الحذاق هي التي تركتني أطلب
ما ليس لي باستحقاق ثم تقدم اليه يقبل ركابه فترجل عنتر اليه وقد ملك بهذا الكلام فؤاده واعتنقه
وقبله بين عينيه ثم شكره وأثنى عليه وقال له يا وحيد العرب كل ما ذكرته من الصفات أنت بها
أحق والذي يطلب أن يصل الى أدبك وفعالك فقد ظلم وعق لانك اليوم أبهرت النواظر وأشغلت
الخواطر ورأينا منك ميدانا ملآن مدحتنا وأنت أولى منا بالمديح وأما كرامك لنا فانه مله
بل نسمع قولك ونمتثله لان المعرفة بمثلك شرف والتأخير عن خدمة مثلك غرور وتلف ثم انه عضده
وردّه الى ظهر جواده وشاور دريدا في المسير معه فقال دريد والله يا أبا الفوارس كلنا اليوم نسير مع ابن
عمنا ولا نخيب قصده ولا نكسر قلبه ثم انه التفت الى الغلام وقال له يا خفاف اسبقنا وها نحن على
أثرك تابعين فقبل الغلام يد دريد وسار وأما عنتر فانه رد جميع أصحابه خوفا من التثقيل وما أخذ
معه غير رأيه وأعمامه ومقرى الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرة من الابطال وسار مع دريد
وهو يسأله عن الغلام فقال له هذا يقال له خفاف بن ندبة وقد طلع فارسا من فرسان العرب وكسب
بسيفه نعم المكسب وصارت له خيام ومضارب وخيل وجنائب وقنا وقواضب فقال عنتر وقد
تعلق قلبه بمحبته والله ان قصة هذا الغلام تشبه قصتي فتبسم دريد وقال أنت مالك نظير في هذه الدنيا
وبين الورى ولا يقاس النهر بالبحر ولو جرى وكان هذا الغلام فيه مشابهة من حديث عنتر بن شداد
لان أمه كانت أمة وألحق روحه بالنسب وصار يعد من أولاد العرب وهو من بني سليم وكان في
بني سليم من يحسده ويبغضه وهو العباس بن مرداس السلمي رضي الله تعالى عنه (قال الراوي)
ولم يزالوا سائرين بين المضارب والخيام حتى وصلوا الى أبيات الغلام فوجدوه قد هيأ لهم الطعام
والمدام وأجلسهم في أرفع مقام ووقف في خدمة العبيد والخدام وقد فرح بهم غاية الفرح وزاد لهم
في الخير والانعام وعقر وذبح لهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع قام خفاف على الاقدام وقدم لعنتر جوادا

وعدة جلاد وكذلك لدريد بن الصمة فما قبلوا منه شيأ بل زدوا عليه متاعه وعادوا من عنده وهم يحمدونه ويشكرونه ويمدحونه (قال الراوى) ولما وصل دريد الى خيامه وحد سبيع بن الحرث وصل من بنى جبير يأخذ أخبار عنتر لانه ذكر ناما جرى له معه فى ديار بنى عامر وكان قد عول على براز ه وعاد الى قومه بالحمد وأتى اليه دريد وسأله عن حاله فقال ان منزلتى قد نقصت عند العرب من يوم أسر عنتر عبد شداد وانه قد التقانى وأنا تعبان من قتال بنى عمه وكانوا أربعة آلاف وكان جوادى قد بلغ المنتهى من التعب فوقع من تحتى عند لقاه فبلغ منى ذلك الوقت منا ه وكنت أنا عولت أن أعلق لى قصيدة على الركن اليمانى فى البيت الحرام وأنال الفخر بين الانام فانكسر عزمى عما كنت عليه عازم لان العرب صارت تقول لى كيف نسجد لشعرك وأنت أسرك عبد بنى عبس والآن قد بلغنى أنه نازل علينا وقد أتيت أبارزه بين يديك ويكون برازى على سبيل الاختبار فان أمرنى اشتريت نفسى منه بكل ما يريد من المال وان أنا أسرته استخدمته مثل العبيد عند الموال فقال دريد والله ياذا الحمار ان هذا الامر ما أتركه يتم ههنا فى ديارى ولا بقدر أحد يؤذى جارى لان هذا الرجل فى جوارى والرأى عندى أن تترك هذا الامر خير لك ولك حجة تحتج بها عند قبائل العرب وتقول أسرنى عنتر وأنا تعبان وما قهرنى حتى وقع من تحتى الحصان ولا تلم فى هذا الامر وفى معاداة هذا الرجل تندم لانه اذا انتصر عليك جملك فضيحة بين الامم لانه والله فارس العرب والعجم وشجاع الزمان وما أظن أن تلد مثله النسوان وانه أخبر منك بالطعان ومداراة الفرسان وله خبرة وساعات طيبة وسعادة ولرب السماء فيه مشيئة واراده والرأى عندى أن تعود الى أهلك ولا تخالفنى فتهلك (قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع ذو الحمار ذلك المقال زاد غيظه وحنقه وكاد الدم أن يطرش من حلقه وعاد من ليلته طالب أهله وأظهر انه غضبان ولما أصبح الصباح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح وركبت أبطال القبائل الى الميدان الذى قد مناذكره وأقبل عنتر وسلم على دريد هو ومقرى الوحش والرحال الذين معه فكان أول من برز الى الميدان الصبيان الذين فى الحلل وهم أولاد الفرسان لاجل أن يتعلموا الضرب والطعان كما جرت به العاده حتى تقضى نصف النهار وهم على ذلك الحال فأرادت الفرسان أن تخرج الى المجال واذا قد أقبل من صدر الميدان فارس غريب وعليه زى عجيب وله هيبة ووقار وثياب جميلة تبهت النظار لانه كان لابسا ديباجة رومية وعمامة خز كوفية وهو مضيق لثامه ومنكس عمامته على جبهته وتحته جواد حسن القدر رقيق لحم الخد طويل الذنب سريع الجرى والطيب فسيح الظهر عريض النحر ظاهر الفخوة حسن الغرة ناعم الشعرة يسوى من المال بدرة ولما أقبل عليه ورمقته الفرسان وتأملته الاقران واذا به العباس بن مرداس السلمى ثم انه فتح باب الطراد فى الميدان ولعب بالرمح والسنان وقد تأملته الاقران وهو يغير فى الحرب أبو باحسان من صدور وهزل وجد وتركيب العنان وزرق العينان والمقاربة والمواثبة والمباعدة والمصادمة والمهاجمة ثم انه أشهر الحسام وحذفه الى الهوى واستقبله بقائه ورده الى غمده وعاد الى لعب الرمح حتى حير الفرسان وأذهل الاعيان ونادى ابرزوا الى الميدان حتى تنالوا منازل الاقران فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس على جواد أبرش لا يسلم به رعش وهو بالزرد مقمش وعلى رأسه بيضة عادية تردمضارب السيوف الهندية مغفل على العباس وجالا الاثنان وصالا على بعضهما بعض فقرع العباس رأسه برأس الرمح وكف عنه وطلب البراز وسأل الانجاز وقال ابرزوا يا بنى الاعمام الى موقف الرجال الكرام واذا عجزتم عن ذلك فدونكم عشرة بعد عشرة فما تم كلامه حتى تحدر اليه خفاف وصار له ملاصقا ومطابقا وأراد أن يجول معه فرمق فيه

العباس

العباس وزعق عليه ارجع الى ورائك يا ابن السوداء الرطبة الاستين المنتنة الابطين الواسعة الشدقين نحن ما طلبنا الا برازا السادات النبلاء لا برازا أولاد الاماء فغضب خفاف وخجل ورد يده الى قائم سيفه وحمل وانطبق على العباس وفعل العباس كذلك مثل ما فعل فعند ذلك جرد در يد سيفه ودثار وعنتر ومقرى الوحش وعروة وزعق در يد فيهم فافترقا وقال لهم ما هذه الفعال بعد اللعب والمزاح عد نما الى الحرب ومقام الكفاح فقال خفاف يا مولاى أنا برزت اليه طالبا ذلك اللعب بين الفرسان فكان فؤاده على ملآن وقال لى ما قال بين الاقران فهذا قول الرجال الكرام فقال عنتر عليك ياخفاف باحتمال بنى الاعمام وان اعتدوا عليك فى الخصام وأنت يا عباس لا تتكلم الا بما تتكلم به الناس الكرام ولا تغضب أحدا بالكلام وعليك بحفظ اللسان والسلام ولم يزل عنتر بينهم يمثل هذا الكلام حتى أزال من قلوبهم الاحقاد وأصلح بينهم ما ولكنه صلح على فساد وعاد هو ودر يد وبقية الجماعة الى حى بنى هوازن وحشم بعد ما ودعهم خفاف وعاد الى أبياته ولكن استولى عليه الغضب وأما عنتر فانه عاد الى مضاربه وأقام بها هو وفى اكرامه الى يوم من بعض الايام قام من منامه وجلس على باب مضربه وأتت اليه أقاربه وأصحابه واذا هو بعبد مقبل من البرية وما زال حتى قبل يديه فتبينه واذا هو من عبيد الحرث بن الملك زهير فلما قدم عليه قال له يا حامية عبس أخبرنى المكان حتى أطلعك على الامر الذى أنفذنى فيه سيدى ففعل عنتر ذلك وقال له اعلم أن حصن بن حذيفة بعد رواحك جاءه الخبر ان جارك مالك بن قادم وبنى عمه رجعوا الى بنى كنانة وتزوج ذلك الغلام بالجارية فلما سمع حصن بذلك أرسل سرية من الخيل الى بنى كنانة فاكتنفوا الجارك وأنفذوا اليه واحدا يستغيث به وذلك حيلة منهم دبروها وخديعة أحكموها فتقلد سيفه واعتقل برمحه وأجاب المستجير وتبعه حتى رماه فى وسط الكمين فلما عاين ذلك الحال والبوائق تيقن بالبلاء الطارق فلما رأته الرجال حملت عليه فصاح بهم ويلكم يا أنذال العرب صرتم تأخذون الفرسان بالخديعة لما عجزتم عن الطعان وأنا وحق من ركب الارواح فى الابدان وجعل الارض ميدان ونصب السماء بلا دعائم ولا أركان وهو الواحد الاحد القريب المنان لا نزلت عن ظهر الحصان ولا سلمت روحى اليكم حتى أعاين الموت عيانا فى هذا المكان ثم انه أخذ رمحه بيده وهمز الحصان فخرج من تحته مثل البرق فى اللمعان وحمل على الرجل الذى استجار به وطعنه أرداه وقد اشتهر الامر وبان وتزاعقت فرسان بنى فزارة وذبيان والتقاهم الغلام برمحه والسنان حتى قتل منهم عشرين من الفرسان فتكاثروا عليه حتى أخذوه أسيرا بالزور والبهتان وقادوه ذليلا مهانا وأتوا به الى حصن فشده وثاقا وأخذ يعذبه بأنواع العذاب ويقول له نادياقرنان عنتر حتى يخلصك من هذا الهوان وأنا أقسم وحق من أخرج الماء من الجماد ما أبرح أصب عليك العذاب حتى تنفذ الى قومك وتأتينى بالجارية نوار وبدية من قتل من الرجال الاخيار وان الغلام يا أبا الفوارس قد بكى عليه الطير فى كبد السماء رحمة له ولولا خوف سيدى من أخيه قيس كان دبر على خلاصه باى وجه أمكن فلما ضاقت به الحيل أرسانى اليك أعرفك بذلك الخبر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وقال للعبد ويلك والملك قيس اليوم معاشر بنى فزارة قال نعم يا مولاى ويأكل هو ولده زهير ويشربان معهم وان زهيرا خرج بطلا من الابطال الشقال وجبارا لا تصطلى له نار فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال أنا ان شاء الله تعالى أسير الى بنى فزارة وألحق حصنا بابنه حذيفة وأما قيس بن زهير وشجاعته وفروسيته فأنا بها فرحان وحامد الله تعالى على ما أنعم وعلى ما أنتج الزمان لبنى عبس حامية غيرى وأراحنى منهم ثم انه أمر عروة أن يكتب للحرث كتابا ويشكره فيه على همته ومحبته ويقول له سوف ترى يا مولاى من يندم

اذا حضر الامر وعظم وهذا أمر لابد له من آخر وها أنا سائر على أثره هذا الكتاب ثم انه خلع على العبد خلعة سنية وأعطاه عشرة جمال يشترى بها نفسه من رق العبودية وودعه العبد وسار طالبا مولاه وهو شاكر لعنتر على ما أولاه وأما عنترفانه زعق على مقرى الوحش وعروة بن الورد وعمرو أخى عبلة ومن يعتمد عليهم من رجاله الابطال فجمع منهم مائة فارس وأخذ أخاه شيبوب بين يديه وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وكان عنتر سمع أن بنى عبس وشباب بنى فزارة يجتمعون وللمدام مع بعضهم البعض يشربون هذا ولم يزل شيبوب بين أيديهم سائرا الى أن قارب الديار فقال عنتر يا أبا رباح انطلق وهات لنا الاخبار من القوم فقال له اى وأبيك أنزل أنت فى هذا الوادى واكمن فيه الى آخر النهار فنزل عنتر وأصحابه كما ذكر له أخوه شيبوب ثم ان شيبوبا سار فى زى راع وأبصر القوم وهم على منهل بين القبيلتين فرجع وأخبر أخاه بذلك ففرح وقال اليوم أفنى بنى بدر وأجازى بنى عبس على فعالهم وأعرفهم قدرى فقال شيبوب على ماذا عولت أن تفعل فقال أغير على أموال بنى فزارة وآخذها وأعود وكل من تبعنى منهم فى البركان لى وله حديث آخر فقال شيبوب أنا أعلم انك اذا أخذت أموال بنى فزارة وتبعوك تخلص الاموال ما يقعد منهم زهير بن قيس وفرسان بنى عبس فقال عنتر اذا أتوا الى حربى ما أقاتلهم بسنان بل أذلهم بالرمح أتركهم مرميين على وجه الثرى فهو أشد عليهم من القتل والهوان فقال شيبوب وأنا بهذا أردت أن أشير عليك ثم ان عنترا وصى مقرى الوحش ورجاله بالذى يعملون وساروا تلك الليلة حتى طلعت الشمس وسرحت الاموال مع الرعيان وانبسطت فى الوديان ولما رأى عنتر ذلك حل هو ورجاله وقطعوا منها خمسة آلاف ناقة وجمل وطرحوا الضرب فى أقفية العبيد وأمروهم بسوقها الى بلاد اليمن وهم ينادون بالقحطان وقد وقع بهم الصياح فى كل مكان وعاد باقى الرعيان الى عند الاحياء وطرحوا الصوت فى الحلة وأخبروا بما جرى فركبت بنو فزارة جميعهم ومن تبعهم ووصل الخبر الى حصن وسنان بن أبى حارثة وهم فى الوليمة كما ذكرنا وقالوا جاءت الينا خيل غائرة وساقت الاموال والنوق والجمال فقاموا بلا عقل وكذلك زهير بن قيس قام الى جواده وهو يقول لحصن لا تخف فلوان أعداءك فى آخر بلاد اليمن لحقتهم وخلصت الاموال منهم وجازيتهم على فعالهم وكذلك قال سنان ثم ركبت بنو عبس وركضوا الى أن أدركوا عنترا ونادوا الى أين يا أولاد الزنا وأنتم ياموا لنا سائرون ونحن سباع الاجم واليوم نجازيكم على فعالكم يا رعاة الغنم هذا وعنتر مد عينه فرأى حصنا وسنانا ومالك بن بدر فى أوائل القوم وهم بقلوب حنقه لاجل أخذ المال وما هم فيه من سوء الحال فعاد اليهم عنتر عودة الاسد الرئبال ورمى نفسه عليهم وهو ينادى يا أوغاد غير امجاد أما تعلمون انى عنتر بن شداد فاليوم أخلص جارى وأجازيكم على فعالكم وأهجمكم فى أقطار البرارى والقفار ثم انه قصد الى سنان بن أبى حارثة ومال عليه وطعنه بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره وكاد أن يعدمه الحياه ويحل فناه وأدرك مالك بن بدر وفاجأه ومسكه من أطراف درعه وحذفه وراءه فكتفهم شيبوب وبعد ذلك طلب حصن بن حذيفة وقد انخرع لما علم أنه عنتر فولى وانهزم وأطلق عنان الغبراء فطلبه عنتر وزرقه بالرمح فخر صريعا جريحا وهنا ونادى والهفى عليك يا ابن الخنا وبعد ذلك عاد الى بنى فزارة فأفناهم وأبلاهم بالبلاء وشردهم فى أقطار الفلا واذا بزهير بن الملك قيس قد فاجأه وهو يقول ويلك يا ولد الزنا تعديك على مواليك فلا باركت اللات والعزى فيك فاليوم أشفى قلبى منك لاجل تجرئتك على بنى فزارة وملوك بنى بدر وطعنه طعنة جبار لا يقع عليه عيار فردعنتر أعنته وطعنه طعنة خفيفة فرماه ورمى معه جماعة من بنى عبس فرماهم كلهم وكذلك فعل مقرى الوحش

وعروة

وعروة بن الورد ولما فرغوا منهم ترجلوا اليهم وكتفوهم وخلوا من البرمكانهم وأخذوا مالك وسنان وساروا يقطعون البرارى والقيعان حتى وصلوا الى الاحياء وحط مالك وسنانا فى القيود والاغلال وصال عليهم بالعذاب والنكال فقال له سنان يا حامية عبس وعدنان أنت مالك حاجة فى اعتقالنا الا الاخلاص جارك فان وثقت بقولنا فنحن نرسل الى حصن رسولا من عندنا بان يفكه ويرسله اليك فلما سمع عنتر ذلك الكلام فقال له يا سنان احلف أنك تطلقه وأنا أخلصك فحلف له على ذلك فقال عنتر ان لم تطلقوه فأنتم أخبر على أى شئ تقدموه ثم أمر شيبوبا باطلاقهم وساروا يجدون فى المسير حتى وصلوا الى بنى فزارة وأطلقوا مالك بن قادم وخلعوا عليه وسار الى أرضه وأما دريد فانه استوحش الى عنتر فأتى اليه وسلم عليه وعتب عليه كيف سار ولا أعلمه حتى انه كان يسير معه ويخدمه فقال عنتر يا سيدى ما هناك شئ يوجب تعبك وعناك ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى ذلك الحديث واذا بالخيل قد أقبلت وهم يقولون ألحقنا يا أبا النظر لانه قد وقع الخلف بين خفاف والعباس ووقع بينهم الحرب والدعاس وان لم تلحقهم والا أفنوا بعضهم بعض فوثب دريد وعنتر وقد لحقوهم والحرب بينهم قد اتصل واشتهرت السيوف وقومت الرماح وعلت الضجات وارتفعت الصيحات فعند هاز عق فيهم دريد وعنتر ودخلا بينهما فرجعا عن الحرب والقتال وقال لهم عنتر ما هذا الحال يا سادات بنى سليم حتى ركبتم طريق البغى التى ما ركبها أحد الا هلك فكفوا عن هذا البغى وان رضيتم تكلمت بينكم فقال دريد يا أبا الفوارس قل ما تشاء فقال عنتر معاشر بنى سليم المطنب فى حقكم والمشهر فى الثناء عليكم عاجز كلامكم مقبول وما لكم محفوظ فضج بنو سليم بالثناء عليه وقالوا له أبدى ما تريد من الخط الرفيع قولك صواب فقال عنتر انصرفوا الى غدا فغدا أحكم بينكم فامتثلوا أمره ورحعوا ورجع دريد وعنتر وأصحابه حتى أصبح الصباح واجتمع السادات كلهم ليسمعوا ما يقضى عنتر بينهم وكان قد أنقذ الى خفاف بالليل وسأله عن حقيقة الامر فأخبره بحاله ولما اجتمع الناس وحضر العباس فقال عنتر للعباس وخفاف أعلمونى ما سبب هذه العداوة التى بينكم فقال خفاف والله يا أبا الفوارس ما لى ذنب الا أنى خطبت بنت هذا الرجل على يد جماعة من سادات قومى فطلع هذا الرجل الينا وقال كلاما لا خير فيه وأظهر عنادا وعايرنى بسوادى فضحك عنتر وقال يا خفاف ان كانوا عايروك بذلك فقد عايروني من قبلك فقلت فى ذلك أبيات من الشعر والنظام

اذا عاب العدو سواد جلدى * فما السواد جلدى من دواء * وفعلى أبيض والمسك لونى
ولونى ليس ينقص فى علاء * ولكن تبعد الفحشاء عنى * كبعد الارض عن جو السماء

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت العرب ذلك قالت هيهات يا أبا الفوارس أن تقيس نفسك بغيرك وأنت النجم الزاهر وجنة الناظر فقال العباس والله يا أبا الفوارس ما خفاف نظيرى حتى يخطب موضع ما أخطب أنا فقال عنتر احفظ لسانك يا عباس فوالله ما يزرى بالرجال الا خصلتين وهما البخل والفزع وأما اذا كان الرجل كريما يكسب ماله الثناء ويذب عن حريمه ويحفظ جاره من غريمه لا يبقى به عيب يعاب به بين السادات الكرماء ثم ان عنتر التفت الى أبى الجارية وقال له يا وجه العرب أنت وحلك مجمل بكل خير ومكلل بالسرور ومنير وهذان الرجلان رضيت عن فيهما يكون لا بنتك بعلا فتزوجه بهما ويرجع الآخر عنها بلا علاج فقال أبو الجارية والله يا أبا الفوارس لو تركونى من الاول أن أتكلم ما جرى شئ من هذا الامر ولكن اعلم يا أبا الفوارس والكلام لجميع السادات ان لى ثارا عند رجل من أهل اليمن يقال له المقعنجز بن فايز القضاعى وسبب الدم الذى

لى عليه انه أغار على جمالى والنياق فساقها مع الخيل العتاق وعاد يطلب ديارة فوصل الى الخبر فلما
سمعت بذلك ركبت أنا وأولادى لنرد المال و جميع النياق والجمال ولما لحقناه وزعقنا عليه وحملنا
من كل جانب عليه عاد الينا عودة الغول الحردان وقوم الينا السنان وزعق على ولدى الاكبر وطعنه
فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ولما رأيت ذلك غابت عن عينى الارض والسماء وحملت عليه
لا خذمنه بتارى وأكشف عنى عارى فكبكب جوادى ورمانى عن ظهره وكانت وقعة عظيمة أوهنت
قواى فأردت أن أقوم فبادر نى بعض بنى عمه وطعننى فوقعت الطعنة فى فخذى فوقعت على وجهى
وقد خاف أن تلحقنى الفرسان من أرضنا فجد فى المسير وقد ظن انى قتلت ولما أبعدت عن القوم قمت
وشديت جرحى وأتيت الى البيت وعلمت نفسى حتى برئت وقد بطلت رجلى وبقيت فى أمر مهول
فأيهما أخذ بتارى وكشف عنى عارى زوجته ابنتى ورضيته لكريمتى (قال الراوى) فلما سمع
الحاضرون ذلك عذروه وقال دريد والله ما بقى على الرجل ملام فعند ها نهض الاثنان وارادا المسير
فقال عنترما هذا صواب ان سارا فى طريق واحد نخاف أن تتجدد الحروب بينهما فيقتلان ونكون
قد دبرنا تدبيرا يعود علينا بهلاك وبال وتدمير فقال دريد كيف يكون الحال فقال عنترنلقى بينهما
القرعة فأى من وقعت عليه سار قبل صاحبه فاجاب دريد الى ذلك وشكرته العرب على قضائه والقوا
القرعة بينهم فوقعت على العباس ثلاث مرات ففرح فرحا عظيما ثم اتفقت العرب ان العباس
يبلغ مراده لما يعرفون له من الاصدقاء والاصحاب لان من جملة أصدقائه سبيع بن الحرث الملقب
بذوالخمار وما كان قلبه قويا الا به ومن يومه جمع بنى عمه وسار الى بنى حمير ونزل على سبيع ففرح به
وأكرمه وسأله عن حاله فأخبره بما جرى له وما اتفق بينهما من الامر قدام سادات العرب ثم قال
وقد أتيت اليك قاصدا حتى تعيننى على ذلك لانى أعلم ان خفافا يطرح نفسه على عنترفيشد معه ويسير
الى معاونته لانهم عبيد أولادزنا وأنا قد سلمت أمرى اليك وتركت معولى عليك فقال ذوالخمار
ياعباس ابشر بما يسرك ويكشف عنك ضرك ثم انه جمع من يعتمد عليه من الفرسان وأخذوا أهبتهم
ثم ساروا فى خمسين فارسا عليهم الزرد النضيد وساروا بعدما أخذوا معهم أدلاء يعرفون الطريق ويخبرون
تلك الارض لانها صعبة المسالك لان فيها برية تسمى برية سبروت لا بها منهل ولا قوت ولم يزالوا
يجدون المسير عدة أيام حتى توسطوا البر المنقطع ونزلوا على بعض المناهل والغدران وقد وقع فى زادهم
النقصان ولم يدركهم المسا كانوا قاسوا جور البلا والاسى لان الحر شديد لا تصبر عليه أحرار ولا عبيد
وقد نشفت المزاود والقرب وزاد بهم الويل والحرب حتى رأوا الغدير فتساقطوا عليه مثل الطير الذى
يطير ولما أمسى المسا قام ذوالخمار ونادى على الادلاء يابنى الاعمام قوموا بنا نقطع البرارى
والآكام فى جنح هذا الظلام لان هذه البريه يقال لها برية سبروت لا فيها منهل ولا قوت شديدة
الحر والهجير تتلظى بالنار والزفير طولها يوم وليلة للفارس المجد المسافر فى الترحال لا يقطعها الا من
يكون معه القرب ملآنه بالماء الزلال فامتثلوا أمره وملأوا تلك القرب وساروا ولو كان لهم أجنحة
لطاروا ثم جدوا فى المسير الى ان تضاحى النهار وقويت عليهم الشمس واتسعت عليهم الاقطار وقد
استشاروا فيما يعملون فقال الادلاء ما فى الامر الا المسير على مقصد واحد والنجاة من هذه الفدافد
مادام فى الخيل رمق فان كان لنا نجاة أدركنا المياه والا غوت موت الفجاة فقال ذوالخمار وقد
آيس من الحياه من شدة الحر الذى دهاه ان كان الموت قد اقترب فما غوت الا من العطش وقلة الماء
الا انهم ساروا كما أشارت عليهم الادلاء ذلك اليوم الى ان حمى عليهم الحر وصار نصف النهار وقصرت
الخيل عن المسير من التعب وعادوا الى نحو القرب فما رأوا فيها غير الويل والحرب لان الحر كان

شديدا

شديدا واتسعت عليهم البيداوزادبهم البسلا وأيقنوا بالهلاك لعدم الماء وقد قل الكلام والشكوى واشتغل كل انسان بروحه ولم يلتفت الصديق الى الصديق وكشفت الفرسان الرؤس ورمت السلاح والملبوس وقال الادلاء يابنى الاعمام قودوا الخيل وامشوا فى ظلها فان المنهل قريب غير بعيد فقال العباس لقد كانت بئس الطريق رميتنا فيها بجميع آفات التعويق وكل هذا جرى لنا بعادتنا الى هذا الولد الزنا خفاف بن ندبه ولولاه ما كنا وقعنا فى هذه النكبه وأنا أعلم ان عبد شداد يسير معه ويساعده ويعينه برجاله ويبلغه آماله فقال ذوالخمار ياعباس ما أذى بدنى وأنحل منى جسمى الا معاداتى لعنتروتصرته على مرة بعد مرة وقد أذانى له صاحب المشيئة والقدره وأقرب شئ فى هذه المره لانى ما سرت معك الا لاملك أن تسير وتفوز بالمراد والتقيه أنا فى هذه البلاد وأشفى غليل قلبى والفؤاد لانى أعرف انه لابد له من المسير مع خفاف والتقيه فى الطريق فعاند فى القضا ولم أبلغ منا وبقينا تائهين فى الفلا ﴿قال الراوى﴾ كل هذا جرى وهم سائرون وعلى أقدامهم مجدون الى ان أمسى المسا فناموا كلهم كأنهم أعجاز نخل خاويه وخيلهم الى جانبهم ترعى من حشائش الفلا وهم آمنون ولا عندهم خبر من ريب المنون بل قلوبهم واثقة لاجل ماقطعوا من تلك الارض التى للدنيا مفارقه وللآخرة ملاحقه وما انتبهوا حتى قوى الحر وتعالى النهار وأحرق وجوههم حر مثل لهيب النار فالتفتوا يمينا وشمالا فلم ينظروا لخيلهم آثارا فعندها أيقنوا بالموت والدمار فقال بعضهم لبعض والله ان هذا هو أشد ما يكون من العار وذلك اننا أصبحنا ما لقينا لخيلنا آثارا ترى ياقوم من هو الذى أخذ خيلنا الجياد وتركنا حيارى بين العباد فقالت لهم الادلاء ياويلكم ماهذه الحيره والانبهات ونحن بقى بيننا وبين الماء شئ يسير من الفلوات واذا لم نجد فى المسير والا هلكنا لان خيلنا راحت وزادنا فرغ وما بقى لنا بد من قوام الموت على رؤوسنا ثم انهم ساروا حتى حمى الحر وزاد بهم العطش والظما وضاقت الانفاس وبردت لاجلهم على كل حال رجاله بلا زاد ولا ماء وقوى عليهم الحر وصاح الجند وصرواأيقن كل واحد انه هالك وقد خرج من شدة العطش اللسان وورمت الشفتان وما بقى الا أن يروا أرواحهم الى الارض ويودعوا بعضهم بعض فنادى الادلاء يابنى الاعمام لاترموا ارواحكم الى الارض فان الغدير منا قريب خلف هاتيك الرابية الخضرى فلما سمعوا ذلك اشتدت منهم الانفاس وجدوا فى المسير الى ان قاربوا ذلك الغدير ونظروا ماعلى وجه الارض يسير فما تمالكوا أرواحهم حتى تساقطوا على الماء ومافيهم من يبقى على نفسه وقد غابوا عن الدنيا ولم يدروا هم فى الارض أم فى السما وكان على الغدير خيل ومضارب وجنائب وفى دون ساعة ألقوا عليهم الصياح ومدوا اليهم قطع الرماح وصاحوا لهم أوفى من ألف فارس بالقنا والقواضب ودار وابهم من كل جانب ونادوا ياويلكم من أى الناس أنتم سائرون فقالوا لهم العقلا من بنى سليم وقد طلبوا المداراة بلين الكلام ياقوم ترفقوا بنا ودعوا التجبر على قوم قد هلكوا من الحر والعطش وغير الجوع عقولهم والدهش فمكنونا من ورود الماء وسألونا بعد ذلك عن أحوالنا ﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الخيل من بنى قضاعه وهى ألف وخمسمائة فارس والمقدم عليهم المنعنجز بن فائز القضاعى الذى طلب العباس قتله ويعود برأسه ويتزوج بالجارية التى عانده عليها خفاف بن ندبه ومعه أخته غمره صدامة الخيل وخواضة الليل وكانوا قد خرجوا من بلاد شريف يطلبون المعاش والمكسب من بلاد الحجاز فوقعوا بهؤلاء الرجال اتفاق فى هذا المكان ودار وابهم من كل جانب ومكان فلما سمعوا كلامهم رحموهم ثم قال بعضهم لبعض الرأى اننا نمهل عليهم ونشاور غمره وأخوها ونخبرهم اننا وقعنا بأربعين رجلا من صعاليك العرب وقد هلكت خيولهم فى البريه ومافيهم الا من هلك من العطش وقلة الزاد وأردنا انهبهم بالصوارم

والقنا فقالوا لنا مكنونا من ورود الماء فما الذى تأمرونا فيهم ثم ان الرسل ساروا اليهم وعادوا فى أسرع
وقت وقالوا لهم اسقوهم وشدوهم كتاف وعادت اليهم الرجال أسقوهم وفعلوا بهم ما أمروا به وعند الصباح
أسقوهم وشدوهم وتوكلوا بهم الى المسا وساقوهم الى الخيام لان عمره مع أخيها كانت خيامهم على
المناهل والعيون مضروبه فأحضروهم قدام الاثنين وصدوهم صفين ونظر العباس الى عمره فرآها مائلة
الى السواد الا أنها عريضة الاطراف صلبة الاكتاف بأرداف ثقال وعينين كحال وسواعد طوال
وخلقتها مثل خلقة الاسود وعلى أعطافها اللفر وسيه دلائل وشهود فتعجب الناس من تلك الخلقة
وقد هالته رؤيتها فبقى مختفى بين أصحابه حتى لا يعرفه أحد وأما سبيع بن الحرث صار باهت الى
عمره ويقول ليتنى هلكت من العطش فى البر لا من الحر هذا وعمره تنظر اليهم وتميز أشكالهم وتطلب
أن تعلم أحوالهم فلما كررت نظرها فيهم أقبلت عليهم وقالت لهم من أى العرب أنتم أيها الاشرار وأى
شئ أوصلكم الى هذه الديار فقالت العقلا منهم يا أميره نحن من بنى هوازن وسليم ونحن من صعاليك
العرب وقد خرجنا فى طلب المعاش والمكسب كما جرت سنة العرب فوقعنا فى بريه ما لنا بها خبره
فبقينا فى ذلة وحيرة وماتت خيلنا وقل من العطش قوانا وحيلنا ووصلنا الى أرضكم فى هذه الحالة
التى ترونا فيها وقد وقعنا فى أيديكم وظفرتم بنا فافعلوا الآن ما شئتم واحكموا فينا ما هو يتم فلما
سمعت عمره كلامهم ومقالهم وتذللهم وخضوعهم فقالت لهم يا وجوه العرب نحن ما نطلب منكم
فضه ولا ذهب وما نريد منكم غير الجمال الذى اتفق عليها الحال وبعد ذلك نقابل سيدكم دريد
على هذه الفعال لاننا ما كنا نغزوا عن بلاده الا لاجل كبره وتقدمته على العرب والآن قد وصل
شره الينا وأما أنتم فأقطع عليكم الفدى والاحل بكم الردى فلما سمع العباس هذا المقال أيقن
بالخلاص من الاعتقال وأقبل على عمره وقال لها يا ابنة الملوك أما الفدى فنحن نحمله اليك ويصل
الى بين يديك ولكن يكون على قدر اقدارنا فقال المتعجز يا وجوه العرب كل الفرسان تقول
هذا المقال اذا وقعت فى الاعتقال ويجعلون ان مالهم قدره على مال ونحن فما نبغى عليكم فى الطلب
ولا نريد من كل واحد منكم لا فضة ولا ذهب ونريد الا من كل واحد ثلثمائة ناقه وجمل فانفذوا
واحدا منكم يأتى بالنوق وعودوا الى أهاليكم من قريب وانجوا من الهلاك والتعذيب لاننا ما بيننا
وبينكم تار نستوفيه ولا دين نقضيه فرضى العباس بذلك وما صدق حتى أنفذوا واحدا من بنى عمه الى
دريد يعلمه بما جرى عليهم ويحثه على خلاصهم وأحذله من عمره نجيب قوى الاعصار يسير مثل
السحاب واستكثر له من المياه والزاد لعلمه بما قاسى فى تلك البلاد وكل هذا يجرى وذو الخمار ساكت
لا يتكلم وهو حيران وكانت عمره قد شرطت على الرسول أياما معلومة وقالت له ان تعديت الاجل
ضربت رقاب أصحابك ولما انفصل الحال على ذلك الامر قرنت الاسارى الى بعضهم البعض وقالت
لاخيها عد بنا الى أهلنا فقد ارتحنا من التعب والعنا وسهل علينا المكسب والغنى ونحن اذا أتانا هذا
المال أطلقنا هؤلاء الرجال وعدنا غزونا الى بنى عدنان وكسبنا الحال وقتلنا الفرسان فقبل
أخوها مقالها ورجع وتبعهم أصحابهم من بنى قضاعه وهم يسوقون العباس وذو الخمار ومن معهم من
الجماعة وكانت المسافة بينهم وبين أهلهم ثلاثة أيام فقطعوها فى دون ذلك من شدة افراحهم وأشرفوا
على بلاد شريف ونظر أهل الحله الى غبارهم فأنكروهم وأعلموا سيدهم بذلك فركب فى جماعه
من مشايخ قومه وأبطال عشيرته وتجاوزت الخيل من سائر الجهات حتى عرفوا حقيقة الحال وعلم
فائز بعوده ولده وابنته ومن معهم من الرجال فتقدم اليهم وسألهم عن سرعة عودتهم فأخبروه بالخبر
وقدموا اليه الاسارى وانهم أنفذوا اليه بالنوق والجمال فتعجب فائز من ذلك الاتفاق الحلو السماع
والمذاق

والمذاق وقال ما أنتم الا فرطتم فى أمر كبير وقد أسأتم الرأى والتدبير فقال ولده وكيف ذلك يا أبتاه فقال أما علمتم ان هؤلاء الاندال خدعوكم بالمحال وأوعدوكم بالنوق والجمال وانفذوا الى قومهم يعلمونهم انهم فى الاسر والاعتقال وكأنكم بدريد قد أقبل فى جيش تهتز له الجبال ويعود النهار منه أسود من غبار حوافر الخيل العتاق لانه شيخ العرب وغفيرها وكبيرها وأميرها وله فى قبائل العرب الامر المطاع وما سار الا وتبعته الفرسان من سائر الاقطار ولا سيما صهره ذو الحمار الذى ذكره وحديثه قد شاع وهذه نوبة تجلب لنا الصداع والصواب انكم ترتاحوا هنا يوما من أو ثلاثة ثم تعودوا الى رأس الوادى ثم انكم تملكوه والادهينا ونحن فى الاوطان ونتبدل بالخوف بعد الامان فقالت غمره يا أبتاه لقد غيرك الكبر وغير عزمك وأضعف همتك لاننا ما كنا نعهدانك تخاف من الملوك الكبار ولا من أصحاب الاقطار والامصار على ان عسكرنا اليوم فى عدد التراب وما كنت أشتهى الا أن يكون كلامك صحيح ويتعرض بنا ذو الحمار حتى أوريك ما أفعل به تحت الغبار وما زالوا على مثل ذلك الكلام حتى نزلوا فى المضارب والخيام وشدوا ما معهم من الاسارى بين الاطناب ودارت بهم المشايخ والشباب وصاروا يبارزوهم الى وقت الغياب وبعد ذلك خرجت غمره وأخوها لما أظلم الظلام ونامت أعين الانام وغمرة متفكرة فى كلام أبيها وهى تطلب أن يكون كلامه صحيحا حتى توريه فعالها بالرجال وملتقاها بالابطال قال وقد كانت غمرة معتلة النسب فى مذهب العرب لان أمها كانت جارية حبشية ورزقت من فائز هذه الجاريه وكان أبعدها عنها لما رآها سمره فلما كبرت وتفرست على ظهور الخيل وقاومت الفرسان فقربها وقد ألحقها بنسبه لانه رأى من فروسيتها ما أبهره فرفعها فى هذه المنزله حتى وقعت فى أيديهم الاسارى وقد سمعت وصف أبيها فى دريد وذو الحمار فاشتغل سرها وهمت أن تهجم فسمعت فى مضرب الاسارى صياحا قد ارتفع وصوتا قد وقع حتى كاد الصخر منه أن ينصدع فدخلها الخوف والفزع وقامت من منامها وخرجت من أذيال الخيام وأرادت أن تطلب صوب الصياح واذا بالعبيد الدين وكانهم بالاسارى أقبل منهم جماعة وهم يصيحون يا أميره انجدينا على من علينا وكتفنا فانهم جمعا حملوا من الكتاف وابذلوا فينا أسياف التلاف وأكثرهم ركبوا جياد الخيل وطلبوا السير فى ظلام الليل فالمحمل المحمل قبل فوات الاجل والبدار البدار لهؤلاء اللئام الاشرار فلما سمعت غمره ذلك المقال صاحت على الرجال وركبت واعتدلت للقتال وركب أخوها لما انه سمعها صاحت وأقبلت الارض وماجت وبادر الخيل من كل جانب وأنكر القريب القرائب وضجت الرجال والقبائل وماجت المواكب والكتائب وحجب الغبار المشارق والمغارب وركضت بنو اقضاعه يمينا وشمالا وفيهم من لا يعرف حقيقة الحال (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم ذو الحمار لانهم لما شدوا كتافهم وكتافه وقوا أطرافه فقاسى منه شدة وهوان وهانت عليه روحه وبات تلك الليلة وهو فزعان خائف أن يعرف فيهلك لما عليه من الدماء لانه من شدة نخوته وشهامته صبر حتى نام الموكلين عليهم وشد فى كتافه قطعه وحل يديه ورجليه وكان العباس الى جانبه فحله وحلوا بعضهم البعض ثم قاموا الى العبيد وأخذوا سيوفهم حتى قتلوا أكثرهم وصاحوا فيهم وفاروا بانحاء الخيام ثم توثبوا الى الاسارى وأظهر ذو الحمار الفروسية والشطاره وبين عزيمته المعروفه وشجاعته الموصوفه ومدد الرجال على الصحصحان وكانت الابطال قد ضايقته ودارت من حوله حتى رأت فعاله فهربت من بين يديه فلما خف عنه الطلب عاد فى أصحابه وقال ويلكم كل من قتل فارسا يركب جواده ثم اطلبوا عرض الفلا حتى نملك أنفسنا ويخف عنا هذا البلا وأريكم ما أفعل بهؤلاء الاندال اذا اتسع على المجال ثم انه وثب الى بعض الجنائب واستلب رمحا

طويلا من بين المضارب وطلب البر وفعل العباس كذلك وتشبهوا بقية الاصحاب بهم الا انهم ما تخلصوا من بين الخيام حتى قتل منهم عشرة رجال وملكوا انفسهم وتأهبوا للحرب والقتال واتسعت عليهم المسالك والجبال وتبعتهم الرجال الذين علموا بالحال وتبادروا عليهم من اليمين والشمال واشتد القتال وبذل ذو الخمار الحسام الفصال وصدم صدور الرجال هذا وقد وصلت غمره واحوها وحولهم موكب كبير وقد وقع في بني قضاعه النفير وقصدت الشجعان مكان الصياح وقد دمدم ذو الخمار وصاح وازعجت القلوب وغلب الفساد على الصلاح وقد لاح الفجر مشرقا وانكر الرفيق الرفقا وفي تلك الساعة وصل أبو غمره وهو في محفل مهول ونظر ذو الخمار وهو يجول ويصول ويفرق المواكب عرضا وطولا وهو ينادي يا آل حمير أنا ذو الخمار الاسد القسور فقال أبو غمره هذا الذي كنت منه أحذر فقد جاءكم ذلك الفارس الذي كنت له واصف ومنه خائف وحق الكعبة لقد وقع في أيدينا ولا عرفناه وكذلك الجاهل الذي لا يحترز على نفسه فان الموت يغشاه (قال الراوي) فهوى الكلام واذا بينه وبين غمره قد صدمت ذو الخمار واخوها صدم العباس وقد اشتد بين الاربعة المراس وقوى الباس وجرى بينهم طعنا تضيق منه الانفاس وما كان نأخر غمره عن القتال الا خوفا على أصحابها من غوائل الليل وحيل الرجال فلما ارتحلت جيوش الظلام وعظمت الامور وقد اشتد الصدام فعرفت ذو الخمار بالسماع وعلمت انه قرن مناع فحملت عليه كما ذكرنا ونظر أخوها الى فعل العباس فانكب بحملته عليه وباشتغال هذين الفارسين فطمعت في الباقي بنصر قطاعه ويلي بنو سليم بأمر لا يطيقون له دفاعه وكانت ساعه يالها من ساعه لان الفرسان نهبت بالقنى والقواضب ودارت بهم الاعدى من كل جانب وكان ذو الخمار يسمع صياحهم ويطلب معونتهم فيرى غمره كأنها اللبوة الشمطى أو الحية الرقطى فيعود معها الى الجد والكد ومازال الاعلى مثل ذلك حتى انه عبر نصف النهار وقد كلت بنو سليم واضمحلت واطمتها بنو قضاعه اطمة مثل موجات البحار وكانوا احدى عشر فارسا الذين سلموا وقتل منهم ثلاثة وعشرون وأسروا الجماعه المذكورين هذا وذو الخمار وغمره ولولا غمره مع ذو الخمار في القتال وكذلك العباس مع أخيها في النزال كان أصحابها في قتال شديد ما عليه من مزيد وصار ذو الخمار مع غمره وحيدا فريد وصار يقاتل ويحارب وهو يحفظ نفسه من كل جانب وغمره تصيح عليه وعلى عشيرتها وترد هم عن معونتها وتطلب قتل ذي الخمار أو أسره حتى يرتفع بين الشجعان قدرها ومازالت معه في اتصال وانفصال حتى عول النهار على الارتحال وأسر العباس وضاق الوقت على الناس وزعق فائز أبو غمره في الابطال الذين حوله من شدة غيظه وقال لهم يا بني الاعمام هذا الظلام قد اقترب وهذا الرجل ما يسلم في نفسه ولو جاءه العطب لاجل اسمه وذكره بين العرب ولولا ابنتي تعبانه وما سكت عنا عناه في طعانه وضرابه لكان أفنانا وأحمى أصحابه يا ويلكم احملوا واقتلوا جواده قبل أن يهجم عليكم الظلام بسواده ويمنع الطالب عن بلوغ مراده وربما يجري على ابنتي أمر تحت ستور الظلام ويقع بنا الندم من هذا الفارس الهمام فقالت بنوعمه لقد صدقت يا امير لان الليل يمنعنا عن نظر ما يجري بينهما ويخفى عنا أمرهما ثم حمل منهم أوفى من ألف فارس وطلبوه من كل جانب فقاتلهم الى ان ولى النهار وقد قتل من بني قضاعه واحد وخمسين فارسا كراره وبعد ذلك أخذ أسير بعد ما قتلوا فرسه وجرحوه جراحات كثيرة وعاد فائز وأولاده وفرسانه واجناده الى الخيام وهم متعجبون من حسن قتاله وصبره على الطعن والضرب ونزاله وقال فائز لابنته قيدي هذا الشيطان ووكلي به من يحفظه ويرعاه الى غداة غد حتى أضرب رقبته ورقاب رفقاه وتشتفي قلوب أهل القتلى الذين أورثهم الدمار في هذه الديار (قال الراوي) فلما

سمع

سمع ذو الخمار كلام فائز وما نطق به قال له يا فائز انني بعد ما شفيت قلبي وفؤادي منكم بضرب سيفي
ما بقيت أبالي بما يجري علي ولولا هذه السودة اللون كنت تركت الارض تفيض بالدما ولكن الذليل
الجبان يقهر بكثرة الشجعان ولولم أكن خالي من الحديد وأنا عطشان وجيعان والا ما كانت
هذه اللخنا وقفت بين يدي ساعة من الزمان ولكن السباع تغلب بالكاثرة وكواسر الطيور تصيبها
الاقدار وهي في الجوّ طائره فلما سمعت غمره كلامه وفهمت مرامه صعب عليها وكبر لديها وقالت
لابيها اما أمكنك من قتله مادام قد أنكر شجاعتي وحجز براعتي ولابد أن أتركه حتى يشبع من الزاد
وأسلم اليه كل ما يشتهيه من آلة الحرب والجلاد وأبارزه بين يديك وأشهد فرسان العشيرة ان قهرني
أطلقته هو ومن معه من فرسانه وان أنا قهرته جزيت ناصيته وآذانه وأضاعف العذاب عليه وأطلق
سبيله هو ومن معه من أقرانه حتى تعلم فرسان العرب أن مالي مثيل ولا عديل فقال لها أبوها
احتفظي عليه حتى أسير أنا وأخوكي في خمسة آلاف فارس ونمسك المياه والموارد على من يقصد الينا
في طلبه وطلب أصحابه لاني أعلم ان دريدا ما يغفل عنه وما خدعوكي هؤلاء بالفدى الا حتى يأتي دريد
ويخلصهم من البلا وان لم يحترز على أنفسنا والا كانت العاقبة غير محمودة علينا ثم انه سلم ذو الخمار
والعباس وبقية الرجال المأسورين الى غمره وصار يوصي فرسانه وعشيرته أن يأخذوا الاهبة التي
وصى عليها وعزم وجهت همته اليها (قال الراوي) فهذا ما جرى لهؤلاء من الكلام واما
ما كان من الرسول الذي أنفذه القوم الى بني هوازن فانه جد المسير الى أن وصل الى دريد وأخبره بما
تم عليهم في بريه السروت وكيف مسكت غمره الماء وكيف أخذوهم أسارى والذي تم لهم وجرى
وكان دريد سمع بمسير ذو الخمار مع العباس فأيقن ببلوغ مناه ولما ان الرسول أتاه وأخبره بأسر الجميع
ضاق صدره وانقسم فكره وقال والله لقد حسبت هذا الحساب وعلمت أن لجاج العباس هو وخفاف
تضرب فيه الرقاب ثم انه أنفذ خلف عنترة وأصحابه وأحضر خفاف وأعلمهم بما قد وصل اليه من
الاخبار فأظهر عنترة التعجب والانكسار وقال مقرى الوحش هل ترى من قدم على هذه السريه
وفيها مثل ذو الخمار فقال دريد ومن هو ذو الخمار عند نزول الاقدار وحوادث الليل والنهار على ان
هذه النوبه أتت على ما يريد خفاف لاننا نحتاج كلنا أن نسير مع خفاف في مائة فارس فقال عنترة
والله يا أمير دريد ما ندعك تزعج نفسك في هذا الامر بل أنا أسير في المائة فارس الى قضائها فقال دريد
والله يا أبا الفوارس ما أطاوعك على مثل ذلك ولو كنت أعلم اني اذا أقمت تقيم لفعلت ذلك ولكن أنا أعلم
انك ما تغفل ولا تقعد عن معاونة صديقك خفاف والصواب أننا نسير في ألف فارس الى بني قضاعه
ولا نعود حتى نخرب ديارهم ونقلع آثارهم فقال عنترة الامر اليك فتى تشتهي المسير فقال لي ليلة غدا
عشية النهار فقال عنترة افعل ما بدا لك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم انهم عادوا الى خيامهم لطلب
المنام ويدبرون أمورهم للصدام وخفاف بين أيديهم وهو فرحان بهذا الامر الذي جرى على العباس
لانه عدوه ومعانده في الجارية المتقدم ذكرها وصار من شدة فرحه يقول لعنترة والله يا مولاي
لولاك ما نلت المطلوب وكنت مت بحسرة المحبوب (قال الراوي) وكان الذي صنع بخيول القوم
ما صنع كان شيبوب وذلك ان العباس لما وقعت عليه القرعة وسار طالب بني قضاعه فبقي في قلب
خفاف النار من ذلك لانه سمع ان ذا الخمار سار معه فزاد به البلا وأتى الى عنترة وقت المسا وشكى له حاله
وبكى فألم قلبه بكاه وقال له يا خفاف كيف العمل ودريد شهد عليكما أيا ما معدودة وان غاب منا
أحد في ذلك وجرى على العباس أمر من الامور لقال دريد انه من أعمالنا ونبقى تحت العتب والملام
ولكن ان عاد العباس خائب سرنا كانا في خدمتك وقلعنا أثر بني قضاعه فقال خفاف جزاك الله عني

خير الا انك ما فعلت الا المليح ومابقى غير انتظار العرضيات والامور المقضيات لان هذه الجارية ان كانت من نصيبي تعاقلت فى وجوههم الابواب وهم خفاف أن يعود فرجه شيبوب وقال له ياخفاف طب نفسا وقر عينا فأنا أسدد وجوههم جميع الروابى والرحاب وأترك الكل فى البر اذل من الكلاب فارجع أنت الى خيامك وأخلى من هذا الوجه بالك فقال خفاف وقد طاب قلبه بهذا الكلام جزاك الله عنى كل خير فقال عنتر ولك يا شيبوب ما الذى تريد تفعل بهذا الوعد الذى وعدت به خفاف أتريد أن تجعل لنا فى هذه الارض حديثا مذموما فقال شيبوب لا وذمة العرب لا فعلت شيأ لا يعلم به أحد فقال عنتر وكيف ذلك أخبرنى ما الذى خطر ببالك فقال يا ابن الام أنا أعرف ان هذا الطريق التى سار وا فيها الى بنى قضاعه بها بريه تسمى بريه سبروت لا بها منهل ولا قوت مسيرة يومين لمن كان بها عارف والجاهل بها يموت من كثرة المخاوف وأريد آخذ معى اخى جرير وأسير على أثرهم حتى أضيعهم فى فلواتها وانى أسوق خيلهم وأترك رحالهم فى آكامها ان سلموا منها وأتوا الى الماء فما يبقى فيهم من ينفع نفسه فقال عنتر هذا رأى مليح ولكن ضياعهم قبيح وربما يسلم منهم واحد ويشيع الخبر فتبقى فى فضيحة دريد بن الصمة وأما أخذ خيولهم وتبقى رجالهم عاجزين على لقاء الاعدا ويعودوا بلا قضاء حاجه ولا بلوغ مرام أحسن ما يكون يا ابن الكرام فقال شيبوب وهذا المقصود ثم انه أخذ أخيه جرير او جد يقطع البر فى المسير وقصد الجبال من طرقات يعرفها فلحق ذوالخمار والعباس وأصحابه وتمم على حاله ورآهم الى آخر النهار وصبر على القوم حتى وصلوا الى الاماه وهم منقطعين فى جوانب البر من شدة الحر والهجير وتلهب الزفير ونزلوا عن الخيول فى هذا المكان وهم قد هلكوا من التعب والعطش فى تلك الوديان فوقعوا مثل الاموات ودار عليهم صافى الرقاد بكاس الثبات وهم آمنين لانهم يعرفوا ان هذه الارض لا يسلكها أحدا الا فى يومين وما علموا ان شيبوب سبقهم عليه هذا وشيبوب التفت الى أخيه جرير وقال له اخرج بنا حتى نسوق خيلهم ونعود قبل الصباح فأجابه جرير وقام كأنه النمر وساق الخيل فى ظلام الليل حتى أتوا بها بين الجبال وأطلقوها فى وادى هناك وعادوا على الطريق المتقدم ذكرها وجدوا فى قطع القفار حتى وصلوا الى بنى هوازن فى سبعة أيام ودخل على أخيه عنتر وأخبره بالخبر فتعجب من هذه القصة وتحير وعلم أنه قد بلغ المراد فانفذ خلف خفاف واعلمه بما تم لشيبوب وكيف سرق خيلهم وتركهم فى البر تائهين فانشرح لذلك صدره وهدى روعه وعلم أنهم هالكين وبعد هذا الخبر بأيام وصل الرسول الى دريد يطلب منه الفداء ويعلمه بما جرى فصعب ذلك عليه وكبر لديه وأحضر عنتر كما ذكرنا وجرى من الامر ما وصفنا واتفق رأيهم على المسير فى مائتين فارس ثم انهم تأهبوا فى يوم وليلة وساروا فى مائة وخمسين فارس من بنى هوازن والباقى من بنى عبس وعنتر وعروة ومقرى الوحش وكان شيبوب أمرهم أن يكثروا الماء والنجب والمهارى ما بين أيديهم من المفاوز والبرارى وسار بهم من الطريق التى يعرفها وكانت أهنى سير وأقرب حتى وصل الى بريه سبروت فى ثلاثة أيام وأخذهم فى اليوم الرابع وسار بهم فى الليل على ظهور النجب وجنب الخيل وأكثر لهم من الماء حتى يكفيهم شر الظمأ وجد فى المسير الى الصباح حتى تضاحى النهار وقطع بهم المهالك والقفار حتى قارب أرض بنى قضاعه وقال لهم احترزوا على أنفسكم من ههنا لان قابى حدثنى ان بنى قضاعه قد علموا بنا أن لا بد لنا من المسير اليهم وحسبوا حسابنا وأقول انهم خرجوا من أرضهم ومسكوا علينا الماء والمناهل والمواضع وهم لنا فى الانتظار حتى نخرج من هذه البرارى والمقاطع وكل من لم يحسب العواقب فليس الدهر له بصاحب ثم انهم باتوا فى هذا المكان وهم معولين على مشورة شيبوب

وعمل كلامهم فى رئيس القلوب (قال الراوى) وكان حساب شيبوب الذى حسبه صحيحا لان فائز أبو غمره كان صار فى خمسة آلاف فارس ونزل على رأس الماء كان حسب مثل هذا الحساب وعلم أن العباس وذو الخمار ما أرسلوا فى طلب الفدا الا مكر وخداع ولا أرادوا بالرسول الا مجىء دريد حتى يخلصهم من الاعتقال فلكوا الامياو الغدران وأقام لهم فى الانتظار وصار من شدة خوفه واحترازه ينفذ كل يوم ولده فى ألف فارس ويقول له لا تفارق ثنية الغزال وان رأيت بوادر الخيل قد طلعت فبادرها بالقتال ولا تتركها تأخذ لها راحة من التعب والكلال وابعث لى حتى أنبعك فى جميع الرجال لانهم ما يصلوا اليك الا وهم هالكين من الظمأ ففعل ما أمره أبوه من الفعال مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهرت عليهم الخيل من بنى هوازن وبنى عبس مع شروق الشمس وهم معتدين للقتال والحرب والنزال وفى أوائلهم دريد وعنتر وشيبوب قدام الخيل مثل ذكر النعام اذا نفر ووقعت العين على العين وصاحت فرسان الطائفتين وعرفت الخصوم الخصوم وبان السر المكتوم قال أخو غمره الى أصحابه هذه والله طليعة خيل دريد فدونكم واياها مادامت على أثر تعبها ثم انه أنفذ الى أبيه بعض الفرسان يعلمه بالخبر وصاح بالالف فارس واستقبل الفرقة التى أقبلت ولم يعلم انها فرسان تصادم المنايا ولم ترهب الاهوال ولا الرزايا وان كل فارس منهم يعد فى الحرب بألف فارس ويفرقها ولا يخاف التداعس ووقع بينهم القتال وعمل الحرب والنزال فوقع الفنا فى بنى قضاعه وزال من قلوبهم الطمع وواقعهم الخوف والفزع لانها رأت رجالا ما تدفع ومن الموت ما تفزع ولهم طعن اذا وقع على الصخر انصدع وكان عنتر عند الحمله أشار على دريد الهمام بالوقوف تحت الاعلام وسائر عشيرته وأراد بذلك تعظيم قدره ورتبته فقال دريد يا أبا الفوارس ما هذا يوم يحتمل هذا المقام لاننا كلنا خرجنا من البر تعالى من قطع القفار والرمال واذا لم ننجز أمر هذه الفرقة ونستريح منها حتى نلقى غيرها والا خسرنا لانى أقول انها طليعة جيش مقبل ثم انه حمل على الابطال وسطى عليهم واستطال وأما عنتر بن شداد فانه نهب الارواح من الاجساد وأعاد صلاحهم فساد ومازال يفرق الفرسان وينثر رؤس الاقران حتى وقع بالمتعفر تحت الغبار وهو يرد الفرسان من الفرار فعرف انه مقدم السريه فطلبه من دون الابطال وأتعبه فى حومة المجال وسد عليه طرقه وطرائقه وتعلق باطواقه وجذبه أخذه أسير حتى يكون فدا لبعض الاسارى من صناديد الرجال هذا وقد بادره شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وبعده وقع الفنا فى بنى قضاعه وخسرت منهم البضاعه وتمددوا على التراب وحام عليهم النسر والعقاب وما تنصف النهار حتى قتل منهم سبعمائة بطل وعاد باقيهم منهزمين الى ملكهم فائز وما فيهم الا من أيقن انه من الموت فائز ولو لم تكن خيل بنى هوازن فى غاية التعب ما نجا أحد من الذى هرب وانما قصروا عنهم من شدة الكلال ونزلوا فى ثنية الغزال وتقووا بما نهبوا من الزاد والخيل والجمال ولما انهم هدوا من الشكوى وبرد الهوى فقال دريد وعنتر لجماعة من الرجال احضروا ما وقع لنا من الاسارى حتى نستخبرهم عن قومنا ومن فيهم سالم ومن فيهم عاطب وكيف أخذوا وتمت عليهم الاسباب والنوائب فقدمت الرجال الاسارى ومن جملتهم أخو غمره (قال الراوى) فسألهم دريد عن العباس وذو الخمار ومن معهم من الرجال الاخيار فحدثهم أخو غمره بما جرى وقال لهم من هذا البر ظهر واعلينا وكنت أنا وأخى غمره قد عولنا على الغزو الى بعض أحياء العرب فرأيناهم وقد سرقت خيولهم وبقوا أشباح بلا أرواح فلكنا الجميع وعولنا على قتلهم سريع فقدوا أنفسهم بالمال وتم علينا هذا الحال وجرى من القصة ما جرى ثم أخبرهم كيف خلصوا من الاعتقال وكيف لحقتهم الرجال ووقع بينهم

الحرب والقتال وأخبرهم بمن قتل من الرجال فعرف دريد انه المتعجز بقوله أختى غمره فقال لعنتر وقد تبسم يا أبا الفوارس هذه حاجة خفاف قد انقضت و بقيت حاجتنا نحن وهى رحالنا فقال عنتر صدقت لان الضعيف يدرك بغيته مالم يدركه القوى ثم قال لخفاف احفظ خصمك مادمنا فى هذه البلاد ثم انهم قضوا باقى يومهم فى ثنية الغزال وعند الصباح رحلوا يطلبون المناهل والاماء وقد استراحت خيلهم من التعب والعيا ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المنهزمين الذين نجوا من بين أيديهم فانهم وصلوا الى الملك فائز فى الليل وأخبروه بما جرى عليهم من المصائب والويل ونعوا اليه رجاله وولده فذاب لذلك وتفتت كبده وقال لهم ياويلكم وفى كم كانوا هؤلاء الرجال الذين ظهروا عليكم من البر فورب الكعبة لقد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب فقالوا له يا ملك ما ظهر علينا سوى مائتين فارس ولكنهم أسود عوابس كل واحد منهم يلقى قبيلة بين الملا وما ندرى خلفهم غير أم لا والصواب انك ترحل بنا قبل الصباح والا ان أدركونا نهبونا على أسنة الرماح وشفار الصفاح فلما سمع فائز هذا المقال حارفى أمره وأخذه الانبهار وقال لهم أنتم رأيتم ولدى قتيل أم أسير فقالوا له رأيناه وقد أدركه فارس أسود مثل الغول وصاح به صيحة تذهل العقول وهجم عليه وجذبه أخذه أسير وحذفه الى وراه فانقض عليه راجل مثل الغنداق أو ثقه كتاف وقوى منه الاطراف فهربنا فى جنبات الصحرى ووصلنا اليك كما ترى ولولا الخيل التى ظهرت علينا كانت هالكة من التعب والعنا ما كان وصل واحد منا فقال صدقتم لان الفارس الذى فعل بولدى هذه الفعال دريد الذى كنت منه فزعان لانه شيخ الفرسان ولولا الكبر غيره وازداد جهله ما كان دخل الى هذه البلاد ولا خطر هذه الارض والمهاد لما يعرف من شجاعتى وبراعتى وفروسية ابنتى ولكن خذوا أهبتكم الى وقت الصباح وأنا أعرف كيف انى أخلص ولدى وأبشركم بالنصر والنجاح وأكيدكم مؤنة دريد ومن معه من الفرسان الاوقاح لاننا لو مسكنا عليهم الماء لاهلكناهم عطاشى وظماء فلما سمع كلامه بنو قضاعه أجابوا بالسمع والطاعة ولما مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار باتوا الى الصباح وركبوا وساروا فى البطاح الا انهم ما أبعدوا عن الماء ومسكوا الطريق والاماكن حتى أقبلت بنو عبس وبنو هوازن ونظروا الاعداء وهم قد جعلوا الماء خلف ظهورهم فعرفوا مرادهم وقالوا لعنتر بن شداد يا أبا الفوارس القوم قد منعونا من الماء وبريدوا يهلكونا بالعطش والظماء فقال عنتر وحق مكون الاكوان والصور الذى ما يدرك بالعقل ولا بالنظر لو كان على الماء أمة ربيعة ومضر وكذلك حنود كسرى وقيصر ما أحد منهم بعد ساعة يبلوا أكبادهم وأطير جاجيمهم من على أجسادهم وألعن أبو اسبالهم فاحمل يا أمير دريد كما تريد وانظر العجب الشديد فعند ذلك حمل دريد بأبطال قبيلته وفرسان عشيرته وأدار راحات الحرب بسيفه وسنانه وأطلق لجواده عنانه وحمل بعده عنتر بن شداد وزعق زعقته المعروفة فارتعدت منها الاجساد وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة بن الورد وسائر الشجعان وصاح أيضا فائز فى بنى قضاعه فيالها من ساعه بيعت فيها النفوس بلا ثمن وجرى الدم على الاطلال والدمن وأفرق الحسام بين الرأس والبدن وعظمت المصائب والمحن وصار الدرع لصاحبه كفن واجتهدت بنو قضاعه أن تردهم عن الماء فما قدرت وهالها من الطعن والضرب ما رأت وانحلت عزائمها وفترت وانزاحت عن الغدير وتأخرت وصار فائز ينادى فى المواكب بالرجوع فلا ترجع ويصيح فى الشجعان فلا تسمع وقد خاب أملها وانقطع وملك الماء عليهم ارغما وتمكنت بنو عبس وهوازن من ورود الماء وتم السيف يعمل الى المسا وانهزمت بنو قضاعه عند المسا وفائز يذم أصحابه على الهرب ويقول ياويلكم لكم

الويل

الويل والحرب وما بقت لنار أس تنشال بين العرب فقالوا له ما يريد عنا شر دريد الا بنتك غمره ولو كان معنا رأى ما تركناها في الخيام ولكن ما علمنا اننا نلتقي من هؤلاء هذا الملتقا ويتبدل نعيمنا بشقا ثم قال بعضهم وان فاتني حذري ولم يخطأ فكري هذا عنتر بن شداد لاني رأيت له وجها عابس كأنه الليل الدامس وان كان الامر كذلك فما هذه الا مصيبة قد طرقتنا ولا نقدر نردها الا بكثرة الفرسان قال فائزا اذا كان هذا الكلام صحيح فأنا اذا وصلت الى ديارى وقر قرارى أنفذ الى بني كنده واستعين بهم على هذه الشدة ثم انه سار هو وفرسان قبيلته تحت أستار الظلام وكان عنتر عوّل أن يتبع المنهزمين من أوّل الليل ويطعن هو وأصحابه في صدور الخيل فما مكنه دريد وقال له يا أبا الفوارس نحن في طائفة قليلة وهذه الارض بين أيدينا واسعة والصواب أننا لا نسير في هذه القفار الا أن يكون بالنهار ثم انهم نزلوا على المناهل وانتقد وار جالهم فرأوا قد فقد منهم احدى عشر رجلا ستة من أصحاب عنتر وخمسة من أصحاب دريد فكان من جملة المفقودين عمرو أخو عبلة فضاق صدر عنتر وحار في هذا الامر المنكر وقال أرجو ان يكون أسيرا ولا يكون قتيلا لانه ان كان قتيل تكدر أخته عيشي ولا يقر لي قرار ولا ترضى بتاره بكل من في هذه الديار فقال مقرى الوحش لا تضيق لهذا الامر فكرك لان الذي يلقى بصدره أسنة الرماح وشفار الصفاح لا يكون طول الدهر سالم كما قال بعضهم هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ومن كان في عصره فارسا ✻ شجاعا وقد حاز فخرا وعزا
وفي الحرب قد ظن أن لا يصاب ✻ فقد قال زورا وقد ظن عجزا

(قال الراوي) ولكن يا أبا الفوارس عندنا جماعة من أسورين من بني قضاعة نأخذ لعمرو منهم الخبر ونأخذ له بالثار منهم ان كان قتل فقال عنتر ما أشتهي الا أن يكون سالم ولكن ما عندي من ذلك خبر فقال شيبوب أنا أكشف لك الخبر وأقضي شهوتك وأسير خلف المنهزمين واختلط بهم وأقيم بين المضارب والخيام فاذا نفذت اليكم الرجال وخلت المنازل جميع تسببت في خلاص الاسارى وأجيبهم خلف أعدائكم وأدعهم يعينوكم على القتال وان كان في جملتهم العباس وذو الحمار فيكون انقضى الشغل وبلغنا الآمال فقال عنتر هذه عادتك يا شيبوب واذا فعلت ذلك خففت عنا الكروب فعندها اعتد شيبوب من وقته وساعته وسار يعسف البر تحت الاعتكار وقعد عنتر له في الانتظار

(قال الراوي) لهذه الاخبار وأما الملك فائز فانه تم في هزيمته الى الصباح وفي نصف النهار أشرف على الديار فرأى الناس حول المضارب فرق ومواكب ورآهم محتاطين بفارسين متقابلين وبينهم حرب تذهل منه الرجال وطعن يقرب الآجال فلما نظر فائز الى ذلك الحال زاد به الفزع وظن أن الخلف في العشيرة قد وقع فصاح وطابهم وتجارت خلفه الفرسان وفزعت على الاولاد والنسوان وأبصر أهل الحلة الى سيدهم قد أقبل فالتقوه وعن سبب عودته سألوه فقال أنا عدت مكسور مذلول فما بالكم أنتم راكبين الخيول وما هذين الفارسين الذين تجول وتصول فقال أحدهم بنتك غمره والثاني أسيرها ذو الحمار لانها أمس أطلقته من الاعتقال وقضت نهارها معه في القتال والنزال وما فيهما من ربح على صاحبه وقد أصبحوا على هذا الحال وانما كنا ذكرنا الشرط الذي كان بين غمره وبين ذي الحمار بعد انفلاته من النوبة الاولى وطلب لنفسه النجاة وقد أخبرنا ما جرى له بعد قتاله ونزاله وقتل رجاله وعودته الى أسره واعتقاله لان أباها اراد قتله فما مكنته من ذلك لانها كانت تحب الفرسان وتهوى صدام الشجعان لاجل ما فيهما من الفروسية فردته الى الشد والوثاق وأوعدته أن تطلقه اذا استراح وخف عنه ألم الجراح وانها تبارزه وتقاتله فان قهرها أطلقته هو وأصحابه وان

قهرته جزت ناصيته وخلت سبيله وانها لما خلى لها المكان من أبيها لما سار الى لقاء دريد وعنتر فصارت كل يوم تفتقده وتأتى اليه وتأكل معه وتشرب وتسأله عن الذى لاقاه من الفرسان والشجعان فيتعجب منها ويحتقر نفسه كيف صارت امرأة تقاومه وهى معدودة من جملة النسوان من بعد ما كانت هيبته شاعت فى سائر الاقطار ومن شدة ما جرى عليه اتفق معها على البراز وطلب لنفسه الفرج وقد ظن انه ينتصر عليها وكانت هى أيضا قصدها مثل قصده وأتته بجواد كما أراد وحكمته فى آلة الحرب والجلاد وقاتلته أول يوم الى وقت الاصفرار وانفصلا وما فيهما من ربح على صاحبه غير ان القتال الذى جرى بينهما قد صار محبة ووداد وتمنى كل منهما أنه لا يفارق صاحبه وعولت غمره أن تطلبه لنفسها بعد لا فاستحت وحدثت أيضا ذو الخمار نفسه أن يخطبها ويتزوج بها فردته عن ذلك الحيا وقال اذا صرت مالك روحى أفعل بعد ذلك ما أختار وأقدر عليه ثم انهم بعد ذلك صبروا الى ثانى يوم وقد خرجوا الى ظهور الخيام وعادوا الى ما كانوا عليه من القتال والصدام حتى وصل أبوها كما وصفنا وانه لما عرف انها ابنته وعرفوه بحالها فدنى منها وقال لها يا ويلك اذا هلك هذا الرجل أهلكوا سادا تنا وبنو عمنا وأنتى تلعبى معه كل يوم وتطلقيه من الاعتقال ثم انه أعاد عليها بما تم له مع دريد وبنو هوازن وعنتر وبنى عبس وأخبرها ان الكل ما كانوا الا كثر من مائتين فارس فلما سمعت غمره من أبيها ذلك الكلام نشف لونها وطار من عينها الشرر وكاد قلبها أن ينفطر فقالت لابيها انك كنت فى خمسة آلاف وفعلوا بك هذه الفعال مائتين فارس ان هذا العجب على ان أخى وحده يلقى ألف فارس وكنت ترى ما يجرى الى معه حتى أرجله عن جواده فقال أبوها وحق رافع السبع الطباق ومقدر الآجال والارزاق أول من أسر أخاكى وجماعة من الرجال ونحن جئنا منهزمين كما ترى من فارس فيهم رجال فاغتاظت غمره من ذلك المقال ثم انها عولت أن تعيد ذا الخمار الى الاعتقال وتجمع بنى قضاعه وتسير الى القتال فقال لها ذو الخمار بحق من أفنى عادا وثمود وأنبع الماء من الجلمود الا ما استخلفتينى بما اردتى وأخذتينى معك فى جانب العسكر ودعينى أتفرج على قتالك مع عنتر فان أتى أسرتيه فاحكمى فى رقبته وان وقعتى فى يده خرجت أنا اليه وضيعت شهوتى من برازه واذا بانت طبقتى من طبقته وعرفت ذلك فانا أيمر صهرى دريد باطلاقك واطلاق من معك من الاسارى وعدنا من ديارهم بسلام (قال الراوى) فلما سمعت غمره كلامه عرفت انه هو الصواب فأخذت عليه العهد والميثاق انه لا يخامر عليها ولا يميل الى النفاق واعتدت هى وقومها فى بقية يومها وصارت تطلب بنى عبس وهوازن وهى فى سبعة آلاف فارس شداد معدودين ليوم الحرب والجلاد هذا وقد سار أبوها معها بعد ما أرسل الى بنى كنده يطلب منهم النجده وكانت الرسالة بغير علم غمره هذا وغمره سارت قدام الفرسان وهى فى أول الجيش تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

اذا الزا ياثمرت أذيالها * وحاربتنى شدة ما هالها * صدمتها بعزمة لو صدمت
جبال شهلان رمت أجبالها * لو رأتنى النائبات لانشبت * خائبة لما رأت ما نالها
لو أن للنسوان بعض همتى * ونخوتى ما حملت رجالها * خلقت للحرب أفوق أهلها
والتقى يوم الوغا أبطالها * بلغ بنى عبس مقال لبوة * يسبق حد سيفها مقالها
انى رأيت خيلها يوم الوغا * خالية قد خففت أثقالها * تخب فى دحالها وتنثنى
خائفة قد أبصرت ما هالها * نعالها جاجم اذا اشتبكت * حر الحصى أو عدمت نعالها
قد نلت فخرا سامیا ورتبة * عالية بدر الدجا ما نالها * والسيف والرمح لكى خلقا
اذا النفوس حققت آجالها * وما سباع البر مثل لبوة * ضاريه قد فقدت أشبالها

تفزع

تفزع حن الارض من سطوتها * اذا رأت تحت الدجا خيالها * ويل لعبس وبنى هوازن
اذ أشهرت يوم اللقا نصالها * واختلفت سمر الرماح بيننا * وقصر بيض الظبا طوالها
لا بد لى من حملة فى جمعهم * تقصر ما قد طال من آجالها

(قال الراوى) وكانت غمره تنشد هذه الابيات وتذكر فيها شجاعتها وذو الحمار يسمع ويعجب من عظم همتها ويذم الزمان كيف أوصل الفروسية الى النسوان الا أنه يرجو أن يبلغ بها المراد من عنتر بن شداد وقال فى نفسه ان كانت ما تصل اليه فهى تتعبه وأجد أنا فرصه وأحمل عليه واقتله ثم انهم ساروا الى ثانى يوم وكان اشرافهم على بعضهم عند المسالان دريد ارتاح بقومه على الماء وأراد بذلك الراحة حتى تكون خيلهم فيها قوة عند المجال والوجه الثانى يطلب بقومه الرفق والامهال بعد ابعاد أعاديه عن المناهل والاطلال حتى يقل عليها الفارس والراجل لانه كان خبيرا بنوائب الايام على ما لاقى من الحرب والصدام ومقابلة الشهور والاعوام الا انه لما وقعت عينه على بنى قضاعه وأبصر النهار قد ضاق فوقف وأمر عنتر بالوقوف على جواده وكذلك أصحابه وأوصاهم بالحذر وزالوا كذلك حتى انتشرت اجنحه الظلام ووصلت بنو قضاعه وغمره فى المقدمه وقد زاد بها الغيظ والحرد وصارت تهمز كما يهمز الاسد كيف ما التقت أعداها بالنهار وشفت قلبها بضرب البتار ومن شدة ما جرى عليها فى تلك الساعة ما نزلت فى الخيام ولا حضرت مع أبيها على الطعام بل انها سيرت جوادها وتولت حرس قومها فهذا ما كان من غمره واما ما كان من بنى عبس وهوازن فانهم نزلوا وقد تولى الحرس عنتر بن شداد ووافقه دريد ومازالوا كذلك الى نصف الليل فرد عنتر دريد الى الخيام وأقام وحده الى وقت السحر وانتهى أن ينظر بنى قضاعه ومن اين تنزل عليها المصايب فقصد نحوهم وهو يحدث نفسه ويسأل الله أن يلتقى بحرس القوم ولو كانوا ألف فارس الا أنه ما قارب الميمنه حتى التقى بغمره وهى تصارع النعاس وتلتفت وتميز البر يمينا وشمال وهى لا تصدق بالصباح حتى بان لها خيال عنتر وطلبته وزعقت عليه وسألته عن حاله فما رد عليها جواب بل أخذ معها فى الطعان والضراب وقد ظن انها من بعض فرسان الحرس فأراد قتلها وانجار أمرها وكذلك هى أيضا ولما اختبروا بعضهم بعض نسى كل واحد منهم قومه وعشيرته واشتغل خيظه على خصمه وحرقته وعند الصباح انتظرت بنو عبس عنترا أن يعود فما عاد فاشتغلت قلوبهم وأنفذ مقرى الوحش الى دريد وسأله عنه فقال له والله ما عندى منه خبر ثم أراد ان يكشف خبره لانهم مائتين فارس لهذا الجيش العظيم وقد تجمعت عليهم عربان ذلك الاقليم فخاف دريد من الانكسار على بعد الديار وقد ضاق صدره لبعد عنتر الفارس الكرار فقال لاصحابه لا يكون قصدكم الا الاعلام التى لفائز ورايته لاننا ان قاتلناه انكسرت هذه المواكب ونعود بعد ذلك نسأل عن عنتر ونفعل على قدر ما نسمع من الخبر وكان فائز أيضا انتظر ابنته فما رأى لها أثر ولا وقع لها على خبر فجمع أصحابه ورفقته وسادات عشيرته وقال لهم يا بنى عمى ما أقول الا أن غمره سارت فى الليل حتى تكمن خلف الاعداء واذا كسرناهم وهربوا بين أيدينا التقتهم وتردهم علينا وتطلب بذلك أن لا يسلم منهم أحد لانى أعرف تدبيرها فى الحرب وخبرتها بالطعن والضرب والصواب انى أرسل خلفها ألف فارس وأقول يأخذوا فى عرض البر ويسيروا اليها ويعينوها حتى لا تكون قد ضيعنا العزم وفرطنا فى التدبير ثم أمر بعض فرسانه بهذا وسيره فى ألف فارس خلف ابنته وركب هو فى بعض قومه وعشيرته وأمرهم بالامتثال هذا والجبان يقول والله أيها الملك ما كان غيابها عنا بصواب وانما كان اقامتها عندنا أصوب حتى تجهز أمر عنتر وبعد ذلك نفعل ما تريد لان هؤلاء القوم ما دخلوا أرضنا فى هذه المائتين فارس الا وفى ظنهم يلفوا كل من هنا فقال فائز الآن فات هذا الامر

وقد فعلت غمره على قدر مارأت من عقلها وأنا أعلم انه اذا طال عليه المطال تأتى من خلف الاعدى
هذا ان كانت ما اختلطت بهم فى الظلام ومازال يطيب قلوبهم بهذا الكلام حتى حملوا بهمة قوية وكان
أكثر قصدهم بنو هوازن وتجنبوا الفرقة العبسية لان الذى كان يعرف قتال عنتر وابصره فى الحرب
يتجنب قومه ويظن انه فيهم وأما ذو الخمار فانه طلب بنى عبس وجعل قصده اليهم وأراد بذلك أن
يقع بعنتر حتى انه يأخذ منه بالثار ويكشف عنه العار لانه فرح بغيبة غمره حتى انها لا تتولى القتال
بنفسها وتعيقه عن مثل ذلك الا انه لما حمل فتلقاه مقرى الوحش وبذل معه المجهود وجعل له نصيبه
من غير معرفة له به لان ذا الخمار تقدم فى الاول وأرمى روحه على بنى عبس فما حقى على مقرى الوحش
انه فارس جبار وبطل مغوار فأخذ معه فى القتال وقد تعجب من شجاعته وظن انه غمره ودام بينهما
الطعن والضرب حتى اسود بينهما الشرق والغرب وضاقت من الكرب المنافس وكان بينهم شيا لا تصفه
الواصفون وساعات وأوقات وصيحات وهمهمات تذكر فى سائر الجيهات وتله دردريد بن الصمه وما فعل
فى ذلك اليوم على كبر سنه لانه طعن فى ذلك اليوم فى الصدور حتى قل صبر الصدور وقطعت الاعناق
والنحور وكان قد علم ان اتكال الجميع عليه بعد عنتر فقاتل قتال منكر ولولا ذو الخمار كانت بنو عبس
ثكلت بنى قساعه ولكنه وقف فى وجه بنى عبس كأنه الاسد القسور وجرح منهم جماعة كثيرة
وكان اذا وقف قدامه أحد من بنى سليم تركه ولا يقاتل الا أصحاب عنتر ولولا مقرى الوحش تلقاه وكف
شره عن بنى عبس لكان أفناهم وأباد أقصاهم وأدناهم هذا ولم يزالوا كذلك حتى أقبل الظلام الحالك
وفرق بين الطائفتين ورجعت الفرسان تشكى تعبا وكرا وقد عاد مقرى الوحش وهو يتعجب من
ذلك الفارس الذى قابله وقضى النهار معه وقد فاق على قلة معرفته بأخبار عنتر وكذلك دريد أصابه
مالا أصاب أحدا من البشر ومن شدة فزعه على أصحابه تولى الحرس بنفسه ودثار وحفاف ما بعد عن
الخيام حتى سمعوا صياحا عظيما فى جيش بنى قضاعه وصياحا عالى تعلى القلوب من سماعه مرتاعه
وسمع الناس وهى تموج بين المضارب والخيام ولها حلبة وكلام فقال مقرى الوحش لدريد اين حال
هؤلاء القوم الاندال فوالله ما يخلو حالهم من احد الحالتين اما نجده تكون وصلت اليهم أو نزله من
جهة عنتر تكون نزلت عليهم والصواب أننا نسير حتى نبقى بقربهم نسمع كلامهم ونستدل على
أحوالهم فادار أينا منهم فرصه نادينا الى أصحابنا وكبسناهم فى الخيام وبلغنا ما نريد قبل اذهاب الظلام
فقال دريد لمقرى الوحش افعل ما تريد فهذا هو الراى السديد ثم انهم ركبوا حتى صاروا عند الخيام
حتى انهم يسمعون من القوم كلام وادا بواحد يقول لرفيقه والله يا ابن العم لو كان اصاحبنا فائز راى لكان
تركنا فى هذه الليله نكبس على الاعدى حتى نبلغ منا بعد ما أمرت غمره الى عنتر ما بقى أحد يقدر
يقف قدامنا فلما سمع دريد ذلك الكلام قال لاصحابه أمر والله حامية عبس وما أقول والله الا بغاثة
من نوائب الدهر ثم تعجب من ذلك الاتفاق وقال وحق دمعة العرب لقد كنت أظن ان الفارس الذى
وقف قدامى فى وجه بنى عبس هو غمره وكنت متعجبا من حسن صبرها وقتالها وما دام انه غيرها فهو
فارس لا يخاف الآفات ولولا انه بهذا الوصف ما كان لاقى مقرى الوحش والراى عندى أنا نرجع
الى قومنا ونحفظهم لا يقوى عزم هؤلاء الاندال على كبسنا قبل الصباح ثم انه عاد هو وأصحابه وهو
يقول يا لمت شعرى أى داهيه دهت عنتر بعد فراقى له وما أقول الا انه أوسع هووايا ها فى البر وغدر به
الزمان لانه لم يزل يأكله خوان ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك ان عنترا لما وقع بغمره وجرى
له معها ما جرى فى القتال وقد ابعدوا فى الربى والتلال لان حيلهما جياد وهما أصحاب نخوه وحميه
وفرسان جاهليه لا يرى أحدهما على روحه ان يرجع بغير حاجة مقضيه وكان عنتر قد فرح بالبعد

عن

عن العشائر حتى لا يبقى لاصحابه معين ولا ناصر الا انه متعجب من غمره وقتالها وهو يقول ما هذا الا
فارس عظيم ولا شك انه فارس هذه الاقاليم على انى سمعت دريد وهو يقول ما فى بنى قضاعه الا غمره
بنت فائز سيد بنى قضاعه ان كانت هى هذه ما هى الا فى طبقة عظيمة من الشجاعه والبراعه وبقى مشككا
فيها وأما غمره فانها عرفته عند الصباح لما لاح لها سواد جلده وحسن قتاله ولكنها تحسرت كيف
ما كان قتالها بين الصفوف حتى انها تنظر وتشوف ثم انهما أخذا فى الكر والفر حتى حمى عليهما
الحر وثقل الحديد على الاجساد وتعبا من معانات الحرب والجلاد وتعبت تحتهما الخيل من الطراد
وعمل مع غمرة العطش والجوع لانها امرأة على كل حال ومعدودة من ربات الجمال ولكن لقيت رجل
لا كل الرجال وبطل لا كل الابطال فقالت له أى شئ ترى يا عبسى فى العودة الى أصحابنا قبل اتلاف
الخيل واذا كان عندنا الصباح فى غداة غد عدنا الى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق من شق الاسماع
وشفى من الامراض والاوجاع لا عدنا الا ببلوغ المقصود فقالت غمره ان كان ولا بد من ذلك فاصبر على
حتى اريح حوادى واردا الماء وأخفف ما كان على من العبوس ونعود الى الحرب والبؤس فقال عنتر
هذا اليك أيها الفارس ثم انه عدل عنها ونزل عن جواده وأرخى حزامه حتى استراح من التعب وأسقاه
من الماء دون أن شبع وشد عليه ورمى عنه درعه وهان خصمه عليه وعلم انه صار فى يديه فركب وطلب
غمره بعظم أسه وجلده واذا قد عادت اليه بوفاحتها وقد أظهرت الجلد بهمتها وكانت فعلت
بجوادها كما فعل عنتر وخففت لباسها وارجعت وهى فى بردة يمانية قصيرة الاكمام مليحة الهندام
وذوائبها مثل الظلام بوجه أحسن من بدر التمام وجفون مريضة تشفى من السقام واعكان مطويات
ومعاصم ملفوفات فلما نظر عنتر الى أعطافها أعطاف امرأة عرف انها غمره ورأى انى حسنها وجمالها
فوقع فى قلبه منها موقع عظيم واستعجز نفسه كيف قاسى تلك المقاساة وهى جارية عربيه فصاح فيها
ويلك أنت غمره بنت فائز الضاعية فقالت نعم أنا غمره التى لها على الفرسان صوله وقدره ولولا شدة
الحر والهجير وحلو هذه القفار ما كنت اشتهرت هذا الاشتهار على انى ما أدعك ترجع سالم وتتحدث
بما رأيت منى من المعالم ثم انها صاحت عليه وعلمت انها حيرته فى أمره واشتغل بها سره وقلبه وكان عنتر
غرق فى بحر هواها ونسى عبلة وما كان عمره نساها لان هذه الاشياء قد سبق علم الله فيها من قبل أن يخلقها
وسواها الا انه قاتلها وتلقى طعانها وهو يقول والله ما تستاهل هذه الجارية أن تقتل بعد هذه الفروسية
وما تستاهل الا التعنيق والبوس والترقيق ثم انه طاعنها حتى تقصفت الرماح فترامیا وعادا الى ضرب
الصفاح وتقابضا على ظهور الخيل حتى قل منهما الجلد والحيل وسار العرق وكثر القلق وأبذلت
غمره مجهودها ودام بينهما الصدام وهم فى محاربة والتزام حتى قرب نصف النهار ووقع بغمره الانبهار
وأشرفت على الهلاك من شدة التعب واسترخت مفاصلها والركب واسود البرق عينيها وانقلب ولاح لها
لائح الهلاك والعطب فقالت ارفق بأسيرك يا وجه العرب ودارت بديها كتاف فشدها وقوى منها
الاطراف وهو فرحان ودفعها ألقاها على ظهرها وقد افتتن بسواد شعرها فركب على صدرها وصار بين
نهودها وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها فعلمت مراده فدفعه ومنعته عن نفسها وصاحت ما الذى تريد
يا ولد الزنا وتربية الخنا تهتك أرباب الخدور وتدعى انك رجل غيور فقال لها وقد صعب عليه قولها
ويلك منيوكه يا بنت القرنان أنا من خلف الستور اخذتك أم بقائم سيفى ملكتك وحق ذمة العرب وشهر
رجب لو انك خلف ستر وخفاء لم كنت نظرت اليك فى هذه البيداء انما خروجك عن حد بنات العرب
أوجب لك هذه الفعال على انى قد رأيت كثيرا من أشكالك ولا طلب قلبى غير عبلة بنت مالك والآن
قد خطر لى هذا الخاطر وما أعرف معناه وظفرت بك فى هذه الفلا ولا بد ما أبلغ المنا ﴿قال الراوى﴾

وما كان لجاج عنتر مع هذه الجارية الا لسبب من الاسباب لانه سبق القضا والقدر أن يحصل بينهما
الاجتماع ويأتيه ولد ذكر يكون فى حديثه عبرة لمن اعتبر فلا حول ذلك زينها فى عينه خالق الخلق
والبشر الا أن غمره لما رأت من عنتر وقدهم بها ولا بقى لها من يده مخلص ولا هو ممن يخدع بالمقال
حتى تماطله بالمحال وانه لابد ان يفصبها على نفسها وان مانعته قتلها وأسكنها رمسها فقالت له يا أبا
الفوارس وحق من قدر الارزاق والآجال ما أمكنك من نفسى حتى تجعل لى مهرا وصداقا وتحلف لى
بالملك الخلاق انك ما تبدى ما جرى بيننا لاحد من البشر ولا تعرف به أنثى ولا ذكر حتى تتم هيبتى على
النساء والرجال فلما سمع عنتر ذلك المقال خجل واستحى وقام قامته وقال لها يا غمره أما كتمان حالك
فأنا الذى أعاهدك عليه واحلف لك بمن مصيرنا كلنا اليه وأما قضية المهر والصداق فسالى فى هذا
الوقت شيأ حاضرا الا اطلاقك من الوثاق وهو أحب اليك من الجمال والنياق فقالت غمره كلما ذكرته
يا فارس الاعراب من أعظم الصواب ولكن زدنى من قماشك وعدتك ما اذكرك به فى الحال
والبلاد يا نسل الاجواد فدفع لها عنتر سيف الركاب وتمت الامور والاسباب وأقام منحنيقه وصرخ
بالعبس يا الغدنان وحط الحجر فى كفة المنحنيق وعاين الباب ونفضه فانفسخ الباب وهدم البرج
وملك الحصن بما فيه وانشرحت الصدور وبلغ عنتر المراد وانطفت ناره وقر عنتر قراره وبعدها
تواثبوا وسار كل منهم الى فريقه وأما غمره انكسرت نفسها وذهبت عنها عزة البكوريه وتمنت لو كانت
قتلت ولا تم عليها هذا الامر من عبد أسود فى الاصل راعى غنم الا أن الاثنين ما انفصلا عن بعضهما
البعض حتى طلع على غمره الالف فارس الذين كان أرسلهم أبوها وراءها فلما نظرتهم حركت فرسها
اليهم وصرخت عليهم فرفعوها وتجاروا اليها وسلموا عليها وسألوها عن حالها فقالت لهم كنت مع أسود
بنى عبس فى قتال ونزال من نصف الليل الى ذلك الوقت وبعد ذلك اصطلحنا وانفصلنا على ان كل
واحد يعود الى قومه ويأخذ الراحة بقية يومه ونعود الى الحرب والقتال ولو علمت انكم تصلوا الى فى
هذه الساعة ما كنت فارقته الا بالانفصال وبلوغ الآمال ولكن من الرأى يا بنى عمى اننا نلحقه
على ما هو فيه من تعبه لانه على آخر نفس ونفسه وقد تقطعت ظهور أصحابه وعشيرته ثم ان غمره بعد
كلامها غيرت منهم حوادها وأخذت رمحا من رماح بنى عمها وعادت تطلب عنتر من حوقتها وتجارت
من حولها الفرسان وتبعتها الاقران وكان عنتر فى تلك الساعة قلع ثمامه ونزل الى الغدير وهو يقلب
الماء عليه واذا هم قد أدركوه وحالوا بينه وبين سلاحه وأخذوه أخذا بالكف وأمرتهم أن يشدوه على
جواده عرضا وأمرت بعضهم أن يسير وابه على بنى قضاعة وهم عشرة رجال وقالت لهم احترزوا على
أنفسكم وخلوا بالكم معه لانكم لم تعرفوا من وقع فى أيديكم فركبوا خيلهم وقالت لهم اذا وصلتم به الى
المضارب فشدوه مع بنى عمه الذين أخذوا من المرة الاولى ثم انهم صاروا بالامير عنتر طالبين أرض بنى
قضاعه وركضت غمره طالبة أباها ومازالت سائره فى وقت المساحتى وصلت وحوى من القصة
ما جرى وحدثته بما جرى لها مع عنتر ففرح أبوها بذلك واستبشر وقال لها لم لا أتيتنى به فى
صحبتك حتى كنا عند الصباح ضربنا رفقته وأرمينا هم الى رفقته حتى تقطع ظهورهم ويحيروا
فى أمورهم لاننا اليوم قاسينا منهم ما لا قاساه أحد ولم يكن فى جمعهم قلة كانوا كسرونا ولكن
ذوا الجمار ما قصر لانه وقف فى وجوه بنى عبس وردشرهم عنا فقالت غمره عداه غدا أفرحك على
القتال وأما قولك نأتى بهذا الرجل ونقتله فما هو صواب لاننا لو قتلناه قتلوا أخى وكل أسير عندهم
وهم مقدار ألف فارس أسير الذين لنا عندهم من بنى قضاعه والرأى عندى نصبر الى الصباح
وأخرج أنا الى الحرب والكفاح فاذا أسرت باقى أبطالهم أمرت رجالنا تحمل على بقية أبطالهم

ونبذل السيف فيهم وما يمسى المساء الا وقد بلغنا المنا والارب وخلصنا أخى ومن معه ونعود الى أرضنا
لانى اناهانت عند الرجال بعد لقاء عنتر فى المجال وغدا أخرج الى دريد آخذه أسيرا واتركه
عفيرا ثم انها مالت على أبيها وقالت له الى واب القبض على ذى الخمار لان مايهون عليه دريد مع
علمه بأسره يعتنوا ياسه منه فقال ابوها أنا أكفيك أمره وأنفذ له فى هذه الساعة عن اسانك حتى
نشاوره فى أمر القتال ونقبض عليه فقالت غمره افعل ماتريد لانى أقول انه لو كان حاضرا كان أتى الى
زيارتى وهنانى بالسلامة فقال أبوها وحق ذمة العرب لقد صدقتى ثم أنفذ خلف ذى الخمار فاوجده فى
المضرب وسأل عنه فما أعطاه أحد خبر ولا وقع له على أثر فصدق قول ابنته ولامها على اطلاقه فقالت
له لاتضيق صدرك فأنا عند الصباح أرده مكانه وآخذه من ميدانه (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة
ذى الخمار وذلك انه لما وصلت غمره وأصحابها وسمع انها أسرت عنترا وأنفذته الى خيامها فذابت
أحشاؤه وزاد بلاءه وقال واهصيبتاه وافضيحتى بين قومى واويلاه لان بنى هوازن وسليم صبحت
للعربان نهبا ونعت عليهم الغربا وما بلغت أربا والساعة مابقى فى الامر الا أركب جوادى وأسير
خلف عنتر الى الخيام وأقتله مادامت الاحياء خاليه وأخلص العباس وأصحابه واعود به الى قومى
وعشيرتى وأشد معه دريد حتى نكسر هذا الجيش من قدامه والا هلكنا نحن واياهم وان لم أفعل ذلك
والا قبضت على غمره ويضيع تعبى فى هذه الكره ثم انه فعل الذى قد خطر بباله وسار طالب أرض
بنى قضاعه ليقتل عنتر ويبلغ آماله وأصبح الله بالصباح فوثبت فرسان القبائل تطلب الحرب
والكفاح واصطفت الرجال وجردت النصال وكان دريد أوصى خفاف ودثار بكمتان أسر عنتر
وعول أن يخرج بنفسه الى الحرب والقتال ويريح بذلك بنى عبس من النزال لما علم انكسار
نفوسهم لغيبه حاميتهم عنتر وكان أشد بنى عبس حزنا وأسفا مقرى الوحش الا انه سبق الابطال ذلك
اليوم الى الميدان وطلب البراز والطعان وتفكر غيبة عنتر وبعده عن مسيكه وولده سبيع اليمن
فأنشد يقول هذه الابيات

مسيكة قبل بينك ودعينا * ونوحى يا الدجا وابكى علينا * وان شط المزار وزاد بعد
فلا تنسى المودة واذكرينا * وداوينا من الاسقام حتى * ترينا من تمارضنا شفينا
وزورينا بطيف من خيالك * يرى مانحن فيه وما لقينا * أحاطت نحونا خيل الاعادى
بأرض مانرى فيها معينا * وحامى جيشنا قد غاب عنا * وخلانا حيارى نادمينا
نعض اكفنا خوفا عليه * وغسى من عدانا خائفينا * ونضرب بالسيوف فليس ترمى
ولا نسمع لها الا الطنينا * كأن رماحنا من حيث ولى * عطايا فى أكف اللاعبينا
ولا تلقا والبها العوالى * ولا ترمى أسنتها طعينا * فوا أسفا على من كان حصنا
لنا نأوى اليه اذا دهينا * وليث يلتقى عند الرزايا * اذا ما الطعن كف الطاعنينا
فيالهف الما ياسا لمتيه * وكان الى العدا حصنا حصينا * وكنت فديته من كل بؤس
كما قد كان يفدى القاصدينا * فان يك قد مضى فثناه باقى * ترى الامهات به البنينا
فان حادثه حادثة للبالى * حمدت الله حمد الشاكرينا

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره تبادرت اليه فرسان بنى قضاعه من اليمين
والشمال وتقدمت غمره وهى تطلب انجاز الحال لاجل ما بات فى قلبها من فقد ذى الخمار وخرجت
وهى واثقة بنفسها مفتخرة على أبناء جنسها تجر قناتها فوق التراب وتنظر الى أعطافها نظر الاعجاب
وعند خروجها حذرها أبوها من مقرى الوحش وقال لها ابعدى كيف تكونى معه لانه شيطان

مايلتقى فى الميدان ولولا أمس ردّشره ذوالخمار كان يسطى علينا سطوة جبار فقالت يا أبتى لاتخاف على بعد مالاقيت عنتر مابقى لفارس عندى منظر ولو اننى ممن تطلب لنفسها الزواج كنت أخذته بعلا وقنعت به أقطارا فلا ولكن هذا لايكون أبدا ولا يكون لى أنيس فى الليل وانهار الا رمحى الخطار وسيفى البتار ثم انها بعد ذلك نزلت الى ميدانها وصالت وجالت وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول

غبار الخيل فى يوم المجالى * أحب الى من أهلى ومالى * وشرب دما الفوارس كل خمر
أفضله على الماء الذلال * ولا يطفى لهيب حوافؤادى * سوى وقع النصال على النصال
خلقت ولى جنان من حديد * وقلب قد من صخر الجبال * ولى قوم أقالونى بنقص
وقد جهلوا الزيادة فى كمالى * يعدنى من النسوان يوما * ويوما من أحاجمة الرجالى
ولولا ان حكم الله حتم * صحيح لايدنس بالمحالى * لما أصبحت فى أرض قفار
أطاعن بالقنا راعى الجمالى * ولكن للقضا فى الخلق سر * يسود به العبيد على الموالى

(قال الراوى) فلما رأى مقرى الوحش مجالها وسمع مقالها أشكل عليه حالها حتى عادت اليه فقال لها من تكون أيها الفارس المجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه ما أنت صاحبى بالامس فقالت غمره لا والله ما أنا ممن ذكرت لان ذلك جبان لكن أنا اليوم أعلمك الطعان وما يسى عليك المساء حتى أضيفك الى رفقاك وعمدكم الاسود يكون سبب فنائكم جميعا فى يوم واحد حتى تعرفوا سفرتكم ودخولكم الى بلاد شريف (قال الراوى) فلما سمع مقرى الوحش هذا الكلام خفق قلبه شوقا الى معرفة عنتر وأخباره وقال ويلك يا وحه العرب تعيى بقولك عبدنا الاسود والموالى اكشف لنا عن حقيقة الحال قبل طعن العوالى فقالت غمره أعين عن عبدكم الاسود عنتر الذى كنتم تفضلونه على كل شجاع فانه أصبح أسيرى بيد ذات قناع التى شاع ذكرها فى سائر البقاع وهذا المقام مايحتمل أكثر من هذا المقال قد ونك والحرب والجلاد قبل قدوم الليل بالسواد ثم انطبقت عليه انطباق السيل وقاربته مقاربة النهار الى الليل فتلقاها مقرى الوحش ودعا بتعجب من فصاحتها وطاب قلبه بسلامة عنتر وحار فى أمره وتفكر ودام بينهما الطعن والضرب وقد ضاقت الصفوف واجتمعت الالوف وخاف فائز على بنته وصاح على أبطال عشيرته ونادى دريد بن الصمة فى الفرسان الذين كان يدخرهم لكل ملمة ووقع السلاح بعضه على بعض وارتجت أركان الارض وتلوثت أفاعى الرماح من شوقها الى شرب دما الاشباح واختلف بين غمره ومقرى الوحش طعنات قاتلتان لولا مشيئة الرحمن كان قتلا الاثنان لانهما وقع بهما الجوادين فوقعا على الارض وقفز كل واحد منهما ساحب سلاحه وطلب خصمه لانهما وقعا قائمين حتى حارت أبطال الفريقين وتعجبت غمره من أبطال الحجاز وقالت وحق من يعلم ما فى الصدور وما فى هؤلاء القوم الا من يلتقى الالف والالفين وأكثر ومامنهم الا كل أسد قسور ولما رآها أبوها على وجه الارض تخاف عليها من نوائب الزمان المرتاعه وصرخ فى الحال على بنى قضاعه فحملت واطلقت أعنتها وقومت أسنتها وكذلك فعل دريد وصاح فى رجاله وحمل الامير عروة وشداد فى طائفة بنى عبس الاجواد فما أسرع ما كثرت المنايا عن أنيابها وارمت بسهامها وحرابها فأسكرت الرجال من خمر شرابها وجالت عليهم طيور المنايا وعقابها وخطفت الارواح من الاشباح بمخالبها ونادت السادات بانسابها فما سمعت من يرد جوابها هذا وغمرة مع مقرى الوحش قد جدت فى ضرابها لانها رأت منه مالم يكن فى حسابها ومازالا يتضاربان بالسيوف وازدحمت عليهما الصفوف وترجلت لهما الرجال وقد اشتد القتال

وكان

وكان الذى ترحل الى مقرى الوحش شداد وأسيد بن نازح وماجد وسعيد بن خالد وجماعة من
الفرسان المذكوره والابطال المخبورة وأما بنو قضاعه طلبوها مثل الامواج وقد تدفقوا مثل
البحر العجاج وصار أبوها يصيح فى رجاله ويقول من يأتينى اليوم بخصم بنتى زوجته اياها وكانت
فرسان بنى عبس قد أشرفت على الهلاك لولا دريد وخفاف ومن معهم من الاحلاف فرقوها
وكلما تهاجمت مزقوها ومازال الامر على مثل ذلك حتى طلع الحر والتهب البر واشتدت منافس
الخيل من شده الحر والهجير (قال الاصمعى) واذا بسربه خيل قد أقبلت من جهة الشرق وهى
تركض أخف من البرق وقد امها راحل أخف من شعاع الشمس اذا طلع من المشرق وهى لا تستقر
على الارض قدماه وهو ينادى يا لعبس يا لعدنان ابشروا يا بنى قضاعه بخراب الديار وقلع الآثار
وهلاك الاولاد فهذا عنتر بن شداد القادح الزناد حية بطن الواد (قال الراوى) وما صاح شيبوب
بذلك الكلام حتى صار عنتر ورفقاه تحت الاعلام وطعنوا فى الرجال المتخلفة تحت الرايات وبددوا
شملهم بأسنة الرماح الدابلات وأيقن فائز بالهلاك والعطب وأطلق العنان وعول على الهرب
فأدركه عنتر وطعنه فانقلب وانقض عليه شيبوب شده كتاف وقوامه السواعد والاطراف وبعد ذلك
نكست الرايات والاعلام والتفت بنو قضاعه الى وراءها وقد اروعها ما سمعت من الصياح وفى
دون ساعه علمت بأمر سيدها وهلاك من حوله من السادات فعادت تكشف الاخبار وتأخرت من
الغبار وخف الكرب عن دريد وأصحابه فاشتفى فؤاده بطعانه وضرابه واشتغل قلب غمره بأمرابها
وتخلا عنها من كان مساعدها من أهلها وذويها وطلبت أن تركب بعض الخيل الغائره وترجع فما
مكنها من ذلك مقرى الوحش بل هجم عليها وضربها بالحسام صفحا بين أكتافها فوقعت على
وجهها فأرمى روحه عليها وعاونه عروه وسلموها الى بعض الفرسان من بنى عبس وعدنان وركبا
من خيول المعمعه وحملا على بنى قضاعه هذا وعنتر قد نثر الجماجم من على قامات الابدان وزاد
قيدا لحرب نيران وصار شيبوب يضرب بفيأله مقاتل الفرسان وهو ينادى يا بنى قضاعه أنجوا
بأنفسكم وطلبوا غير هذه المنازل والبلاد فان حريمكم سبيت ورجالكم قد قتلت ومازال على مثل
ذلك الحال والسيف فى رقاب الرجال قطاع وبنى قضاعه حافت من حلول الآجال فسبق بعضها
بعض الى الهرب يمينا وشمال حتى ولى النهار وعول على الارتحال وخمدت نار الحرب بعد الاشتعال
والتقى عنتر بمقرى الوحش وهو لا يصدق أن يراه وكذلك أباه شداد وعروه ومن معه من رفقاه وما
فى الجماعه الا من اعتنقه وبالسلامة هناه ولما نزلوا واستقر بهم القرار اجتمع به دريد وخفاف ودثار
فرأوا سبيع بن الحرث الملقب بذى الجمار معه أسير فى قيود الذل والتعتير فسلمه الى دريد فعند
ما رآه تعجب من ذلك وقال ويلك يا أبا الفوارس هذا فى اليقظة أم فى المنام وكيف كان سبب أسرك
وخلاصك ولاى شئ معك ذو الجمار أسير حدثنى بهذه القصة العجيبة فعندها حدثه عنتر بما جرى
له مع غمره وما وقع له مع ذو الجمار (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن شيبوب لما سار من
عند أخيه يكشف خبر غمره وعمرو أخو عبلة ومن أسر من الفرسان وتبع المنهزمين الذين مع فائز أبو
غمره فوصل معهم الى الديار وأبصر غمره ظاهر الخيام تقاتل ذا الجمار على سبيل الاختبار وجرى لها
مع ابيها ما جرى وسمعت بكسرته وأرادت أن تعيد ذو الجمار الى الشد والاعتقال وتسيرها ومن معها
من الابطال وحدثها ذو الجمار بما فى قلبه من عنتر وساروا على الترتيب الذى ذكرناه وأراد شيبوب
أن يتبعهم ويحذر أخاه منهم فقال كيف أعود بلا فائده والله لا أعود الا ان خلصت عمرا ورفقاه

لانه كان رأى فائزا ما شد ذعمرو ورفقته بقرب خيامهم ولم يتركه عند العباس فبقى شيبوب يناظرهم
حتى أمسى المسا وخف الحى من الرجال فمرح بذلك وحل الجميع من الاعتقال وأجرحهم فى
الصحراء ورحل سرق لهم خيلا ورمح فسار جميع وقارب وقت السحر حتى حمل لاصحابه المدد وسار بهم
يقطع البيداء والقفار حتى عبر نصف النهار فلحقه النفير من الحى ولكن ما علم بهم هيبة ولا قيم رجال
يخطر لاحد على بال لانه كما ذكرنا حالى من الابطال فحملوا شيبوب وقد عوقوه عن المسير وأخذوا
فى الضراب والطعان حتى أمسى المسا وقع بالجمار بين التعب وسدفى وجوههم كل مذهب
وأيقنوا بالهلاك والعطب وفرغت نبال شيبوب فطلب الهرب وخاف يقع فيصلب فقطع الخيل
وراءه وطلب الفلا وغاب فى الوداه الا انه ما اختفى عن النظر حتى التقى بالعشرة فوارس الذين مع
عنتر فطلب الخيل وهو مثل ذكر النعام وهو يقول انجدونا يا بنى الاعمام فقد قتلوا الرجال وفنوا
الابطال فلما سمع العشر فرسان كلام شيبوب تقدموا اليه وقالوا له وأنت من أين تكون فقال أنا
رجل غريب من خدام بيت الله الحرام ومقامى فى أرض مكة وأنا دائر بين هذه الحال والقبائل التى
تلك فائز فلما عبرت هذه الحله قالوا لى ان صادفت أحد امن فرسان العبيله أعلمهان الاسارى هربوا
من الاعتقال فلما سمعوا كلامه أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وتركوا مع عنتر فارس واحد وقد
وصوه الوصية البالغة على الاسير هذا وعنتر معارض على ظهر جواده موسوق بحمائل سيفه فعند
ذلك قاربه شيبوب وتبينه واذا به أخوه عنتر فانذهل فى نفسه وتحير وقال ما هذا الامر العجائب ثم انه
تقدم اليه ومال الى الفارس الذى عنده وقال له الحق أنت الآخر اصحابك وساعدهم على هؤلاء
الاقوام ودعنى أسوق هذا الاسير حتى أوصله الى الماء والغدير فقال له الرجل يا وجه العرب احفظه
ولا تفرط فيه والا جعلك أول مقتول لان هذا الفارس ما هو مثل من تعرف من الفرسان لانه شيطان
فى صورة انسان ثم ان الرجل بعد كلامه مع شيبوب لحق أصحابه فعند ذلك تقدم شيبوب وفك أخوه
من الوثاق وأخبره بخلاص عمرو وما جرى لهم مع الرجال الذين أدركوهم وما ألقى اليهم من الحديث
والمحال فأخبرنى أنت كيف أسرك واعلمنى بهذه القضيه فقال عنتر اسكت يا شيبوب فان هذا ما هو
وقت سؤال حتى أشفى فؤادى من هؤلاء الاندال ثم انه بعد كلامه سل حسامه وطلب الغبار ولم
يزل سائرا الى ان وصل اليهم فنزل على العشرة الذين كانوا معه على الذى حول عمرو أحواعبله وهو
لا يفكر فى الاحطار هذا وعمرو لما نظر الى قتاله وضرابه ونزاله جاشت روحه وقال لرفقاه يا بنى عمى
قاتلوا وانصحوا فى قتالكم فعند ذلك حملت فرسان بنى جشم على فرسان بنى قضاعه وكان لهم ساعة
يالها من ساعه أرموا أكثرهم على الصعيد وولى الباقى الادبار وركنوا الى الفرار وما أقبل الليل
وخيم الظلام فلم يبق منهم لا شيخ ولا غلام ولما خلت لهم الارض سلم بعضهم على بعض وقد نزلوا
للراحة فى تلك الارض ولما استقر بهم القرار أخبرهم عنتر بما جرى له مع غمره من الحرب والقتال
وأخبر ما جرى من باطن الحال فحدثه شيبوب الآخر بما جرى من سبيع بن الحرث وكيف انه
اصطلح مع غمره على قتله فحار عنتر من هذا المقال وتفكر فى هذه الاحوال وقال ان هذا الشيطان
طلع علينا أشر من الحرث بن ظالم ثم انه اخذ الراحة حتى سكن الليل ورحل يقطع الارض حتى انقضى
أكثر الظلام وشيبوب بين يديه فوقف وقال يا ابن الام أدل أنت ومن معك عن الطريق
لانى سمعت قدامنا حس جواد وقعقعة سلاح فرسان وما أدرى معه غيره أم لا والصواب اننا نتجنبه
ولا نعارضه فيشغل خواطرنا فلما سمع عنتر كلامه رآه صواب وخاف ان تكون خيل كثير فيعظم

الامر

الامر عليه فتجنب الطريق و وقف شيبوب وقد ستره الظلام ولبد مثل ما يلبد الذئب للاغنام وما قربه القرار حتى قاربه الفارس وهو ينشد ويقول

اذا جيش الظلام على مالا * وأظلم ليله ودجا وطالا * عسفت البر منفردا بسيف
صقيل المتن يشتعل اشتعالا * ومهرى يشتهى خفقان نجد * تكون على حوافره نعالا
ولولا انني أعلو بحدى * ظهور الخيل ما عرفت مجالا * أنا الرجل الذى خبرت عنه
حقيقا فاترك الخبر المحالا * اسمى ذو الخمار وما خمارى * اذا شدته الاجمالا
ولولا عبد عبس كان اسمى * أجل بأن يسمى أو يقالا * هجرت الاهل من حنق عليه
وطلقت المنازل والعيالا * وقد أمسيت فى برقفار * فلاة لا أرى فيه خيالا
تضج الجن من حولى رباها * كأن ضجيجها قبل وقالا * ولو أمسى بها غيرى فريدا
تفطر قلبه منها انذهالا * فسيرى يا سباع البر حولى * اذا جيش الدجا ولى ارتحالا
فمند السيح تروى من حسامى * ومن علق السنان وما قد مالا
وتحمد يا سباع لحيب قلبى * اذا ما العبد فوق الارض مالا

(قال الراوى) فلما فرغ ذو الخمار من شعره عرفه شيبوب وعنتر وما فيهم الا من تعجب من أمره وعودته الى بنى قضاعه وتاهت عليهم قصته الا شيبوب فانه قال لاخيه عنتر يهنيك السلامة من هذا الشيطان فانه ما عاد الا ليقتلك ويهلك بنى عمك فقال عنتر وكيف ذلك يا ابن السودا فقال له أنا ما قلت لك انه اتفق مع غمره على قتلك وأظن انه درى بأسرك فهرب من وراء غمره وأتى الى الحله حتى يحل بك الذله فقال عنتر لابد ما أحل عليه وأحل به النكال وأورثه الهم والخبال فقال له شيبوب قتالك فى هذا الوقت ما هو صواب لانك ان نصرت عليه بقول النقاش فى الليل ومعه عشر فوارس ويمضى تعمل معه بلاش وأنا ما عندى من الرأى الا اننا نقابله فى هذه الساعة واذا بقى فى قبضتك وحضرت قدام الفرسان ابق بارزه واقض شهوتك ولا تقضى الزمان معه فى المشاقه والخصام والهزيان وتخلى قومك وعشيرتك مثل مقرى الوحش وعروة قدام غمره وأصحابها تحت الذل والهوان لان دريد كم جهد ما يعمل فى ذلك الجيش والحمل وما هذا سبيع تعلم انه بطل مناع وليث شجاع فقال عنتر صدقت يا ام الام وأنا ما خوى الا على مقرى الوحش ومن معه من الفرسان ثم ان عنتر بعد كلامه التفت الى عمرو أخو عبله وقال له دونك يا ابن العم أنت وأخى شيبوب امسكوا عليه الطريق وأعدموه السعادة والتوفيق فلما سمعت فرسان هوازن من عنتر ذلك الكلام أخذتهم الحميه ونخوه الجاهليه وقالوا وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان ما نتخلا عن معونتك ومعونة أصحابك ولو ان فى أقدامنا القيود الثقال لان ذا الخمار مارمى لنا ذمة ولا حفظ لدريد حرمه بل انه قاتل مع أعداه وتركنا فى العذاب ولولا أخوك شيبوب كنا هلكنا فى هذه الرحاب فشكرهم شيبوب على مقالهم والتفت اليهم وقال يا قوم الامر أقرب من هذا وأنا وحياة رؤسكم أبلغكم منه ما تشتهون واقتل جواده واتركه عبرة لمن اعتبر قفوا أنتم فى أماكنكم وانظروا مى ومنه العجب ثم ان شيبوب بعد كلامه وقف على قدميه وهمز همزات متتابعات ونط نطه وألحقها بالثانيه والثالثة قارب ذو الخمار وصار قدام وجهه وضرب جواده بنبله فى صدره فشب به وأرماه على أم رأسه وخبله فى نفسه وطاش عقله وما أفاق حتى شده كتاف وقوامنه السواعد والاطراف وساعده عمرو أخو عبله وحملوه على اكتافهما حتى أرموه بين يدى عنتر فبصق فى وجهه وقال لبعض الفرسان ترجل يا ابن العم عن جوادك ثم أمر فرسان هوازن أن يربطوه على الجواد عرضا ويشدوا وثاقه شدا

وثيقا (قال الراوى) ففعلوا ذلك وساروا به يقطعون الطريق حتى أشرفوا على العسكر وهم فى ضيق الخناق فأشار عنتر الى الفرسان الذين معه أن يقصدوا الاعلام ووقع الحرب وجرى من القصة ماجرى من كسر العسكر والانهزام وحدث عنتر لدريد بن الصمة بالقصة فلما سمع دريد ماجرى من ذى الخمار فعلم انه خائن العهود فسبه وشتمه وطلب انه يبطش به فرده عنتر عنه وحال بينه وبين ذو الخمار الفرسان وقالوا أيها الامير طول روحك فقال دريد لذى الخمار ياويلك أى شئ أصابك من الدواهى والاسباب حتى خرجت عن طريق الصواب وركبت جواد البنى الذى ماركبه أحد الا وخاب أما علمت أن معادى أهل السعاده يتجرع الغصص بزياده أخبرنى ياسبيع ماقصدك من هذا الفارس حتى حنقت عليه هذا الحنق ومن أجله ضربت وجه قومك بالسيف فقال سبيع مرادى يبارزنى وفى الحرب ينصفنى حتى تشهد أنت والفرسان لاحدنا بالغلبة وللآخر بعلو المرتبة لانك تعلم انى ملكت الشجعان وهابتنى الاقران فى كل أرض ومكان حتى التقانى هذا الشيطان وحط منزلتى عند الاقران من يوم انه أسرنى والى الآن مامكننى منه الزمان وأنا ما أتخلى عنه حتى أجرب قتاله وحربه ونزاله فان قهرنى فى الميدان رعيت له النوق والاغنام مدة ثلاثة أيام وان أنا قهرته يفعل كذلك فقال دريد ياسبيع أنا أبلغك المراد وأقضى مناك وأزيل عنك عناك ولكن حتى ينفصل أمر هؤلاء الاقوام ولا يبقى علينا ملام واذا عدنا الى أرضنا أشهد عليك وعليه سادات القبائل حتى لا يبقى للآخر منكم طريق الى الباطل وأريد ياسبيع قبل كل شئ تحلف لى بمن قدر الآجال والارزاق لابن آدم وهو الملك المتعال الذى أرمى الجبال انك لا تعارض هذا الرجل مادمنا نازلين فى هذه البلاد والا تركتك هكذا فى القيود والاصفاد فلما سمع سبيع ذلك حلف له بما أراد واعتذر الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا ثبت عندى انك الفارس البهلول والبطل الذى ليس له من الحرب ملول وكذلك قال دريد والله أنت غاية المأمول فقال عنتر يا أبا النظر والله ما أنا جاهل بفروسية الامير سبيع وقتاله ولا طعنه ونزاله ولو علمت ان هذا الامر يجرى بينى وبينه ما كنت توجهت الى هذه الديار لانك صرت تعبان القلب بيننا فلما تكلم عنتر بهذا الكلام حمدوه وشكروه فأثنوا عليه وحلف سبيع بحق رافع السما انه لا يفارقه أبدا ثم ان القوم بعد هذا الكلام قدموا مناسف الطعام فأكلوا على حسب الكفاية وأقبل الظلام فعند هار كب عنتر جواده الابجر وتقلد بالصارمى الابتر وتولى حرس قومه وأراد دريد أن يركب فمنعه عنتر من ذلك وقال له يا أبا النظر انا أولى بهذه الخدمة لانى تعبت قلبك وما يمكن أحملك أكثر من هذا ثم ان عنتر قبل رأسه وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وتولى عنتر الحرس على سبيل الانفراد بعدما أوصى دريد بغمره وأيهما فائز فقال السمع والطاعة فما بقى لهم الى النجاة سبيل فلما نظر سبيع الى عنتر وهو قد تولى الحرس على قومه فأراد الآخر أن يفعل مثل فعله فأمر بعض الغلمان أن يقدم له فرسه فركب وأطاق العنان وصار يدور حول المأسورين وهو ينظر عنتر فى سواد الليل وقلبه بالشر ملآن عليه فحدثه قلبه بما شاء من الحسد ووسوس له الشيطان أن يقتل عنتر فى وسط ذلك الفلا حتى لا يبقى أحد غيره يذكر بالفروسية الا انه لما لاح له وجه المحال وغرق فى بحر الجهالة والضلال وخطر له ذلك قصد الى المأسورين كأنه يفتقدهم حتى وصل الى غمرة فحلها من الاعتقال وقال لها اطلقى أباك ومن معه من المأسورين ولا تحسبى انى نسيت ما علمت معى من الجميل على ان هذا ما هو موضع كلام وانما التدبير اذا صرنا عندكم فى المضارب والخيام ثم ان ذا الخمار وقف مكانه كأنه يحرسهم حتى حلت غمرة أباها وجماعة من سادات قومها وتركت من لا قدرة عليه ومن جملة الذين تركتهم أخوها لان عنتر لما أسره سلمه الى خفاف وقال له

هذا

هذا بغيتك ومقصودك فلا تتهاون فيه فلما تسلمه خفاف صار لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا ولا ينام الا عند رجليه ولما خلصت غمرة أباها ومن قدرت عليه بعدت هي واياهم في الصحراء وبعد ذلك أتى اليهما ذو الخمار بفرسين وعدتهما وآلة حربهما وكل هذا مما في قلبه لعنتر من الحسد وسارا تحت الظلام واذا قد بان لهم عنتر وهو راكب على ظهر جواده الابجر كأنه تثنية جبل وهو يدافع النوم من شدة السهر فعندها تقرب منه ذو الخمار فصاح بهم عنتر من تكونوا تكلموا قبل أن تعدموا الحياة فناداه ذو الخمار على رسلك يا أبا الفوارس فأنا من تعرفه ولا تنكره وأنا بعد فراقك ما طاب لي مقام فأتيت اليك حتى أتحدث معك وطلبت اني أساعدك على سهر الليل حتى يصبح الصباح فلما سمع الامير عنتر ذلك الكلام شكره وانطلى عليه المحال ثم انه نظر الى غمره فأنكرها وسأل ذو الخمار عنها فقال هذا بعض أصحابي وهو ابن عمي عامر أتى في صحبتي ثم ان ذا الخمار سار الى جانب عنتر وهو يحادثه ويناديه فلما نظرت غمره الى ذلك انتهزت الفرصة وجذبت سيفها من غمده وضربت عنتر على جسده مع جنبه انها تقطعه قطعتين وكان على عنتر زرديه ومصفح والدرع الاجيحي فلما وقع السيف عليه خرج له صوت مثل المنجنيق فقطع قليلا من الزرد فانتبه عنتر على نفسه وعلم انهم غدارين وما أتوا الا لقتله طالبين فعندها صاح فيهم صيحة ثانية وحمل على غمرة فمنعه ذو الخمار عنها وطعنه بالرمح طعنة لو كانت في جبل لهدته فانكسر الرمح ثلاث قطع وما جرح ولا قطع فأراد عنتر أن يضربه بالسيف فاعترضته غمره ومنعته عنه فأراد ذو الخمار أن يتقدم الى عنتر فغاص جواده في الارض وهذا دليل على سعد عنتر فان كل من عاند مسعدا مات مكمدا لان السعد يساعد صاحبه والله يفعل ما يشاء ويريد في خلقه انه هو الحميد المجيد (قال الراوي) ولم يكن ذلك الامر أكثر من ساعة حتى سمعت الطوائف الصياح فركبت وطلبت بريق الصفاح وصبح البر من سائر الاقطار وزاد سواد الليل اعتكار فخاف من ذلك ذو الخمار فأخذ غمرة وسار فطلبها عنتر الى وقت الصباح والخيل مبددة في الاقطار والبطاح واكثر الفرسان لا يعرفون هذا الامر الذي أوجب هذا كله وفي دون ساعة اجتمعت الفرسان على عنتر وعلى الامير دريد واطلعه عنتر على هذا السبب والحال فسب ذا الخمار وحلف ان وقع به ضربه وقطع عنقه وهنا عنتر بالسلامة وشاوره في العودة الى الاوطان فقال والله يا مولاي ما بقي لنا في هذه الارض مقام ثم انهم عادوا جميعا الى الخيام ياسادة يا كرام وما قاموا الا قدر ساعة على قدر ما ضربوا رقاب ما بقي من سائر الاسارى وضرب خفاف رقبة المنعنجز أخو غمرة وبردوا بذلك قلوبهم وجدت ركائبهم على الرحيل وساروا وهم يتحدثون ويعجبون من قصة ذي الخمار ويقولون ما عمل هذه العملة الا من عشقه لغمرة وحسده لعنتر وجدوا في قطع القفار وشوقهم الى المنازل والديار فالتقاهم خمس نجابه على مهارى تقطع بهم القفار والبرارى فعرفوا دريد وقد صاروا بين يديه فتبينهم واذا هم من بني هوازن وجشم الا أنهم لما عرفهم دريد رد سلامهم وأنكر أمرهم وقال لهم ويلكم الى أين أنتم سائرون أليس وراءكم خبر من الاخبار من ناحية الاطلال والديار فقالوا يا مولاي ورانا الويل والحرب وما نحن سائرون الا في طلبك حتى نخبرك بما تم على قومك من الاهوال فقال لهم ويلكم اي شئ جرى على قومنا فقالوا غزونا بنو عبس وسبوا الحريم وساقوا الخيل والجمال وقتلوا جماعة من فرساننا والابطال وعادوا راجعين وهم فرحي بهذا الحال وكل هذا في عناد عنتر بن شداد وأصبحت النوادب في أرضنا متجاوبات فلما سمع دريد والرجال الكرام ذلك الكلام لعبت بعقولهم الفكر والاوهام وأما عنتر فانه غاب عن الوجود وبقي في صفة مفقود وعلم ان نزولهم عليهم غير محمود وتمنى أن يكون

له أجنحة يطير بها الى بني عبس حتى يجازيهم على فعالهم القباح وأما بنو فزاره فانه نوى لا يخلى منهم أحد
هذا ودريد سأل عن أخيه خالد وعن الفرسان الذين كانوا عنده يدحرهم لهوم الشداد والنجابة تقول
قتل فلان وفلان وأسر فلان وجرح فلان وأخيك أسر وحلت به البلبال والنسوان فما بقي منهم أحد
الا القليل والباقي مسبيات مع عبلة ومسيكة فقال دريد وقد أظهر الحلم والجلد على ما أصابه حياء من
عنتر وأصحابه يا بني عمي كل هذا الامر يصعب على غيرنا وعلينا يهون لان فينا كفاية لعرب المناهل
والعيون ولا بد لنا ما نكافئ بني فزاره على هذا المنكر وأما بني عبس فهي وحاميتها أخبر فقال عنتر
يا مولاي ومن هم بنو عبس وغطفان وحق ذمة العرب ما بقيت أجاور القوم بعد هذا اليوم على طول
الدوام ولا أعدهم اليوم الا من جملة الاعداء والسلام ثم انهم جدوا المسير في تلك القفار طالبين الاهل
والديار فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بني عبس وبني فزاره وسبب غيرتهم على عنتر وذلك
ان سنان بن أبي حارثة ومالك أخو حذيفة لما فاتهم عنتر من جهة الغلام كما ذكرنا فانطلقت في قلب
حصن النار فأخذ الربيع بن زياد ودخل على أعمام الملك قيس فأخذهم وصاروا الى الملك النعمان
ملك البلاد يشكوا اليه من عنتر بن شداد وما فعل بهم بين العباد وذكرنا ان عنتر لما جرى له مع بني
فزارة ما جرى وأسر سنان ومالك وكان زهير بن قيس معهم ومعه جماعة من ديبان وتركهم مع زهير
مطروحين على القيعان وسار فاجتمع رأي الجميع ذلك اليوم على المسير الى الملك النعمان وكان ذلك
بمشورة الربيع وهو الذي كان من بعض الرسل في هذه النوبة وضمن لاخيه عمارة أخذ عبلة وأخذ
معه واحدا من أعمام قيس وحصن بن حذيفة وعشر فوارس أخر من سادات بني عبس وفزاره وسار
يطلب أرض العراق بعزمه وحميته وعلم سنان بن أبي حارثة بهذه القضية فأمر بقلع بني عبس الذين مع
عنتر في جبال غزية وأنفذ الى ملك الشام يقول له أيها الملك لا تسأل عن ما في قلوبنا من الهم والغم
لاجل انكسار جيشك لما عطش قيس النوق والجمال وأخرجهم عليهم من الجبال وأهلك بني
غسان والجيوش والابطال وانه ما فعل هذه الفعال الا انه كان أشرف على قلع الآثار نخاصه رب
السماء تلك الحيلة وأنقذه من الدمار بعد ما كنا أسرنا عنتر والفرسان الذين عليهم المعتمد وقد عوّلنا انا
نسير اليك بالكلية حتى نأخذ بثارولدك مدر النصرانيه ونصابهم على أصوار دمشق وننزل بهم المهالك
ولكن جاءنا الامر بخلاف ذلك وما زلنا ننتظر لعنتر عثرة من العثرات في هذا الزمان حتى اختلفت كلمة بني
عبس وعدنان وتفرقوا في الاقطار ورحل عنهم حاميتهم في خمسمائة فارس من الفرسان وهم جرة بني
عبس وعدنان وصاروا يغزوا علينا في الليل والنهار وفي كل وقت ما نشعر به الا وهو معنا في الديار وما
أنفذت اليك هذه الرسالة على ذلك الشان حتى رأيتهم أرسلوا الى صهرهم الملك النعمان ويسألوه أن ينفذ
لهم فرسان وأنصار تعينهم على عنتر الكشحان ويبقوا لهم أعوان وأنا أعلم أنه يرسل بعض أخوانه اليهم
في جميع العربان وكل منهم يجدون في طلب ذلك الاسود الشيطان فأرسل أنت اليهم من يأخذ أموالهم
والنسوان وان هان عليكم المسير في طوائف بني غسان وأنت في جملتهم بلغنا مرادك ودبرنا على كسر
عساكر بني غطفان واذا رجعت الى الشام رجعنا معك كلنا وجعلنا مقامنا عندك نحن وأهلنا في أرض
حوران وعيدنا عندك الصلبان ونغزوا أرض النعمان وأرض المدائن ونجنهد حتى نترك الارض
كلها قائلة بكلمة المعموديه وبعد فهذه الرساله من سنان بن أبي حارثة شيخ بني فزاره وانا قد أتتنا
الاخبار ان عنتر قد سار مع دريد الى بلاد شريف وان أحياه وازن خاليه من الحماه والفرسان ثم بعد
ذلك أتى الى قيس هو ومالك بن بدر وحرضاه على القوم وسبي نساءهم وقالوا له يا ملك ساعدنا على هذا
الامر حتى يقع هيبتنا في قلب دريد وما زالوا به حتى جمع حلفاه ومن يعتمد عليه من أصدقاه وسارت معه

بنو مرة والفرسان الطماعه وطرق ديار دريد وكانت آمنه ولا نابها قط نائبه فقتلوا رحالها وساقوا أموالها
وكانت الارض التى فيها عنتر بمعزل عن القوم فأحاطت به بنو فزاره وشنت عليهم الغاره وشفوا
قلوبهم من بنى فراد وسبوا النساء والاولاد وكتف قيس الرجال الذين كانت تخلفت فى الحله وكانت مائتى
فارس والثلاثمائه الأخر كانت مع عنتر هذا وقد سبوا مسيكه وعبله وعادوا وقد بردت نارهم من
قلوبهم وزالت عنهم كروبهم وسارت فرسان القبائل تتلاحق بهم مواكب وفرق وشملها قد افترق الا أن
قيس ما طلع من ديار دريد وهوازن بالاموال حتى أهلك خلقا كثيرو ترك الدماء فى جنبات الارض
تسير فلما وصل الى أرضه جمع السبى كله حول العلم السعدى وقال لبنى فزاره ارحلوا كلكم الى عندنا
وانزلوا فى أرضنا حتى تشاركونا فى الدماء التى علينا لان دريدا ذا عاد الى دياره وقر قراره وأخبروه بما
فعلنا فى بلاده جمع حلفاءه وأنصاره وغزانا هو وعنتر ومن تعرفون من الفرسان وتبلى منهم بما لا نطيق
قبل ما تصل من عند صهرى الفرسان فقال له سنان طب نفسا وقر عينا وأبشر بالنصر على العدا ومن هو
دريد أو مقرى الوحش أو عنتر فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لا تركت لهم ذكرا ولا كرشم
بعد ذلك نقل مضاربنى فزاره وخيامهم الى أرض الشربة ونزل هنالك بالاحمال والعيال وأصبحت
بنو عبس تضج بالفرسان فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عنتر ودريد فانهم لما سمعوا الخبر من
النجابه الذى يفرح الاعداء ويغم الاصدقاء فتموا فى سيرهم حتى وصلوا الى الديار والمضارب فرأوها
تضج بالمصائب والنوائب فتألمت القلوب بالاوجاع ونزل دريد فى المنازل والبقاع وسلاهم عن تلك
الافجاع ثم قال لهم عليكم بالصبر والجلد وقلبه يتقطع وهو يقول يا بنى عمى كلما مضى لا يرجع وكأنكم
بالذى فعل بكم هذه الفعال قد أصبح فى أسوأ حال فخذوا أهبة الرحيل الى ثلاثة أيام ثم انه أمر فرسان
القبائل والخلل يأخذون الراحة بعد ما ترجل عن جواده ونزل ثم ان دريدا أرسل الى عنتر وبنى عمه خياما
ومضاربا وكان قد وصل معهم من بلاد اليمن خيول وأسلاب فنزلوا فى المنزل الذى كانوا فيه وبنو عبس
متفكرون فى تلك الافعال وكان أكثرهم هما وغما مقرى الوحش وعنتر وبلغنى انهما بقيا يومين وليلتين
ما ناما ولا التذت أجفانهما بالمنام وفى الليلة الثالثة زاد بعنتر الشوق وأقلقه الغرام وقال لمقرى
الوحش ويلك يا ابن العم الى متى هذا القعود فاعزم بنا حتى نسير الى خلاص الحريم ولا نتكل على غيرنا
فلعن الله من لا يلتقى فرسان بنى عبس وبنى فزاره ويهلك الجميع ويشتفى من الاعداء سريع فقال
مقرى الوحش افعل ما بدا لك حتى أتابع أعمالك ثم وثب كل واحد الى ظهر جواده بعد ما اعتد بعدة
جلاده وما علم بهم غير الامير شداد وشيبوب وقام المائة فارس من بنى عبس واستغرقوا فى البر والاكام
وتباعدوا عن الخيام وصار يقول مقرى الوحش واشوقاه عليك يا سيبع اليمن وهو ينشد ويقول هذه
الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ما بال ربعك يا مسيكة قد خلا * وبوحشة بعد الانيس تبدلا * بالامس كان محل غزلان النقا
واليوم تحجل فيه غربان الفلا * ناديته وسألته مستخبرا * عن من بقيت لاجله أشكو البلا
كحلت اجفانه بكحل ترابه * لما ذكرت به الغزال الاكحلا * يا ربع ان كان السحاب كادمعى
يروى ثراك اذا جنابك أمحلا * بالله يا نسمات انفاس الصبا * لك خبرة بالظعن أين ترحلا
فأجابنى ريح الشمال وقال لى * فى غيل محبوب قلبك وصلا * نزلوا على وادى العقيق وخلفوا
فى ربع قلبى للحوادث منزلا * لهفى على قوم سرت أظعانهم * كرها ولا طلبوا الملال ولا الملا
فجع العدا قلبى بهم فدامعى * هطل ونار صبابتى لا تصطلا * يا طائرا قد بات ينـدب الفه
أين الخلى من الحزين المبتلا * لو كنت مثلى كان دمعك قد جرى * وسقى الغصون وبل أقطار الفلا

ان كان قد اغتال الفك فانصا * وبقيت مشتاقا فتبيت مقلقلا * فان سبي ولدى عـــدو ظالم
حسدا وحق لحاسدى أن يفعلا * لهفى على سبيع اليمانى قد غدا * يفساق مغلول اليدين مغلغلا
ياصاحبي ان لم تكن لى مسعدا * يوم اللقاط اوعت فيك العزلا
وصحبت وحش البر عمرى كله * وجعلت للغزلان دمعى منهلا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ مقرى الوحش من شعره تزايدت حسراته واشتد نيران زفراته فتبسم عنتر من مقاله وقال له يا ابن العم ما نحو جلك أن تصاحب وحش القفار بل نأخذ لك بالثار ونخاص لك ولدك سبيع اليمن وزوجتك مسيكة كما تحب وتختار ونحن فى حمل المصيبة سواء ولكن ياأخى لا كلام حتى تقع العين على العين وتبصر كيف يقتضى الدين ان أردت أن نبرد بالشعر صدرك ونيران فاذكر سيفك وسنانك لانهم أعدل الحكام واعلم ان ذكر الاطلال البالية والمنازل الخالية ما تصلح الا للنساء التى خلف الحجاب اذا تجاوبت بالنوح والتعداد على فقد الاحبة والاولاد ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

ياصاحبي لا تبكى ربعا قد خلا * ودع المنازل تشتكى طول الملا * واشكر الى حدا الحسام فانه
فصال ماضى الشفرتين وفيصلا * من أين يدرى البين انك عاشق * أو عنده خبر اصب قد سلا
والله ما يقضى رسول صادق * الا السنان اذا الخليل تبدلا * ولقد عرفت الدهر حتى انه
لولم يذق منى المرار لما حلا * وكذا سباع البر لولا شرها * دارت ببطن الغاب أذياب الفلا
فتحملا ياصاحبي رسالتى * ان كنتما فى أرض سلع تنزلا * قولا لقيس بنى زهـــير انني
خطب المشيب على شبابى ما علا * بل لو صدمت بهمتى جبل حرا * قسما وحق أبى قبيس تزلزلا
لولم تكن ياقيس غراجاهلا * ماسقت نحو ديار قومى محفلا * والله لو شاهـــدته ورأيته
ما كان آخره يلاقى الاولا * ياقيس أنت تعد نفسك سيدا * وأبوك أعرفه أجل وأفضلا
فاتبع مكارمه ولا تذرى به * ان كنت ممن عقله قد كملا * واحذر فزارة قبل تطلب ثارها
وتريك يوما ناره لا تصطلا * فدماء بنى بدر عليك قديمة * وبنى فزارة قصدها أن تقتلا
والله لا خليت فى أوطانهم * الا النوائح صائحات فى الفلا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عنتر من شعره جد وا فى المسير وسرعة التشمير واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى سد الاقطار فوقفوا ينظرون الاخبار وكان هذا الغبار غبار دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وقد لحق بهم فى عشرة آلاف فارس لانه لما أصبح فى اليوم الثالث طلب عنتر فما وجده خبر فعلم أن نيران قلبه قد حملته على المسير وأراد بذلك التخفيف عن قلبه فتعجب من علو همته وقد أتى بالفرسان الذين قد كان أمرها بأخذ الاهبة وجد المسير فلحق عنتر كما ذكرنا ولما اجتمعوا عتب دريد على عنتر وكيف سار على حالة الانفراد وطلب أن يعانى الامور كلها بنفسه من غير انجاد فقال عنتر والله يا أبا النظر لقد أتعبناك بنزولنا عليك وكل ما قلنا اننا نتحمل عنك الانقال ما توانى الايام والليالى فقال دريد يا حامية عبس ايش هذا المقال وحق من يعلم وزن الجبال وكم هى ذرة ومثقال ان هذه الامور ما تخطر لى على بال لانى مارستهم ازمانا طويلة وعرفت منها كثير غير قليل ثم انهم أقاموا فى ذلك المنزل حتى استراحوا ورحلوا طالبين ديار بنى عبس وها نحن ذاهبون نجد ون المسير فى تلك القفار ﴿قال الراوى﴾ وكانت القبائل على بنى عبس قد اجتمعت كما ذكرنا وهم منتظرين عساكر النعمان تأتيهم قبل قدوم عنتر وتركوا لهم دبادبة على الطرقات وبيتوتوا يصبحون وهم خائفين ومازالوا كذلك حتى صار بينهم وبين عنتر ودريد ليلة واحدة وأتوهم الجواسيس وأخبروهم بوصول الجيش فصعب ذلك على قيس وقال

هذا

هذا أمرما كان لنا فى حساب ولا قلنا ان عنتر يخرج من بلاد اليمن وأرض شريف ويسير الينا بهذا
الجمع المنيف و جيوش صهرنا ماوصلت الينا وعنتر والله ما كان يؤخذ له مال ولا حريم ولا عيال ثم انه
أحضر سنان بن أبى حارثه ومشايخ بنى فزارة وحدثهم بما جرى فلما سمعوا ذلك امتلأت قلوب الجميع
فزع وقال سنان والله ياقيس مابقى ينجينا الا المحال والخداع والا بلينا من مقرى الوحش وعنتر
ودريد بمصائب لا تقال وتنهب الاموال وتسبى العيال فقال قيس وكيف تكون الخديعة اخبرنى بها حتى
انى أساعدك عليها بالمقال والفعال فقال سنان أول مانعمل نرضيهم بالحريم والعيال ونسلم الكل
اليهم من غير قتال وأتقدم أنا وأنت وجماعة من ساداتنا والابطال ونقول لعنتر أول ماتلقاه وحق
اللات والعزى ياأبا الفوارس ماسرنا الى ديار دريد الا نترضاك ونردك الى أرضنا والاطلال لانها
بقيت بلا محامى يازين الموالى ورضينا أن نوفيك دم من قتل منا من الابطال ونرد الى ديارنا والاطلال
لان جورك علينا أحب من عدل غيرك الينا وانا لما وصلنا الى أرض الشيخ دريد مارأيناك وسمعنا انك
فى بلاد اليمن فصعب علينا ذلك ومارأينا على أنفسنا أن نعود بلا فائدة فخمسنا رأينا على أخذ عيلة ومن
معها من النساء وأظهرنا الغارة حتى انك اذا رجعت من بلاد شريف وسمعت بأعمالنا تسير الينا
ونلتقيك هذا الملتقى ويعود شملنا مجتمع ويعود عدونا خاسرنا دما فان تم عليه أيها الملك هذا المرام ونزل
عندنا وطلب المقام كبسنا عليه هو ومن معه وهم فى المنام ووضعنا فى الجميع الحسام وان لم ينطلى عليه
فهو يستحى ويرجع عنا ويكون قد ردينا ه بالمكر والمواقعة خير مانلتقيه بالحرب والمكافحة لانى
أعرف انه شديد مع كونه عبد مريد فقال له قيس والله ياسنان ان هذا الكلام ماينطلى على عنتر ولا
على غيره من البشر وان رجع هو ودريد فما تكون الاحيا لافزعانين فقال له سنان دعه يكون
ما يكون لاننا ماقصدنا غير المهلة الى أن تصل الينا عساكر النعمان مع حصن بن حذيفة والربيع بن
زياد ونلحقه ولو طار الى آخر الدنيا ولا نزال حتى نبلغ منه الآمال فقال قيس افعل مابدا لك فعندها
رجع الشيخ وهو فرحان ومن ليلته أمر العبيد أن تنحر النوق والجمال والاغنام ويروقوا المدام ولما
كان من الغد أشرف عليهم عنتر ضحى نار هو ومن معه فى ذلك الجحفل الجرار الذى كأنه البحر الزخار
فطلع لهم قتام وغبار وكان القوم قد لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وعلا الضجيج والصياح
وارتعدت الارواح فى الاشباح وأبصر سنان بن أبى حارثة هذه الامور الكبائر فخاف من القبائل
والعشائر فأخرج المولدات بالدفوف والمزاهر وتصففت على جانب الطريق التى أقبلت منها العساكر
والبسهن ألوان تبهت النواظر وتشرح الخواطر وصاح فيهن وقد أبعدن عن المضارب والعشائر
وأزعجن الدفوف وقال لهم حذيفة يابنى العواهر ارفعن أصواتكن بهذه الابيات الحسان

عاد حامينا الينا * سالما بعد البعاد فاشكروا الله جميعا * واحمدوا رب العباد

(قال الراوى) فعند ذلك ضربن المولدات الدفوف ورفعن الاصوات بالابيات فى تلك الفلوات حتى
بانت الاعلام والرايات وانتشر الجيش فى الفلوات بعد الاجتماع وطلب بعد المضيق الاتساع وكان عنتر
فى المقدمة ينظر من يقدم عليه أو من يقبل من بنى عبس عليه فما رأى غير المولدات وهن يمدحن عنتر
بهذه الابيات فأخذته الحيرة والانبهات ووقف هو ودريد بعد الجد والطلب وتعجب غاية العجب وقال
لمقرى الوحش ولمن معه من الفرسان ايش بال بنى عمنا ماركبوا الينا وما بال هؤلاء المولدات يضربن
بالدفوف بين أيديهم لايكونوا قوما زوجوا نساءنا الى غيرنا فضحك مقرى الوحش وقال جزاك الله كل
خير على بشارتك وتبسم دريد واذا هم بقيس قد أقبل وحوله أعمامه واخوته والى جانبه سنان فى
سادات بنى فزارة والكل خالين من السلاح غير متأهبين للحرب والكفاح وعليهم الثياب المصبغات

والعمائم الملفوفات ومازالوا سائرين حتى قاربوهم وترجلوا لعنتر لما قاربوه ونظروه وتقدم اليه سنان بوقاحته وهو يقول أنت تقول ياحامية عبس انك ماينطلى عليك المحال هاقد أعدناك الى أرضنا بالخديعة والاحتيال ووهبنا لك ماقعلت فى حقنا من القبائح والفعال ونحن نسأل الله أن لايعدمنا شخصك على كل حال لاننا مانتام فى أمان اذا لم نعلم انك عندنا فى الاوطان ثم انه حدثه بالحديث الذى كان بينه وبين الملك قيس وأظهر له انهم ماطرقوا دياره وسبوا بنت عمه الاحتى يأتى اليهم هذا وعنتر مطرق برأسه الى الارض لايشبلها من شدة الحياء والخجل وحار فيما يقول ويفعل وعول على الرجوع وردا العنان واذا بأخيه شيبوب تقدم الى سنان وقال له ياشيخ السوء أنت ذكرت انكم ماسرتم الينا وسبيتم حريمنا الاحتى يعود أخى اليكم ويصالحكم ودريد ايش كان ذنبه حتى قتلتم رجاله وسبيتم عياله فقال سنان ياشيبوب نحن ماتعرضنا لحريم دريد الاحتى يأتى مع عنتر وينزل عندنا حتى نخدمه ونكرمه ونجازيه على ماقعل بأخيك لانه أضاف ابن عمنا وقد أحسن اليه وأما تعرضنا الى رجاله فما كان باختيارنا وانما لحقوا بنا القوم ونحن عائدين بالحريم والعيال وتعرضوا الى حربنا وا القتال وما سمعوا منا مقال فقتل بيننا وبينهم من دنى أجله وندم كل واحد منا على عمله ونحن ماتترك سيدنا دريد يعود الا أن ندفع له دية من قتل من رجاله ونحايد من دم أصحابنا ونجعله لنا عمده وعدة فتبسم دريد من هذا المقال وعلم انها خديعة ومحال وان القوم قد عجزوا عن الحرب والقتال وأبصر عنترة وجهه من الحياء فرجع معه وهو يقول والله ياأبا الفوارس لو كان أحد غير بنى عمك وقومك فعلوا معنا هذه الفعال ماكنت تركت منهم بشر ولا أبقيت منهم أنثى ولا ذكر فقال عنترة وحق نعمتك انهم يستحقون أكثر من ذلك لاسيما بنى فزارة ولكن من رمى سلاحه حرم قتاله ولكن بلغنا انى بخلاص عيالنا واموالنا ورأينا سادات قومنا بين أيدينا مثل العبيد ولو كانوا قاتلونا كنا تعبنا معهم وماقضينا غرض ولو ظفرت بأحد منهم ماكان يطيب على قلبى اننى أقتله واذا أسرته مالى يد امتد اليه حتى أكتفه ثم انه أنعذ أخاه شيبوب وقال له قل لسنان يرسل حريمنا الى عندنا واعلم أن محاله ماانطلى علينا فقال شيبوب والله ماكان الصواب الاقتال بنى فزارة وبنى زياد الغدارين بين العباد لانهم لو ظفروا بنا ماأبقوا علينا فقال عنترة صدقت ولكن قيس واخوته هم الذين يمنعونى من ذلك لاننى ماأنسى جميل أبوهم الملك زهير والحاقه لى بالنسب فعاد شيبوب الى سنان بهذه الرسالة التى ذكرناها ودريد أخذ جماعة من الرجال حتى يرد العرب والمواكب وجميع الفرسان ونزل بالجميع فى البر الواسع وأما شيبوب فانه وصل الى سنان وأعلمه بما قال أخوه فأظهر انه صعب عليه وصار يضرب يدا على يد ويقول واحرباه ما الذى قسى قلب حامينا علينا حتى مابقى يقبل سؤالنا ولا يألف أطلالنا بالله عليك ياشيبوب ارجع اليه واسأله حتى يرجع وينزل عندنا فى الديار والاطلال والا مايكون لنا مع النسوان هدو ولا قرار ولو لا دريد معه فى هذه العساكر الغريبة وخوفنا من الفضيحة كنا أخرجنا حريمنا مكشوفين الرؤس يسألوه فى النزول فقال شيبوب والله ياسنان كل هذا محال ونفاق وضلال ثم انه صار معه ورحل أصحابهم من ذلك الاعتقال وأمرهم ان يسوقوا المال والعيال ورحل الى بنى هوازن وجشم واجتمع كل واحد بمن له من النسوان والخدم وكذلك مقرى الوحش اجتمع بزوجته مسيكة وولده سبيع اليمن وكذلك عنترة اجتمع بعبلة وشكى كل واحد لصاحبه مايجده من ألم الفراق ثم وصلت اليهم الطعامات والاقامات فما تعلقوا منها بشئ بل رد دريد الجميع وأقاموا حتى تنصف الليل ورحلوا يقطعون السير وبغضة بنى فزارة قد تضاعفت فى قلوبهم ومازالوا فى رحيل وفى اقامة مدة أربعة أيام وفى اليوم الخامس من أول النهار طلع من خلفهم غبار وقتام مثل الظلام فوقفوا يتحدثون فيه واذا بغبار آخر

طالع من بين أيديهم وهو قاصد اليهم فحاروا من ذلك ووقفوا ينظرون اليه وضاق فى أعينهم الفلا وبعد ساعة تراقى الغبار وانجلى وارتفع من الصياح وعلا وبانت لهم أعلام عراقه وبيارق حركسرويه ورايات سود نعمانيه ورماح سمهريه وسيوف مشهوره يمانيه فى أيدى رجال تصارع المنيه وتحتهم خيول عربيه وكان أكثر ضجيج الجيش الذين فى المقدمه لان أبطالهم كانت فى المقدمة وهى تنادى الى أين أنتم راجعين يا أذال العرب وبنى فزاره لكم فى الطلب تظنون اننا ما أصرفنا كم الا بالخداع ودفعنا لكم الاموال الا حتى تصل الينا عساكر الملك النعمان وتتبعكم الى أبعد مكان ولا نرجع عنكم حتى نجعلكم نهبا للعقبان (قال الراوى) وكان السبب فى مجى هذه العساكر من بلاد العراق واتباعها العنتر فى تلك الآفاق وذلك ان الربيع ابن زياد كنا ذكرنا قبل هذا الايراد انه أخذ أعمام الملك قيس وحصن بن حذيفة ومضى الى النعمان يشكوله عنتر ويحدثه بما فعل بهم من الامر المنكر وكيف عاونه دريد وقد أنزله عنده وقواه بعساكره وجنده الا انهم لما وصلوا الى الحيره ودخلوا على الملك الاسود وشرحوا له قصتهم فدخل بهم على أخيه النعمان وقبل البساط حصن وبكى وانتحب وصاح واحرباه يا ملك ما بلى أحد مثل ما بليت ولا لاقا مثل ما لاقيت لان ابى قتل وأعمامى قتلوا وذبحوا مثل ما تذبح الاغنام وربيت أنا بينهم مثل ما تربا الايتام ولما كبرت قنعت بما لى من المال وقلت أقضى عمرى وأصبر على جور الزمان فسلط الله على عنتر بن شداد يغزونى كل يوم فى الاوطان ويقتل كل من تقع عينه عليه من الاهل والاخوان ويسبى البنات والنسوان ويسوق كلما يرى من الاموال ولا تسمع له مقال ولا يخطر الموت له على بال

(تم الجزء الثالث عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد)

14

الجزء الرابع عشر من سيرة الفارس الهمام والبطل
المقدام من انتشرت شهرة فروسيته فى كل
واد ليث الغزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
٢

﴿الطبعة الاولى﴾
﴿بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه﴾
﴿سنة ١٣٠٧ هجريه﴾

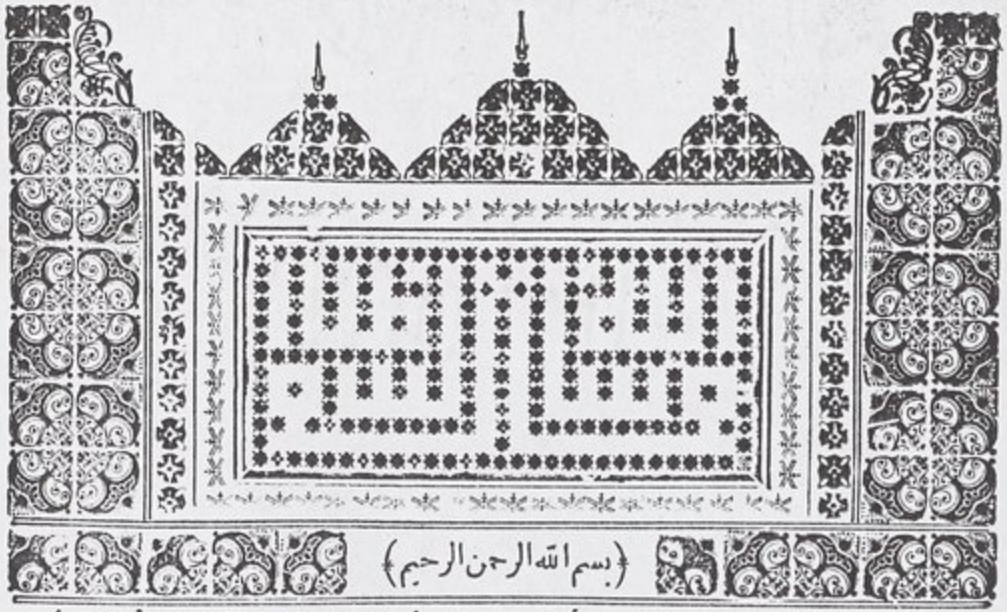

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال الراوى) ثم انه حدثه بما تم عليه وسأله المعونه فرق له ولد النعمان وبدل خوفه بأمان وأمره بالجلوس وأخذ الربيع الى جانبه واكرمه وقال له يا ربيع لم لا تنهوا هذا العبد الهجين عن هذا الرجل المسكين لان الخبر قد وصل الى انكم رحلتم الى أرضكم وان حسنا قد وهب لكم دم أبيه وأعمامه وردكم الى حوارك ولما انكسرت عساكر الشام ورجعتم الى ما كنتم عليه ورضينا لكم وقر قراركم عدتم تفكرتم الاحقاد فما الذى فعلتم فى حق عنتر بن شداد حتى تغيرمعكم عن الوداد فقال الربيع قائل الله من ذكرت وقتله والى الهالك أرسله لانه ما بقى لاحد عنده قدر ولا قيمه وحرض النعمان على هلاكه ثم انه حدثه بحديث مالك بن قادم والجاريه نوار وزاد عليه أضعافه وهو لا يخشى الله ولا يخافه ثم قال أيها الملك وما أتيت أنا وهؤلاء القوم السادات وقصدنا كم الا خوفا على أنفسنا وعليك لانه مع تجبره اتجأ الى من هو أجهل منه وهو دريد الذى نفرد بالعمر الطويل واستطال على كل جيل ونحن ذللنا لهم وصرنا نداريهم وقد أرسل عنتر يقول لنا وحق ذمة العرب ان لم تأتوا الى سيدى دريد وتخدموه وتبالغوا فى خدمته وتدخلوا تحت طاعته وتحلفوا له انكم تكونون معه لا عليه لاهلن بكم ما أقدر عليه لانى فى هذا العام أريد أجعله ملك العرب ونائب كسرى فى مكان صهركم النعمان وان أبى كسرى زلزلت على رأسه الايوان وهدمت بيوت النيران وأشتت الاعجام الى أقصى خراسان وأترك مولاى دريدا ملك العرب والارض فى طولها والعرض لانه حقيق بهذا الحال لما فيه من العقل والكمال قال وطر زالربيع على هذا الكلام فقال واننا أيها الملك لما سمعنا هذا المقال ما قدرنا نكافؤه على هذه الفعال من كثرة ما حوله من القبائل والرجال ومن شدة خوف قيس على نفسه وعليك أنفذنى اليك ونحن فزعانين على حرمنا والعيال ولا أدرى ما تم بعدى من ذلك العبد اللئيم والوغد اللئيم (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان هذا المقال تزعزع من على سريره ومال وانطلى عليه ما قاله الربيع من المحال ثم قال وذمة العرب الاخيار ما كنت أظن ذلك الا من جهل صهره ذى الخمار وانا كنت أصد عنه لاجل بعد الديار وأحسب ان دريدا يرد عقله ان طلب شيأ ما هو أهله وبعد هذا فقد احتكم الامر وما بقى يأخذنى عنه صبر لانى أعلم ان عنترا يقوى قلب ذو الخمار و ينفتح علينا باب نتعب فيه لا سيما وعنده اليوم فرسان أوقاح تلتقى بصدورها عوامل الرماح مثل عنتر وذو الخمار ومقرى الوحش وعروة ودثار وخفاف والعباس

والعباس ومثل هؤلاء الفرسان العوابس وما فيهم الا من يلتقى ألفين فارس ثم انه بعد ذلك التفت
الى من كان عنده من أهل دولته وشاورهم فى أمره وقصته فقالوا أيها الملك ان المملكة لها شروط
محكمة ويجب على الملك أن يتركها مقدمة وهو أن يضع السيف فيمن بغى وافامة الهيبة على من
طغى ويرسل من يأتون بالكل مكتفين مقيدين بعد ما يقتلون هم البدع ويدمرون الخوارج وأهل
الطمع ويتركون أرضهم خرابا يلقع وتتأدب بهم فرسان العرب وتقع الهيبة فى سكان البرارى
والقيعان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع النعمان ذلك الخطاب عرف انه صواب فأكرم الربيع ومن
معه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع جمع العساكر وفرسان العشائر فكانوا مائة مقدم من كل أمير
وشجاع قد سمى بالفروسية فى سائر البقاع وكل واحد منهم يحكم على طائفة من الفرسان وقدم عليهم
اخوته عمرو بن هند والاسود وأمرهم بالمسير فى ذلك البر والقفر وقال لهم اجعلوا قصدكم الى ذلك
العبد الاسود فاجابوه بالسمع والطاعة * هذا وقد امتلأ قلب الربيع فرحا بكثرة تلك العساكر
والاجناد وأمل انه يبلغ هم المراد وصار يحث العساكر على قطع القفار وأن يجدوا المسير بالليل
والنهار وأى قبيلة عبروا عليها أدخلوها تحت الطاعه ويأخذوا منها جماعه ولم يزالوا سائرين حتى
وصلوا الى بنى عبس وهم فى ثمانين ألف فارس من كل مدرع ولابس وكان نزولهم للاضطرار لحين بعد
رحيل عنتر بيومين فلما وصلوا استقبلهم الملك قيس وسنان وفرحوا بمن معهم من الفرسان ثم
أنزلوهم فى أعز مكان ونحروا لهم النوق والفصلان وامتلأت أرض الشربة بالجيوش والفرسان
وضجت الاقطار من صهيل الجنائب واعتمت المشارق والمغارب ولما نزلوا وحضروا الطعام حدث قيس
الربيع بما جرى لهم مع عنتر وما فعلوا معه من المحال فلما سمع الاسود ذلك الكلام قال لهم وفى كم
أتوا هؤلاء الاندال فقال قيس فى عشرة آلاف ولو كنا علمنا انكم تدركونا هكذا سريعا لطاولناهم
بالقتال حتى تلحقونا بهؤلاء الابطال فقال الاسود اذا كان الامر هكذا فنحن نلحقهم فى الطريق
ونعدمهم السعادة والتوفيق لان سيرهم على سير الجمال والحريم ونحن تحتنا خيول جياد نبلغ بها
منهم جميع المراد ثم انه أعلم القبائل الذين معه بهذا السبب فأخذهم الفرح والطرب الى ان كان
عند الصباح أخذ الربيع بن زياد جماعة من بنى فزارة وفرقة من بنى شيبان نحو عشرين ألف
عنان وقال للملك الاسود انا أسير بهذا الجيش من مواضع أعرفها وأستقبل العدى وأمسك عليهم
المقدمه حتى لا يهرب منهم نسمه واحدة فقال الاسود افعل ما تريد وخذ انت وأصحابك فى القفار
والبيد ثم ان الاسود سير أخاه عمرو بن هند فى عشرين ألف فارس على الميسرة وقيس بن زهير سير
بعض الابطال فى عشرين ألف مضافة على الميمنة وسار هو وخلفهم فى باقى الجيش وخلف على
الحريم بعض اخوة قيس وجدوا المسير حتى لحقوا دريدا وعنترا وحققت الحقائق وطبقوا عليهم من
جميع الجوانب وخفقت البارق هذا والاسود أرسل الى دريد قبل الحرب رسولا يقول له اعلم يا دريد
ان أخى نائب الملك العادل النافذ الامر فى جميع القبائل انفذنى اليك فى هذه البلاد بهذه الجيوش
والاجناد حتى أصلح ما فيها من الفساد وأربى لهؤلاء القوم عبدهم عنتر بن شداد وأرده الى طاعتهم
ان أبى وأراد وآمرك أنت بالمسير اليه والوقوف بين يديه وتطأبساطه ويسألك عن شئ سمعه عنك
من أقوامه وأكثر ظنه انه من الحساد وأنا حدث رب السماء حيث لحقتك فى الطريق وتسهل الامر
من غير تعويق فان كنت سامعا مطيعا لله وللدولة الكسرويه والاوامر النعمانيه فأنفذ أموالك
وحريمك مع طائفة من أصحابك وأجب ملك العرب حتى ترحم نفسك واعترف بالعصيان والا
صرت نهبا للعقبان وهذا ما عندى والسلام ﴿قال الرواى﴾ فلما وصل الرسول الى دريد بهذه الرسالة

وسمع هذه المقالة أحضر عنترا وأخبره بهذا الخبر فاحترقت أحشاه واحمرت عيناه حتى بقيتا مثل الجمر الاحمر وقال للرسول وحق من أطلع الشمس والقمر وأمر السحاب فانهدر وأروى به الارض والحجر لولا انك رسول لجعلتك منهم أول مقتول ارجع يا ويلك الى الاسود واعلمه وقل له يقول لك عنتر بن شداد لا تغتر بهذه الجموع فلا بد أن ما أتركها فرقا متفرقة طعاما للوحوش وأجسادها ممزقة وانه أذل وأحقر ان يسير اليه دريد شيخ العرب أو يقدم عليه أو يقف بين يديه لانه أشرف منه قدرا وأنفذ في العرب حكما وأمرا وفي هذا العام يصير نائب كسرى وافتح له الارض برا وبحرا وأما قوله يصطلحي على بني عبس فهذا شيء لا يكون أبدا ومادام واشكوني الى صهرهم النعمان وطلبوا هلاكي بجمعهم العربان فسوف أجازيهم بما فعلوا وقد ندمت كيف عدت وما أثرت في بني فزاره أثرا فلو كنت عملت بتدبير قيس وما صنع ما كنت رجعت حتى تركت ديارهم بلقع ولكن هذا ما يفوته بل اذا فرقت هذا الجيوش رجعت اليه وجازيته وأنظران كان ينفعه النعمان أو غيره ثم ضرب أكتاف الرسول بالسوط وصاح فيه صيحة أزعجه وقال له ارجع خائبا مما جئت له طالبا فرجع الرسول الى الاسود وهو لا يعقل على نفسه وأعلمه بما قال عنتر فعظم مصابه وغاب عن صوابه وكان الليل قد اقترب فأقام ينتظر رحيل الظلام لانه وجد كلام عنتر أشد من ضرب الحسام ثم قال للرسول وما تكلم دريد بكلام فقال لا وحياتك يا مولاي ومن عظم ما جرى عليه ما نام ولا ذاق طعم حتى أصبح الصباح وأمر الطوائف بأخذ الاهبة للحرب والكفاح وكان عنتر ودريد باتا يحرسان الحريم ويتشاوران للقاء هذا الغريم والجيش العظيم حتى بانت غرة الصباح فصاح دريد في بني هوازن فتبادرت الى ظهور الخيل أسرع من نزول السيل وكان قسم تسعة آلاف على ثلاث جهات وأما عنتر فانه حلف ما يبقى من بني فزاره أحدا ولا يحمل على هذا الجمع الا في فارس ومقرى الوحش (قال الراوي) ولقد كنت معهم حاضرا في هذه الوقعة لما حملت الخيل على بعضها في هذه البقعة فرأيت الاقطار وهي ترتج والرجال حملت من كل فج ومامنهم الا من زعق وضج وما بقي للجبان حجة بها يحتج بل امتدت الرماح امتداد الاذاع وزاد الغبار علوا وارتفاع وما بقي في الممات اندفاع ولا لحبل المنايا انقطاع وفر الجبان من الشجاع وتفرقت الارواح بعد الاجتماع ودام الحرب والقراع حتى تزلزلت القفاع وضاق الامر بعد الاتساع وعمهمت السباع وكان نظرهم يغني عن السماع وقد تقسمت الاجساد أثلاثا وأرباعا وبقي بينهم وبين الموت باع أو ذراع وما رأيت ولا سمعت بأعجب مما جرى للقوم في ذلك اليوم ولقد حضرت وقعات كثيرة من وقعات عنتر فما رأيت مثل هذه الوقعة التي تذكر لان الطائفة القليلة كانت أبطال أقيال لا يرون على أنفسهم الفرار فأظهرت في ذلك اليوم العجائب والطائفة الكثيرة كانت تدفق من كل جانب ومقدموها يرمون أرواحهم على المصايب وعنتر ودريد ومقرى الوحش يصارعون المنايا مثل السلاهب بقلوب قد تعودت بخوض الاهوال والمصايب وأصبح الطفل من هول ذلك اليوم شايب الا أن المساء ما أمسى الا وما فيهم من يعرف الدهر أحسن اليه أم أساء وقد رأوا أكثر الاعداء قد ملكت أكثر المال والنساء وهم ما بين لعل وعسى وعنتر قد فتك في بني فزاره وأعادر بجمعهم الى خسارة ولكن ما عاد الا وهو مثخن بالجراح ولكن قد شفى فؤاده وقتل الفا ومائة قتيل وعاد وهو في حالة العدم مما جرى عليه من تلك الخلائق والام ورجعت الفرسان وقد تحطمت رماحها وعدمت صلاحها فكان القوم كما قال في حقهم الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

لقينا صدور الخيل والجو أسود * وبرق المنايا في الجوانب لامع

فما

فما أمنا من سيد وهو مصلت * لسيف سوى ان طاح منه الاصابع

(قال الراوى) وكان دريد قد جرح فى ثلاثة مواضع الا انه فعل فعال الابطال والرجال وهذا شئ مارأته النواظر ولا سمعه المسامع وأما مقرى الوحش فانه كان من نصف النهار قتل جواده وقاتل عنه حتى ركبه جواد من خيول المسلمين ولكنه ماركب حتى سالت دماه من جسده وعدم صبره وجلده ونثر من حوله الفرسان وأهلك منهم نحو مائة فارس من الاقران ولم يزالوا حتى ولى النهار وأقبل الظلام فافترقوا عن القتال والصدام هذا وقد نزلت بنو عبس وهوازن من حول الحريم وهم فى هم عظيم وشد كل واحد جراحه واجتمعوا للمشورة والمقال فى أمر الحرب والقتال فقال دريد ياقوم لو قاتلنا من جهة واحدة ما كانت جرت علينا هذه الاهوال الزائدة فقال عنتر يا أبا النظر اذا كان الامر على مثل ذلك الحال فعند ذلك نترك العيال وسط النوق والجمال ونأمر العبيد بسوق الجمال السوق الشديد ونحمل على الجميع ونجتهد ونطلب النزال الذى عليه الملك الاسود ونجعل قتالنا من جهة واحدة ونطلب من الله المعونة والمساعدة وان رأينا أمرا تعسر علينا والاعداء قصدونا سقنا الجمال بالاسنة وميلناها كل الميل وصدمنا بها صدورالخيل فهى تفرقها عنا فى البيداء فقال مقرى الوحش هذا هو الصواب ثم اتفق أمرهم على ذلك الحال وباتوا يحرسون أنفسهم وهم على ظهور الجنائب والصباح يأخذهم من كل جانب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الاسود فانه ما أمسى عليه المساء الا وهو ضيق الصدر من هذا العمل وما يدرى كيف يكون العمل فذكرت له فرسان قبيلته بأنه قد قتل منهم ستة آلاف قال الراوى فبينما هم فى ذلك الكلام واذا حصن بن حذيفة داخل عليهم فى سادات قومه وهو رئيس الوسوس وذكر انه قتل منهم أربعة آلاف وسبعمائة فارس فزاد بالاسود البلبال وباتوا وهم يشتكون الى قيس من هذه الافعال والاسود يقول ما بقى يدوم لاخى النعمان ملك ولا حكم ان لم يقتل عنتر ودريد لانا جاهرناهم بالعداوة وما شفينا منهم قلبا ولا بقى للصلح معهم وجه ومثل هذه النوبة ما بقى يتفق لنا لانهم فى قلة ونحن قد دربنا بهم من كل جانب ومكان فقال قيس لا يصعب عليك أيها الملك هذا الشان لان القوم ما بات فيهم من يقدر أن يشيل يده الا وهو من الحرب تعبان لاسيما هذا الشيطان عنتر الذى هو أسد قسور لانى اليوم جعلت بالى معه فى قتال العرب فرأيت منه العجب وما عاد عند المسا الا والدما من سائر جسده تنسكب وتجرى مثل أفواه القرب والصواب اننا كلنا عند الخروج اليهم من تحت الاعلام نهجم عليهم وتكون أنت بيننا وهذه القبائل معنا وقد بلغنا المراد ونفترسهم مثل الاسود فعند ذلك قال الملك الاسود لقيس ايش تقول لى فى كبسهم عند الصباح ما داموا تعبانين وهم فى هم الجراح فقال قيس ما هذا صواب لان الفرسان الذين نحن لهم طالبون اذا رأوا الغلبة ولو اهاربين ويدعوا السيف يعمل فى القبائل ونخسر نحن وهذه الجحافل فقال الاسود أنا عند الصباح أحمل بروحى الى المجال وأباشر الحرب والقتال ثم انهم باتوا ينتظرون الصباح الى نصف الليل فسمع عنتر ودريد حوافر الخيل والقبائل تفرقت والكتائب تمزقت وصارت كلها من جهة واحدة ولم يعلم دريد وعنتر ما الخبر بل قال عنتر وحق ذمة العرب ما رجعوا عنا الا لسبب اما خبر ميشوم قد وصل اليهم أو نازلة نزلت عليهم ولولا هذا الظعن والحريم كنا تبعناهم وعلى فعالهم كافئناهم فقال دريد ما نريد نكافئهم دعهم يمضون الى حيث لا يرجعون لانهم كانوا طمعوا فى نهب أموالنا وسبى عيالنا وظفرهم بنا فى البر الواسع والقفر الشاسع الذى ما لاحد منا مكان يلتجئ اليه ولا خيل تجول فيه والصواب اننا نسير الى الاوطان وندبر بعد ذلك أمرنا ونجازى الملك النعمان على هذا الامر والشان فقال الامير شداد والله يا أبا النظر لقد قلت الصواب وأشرت بالامر الذى لا يعاب لان أكثرنا جرحى بأسوأ حال ومعنا من يشغل قلوبنا ولا يمكننا من القتال

ثم انهم ساروا طالبين ديار هوزان وقلوبهم على الحريم وهم يتحدثون فى رجوع هذه العساكر بعد ما كانوا ظافرين (قال الراوى) وكان السبب فى تلك الحادثة سنان بن أبى حارثة لانك ذكرنا انه أرسل الى دمشق يعلم الحارث الوهاب بما ذكرنا من الكلام وهو يحثه على غزو بنى عبس وعنتر بن شداد لان الحارث لما وصلت اليه المغرمون من تعطيش النياق حلف الحارث بحريم والانجيل لابد أن يسير اليهم بعساكر الشام ويترك نساءهم أرامل والاولاد أيتام ويرسل بعض العساكر الى البيت الحرام وبعد ذلك أخذ فى جمع الفرسان من كل جانب ومكان وأقبلت اليه أهل السواحل وبلاد حوران وانفذ الهدايا الى رهبان نجران وصار يطالب منهم الدعا فى دياجى الظلام وأراد بذلك أن يقيم جاهه ويعظم شأنه عند صاحبه ملك النصرانية فوصل رسول سنان وهو يعرض عساكره فى أرض الاعناك فكانت مائتين وسبعين ألف عنان وفيهم طائفة جاءت من داخل الجزائر لاجل الاقامة فى الشام وزيارة بيت المقدس وعين سلوان فلما قدم رسول سنان سأله عن مولاه فقال له انه فى انتظارك لان أعداءك وقع بينهم الخلف وسيدى عول بعد فناهم على الاقامة عندكم لانك اذا أخذت ثارك وكشفت عارك وأهلكت عنترا وبنى عبس ومن يلوذ بهم من خلفائهم رحلت معك فلما سمع الحارث هذا الكلام طاب قلبه لهذا النظام ثم انه رحل من ساعته طالبا أرض الحجاز وديار عدنان فلما وصل اليها بعد رحيل قيس وعساكر النعمان بيوم واحد أمر الحارث بالقبض على الجميع ووكل على الحريم وعلى الاموال جماعة من فرسانه الابطال ونظر بنو عبس الى تلك العساكر فأيقنوا بالتلاف ولم يقدروا على الخلاف والدنيا قد انقلبت من امعان البيارق والصياح الذى عم على المشارق والمغارب * هذا وقد نزلت الفرسان من بنى غسان وملؤا البرارى والقيعان (قال الراوى) ولقد أخبرت انهم قد تجمعوا ذلك من أرض بنى عامر الى أرض بنى فزاره الى وادى اليعمورية الى وادى الغزلان حتى ضاق بهم المكان والحارث نزل على رأس العلم السعدى وضربت لهم السرادقات والخيم وكان المقدم على غسان فارسا يقال له دبق بن حسان وكان شيطانا فى صورة انسان فلما استقر بالحارث النزول ودارت أبطاله من حواليه دعا بمقدم جيشه دابق وقال له اسأل الاسارى من أهل هذه الديار أين القوم ساروا حتى نلحقهم ولو طاروا ونرسل أيضا الى بنى غطفان ونأتى بالجميع فى الذل والهوان ونفرق العساكر على جميع الطرق والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب ولا تفوتنا المطالب فأجاب دابق وفرق الفرسان على جميع الطرقات والقيعان وسأل من الفرسان فقالوا له انهم ساروا خلف عنتر مع عساكر النعمان فرجع دابق وأخبر الملك بذلك الشان وقال له كل هذا بسعادتك يا ملك الزمان ولكن الصواب أن نرتاح حتى تأتينا أخبار عنتر وعساكر النعمان ومن ينحسر أو يربح فى هذه القيعان فنركب نحن سريعا ونهلك الجميع لان الكل أعداك وكل من هلك منهم ارتحنا منه فقال له ما أشرت الا بالصواب فأرسل الى بنى غطفان من يسوقهم الى عندى لانهم شركاء بنى عبس فى دم أصحابنا ثم أرسل جاسوسا خلف عسكر النعمان وسيروا الى بنى غطفان عشرة آلاف فارس مع مقدم يقال له مبادر بن غياث هذا وقد طرقت أرض الشربه طوارق الحدثان وبكت عليهم الاوطان وهرب وحشها والغزلان وكان انفلت من بنى عبس فارس يقال له سلامه بن ناجى فوصل الى بنى عبس وأخبرهم بما جرى عليهم فتفرقوا من حول عنتر وأما قيس فانه غاب عن الوجود وقال هذا من سعادة عنتر لاننا كلما نعاديه نخسر وأما سنان فانه فرح واستبشر وطفح على قلبه السرور والفرح واجتمع بحصن وأعلمه بجميع الامور وقال له أبشر بأخذ الثار وكشف العار لانى ما جمعت هذه العساكر الا لاجل أن أقطع آثار بنى عبس وأشتفى من عنتر الكمشجان فعلم بنى فزاره بالخبر حتى ندور حول قيس والملك الاسود ومن معهم من أكابر العربان

وتزعق بعيسى ومريم والصليب المصخم وتقتل صاحب العلم وتنزل ببني عبس النقم وتخلص حريمنا
والصبيان وذكر بهذه الفعلة الى آخر الزمان فقال حصن وكيف يبقى لنا مقام اذا رجعت الى
بلادها عساكر الشام فقال ستان وما الذي يبقى لنا هاهنا بعد أخذ ثارنا وكشف عارنا ودمع الملك
الحارث الى بلاد الشام ونقيم هنالك في أعز مقام فقال حصن ان تم هذا فقد انطفت ناري لاسيما ان نظرت
عيني عنتر وقد نهبت جسده الرماح المداد ثم دارا لحديث بين الجميع وتذكروا الاحقاد القديمة وساروا
مع الملك الاسود وكل هذا بما في قلوبهم من بغضة عنتر وما أعطى من السعادة والاقبال ثم جدوا المسير
حتى بقي بينهم وبين أرض الشربة يوم واحد فقال قيس للطوائف خذوا اهبتكم للطعن والضرب
وابشروا بالنصر على عساكر الشام لانهم لو كان لهم قوة كانوا لحقونا وساروا على آثارنا وما أنا خائف
الا من عودتهم الى ديارهم بالسبايا والاموال ثم انهم اصبحوا معوقين على الرحيل واذا هم بعساكر الشام
طلعت عليهم وطلع الغبار واسودت الاقطار كأنما نزل عليهم غمام وزاد السياح من كل الجهات
وارتجت الارض من ركض الصافنات ولمعت الصوارم والخطيات واختلفت الاصوات على حسب
اللغات لان الجواسيس عادوا وأخبروا الحارث بما جرى وانهم عادوا على أعقابهم فتجهز لهم المواكب
وساروا اليهم حتى وقعت العين على العين وانعقد الغبار من المشرقين الى المغربين فظنوا ان القيامة قد
قامت على الفريقين وفي دون ساعة انفردت عساكر الشام وملأت الاودية والآكام وبان لهم وجه
الطمع فحملت وبادرت ومواكبها أقبلت وأطلقت أعنة الخيل وأرسلت والتقتها طوائف النعمان
وأوقعوا بهم الذل والهوان وطلبت بنو عبس خلاص الحريم والنسوان فحكمت بينهم عوامل
الاشطان واختلفت الطائفتان وودعت الارواح الابدان وضاق على الجبار الميدان وفاض الدم
كالغدران وتعثرت الخيل بالجماجم وجاء الحق وذهب البهتان وخرص اللسان من شدة الهول
ولاح ملك الموت في صورة انسان وهان على الرجال فقد النسوان وعادر بحهم الى خسران وعمل
السنان في المحاجر والعينان وحامت عليهم كواسر العقبان واشتهر الامر وبان ووقع الفناء في العربان
وتثلم السيف اليماني من ضرب الابدان وثبتت الشجعان وفر الجبان وهزت بنو فزارة أعلامها وطعن
حصن أخا قيس فقتله ورفع صوته بعيسى ومريم والصليب المصخم وسمعت بنو فزارة فأجابته من
سائر الجهات وبلغت مناها على ما كان بينهم من الاشارات وطعنوا بني عبس في صدورهم والشجعان
في نحورهم وتحيرت بنو عبس في أمورهم لما وقع بها محذورها وزاد ضررها وضيرها واستوحش
الرفيق من الرفيق وتأخروا فمن المعان وسمع ملك الشام أصوات بني فزارة فقال لمن حوله وحق
المسيح لقد صدقت هذه القبيلة في وعدها فاحملوا عينوها وامنعوا عن أذيتها فرساننا ومن يقدر منكم
على أسير يجيء به الى عندي حتى أسوقه الى بلاد الشام وآخذ بهم اليد البيضاء عند الملك قيصر وأقوى
عزمه على غزو هؤلاء الاندال في كل عام ولا أزال حتى أقلع أثر النعمان وأيضا كسرى صاحب
الايوان وأملك العراق وأترك النواقيس تدق في بيوت النيران في سائر الآفاق فبادر والامر
وخذوا اخوة النعمان (قال الراوي) فتبادرت بنو غسان وكشفت عن بني فزارة فرسان بني غسان
ووقع في عساكر العراق الاندفاق وزعق عليهم الغراب بالعراق وكان يوما يؤرخ في الاوراق
وتعجز عنه ألسنة الحذاق لان الارواح بيعت بلا ثمن وبقيت الاجساد مطروحة على الدمن وما امسى
المساء حتى قتل من أعمام قيس ثلاثة ومن اخوته اثنان ومن بني فزارة ثلاثة وكانت نوبة عظيمة صار
فيها العزيز ذليل وكان قيس رأى اخوه الحارث يردان العرسان الى الحرب والطعان وما فيهم من
يصدق ان ينجي من الشر حتى انه طلب البر وباتت القتلى في جنبات الفلا وبنو غسان تجمع أموالهم

حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأعرضت على الحارث الاسارى وقدمت الاموال بين يديه
فقال لهم الاموال لكم فما الى غرض فيها وأما الاسارى فأهريق دماءهم فقال الوزير وكان اسمه جبير
وكان عاقلا ارفق أيها الملك على أسراك وافعل فعالا يزيد بها مجدك وعلاك لانك سيرت الى بلاد
الحجاز عسكرا ثقيلا سابقا فما عاد اليك منهم أحد وقتل ولدك بدر النصرانية وكل هذا قدح قدرك
عند أهل الشام والصواب أن ترسل هذا السبي مع عشرة آلاف فارس الى الشام وتأمر الذى يسير بهم
أن يتركهم فى البلاد حتى تأمن قلوب العوام ويعلمون أن لهم ملكا قادرا على ما يريده من مراده
لاسيما اذا رجعت بعنتر ومقرى الوحش وبنى عامر ونلحق الملك قيصر بأهل هذه البلاد لانى أقول انه
اذا نظر الى هذا السبي والاسارى يقويك بعساكر الروم ويهبك هذه المعالم والرسوم وتصير الارض
كلها الى بنى غسان وتعلو منار المسيح فى كل مكان وان كسرت النعمان وفتحت بلاد كسرى وخربت
بيوت النيران تبقى تذكر فى هذه الفعلة ما بقى الزمان وترضى عنك القسوس والرهبان وتحمل الجزية
عباد النيران الى عبدة الصلبان فلما سمع الحارث هذا الكلام زاد به الطمع وقال له يا حكيم دبر أنت
هذا الامر ثم أحضر سنانا وسادات بنى فزارة وأخلع عليهم ثياب الديباج وأعطهم العمائم وردّ عليهم
حريمهم والعيال وقل لهم اعلموا انكم ما فعلتم هذه الفعال وبقى لكم فى هذه الديار قرار والصواب انكم
تسيرون مع أهلكم من يوصلهم الى بلاد الشام حتى اذا رجعنا من هذه الاوطان أوقفت لكم أرض
حوران فقال سنان هذا مرادنا لاننا بلغنا من بنى عبس غاية المراد واذا وقع عنتر فى أيدينا انطفت منا
نيران الفؤاد فقال لهم اشربوا بما تشتهون وأنا أبلغكم جميع ما تريدون ولا بد لنا أن نبلغ الراحة ونجد
فى هذا الامر واذا وصلنا الى منازل دريد قلعنا أثر كل من فيها من بنى هوازن وجشم ووضعنا كل
وضيع القدر ومحتشم ودرنا على أسر عنتر وسقناه مع جملة الاسارى فقال سنان اعلم أيها الملك اننا
صرنا كواحد منكم ويجب على أن أنصحكم والرأى عندى أن نجعل طريقنا على بنى عامر ونبادرهم
قبل أن يصل اليهم خبر هذه العساكر فاذا نحن قتلنا فرسانهم أو سبينا نسوانهم فنبقى نطلب عنترا
ونبلغ منه المراد والا ان تركنا هذه القبيلة خلفنا خسرنا وتعبنا لان عامرا وملاعب الاسنة يشدون مع
عنتر ودريد لان بينهما وبين القوم نسبا وان لم ننادرهم قبل اجتماعهم والاطال مطالنا وكثر صداعنا
فلما سمع الحارث ذلك الخطاب رآه صواب وقال لسنان افعل ما تختار فأنت أخبر بهؤلاء الاشرار
ونحن اذا عادت سرايانا من بنى غطفان سرنا الى بنى عامر ووضعنا فيهم السيف ثم انهم نزلوا فى الخيام
يطلبون الراحة واذا هم بسبي بنى غطفان وضجيجهم أقلب القيعان لانهم كانوا غافلين عن نوائب
الزمان فأحاطت بهم جنود بنى غسان ووضعوا السيف فى الفرسان وسبوا الاولاد والنسوان وساقوهم
عن آخرهم حتى وصلوا بهم الى قدام الحارث ففرح بهذه الامور وزاد به السرور فقال له وزيره جبير
أخلط هؤلاء الاذلال على هؤلاء وسيرهم عند الصباح الى الشام بحريمهم واموالهم وأوص الذى يسير
بهم أن يسوقهم وكل من وقف منهم يضرب رقبته فقال له الحارث افعل ما تريد ثم انه جمع السبي على
بعضه البعض وصار بهم يقطع الارض وكان بكاء النسوان قد ملأ القيعان الى أن اصبح الصباح وعوّل
الوزير أن يسير بهم واذا بخمسة نجابة قد أقبلوا من ناحية بلاد الشام ونحتهم نجب قد أشرفت على الهلاك
من شدة السير وفى دون ساعة حضروا قدام الحارث وكان معهم كتب فسلموها اليه واذا هم من عند
قيصر ملك الروم يقول فيه للحارث الذى نعلم به المقدم المجاهد فى طاعة المسيح انى بعد ما أذنت لك
بالمسير الى بلاد الحجاز وصلت الى عندى مراكب بعدد النجوم والكواكب وفيها طوائف مختلفة
الاجناس كلهم من غزاة الافرنج وهم يزيدون عن مائتين ألف من الفرسان كلها أقيال تلتقى بأسنتها

صدورا لمنا باولا تبالى بالاعجال ولهم مقدم يقال له الديلجان تفزع منه الانس والجان وهو الذى فتح جزائر البحار وخرج يطلب نصرة عباد الصلبان ويهدم بيوت النيران وأريد منك ان أخذت ثارك ان تسير الى أرض الكوفه بعساكر غسان وتكفينا مؤنة النعمان وقد تيسر الامر وهان فلما سمع الحارث ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال للنجابة ومن أين فارقتم الملك الرحيم فقالوا له من الغداة فقال الحارث هكذا نريد حتى نملك الدنيا من قريب وبعيد ثم انه خلع على النجابة وقال لوزيره تمهل حتى تأتى سبايا بنى عامر ونسير كل السبى فى مرة واحدة ونسير الى نصرة فيصير بهذا الفتح الاكبر ثم انه سار فى خمسين ألف فارس غير الطائفة المعدودة من الروم والافرنج وكان بين الارض التى رحلوا منها وبين أرض بنى عامر سبعة أيام فقطعها الحارث فى خمسة أيام وأراد بذلك أن لا تسبق أخباره فوصل اليهم فى سادس يوم وضيق عليهم الآفاق وهم ما حققوا معرفة من أتاهم حين سمعوا المنادى بالهلاك والبلاء قد فاجأهم فحار شيخهم وفتاهم وضجت بالويل نساهم وغيبهم الغبار حتى لم يعرفوا صاحبهم من مساهم وأيقن بالسبى عبيدهم واماهم وركب ملاعب الاسنة وابن خالته عامر بن الطفيل وتواثبت الابطال الى ظهور الخيل وانعقد الصياح ولمعت أسنة الرماح وبرقت الصلبان وانتشرت أعلام بنى غسان ونادوا الثارات الثار وأيقن بنو عامر بالدمار وخراب الديار وصدمت الرجال ولمعت بروق النصال وقصرت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وقاتلت الافرنج أى قتال وأبصرت العرب منها الاهوال هذا وقد فرقت الجوع ونفذت الطعنات من الحواصر والضلوع وكانت بنو عامر وغنى وكلاب اثنى عشر ألف فارس فقتل منها الى المساء ثلاثة آلاف فارس وهرب الباقون الى جبال عاج وتعلقوا فيها وتركوا هنالك الحريم والعيال وانتخوته الابطال ونزلت عساكر الشام فى منازلهم والخيام وضيقوا عليهم المذاهب ودار وابهم من كل جانب وعند الصباح زحفوا عليهم بالسيوف والدرق فقاتلوهم حتى ازرقت منهما الحدق ولولا ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل ما كان أتى على الباقين الليل وما كان على بنى عامر أشد من سنان بن أبى حارثة لانه كان يعرفهم المواضع والطرقات والمقاطع ويدور بهم من كل جانب ويحرضهم على قتال الرجال وبنو عامر كلما نظرت الى هذه الاهوال وأبصرت هذه الفعال يحل بها الوبال هذا وقد أجمعوا أنفسهم فى تلك الشعاب خمسة أيام وفى اليوم السادس فرغ من عندهم الزاد فهانت عليهم الدنيا وكرهوا الحياة بعد سبى النساء والاولاد فانتخوا نخوة العرب وارموا أنفسهم على العطب ومازالوا يقاتلون حتى أهلكوا جما كثيرا من الاعداء وهلك منهم بعضهم وبقوا مطروحين والباقون استوفوا ما قضى الله عليهم من القدم ونال بنو غسان منهم ما أملوا وانفذوهم مع مقدم لهم يقال له دابق فى عشرة آلاف فارس بصحبته وقالوا له سر بهذا السبى الى الشام وهانحن فى هذا المكان حتى يصل السبى الى الاوطان فقال دابق بن حبان الى الشيخ سنان والمانسير من هذا المكان الى عنتر بن شداد نكون قد بلغنا المراد فقال الحارث لابد أن نسير له ونقطع منه الآثار فقال سنان أيها الملك لا تخرق هيبتك لان عنتر اليوم عند دريد نازل ودريد شيخ القبائل وأقل ما يكون اليوم حوله خمسين ألف بطل مقاتل ما بين فارس وراجل وان سرت اليه خسرت وعاد الامر عليك وكسرت لان دريدا عنده أبطال تلقى كل من قد امك من الرجال وأنا أيها الملك قلبى فزعان من عنتر لئلا يكون وصل اليه الخبر ويعلم بمسير السبى فى البر فيسير خلفه على الاثر ويعلمكه بسيفه الابتر ولو يكون معه أمه ربيعة ومضر ويرجع يطلق علينا شياطين العربان الذين تعبنا فى أخذهم وقاسينا منهم الهوان وربما سار بهم خلفنا فى الطلب وعاقنا عن كل سبب لانه ولد زنا وقد يعمل منه الغضب ولا يشمت بقومه أو باش العرب والرأى عندى اننا ما نبرح من هذا المكان حتى يبعد السبى من هذه الاوطان

لان لنا فى ذلك فوائد كثيره الاوّل أن تكون طريقنا الى السلامه والخيره وذلك ان در يدا ما رجع بفارق الاطلال ولا يبعد عن الحريم والعيال والثانى ان السبى الذى أرسلته الى البلاد يكون فى أمان والثالث ان النعمان اذا سار اليك وطلب خلاص اخوته من يدك تخليه حتى يبعد عن بلاده و ينقطع عن عساكره وأجناده وتدهمه أنت فى وسط القفار فتبلغ منه ما تريد وتختار فلما سمع الحارث من سنان هذا المقال قال له ياشيخ تقول اذا هجمنا على عنتر ودريد بهذه الجيوش ما نكسرهم فقال سنان أيها الملك ان هذا ليس بصواب لان در يدا فى جبال عاليه يقال لها جبال غزيه أقوى من القلاع المبنية واذا حصل فيه ألف بطل وطلبهم كل من كان فى السهل والجبل لا يقدرون لهم على ضرر ولو أن معهم جميع البشر و يطول عليك المطال ويتحصنوا فى الجبال و ربما وصل اليك النعمان و يعود أمرك الى خسران وما عندى رأى أحسن من المقام فى هذا المكان وترسل الجواسيس يأتوك بالاخبار ومن سار منهم اليك وسبق ملت اليه وهشمته هشم الورق ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحارث من سنان هذا الخطاب بان له الخطأ من الصواب وأمرهم أن يأخذوا أخبار النعمان هذا وقد تسامعت به قبائل تلك الارض والديار وهم مقيمون حتى تصح لهم الاخبار وفى أيام قلائل وصلت اليهم الجواسيس ومامنهم الا من انبهر من شدة السير وحدثوه بجميع الاخبار وأما العبيد الذين أرسلهم خلف عنتر ودريد فقد عادوا بالخبر وقالوا والله أيها الملك لقد سرنا ليلا ونهارا حتى وصلنا الى الديار فما وجدنا فيها أحدا لا أبيض ولا اسود غير براري مقفره وفلوات موعرة كأنما رميت أهلها بسهم الشتات وأخلاها من الاحياء والاموات وكل هذا بهيبتك وقوة السلطان لانهم سمعوا بالاخبار فرحلوا وخلوا الديار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من جواسيس العراق فانهم أخبروه بما اجتمع من العربان وهم فى ستين ألف فارس من كل مدرع ولابس وسمعنا ان قبائل اليمن متتابعة مثل العيون التابعه ونقول أنهم يشرفوا عليك بعد ثلاثة أيام فلما سمع الحارث ذلك الكلام التفت الى سنان وقال له ان تركت النعمان يتمهل فانه يفعل ما يفعل ثم انه قام من ساعته ونادى فى عساكره بالرحيل وترك بنى فزارة فى المقدمة لاجل خبرتها تلك البلاد ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان منهم واما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان مقيما فى ديار بنى هوازن وهو طيب العيش آمن و راق له الزمان وقد استراح من طوارق الحدثان ودريد فى النهار جليسه ومحبوبته عبلة فى الليل ونيسه وهم يتذكرون ما جرى لهم مع بنى عبس وكيف لحقوهم فى عساكر النعمان ولا يعلمون كيف كان سبب عودتهم وبقى كل واحد يشتهى أن يعرف أصل ذلك وما زالوا على ذلك الحال فى افتكار حتى وصلت اليهم الاخبار من السفار وحدثوهم بخروج ملك الشام ووصوله الى تلك الاكام وما جرى على بنى عبس وغطفان وغدر بنى فزارة وذبيان وما خلفوهم من الاوطان وسبى الاولاد والنسوان فلما سمعوا ذلك السبب تعجبوا غاية العجب وقالوا والله قد افتضحت بنو عبس بين العرب ولكن بغبها ولجاجها هو الذى كان لذلك سبب ثم أقاموا على ما هم عليه من أكل الطعام وشرب المدام الى يوم من الايام أتاهم الخبر بما تم على اخوة الملك النعمان وكيف غدرت بهم بنو فزارة وأوقعوا بهم الذل والخسارة وقتلوا جماعة من سادات عبس وكان ذلك من طريق الغدر وأخذوا بثار بنى بدر وأسروا الاسود وقد أعلموهم بجميع ما جرى وتجدد فلما سمع عنتر تلك الاخبار طار من عينيه الشرار وقال من مثل هذا كنت أخاف على بنى عبس وكنت أنهى قيسا عن بنى فزاره الطائفة الغداره وما زالوا كذلك حتى قلعوا آثارنى عبس وأخربوا ديارهم فقال در يد والله لقد صدقت يا أبا الفوارس فى مقالك فلعن الله البغى ما أسرع آفاته والصواب اننا نحذر من هذه الفوارس الذين كأنهم البحار الطوامس ونجعل

علينا

علينا عيونا وارصاد فى كل شعب وواد واذا سمعنا انهم قصدوا الينا تركنا هذه الارض وخليناها ونزلنا
فى جبال غزيه الشامخة العليه ونتحصن فى شعابها وقد آمنا من كثرة العساكر وحروبها ولابد أن
يسير لهم النعمان بعساكر العراق ويطلب خلاص اخوته وتعمل معه نخوته وهمته ثم ان دريدا أرسل
جواسيس الى ناحية أرض العراق وقال لعنتر أنا أعرف ان بنى فزارة ما تسكت عن مكرها ومازالوا
مقيمين فى الانتظار لصحة الاخبار حتى وصلهم حديث بنى عبس وحديث بنى عامر وما جرى عليهم
من الاحوال وسبى حريمهم والعيال واخبرهم بكثرة أسراهم وانهم أرسلوهم الى أرض الشام ومعهم
رجال وأبطال وأما الحارث ومن معه من فرسانه فانه سار الى لقاء النعمان فى عساكر ما يصفها لسان
فلما سمع دريد وعنتر هذا الخبر تأسف عنتر وتحسر وخفق قلبه على بنى عامر كما يخفق جناح الطير
الطائر وقال وحق ذمة العرب الكرام ان قعدنا عن عبادة الصلبان يملكوا البيت الحرام ويحرموا
العرب المسير اليه ويرموا الاصنام من عليه ويتغير ما نحن عليه من الاحكام ويعايطلبون منا الخراج
والعداد ويستخدمون الرجال والاولاد ثم ان دريدا التفت الى عنتر يشاوره لانه رآه محروق القلب
والفؤاد على ما جرى لبنى عبس من الهوان وكيف تبدلت أفراحهم بأحزان وهو يظهر الجلد فلما شاور
دريدا فى هذه الامور العظيمة وجد الكلام معه راحة عميمة لان دريدا أشار الى عنتر بالمسير فى ذلك السير
والهجير فقال له يا أبا النظر لقد نظرت موضع النظر والصواب مسيرنا اليهم فان لنا فى ذلك فوائد كثيرة
وهى تكون سبب النصرة عليهم والخيرة لاننا ان قدرنا على السبى الذى أرسلوه الى الشام قبضناهم
وخلصناهم بالحسام ولو أن معهم كل من فى الدنيا من عرب وأعجام وان وقعنا بالنعمان وهو مكسور
مهان نصرناه على عبدة الصلبان وعرفناه قدره حتى يكف عن اشره وان وجدنا له مطمعا فى الاعداء
هجمنا عليهم وشتتناهم فى البيداء وكل هذه الاشياء تحمدنا عليها قبائل العربان وسكان البرارى
والقيعان فلما سمع دريد كلام عنتر قال والله لقد أتيت بفضيلة يا أبا الفوارس ولكن قبل مسيرنا نحن
نحصن حريمنا والمال فى هذه الشعاب والجبال ونترك عندهم من نعتمد عليه من الرجال ونسير الى قضاء
هذه الاشغال ثم اهتموا فى هذه الامور وحسبوا فرسان تلك القبائل الذين هم نازلون عندهم فى تلك
الغدران والمناهل واذا هم أربعون ألف مقاتل فيهم مثل دثار وخفاف ومن يجرى مجراهم فقال دريد
هؤلاء يكونون هنا لحفظ الحريم ويلتقوا الغريم حتى لا يكون فى غيبتنا لم يكن لنا شئ فى الحساب ثم
ان دريدا أرسل الى القبائل وأعلم بذلك مقدمين الجحافل وأمرهم بالرحيل والمسير الى جبال غزيه
بجميع مالهم بالكلية ففعلوا ما أمرهم ورحلوا ونزلوا فى الجبال وآمن كل واحد على ماله من المال
والعيال وبعد ذلك اجتمعوا الى دريد فأمرهم بأخذ الاهبة وانتخب منهم عشرة آلاف فارس من الاقيال
وترك خمسة وعشرين ألفا عند الحريم والعيال وأوصى بهم أخاه خالدا وسار يقطع الفدافد وهم على
جرائد الخيول الاصائل خفاف الظهور من الاثقال ومنهم المهارى والجمال لحمل الماء والزاد فى تلك
الفلوات وعنتر ما صدق أن تقع عينه على عساكر الشام حتى عملت فيه النخوة عمل السهام وكان هو
ومقرى الوحش فى المقدمة وفى قلبه أقوى حراره وهو مفكر فى غدر بنى فزاره وفعال قيس معه وكيف
وقع فى الخساره وتفكر وداع عبلة له فاشار ينشد ويقول

يا عبل أشجى فؤادى دمعك الجارى * يوم الوداع وقد حلت الافكار
قولى بكاك ولا تبكى على طلل * ولا على جارة كانت ولا جار
فالقوم قد وقعوا بعدى بغدرهم * وهكذا الدهر يجرى كل غدار
بغوا على وبعد البغى مصرعة * تذل كل شجاع القرم جبار

خانوا فخانتهم الايام واحتكمت * فيهم أيادى الاعادى طبق مختار
ياقيس لولا لجاجى فيك ماظفرت * بنو فزارة منك اليوم بالثار
خلالها البر فاشتدت وقد غنمت * وقام يخطر منها كل خطار
لو كنت معكم ونار الحرب موقدة * سقيت كل العدا من موقد النار
بصارم فيه من ساداتهم أثر * وشاهد الخط لايخفى على القارى
فكم لقيتهم واوالخيل عابسة * كأنها شرر يخرج من النار
وعدت عنهم وقد فرقتهم سربا * بأبيض ماضى الحدين بتار
فلو تركت لجاجى ماتركت لهم * ذكرا ولاخبرا يسرى به السارى

(قال الراوى) ثم انهم جدوا فى المسير وقطع القفار واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار منقطع وغمام مرتفع فأنكروه وتحاوروا فيه حتى انهم قاربوه واذا به انكشف عن فرسان مكشوفين الرؤس وبيارق سود وعليهم ثياب السواد وهم مثل الغربان فلما رآهم عنتر وقف ووقفت الرجال الذين كانوا معه وأنكروا ذلك فظنوا انهم من عساكر الشام فتحدثوا فيهم فلما رؤهم القوم المقبلين عرفوهم فرموا أرواحهم عليهم وهم ينادون عن صوت واحد واذا له بعد عزاه وافقراه بعد الغنى ياحامية عبس مسنا الضر العظيم وغصبنا على المال والحريم وقتلت ساداتنا وانهتكت بناتنا وخربت أبياتنا وشمتت الاعداء بنا وصرنا مشتتين فى الفلوات ونادمين على مافات وقد أتيناك معتذرين وبذنوبنا مقرين ثم ان المقدم عليهم بكى وأن واشتكى وأشار الى عنتر يقول

طرقتنا طوارق الحادثات * ورمت شملنا يجور الشتات * وافتضحنا بين العباد وصرنا
مثلا سائرا قبيح الصفات * ولقينا فعالنا بك لما * غبت عنا يا ابن الكرام السرات
فالديار التى عهدت خراب * مقفرات الطلول والعرصات * يصرخ البوم فى رباها ويغدو
سحرا فى ربوعها الدارسات * لو رأيت الرجال منا أسارى * مع ملوك العراق والسادات
والعذارى المخدرات حيارى * والنساء والعبيد كالاموات * لشجى قلبك العويل وأضنى
لبكاء البنات فى الخلوات * يا ابن شداد طال ماغبت عنا * بلغتنا شماتة الشامتات
وعلمنا بأن سيفك قدما * كان لنا حصنا من النائبات * وبنو بدر بادرونا وكانوا
أصل هذا المصاب والكائنات * غدروا بعدما وفينا وخانوا * واستحلوا منا دم السادات
ذكروا وقعة المريقب لما * حاربونا يوم جفر الهبات * تبعوا جدهم حذيفة فى الغدر
وآباهم مع الامهات * فأغثنا يا أبا الفوارس واصفح * عن ذنوب مضت لنا سالفات
يارجانا وعزنا وحمانا * يوم ضرب الصوارم المرهفات

(قال الراوى) فدمعت عينه الى الذى أنشد القصيدة واذا به قيس بن الملك زهير والذين معه سادات عبس وعدنان فلما عرفه عنتر ترجل اليه واعتنقه وترجلت جميع الرجال وبكى الجميع ثم تقدم بعده أخوه الحارث وقال لعنتر يا ابن العم ان كنت ماتقبل منا كلاما منا سل حسامك واضرب به رقابنا حتى تشفى فؤادك لانه مابقى لنا فى الارض متسع ولا الى السماء مطلع وليس لنا من نعول عليه ولا ملكا نلتجئ اليه وصهرنا النعمان انكسر وهج فى البر الاقفر فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وعض على يديه وتحسر وبكى وقال لانه رأى سادات عبس قد ذلت بعد العز والنعمة وكذلك فعل مقدمى الوحش وعروة ورجاله وارتفع العويل من كل جانب وقال عنتر لقيس يامالك كلما جرى علينا وعلى بنى غطفان وبنى عامر وصل الينا وأما كسرة النعمان فما أحد أعلمنا بها الا أنت فى هذه الساعة وان كان

كسره أهل الشام فما هم الا في خلق كثير فقال قيس والله يا أبا الفوارس ان عددهم مثل البحار الزواخر وهم طائفة قوية الطعن بالقنطارية وهجموا علينا فشتتونا في البريه وما علمنا السالم من العاطب ولما انقطع عنا الطلب وسترتنا أجنحة الغيهب طلبنا أثر المنهزمين من عساكر العراق وقتلنا الخيل من شدة السير في الليل والنهار حتى وصلنا الى أرض النجف وقد أشرفنا على التلف من السهر والجوع ومات منا في البرجمع كثير لان خيولهم هلكت وبقيت الرجال لا يصدقون بالنجاة ولما وصلنا الى الحيرة وجدنا النعمان قد جمع عسكرا كثيرا وهو يجهزهم خلفنا فأقمنا الصياح وأكثرنا النواح وناديناوا حسرتاه وامصيبتاه وأعلمناه باسر اخوته وبما تم عليهم من بني فزارة وعلى عشيرته وشرحنا له كثرة عساكر الشام فجرى عليه مالم يجرى على بشر من الانام وانزلنا حول الحيرة وفرق علينا العدد والخيام وكتب من يومه الى القبائل وأمرهم بالاجتماع والمبادرة وأخبرهم بما جرى عليه من عباد الصلبان ومازال على مثل ذلك الحال حتى صار عنده خمسون ألفا من شجعان الرجال وما فيهم الا كل شجاع وبطل وعول على المسير معنا وكتب الى كسرى يطلب منه نجدة من عساكر العجم ويعرفه بهذه الاهوال فرد اليه الجواب على أجنحة الطير يقول له يا نعمان قد سمعت ان ملك الروم ركب وقصدنا بعساكر النصرانية وجمع كثيرا من الطوائف الافرنجية وهم يريدون أن يذلوا ملتنا ويهدموا بيوت النيران وأما العساكر فانها عندي قليلة وكتبت الى خراسان والى أمراء البلاد وانهم يجمعون كل من في العجم وأنا أسأل الرب القديم أن يسهل خروجنا قبل أن تصل عساكر النصرانيه لان هذا ما كان لنا في حساب ولا قلنا ان ملك الروم تحدثه نفسه بهذه الاسباب وأما أنت فعرب الحجاز كلها تطيعك والذي صار اليك نائب مثلك فاجمع عساكرك وارحل اليه والسلام فلما سمع النعمان ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وندم على ما فعل كيف أرسل الى كسرى يطلب منه معونة فرحل مع الخمسين ألف فارس فسار بنا تارة شمالا وتارة يمينا ومن شدة غيظه وحنقه ما عرف كيف يسير حتى وصلنا الى أرض الشراك وفي ذلك اليوم التقينا ببعض المنهزمين من بني عامر وأخبرونا بما جرى عليهم وحدثوا النعمان بكثرة العساكر فانكسر عزمه وخفق فؤاده وأتى بنا حتى اجتمع بجميع الهاربين في تسعة أيام واليوم العاشر طلعت علينا العشائر وبانت عساكر الشام وهي مثل الغمام ورأينا جيوشا لا يقع عليها عيار وما كنا نبصر الا صلبانا وصياحا وعيطات مرتفعات وبارق ورايات وهي نحو مائة ألف فارس من كل أسد عابس من بني غسان وخمسين ألف افرنجي ومثلها اتباع وغلمان الا أننا لما رأيناهذه الاهوال انقطعت ظهورنا فحملت علينا الافرنج بالقنطاريات وتبعتها العرب المتنصره من سائر الجهات ودام علينا الصدام والقتال أربعة أيام وخمس ليال وفي الليلة السادسة تفرقت عنا قبائل العرب وطلبت في الجبال الهرب بعد ما قتل منا خلق كثير لا تعد ولا تحصى وعلم النعمان بذلك فخاف من شرب كأس المهالك فولى وقد تنكست الاعلام وأبصرنا عساكر الشام وقد تبعت أثره فاجتمعنا نحن في هذه الطريق وقلنا ما بقي ينجينا الا ابن عمنا وحامينا لان رب السماء قد غضب علينا بعده وقد عرفنا قدره وقدر بعده عنا وها نحن قد لقيناك فلا تشمت بنا الاعداء وبعد ذلك تقدم اليه الربيع بن زياد اخوته وما فيهم الا من ذل وزالت منه نخوته ونادى الربيع يا حامية عبس ويا كاشف الضر عن كل نفس لما غبت عنا عرفنا قدرك فلا عدمنا منك نظرك ثم ان بني عبس نظرت أنفسها بعين الاحتقار لما عدمت الاهل والديار وعلم عنترة ما جرى عليهم فجمع شملهم وطيب قلوبهم ووعدهم أن يجتهد في نصرتهم ويبادر الى معونتهم وكذلك فعل دريد بن الصمة ونزل القوم لاجل الراحة وعنتر يقول لقد كان في قلبي من بني فزارة

جرارات ولولا قيس ماتركت منهم كبيرا ولا صغيرا فقال أسيد يا أبا الفوارس الصواب كشف هذه
المصايب حتى لا يجور عباد الصلبان علينا ويحمل شرهم الينا فقال عنتر وايش بقى فى هذا من
النظر غير المسير الى بلاد الشام فقالوا هذا نعم الرأى ولو عرفنا انه يصح لنا وانا نلحق هؤلاء القوم بلغنا
المنا ولكن نخاف أن نتعب ونبعد عن الديار ولا نبلغ مرادنا لاننا فى أرض هوازن والسبى فى أرض
الاهواز فقال عنتر انه قارب الاهواز ولا قطعوا أكثر عن نصف الطريق ولا فاتونا الا بقليل لان
سيرهم ثقيل على سير النساء والمال والعيال ونحن فى هذه الساعة نركب النجب والجمازات فلو ان
السبى قارب دمشق لحقناه وان فاتنا وسبقنا أخربنا البلاد وسبينا أهل السواد وأرض حوران
وتركنا أرض الشام خراب ووضعنا السيف فى المشايخ والشباب لان بلاد الاعداء اليوم خالية واذا
وصل الخبر الى أرض العراق تنكسر قلوب الروم فقال مقرى الوحش والله مالنا أصوب من هذا
الرأى والا ان سرنا خلف عساكر النصرانية خسرنا من كل جانب ونضيع بين تلك المواكب فقال
دريدان كنتم ترضون بهذا الرأى ونحن نوافقكم عليه ونسارع اليه فكلوا شيأ من الطعام
واستريحوا قليلا فى هذا المقام وقوموا بنا نبادر الامر قبل الفوات لان كل ساعة تمضى علينا باوقات
ثم انهم أكلوا شيأ من الطعام وأخذوا فى الحديث والتدبير والكلام حتى ظهر لهم حقيقة الامر وبان
لهم ظاهره وعرفوا سرائره فهاجت النخوة فى رؤسهم والحمية وعملت معهم الحماسة الجاهلية فتواثبوا
مثل سباع الآجام وقالوا والله لا أشبعنا أجوافنا بطعام ولا أجفاننا بمنام حتى ندوس بحوافر خيولنا
أرض الشام ونخرب تلك الديار والآكام وندع نساءهم أرامل وأولادهم أيتام ونعمل أقوى مما
عملوا بغيرنا ثم انهم نزلوا عن الخيل وركبوا على ظهور النجب والمهارى والجمازات وقلوبهم فيها
النيران المضرمات على سبى النساء والبنات وساروا ينهبون البر نهبا ويقطعون الارض ركضا وخببا
والخيل فى اعراضهم جنائب وهم يجدون كانهم السلاهب وهم بقلوب قويات وقد هان عليهم شرب
كأس الممات ﴿قال الاصمعى﴾ وكان سيد دريد بن الصمه وراحه بهذه الهمه لاجل بنى عامر لان بينه
وبينهم نسب متصل وحسب غير منفصل وكان فى قلب عنتر النار أيضا من أجل عامر بن الطفيل لانه
صديقه ومؤاخيه وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وهذا ما جرى لهؤلاء من الايراد وأما ما كان من
الملك النعمان فانه لما انكسر وعاد وهو مقروح الفؤاد خائف على البلاد وعلم أن العساكر تفرقت
عنه والاجناد ومازال يجد السير هو وبنو عمه الى الحيره وأقام ذلك اليوم ينتظر المنهزمين أن يأتوا
على أثره وبعض قبائل العرب تقدم عليه فما رأى أحدا ظهر ولا وصل اليه بشر فخاف على نفسه من
عساكر الشام ان تدركه وتسبى حريمه ومن شدة خوفه جمع أهله وماله وعياله وسار بهم الى المدائن
يطلب حماية كسرى أنوشروان وهو من شدة ما جرى عليه حيران قال ولما وصل الى المدائن وجد
الملك كسرى قد برز الى البر والسباسب ونصبت خيامه والمضارب والدنيا من قلبه من ازدحام الفرسان
تموج بالخاص والعام والنهار قد صار مثل الليل من شدة ركض الخيل وارتفاع القتام ترك الدنيا ظلام
قال فدخل النعمان على الملك كسرى ومعه عشرة من بنى عمه من الخوص بنى لخم فقبل الارض وخدم
وبكى على زوال دولته واخبر الملك كسرى بقصته وبكى واعلمه بما جرى له من عساكر الشام وخرق
ثيابه لما انتهى فى الكلام فانزعج كسرى غاية الانزعاج وسكر من غير مس الزجاج وقال يا ليت
شعرى من أى وجه دخل على دولتنا هذا العارض العظيم ونحن أظهرنا العدل فى سائر الاقاليم
لكن الامر للرب الكريم القديم رب موسى وابراهيم ثم قال للنعمان يا ملك العرب لقد قطعت ظهرى
بهذا السبب لان عساكر خراسان بعد ما وصلت ما أتى منها واصل ولا رأيت من جندها فارسا ولا راجل

وطوائف

وطوائف الروم أمس وصلت عندها الجواسيس وأخبروني انها قاربت أرض هيت وانها تزيد على
أربعمائة ألف بطارقة وافرنج ذنادقه وهاقد برزت حتى أسير اليها واتقيها واترك الهيبه مسيري اليها
حتى لا يزيد طمع ملك الروم فيّ وأنت الآن قد أتيت بما لم يكن في الحساب لاننا ان سرنا عن المدائن
وأبعدنا أتت العرب المنتصره في أثرك وملكت من خلفنا البلاد وان أقمنا هنا طمعت فينا الحساد
على اننا ما بقي لنا أصوب من هذه المكان لانه أجود لنا وأعود علينا مادام الطلب قد صار من خلفنا
ومن بين أيدينا واذا كنا ههنا تكون قلوبنا قوية ببلادنا وأهلنا ونطاول الاعداء عند وصولها
بالقتال ونبارز الفرسان الى أن تصل الينا عساكر خراسان فقال الملك النعمان نعم الرأي ولعل الامر
يتأخر بفاضل يوم أو عشرة ويأتينا من قبائل العرب من يشد دنا الأن عند مسيري أنفذت اليهم
وأمرتهم بالقدوم وما وصل منهم الا القليل وأقول ان الباقي يأتوا بعد شيء يسير ثم أقاموا يصلحوا
عددهم وينظروا من يأتي اليهم وينجدهم ولما كان بعد أيام قلائل أقبلت ملوك النصرانيه
وجيوشها وطلعت غبائرها المتواتره وأمواج بحارها الزاخره فسدت الجنبات بقساطل القتام
المرتفعات وبدلت أنوار النهار بدياجي مظلمات وسترت عيون الشمس عن عيون الناظرات ونادت
نقباء النعمان وكسرى في الاعاجم والديالم فصارت على ظهور الصافنات وتدرعت بالدروع
السابغات وارتفع الضجيج حتى انصمت المسامع من اختلاف اللغات وتقدمت الاعلام الكسرويه
والازدهارات وخفقت الرايات مع هبوب الرياح العاصفات وهزت القواضب في أيدي الاعاجم
وسلت السيوف المرهفات واصطفت المواكب تطلب الحرب وقد أخلصت للهلاك النيات
وانكشف الغبار عن الروم فاذا هي مثل الجراد المنتشر في رؤس الروابي والفلوات وأقبلت الافرنج
بالطوارق والصلبان على رؤس ملوكها والسادات وامتلأت الدنيا بالخيام والسرادقات وأقبل
الملك قيس بعزيمته المذكوره وهمته المشهوره وأعلامه المرتفعه وصلبانه المرصعه ومواكبه المزججه
وفرسانه المدججة وكان قدامه طائفة من القسوس والرهبان يقرؤن الانجيل ويعظمون الصلبان
وبعدهم طائفة من أولاد الفرسان يخجلون بالوجوه والقدود الاقمار والاغصان وكلهم بالشعور
المسبله المرخاة والسيوف المجوهرة المحلاة الا انه ما نزل في سرادقه حتى أقبل ملك الافرنج خيلمان
كأنه شيطان أو مارد من مردة الجان وكان موكب الخيالة مثل الظلام الغاسق من لمعان القنطاريات
والبارق قال وكان خيلمان فارس جبار لا تصطلا له بنار قد غزا ملوك الاقطار وفتح جزائر كثيرة
في البحار وأعاد جما كثيرا الى عبادة الانجيل وشد الزنار وبعد ذلك الامر والشان خرج يطلب الحج
الى بيت المقدس وعين سلوان والغزاة الى عبدة النار والاوثان الا أنه لما أشرف على عساكر كسرى
استقبلها وحدثته نفسه الخبيثة انه وحده يلقاها من عجبه بنفسه فنزل في سرادقه وأنفذ الى كسرى
رسولا يقول له ارحل من هذه البلاد وان كان قد دخل في قلبك من قدومنا فزع والا عد الى عبادة
المسيح بن مريم وكن لدينا تابعا واهدم بيوت النيران وابن بدلها كنائس وصوامع والا رأيت في غد
من قنطار يا تناطعنا أحد من الاجل وأسرع وضربا اذا وقع على الصخر انصدع والسلام على من
عرف الترتيب وأبصر الحق فعاد اليه من قريب قال ولما وصل الرسول الى كسرى وقص عليه هذه
الرساله غضب كسرى وحرد من ذلك الكلام وقال لولا اني عرفت بالانصاف ما كان جواب هذا
الرسول الا القتل والاتلاف لكن هيا مرو قل له اني أقسمت بالنور والنار اني لا أدع أحدا يشد على
وجه الارض زنار وفي هذا العام يصح القسم اذا وصلت العساكر من بلاد العجم ورأيت فوارس
تفترس سباع الاكم وأبطالا لا تبالي بالموت اذا هجم هنالك تندم ولا ينفعك الندم وتذل اذا ذلت منك

القدم والسلام على من اتبع الدين القديم المكرم وسجد للنور اذا أضرم قال فعندها أعاد الترجمان على الرسول هذا الخطاب وقد صاح عليه الحجاب فعاد الى صاحبه بالجواب فتبسم خيلجان عند سماع هذا الخطاب وقال عند الصباح يرى من يكون المغبون لان كسرى يظن اننا مثل فرسان الروم فوحق المسيح لا ألاقى هذه العساكر عند الصباح الا أنا وحدى ولا تركت فى هذه الديار حديثا يذكر من بعدى ثم بات ينتظر الصباح وباتت العساكر تموج مثل البحار الزواخر حتى انفجر الفجر ولاح فركبت الفرسان الجرد القداح وتحدرت جميع الخلائق والامم واصطفت الافرنج قبال الديلم وقابلت الروم العجم وأرادت الطوائف أن تحمل على بعضها بعض وتجول على وجه الارض فلم يصبر خيلجان بل أقلب القنطاريه وصرخ وحمل فى عاجل الحال وكانت حملته تصدع الرجال هذا وقد أجابت الافرنج صرخته فى الحال وكذلك فعلت الروم قدام الملك قيصر وحملت كالبحار ازخر وانطبقت العساكر انطباق الاسدال الضارية فالتقتهم العجم والديلم بالحراب الماضيه والعمد الطوال والرماح والنصال * قال وكانت عساكر كسرى مائتى ألف فارس وراكب وراجل ومحارب ومقاتل لانه كان أنفذ يطلب الجيوش فما أتى اليه الا أصحاب القلاع البرانية والمراكز الغربية وكان أكثرهم يرمون بالنبال ويصبرون اذا اشتد الصدام والقتال فجرى لهم ذلك اليوم مع جيوش النصرانية وقعة تذكر ما بقيت الشمس والقمر لان أولى الالباب حارت والاحكام والجبابره ولت والكرام ذلت والخيل ملت والخطوب جلت والدنيا أظلمت والسيوف تثلمت والزنود كلت والنفوس ملت والطيور حامت والرجال هامت والحروب دامت والسماء غابت والشباب شابت والصدور باحت والرقاب طاحت والاسود صاحت والدماء سالت والجبال مالت والنهار أظلم والغبار اغتم والشجاع همهم والجبان انفحم (قال الراوى) وقد بلغنى عن هذه الوقعة أضعاف ما رويته وحكى لى أمثال ما حكيته لانها كانت وقعة عظيمة فى أرض المداين فرغت فيها النبال من الكنانين ونثرت الفرسان من على ظهور الصوافن وما أمسى المسا الا وعساكر كسرى قد التجؤا الى الجدار وعولوا على الهرب والفرار ولو كان طال عليهم النهار ما كان بقى منهم ديار ولا نافخ نار ونزلت الطوائف وبقت الشجعان ممدة من ضرب الحسام وجلس الملك كسرى على سريره وغلبت همومه على سروره وأخذ فى الحديث والشكوى لارباب دولته وأكابر عشيرته وقال ياقوم ايش ترون فى هذه الامور وحق النار والنور اذا لم تدركنا النجدة من خراسان والا كسرتنا هذه العساكر وأحلت بنا الهلاك وأزالت دولتنا ولكنا من هذه البلدان والصواب أن نأمر أهل البلد والعوام أن يعبروا بأموالهم ورجالهم وعيالهم الى الجانب الآخر ولا يبقى عندنا هاهنا الا من يقاتل ويناضل حتى اذا رأينا الغلبة وأطبقت علينا هذه العساكر عبرنا كلنا وقطعنا الجسور بيننا وبينهم وتحصنا بالماء الى أن يأتينا من أعواننا من نعول عليه ونجل معتمدنا عليه فقال الحاضرون والله يا ملك لقد أشرت بالصواب وأتيت بالامر الذى لا يعاب ولا بد أن نشرع فى هذه الامور والاسباب قبل أن يكثر علينا العدد وتزيد علينا المدد وباتوا يدبرون هذه الامور وباتت السندبذه حول بيوت النار والنور يتلون تلاوة المجوس ومعهم كل شيخ معكوس وهم يسجدون لها ويرمون قدامى العود وكل واحد منهم يهمهم وينود ويسألون النار أن تنصر الملك كسرى وتعينه على الاعداء فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ملك الافرنج خيلجان فانه لما رجع من حومة الميدان غضب على خيالته ولامهم ووبخهم على تقصيرهم وقال لهم يا ويلكم أنتم ما خرجتم من بلادكم ودياركم الا لتكسبوا الثواب وتربحوا الاجر وتنجوا من العذاب فلم لا تنصحون فى القتال وتجتهدون فى الحرب والنزال فقالوا له يا ابن السادات قل للقسوس يصلوا

علينا

علينا صلاة الاموات وكل من رجع عن الحرب والقتال تحرمه الثواب فى يوم الاهوال لاننا وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ما فينا من خرج من الجزائر ومن كل موضع حتى ودع أهله وداع من لا يرجع اليه وقد فعلنا اليوم فى الحرب فعالا تشيب منها الاطفال الرضع وانما أنت لاجل فروسيتك أيها السيد الامجد لا تشكر فعال أحد ولا يعجبك أيها السيد المصان فعال انسان لانك فريد الزمان وفارس الاوان * قال فلما سمع ملك الافرنج ذلك الكلام أعجبته نفسه وقد انشرح صدره وقال فى غداة غد أفتح باب الحرب والبراز وما يجرى من الانجاز وأخرج الى الميدان وأفرجكم على عباد النيران قال ومازالت الطائفتان على مثل ذلك الايضاح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح فتبادرت الفرسان الوقاح وركبت الجرد القداح بعدما لبست السلاح وعولوا على القتال والحرب والنزال واذا بغبائر صاحب الشام من ناحية الكوفة قد أقبلت وعساكرها قد تقسطلت وظهر ذلك العسكر الجرار كأنه البحر الزخار لان الحارث الوهاب صاحب الشام تبع أثر النعمان الى الحيرة وتلك الاكام فرآها قليلة السكان خالية من الفرسان وما فيها الا فقير أو عجوز أو شيخ كبير فعلم أن النعمان انهزم وأخذ خواص الاعوان وفرسان العرب الاعيان ففرح بذلك الامر والشان وأعطى المقيمين بها الامان وقال نحن ما نطلب الا جناد أصحاب الحرب والجلاد وملوك هذه البلاد وأما العوام فهم رعية لنا ولغيرنا اذا ملكناها هم أخذنا منهم الجزية فى كل عام الى أن يدخلوا فى الطاعة ويعبدوا المسيح عليه السلام ثم انه دخل البلد وجلس على سرير النعمان وحكم فيما كان تبقى من خزائنه والاموال واحتوى على جميع الرجال وقال لارباب دولته لولا خوفى من عتب الملك الرحيم لسرت الى المدائن وحاصرت كسرى والنعمان وقضيت ذلك الامر والشان الى أن تقدم عساكر الملك الكبير والخنزير الحقير وانما الصواب أخذ أخباره الى أن يقارب المدائن وأسير الى خدمته أنا ومن معى ثم انه أنفذ من يأتيه بالاخبار وأقام مدة يسيرة فى هذه الديار حتى عاد الذى أنفذه لهذا الامر والشان وأخبره ان عساكر النصرانية وصلت الى الانبار وانهم اليوم الفلانى يكونون على المدائن فى أرض كسرى ويملأون تلك الارض والصحرا فلما سمع ذلك سار الى الكوفة هو وعساكره الموصوفة وحسب حساب المراحل والوديان حتى وصل فى الوقت الذى ذكرناه ونزلت عساكره فى جانب السفراء فملأت أقطار الفلاه لان منزلتهم كانت فى أرض بابل الى أرض المدائن الا أن صاحب دمشق لما وصل أمر عساكره بضرب الخيام وسار هو الى خدمة ملك الاروام ومعه جماعة من خواص بنى غسان وترجل لما قارب الاعلام والصلبان وخدم ثم عظم الملك وأخبره بما فعل فى أرض الحجاز من الاهوال وكم أنفذ الى بلاد الشام من الهدايا والاموال والاسارى والسبايا والرجال ومن بقى معه من الابطال والفرسان قال فلما سمع ذلك المقال فرح واستبشر وزال عن قلبه الخبال وخلع عليه ملابسه وأركبه على بعض جنائبه وقال ما هذه الاسعادة زائده وكرامة وارده من السيد المسيح لاننا نحن قد حاصرنا ملك الاعاجم وقد بان لنا من النصر براهين وعلائم وما بقى غير أسر كسرى أو قتله فى البريه وقد صارت الكلمة كلها مسيحية قائلة بكلمة المعموديه قال الملك الحرث هذا الذى ذكرته يكون اليوم أو غدا بسعادتك أيها الملك المسعد ثم عاد الى عسكره وصاح فى نقباه أن يأمروا العساكر بالحمله حتى يبين قدام ملك الروم عزمه * هذا وكسرى قد ضاقت عليه المذاهب لما أبصر كثرة هذه الجيوش والمواكب قال ومن كثرة ما جرى عليه أمر وزراءه وخدامه أن يظهروا للاعاجم الاموال والخلع واللامات حتى تطيب قلوبهم للقتال ففعلوا ذلك وقد هانت عليهم النعم والممالك هذا وقد أرادت خيالة الافرنج أن تبرز الى الميدان وتطلب براز الفرسان فما صبرت عساكر الروم الكلاب

بل حملت وصاح قدامها ملكهم الحارث الوهاب وطلب أن يبين قدام ملك النصرانية فعاله ويظاهر همته وشجاعة رجاله الا انه لما حمل حملت معه طائفة الافرنج والروم وركضت الخيل حتى ارتجت الارض من التخوم وانعقد الغبار مثل الغيوم وعاد نسيم الرياح سموم وبضعت السيوف الجماجم والجسوم وكان يوما شره معلوم الا أن البلاء زاد على كسرى وتكاثرت عليه جيوش الاعداء واغما الدين لم غلظت أكبادها وزادت أحقادها وترجلت عن ظهور جيادها ورمت الزرد عن أجسادها واستقبلت خيالة الافرنج بحرابها وشكت صدورها مع أجنابها ودام الحال على ذلك الامر والشان حتى رأى الملك كسرى الهوان وعول على العبور الى جانب الايوان وكذلك أراد ان يفعل الملك النعمان بعد ما قاتل ذلك اليوم حتى أشرف على الهلاك وسوء الارتباك وعول على الرجوع والانفكاك واذا بغبرة قد أقبلت من ناحية أرض الحجاز وحالهم يدل على انهم يريدون الانجاز وتحتها ضجيج وصياح قد أقلق الارض والبطاح وفي دون ساعة تقاربت وتدانت الا أنها كانت مقبلة على عجل والوحش منها قد جفل وفي أطرافها بوارق تشعل والبر من ركض خيلها قد تزلزل قال ولما رأتها الطائفتان اشتغلت عن الحرب وفترت نار الطعن والضرب ومدت الابطال اليها الاعين وتحدثت فيها الالسن حتى انجلى غبارها وبانت فرسانها وسمعت اصياحها وهي تنادي يا الكندة ابشري يا نعمان بالنصر والفرج من هذه الشدة قال وكان في هذه الخيل فارس مضيق اللثام تقصر عن وصف شجاعته الاوهام وهو ينادي أنا ذو الخمار الفارس الذي لا تهوله الاخطار ولا تنكره ملوك الاقطار ومن خلفه فارسان آخران يقاربانه في الشجاعة والزي والمنظر وكان أحدهما حجار بن عامر الكندي والآخر عمرو بن معدي كرب ومعهما من الفرسان عشرة آلاف تلتقي باسنتها سحائب الموت ولا تخاف قال وكان لهؤلاء الفرسان ووصولهم سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك اننا كنا ذكرنا لكم أيها الحضار ما جرى لغمرة مع ذو الخمار وكيف قبح على عنتر وحسده وطلب بعد ذلك هلاكه فما قدر وكان في آخر فعاله انه كذب في الايمان لما أطلقه دريد من الوثاق والهوان وعاد بعد ذلك غدر وخان وخلص غمرة وأبيها من الاسر والهوان ودبر على قتل عنتر مرارا عديدة وأحسن التدبير وهيهات دريدا وأطلاله وما بلغ آماله وعاد مع غمرة وأبيها وقد زاد طمعه فيها وأوعده أبوها أن يزوجه بها ويجعل مقامه عنده الا أن ذا الخمار لما وصل مع القوم الى ديارهم وأراد أن يخطبها وصل اليهم الخبر بقتل المتعجرف فلما سمعت غمرة ذلك الخبر كاد قلبها أن ينفطر وشقت أثوابها وعلا بكاؤها وانتحابها وفعل أبوها مثل ما فعلت وصعب على ذو الخمار وعلم انه خابت مقاصده فطول روحه وأقام حتى انفض العزاء وقل النواح والبكاء وأرادت غمرة أن تجمع فرسان قومها وتطلب ثار أخيها فبان عليها الحمل وتغيرت أحوالها واسترخت أوصالها فلما رأت نفسها على ذلك كتمت أمرها وخافت من الفضيحة وأرادت أن تقتل نفسها ومازالت على ذلك مقدمة ومؤخرة حتى كبرت بطنها واصفر لونها وأظهرت الكسل والمرض وصار أبوها يتردد اليها وقد أنكر حالها وألح عليها بالسؤال فأخبرته بما تم عليها من عنتر بن شداد وكيف غصبها على نفسها وأخذ وجهها في البر والوهاد وأعادت عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع أبوها ذلك عذرها وطيب قلبها وقال لها يا ابنتي هذا أمر قد تم على كثير من بنات العرب وأكثرهن من عشق الرجال وأنت ما فعلت ذلك الا غصبا والصواب أنك تقيمين على ذلك الحال حتى انك تضعين هذا المولود وتخلصين منه ونحن نذبحه تحت الليل ونكتمك أمرك ونعودك الى ما كنت عليه ولم يعلم أحد بهذه القضية ويقولون انك كنت مريضة حتى لا تنقص منزلتك وتحط مرتبتك قالت اذا كان الامر على ذلك فأصرف عني ذلك الرجل واقطع اياسه عني فاني لا أضاجع رجلا في الايام والليالي ولا أطلعت أحدا على حالي

لئلا

لئلا يقال غمرة تركت الاقران واتبعت فعل النسوان فقال لها أبوها يا ابنتي ابعاد هذا الرجل من أهون الامور وأنا أصرفه هو وأصحابه بجميل ثم خرج من عندها متفكرا في قصتها ومن يومه أحضر ذا الخمار بين يديه وزاد في شكره وأثنى عليه وقال يا ولدي أنت تعلم ما حل بنا من جهة ولدنا وبالله أقسم اني متأسف كيف نزلت علينا هذه المنازلة ويخرج منا لك من أيدينا الا أن ابنتي غمرة التي كنت عليها معولا سارت من عندي الى ديار أخوالها تطلب منهم المعونة على أخذ ثار أخيها وكانت عند مسيرها متشوقة البدن من شدة البكاء والحزن وقد أشرفت على الهلاك وأنت مقيم عندنا وكذلك أصحابك وقد اشتهيت أن أزوج لك ولهم من بنات سادات العرب وأتخذكم أنصارا على سائر الشعوب لانه اذا اتصلت أنسابكم بنا خاف كل واحد منكم وأهابكم وأهابنا برأيك الرأي في ذلك والخطاب وأنت أهدى الى الرشاد والصواب قال فلما سمع ذو الخمار ذلك حار في رد الجواب وتغلقت في وجهه الابواب وقال أيها السيد هذا أمر لا يدلي فيه من المشاورة لاصحابي وبعد ذلك أعلمك بجوابي قال ثم انه عاد الى أصحابه وأطلعهم على هذا الحديث فضاقت صدورهم لاجله وقالوا والله يا ذا الخمار لقد رميت نفسك في غير مرامي بها وأرميتنا في قضية ما تحسن نداريها وهذا أمر قد جلبك عليه حسدك لعنتر بعد القضاء والقدر فقال والله يا بني عمي لقد صدقتم لاني فرطت في قول دريد بن الصمة عند العرب وقطعت ما بيني وبينه من النسب ولا بلغت مرادا ولا أرب ولا نجح لي طلب وما بقي في الامر الا أن نشد خيلنا في غداة غدو ونسوق أموال هؤلاء اللئام ونطلب ديار الملك النعمان ومن تبعنا ضربناه بالسيوف واذا وصلنا الى النعمان دخلنا عليه وسألناه أن يصلح نوبتنا مع دريد ويردنا الى أهلنا قبل أن يشيع بين العرب أمرنا فقال العباس بن مرداس أما مسيرنا الى النعمان فلا به بأس وأما تعرضنا لهؤلاء القوم وأخذ أموالهم فما هو بصواب لانني أخاف أن تكون غمرة قد خفت نفسها زهدا فيك وبغضا وأمرت أباها أن يدفعك بهذه الحجة فان نحن تعرضنا لهم تتبعنا بكل من في الارض وتستمد علينا بشجعانها ونبقى نحن طعاما لسيوف قبيلتها فقال ذو الخمار والله يا عباس لقد قلت قولا صادقا والله انها من الفروسية بمقام عظيم وما مال قلبي اليها الا لاجل شجاعتها ولو علمت انها كما قال أبوها في حالة العدم كنت سقت كل ما في الحلة بين يدي سوق الغنم لكن أخشى أن الحساب الذي حسبته غير صحيح وتتبعنا وتشتفي أعداءنا منا والصواب خروجنا تحت أذيال الدجا والغيهب من هذه الديار ونتسبب في عودتنا الى الاوطان على يد الملك النعمان لانني أعرف أن عنتر بن شداد قد رحل اليوم الى دريد وعاد الى قومه وبني عمه ولابد أن أتعرض له في بعض المواضع وأترك وحش البر في لحمه راتع ثم أخذوا أهبتهم تحت غياهب الظلام وقد ندموا غاية الندم وساروا وما زالوا سائرين يقطعون البر والاكام حتى التقاهم عمرو بن معدي كرب بأربعة آلاف فارس وهو وسائر بهم الى نصرة الملك النعمان ولما رآهم ذو الخمار أنفذ بعض أصحابه اليهم فسار وأتى بالخبر وحدثه في أي سبب هم سائرون فتعجب من ذلك وقال وحق الملك الديان هذا أمر قد جرى على الملك النعمان والا فما كان استنجد بالعربان ولو لم يكونوا هؤلاء سائرين الى خدمته لكنت أخذت أسلابهم وضربت رقابهم ولكن نحن محتاجون اليه لاجل أن يصلح أمرنا ولا سيما اذا الحقناه وهو في شدة وكشفنا ها عنه ثم عدل الى ابن معدي كرب وترجل كل واحد منهما الى صاحبه وسلم عليه وأخذوا أخبار بعضهم بعضا وبعد ذلك قال ذو الخمار يا وجه العرب ما الذي أحدثه الملك النعمان من الامور حتى أنفذ يطلب أبطال الحلل والعشائر فقال له عمرو والله ما سمعنا خبرا صحيحا الا قيل لنا ان عساكر الشام قد ظهرت الى الحجاز في خلق عظيم وان النعمان سائر الى لقائهم وهذا ما سمعناه من الحجابين وبعد هذا فلا ندري ما قد جرى فلما سمع ذو الخمار ذلك قال اذا كان الامر على هذا الحال فنحن

نسير معكم ونحظى بخدمته ونرد عساكر الشام وننهب أموالها ونكسرها ونقتل رجالها لانا دخلنا
فى هذه المرة الى أرض فى طلب شئ من النوق والجمال فما عاد معنا منها عقال بل سار أهلها كلما
سمعوا بذكرنا يتحصنون منا فى الجبال والشعاب والتلال وما كان ذو الحمار قال ذلك المقال الا ليستر
أحواله حتى لا يقال أنه قبح على دريد وحسد عنترا على ما أعطى من الفروسية والشجاعة والبراعة قال
وساروا الجميع طالبين الحيرة وقد فرح عمرو بن معدى كرب بمصاحبة ذى الحمار فكان كل من لاقاه
يسأله عن الاخبار فيسمعون عن النعمان أخبارا مختلفة وأخبارا غير مؤتلفة ومازالوا على ذلك حتى
أشرفوا على أرض النجف وصحت لهم الاخبار وعاينوا الديار فسألوهم عن النعمان فأخبروهم أهل
الحيرة انه انكسر عسكره كسرة عظيمة وهرب الى المدائن وطلب حماية كسرى فلما سمعوا هذه الاخبار
وقع بهم الحسرة والانبهار وقالوا ما بقى فى الامر الا أخذ الراحة والمسير خلف هذا العسكر والا ملكت
عبدة الصلبان سائر الاقطار ويبعد علينا الملك كسرى ثم نزلوا هناك وأراحوا الى وقت السحر وعولوا
على الرحيل وفى ذلك الوقت وصل جحار بن عامر فارس بنى كندة ومعه ستة آلاف بطل يضرب بهم المثل
فلما رأوه ركبوا الى لقائه وسلموا عليه وقال له ذو الحمار لا تنزل بقومك فان الدولة قد تبدلت والامور عن
الراحة قد اشتغلت ثم قص عليه القصة وجميع ما جرى من الامر فصارت عيناه مثل لظى الجمر ونادوا
واحرباه كيف ما لحقنا عساكر الشام فى هذه الديار حتى كنا أرونا منهم السيف البتار ثم سار هو
ورجاله على حالهم ولم ينزل رجاله لانه كان يحب الملك النعمان وكان فارسا لا يلتقى فى الميدان وله
نخوة والمام وكرم وصدق لسان فركض وركض معه عمرو بن معدى كرب وذو الحمار هو وسبيع بن
الحارث البطل المغوار وقد سار فى عشرة آلاف فارس كرار وأرادوا أن يلحقوا عساكر الشام ويرموا
أرواحهم عليهم فما لحقوهم الا خارج المدائن وهم فى قتال الملك كسرى وقد ضيقوا عليهم الاقطار
وأشرفت عساكره على الهرب والفرار فحملوا حملة صادقة بعد ما ركبوا الخيول السابقة وصاحوا
بأصوات مثل الرعود ونهموا مثل ما تنهم الاسود وطعنوا بأسنة رماحهم للصدور وضربوا بشفار سيوفهم
النحور وعمل كل فارس منهم كما يعمل الجيش الحافل وفرجوا عن عساكر كسرى بعض البلاء النازل
وتصايحت أيضا جيوش الديالم والاعجام وعادت أرواحهم الى الاجسام وعمل الحسام فى الهام
واختلف بينهم رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على
الاقدام وانتثرت عليها اجاجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب
تشتعل حتى أقبل الليل المسبل وانفصلت الطوائف بعد ما خفيت مواقع الاقدام وعادت الفرسان
تخوض فى بطون القتلى وتخبب فى سيول الدماء وقد تلقاهم الملك النعمان بالخلع والجنائب وفرح بهم
فرحة قدوم الغائب على الحبائب وشكرهم على فعالهم وقال لهم يا وجوه العرب لولا قدومكم فى هذه
الطائفة الجميلة كنا هلكنا بالكلية واندرست الدولة الكسروية وقد ملكت هذه البلاد عساكر النصرانية
وما كنا نريد الا نجدة أخرى مثل نجدتكم وسرية مثل سريتكم تأتينا وقد أحيتنا نفوسنا الى أن تقدم
عساكر خراسان علينا ثم شرح لهم ما جرى عليهم من الانكاد وان اخوته فى الاسر مع أهل الزنار
فقال له عمرو والله يا ملك ما سمعنا ان صاحب الشام دخل الى أرض الحجاز فى هذه العودة وما كنا
سمعنا بعساكر الافرنج وما كنا توانينا ولا تركنا أحدا من الفرسان فى ديارنا الا وقد أتينا به الى هاهنا
فاخوتك فى أى وجه وقعوا فى الاسر وكيف وقع بهم عبدة الصلبان فقال الاصل فى ذلك ان بنى فزارة
أتوا فى سادا تهم مع الربيع بن زياد وشكوا الى أمور اجرت لهم مع عنتر بن شداد وظنوا انه التجأ الى
دريد بن الصمة وانهما قد اتفقا على قلع مملكتى وأخذ مكانى فقدمت اخوتى على عساكر العراق

وسيرتهم

وسيرتهم اليهم ليجازوهم على فعالهم وما بلغني من أفوالهم فوافق وصولهم ظهور عساكر الشام وعبدة الصلبان ونافقت بنو فزارة عليهم لاجل ما بينهم وبين بني عبس وأخذوا الجميع وقتلوا من أصحابي خلقا كثيرا وما عاد منهم الا جمع يسير وكل ما جرى علينا من الانكسار انما هو لما عادا تنا العنتر بن شداد فقال ذو الخمار وحق الرب القديم يا ملك صدقت لان عنترا له حظا وسعادة ما وصل اليها أحد من الفرسان وما عاداه أحد الا وتعثر بأذيال الحرمان والذل والهوان وقد جرى لي معه أمور ما أشرحها الا في وقتها وأما هذه العساكر الذين حملت همها فنحن نداريها يوما بالقتال ويوما بالبراز حتى تأتينا عساكر خراسان وقبائل الحجاز ثم نزلوا من وقتهم وتشاوروا في ذلك ونزلت أيضا طوائف النصرانية وهم متعجبون من قتال ذي الخمار وما فعل حجار وجملات عمرو بن معدي كرب تحت الغبار قال فجمع ملك الشام خواصه عند نزوله وقال وحق الملك الجبار ان فرسان هذه الارض لم يقع عليها عيار ولو أن معي عشرة منهم ينصرون دين المسيح لكنت فتحت بهم سائر الامصار فقال سنان يا ملك اعلم أن أفرس ما في هذه الجموع ذو الخمار وهو أشجعهم الذي وصل اليوم مع الطائفة التي أتت نجدة للنعمان لان العرب تحسبه بسبعة آلاف فارس من مجمعة العربان وهذان الفارسان الآخران اللذين معه يقاربانه في الشجاعة وأنا أعلم أنهم عند الصباح يخرجون الى البراز والجمال ويطلبان الخداع بذلك المقال الى أن تصل عساكر اليمن الى النعمان وتصل الى كسرى عساكر وبكثرة العدد ويرجعون القبائل من هذه الديار بلا فائدة والرأي عندي انكم تبادرون الاعداء في غداة غد وتحملون عليهم بهذه الجموع من كل جانب ومكان اعلم تملكون هذه الديار والاطلال فقال الحارث وحق الصليب يا سنان ما ذكرت الا نعم الرأي وما يحود عنه الا جاهل مغبون لاننا ما عندنا نحن من يطلب البراز الا طائفة الافرنج لانه شغلها ونحن اذا رأيناهم يريدون أن يفعلوا ذلك منعناهم عنه ولا غلكهم ونحمل بجمعنا على من يبرز من هؤلاء الفرسان ونطلب الانجاز والا وقعنا في الخسران فقال سنان هذا الذي أريد وان كنتم ما تفعلون بهذه الرأي ولا لكم فيه غرض ويعسر عليكم فتح هذا البلد فأنا أشير عليكم بما قد خطر في سري وأدبر لكم تدبيرا تأخذون به النعمان وكسرى ولا أزال حتى أجلس الملك الرحيم قيصر في هذا الايوان وأملكه بلاد خراسان ثم باتوا على مثل ذلك وبات الخيلجان ملك الافرنج أيضا متعجبا من فرسان العرب وهو يقول لخيالته ان لم تتولى نحن أمر القتال والاطال بنا المطال لاني أرى الروم عن الجهاد مقصرين وعن طاعة المسيح ومريم قاعدين (قال أبو عبيدة) ومازالت الطوائف على مثل ذلك حتى مضى الليل بسواده الحالك وتبادرت الخيول واعتدلت المواكب عرضا وطولا ولمعت شفار النصول وقلقت الاشباح والارواح وخفقت بيارق أسنة الرماح وشرعت الرجال في أمر الكفاح وتقدم ذلك اليوم النعمان وقد اشتد ظهره وقويت عزيمته بشجعان العرب وكان قد ترك في المعمعة ذا الخمار وقواه بجمع كثير من الديلم وترك في الميسرة عمرو بن معدي كرب وبني زبيد ومعه طائفة من العجم وأوقف في القلب حجار بن عامر وبني كندة وخواص الدولة الكسروية ولما خفقت الاعلام واشتد الزحام وقل بينهم الكلام برز ذو الخمار الى الميدان وقارب بيارق الافرنج والصلبان وطلب براز الخيالة والفرسان وكذلك فعل حجار بن عامر مع الروم وعمرو بن معدي كرب مع بني غسان وما فيهم الا من طلب الانصاف والبراز ووجهوا حملتهم الى الاعداء مع المعاضدة والاجتهاد وكانوا يخرجون اليهم من تحت الاعلام والبنود وهم يفترسوهم افتراس الاسود بطعن لا تهتدي اليه الاوهام ولا تعرفه الافرنج ولا عساكر الشام (قال الراوي) وقد بلغني في الاخبار انه ما قرب في ذلك اليوم نصف النهار حتى قتل كل واحد منهم ما ينيف على مائة فارس كرار ولكن ذو الخمار كان أوفى عيارا وأثقل معيار لانه قتل من الخيالة مائة فارس تلقى

عسكر اجرار وأبصر ملكهم هذه الفعال فصارت عيناه مثل لهيب النار وزعق زعقة ادوت لها الاقطار وهم أن يخرج من تحت الاعلام والصلبان ويحمل على ذى الحمار فغدرت بنو فزاره بعمرو بن معدكرب الزبيدى وصاح فيهم سنان فحملت من كل جانب وسدت عليهم الطرق والمذاهب ورأوا بنى زبيد ماقد جرى على فارسهم فحملوا يطلبون خلاصه من مخالب الحمام فحملت أيضا عساكر الشام وتتابعت مثل قطع الغمام وحملت أيضا طوائف الروم على حجار بغير أمر الملك قيصر وعلا لهم صياح يفلق الاحجار وعلم بذلك ذو الحمار فخاف على نفسه من البوار وخافت خيالة الافرنج أن يفوتها بعد قتل أبطالها وسادتها فأقبلت بقطاريتها مثل ثنايا الجبال على ظهور صافناتها وصاح النعمان أيضا فى طوائف العرب والعجم ونادت الفرس والديلم فتقدم الملك كسرى وعلى رأسه علم كبير على صورة ثعبان وعلى رأسه ازدهار يظله من حر الشمس والنهار وأوقدت بيوت النيران وطلع الغبار والدخان وركضت الخيل حتى ارتجت سائر الاقطار وتقلقلت الجن تحت القرار وارتاعت الشياطين والعمار وندمت الرجال على فوات الاعمار وجرت الدماء وسالت مثل الانهار وباحت القلوب وهتكت الاسرار وهانت المنية على الفارس الكرار وولى الجبان يطلب الفرار وبرقت الانحصار واشتد المعمار وما أتى وقت المسا الاوعساكر الفرس ضعفت وتضعضعت وعادت الى ورائها واندفعت لان العدد كثير عليها وزاد عن حد القياس فصدمتها مواكب وكتائب مختلفة الاجناس وأسر عمرو بن معدكرب الزبيدى بغدر بنى فزارة لان أصحابه وقت الحمله ماوصلوا اليه الا وحوله بحر فياض وموج من الصوارم والاسنة لاينسلك ولا ينفاض فقاتل أحسن قتال وهو يدافع عن نفسه حتى وقع به التعب والنصب والملل وقد قتل جما كثيرا من الابطال وانه لما أخذ أسيرا كان قد أقبل الليل الحالك بسواده وقد جرح وقتل جواده وأخذ بعد ذلك أسيرا وشدوا وثاقه وأما حجار بن عامر فان بنى كنده وصلت اليه وقد أشرف على التلف من الجروح والهلاك فعاونوه وقاتلوا معه حتى خلص بعد الحرب الشديد والنار التى زادت عن حد اللهيب والوقيد وكذلك ذو الحمار فعل ذلك اليوم فى الافرنج والخيالة لما لحقوه فعلا لايسعنى ذكرها مابقى الليل والنهار وقتل من الخيالة فرسانا لايقع عليها اعتبار وتخلص بشدته وقوته وشجاعته وسعادته وانفساح مدته ولولا ذلك كانت الافرنج أفنت عساكر كسرى وبددتها فى الاقطار لان الطوائف قد انفصلت عند الظلام ونزلت فى الخيام وفى قلب خانجان ملك البحر من ذى الحمار نار لايخمد لها شرار لانه كان جبارا لاتصطلى له نار وما كان على وجه الارض من يقف قدامه ولا يقاربه اذا سل حسامه مخلف بالصليب والانجيل انه لايترك عند الصباح أحدا يحمل ولا يثير غبارا حتى يبارز ذا الحمار ويأخذ لفرسانه منه بالثار وبات وهو لايصدق انه يرى النهار هذا وسنان بن أبى حارثة قد ارتفعت منزلته عند صاحب دمشق لاجل أخذه لعمر بن معدكرب ولاجل ماظهر منه من الغدر والنصيحة فأوعده أن يجعله خليفة على أرض الشام ومقدم جيشه كلما رحل أو أقام ففرح بذلك سنان وصرف همته الى الحيل والتدبير ووعد حصن بن حذيفة أن يجعله ملكا كبيرا وقد أصبح الصباح على الخلق وبان الباطل من الحق وركبت الجموع ولمعت الدروع وترتبت المواكب والفرق ولمع صارم المنايا وبرق وأرادت العساكر أن تحمل على بعضها بعض فظهر ذو الحمار فى الميمنة وطلب البراز وكذلك فعل حجار فى الميسرة والسبب فى ذلك ان النعمان كان ضاق صدره لاجل أسر عمرو وفارس بنى زبيد وشكا ذلك الى حجار وذى الحمار من قلة الجماعة والانصار وقال لهما أنتما تعلمان ماقد بلى به الملك العادل كسرى وماقد تم علينا فى هذا العام من الاعدا ومابقى لنا من نعتمد عليه غيركما فان أنتما حميتما هذه الدولة الكسروية الى أن تقبل العساكر من أرض خراسان حكمكما فى سائر القبائل والحال ويصير

أمركما

أمركما نافذ فى سائر السهل والجبل وتكون خزائنى وخزائن كسرى مباحة لكما مابقى الزمان والهدايا تأتيكما من فرسان العرب وملوك خراسان ويكون مثلى خلفكما فى كل وقت وأوان ومازال على مثل ذلك حتى هان على ذى الحمار و حجارالها لك ووعداه بانذال المجهود ثم انقاذه من العدم الى الوجود وأخذ ذوالحمار يشرح قصته للنعمان بماجرى له فى بلاد اليمن مع دريد وعنترة فأخبره بذلك وقال له ياملك أما أنت فسبب اصلاح حالى على يدك فقال له النعمان لك ذلك ثم قال له والله أنا قد سمعت فى دريد كلاما وانه عتبان على فانفذت اخوتى اليه فأخذتهم عبدة الصلبان وكان كل ماسمعته عنه زورا وبهتان وانه الى اليوم على عتبان والافما كان قعد عن نصرتى ولابدأن أنفذ اليه وأصلح بينكما أيضا ففرح ذوالحمار بذلك وخرج هو وأصحابه عند اقبال النهار يخطلب البراز هو وحجار ولكن لم يبعد واحد منهما عن أصحابه فزعا مما جرى عليه فى اليوم الماضى (قال الراوى) هذا وسنان قد رأى هذا الحال فنبه بنى فزارة للغدر والقتال وطلب بذلك انجاز الاشغال فبينما هو على مثل ذلك واذا بعساكر الافرنج انتشرت حول الصفوف انتشار الليل وردت الفرسان عن الحملة وضربت وجوه الخيل وأمرتها بالمهلة والوقوف حتى يأتى مقدمهم يأخذ الاذن من ملك الروم فى البراز لما انه قد تقدم الخلنجان المقدم عليهم ثم أقبل وهو يقول أنا قلبى مشغول على ذى الحمار وكان حوله جماعة من الفرسان وهو على جواد ضامر من خيول الجزائر وهو يموج كموج البحر الزاخر وفى يده طارقة خوية ومعه قنطارية قوية وعلى صدره زردية سوداء هندية ولكنها عتيقة سليمانية (ياسادة) وكان لهذا الجبار اخوان آخران معه فى العسكر وكان يقاربانه فى الفروسية وكلهم يتعانون للبس السواد والزهد ومن أجل ذلك هجروا النساء والاولاد وخرجوا الى هذه البلاد وكان هذا الشيطان أشدهم بأسا واقواهم مراسا وهو الذى ملك جزائر البحر وتقوى على أصحابها وأخذها بالسيف قهرا فحمل على ذى الحمار وعيناه تلعب فى أم رأسه مثل شعل النار اذا علقت فى الكبريت وهو مثل العفريت الذى يسكن فى القفار (قال الراوى) وقد علا الصياح من الفارسين واختلفا فى الكلام لاجل اختلاف الجنسين ولعبا بالرماح بعد الصياح وكثر الضرب وازدفر حتى انقلب البصر وانزور لان هذا فارس البحر وهذا فارس البر فحيروا الابصار الى ان عبر نصف النهار وزاد الغيظ بذى الحمار لانه رأى بين يديه فارسا جبارا ما كان يقول انه يلقى مثله فى الاقطار فجد فى طلبه حتى أضجره وأتعبه ولما رأى منه التقصير قاربه الا أنه مارآه على تلك الحالة حتى طارت عوامل الرماح ومابقى فى أيديهما ما ينفع للطعن فرميا هاوعادوا الى السيوف فتلاطما بها حتى تضايقت عليهما الصفوف وأبصرت اخوته من اخيهم التقصير والنقصان فخافوا عليه من الهلاك وكان اسم الواحد منهما كوبرث والآخر موبرت فتصور فى أنفسهما قتل ذوالحمار براءة من النار وشرف الدين المسيح ونجار ولما تصور لهم ذلك حملا من اليمين والشمال على خيول أسرع من ريح الشمال الا أنهما ما أدركا أخاهما الا وهو مجروح فوق الارض مطروح لان ذوالحمار حين رأى منه التقصير ضربه ضربة عظيمة فقطعت الطارقة وجرحته جرحا مونقه ووقع الى الارض من خوف الموت والحمام وقد صار النهار فى عينه مثل الظلام وعول ذوالحمار على أن يثنى عليه ويقتله فادركه اخوته وقد طعناه طعنتين صائبتين وكانتا أخف من نظر العين فوقعت الواحدة فى جواده والاخرى فى أضلاعه فوقع وانقلب الجواد من تحته وانصرع ولما أبصر النعمان الى هذه الامور تعوذ بالنار والنور وعض على راحتيه أسفا وندما وصاح فى طوائف الهجم وقال وحق النار من خلص اليوم ذا الحمار بلغته مايختار فعندها ألقت الرجال نفسها الى الهلاك والممات وحملت عساكر تلك النصرانيه من سائر الجهات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور الفرسان والسادات وارتعدت الابدان من شدة

الاهوال الحادثات وندم الجبان على الثبات وأخذ الشجاع الحيرة والانبهات وتطايرت الجماجم بضارب السيوف المرهفات وانصمت المسامع لما سمعت من اللغات المختلفات فكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصفات الا أن الليل ما نشر على الارض رايات الاعتكار حتى ردت الافرنج عساكر كسرى الى الاصوار وأخذوا الخمار وشدوه وأركبوه على بعض الجنائب وعادت الى الخيام والمضارب ولما نزلوا أخذوا الراحة من كرب الغبار وشاوروا أصحابهم فى قتل ذى الخمار فقالوا الاوحق المسيح والزنار ما يستاهل مثل هذا الفارس أن يقتل قتل العير ولكن شدوا جراحه وأقروه الى أصحابه حتى تفتح هذه البلد وتدعوا كل من فيها الى طاعة الملك ومن تنصر قبلناه ومن أبى قتلناه ففرح اخوته بما أمروفرحوا بسلامته بعد الضير والخطر ﴿قال الراوى﴾ ومن الغد فاتلت عساكر كسرى من خلف الاسوار واجتمعت بالجدار وصيرت على طول الحصار وكان الملك كسرى والنعمان على أن يعبروا بالناس الى الجانب الآخر ويقطعوا الجسور والمعابر لولا بنو كندة وبحار بن عامر فانه اصطلا نار الحرب بنفسه وصبر على مرارة الطعن والضرب وضبط المكان عشرين يوما ليلا ونهارا وبعد ذلك تعبت رجال الشام وقد نقبوا البلد واجتمعوا على ذلك النقب وعولوا على الدخول وأخذ المدائن وأيقن كسرى بالهلاك والبوار ورأى نفسه فى الهوان وأبطأت عليه عساكر خراسان وقال له الملك النعمان ما بقى غير العبور الى الجانب والصبر على نوائب الزمان الى أن يأتينا الفرج والا يزداد علينا الضيق والحرج فقال كسرى وحق النار والنور لا طاوعتكم على العبور حتى أخرج عند الصباح الى الميدان وأطلب البراز من ملك عبدة الصلبان بعد ما أشرط عليه وأواعده وأقول له ان أنت أسرتنى سلمت اليك كل ما أملك من بلاد بعيد وقريب ودخلت فى ملتك وعبدت الصليب وان أنا نصرت عليك فارحل بهذه الجيوش فى هذا العام واورد عليك جميع ما أردت من المال والانعام وهذا الامر لا بد لى من فعاله فلا يلومنى أحد ولا يضع عليه مقاله ثم غلبه البكاء فقام من بين يدى وزرائه وأكابر دولته ومشى حافيا على قدميه الى المعبد ودخل اليه ووقف يومئ الى النار بالسجود والموبدان الى جانبه يقرأ كلام المجوس ومشايخ النار يخرون قدامه بالعود وهم ما بين قيام وقعود والكل يدعون للملك بالنصر حتى لا يغير عليهم المعبود قال الراوى وكان النعمان قد أوجعه قلبه على كسرى من حين ما سمع المقال الذى قاله ورأى فعاله وتركه على حاله وتبتل لحفظ البلد وحرض الاصوار وبنو كندة وبحار طوائف الاعجام والديلم ومازالوا على مثل ذلك حتى أقبل النهار وتشعشعت الانوار وانبسطت الشمس فى الفلوات والقفار وخرج الملك كسرى من بيت النار وعول على الركوب والخروج الى ما قد ذكر وعول عليه واذا بالنعمان قد أتى اليه وخدم وسلم وقال أيها الملك قد أتانا رسول من ملك الروم يطلب الحضور الى بين يديك ويذكر أن معه رسالة توجب الصلح ويريد أن يقصها عليك فلما سمع كسرى ذلك تعجب غاية العجب وقال من يكون فى هذه العسكر الجرار وهو قد أشرف على أخذ هذه البلاد والديار وقد علم أننا قد أشرفنا على الهلاك من ضيق الحصار فكيف ينفذ يطلب منا الصلح فقال الموبدان شيخ النار اعلم أن الرب القديم قد أراهم آية من الآيات وشيأ من الاسباب وقد ألقى الرعب فى قلوبهم خوفا من العذاب لانهم قد أتوا يحدون ملة قديمة صحيحة الاعتقاد ويظهرون دينا باطلا كثير الفساد فقال كسرى ان كان طلبهم الصلح من هذا الباب فيجوز أن تحضروا الرسول حتى نسمع ما يقول ثم جلس على سريره وكان من الفضة البيضاء ولبس ثياب الرضى ووضع التاج على رأسه والاكليل على جبهته ودارت به الحجاب والمرازبة بالثياب الديباج والسيوف المحلات بالذهب الوهاج وأدخل النعمان الرسول الى بين يديه وكان بطريقا عظيما ومعه وزير صاحب دمشق فقبل الارض وخدم وقال أيها الملك ان قيصر ملك النصرانية يخدمك ويحلف بالايمان وبمن

ركب الاحساد وأودع فيها من الروح والنفس ماسار اليك باختياره وماحمله على هذا الا هذه الطائفة
الافرنجية التي خرجت من البحار ففزع من القسوس والرهبان لئلا تحرمه الاجر والثواب وسلم سرير
ملكه الى الافرنج والافما كان نقض الايمان ولا غدر ولا خان والآن قد أشرف الملك الذي معه على
الهلاك من الجرح الذي جرحه له ذو الخمار وقد أنفذني اليك أطيب قلبك وأمنك على بلادك بشرط
انك لا ترجع تطلب منه دمه ولا خراجا وهو يرحل عنك بهذه العسكر والجنود واذا وصلنا الى بلادنا وأمنا
في أوطاننا أطلقنا أخوة النعمان ومن قد أسرناه من الغرائب والفرسان الا بني عبس وبني عامر وبني
غطفان فان صاحبي الحارث قد حلف انه لا يطلقهم حتى يتركهم شهرا في الحبوس ويذيقهم مرارة
العذاب والبؤس وبعد ذلك يطلقهم اذا أنفذ له قومهم وسؤلوه فيهم وأهدوا له شيأ من المال حتى يحلهم
الا أن النعمان يعلم ماقد عملوا من القبيح في حقنا وماقتلوا من عباد المسيح ومعه منهم هاهنا فرسان لو
أطلقهم أشغلوا قلوبنا من جهلهم لانهم يجمعون أندال العربان ويلحقوهم الى أي مكان فلما سمع
كسرى ذلك الكلام وقع به الانبهار وتصور هذا في قلبه انه من صحة دينه ومن بركات النار ورأى أن الصلح
أعظم الصواب فأجابه وقد انفرجت عن قلبه الهموم ومن شدة فرحه فتح خزائنه وأخرج أموالا كثيرة
وهدايا وتحفا وسير الجميع صحبة الوزير البزرجمهر وأمره أن يستحلف ملك الروم بعد ما حلف الرسول
وعاهده على الصلح وما أمسى المساء الا والرسول قد عاد بالخلع للملك قيصر وسهل الامر وتيسر ودقت
كاسات النصرانية بالرحيل والاستعجال وعاد ملك الروم من على شاطئ الغدير كما أتى وكذلك
صاحب دمشق طالب أرض الحيرة وبر الحجاز وهي الطريق التي أتى فيها وما أصبح الصباح الا والدنيا
قد خلت من تلك الخلائق حتى كأنه ما عبر بها عابر ولا ساق بها سائق وركب ذلك اليوم كسرى
والنعمان وخرجا في موكب كبير من خواص الفرسان وقد انفرجت عنهم الهموم والاحزان ولما
أبصروا آثار عساكر النصرانية قد اختلف في طريقين وسارت فرقتين فاعجبوا من ذلك ومن كثرة
تلك الخلائق فمادوا والنعمان يقول ما صاحنا عبدة الصلبان ورحلوا عنا الا من أمر عظيم وأكثر
ظني ان بلادهم قد جرى عليها المحنة والا ما رحيلهم وجه ياساده (قال الراوي) وكان لرحيل عساكر
النصرانية عن الملك كسرى سبب وحديث يؤرخ ويكتب بالذهب لما فيه من العجب لانهم ليلة
نقبوا سور البلد وقت الصباح وصل الى الملك الحارث الوهاب في الليل خمس نجابه ودخلوا عليه في
الظلام وبكوا بين يديه بصحة وانتحاب بعد ما خرقوا الثياب وأرخوا العمائم في الرقاب فاندهش
الملك وحار وسألهم عن حقيقة الحال فقالوا يا ملك خربت بلاد الشام وهلك من فيها من الخواص
والعوام وفتحت دمشق بالسيف والحسام وتهدمت أبراجها وأبوابها وذبحت قسوسها ورهبانها وسبوا
حريمك وأهلكوا عيالك ونهبت خزائنك وأموالك ونقول انها بعدك قد نزل عليها القضاء وملكها
شياطين الحجاز فبادر الامر قبل فوات البدار والعودة من هذه الديار ولا تطمع في العراق فتخرج من
يدك بلاد الشام وربما يسكنها عرب الحجاز فلما سمع الحارث هذا الكلام صار النهار في عينه كالظلام
وخيل له انه في منام فقال للذين أتوه بهذا الخبر ومن هم هؤلاء الذين فعلوا هذه الافعال ومن أي
العرب هم ومن هو المقدم عليهم من اللئام والاندال فقالوا ما سمعنا لهم مقدم الا عنتر بن شداد ومعه
عشرة آلاف فارس وهم له تبع ولكن كل واحد منهم اذا صاح في ملك الموت انجزع واذا ضرب
بحسامه الصخر انصدع فقال هذا هو الصحيح والخطأ مني أنا لاني سرت الى هذه البلاد وخليت خلفي
مثل هذا الشيطان قال والسبي الذي أنفذته من أرض الحجاز مع نادر بن غياث ايش كان منه قالوا
يا ملك السبي خلص ونادر قتل وما سلم من العشرة آلاف الذين كانوا معه الا القليل وكذلك بنو

فزارة الذين كانوا معهم مع ظعنهم وحريمهم وساروا والسبب فى ذلك ابن غياث فانه وصل الى الاعناك وانفذ قدامه المبشر يبشر أخاك سنام بما قد وصل معه من الملك والانعام ولما وصل البشير الى أخيك زين الاسوار وضربت بوقات الفرح والاستبشار وخرج هو ومن كان عنده من الفرسان والاجناد واتبعه الخواص والعوام يريدون الفرجة على سبايا الاعداء وكان لهم يوم عظيم ما جرى قط مثله لان البلد خالية وما بقى فيها أحد الا شيخ كبير أو عجوز منقطعة ومشت الرجال أوفى من فرسخين وأما الخيالة فانها التقت السبى الى حد يومين وهنوا بعضهم البعض وعولوا على العوده واذا قد طلع عليهم مقدار ألف فارس مثل النسور على خيول أخف من الطيور وركبوا فى عارض البر حتى حادوهم وأطلقوا الاعنة وطلبوا أبواب دمشق ولما وصلوا اليها افترقوا عليها وملكوها وكان أخوك ونادر قد ظنوا انهم من جملتهم ومن أصحابهم الى أن رأوهم وقد فعلوا تلك الفعال وسبقوهم الى البلد وسمعوا صياحهم وهم داخل البلد فأنكروهم وتحاروا خلفهم بجيش يزيد عن عشرة آلاف فارس من الابطال وكان مسيرهم كالسيل اذا انحدر وركض خيلهم قد أغلب البر الاقفر وهم ينادون يا العبس يا الجشم أين تنجون يا كلاب النصرانية بالاموال والحريم ثم انطبقوا عليهم انطباق الليل وعلاضوء النهار وأظلم الغسق وطعنوا فيهم طعنات بقوة وحنق وكان أصحابنا أوفى منهم عدد ولكن لهم عليهم تفاوت عظيم فى الصبر والجلد وافترسوهم افتراس السباع الجياع وسقوا من دماهم الروابى والبقاع وما نجا منهم الا من كان فى أجله تأخير وصار الباقون بين قتيل وجريح وأسير وأما الرجال فانهم هلكوا بالسيف والحسام وبعد ذلك وصل الاعداء الى البلد وملكوا خزائن الاموال وسبوا البنات والصبيان من أولاد النصارى وهدموا الكنائس وذبحوا القسوس فى الصوامع والقلال والذى سلم من الناس طلب أرض حوران وفيهم من تعلق بالجبال وتركوا الاولاد والنسوان ومضوا وقد كثر الحديث والكلام وما فيهم من ذاق منام أو شبع بطعام ﴿قال الراوى﴾ فزاد بالحارث الكمد واشتد به الخوف وأما سنان بن أبى حارثة فانه عض كفيه من الغيظ والندم والنهب فؤاده على أموال بنى فزاره والحريم وزاد به الكمد فشق ثيابه ولطم على رأسه وصار يصيح مالك يا عبد السوء لا لقاك الله خيرا ولا سقاك قطر الندى لانك أبدا تبدل الافراح بالانراح والسرور بالقبور وأنا أعلم انه ما يبقى من الفرسان الذين سيرناهم مع الاظعان أحد ثم قال للحارث ايش عولت أنت الآن تفعل يا ملك بعد هذه الاخبار قال ايش أعمل أقوم الى الملك الرحيم وأعيد عليه ما جرى وأحوجه الى العودة الى بلاد الشام لعلنا نلقى هذا العبد هناك ونجازيه على هذه الفعال ونخلص من يديه الاموال والعيال والا نقيم مثلا يضرب بنا الامثال فقال سنان هذا هو الصواب ولكن لا ترحلوا حتى تصالحوا الملك كسرى وتظهروا له انكم ندمتم على فعالكم وان رحلتم وعلم برحيلكم فانه يلحقكم بالعساكر والجنود ويستوفى منكم كل ما فعلتموه ولا سيما ان وصلت النجده التى فى انتظارها من بلاد خراسان ويفزع الملك النعمان بجميع العربان ويأخذكم فى الطريق وأنتم سائرون سير الخائف الفزعان وان التقانا عنتر بن شداد كان الهلاك الاكبر لانه على حالتين من أمره اما أن يأخذ أموالنا وعيالنا ويعود الى طريق الحجاز واما أن يأتى الغزاة ويطلب خلاص الفرسان وهم بنو عامر وبنو عبس لانهم حلفاه وأصدقاه وقد خلص حريمهم وأموالهم وأسراهم وأقل ما يكون القوم فى عشرين ألف فارس أو يزيدون فقال الحارث يا سنان فعلى هذا الحساب نريد عند عودتنا ننقسم قسمين ونعود أنا الى طريق الحجاز كما أتيت وأترك الملك الكبير يسير على شاطئ الفرات حتى لا يفوتنا العبد ابن الاماء ويوسع باموالنا وحريمنا فى الصحراء فقال سنان بهذا أردت أن أشير عليك فكنت

انت

أنت الى الصواب أسبق فقال قم الساعة الى الملك الرحيم وأعلمه بهذا الامر العظيم مادام أن الليل فيه رمق فعندها قام مقدم بني غسان وفي قلبه مما قد سمع النيران وهو يحلف بالمسيح والصلبان أنه لا تأنى ولا قصر عن هلاك عنتر ومازال حتى دخل على الملك قيصر فوجد عنده ملك الافرنج وجماعة من المقدمين الذين للخيالة وبطارقة الروم وهم يتشاورون ويدبرون في الزحف على المدائن عند الصباح فحدثهم بما جرى وقص عليهم ما قدمناه فبقوا عند ذلك حيارى وفزع الملك قيصر على انطاكية لئلا يجرى عليهم مثل ما جرى على دمشق وهي كرسي مملكته ودار عزه فاشتد به هذا الامر وقال للحارث يا ملك وحق نعمتك ما تأنيت عنه ولا قصرت أول خروجي من الديار الا لبني عبس وسبيت كل من فيها من الرجال والنسوان وعنترما وقع في يدي لانه من عظم سعادته كان غضبان على قومه وقد سار الى طائفة يقال لها بنو هوازن وسمعت أن ديارهم وعرة صعبة المسالك نخفت على أن أقضي في طلبه الزمان وتسمع بظهوري قبائل العربان فتأكلني من كل جانب ومكان وتحترز لانفسها ولا أنال منها بطائل فبادرت الحال والقبائل وسرت الى بني غطفان بعد أمري لاخوة الملك النعمان وأتوني باموالهم والرجال ونسائهم والاطفال فأطاعتني بنو فزارة في سائر بطونها وأشار علي شيخها سنان بالمسير الى بني عامر فوصلت الى كتيبة مع النجابة يخبرون بظهور الافرنج من البحار وطلبهم للجهاد ومسيرك أنت معهم الى هذه الديار والبلاد وتأمرني بطلب الملك النعمان وأنا أكفيكم بمن معنا من العربان فقوي ظهري بذلك واشتد عزمي ومضيت الى بني عامر وقلعت آثارهم وسبيت صغارهم وكبارهم وجمعت السبي كله وسيرته الى بلادنا في عشرة آلاف فارس وما برحت لهم حافظا وحارسا حتى قلت انه قد وصل الى أرض الشام وبعد ذلك سرت الى الملك النعمان ففرقت الجموع الذين كان جمعهم وهرب من بين يدي وملكت بلاده وأتيت الى خدمتك بعد أن عفوت عن العوام وآمنتهم على أموالهم وعيالهم وقلت مادام ان الملك قد جد في طلب هؤلاء الاقاليم وخرج في هذا الجيش العظيم ما بقينا نبالي بشر ولا نخاف من عنتر وما بقي في أرض الحجاز أحد يظهر الا أن يطيع دولتنا ويدخل في شريعتنا وبعد هذا كله ما أدري ما جرى من الاحكام ولا كيف وصلت هؤلاء العبيد الى أرض الشام ولا من أي طريق لحقوا سباياهم وقد سبقوهم بليالي وأيام فقال ملك الروم الساعة ما بقي يمكننا المقام ولا بد لنا من الرحيل من هذه البلاد والاستدراك والا نما الشر وزاد وخرج علينا أنذال العرب أهل القرى والبلاد وسبوا الذراري والاولاد فقال ملك الافرنج ارحلوا أنتم الى بلادكم ودعوني أنا وهذا للجهاد ولا أريد منكم نصرة ولا اسعاد فقال قيصر لا تقعد أيها السيد واعلم ان هذه الديار ما تبقى هكذا خالية من السكان ولا بد ان تأتيها العساكر والعربان من كل مكان ونخاف عليك أن تنكسر وتضعف ملة الصلبان والصواب عودتنا الى هذه العرب الذين قد كسرت عزمهم واذا فرغنا عدنا الى هؤلاء وبلغنا كلنا المنا ومادام عنتر عند بني عبس سالما ما يكون لنا عيش هنيء ثم وعده بمثل هذه الاسباب حتى لان وأجاب ولما قوي عزم القوم على الرحيل أشار عليه ملك بني غسان بمصالحة كسرى وحكى لهم ما أشار به سنان من قسمة العساكر قسمين ومسيرها في طريقين حتى لا تفوت الاعداء وتوسع بحريهم في البيداء فقال ملك الروم وهذا هو الصواب ففعل ما فعل وصالح الملك كسرى ورحل وقد أخذ أسارى بني عامر وعمرو ابن معدي كرب وذا الخمار معه فزعا من عرب الحجاز أن تجتمع على صاحبه الحارث ومنه تخلصهم (قال الراوي) وجرى من القصة ما جرى وعدنا الى سياقة الحديث الاول ومسير العساكر الافرنجية وعودتها من أقليم العراق فانها مازالت تسير السير الحثيث بلا هدو ولا قرار حتى عبرت أرض هيت

وقاربت أرض القاصريات وهى خلجان وأنهار مثل الفرات فنزلوا عليها وباتوا فى طلب الراحة وكانوا قد وكلوا على الاسارى جماعة كثيرة من الروم والافرنج وهم الذين كانوا يسيرون بهم بالنهار فلما جن الليل والظلام ونامت العيون وتبدل القوم بعد تحريكهم بالسكون فقال ذو الخمار لعامر ابن الطفيل وملاعب الاسنة وفرسان بنى عامر الى متى تسوقنا هؤلاء الكلاب سوق النساء ونرضى بالذل صباحا ومساء وهذا كله فزعا من الموت ورغبة فى الحياة قوموا بنا حتى نأخذ سيوف هؤلاء اللئام القيام ونعد أن نأخذ ها نضرب بها رقابهم ونشفى قلوبنا منهم ونطلب بعد ذلك النجاة والهرب ولا نبالى يسلم من يسلم ويعطب من يعطب فقال عامر بن الطفيل يا ذا الخمار وأى قرنان يشتهى هذا ويهواه والله لولا هذا الشداد والوثاق الذى قطع منا الاوصال والاعناق وكذلك قال عمرو بن معدى كرب فقال ذو الخمار أما أنا فقد قطعت كتافى من حيث نزلوا لانه كان ضعيفا وقد همتنى نفسى ألف مرة ان أقوم وآخذ بعض هذه السيوف وأدافع به ولولا هذا الجرح القاتل فأنا أحل الجميع وأرجع أقاتل معكم حتى انى أقع طريحا ثم صاريدنو من واحد بعد واحد ويحله ويقول له أنت حل رفيقك وخلص صاحبك وقاتل عن نفسك فيفعل وتقدم الى المتوكلين وكانوا فى السكر غارقين وأخذ له عدة على حسب ما اشتهى ثم تخطى رقاب النائمين وطلب هو ورفقاه الصحراء (قال الراوى) ومامضى من الليل ساعة حتى خلصوا الجماعة وصاروا فى البر على ظهور الخيل ومعهم فى القنطاريات المداد والسيوف الحداد وكانوا نحو المائتين فارس منهم خمسون من سادات بنى عامر والباقى من أبطال الحلل والعشائر الا انهم لما أوسعوا فى البر أنكرهم الحارث وطلبتهم الخيل ووقع عليهم الصائح وانتبه الذين كانوا موكلين بهم وماج العسكر تحت الظلام وخرجت الخيالة من المضارب والخيام وسلت المرهفات الصفاح وطلبوا كلهم الصباح وقاتلوا الهاربين قتال الاسود فى البطاح وجاءتهم الفرسان من كل جانب وزاد الليل غبارا وضباب وانتشرت عن الفرسان الرقاب وانشقت أذيال الدجا وأبصر ذو الخمار الهلاك بعينه فأطلق عنانه نحو أرض العراق ونجا لانه من أهل الغدر والدها ومنه تعلمت شياطين العرب الخبث والسهى وقاتلوا هؤلاء بعد لمحات الضحى لانهم على كل حال أبطال الهيجاء وأسود الفلاة لاسيما عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وعمرو بن معديكرب فانهم اختاروا الهلاك وقاتلوا حتى أشرفوا على العطب والارتباك وفعلوا فعال من لا يخاف من هلكات العرب ولولا خيالة الافرنج ما كان أحد من الروم لحقهم وانما لمعان الطوارق حيرهم وأبهرهم وأيقنوا بالهلاك وقتل منهم ثلاثون فارسا ودارت بالباقين المواكب ونهبتهم بالقنطاريات والفواضب وسدت فى وجوههم المذاهب وترجل اليهم كل راكب ونادى ملك الروم ياويلكم لا تهلكوهم وخذوهم أسارى حتى يشتفى بعذابهم قلوبنا مرة أخرى (قال الراوى) وما زال الملك يكثر من ذلك الكلام حتى طلع عليهم غبار وقتام وكان من ناحية أرض الشام أشد من سواد الليل فقال الملك أبصروا ما هذا الغبار فانى وحق المسيح أظنه هو الجيش الذى للعرب وقد سمعنا به انه خرب بلاد الشام وقد ساقهم المسيح الى هذا المكان لفروغ اعمارهم ثم ان الملك قيصر قال لملك الافرنج صح فى خيالتك وقل لهم يسرعون فى أخذ من بقى من هؤلاء بالسيف القرضاب وانفذ النقباء الى باقى العسكر ليركب الى لقاء هذا الجيش الذى كنا له طالبين (قال الراوى) فعند ذلك ركبت العساكر على الجرد السوابق ورفعت الاعلام والبيارق وضجت من المغارب والمشارق وانصمت المسامع من اختلاف الزعاق والصياح وقلعت الارواح فزعا من أسنة الرماح الطوارق وارتعدت الابدان لما لاح برق السيف البيارق (ياسادة يا كرام) وكان هذا الجيش القادم هو الامير

عنتر

عنتر بن شداد ودريد بن الصمة واخوة الملك النعمان والعرب الذين كانوا معهم من بني هوازن
وجشم وكان مع القوم طائفة قوية من عسكر العراق الذين أسروا مع اخوة الملك النعمان عمرو بن
هند والملك الاسود الذين خلصهم عنتر ودريد من الشام وكان سبب الحماقة للسبي من أعجب الاسباب
لانه لما كان النقاه الملك قيس وبكى بين يديه وقبل عذره وكان ذلك بواسطة دريد بن الصمة واتفق
رأيهم على المسير الى أرض الشام خلف أموالهم وعيالهم وبني عمهم وأبطالهم فركبوا النجب وطردوا
الخيل بين أيديهم فقطعوا القفار وكان تحتهم نجب ومهارى تسبق النجوم الدراري وجمازات أهون
ما عليها قطع الفلوات ويقال انهم ساروا في سبعة أيام ما لا يسيره غيرهم في شهر كامل وكان سيرهم
ليلا ونهارا ونومهم على الاقتاب لان فقد الحريم والاولاد منعهم عن الرقاد وأكل الزاد وشيبوب مع
هذا المسير يسبقهم ويأخذ أخبار الاحياء والقبائل ومازالوا على مثل ذلك حتى قال لهم في اليوم
الثامن أبشروا يا موالي بالحماق الطلب وقلة التعب والنصب فالقوم بالامس رحلوا من الاعناك
طالبين دمشق فاستريحوا أنتم في نهاركم هذا وعودوا الى ظهور الخيل واركضوا خلفهم فانكم
تدركونهم في دون البلد فتحكمون فيهم بما تريدون فقال دريد لله درك يا شيبوب فوالله انك نعم
المشير فقال الملك قيس بن زهير يا وجوه العرب اسمعوا مني ما أقول ودعونا نقطع من الاعداء الفروع
والاصول ونبلغ منهم المنا ونفعل بهم أشأم مما فعلوا بنا فقال عنتر وكيف ذلك فقال يا ابن العم ان هؤلاء
القوم ما رحلوا من الاعناك الا وقد أنفذوا قدامهم بشيرا الى دمشق بوصولهم ويصف لهم ما معهم من
النعم والاموال والسبايا والحريم ولابد للبلد أن يرج لاجل ذلك ويخرج كل من فيه من الخواص
والعوام والفارس والراجل ويوسعون في البر ويلتقون القادمين من مسير يوم والرأي أن نجرد منا
ألف فارس تسير في المقدمة طالبين ولا يظهروا لهم حتى يشرفون على المدينة ويروا هذا الحساب الذي
حسبته ويصح لهم عند ذلك ويركضوا في عرض البر ويسبقوا الى الابواب ويملكوها ونأتي نحن
فنبذل السيف في أعدائنا ونبذل أفراحهم اتراح ونقيم في ديارهم النواح ورب ما ملكنا البلد بهذا
السبب وأغنينا فرسان العرب الذين قد تعبت معنا من قلة الفضة والذهب * قال فلما سمع جماعته
قوله أطاعوه وعلموا انه صواب فقال مقدمي الوحش ما هذه الامور غيري أنا أسير في المقدمة
وأمسك لكم الابواب لان البلاد بلادي وأنا أعرف بها منكم ثم نزلوا ذلك اليوم للراحة وتلك الليلة
وعند السحر ركب مقدمي الوحش الجنيب وطلب من يسير معه على الترتيب فتوثبا اليه الفرسان
واعتدت معه الاقران وطلبوا المسير الى النهب لان العرب فيها الطمع لاسيما هذه الابطال الذين
وقعت في مثل هذا الاقليم فسار معه من أصحاب دريد خفاف بن ندبه ودثار بن روق وتمام الخمسمائة
فارس وكذلك سار من بني عبس مثل عروة بن الورد ومالك بن قراد ومقدمي الوحش وبقي عنتر
ودريد بن الصمة مع باقي الجيش واتفق لهم ما أرادوا بهذا التدبير وخلصوا أموالهم ورجالهم ونساءهم
وأطفالهم وكان ذلك شيأ كثيرا وكان الذي خلصوه من الفرسان ثمانية عشر ألفا سوى النسوان
وملكوا دمشق بعد ما أهلكوا خلقا بعدد الرمل وأمروا سامي بن أبي شمرخ الغساني أخو الحارث
وبقي النهب يعمل في البلد خمسة أيام والنياق تساق في الاسواق سوق الاغنام لانهم جاهلية كاسود
البيداء قد ظفروا باموال الاعداء (قال الرواي) وبعد النهب عادوا الى الكنائس فخربوها والى
الصوامع فهدموها وذبحوا القسوس والرهبان وأخذوا القناديل والستور والصلبان وقد أمروا
جماعة من بني فزارة وصلبهم أخوا النعمان على الاصوار وتركوا نساءهم مع جملة الجواري وخرجوا الى
ظاهر البلد وقد تركوها فضائح وخلوا القتلا مطروحة في الازقة مثل البطائح ولما نزلوا في الخيام

وتباشروا بالانعام واجتمع كل منهم باهلها وتقدمت كبشة أم عامر بن الطفيل الى عنتر ودريد بن الصمة وكان معها جماعة من نسوان بني عامر وقد بقوا في أرض العراق أسرى مع الحارث ثم تكلمن قدام دريد وسألن أن يعاونهن على خلاصهن فطيب قلوبهن وقال نحن لابد لنا من المسير الى أرض العراق في خدمة أخوالنعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من قد سار اليه مع ملك الروم من عباد الصلبان فعندها أنشدت أم عامر بن الطفيل بعد كلام دريد تقول هذه الابيات لعنتر بن شداد

أبا الفوارس صناع الصبر والجلد * وانهد حيلي وذاب القلب والكبد
أنت الهمام الذي قد سل صارمه * يوم المعامع أنت الضيغم الاسد
اخوك عامر أضحى في القيود ولم * يجد له ناصرا يفديه ياسند
فانهض وخلصه يامن قد سما ورقا * أنت المفرج للكربات ياعضد
لازلت في درج العلياء مرتقيا * وزال عنك العنا والهم والنكد

(قال الراوي) فلما فرغت كبشة من شعرها تقدمت الى عنتر هي وجميع النسوان اللاتي كن معها وقد صار رجالهم أسرى مع الحارث الوهاب فبكين قدام عنتر وسألنه أن يعاونهن على خلاص رجالهن فطيب دريد وعنتر قلوبهن وقالوا لهن نحن لابد لنا من المسير الى العراق في خدمة النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من سار اليه من عبدة الصلبان ونخوض في خلاص رجالكن على أي وجه كان (ياسادة) ثم ان عنترا بعد أن قال لكبشة أم عامر على ذلك وعدها بخلاص ولدها وقال لها أنا أحرص منك على خلاصه لانه أخي وصديقي وما فعلت هذه الفعال الا من أجله ثم بنوا أمرهم على مثل هذا وضموا السبي الذي وقع في أيديهم والاموال والحريم والعيال وساروا الجميع الى أرض الحجاز مع خمسة آلاف فارس من الابطال وأرادوا أن يدخلوا بنفسهم يطلبون أرض العراق على خيولهم فقط فقال لهم مقرى الوحش قد شبعنا من مسير هذا البر ولاقينا منه ما كفانا والصواب أنكم لاتضيقوا طريقكم من هاهنا بل تسيروا معي على بلد قيصر انطاكية حتى أغنيكم من الفضة والذهب ومن الجواري الروميات لتفتخروا بها على سائر العربان وبعد ذلك نقصد أرض بالس ونذهب ماهناك من الديور والكنائس ونجعلها سفرة يتحدث بها في المجالس ويقصدها الشجعان والفوارس فقال الملك الاسود والله لقد أشرت بالصواب والرأي الذي لايعاب لاننا نعلم ان ملك الروم قد أخرب بلاد كسرى ونريد نحن ان نكافئه على فعاله ثم بنوا سيرهم على مثل ذلك وساروا مع مقرى الوحش وكان عدد الجميع خمسة وعشرين الفا الا ان البلاد بين أيديهم خالية مافيها من يدافع ولا يمانع فنهبوا وخربوا وتركوا الديار بعدهم قفارا وأخذوا من بلاد انطاكية غلمانا وجواري أحسن من الشموس والاقمار وطلبوا بعد ذلك طريق الفلاه وقد بلغ كل واحد منهم مناه وقال عنتر بن شداد والله ان هذه سفرة تكفينا خمسين عام فلعن الله من لايعمل غزواته الا على بلاد الشام فقال شيبوب طب نفسا وقر عينا يا ابن الام فما دام انى قد عرفت هذه البلاد سوف أريك ما أفعل بابطالها (قال صاحب الحديث) وقد جدوا في مسيرهم حتى عبروا وادي فروه وأرض بالس وساروا من الفرات فالتقوا بعساكر الروم في أرض الغادرات فلما أشرفوا عليهم ارتفعت الاصوات وعلت الضجات وكان عنتر ودريد ومقرى الوحش في المقدمة ومعهم الابطال الذين وصفنا والفرسان الذين نعتنا وعباد الصلبان حول عامر بن الطفيل وأصحابه مشتبكة والخيل حولهم مبادرة وهي معتركه فقال دريد ما حال هؤلاء يدل على خير وما هم الا قد وقع بينهم الخلف لانهم خلق كثير وانى لاعجب كيف رجعوا عن أرض العراق وهم في هذا الجيش الذي لايحصى ولايعرف له منتهى فقال عنتر أما رجوعهم فانى أقول

ان

ان أخبارنا قد وصلت اليهم وسمعوا بما قد فعلنا فى بلادهم فعادوا الينا خوفا على بلادهم منا وأما هذا
الصباح المنعقد عليهم فهو لاشك خلف قد وقع بينهم كما قلنا أو ان بعض طماعة العرب تبعتهم يريدان
ينهب أموالهم وقد رجعوا الى قتالهم أو يكون بعض الاسارى قد هرب ولابد ان أخرج فى ألف
فارس من بنى عمى وآتيك بحقيقة الاخبار فقال دريد ما أنت الا قد هانت عليك الاخطار والا
ماقلت أحمل فى ألف فارس على هذا العسكر الجرار فقال عنتر يا أبا النظر لايهمك كثرة الاعداء من
عبدة الصلبان فان العرب أثبت منهم جنان فقال دريد افعل ماتريد فنحن نتبعك ونقتحم من خلفك
الجحاج فعند ها حمل عنتر ومقرى الوحش وعروة بن الورد وشداد بن قراد وتمام ألف فارس من
أبطال بنى عبس الشداد وطلبوا مكان الصباح وقد جردوا الصفاح وقد موا قطع الرماح وكانت
جلنهم كما ذكرنا فلما سار وا تحت الجحاج ودارت بهم الاعلاج ووقعوا فى بحر عجاج واحمر نار
الهياج وأبصر دريد وأصحابه ذلك الخبر المنكر ففزع على عنتر وادعا بد نار بن روق وخفاف بن ندبه
ورتب معهم عشرة آلاف فارس وأمرهم بالحملة فى أثر عنتر فحملوا على الخيل الجياد وزعقوا زعقات
تفتت الاكباد وطعنوا فيهم بالرماح المداد واشتد الامر وزاد وسالت الدماء على الاجساد وثارت
الجماجم بالسيوف الحداد واشتبكت البقاع من شدة القراع وافترق الشمل بعد الاجتماع وضاقت
الارض بعد الاتساع وكثرت الآلام والاوجاع وتقسمت الابدان أثلاثا وأرباع ووصلت الاسنة الى
الاضلاع وفر الجبان من هيبة الشجاع ونهمت السباع من حولهم والضباع ومازال دريد قائما حتى
رأى الافرنج قد رفعت البيارق واستترت بالطوارق وقلبوا القنطاريات وخبت الجياد الصافنات
وافترقت قسمين وسارت وحملت الفرقة الواحدة مع الروم اللئام والفرقة الاخرى طلبته وقصدت
الاعلام ولما تحقق ذلك صاح فى باقى الجيش وحمل وبان الصواب من الذلل وعليهم العذاب قد
نزل وقد بطلت الاسباب والحيل واختلف الطعن بالاسل وانتثرت الجماجم نثر الحرمل وفعل دريد
فى ذلك اليوم فعل الجبابرة الاول لانه قاسى الاهوال وعرف نوائب الدهر الثقال وأما عنتر فانه حمل
بألف فارس وخاض المعمعة وصار يقاتل ويطلب الصباح الذى سمعه ومازال يحمل فى صدور الخيل
حتى قارب عامر بن الطفيل وسمع صياحه وعرفه وكان قد بقى من أصحابه أربعون وهلك الباقون
والذين بقوا كانوا على الهلاك مشرفين لان خيلهم عطشت وعددهم فنيت وطلب بعضهم من بعض
الوداع وقد بقى بينهم وبين الموت قدر باع أو ذراع وفى تلك الساعة قاربهم عنتر وعرف من أصواتهم
ما أنكر وكان حولهم خلق كثير العدد مالهم حد ولا مدد فقال والله هلكت سادات بنى عامر
وغرقوا فى بحر ماله أول ولا آخر ثم صاح فى رجاله وحمل فى الروم ففرق صفوفهم وأحزابهم وألوفهم
وأطال عذابهم وطير قحوفهم وشق أعصابهم وطعن فى صدورهم وأجنابهم وسكر من ضرب السيوف
وطعن الرماح كما يسكر شارب القداح ﴿قال الراوى﴾ وكانت فرسان الجاهلية اذا دام عليها الحرب
وكثر عليها الطعن والضرب فانها تسكر وتقاتل وهى غائبة عن الوجود ولاسيما بنى عبس الاسود
وفارسها عنتر الذى كأنه الجمر الجلمود وضرباته وصيحاته تشبه الرعود وقد ذكروا أحواله فى مقاله
ووصف سكره فى شعره وقتاله ومن بعد ما انشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

اذا طرب الرجال على الاغانى * وغيب رشدهم خمر الدنان * فرشدى لاينيبه مدام
ولايغتالنى صوت المغانى * ولايعتادنى طرب ويشفى * فؤادى غير ضرب الهندوانى
وأسكر كلما سكر الاعادى * ونادوا لامفر من الطعان * واطرب ان رأيت النقع عالى
وذلك شهوتى عند الرهان * أميل الى الجحاج بعزم ليث * شديد البأس بالغضب اليمانى

وأروى من دما الابطال سيفى * ومن لبات خيلهم سنانى * وكم من فارس أضحى جديلا
على الصمصاح مخضوب البنان * واقتحم الورى حتى ترانى * خضيبا بالدما كالارجوان
ورمحى شاهدا لمقال صدقى * ويخبركم به طعن الحصان * وأسد الغاب تخشى من ضرابى
وترعب خيفة لما ترانى * ولى سعد ونجم قد تعالى * على متن السها والفرقدان

(قال الراوى) ثم ان عنترا فى ذلك اليوم لما سمع صيحات بنى عامر وندائها وهى تئن من جور أعدائها غابت عنه رؤية الارض والسما وبذل نفسه لاطراف القنا وما أفاق على روحه حتى ماجت من حواليه الدماء وجرت مثل ما يجرى الماء وقد هامت الروم على وجوهها من هول صفاته وهربت من بين يديه فزعا من ضرباته وقد وصل الى عامر بن الطفيل هو وأصحابه ونادى يهنيكم السلامه والفرج فتأنوا على أنفسكم من غير حرج ومن قدر منكم على جواد فليركب ويأخذ الراحة من التعب ويقر قراره ويهدى بعد النصب ونحن ندافع عنكم الاعدا (ياساده) وما كان فى القوم من بقى له جواد سالم الا عمرو بن معديكرب الزبيدى لانه حمى نفسه وجواده من العطب ولما أبصر عنترا وحققه عادت اليه روحه ودنا منه واعتنقه وقال لله درك يا فارس العرب ويا مزيل الكرب لقد أتيتنا فى أضيق الاوقات وفرجت عنا الشدائد المفسدات وأحييتنا بعد الممات وكان عنتر قد سمع صوته وسمع منه ذلك المقال فعرفه وقال قد رأيتك يا باثور وأنت من جملة الاسرى فابش الذى أوصلك الى هذا المكان فقال أتيت الى نصرة النعمان وكسرى يخرى علينا هذا المجرى فقال عنتر ابشر بالسلامه وحصول الراحة بعد الندامة فأنا أشفى فؤادك من عباد الانجيل ثم ترك الجميع خلفه وقاتل عنهم الى أن وصلت العشرة آلاف فارس الذين كانوا وراءه مع خفاف بن ندبة ودثار بن روق ومقرى الوحش فقوى بهم على أعداه ومافيهم الا من نزل بالسيف حتى كلت يداه * هذا وشيوب يرمى أبطال بنى عامر ويرد عليهم الخيول الشاردة من أقطار الفلاه حتى ساروا كلهم فرسان وحملوا على طوائف الروم وعبدة الصلبان فقاتلوا قتال من ذاق الاسر والهوان وأما عمرو بن معديكرب فانه أظهر كل العجب وطعن وضرب حتى ترك الدما حوله تسيل وكذلك عامر بن الطفيل وملاعب الاسنه ومازال السيف يعمل بين الروم والعرب الى أن طار طائر الظلام ونشر أجنحته الغيهب وانفصلت الطوائف وأمن كل قلب خائف وسكنت تلك الرواجف هذا ودريد بن الصمه قد لقى من قتال الافرنج شدة شديده وقتل من أصحابه ذلك اليوم جماعة تعز عليه ولولا الملك الاسود أخو النعمان حمل فى ألف فارس عند المساء وأعانه والا ما كانت طوائف الافرنج تخلت عنه (قال الراوى) ولما انفصلوا من بعضهم البعض نزلوا فى جنبات الارض وقد تركوا الدنيا ملآنة من القتلى زائده عن الحد وعاد عنتر وعمرو بن معديكرب وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وتبادرت كذلك بنو عامر وقد جعل عنتر يذكر الوقعة التى جرت وهو يترنم ويقول صلوا على طه الرسول

اذا ما سد الغبار لنا رواقا * صفا كأس المنية لى وراقا * فتطربنى بروق البيض حتى
أهيم الى مضاربها اشتياقا * وأعشق للعوالى السمر عشقا * وغيرى يعشق البيض الرشاقا
أنا كأس المنية لى شراب * الذ بها صبوحا واغتباقا * وأطراف القنا لحظى ونقلى
وتفسح لى اذا الميدان ضاقا * جزى الله الاغر اليوم عنى * بما يجزى به الخيل العتاقا
كففت بصدره موج المنايا * فحمحم خيفة وشكا الفراقا * ولولا صارمى وسنان رمحى
لذاق الموت حقا لا انفاقا * ألا يا عبل لو عاينت طعنى * وخيل الروم تنطلق انطلاقا
لزدت مسرة وشكرت فعلى * حقيقا ما حدا الحادى وساقا * سلى سيفى ورمحى عن فعالى

هما

هما في الحرب كانا لي رفاقا * سقيتهما دما لو بات يسقى * به جبل اليمامة ما أفاقا
وكم من سيد خليت ملقى * يحرك في الدما قدما وساقا * أنا العبد الذي خبرت عنه
رعيت جمال قومي والنياقا * وبالسيف الصقيل علوت حقا * فغاب البدر واختار المحاقا
ومن هذا علوت وبان عزمي * ومجدي يخرق السبع الطباقا

(قال الراوي) ولما استوفى عنتر هذه الابيات مالت العرب والسادات لها طربا وقال عمرو بن معديكرب ان عنترا ما ترك لشاعر مقالا ولا لفارس قيمة ولا مقدارا فقال عنتر يا وجه العرب وحق من أوسع البيداء ما أقول هذا الشعر افتخارا على الفرسان وانما يجيء شيء على صدر الانسان فينطق به اللسان ثم قال لعامر بن الطفيل واصحابه يا وجوه العرب نحن سمعنا في الحجاز عن عرب الشام ومتنصرة بني غسان انها أسرتكم وسبت حريمكم ونراكم مع الافرنج وما نرى معكم من عرب الشام أحدا ايش المعنى في ذلك لعل هؤلاء سمعوا بفعالي وهم في بلاد النعمان فقال عامر لا والله يا أبا الفوارس ما بقي في أرض العراق من هذه الطوائف لانهم لما سمعوا بفعالكم احتالوا على كسرى وصالحوه بعد ما كانوا حمروه وأشرفوا على أخذ المدائن وأرض العراق لان عساكر العراق والعجم كانت قد ابطت عليه وبقي مشرفا على الهلاك وما بقي يصدق برحيلهم عنه ولما اصطلحوا وعولوا على الرحيل فزع ملك الروم أن يخالفكم في الطريق ويسير الى أرض الحجاز بأمواله وعياله فساروا على الطريق كما أتى منها ولكنهم ساروا على الخيل جرائد بلا نقل ولا عائق وسرنا مع هؤلاء الروم لاجل قرب المسافة وقلة المخافة وكان معنا ذو الخمار وهو مأسور مجروح نخلص نفسه وخلصنا في الليل وقاتل معنا حتى اقترب الصباح وأبصرنا الهلكة فهرب وراح ثم أعاد عليه قصته وما جرى له في أرض العراق فعجب عنتر من هذه الامور وحار من حديث ذي الخمار وقال في نفسه يا ليت شعري ما جرى بعدنا في بلاد اليمن مع غمره وبأي وجه قد عاد الى هذه البلاد ثم فزع على السبي وكانوا انفذوه الى أرضهم من بلاد الشام مع حريمهم وبني عمهم وقال لابد أن يرجع صاحب دمشق ويخلص سبي بلاده ويشفي من أصحابنا فؤاده ولقد ضاع تعبنا وساء منقلبنا (قال الراوي) فجرى على قلب الملك قيس ما لا يجري على قلب بشر وكذلك على أصحاب الربيع بن زياد وبني عبس وما فيهم الا من بكى على أهله وحريمه ونزلوا الجميع عند أخوالهم النعمان ودريد بن الصمة وعاد عنتر عليه ما سمع فضاق صدره وقل صبره وقال والله لقد وقعنا مع عباد الصلبان في أمور ما لها أواخر وضيعنا الزمان في شيء يفطر المرائر وما ظفرنا بطائل وان بنو عامر أيضا على حريمهم مع حريمنا وأموالهم مع أموالنا وما بقي في الامر الا اننا نحرض في أسر ملوك النصرانية وقد خلصنا بهم الجميع ولا يؤخذ منكم عقال ولا يضيع لاننا الارض الشام ما بقينا نقدر نرجع وقد أتانا هذا البحر الزاخر وقد قربنا من بلاد العراق ولو رجعنا الاجتمع علينا مثل هؤلاء وأضعافهم وأشرفنا على التلاف فقال الجميع كل ما ذكرته يا دريد صواب ولكن كيف يكون التدبير عند الصباح في هذا الخلق الكثير حتى ننجز أمرهم ونظفر بملوكهم فقال عنتر اذا اعتدلت الصفوف يخرج منها خمسون فارس يطلبون البراز فان برزوا أفنينا أبطالهم والمقدمين والفرسان وان كان ما يخرجوا الينا طلبناهم فارسا فارسا فان أبوا صحنا في باقي أصحابنا وطلبنا الاعلام واجنادنا في أسر الملوك والخواص فيهون علينا الامر لاننا ان وقع ملك الروم في أيدينا وسار معنا في أرض العراق خلصنا به العيال والاموال هذا ان كان الامر صحيحا وقد وقع بهم الحارث والاسلماه الى الملك العادل كسرى يفعل به ما يشاء فقالوا هذا هو الرأي السديد ويجب أن نمتثل ونسمع ثم باتوا وقد بنوا أمرهم على مثل ذلك وفي قلوبهم النار على الاولاد والعيال ثم اصطفت صفوف الروم والافرنج

فلأت الارض وقد ضيقت الاثار وكذلك فعلت طائفة العرب لما ولى النهار والغيهب الا انهم فى مثل مركب فى لجج البحار أو القفل السائر فى واسع القفار (قال أبو عبيدة) وأرادوا من عساكر النصرانية أن تحمل فى سائر العساكر لاجل ما يأتى فى قلوبهم من خلاص أسارى بنى عامر فخرج دريد الى الميدان وتبعه عنتر مثل الاسد الغضبان وبرز مقرى الوحش وعروة بن الورد وملاعب الاسنة والاخوص ابن جعفر وخفاف بن ندبه وذئار بن روق وعمرو بن معديكرب والربيع بن زياد وشداد بن قراد وتمام الخمسين فارس من فرسان الحجاز الذين ما فيهم الا من يلقى ألف بطل اذا أنصف فى البراز ولما صار وابين الصفوف وقاربوا العساكر وجالوا عليهم ولعبوا بالرماح السمهريه وابصروا بطارقة الروم والافرنج فاخفى عليهم أفعالهم فخرج اليهم أمثالهم فى عددهم وقد طمعوا فى أخذ أسلابهم الان كل واحد منهم لما قارب خصمه ضربه طير رأسه عن جسمه وفيهم من طعن صاحبه قلبه على جانبه وحملت فرقة أخرى فألحقوها بمن تقدم وفعلوا بهم مثل ما تفعل الذئاب بالغنم والنسور الكواسر بالرخم وتتابعت بعد ذلك اليهم الفرسان وقصدتهم الشجعان من تحت الاعلام والصلبان وما زالوا على مثل ذلك حتى انقضى النهار وأهلكوا خلقا ما لها عيار ولا يقع عليهم آثار لانهم فرسان ما تقاس بالكواعب ولا تتساوى السباع بالثعالب (قال الراوى) وقد أبصرت طوائف النصرانيه فعالهم فانهزموا من قتالهم وقال ملك الروم قيصر لخنجان ما سأناسوى قلة التدبير فتدارك قضيتنا مع هؤلاء الانذال والاخسرنا وطال علينا المطال وانكسرنا لانى أعرف شجاعة شياطين الحجاز وقد رأيت فعالهم فى المعامع وفى البراز ومن أجلهم كنت أنا أهادى الملك كسرى والنعمان وأكف شرهم عن بلاد عبدة الصلبان لانهم ما فيهم فارس الا ويلقى ألف بطل ويفرقهم بين السهل والجبل والرأى اننا نفذ اليهم ونصالحهم ونتركهم يمضون الى بلادهم ونمضى نحن الى بلادنا والا أفنوا أبطالنا وبطارقتنا وأجنادنا وما نقتل منهم فارس حتى يقتل منا جمع كثير وهذا نقص فى العقل والتدبير (قال الراوى) فلما سمع ملك البحر الخنجان هذا المقال زاد به الغيظ لاجل ما هالك من خيالته والابطال فقال لملك الروم وحق المسيح ما رأيك كله الارياء وفساد لانك ما خرجت معنا على نية الجهاد ولا تبعتنى الاخوفا من عتب القسوس والرهبان العباد ولاجل هذا رحلت عن ديار كسرى حتى لا تملك بعضها ونصير جوار فى هذه الديار وأنا وحق المسيح ما أطيعك على هذا المقال أبدا ولا أصالح القوم لتكون لدين النصرانية أعدا فان شئت أن تصالحهم دعنى أن أبذل المجهود فى طاعة الوالد والمولود والاتقاتل أنت يوما وأنا يوم حتى تعلم أمة عيسى على من يقع العتب واللوم لانى أنا ما أرضى لنفسى بالذل والاعتراف لمن هو دونى بالعجز عن الكر والفر ولا أكون قد خرجت عن موطنى وبلدى وهجرت نسوانى وأولادى وأرجع بهذا الخلق والعدد وما فتحت قلعة ولا بلد ثم ولى بأعلامه وانعزل بمن معه من المواكب والفرسان وقال لهم اعلموا اننى قد عولت أن أحمل بعساكرى على هؤلاء واجتهد ان أكسر هؤلاء الرعاة فى أقطار الفلاه وأعود الى هذا الملك الخامر الذى قد اشتغل عن آخرته بدنياه ولا أزال كذلك حتى أعجل قتله وأملك بعده بلاد المسيح وأظهر فيها العدل الصحيح والدين المليح وأريد منكم الدعاء الصالح وأريد أن تصلوا على صلاة الموت فقالوا له السمع والطاعه افعل ما بدا لك وصف هذه العساكر فنحن نعينك على هذا المخامر ثم داروا بالخيالة وصاروا يصلبون على وجوههم ويصلون عليهم ويحرضونهم على القتال وما زالوا على مثل ذلك حتى ضجوا من شدة شوقهم الى الجهاد (ياساده) وكان شوقهم وزعاقهم يفطر المرائر والاكباد وصلوا من كل شعب ووادبا آلة الحرب والطوارق والقناطريات وكان الخمسون الذين قد مناذكرهم واقفين فى الميدان

ينظرون

ينظرون برازالفرسان ولما رأواعساكر النصرانية قدانقسمت قسمين حاروافى أمورهم قال عنتر
ابن شداد ما أقول الاان أعدانا قدوقع بينهما الخلف وهم يريدون ان يتفانوا جميعا أوعزلوا يقاتلونا
كل طائفة يوما والصواب اننا نحترز لانفسنا من الجهتين ونقسم أصحابنا فرقتين وان رأيناهم قد
اختلفوا دهمناهم بأجمعنا ونثرناهم باطراف القنا كما يريدون ونفعل مثل مايفعلون ثم عادوقسم
أصحابه قسمين وتقدم عنتر بخمسة عشر ألف فارس بازائهم وترك الباقين حول اخى النعمان والملك
قيس الاانه مافرغ من هذا الترتيب حتى حملت الافرنج قبل الثبات ومدت أسنة القناطريات بعد
ماصلت عليهم القسوس والرهبان صلاة الاموات وقدرأى دريد هذه الفعال فالتقاهم فيمن معه
من الابطال واشتد بينهم القتال واصطفت الاقدام وبطل القيل والقال وحست الارواح
بالانتقال فمال عليهم حمل الاثقال وهبت عليهم أرياح الصبا والشمال وزادت الحروب اشتعال
وعملت فيهم اعوامل الرماح الطوال وحكمت فيهم السيوف الصقال وقدخسرت فى وسط المجال
ونيران حربها زادت اشتعال فى أنابيب النحور والاوصال وطعان أسنتهم تسابق بفعالها الآجال
وكان حرب أعدائهم لايغنى من جوع ولايشفى غلال ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام والمقال وقد
جرى ذلك اليوم والناس على هذا المقال وكانت الدما تجرى كالغيث الهطال الافارس عبس وحاميها
وموقدنارها ومصطليها لانه هتك الالباس والطوارق والاعلام والبيارق وهدالاكتاف والمفارق
وترك الجماجم نهال الخيول السوابق والتقى ملك البحر وهو يجول ويحمل على العرب عرضا
وطول وله وجه مثل وجه الغول فصاح به صوت مهول وحمل عليه حملة جبار لاتصطلى له نار وطعنه
فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ولما أبصرت خيالة الافرنج صاحبها قتيل فمالت واضطربت
وعلى وجوهها اصلبت وأطلقت على عنتر بمواكبها وأفواجها وجاءته كالموت اذا فاجأ وكان معه
مقرى الوحش وأخوه شبوب وعروة بن الورد وجماعة من رجاله فردت الافرنج عن الطعن رغما
وهدمت بنيانها بصارم السيف هدما وفرت الروم من بين أيديهم هزما هذا وشبوب قدقطع رأس
المقدم وحطه على سنان العلم وعرفت عبدة الصلبان رأس المقدم خلنجان فوقع بهم الخذل وبلغ
الخبر الى اخوته فدمدما وبربرا ولطما على وجوههما من شدة الاحزان وحلا بطلبان الثار وقدخففا
اللباس والدثار وكان بين أيديهما دريد بن الصمة فى بنى هوازن وبنى جشم وما قاربوه حتى استقبل
الكبير منهما وضربه على رأسه كسر بيضته فأنزل السيف الى قفارته وطعن أخاه خفاف بن ندبة
فقتله ونهبت فرسان العرب أرواحهم بشفار السيوف وقدأبصر ملك الروم ذلك اليوم من فرسان
الحجاز ماقطع ظهره وحيره فى أمره فلأجل ذلك ماحمل بعساكره ولا أعان فرسان البحر بل انعزل
عنهم وترك السيف يعمل فيهم الى المساء لانه معول على الاصلاح وترك الحرب والكفاح ﴿قال
الراوى﴾ وعند نزوله أحضر جماعة من خيالة الافرنج وقال لهم أتظنون انى اليوم تركت معاونتكم
الاغيظا منى على ملككم لانى نهيته عن قتال هؤلاء القوم السباع الجياع فما انتهى لان أجله كان
قدحضر وانقضى والآن فهذا أمر قدفات وقدعولت أن آخذكم معى الى بلادى وأساويكم بعسكرى
واجنادى ومن أراد منكم الرواح الى دياره خلعت عليه وسيرته فى المراكب ثم طيب قلوبهم وخلع
عليهم وعلى رهبانهم وقسوسهم حتى لايقوموا عليه ويحرموه من دين النصرانيه وعند الصباح
أرسل الى طائفة العرب يطلب منهم الصلح ويقول الذى كان قدلح فى قتالكم وأحوجنى الى
معاداتكم قدراح وأنا مارحلت من أرض العراق حتى صالحت الملك كسرى والملك النعمان
وعقدت معهم عقد العهود والايمان وعفوت عنهم بعد القدرة عليهم وكذلك أنتم فعلتم بأرض الشام

وما عليكم عتب ولا ملام لانى علمت ان هذا الاجل حروب قد جرت بينكم وبين بنى غسان والآن فقد رأيت من الرأى انكم تدعون الصلح مقيم وتسيرون الى بلادكم ولا تبغوا على من طلب اصلاح الشان لان عواقب البغى مذمومة ومدة الصلح بالاصلاح محروسة والسلام (قال الراوى) وكان جيش العرب قد ركب عند الصباح وغاصت فرسانه فى الحديد والسلاح وعولوا على ان يعملوا فى الروم مثل ما عملوا بالافرنج فوصل اليهم الرسول وبلغ لهم الرساله وشرح لهم القضية من غير اطاله فقال عنتر هذا الصلح كيف يكون وصاحب دمشق سار الى أرض الحجاز بعساكر بنى غسان يلتقى حريمنا وأموالنا ويردها الى بلاد الشام وحق زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام لا افترقنا عنكم حتى تسيروا ملوككم معنا الى أرض العراق وهم مربوطون فى الوثاق أو أترك الارض غارقه من دماء الافرنج والبطارقه أيظن قيصر اننا نخدع مثل ما خدع الملك كسرى ونصالحه ونطلب منه الامان فزعا من عبدة الصلبان وهم بين أيدينا مثل الحريم والنسوان وهذا شئ لا يراه ولا يفرج به الا أن يعطينا خمسة آلاف سيد من سادات الروم نأخذهم معنا رهاين على أهلنا حتى لا يجرى عليهم أمر من الامور اذا وقعوا فى يد الحارث ملك بنى غسان مرة أخرى ولا ينفذهم الينا الا وهم مخدومون ومكرمون مع الاموال والعيال وان لم يفعل ذلك والا ضربنا رقاب الرجال الرهاين الذين عندنا فى الاعتقال وبعد ذلك كلنا نسير اليه والى بلاده بمن قد عرف من الابطال ونخلص حريمنا على رغم انفه عنفا بصدور الرماح وضرب البيض الرقاق الصفاح (قال الاصمعى وأبو عبيدة رحمهما الله تعالى) ولما ان سمع الرسول من عنتر ذلك الكلام حار وقد وقع به الانبهار وقال يا وجه العرب هذا ما عندنا منه خبر وسوف أعود الى صاحبى وأعيد عليه ما قلته لى من المقال وأنظر ماذا يكون منه من الجواب وأدعه يدبر نفسه فيما يرى فيه الصواب ثم انه عاد من عندهم وسار الى أن أتى الى عند الملك قيصر وقد قص عليه الخبر فلما ان سمع من الرسول ذلك الجواب فزاد خوفه وفزعه ولم يدر ماذا يرد من الجواب أو يقول من الخطاب وقد علم انه مغلوب وقد ترادفت عليه الكروب ففزع أن يخرج من ملكه مسكوب فقال وحق المسيح لقد اتعبنا أنفسنا بأنفسنا وكان ذلك كله منا وبايدينا بعادات هؤلاء العرب الذين هم لا يخافون من العطب ولا يفزعون من الموت اذا هو منهم قد دنا واقترب ثم انه جمع أرباب دولته وقد أعاد عليهم ما قد أتى له من الجواب ثم ان الملك قد شاورهم فيما يفعل فقالوا له ما الذى يحوجك أيها الملك أن تشاورنا نخذ منا ما شئت واترك منا ما شئت عندهم ولو يمكث ألف عام فى أسرهم ولا تبلينا بقتالهم وحربهم ونزالهم وانا ما نقاتل من قد جعلوا الحرب دأبهم والضرب والطعن طعامهم ونقلهم وشرابهم وشغلهم فقال لهم الملك لما ان سمع منهم ذلك وانى على مثل ذلك معول لان هؤلاء القوم ما لهم ذنب وانما الذنب لنا وكان سببه الحارث الوهاب فهو الذى قد أضرم علينا نار هؤلاء القوم ونارهم شديدة الالتهاب ثم ان الملك قيصر رد الرسول الى عنتر بالاجابه وقال له اجتهد أن تنقصهم من الخمسة آلاف الذين يطلبونها شيأ وان كانوا ما يجيبونك الى ذلك فلا تعود الى الا ومعك منهم من يحلف لنا ثم يعطينا الذمام على أصحابنا فقال له السمع والطاعه ثم ان الرسول مضى من عندهم يطالب جيش العرب وكان عروة قد قال لعنتر بعد مضى الرسول من عندهم ويحك يا ابن العم لم أجبت ملك الروم الى الصلح وطلبت الرهاين منهم وقد ذلوا بين أيدينا فدعنا ننهب أموالهم ونفنى أبطالهم ونأخذ الملك بقوائم سيوفنا ولا نفرج عنه الا بكل ما نريد فقال عنتر والله يا عروة ما تطالب نفسى البغى ولا تستحسنه ولا يمكن أن أحارب من يطالب الامن ونكف عن سفك الدماء ولا آمن الحوادث التى تنزل من السماء واعلم ان الخلق كثير ما نقدر نحز أمرهم فى يومين أو أكثر واذا

كسرناهم

كسرناهم ما ندري ان كان يقع الملك في أيدينا أم لا على اننا لو قتل منا ما ذكر وكان بعدة الصلبان (قال محمد بن هشام) فبينما هم في الكلام واذا قد وصل الرسول اليهم وأخبرهم ان الملك قد أجابهم الى ما طلبوا بشرط انهم يتركون شيأ من تلك الخمسة آلاف فارس الرهائن فقال له عنتر اعلم أن لا بد لنا من ذلك ولا نترك منهم شيأ ولا نفعل بل ان كان الملك ما يجيبنا الى ذلك فنحن نقاتله لاننا نعلم ان هذه نائبه الحارث الغساني يلقى حرمنا وأموالنا ويأخذهم ويرد الجميع الى بلاد الشام وهو حريم ثلاث قبائل بني عبس وبني عامر وبني غطفان ومعهم أموال ورجال وأموالنا ما تاكلها النيران وان لم نستظهر لانفسنا ما نصالح فقال الرسول اذا كان الامر على مثل ذلك فانفذوا معي من يحلف للملك ويعطينا الذمام على أصحابنا فقال عنتر ان ذمامنا نحن أكل أصحابكم من طعامنا لانهم اذا أكلوا منا الزاد آمنوا على دمائهم لكن ما نطلقهم من الاعتقال وعندكم من أموالنا عقال (قال الراوي) ثم ان عنتر أنفذ معه جماعة من مشائخ القبائل الكبار ولما ان دخلوا على الملك قيصر أكرمهم وقد ترحب بهم وقد عاهدوا الملك وحلفوا له وكان مقرى الوحش معهم ولما تعاهدوا وتحالفوا على ما وقع عليه الشرط فاختار خمسة آلاف من عظماء الروم كلهم أقارب ونسائب وهم من بيت أهل الملك فأخذهم وقد انصلح الحال وعادت مشايخ العرب بالرحال وكان الملك قد أنفذ معهم هدايا لاجل الامراء والمقدمين من الفرسان وقد سألوهم في اطلاق من معهم من القسوس والرهبان وغيرهم من الفرسان فأطلقوهم وبعد يومين رحلوا وقد سار واوهم طالبون العراق وسارت عسكر النصرانيه يطلبون بلادهم الا ان جيش العرب ما زال سائرا الى ان أشرف على مدائن الملك كسرى وكان الملك النعمان مقيما عنده ينظر ما يتجدد من العرضيات وقد وصلت اليه بعض قبائل العرب ووصلت الى الملك كسرى من خراسان قوة لكن وصولهم كان بعد فوات الامر ورحيل الافرنج وعساكر الروم فانفذ الملك النعمان من يكشف الخبر فسارت على الاثر الكشافه وعادت بأخبار دريدو عنتر وقد أخبرت الملك النعمان بخلاص اخوته وأهله وعشيرته فاستبشر بالخبر لما ان سمع ذلك ثم انه قام من وقته وساعته وأخذ معه موكبا كبيرا من العرب والعجم والفرس والديلم وسار الى لقاء عنتر ودريد ومن معهم من الفرسان ومازال سائرا الى ان التقى القوم أحسن ملتقى وسلم عليهم وقد هنأهم بالنصر والظفر على الاعداء الاندال وقد استعجب الملك النعمان كيف انهم ظهروا من هذه الطريق فسألهم عن حالهم وعن عساكر الروم ان كانت التقت بهم أم لا فحدثه دريد بالحال وشرح له ما جرى من الفعال وأعاد عليه ما فعلوه في أرض الشام وما تم لهم من حيث ساروا من أرض الحجاز الى أن أخذوا الرهائن من عبدة الصلبان بعد ان هلكوا الافرنج وقتلوا ملكهم واخوته (قال نجد) ولما ان سمع النعمان ذلك غاب عن الوجود ومن وقت سماع هذا الحديث كأنه مفقود ومن شدة ما جرى عليه من الفرح والسرور استعاده مرة ثانية وثالثة الى ان عرف حقيقة الامر فقال وحق النار والنور لقد فرجتم عني بهذه الفعال كروبا واي كروب ولكن ما صا لحنا لكلب الروم الا لما وصلت اليه أخباركم ثم انه بعد ذلك قد هنأ اخوته بالسلامة وقد عادوهم الى جانبه سائرون وهم يحدثوه بالاهوال التي حرت من عنتر في بلاد الشام وقتال الافرنج وهو يصدقهم في ذلك ويقول ما تحت السماء أفرس منه ولا اكثر منه سعادة ولا مروءة ولكن نحن ما نعرف قدره (قال الاصمعي) ومازالوا سائرين الى ان وصلوا الى المدائن وقد خرج الملك كسرى في سائر موا كبه والتقى بهم وسلم عليهم وقد فرح بهم وبعد ذلك أنزل القوم في الخيام ونقل اليهم المعلوفات والطعام والمدام وقد اكرمهم الملك كسرى وهو فرحان بما سمع عن عبدة الصلبان وركب الملك النعمان وركبت

العرب من حواليه وساروا الى ملتقى الملك كسرى وسلموا عليه وقدم الملك النعمان وقال له يا ملك الزمان لازلت منصورا على عبدة الصلبان ثم انه حدثه بفعال عنترة وزيد شيخ مشايخ العرب ففرح بذلك وأزال عن قلبه الغمه وخلع فى عاجل الحال على عنترة خلعة الرضى وكذلك فعل فى حق زيد ومقرى الوحش وعروة بن الورد ومقدمين العربان وقد أركبهم الجنائب الحسان وسار بهم يطلب الفرجة على البساتين وهم من حواليه يحدثونه بما جرى لهم مع الملك قيصر وعساكر الافرنج والروم وكيف قتل ملك البحر خلنجان وكيف تركه مقتولى فى القيعان وكلما سمعه الملك كسرى يطرب من ذلك الشان ويقول كيف دار ذلك الدولاب كله على الملك قيصر وذلك كله بعد الذل والهوان (قال نجيد بن هشام) ومازالوا سائرين وهم فى هرج ومرج الى ان وصلوا الى البستان وقد كان بستانا من البساتين المعدودة للملوك الاكاسرة وهو كأنه روضة من رياض الجنان وفيه من الاشجار والرياحين ألوان وهى كأنها العرائس المجلية بأنواع الازهار مكسيه وقد تريح به ريحان وفاحت فاكهته والبان والرياحين قد بانت تحت جنباتها وتنقشت فلواتها واكتملت حال ايقاعها وقد أشرقت شقائقها وفاحت أزهارها وأينعت أثمارها وأسبلت بنور بخاجها وترنحت غصونها كأمواجها وأصول النسرين من جنباتها وروائح البنفسج من أبراجها ومقل النرجس قد فتحت عيون انزعاجها والربيع قد خلع على أغصان البان حللا قد حمرت فواضلها على الكثبان وهام الغصون قد اكتست التيجان ونمت خدود الرياض من شقائق النعمان وبسط الرياض قد تصبغت كما يشاء الرحيم الرحمن وظهرت أزهارها مختلفات الالوان فأبيضها يفوق أحمرها شقيق يميل به النسيم كأنه مثل نشان وكانت تلاقى الاغصان بالاغصان كأنها جوق رواقص وفى أرجلهن قيود من سلاسل الريحان والشمس تنظر من بين خلال الاشجار الى ذلك المكان ونظروا الى نحو الحدائق كما تنظر النيران (قال الراوى) وان أعجب ما فى ذلك المكان أن الارض ضاحكة بغير نطق لسان والسحاب لضحكها باكى حتى اذا تبسمت ثغور الزهر كمنظوم الجنان وبكى الجو لابتسامها بدمع هتان وطفح السرور من بعد الاحزان فمن عظم المسرة جرت الدموع من الاجفان والماء يسرع فى تدفقه والجريان وكلما مرت عليه الرياح مال تارة شمالا وتارة يمينا وتارة كأنه النعيم وتارة كأنه كوارع الغزلان فهو كما قال فيه أديب ذلك الزمان الذى حاز فضائل الاوائل وما زال يصف لهذه المعانى ثم أنشد يقول هذه الابيات

خلع الربيع على غصون البانى * حللا فواضلها على الكثبانى
وزكت فروع الدوح حتى صالحت * مقل اللبيب ذوائب الاغصان
وتوجت هام الغصون ومزجت * حلل الرياض شقائق النعمان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها * متباين الاشكال والالوان
من أبيض زاه وأصفر فاقع * مع أزرق صافى وأحمر قانى
والظل يشرق فى الخمائل نظرة * والغصن يخطر خطرة النسوان
وكأنما الاغصان سوق رواقص * قد قيدت بسلاسل الريحان
والشمس تنظر من خلال فروعها * نحو الحدائق نظرة الغيران
والطل فى حلل الكمال كأنه * حلل تفتق فى نحور غوانى
والارض تعجب حين تضحك والربا * تبكى بدمع زائد الهملان
حتى اذا اقتربت مباسم ثغرها * وبكى السحاب بمدمع هتان

ظلت

ظلت حدائقه تعاتب جوده * فأجاب معتذرا بغير لسان
فاض السرور على حتى انني * من عظم ما قد سرني أبكاني
والماء يسرح في التدافق كلما * عجلت عليه يد النسيم الواني
نورا كأعين الغزلان وتارة * متمثلا كأكارع الغزلان
فاصرف همومك بالربيع وزهره * ان الربيع هو الشباب الثاني
وختمت أقوالي بمدح محمد * خير الورى سيد ولد عدنان

(قال الراوي) ومازالوا في ذلك البستان وهم في أكل وشرب وغناء ولعب وضحك الى آخر النهار فركبوا وعادوا من ذلك المكان الى الايوان وعنتر راكب بجانب الملك كسرى أنوشروان وقد نصبت لهم الكراسي الذهب لاجل عنتر ودريد والملك النعمان ومن معهم من مقدمين العربان الكرام ولما ان دخلوا من الايوان نزلوا عن الخيول التي كان الملك كسرى قد أوهبها لهم وقد جلس الملك كسرى وأمر بالجلوس لسائر العربان وأما عنترفانه قد أجلسه بجانبه على السرير كأنه الاسد الزئير وقد صارت جميع الملوك جلوسا من ورائه وقد أحبه الملك كسرى وصافاه وجعله نديمه من دون رفقاه وقد قدم من بعد ذلك الطعام والشراب وحضرت الندماء والخواص من الاصحاب ودارت عليهم عند ذلك الكاسات من المدام وقد أخذ الملك كسرى قدح من الساقي وناوله لعنتر فأخذه منه وقربه واستبشر وانبش في وجهه وعند ذلك قام عنترناهض على قدميه وقبل يديه وشربه والسرور قد طفح عليه وناوله الى الساقي والملوك ناظرة اليه ثم ان عنتر أشار يمدح الملك كسرى ومجلسه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

قم ياند يم وزر مجالسة الكرى * بهجير يصفو الدور لمجلسي
اذما رأيت النور يشرق بالندا * والفجر ينصل من خضاب الحندس
والثوب في حلل الحديقة دائر * والغصن من حلل الازاهر مكتسي
والروض يبرز في غلائل لؤلؤ * والارض ترفل في غلائل سندس
لاتعدم اللحظات كيف تصرفت * وجنات ورد أولواحظ نرجس
والجو بين مكوفر ومصندل * ومسك ومورد ومورس
فكأنما وسع الاباطح والربا * بنوال كسرى لائح المتجنس
وكأنما نفحت حدائق زهرها * عن ذكره المتعطر المتقدس
ان الذين بجودهم وسماحهم * جبروا الكسير وسددوا فقر المفلس
الضاربين بكل أبيض مخدم * والطاعنين بكل أسمر مدعس
من كل أزهر في الغلاظة أفلج * أوكل أحور في العريكة أشرس
سلبت أكفهم المقايا والمنا * سكن الصواعق في الغموم الدحس
لله مجلسك المنيف قبابه * بمواطر فوق السماك مؤسس
بمواقف جبل المجرة تلتقي * فيه الجوارى بالجوارى الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل منهم كالنهار المشمس
عطفت جناياه وبرد سماته * عطف الاهلة والحواجب والقسى
واستبشرت عمل الرخام وزهره * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل جانب أهيف * وثراؤه من كل خد أملس

فلك يحير فيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مدنس
فبدا للحظ العين أحسن منظرا * وغدا لطيب العيش خير مفرس
وزها به قمر اذا ما اطلعت * شمس الخدود عليك ثم الاكوس
فالناس أجمع دون قربك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس
ملكت عطاياك الملوك بأسرها * أيضا وعم الكل ليث أشرس
فاسلم ودم في نعمة ورياضة * ومناصب من عظم باسك شوس
خذ من عبيدك عنترا بكرا أتت * تجلى بها أنوار ضوء المجلس
وختمت أقوالي بمدح محمد * من جاءنا بالدين مثل الاشمس

(قال الراوي) وكان عنتر كلما أنشد واعرب يتمايل الملك كسرى من شدة الطرب ويأخذ الكاس من ساقيه ويشرب لأنه كان في لغة العرب له معرفة وفصاحة في معرفة الادب ولما أن فرغ من انشاده له هذه الابيات فتعجب من فصاحته سائر من حضر من السادات فعندها نهض الملك كسرى قائما على قدميه وخلع كل ما كان عليه من الخلع ورماها عليه ثم انه أمر له بمال جزيل غير قليل فقال له يا عنتر وحق بيوت النيران وما فيهما من البرهان انك أنت فريد العصر والاوان في نظم الشعر وكل الفصاحة وملتقى الاقران في حومة الميدان وقد أتوا الحجاب للملك كسرى بقجة ثياب فلبسها وترك التاج والاكليل على رأسه وقد طابت له الاوقات بين جلاسه وقد دارت الكاسات وأردفوها بالطاسات الى أن عمل فيهم المدام وساروا كأنهم نيام (قال نجدة بن هشام) يا سادة يا كرام يا مستمعين الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الزحام كلما غرد القري وناح الحمام ولما ان انقضى ذلك النهار قاموا وخرجوا من ذلك المجلس وساروا للخيام الجميع وما في الحاضرين الا من خرج من المجلس وهو يميل فرحا وابتهاجا وهو يجر أذيال الحرير والديباج عليه وقد قدم لعنتر جواده الابجر وكان واقفا عنده من يخدمه من الخدام فركب وعادوا الجميع الى الخيام وكان عليهم ذلك اليوم لا يعد من الاعمار (قال المؤلف) وكان ذو الحمار في تلك الايام عند الملك النعمان لانه لما ان خاص من الاسر عاد اليه الا انه لما أبصر فعل الملك كسرى مع عنتر زاد به الحسد والكمد وقد جرى على قلبه ما لا يجرى على قلب بشر وقال في نفسه وحق الرب الاكبر لأدبرن في هلاك هذا العبد الاغبر ولد الزنا الافشر ولو تعلق بالسما ثم انه سار ينظره لما ان ركب الى جانب الملك كسرى ليحضر معه في الميدان ويحكم بين الرجال والفرسان وقت الطعان ويعود معه الى الايوان ولا يخرج الا بالخلع الحسان والغلمان فلاجل ذلك قد زادت عليه الهموم والاحزان وقد اشتد به الهيجان ومن عظم ما جرى عليه دخل على الملك النعمان وخدمه وقال له يا مولاي أما أنت قد وعدتني بالصلح مع صهري وريد لانني في كل وقت أن أراه أستحي منه فقال له الملك النعمان حيا وكرامه اركب معي اداركب الملك العادل الى الميدان حتى أصلح بينك وبينه وأدعه يهب لك خطاك ويسامحك في جناك واذا شئت أن تصالح بعده عنتر فافعل ولا تتكبر ولا تتعادى أهل السعادة فتخسر فقال ذو الحمار والله يا مولاي لقد كنت مغرورا بهذه الاشياء والآن فقد عرفتها وأولتني الغربة ولولا ذلك ما قصدت اليك وجعلت معتمدي عليك من دون عبيدك (قال الراوي) ثم انه ركب في اليوم الثاني في موكب الملك النعمان وقد حضر معه في الميدان وقد ركب الملك كسرى ومن حوله سادات خراسان وسائر الفرسان وقد سار الى الميدان واصطفت المواكب لطلب الفرجة على الطعان فعندها ادعا الملك النعمان بريد

ابن

ابن الصمه وعنتر وقد حدثهما بقصة ذى الخمار وسألهما لاجله أن يهباه خطاه وأن يسامحاه مما جناه
وقد عرفهما كيف انه قاتل بين يدى الملك كسرى حتى انه أسر مع جملة الاسرى ثم انه قال لدريد يا أبا
النظر أنت تعرف ان هذا الفارس الذى مثل ذلك البطل يجب أن يدارى ويحتمل ولا يؤاخذ أبدا اذا
بدا منه ذنب لان وقت الحاجة اليه تمحو فعاله من ذنوبه ويوهب له خطاه وعيوبه لاسيما مثل هذا
الرجل ذى الخمار الذى قد شاع ذكره فى سائر الاقطار وقربنا لك بمصاهرته المجد والافتخار ولا له فى
هذا العصر مقاوم ولا مماثل الا أن يكون هذا البطل الحلاحل الذى تهباه القبائل كلها وقد ذكر لى
انه قد لج فى براز عنتر وأنت تعانعه بالقضا والقدر وقد كنت يا أبا النظر تمنعه وتعذله وهو لا ينعذل وما
فعل ذلك كله الا حسدا له وكان جاهل بفروسيته وشجاعته وقد رضى من ذلك اليوم أن يكون له
صاحبا وصديقا فى الشدة والضيق ومازال الملك النعمان يتكلم بمثل ذلك الكلام الى أن استحى
دريد من الملك النعمان وعفا عنه وأما عنتر فانه قال والله يا ملك انى أنا أقل فارس يكون للعرب أتخذه
لى مولى وأتمنى له حاجة أقضيها له وانما هم يركبون معى طريق اللجاج ويتمنون لى أن أعود الى رعى
الجمال فى البيداء وهذا شئ لا يكون ولا يجرى ولا يقيت أفعله أبدا وان فعال ذى الخمار ما كانت
عندى خطأ لانه كان طالب البراز حتى ينال به الرتبة العليا فعنه من ذلك مولاى دريد على سبيل الاشفاق
على ما جرى منه وهذا أمر هين متى أراد منى أطعته عليه حتى يرضى لان لى فى براز الحظ الاوفر لانه
سيد ومقدم وأنا عبد راعى جمال وغنم فعندها تعجب الملك النعمان من مروءته وقال لله درك يا فارس
القبائل وجميع العربان ثم انه دعا بذى الخمار فأتى وهو راجل وتقدم اليه ولما أن حضر قال له
هاهو صهرك دريد أقبل عليه وقبل عينيه فعندها تقدم ذو الخمار اليه وقبل قدم دريد فى الركاب
وأظهر له الاعتذار والاكتئاب ثم انه بعد ذلك تقدم الى عنتر وأراد أن يفعل معه كذلك فحاطاوعه
عنتر بل ترجل له واعتنقه وتصالح هو واياه وقد عاد بعد ذلك مع دريد الى الميدان ووقف بين
الصفوف فرأى الامير عمرو بن معدى كرب يجول بين الفرسان وهو يطاعن الاقران ويركض فى
الميدان والملك كسرى كان قد خلع عليه خلعة سنية تصلح لامثاله وهو يتفرج على قتاله قدامه ولما
ان رأى ذو الخمار الى فعاله هاج بلباله وقد زاد اشتعاله فبرز بخيشه ومحاله فجال معه ساعة من النهار
وسطا عليه سطوة جبار وماتركه حتى انه أوهنه بطعنة تدهش الخواطر فعاد عمرو من قدامه وفى
أضلاعه منه علائم وآثار فبرز اليه عامر بن الطفيل فجال معه ساعة وقد علم عليه فعاد وبرز بعده اليه
ملاعب الاسنة وتجاول هو واياه وعاد من بين يديه من بعد ما غيبه ذو الخمار عن رشده وقد تراسلت
اليه فرسان بنى عامر فمنهم من عاد من قدامه الا خاسرا فرأى الملك كسرى فعاله فأعجبه قتاله
فسأل عنه الملك النعمان فقال له يا ملك الزمان ان هذا الفارس هو ذو الخمار الذى كان قاتل بين يديك
الروم والافرنج واسر الجموع بكثرة ثم انه أعاد عليه جميع ما جرى له مع قومه ومع دريد وقد أصلح بينهم
فقال له الملك كسرى نعم ما فعلت فى حقهما يا شاه زبان لان مثل هذا الفارس لا يفرط فيه ولا يهمل
أمره ولو فعل معه ما فعل ثم أنه قربه وأدناه وبفرسان العرب بالخلع ساواه وقد اركبه جنيبا من خاص
جنبه بمركب من الذهب وقلده بسيف مشطب وجمائله مثل شعاع الشمس يتلهب وقد تركه فى
ذلك اليوم عنده وجعله من بعض ندماه وأقام عنده ذلك اليوم بطوله ولما ان عاد من الميدان فما
خرج من عنده الا وقد أعطاه وأغناه ﴿قال الراوى﴾ ولما ان كان من الغد عادوا الى الميدان فعاد
الى العادة التى جرت للملك كسرى فى موكب الفرس الساده ووقف تحت الاعلام والازدهارات وقد
ترتبت الصفوف فى سائر الجنبات وخرج الى البراز من له بها عادات فبرز ذو الخمار على الجواد الذى

وهبه له الملك كسرى بمركب الذهب وجال بين صفوف العرب والعجم وكان قد برز فى ذلك اليوم برجلين
طعن بهما وتقلب على ظهر الجواد وقد أظهر ما أمكنه من فروسيته وشجاعته العجب وكانت الرماح بلا
أسنة فنقلها من يديه وعلقها فى الهواء وتلقاها وهى مثل الافاعى تتلوى ولما ان أبهتت بفعله النواظر
تقدم الى بين يدى الملك كسرى وخدم وعاد الى قدام الملك النعمان وعنتر واقف بجانبه وهو على جواده
الابجر وباس الرمح الواحد وأومأ به الى عنتر وقال له يا فارس الزمان ويا بطلا تبطل عنده حيل الشجعان
تقدم اليوم وفرج هذا الملك العادل بين هذه الصفوف والحافل لانه ما هنا من يشفى القلب بالطعان
سواك يا فارس الزمان واعلم أننى اليوم قد عولت أن أفتخر ببرازك ولقائك لانك أنت غاية الشرف لمن
لك اعترف ومنتهى المراد اذا بالغ الانسان فيك ووصف وسنانك يسبق الوصف ويأتى بالوهم
وحسامك فى أرواح الابطال سهم وبفهمك تعرف كل فهم ومجدك علا فى السهل وخص الك ثبت
لها الهما ﴿قال الراوى﴾ ومازال على مثل ذلك الى ان استحى عنتر من الملك النعمان ومن حضر من
الفرسان فأخذ الرمح من يده وأجاب لانه كان يتمنى ذلك ويشتهيه لاجل ما بات فى قلبه من فرسان
العربان الذين فضل بهم قدام عنتر ذو الخمار من جهة عامر وعمرو وملاعب الاسنة ومن يليهم من
فرسان بنى عامر الذين خجلهم بين القبائل والعشائر فأتاه الامر كما أراد بلا ملاججه ولا عناد الا انه أظهر
حلمه وخضوعه وقد كتم ما اشتملت عليه ضلوعه وقال له والله يا ذا الخمار لقد وصفتنى باوصاف أنت أحق
بها منى وأولى لانى أنا عبد وأنت المولى ولولا أنك طلبتنى وقد قصدت الفرجة ما امتثلت لك قولا
ولكن يا وجه العرب من يكون قصده الطعن والضرب بلا أسنة ايش يحتاج الى لبس الحديد
والصواب اننا نخفف عنا الزرديات والدثار ليكون قتالنا أفرح لعيون النظار وكان عنتر قد أراد بذلك
أن يوهن مقاتله بالطعن ويعرفه قدره حتى يكف عنه شره لاننا قد ذكرنا كم لج ذو الخمار فى براز عنتر
والاسباب تمنعه بالقضا والقدر ولما ان كان فى ذلك اليوم غلب على رأيه وقد استحى من الملك
النعمان وعلم ان ذا الخمار يعود بجه الى خسران لان ذا الخمار قال لعنتر والله لاخرجت اليك الا
عريان الجسد على جواد أجرد فقال له عنتر هذا هو الصواب والانصاف الذى يعرف بين الملوك
والناس من الرجال الاشراف والابطال المعروفين بين قبائل العربان (قال نجد) ثم انهم بعد ذلك
الكلام كشف كل واحد منهم ما راسه وقد خفف حديده ولباسه ثم ان عنترا سار فى ثوب خام قصير
الاكمام وقد أخذ فرسا لكن من الخيل الجياد وأرمى من عليه السرج والحزام وقلع من رجليه
المهاميز ووثب بعد ذلك وصار على ظهره كأنه أسد من الاسود وذو الخمار لا يصدق بذلك لان فى
قلبه من حسد عنتر حرارات ثم انهما برزا الى الميدان الاثنان ولما تقاربا جال عنتر وسار وأنشد وقال

تروم اليوم فى البيداء قتالى * لقد منتك نفسك بالمحال * فعد يا ذا الخمار ودع كفاحى
فانى قد نصحتك فى مقالى * وراجع لا تريد لنقص حظى * كنقص البدر فى وقت الكمالى
ألم تسمع مقارعتى وحربى * وشدة ساعدى ثم اغتيالى * فكم أرديت من بطل همام
بطعن الرمح فى يوم النزالى * وكم جرعت كاسات المنايا * بحد البتر والسمر العوالى
فلى قلب على الاهوال جلد * وفى حمل الشدائد ذو احتمالى * فلو أتت الجيوش الى زحفا
وأطلقت الاعنة لا أبالى * فيا عبل اسمعى بفعال عبد * بذل لسيفه نعم الموالى
فانك ان ذكرتى يوم حربى * وضربى باليمين وبالشمالى * فشخصك ثابت فى نور عينى
ثباتا ليس يمحى بالزوالى * وانك لو ترين اليوم فعلى * لكنت تعجبى مما جرى لى
وموقف ذى الخمار يريد حربى * ويرجو أن أرى مر النكالى * ففى جزع الطواف غداة أضحى

يريد

يريد الحرب بالبيض العوالى * وقد خليته فى الارض ملقى * وأيقن انه أدنى رجالى
فعاد بهز عطفيه افتخارا * وقال ابر زسريعا للجالى * وقلت ألق السلاح فان شرطى
أكون من السلاح اليوم خالى * وأرجو النصر من رب كريم * مدى الايام ماعشت اتكالى
بهمة مالك الاقطار كسرى * ومن فى الفخر يكبر عن مثالى * مليك عادل قد حاز فخرا
بما قد حاز من رتب المعالى * أنا ملك جبرت اليوم كسرى * وأسرعت العطا دون المطال
وقد أتحفتنى بجزيل مال * وأصناف الجواهر واللآلى * ونعمان الجليل القدر فينا
لقد حاز المكارم بالنوالى * وقد شاعت مكارمه جهارا * وسرافى الانام بلا سؤالى

(قال الراوى وهو الاصمعى) ثم انهما بعد ذلك الشعر والنظام وما قد زاد بينهما من الكلام صرخا صرختين عظيمتين صرت لهما الخيل آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانها وبعدها انفصحا عن بعضهما كما تنفصم الكباش الى النطاح ثم انهم عادوا وقد جردوا السيوف الصفاح وقد جروا عوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح الى أن أذهلوا العقول الصحاح فكان لهم ساعة تقشعر لها الجلود وتذوب من شدتها الكبود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود ويعرف الانسان منها حرارة العدم من حلاوة الوجود ثم انهما التصقا التصاق جبال وادى زرود وقد تطاعنا طعنا أحر من الجمر الموقود وقد ظن الحاضرون ان كلا منهما مفقود ثم انهما افترقا بعد ذلك افتراق جبال وادى الاخدود وقد تقلبا على ظهور الخيل وهم بالسروج الى أن تعلمت الابطال منهما حقيقة الدخول والخروج فلله درهما من فارسين ودرما كان تحتهما من جوادين لانهما قد أظهرا بواطن الخداع فى مقام القراع وقد خيل للناظرين ان فرسيهما من أملاك الافلاك أو كأنهما من شياطين الجان الذين لا يفزعون من الهلاك فى مقام الارتباك (قال المؤلف) وبعد ساعة من النهار قد نتجت من بينهما طعنتان وقد سمع لهما صيحتان عجيبتان فأما طعنة ذو الخمار فانها كانت بحنق وعجل فخلالها عنتر وقد صيرها باطلة وأما طعنة عنتر فانها كانت بمعرفة وفروسية وخبرة وصناعة فاحس بها ذو الخمار الا وعنتر يقول له خذها بايسبع من كف فارس لا يخشى مال ولا ريع وقد وقعت تلك الطعنة فى أضلاعه فغيرت أحواله وأدهشت طباعه الا أنه اظهر الصبر والجلد وأخفى الوجد والكمد واستحى أن يطلب الانفصال والاقاله وقد طاب له الموت ولا ينفصل أمرهما على تلك الحاله ومن عظم ما أهابه وجرى عليه رمى الرمح من يده وقد جرب الحسام وطلب به عنترا وتقدم اليه وكان عنتر أيضا قد اغتاظ واشتد به الغضب وخجل كيف طعن ذو الخمار وما انقلب فعاد اليه عودة الاسد الحردان وأراد أن يطعنه ثانى مره برميه فى الميدان فضرب ذو الخمار رمحه فبراه وزعق فيه وفاجأه فسل عنتر حسامه وحمل عليه وصاح وقد عاد الامر بينهما جدا بعدما كان مزاح وخديعة وانشراح ثم انهما تضاربا بالصفاح فى بواطن الارواح وكان الملك كسرى يتفرج عليهما والملك النعمان ومن حوله من الفرسان ويتعجبون منهما وقد تقدمت الشجعان من كل جانب ومكان لا يفوتهم النظر الى مثل هذه العجائب وقد اشتهوا أن ينظروا المغلوب من الغالب والملك كسرى قد أهاله ما جرى وخاف على هذين الفارسين لانهم من جبابرة الشجعان (قال المؤلف) فالتفت الملك كسرى الى الملك النعمان وقال له يا ملك افصل بين هذين الاسدين لئلا يحل بهم العطب ويشمت بهم العدو والحسود وتحدث بينهما الحقود فما مثلهما من نفرط فيه حتى تصل الاذيه اليه وكل من فقد منهما تأسفنا عليه لان هؤلاء أساس الدولة وما منهما الا من له على الاعداء حرمة وصوله ونحن أحوج ما يكون اليهما ونعول فى الامور عليهما وان داما على مثل هذا الحال فما يتخلص أحدهما من صاحبه الا وقد حل به الوبال فبادر وافرق بينهما قبل أن

تصل الاذيه اليهما (قال الراوى) فعند ذلك حرك الملك النعمان جواده وركض وقد طلبهما وقد حركت من حوله المقدمون من الفرسان وركضوا من خلفه الا أنهما ما خرجا من تحت الاعلام حتى خرج عنتر من الميدان فلاقاه دريد فرآه وهو يهمهم ويدمدم ويزمجر ويبربر ويزنقر وفى كفه الحسام فقال له يا أبا الفوارس أين خصمك ذو الخمار فقال انظره هاهو ممدد تحت الغمار فقال له دريد لا بحقك يا أبا الفوارس لا تقول ذلك المقال ولا تفعل هذه الفعال لانك والله مالك فى هذا الزمان مقايس ولا مماثل فقال له عنتر والله يا مولاى أنا ما طلبت ان هذا يكون ولا أشتهى ذلك فى الاول ولا تعرضت له ولا كنت عليه معول وانما هو الذى أتى الى وأبلانى بروحه وكان لى مشاقى وأنت تعلم انه تقدم بين يدى وناولنى الرمح بين تلك الخلائق وكان ذلك بحضرة الملك العادل كسرى والملك النعمان وقد أقسم على بالرب القديم خالق الزمان فعند ذلك استحييت من العربان وخرجت اليه وما كان فى ظنى أنه يفعل هذه الفعال وانه يريد أنه يفرج الملك العادل كسرى والملك النعمان ومن هاهنا من الابطال على ما يجرى بيننا من الضرب والطعان ويرتفع بذلك قدره بين الفرسان وما علمت انه يريد هلاكى واذلالى ويبذل المجهود فى حربى وقتالى والصحيح عندى حقيقة ذلك طعنته تلك الطعنة وجاءت هى باطلة فقلت انه يرتد عما هو عليه ويطلب الاقاله ويكف شره عنى فما فعل الا انه جرد سيفه من غمده وعلى قد حمل وزاد حقده وعناده وقد ضرب رمحى بسيفه أبراه وقد طلب قتلى كما رأيت بين هذه المواكب ولما ان علمت أحواله وانه يريد هلاكى أنزلت به المصائب وقد ضربته بالحسام صفحا على رقبته فوقع الى الارض فابسط لى العذر يا أبا النظر وأحمد الرب القديم حيث ما عجلت قتله وأنت تعلم انى بليت من هذا الرجل ببلاء ما قدرت على دفعه الا بركوب الخطر والتجرى بين يدى هذا الملك العادل على هذه الامور المنكرة فقال له دريد وحق البيت الحرام يا أبا الفوارس ان عذرك واضح ولكن لعلو قدرك أنت مسامح وأجل مكافح وأما هذا الرجل مما كنت أشتهى الا انه يبقى طعاما لسائر الوحوش أو الجراد فى عرصات الفلا لانوله الله ما يؤمله وما يشتهيه (قال نجد) ثم ان دريدا بعد ذلك الكلام دنا من ذى الخمار وقرب منه فرآه قد قام من على الارض وهو ينفض من على رأسه الغبار وهو لا يبصر ما بين يديه من شدة ما قد جرى عليه فقال له دريد ويلك يا ابن العم أنا قلت لك ألف مره لا تعارض القضا والقدر ولا تعاد رجلا مسعودا فتخسر وقد انفضحت بين هذه الامم وقد صرت مثلا بين العرب والعجم فقال له ذو الخمار لا تلمنى يا دريد على هذه الفعال المنكرة فان الذى جرى على قد جرى من قبلى على فرسان العرب مثله وأكثر وان الفارسين اذا التقيا فى الميدان كانا على غاية الخطر ولا بد لاحدهما أن يرجع على صاحبه والآخر يخسر فقال له الملك النعمان يا سبيع ان بينكما تفاوتا كثيرا لانه قد روعنا وقد داوى من القلوب أمراضها وشفى قال ثم انهم بعد ذلك أخذوه وأتوا به الى الملك كسرى فأمر الملك النعمان أن يصلح بينهما ففعل ذلك ثم ان الملك كسرى أخلع على الاثنين وسألهما هو والملك النعمان أن يزيلا ما فى قلوبهما من الحقد والغيظ كله وقد قال الملك كسرى اعلموا ان حلاوة صلحكما على تكون فى بعض الثرى فى غداة غد ثم انهم رجعوا من الميدان ونزلوا فى الخيام والناس ليس لهم كلام الا فى عنتر وذى الخمار الفارس الكرار قال ولما ان كان من الغد ركب الملك النعمان وسار الى الملك كسرى لينظر حاله ثم يحضرهما الى بين يديه ليكون تمام الصلح عنده كما أمر فى البستان فرآه قد اشتغل فى تلك الساعة بكتاب قد وصل اليه من خراسان وقد تقدم الوزير البزرجمهر وقرأه عليه حتى يثبت تلك الامور كلها فتقدم الملك النعمان ووقف يسمع ما فى الكتاب لينزل ما فى قلبه من الارتياب واذا بخيل قد أقبلت من ناحية الحجاز تركض

وهى

وهى متتابعة وغبائرها متزايدة وهى مرتفعة والهبوط طالعة ولما ان أبصرتها العرب ركبوا وقد أطلقوا نحوها الاعنه وقوموا الاسنه ثم تلقتها عند ما قربتها وكشفت عن أمورها وتبينتها واذا هى من جملة الخمسة آلاف فارس الذين مع السبى قد أرسلها عنتر فلما حضروا بين يديه قال لهم عنتر وقد عرف انهم انهزموا وأتوا نحوه شاردين واليه طالبين ياويلكم هل التقى بكم الحارث صاحب دمشق وأخذ ما كان معكم من السبى والمال وخلص منكم الحريم والعيال فقالوا له أى والله يا أبا الفوارس التقانا وما كان لنا به طاقة ولا قدر نا له نقايس فسلمنا له ما كان معنا وقد هر بنا منه وعدنا الى نحوكم طالبين فقال لهم عنتر أفقتل منكم أحد لما ان التقاكم وأنزل بكم الردى فقالوا له ما قتل منا الا نفرا قليل لان عساكر الشام قد القتنا عند الماء وقد منعونا عن النزول وما كان لنا على لقاهم من سبيل ولما أن لاحت لنا صلبانهم وعلمنا أن عددهم زائد فاستشورنا فيما نفعل فما رأينا لنا أصوب من النجاة فنجونا وقد تركنا كل ما كان معنا من المال والحريم والعيال وما ظفروا منا الا بمن قصر جواده وكان قد دنا أجله وعدم رشاده ومن بقى قد غاص فى البر وطلبوا أحياء العرب وكانت النجاة لهم غاية الارب وما فينا من سأل عن صاحبه ولا الى نواحيه قد طلب وانما نحن كانت خيلنا جياد فرمتنا بعد ما نجت بنا الى هذه البلاد وقد وصلنا ونحن فى هذا الحال وقد ساءت بنا مما قاسيناه الاحوال لاننا قد حسبنا حسابك لما أن تشتتنا فى الآفاق وقلنا ما التقانا صاحب دمشق الا وعساكر الروم قد رحلت من العراق وهناك نلتقى أصحابنا ونشتكى اليهم ما قد حل بنا وما قد أصابنا فقال عنتر وقد عظم عليه هذا الخطاب والله لا تركت ديار بعد ذلك الاخراب يعوى فيها البوم والغراب ولا فودنه الى أرض الحجاز قود الكلاب ثم انه طيب قلوبهم وقد حدثهم بحديث الرهائن التى هى معهم وكيف انه ظفر بعساكر النصرانية فى الطريق وكيف انهم خلصوا بنى عامر من الهلاك والضيق والقصة التى جرت لهم من أولها الى آخرها وقد شرح لهم باطنها وظاهرها وكان أكثرهم من فرسان بنى عبس والباقين من بنى غطفان فطابت قلوبهم وانشرحت منهم النفس وقد نزل الجميع فى الخيام ودارت بينهم المشوره والكلام وقال عنتر اعلم ان الملك ما يغدر بنا ولا يحنث فى الايمان التى حلفتها له الرهبان وان الرهبان الذين عندنا كلهم خواص دولته ولكن قد بقى فى القصة شئ آخر وهو انا ما ندرى على أى طريق يسير ونحن كنا نقتفى منهم الآثار فقال اذا كنت حائرا فى هذا الامر فأقم أنت هاهنا من يومك ويكون معك نفر قليل من قومك وخل باقى العربان تسير الى أرضها وتلتقى بأهاليها واذا وصلوا اليهم واجتمعوا بهم يرسلوا اليك ويعلموك بالامور وما فيها وتعلم أهل دمشق برهائن دمشق حتى لا يصل أحد الى الاسارى بحال من الاحوال واذا أطلقوهم أطلق أنت الآخر الرهائن من الاعتقال وذلك بعد ما يسير اليك قومك ويعلموك عن يقين فأنت تطلقهم وترسلهم الى أهلهم سالمين فقال الملك قيس ما بعد هذا الكلام الا الفعال ونحن مطيعون لك فى كل ما تأمرنا به من الاحوال فقال عنتر لدريد الصواب عندى يا مولاى ان تسير من هاهنا الى أهلك لان قصتنا طويله وما نشتهى أكثر من هذا التعب الذى تعبته معنا بحكمك لانك قد تعبت معنا تعبا شديدا فى هذا العام وسرت معنا الى بلاد الشام وان لنا فى عودتك الحظ الاوفر والرأى الاكبر لاننا خلينا حريمنا عندك وهم مختلطون فى جبال بنى غزيه مع أهلك وجندك والى الآن ما سمعنا لهم خبرا ولا أتانا منهم أحد ولا ظهر لهم أثر والصواب رجوعك اليهم فى جميع الامور ويكون نظرك عليهم وهو على كل حال أصوب والرواح الى هناك من قعادك هنا أوجب فقال دريد والله يا أبا الفوارس ولو انى أقضى باقى عمرى فى حوائجك أنا وبنى جشم فلا نجد لذلك تعبا ولا ألم ولكن أنت بالاحوال اعلم وأنا على المسير كنت قد

عولت قبل ماتشير به وتتكلم لانى قد رأيت فى ذلك الصواب من وجوه عديدة أحدها انى أفرج عن قلبك هذه الشدة والثانى انى أتحمل عن قلب الملك لاننا فى جمع كثير نريد كلنا الزاد والعليق والثالث نزعاً على الاموال والعيال الذين تركناهم فى الجبال والرابع لاجل ما جرى بينك وبين ذوالخمار من القتال وأنا خائف من شره ولجاجه ونكاده وغدره وان يفعل شيأ يبقى فيه العار لانى أعلم أن الشر والغدر من بعض مساويه فحمده عتر على ذلك وعلم انه قد نظر موضع النظر وشكره مع جملة من شكر وقال له يا مولاى اذا كان الامر كذلك فخذ معك أخى مقرى الوحش فى مائة فارس من قومنا حتى يصير بابنة عمى وزوجته مسيكه وبقية الحريم الى أرضنا فقال دريد افعل ما تريد وتختار ثم أخذوا أهبتهم فى ذلك اليوم ومن الغد أصبحوا معولين على الرحيل الى الديار وكذلك عساكر الفرس والديلم وأيضا عساكر الترك والعجم لان الملك كسرى كان قد وصل اليه كتاب بأخبار عن بلاد خراسان وان كانت الترك قد أفسدت من البلدان فقال للوزير البزرجمر والوزير الموبذان افتحوا الخزائن واخلعوا على الولاة والاجناد وردوها الى أماكنها لتحفظ ما تحت يدها من البلاد ففعلوا ذلك الامر وانبرم وأصبحت تلك الارض ترتج برحيل العرب والعجم ودقت عند ذلك الطبول وصهلت الخيول وزمرت البوقات وارتجت الجنبات من سائر الجهات (قال الراوى) وكان فى ذلك اليوم دريد والملك قيس وعمرو بن معديكرب وفرسان بنى عامر وسادات بنى غطفان قد اجتمعوا ودخلوا عند الصباح على الملك النعمان وطلبوا منه الاذن فى الانصراف لانهم قد اشتاقوا الى ديارهم والاوطان فقال لهم اصبروا حتى آخذ لكم الاذن من الملك العادل كسرى أنوشروان ثم انه قام من عندهم ودخل عليه وأعلمه بأن الناس قد قلقت من المقام فى هذه الديار وقد أرادوا الرجوع الى بلادهم وهم فى قلق عظيم فقال له الملك كسرى ان خزائن الاموال أصبحت مفتحة فافعل فيها ما تريد ولا تترك أحدا من العربان يمضى الا رهوشاكرا لنا لانهم هم الذين دفعوا عنا عساكر النصرانية ولا تدع أحدا منهم فقيرا ولا غنيا الا وترضيه بالمال والنوال فدعا له الملك النعمان وخرج من عنده وأتى الى قبائل العربان فخلع وأعطى ووهب وفرق عليهم ثياب الديباج والفضة والذهب الاعتر فان الملك كسرى قد قال له لا تدعه يرحل مع قومه ولا تأذن له فى الرحيل ولا تخلع عليه حتى تتفرغ قلوبنا وتصفو منا الاسرار ونشبع منه ومن منادمته وبعد ذلك نرسله كما يحب ويختار وزاده انه يكون مقيما على عهدنا بقية الاعمار ففعل النعمان تلك الامور التى قد وصفها له وقد رحلت تلك العساكر التى ذكرناها وما فيهم الا من رحل وهو شاكر وداعى له وللملك كسرى ولدولته بالدوام وكذلك عساكر الفرس ومرازبة الاعجام وملوكها وساداتها الكل على التمام (قال نجيد بن هشام) ثم رحلت العساكر يقتلون بعضها بعضا وساروا وقد ارتجت من سائر جنباتها الارض من شدة الركض وهم فرحى بما أولاهم الملك كسرى على يد الملك النعمان وما صنع معهم من الجميل والاحسان الكامل وما أمسى المساء الا وصارت تلك الارض ساكنة بعد ذلك الزلزال وخزائن الملك كسرى أصبحت خالية مما صرف من المال وكان بجار قد أعاقه أيضا الملك النعمان لانه قد رأى ما أعجبه منه مع الفرسان وكان أيضا حسن الثياب مليح المنادمة فصيح الخطاب شجاع فى الحرب اذا اشتد المصاب وكان فيه عقل وأدب وقيل ان الملك النعمان قد اصطفاه لنفسه وجعله صاحب الحجاب وقد وعده أن يزوجه بابنته الرباب ولما ان خلا بال الملك كسرى وحلت عنده الافراح واطاب الاكل والشرب مساء وصباح وقد صار عتر عند رأس ندماه الخاص وما يجد له عن مفارقته بدا ولا مناص وكان من جملتهم الملك النعمان وجار والمقدمين من الاعاجم والاكابر

وكانت

وكانت كل مجالسهم تنقضى تارة بضحيح الاغانى وتارة يتحدثون مع الملك كسرى ومن حضر
لحكايات فرسان الاقطار وما يجرى لهم من الاحاديث والاخبار وما زالوا على مثل ذلك الى يوم من
بعض الايام فبينما هم جلوس يتحدثون فى أمر الفرسان فأطنب جار فى وصف ذوالخمار وقد فضله
على سائر الفرسان الكبار فاغتاظ الملك كسرى من نقله لتلك الاخبار وقد زعق فى جلبابه والتفت
الى الملك النعمان هو ومن حضر فى ذلك المجلس من الشجعان وقال يجوز أن يمدح فارس أو يذكر
اذا حضر أبو الفوارس عنتر فقال الملك النعمان أيها الملك الرفيع الشان وحق مكون الاكوان
وخالق الانس والجان ما فى زماننا اليوم أخبر منه بأمور الحرب ولا يوجد مثله فارس ثانى لا فى الشرق
ولا فى الغرب ولو كان له نسب صحيح وكرم صريح لكان قد ساد على العرب والعجم فقال عنتر لما ان
سمع ذلك الكلام بعد ما اغتاظ وامتلأ قلبه حقدا وفاض يا ابن المنذر أما نسبى فقد صح عند كل
العرب ولا ينكره الا كل جاهل لا يعرف له أدب وأما ذكرك لى بالبخل فما أنا بخيل فكيف انك
تنسبنى الى شئ ما هو جميل فقال الملك النعمان لا تحرد يا أبا الفوارس ولا تخرج خلقك فوالله
ما قلت هذا القول مذمة لك ولا انحطاطا لقدرك وأنت أكرم من غيرك ولكن فى العرب من تفرد
بعلو النسب والكرم كما انك أنت قد تفردت بالفروسية على سائر الامم فلما سمع ذلك الكلام سكن
ما به من الغيظ والغضب وقد اشتهى أن يعرف من هو أكرم العرب ومن هو ذلك الذى قد تفرد من
بينهم بالنسب وصار يتفكر فى معرفته لذلك السبب فقال الملك كسرى يا نعمان اعلم ان شجاعة هذا
الرجل الذى هو أبو الفوارس عنتر قد عرفناها وأبصرناها بأعيننا وقد شهدناها مرارا ونحن نشهد
لها بها وانه قد بلغ من كل الفروسية حد المنتهى ولكن أخبرنا أنت من هو الذى أكرم العرب ومن
هو الذى قد اشتهر بعلو القدر والنسب على ان النسب عندنا ما يحط قدر الرجل فى أعماله ولا يرفع
قدر الرجل الاشجاعته وقتاله وملاقاته لاقرانه ومن يروم حربه ونزاله وعناده (قال المؤلف) فعند ذلك
الخبر قبل عنتر كلام الملك كسرى وقد انشرح فقال الملك النعمان اعلم أيها الملك انك أنت الملك
الهمام ان فى زماننا هذا ثلاث رجال قد بلغوا المنتهى بين العرب فى الشجاعة والكرم وعلو النسب
فأما من كان صاحب الحسب والنسب فهو عبد المطلب قاضى العرب وهو الذى يفتخر بأجداده
وحاكم العرب يعجز عن فصاحته كل من مشى على قدم وأما الثانى الشجاع القرم المناع الذى ليس
له مثال فهو هذا الرجل أبو الفوارس عنتر بن شداد لانه قد علا بشجاعته على سائر الفرسان
والاجناد وقد حاز طرفا من الفخار على كل من افتخر وما ترك لفارس فى هذا الزمان ذكرا يذكر وأما
الثالث فهو رجل قد نشأ فى العرب وهو ذو حسب ونسب يقال له حاتم طى وقد حاز الجود
والكرم ولا يوجد مثله فى سائر الامم لانه يؤثر بقوته ويعيش يومه وليلته على العدم ولم يجد لذلك
مشقة ولا ألم وقد بلغنى انه فى البزل والقناعه مثل أبى الفوارس عنتر فى الفروسية والشجاعه لانه
يحب بذل المال كما يحب عنتر الطعن بالسمر العوال والضرب بالبيض الصقال فقال الملك كسرى
وقد تعجب من ذلك المقال أما نسب عبد المطلب ثم فصاحته وشرفه فقد ثبت عند كل الخلق وقد
شاع ذلك فى أقصى الغرب والشرق وأما شجاعة عنتر فقد عرفت بما فعله فى تلك الوقائع واشتهرت
وأما كرم حاتم طى فما بلغنا من فعله شئ وأنت قد فضلته بما نسبته له على سائر الرجال فحدثنا أى شئ
قد رأيته من كرمه حتى استحق عندك هذا المدح وهذا المقال فقال الملك النعمان أنا أحدثك أيها
الملك بحديثه من حيث نشأ ثم أقيم الدلائل والبراهين على انه أكرم أهل زمانه ممن على الارض
مشى لان خالق الارض والسماء يدبر ملكه كيف يشاء ثم انه قال اعلم أيها الملك ان هذا الرجل قد

ورث الكرم من أمه وقد علمته اياه فى عهد الرضاع وقد خالف أباه فى الفعال والطباع لان أباه كان ابخل من الكلب وأحقر وأمه كانت فى قومها أكرم من كل أنثى وذكر وقد كان زواجها به من أعجب العجب لان الجمع بين الاضداد لابد له من سبب والسبب فى ذلك كان أمر الطيفا لان أم حاتم كان اسمها عفيفه بنت عفف وكان أبوها قد مات وخلف لها مالا جزيل وكان ذلك من الجمال والنباق غير قليل وكان كل من قصدها أعطته وكل من استوهب منها شيأ أوهبته فلما ان رأتها اخواتها تبذل المال على الطارق والقاصد منعوها من ذلك وحرجوا عليها وضيقوا أمرها الى ان عظمت عليها المساءة وذاقت مرارت الجوع والفاقه وسوء الحال وقالوا ربما أنها تكون بعد ذلك الحال قد عرفت قدر المال وتابت عما كانت تفعله من الفعال فأعطوها قطعة من النوق والجمال لعلها ان تعيش فيها وفى البانها وتأكل مما يأتى منها ويطعمها الله من فضلانها ولما أن صار المال بحكمها وترى فيه برأيها وقد علمت انه تحت أمرها ونهيها طاب بذلك قلبها وهدى لبها وسرها وقر قرارها ولما كان فى يوم من بعض الايام قالت الى متى يكون ذلك الامساك على المال والبخل على الضيفان وما هذا شيم الكرام (قال المؤلف) فبينما هى فى هذه الامور وهى الى أموالها تحسب وعلى اخراجها للاضياف تعزم اذ أتتها امرأة فقيرة من بنى هوازن وكان لها عليها رسم فى كل عام تدفعه لها وكانت تقصدها وما تعود من عندها الا وهى غنية من عطاها ولما ان أتتها فى هذه المرة قالت لها اعذرينى فى هذا العام ياحرة العرب فان اخوتى قد عادونى وحرجوا على وعلى مالى من الاموال وما بقيت أقدر الا على مائتين من النوق والجمال فخذيها واستعينى بها فى بقية زمانك فقد علمت بالحال فان احتجت شيأ فاستقرضى على لعل اخوتى أن يرزقونى ببعض الرجال ويملكون مابقى لى من الاموال فشكرتها تلك المرأة شكرا زائدا على تلك الاحوال وقد ساقت بين يديها ما أعطتها من النوق والجمال وعادت الى حيها وهى فرحانه بما ساقت من الاموال فبلغ ذلك الى اخواتها وما فعلت من الفعال فاتوها وسبوها وقد قالوا لها ياويلك يابنة القوم الاندال قد بددت على أوباش العرب مالك من الاموال وقد ضيعت مالك ونوقك وجمالك ولا تركت لك جملا ولا ناقه أما علمت أن عاقبة الاسراف تؤل الى الوبال ثم التلاف ويكون عاقبته الفقر والفاقه أما أذلك الجوع الذى ما يجد الانسان لدفعه من طاقه فقالت لهم وقد بكت أى والله ياالاخوتى لقد ذقت مرارة الفقر والتقتير ولهذا قد صار قلبى يرحم من يقول أنا جائع أو فقير فأعطيت على قدر ما املك قليلا كان أو كثير ثم انها قد زادها البكا فأنت أنين التعلل والاشتكا وأنشدت وجعلت تقول هذه الابيات

لعمرى ماقد عضنى الدهر عضة * وعلمنى لا أمنع الدهر رجائعا
وماذا عساكم أن تقولوا لاختكم * سوى عيبها والعيب مازال ضائعا
وأنتم ترون البخل طبعا وانى * أرى كرمى للقاصدين طبائعا
فان كان ذا عيبا فهاالعيب عندكم * وكل امرئ يبدى الذى فيه شائعا
وان سخا الانسان يعلو مقامه * وان دام بخل صار للخير مانعا

(قال الراوى) فلما سمع اخواتها منها هذه الابيات أخذتهم الحيرة والانبهات وقد خافوا أن تسمع عنهم هذه الامور القبيحات فخرجوا من عندها وقد تركوها على حالها وصاروا يتشاورون فيما يدبرون من شئ يكون سببا لحفظ أموالها فقال الكبير فيهم اعلموا الى أشير عليكم برأى ان فعلتموه يكون مليحا فقالوا له وما هو فقال لهم وما ذلك الا أن نزوجها برجل يكون بخيلا ليحفظ عليها ما لها وما تملكه والا ان دامت على مثل هذا المال فهى تضيعه وتهلكه ولا تبقيه ولو كان من كان من الرجال

قال

قال ثم انهم أيها الملك أجمعوا رأيهم على رجل يقال له سعد وكان هذا الرجل أبخل أهل زمانه وأزراهم جالا من حين نشأ ما أوقد نار ولا عزم على جار ولا ضحك ولا تبسم ولا عبر على أحد أو لم ثم انهم أيها الملك سارو اليه وطلبوه لاختهم فتعجب من تلك القسم وقد قال في نفسه واعجباه والله ان هذه الجارية قد خطبها سائر ملوك بني طي وقبائل معن وزبيد وما أنعموا بها اخواتها الى أحد و يأتوا لي مثلي انا ثم يخطبونها لها ان هذا العجب ولكن السعادة اذا أقبلت للانسان لابد أن يكون لها سبب فعندها أجابهم الى ذلك فزوجوه بها اشدة خيفتهم عليها فلما دخل عليها أبصر منها درة الغواص وظبية القناص فتملى بها ومن ليلة دخل بها علقت منه وقد قاست في مدة الحمل من بخله ومن خلقه ما لا يسئل عنه الى أن كملت أشهرها وساعتها فاشتهت الموت ولا تكون تعد بين النساء وقد قعدت على يد القابلة التي قد أتتها وهي تدعي على اخوتها وعلى نفسها بانقضاء مدتها ولكن ارادة الله تعالى أغلب من ارادتها فوضعت غلاما ذكرا بلا صيحة ولا زعقة ولا ألم ولا مشقة فسمته حاتما وذلك بزعمها وتعني بذلك ان الله حكم عليها من مقاساة ذلك الزوج بهمومها وغمومها ثم انها لما وضعته حنت عليه وقد صارت تربيه الى أن كبر وخرج عن حد الرضاع وقد بانت فيه علائم أخلاق مكارم الطباع فكان ولدا لعوبا بشوش بوجه كانه الدينار المنقوش يتكرم بزاده على أقرانه وكلما وقع في يده شئ من البيت يوامي به جيرانه و يضحك لكل من يناديه باسمه ويجمع الصبيان حوله ويعطي لكل واحد منهم قسمه ويوهبهم ما يكون عليه من الثياب ويوادهم ويؤانسهم بنفسه ويحسن لهم الخطاب وكانت أمه كلما رأته يفعل تلك الفعال الملاح ما تسعها الدنيا من كثرة الافراح وقد صار أبوه يدعو عليه وعلى احواله و يندم كيف انه أجابهم الى الزواج ويصبح ويمسي في هم وانزعاج وكانت أم حاتم كلما أبصرت أباه من ذلك ينغاظ وينكمد علمت انها ما يزيده حسرة وكمد وقيل أن أباه أتى يوما من بعض الايام فرأى حاتما قد نقل كل ما في البيت من الزاد والطعام وقد جمع جماعة من صبيان الحي وصفهم من حواليه ومد لهم سماطا فجعلوا يأكلون ويمرحون و يثنوا عليه قال فلما رأى أبوه الى زاده يؤكل اسود في عينيه السهل والجبل ومن شدة ما جرى عليه صار لا يدري ما يفعل الا أنه طلع على رابيه عاليه وكشف رأسه وصاح ونادى وقد جعل يلوي بعمامته و يستغيث بأهله وأناسه وينادي يا أهل جبلة البدار البدار انجدوني على ما نزل بي من المصائب كلها والاضرار والحقوني فقد ذهب مالي كله وقد ساءت بينكم أحوالي قال فلما سمع أهل الحي صياحه وعرفوا مقاله ورأوه وهو يلوح بعمامته لبسوا السلاح وركبوا الجرد القداح ثم انهم بعد ذلك قد طلبوه من كل جانب ومكان وركضوا بالخيل حتى انهم قاربوه فلم يروا حوله الا الصبيان ولكن لما ان قاربوه فقالوا له ياسعد ما حالك وايش هو الذي جرى عليك ونالك أين الخيل الغائرة التي جاءت لاموالك فقال لهم ما هنا خيل ولكن ما هنا الا الملا والكرب والويل وما هنا الا أولادكم وقد أخذوا زادي وأكلوه فانظروهم قد داروا حول ولدي ونهبوه ولم يخافوا الله في حالي ولم يراقبوه وان لم تنهوهم عن هذه الفعال والا رحلت عنكم ونزلت في أعلى قرون الجبال حتى لا أبصر أحد يبلغ من أكل زادي الاماكل فلما سمعوا منه ذلك المقال ضحكوا عليه وعادوا في ساعة الحال عنه لانهم كانوا يعرفون أحواله وطباعه فلم يلتفتوا اليه ولم يعبؤا بقوله ولم يعتبروا بسماعه بل قالوا له أذلك الله بين العرب من بعدها ومن اقترب اذا كانت هذه الفعال فعالك ولما سمعت أم حاتم بذلك تألم قلبها وهطلت دموعها وصارت تدعي على بعلها وعلى اخوتها وتقول يا اخواتي لا نجاكم الله من المصائب ولا تعدتكم النوائب كما نكم زوجتموني بهذا اللئيم البخيل الخائب ثم انها صارت تغايظ بعلها وتلقن ولدها أسباب الكرم وتقول له يا ولدي اذا خرجت بالزاد ولا رأيت أحدا يأكله ألقيه على رؤس الروابي والاكم حتى تأكله الجوارح والعقبان والرخم (قال

الراوى) وما زال كذلك كل يوم يخرج بزاده لجائزى الطريق واذا مارأى أحدا يطعمه له يرميه للوحوش والطيور ولم يزل على تلك الفعال حتى انه كبر واشتد فصار كل يوم يضارب قومه على الضيوف حتى يأتى بهم الى عند أمه وهى تروج لهم الطعام وصار ينحر ما قدر عليه من الاغنام ويجمع عليه الارامل والايتام وأبوه يرى ذلك حسرة وكمدا ويخاف من الفقر ويقول ليس على ذلك من صبر ولا جلد ولما أن أعياه الامر فى حاتم أحسن معه التدبير وقد أظهر له الوداد والمحبة ومشى معه مشى الرجل الخبير ثم انه وهب له جارية جميلة وأعطاه حجرة سابقة نبيلة وقطعة من النوق قطعة وافرة جزيلة وقال له ياولدى اعلم أن أموالنا قد قل عليها المرعى وقد ضعفت عن السير والمسعى وأنا قد عجزت عن مرعاتها وانى أريد منك المعونة عليها وعلى مرعاتها الان ياولدى من اليوم المال مالك والجمال جمالك ثم انه سلم اليه ذلك كله وقد وصف له مرعى بعيده وهى منقطعة عن الطريق والمسالك وأمره بالمرعى هنالك وقد أراد بذلك ابعاده عن الناس حتى لا يلتقى أحدا يكرمه ولا يطعمه وينقطع من ضيافة الضيوف الاياس ثم ان حاتما أيها الملك فعل ما أمره به أبوه وأخذ النوق والجمال والجارية وركب الحجرة وسار الى ذلك المكان المشار اليه وأقام فيه أياما وهو منتظر أحدا من جائزى الطريق أو أحدا فى ذلك المكان يقصده أو يأتى اليه أحد من الذى كان يأكل معه الزاد أو يعرفه بحال من الاحوال ان كان من حاته أو من غيرها حتى انه يطعمهم ويهبهم شيأ مما عليه ولو كانوا أقواما كثيرين فلم يجد فى ذلك المكان أحدا لا من المسافرين ولا من الطراق فصعب عليه ذلك الحال وما هان عليه ما وقع له من هذا الاتفاق وقد ضاقت عليه أنفاسه من الوحدة وقاسى ذلك الالم وشدته وصار فى كل يوم يركب على ظهر حجرته ويبعد فى البر ويود لو سار الى سائر الافاق ولم يلتفت الى جمال ولا نياق ولم يزل كذلك على ذلك الحال الى يوم من بعض الايام واذا قد أقبل عليه من صدر البرية ثلاثة رجال وكان ذلك من أعجب ما يكون من الاحوال وهم قد أقبلوا من صدر البرية على عجل منهم وكل واحد منهم راكب على مطية وكان من الاتفاق العجيب والامر المطرب الغريب ان هؤلاء الثلاث رجال القادمين الذين كانوا على تلك النوق سائرين ومسافرين كانوا ثلاثة شعراء سائرين على نصيبهم وهم يطلبون رجلا كريما يقصدوه أو مورد اعذبا يوردوه وكان أول واحد منهم يقال له عبيدة بن الابرص الاسدى والثانى بشر بن حازم السلمى والثالث النابغة الذبيانى ولما رآهم حاتم أسرع اليهم وسلم فى عاجل الحال عليهم فردوا فى الحال سلامه وقد زادوا فى تحيته واكرامه ثم انهم قالوا له يا فتى هل عندك شئ من القرى لمن أضر بهم الجوع والسرى وطول الضرب وكرب الحر والصحراء فقال لهم حاتم يا وجوه العرب ما أمركم الا عجب تسألوا عن القرى وهذه النياق بين أيديكم تساق وتسعى ثم انه ترحب بهم وقد أنزلهم فى الظل الظليل وقد نحر لهم فى ذلك الحال ثلاث نياق مطاويل وقدح الزناد وعجل لهم بالزاد فحار هؤلاء الشعراء من فعاله وما فيهم الا من أبصر ما أهاله فقال عبيدة بن الابرص يا فتى ما هذا الافراط فى هذه المعنى ونحن ما قصدنا اليك الا فى طلب الزاد وشرب اللبن وما نريد اتلاف مالك على غير وجه حسن على ان ناقة واحدة كانت تكفينا حيث انك أردت ان تكرمنا وتجبينا وكنا نمضى عنك شاكرين ولا يادیك ذاكرين ولكن يا فتى فات الامر فشكر الله خيرك لانك قد فعلت ما لا فعله أحد غيرك فقال حاتم ما وجوه العرب الافاضل اعلموا انى نظرت الى زيكم فرأيته مخالفا فعلمت انكم من ثلاث قبائل فحرت لكل قبيلة ناقة لتأكلوا منها وتسيروا من غير عاقة ثم انه قال لهم كلوا يا اخوانى مما تريدون من هذا الخير واذا سرتم خلوا الباقى للوحش والطير لان الذين سبقوا من الاوائل قد قالوا كلا ما الطيف وهو على ان ضيف الكرام يضيف واعلموا ان الطبع غلاب التطبع والتكليف (قال المؤلف) فعجبوا

من

من حاتم وكلامه وقد شكروه على فعله وأكلوا طعامه وقالوا له يافتى من أى العرب أنت وما اسمك وتنسب الى أى حى فقال لهم حاتم أما اسمى فحاتم بن سعد الجهمى وقبيلتى بنو طيء فقال له أكرمت وزدت من الخير والانعام ولكن أنت ما تعرفنا ياغلام فقال لهم لا والله يا بنى الكرام فقالوا اعلم اننا نحن شعراء العرب أهل الفضل والادب وطول أعمارنا ندور قبائل العرب ونقصد الرجال الافاضل الكرام أهل الرتب فما رأينا أكرم منك ياغلام على مالك من قلة الاعوام فوحق من أرسى الجبال كالاعلام وأنزل القطر من الغمام لاضيعنا حرمة الطعام ولابد أن نذكرك فى دواوين السعادة والاكرام ونقول فيك ما يروى ويبقى على ممر الدهور والاعوام ثم ان النابغة اشار يقول

أنت تسرى بك المعانى * ومن ندا كفك الربيع * فأنت من طيء فى صريم
كالقلب تحيا به الضلوع * فى كل يوم تزيد شكرا * يشيعه عنك من يشيع
وأنت أهل لكل فخر * وكل مجد لك المطيع

(قال الراوى) ولما أن فرغ النابغة من مدحه تقدم اليه من بعده بشر بن حازم السلمى يمدحه ويقول

يجود على كفك بالعطايا * وبالمس الكريمة للنزال * فنزلك بالعطاء بكل خير
كمنزلة اليمين على الشمال * وانك ذو كمال مع فخار * وجودك شائع بين الرجال
وانك كامل من غير نقص * وصاحب مفخر باهى الكمال

(قال الراوى) ولما فرغ بشر بن حازم السلمى من مدحه تقدم من بعده عبيدة بن الابرص وقد أشار بمدح حاتم بهذه الابيات

الا قل لسارى الليل لاتخشى ظلمة * لحاتم طيء حوى كل بلاد * نشا سيدا قد فاق عن كل سيد
جوادى جرى من قبل كل جواد * يطول على الرمح الردينى قوامه * ويقصر عنه باع كل نجاد
كريم كريم الاصل والفرع دائما * ويعطى ولا يكدى على القصاد

(قال الراوى) ولما ان سمع منهم حاتم ذلك النظام دمعت فى ذلك الحال عيناه ثم انه نادا واحرباه انى أردت أن أتفضل عليكم فصار لكم على الافضال ولا بقيت أقدر أن أكافئكم على ما قد قلتموه لا بمال ولا بنوال وانى والله ما تملك يدى فى هذا الوقت غير هذه النوق والجمال فخذوها واقتسموها بينكم بالسوية واعذروا غلاما ما عرف حق سعيكم عذر مسامح لان العذر عند كرام الناس واضح فقال له بشر بن حازم لا وعهد الله ياغلام اننا ما نستحق على ما قلناه من ذلك الكلام بعض هذه الانعام ولا نرى من المروءة اننا نفقرك ونحن نستغنى وما أنت بقيت عندنا الا كواحد منا فقال حاتم وحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تأخذوها عترتها بالحسام وتركنها جزرا للوحوش والهوام ثم انه قد سل حسامه لما فرغ من ذلك القول وقصد الى النوق والجمال قال واما رأوا هؤلاء الشعراء فعاله وسمعوا ما أبداه لهم من مقاله شكروه وفى عاجل الحال أخذوها واقتسموا نوقه وجماله وقد صار وا فى عرض البر وتلك الفلاه بما معهم من العبيد والرعاه كلها (قال الراوى) وقد ذكر الناقل لهذا الحديث انها كانت ثلاثة آلاف ناقة سود الحدق حمر الوبر وفى الرواة من قال انها كانت من ذلك أكثر ولما ودعوه وعولوا على الانصراف أعطاهم أيضا الثلاثة أصناف وهم الجارية والحجرة والجمال وقد عاد الى الحى راجلا كأنه ما أبد أشيأ من الفعال وهو يقلب كفيه ويهز عطفيه ولما قارب المضارب لقيه أبوه فأنكر عليه لانه قد رآه على خلاف التى بها أمره فقال له ياحاتم انى أراك قد أتيت راجلا فأين الحجرة قال وهبتها قال والجارية قال له لمن يستحقها أعطيتها فقال له وأين النوق والجمال فقال له اعلم انى قد اشتريت بها ما تشكرنى عليه مدى الايام والليال لانك تموت ويبقى ذكرك على طول الزمان الطويل

وأحاديثك باقيه مابقى الجديدان فقال له ويلك ياحاتم ايش الذى هو اشتريته بأموالى أخبرنى فقد انقطع قلبى وتحللت أوصالى فقال له ياأباه قد اشتريت بها شعرا لايفنى ولا يزال على مدالدهر يروى على طول المدا وقد أخبرتك بذلك حتى تقيم عذرى وتعرف فيما فعلته قدرى ثم انه أشار الى أبيه يقول هذه الابيات

سأمنح مالى كل من جاء طالبا * واجعله وقفا على الجاه والعرض * أصون به عرض الكرام واتقى
لئيما اذا ظنيته ساء فى عرضى * وهذى فعال الجيد فى كل محضر * تسير به الاخبار فى سائر الارض
فطيب بها قلبا ولا تك مانعا * فيبقى عليك اللوم للحشر والعرض

(قال الراوى) فلما أن سمع أبوه منه ذلك المقال تفصلت مفاصله وساءت منه الاحوال وقال له ياويلك اشتريت بمالى شعرا ماله رجوع لايروى الظمآن ولايشبع من جوع وحق البيت الحرام لابقيت تتبعنى من اليوم أبدا ولابقيت أرافقك على طول المدا لانك ولد الردا (قال الراوى) ثم انه فى عاجل الحال جمع جميع أمواله وقد عجل فى ذلك الوقت ارتحاله ورحل من الحى فأتى الى حاتم أقرانه واعلموه بعد ماعتبوا عليه بما فعل أبوه وقد عرفوه ان أباه قد أخذ أمواله ورحل فضحك حاتم وقد تبسم لهم وقال ياابنى عمى والله لقد زال بعده عنى همى وغمى ثم انه تمثل اليهم بهذه الابيات يقول

اذا سار عنى مبغضا برحاله * وأمواله فالمال غادى ورائح * ومن يشترى حسن الثناء بماله
يقولون هذا خاسر وهو رابح * لحا الله من أمسى بقلب زاده * ومن حوله قلب الى الجوع مائح
دعوا والدى يمضى يعيش بخله * فما أنا من يردهيه القبائح * فلا شكله شكلى ولا أنا مثله
ولا الرزق بعدونى اذا كان نازح * لان الذى أعطاه باق وخيره * الينا مع الايام ماس وصايح
فلا خير فى شخص يكون بماله * بخيلا شحيحا أسود الوجه كالح * وما الفخر الا بالسماح وبالعطا
ولا خير فيمن كان للبخل جانح

(قال الراوى) رحمه الله وسامحه وغفر له وللمسلمين ثم انه دخل على امه وأعلمها بما كان من أباه ففرحت برحيله وبعده عنها وقد نزل على قلبها الفرح والهنا وقالت عيش الانسان فى الفقر وذكره جميل أحسن من معيشته فى غناه وهو بخيل ثم انها سلمت باقى مالها لولدها وقالت له يابنى هذه الاموال مسلمة لك بعددها فاكسب فيها ثناء ولا تكسب بها ذما وقبحا ثم انهم أيها الملك أقاموا على ضيافة الضيوف واغاثة الملهوف الى أن افتقروا ونفد ما كان معهم ولم يبق لا ناقة ولا جمل ولا عبد ولا أمة تخدمهم وذلك من كثرة تفريطه وتكرمه على سائر الاعراب وقد صبرهم وأمه على قلة الطعام من الزاد والشراب واذا أتاهم ضيف لم تطعمهم أنفسهم أنهم يحتجون عليه باحتجاج حتى نفد ما كان عندهم من المصاغ والثياب والديباج وبعد ذلك باتوا ليالى وأيام طاويين من الجوع وقد حل بهم بعد العز غاية الذل والخضوع (قال الراوى) ثم ان الملك النعمان قال وقد بلغنى أيها الملك ان فى بعض الايام قد أتاهم ضيوف ففرحوا بهم وقد التقوهم بأحسن التحية والاكرام وأظهروا لانفسهم الصبر والجلد حتى لايشمت بهم عدو ولا حاسد يحسدهم على فعل الجميل ثم ان حاتما أقبل على أمه وقد زاد به من ذلك الامر همه وغمه ثم قال لها ايش نطعم هؤلاء الضيوف النازلين عندنا وهم معتادون بالاطعام منا وبوفدنا فقالت له أمه والله ياولدى انى فى ذلك متحيره ولا أدرى ما أفعل وفى هذه الامور أنا ما تفكره وأنت تعلم ياولدى كيف كان مبيتنا البارحة وان بدنا ما بقيت تمالك غادية ولا سارحه ولا مروحه ولكن شد عزمك ولا تشمت بنا الاعداء ولا تفعل فى حقنا فعلا غير صالح ولا تخل أحدا من ضيوفنا يمضى وهو يذمنا وتفعل معهم فعلا غير الذى اعتادوا عليه منا أبدا وقم من وقتك هذا وخذ بيدى

واخرج

واخرج بي الى هؤلاء القوم الذين مايعرفون وأنت لاتعيد ولاتبدى ثم نادى على أين من يشترى هذه الامة البازله وتبعنى لهم بها سهل وتيسر من تلك الفياق التى معهم حاصلة وانحرمنهم لاضيافك مايعمهم واقتات أنت واختلك بما يتبقى وبعد ذلك اذا تيسر وسهل الله عليك بشئ اشترينى بما يصل من الخير اليك (قال الراوى) فلما سمع حاتم من أمه ذلك المقال قال والله لافعلت ذلك أبدا لانى أنا أعلم اذا فعلت ذلك أبقى أعايره على طول المدا ولكن ان كان ولابد فبيعينى أنت فهو أولى واتقى لان الرجل على كل حال اصبر من المرأة على الخدمة والشقا وأنا أقسم بمن كسا الليل سوادا وغسقا وجعل الشمس نورا مغربا ومشرقا ان لم تطيعينى وتقومى وتفعلى ذلك والاقتلت روحى وأسقيتها كأس المهالك فى هذا الوقت والساعه ونفسى على ذلك مطاعه (قال الراوى) فلما سمعت أمه منه ذلك القول خافت عليه ان تصل الاذية اليه ثم انها وضعت منديلا فى عنقه وسارت به وهى تنادى عليه وتقول من يشترى هذا الغلام النجيب المولد المطيع للبعيد والقريب يحطب الحطب و يحلب اللبن و يصنع مايحتاج الامر اليه من اخراج الزبد والسمن ثم انها دارت به على تلك الظعن الذين على حيهم نازلون وكانوا كما ذكرنا انهم لم يعرفوهم لانهم من غير تلك القبائل وتلك البلاد وكان نزولهم فى تلك الارض لالشئ الا أن يستضيفوا واذا ارتحلوا يرحلوك كلهم عن القوم فتقدم اليها منهم رجل وقال لها بكم تبيعى ياحرة العرب هذا الغلام فقالت له ياسيدى مما أعطيتنى من الطعام فأخذه منها وأعطاها ناقتين فأخذتهم منه وقد رجعت بهم وهى على فراق ولدها ماتدرى أين تضع أقدامها وقد تحرف الواحدة منهما ورجتها وأضافت القوم بها وتركت الاخرى وقد أقامت حزينة على ولدها ومن الغد رحل القوم فى عاجل الحال وحاتم معهم سائر وهو يسوق النوق والجمال و يفعل كما تفعل العبيد مع الموال الى أن وصلوا الى حللهم والاطلال وكان مولى حاتم قد تركه فى المرعى يرعى النوق والجمال ويمضى الليل اذا مضت عليه أيام وليال الى أن كمل عليه ثلاثة شهور وذلك من قدرة الله تعالى أن يحدث من بعد الامور أمور وأحكام (قال الراوى) فبينما مولى حاتم مقيم على تلك الامور الحادثه واذا قد أتى اليه صديق له يسمى لائم بن أبى حارثه ولما ان قدم ذلك الرجل على مولى حاتم أمر باحضار الطعام فاحضره العبيد وهو قائم فأكل ذلك الرجل ورفع رأسه فرأى حاتما واقفا مع جلة العبيد وهو يخدمهم معهم ولايبدئ ولايعيد فعرفه ذلك الرجل وقد علم بحاله لما ان رأى خدمته وفعاله فقال لمولاه من أين لك ذلك العبد النجيب ياوجه العرب ثم تبسم وقد أظهر العجب فقال له سيده اعلم ان هذا قد اشتريته بناقتين وقد مال قلبى اليه لما رأيت منه من الفعل والحياء والسجايا التى هى ساكنة عليه واليوم وذمة العرب لوجاءنى فيه ألفين ناقه مابعته لانه قد زاد عندى محبة ورغبة لاجل أمانته وثقته وشطارته ونداوة عينيه وهدوكلامه (قال الراوى) فلما سمع الرجل ذلك الكلام زاد ضحكه وقد علم ان أهل ذلك الحى مايعرفون أحدا من بنى طيى فقال له والله ياوجه العرب لقد اشتريت عبدا ماله قيمه ولاقدر ولقد وقعت فى البر بدرة البحر اليتيمه ولو أنك عرفت قدر هذا العبد ماكنت استخدمته بل كنت أنت خدمته وأكرمته الاكرام الزائد (قال الراوى) فلما سمع سيد حاتم هذا الكلام رفع عند ذلك يده من الطعام وقال له بالله عليك ياوجه العرب الكرام أخبرنى ما معنى هذا الامر والمرام ان كنت قبل هذا اليوم تعرفه لانى أراك بفعال المعروف تمدحه وتصفه فقال له لائم ماهذا والله عبد وماهو الا سيد من سادات العرب أصحاب المفاخر والرتب الذى تأوى اليه سائر العرب وبجوده تفتخر أصحاب المفاخر وتبلغ منهم الارب وهو حاتم الذى بلغ هو وأمه مالم يبلغه أحد

من المكارم لامن العرب ولامن العجم والله ما باعك نفسه الا وله سبب عجيب وهو أعجب من كل عجب وله حديث وطرب (قال نجد) وقد كان ذلك الرجل الذى هو سيد حاتم رجلا كريما مذكورا بين العرب فى تلك الاقاليم ولما ان علم ان حاتما عبده طاش عقله وحار فى أمره وقال وافضيحتاه ثم انه قام من وقته وساعته اليه واعتنقه وقبله وأخذه بيده وأجلسه بجانبه وأكرمه وفضله وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه كلهم وقد أمر عبيده باحضار أفخر ثيابه والبسه تلك الثياب وزاد فى اكرامه وقد اعتذر اليه من استخدامه له ثم انه بعد ذلك سأله عن سبب بيعه لنفسه بتلك القيمه وقد استحلفه على ذلك بالايمان العظيمه فحدثه بما جرى له ولامه من الفقر والفاقه وانه لما نزل الضيفان عليه ما كان عندهم شئ فى ذلك اليوم لاجل ولا ناقه ففعلت به أمه تلك الفعال وقد باع نفسه بما تيسر من ذلك النوال حتى لا يقال عنه من جملة الاقوال ان أتاه زائر وعاد عنه غير شاكر فتعجب سيده هو ومن كان حاضرا من قصته وقد لحقهم الحياء من عظم مروءته وقد باتوا تلك الليلة فى حديثه ولما ان كان عند الصباح فأراد ذلك الضيف ان يرحل فقام سيد حاتم الى ماله واقتطع منه لحاتم ثلاثة آلاف ناقه وجمل ولم يتكدر لذلك وقد أظهر الفرح والسرور ثم انه قال له ياحاتم خذ هؤلاء لك واعلم انهم حق خدمتك لنا فى مدة ثلاثة شهور ولكن لا تخبر أحدا عنا بهذا الحال ولا تقول لاحد انى قد استخدمتك فى رعى النوق والجمال حتى لا يذمنى أحد من الرجال ثم انه أعطاه جارية مليحة الوجه وهى تطيعه وكانت تسمى ظريفه وكانت ظريفه عنده اسمها وقال له ياحاتم خذ هذه الجارية أعطها الامك حق دلالتها حتى لا تتغير عن فعل المكارم ولا عن عادتها لانها قد باعت بيع السماح فاستحقت بذلك الفائدة والارباح فشكره حاتم على ما أولاه من الافضال والمكارم وعاد من عنده عودة المسافر الغانم وقد سارت العبيد تسوق قدامه الاموال وهو طالب ديار بنى طيى والاوطان وقد زاد شوقه الى أمه وأخته ومن فراقهم قد حرقوا فؤاده ولم يتغير بعده عنهما فى هذه الايام وداده وقد كانت أمه لاجل بعده تبيت وتصبح متألمة لفقده لانها قد بليت بالفقر ومن الحبائب بالابعاد قد جفاها اخواتها لاجل فعالها تلك الفعال وشمتوا بها الحساد ولما أن أعياها الامر وساءت حالها فما كان يسليها ويعينها على حزنها الا ابنتها وكانت طريدة حاتم صغيرة انسن فائقة الذهن رائقة المعالى وكان اسمها اسماء وكانت أحسن بنات ذلك الحى وكانت اذا رأت أمها تلج فى البكا تساعدها على الانين والاشتكا وتعدد كما جرت به عادة النسا ولها صبر عظيم على الضر وتقول ياحاتم ما خلفت بعدك للارامل والايتام أترى يا أخى يكون لنا بعد هذه الفرقة تلاق والتئام يا أخى لو رأيت كلاب الحى وهم يترددون على أبوابك بالملا وهى تطالب عوائدك وفضلات ضيوفك التى كانت ترد اليك وكان اتكالها بعد الله عليك (قال الراوى) ولما ان كانت أمها تسمع منها ذلك يلذ لها التعداد وقد دام عليها ذلك الامر الى ان كادت أن تشرف على العمى وكاد ينفطر منها الفؤاد ومما قد ذكرته الرواة انها كانت تخرج فى كل يوم من الحى الى الصحراء وتجمع من حشائش البر ما تقتات به هى وبنتها ولا تكسر نفسها لاحد ولا تطلب منه شيأ تقتات منه فلما كان فى يوم من بعض الايام خرجت أم حاتم على عادتها لتجمع من حشائش البر فأتت اليها جماعة من الحباء وقد بشروها بقدوم ولدها حاتم وانه قد عاد من غيبته وهو سالم ومعه أموال كثيرة وغنائم لانها كانت فى حال غيابه كل من كان يسألها عنه تقول له مضى يطلب المعاش والمكسب كما تفعل صعاليك العرب ولما انها بشرت فى ذلك الوقت بوصوله اليها كادت أن تخرج من عقلها او يغشى عليها ولما ان رأت رجال الحى متباردون الى لقاء شكرت الله على رجوعه واجتماعها هى واياه فعادت الى بنتها أسماء

وقد

وقد بشرتها بقدوم أخيها ووصوله الى الحي وانه قد عاد وهو سالم ومعه أموال وغنائم فوقف الاثنتان على باب الخباء متشوقتين الى رؤيته وكان انتظارهما اليه في تلك الساعة أشد عليهم من جميع غيبته (قال الراوي) فلما جاء حاتم صار يفرق على شباب الحلة النوق والعبيد حتى شكروه على تلك الفعال القريب منهم والبعيد الى ان وصل الى أبياته وقد فرق ألف ناقة وبقي معه ألفان وأهل الحي يشكرونه على أفعاله ويقولون هذه فعال من لا ذاق عمره لا فقرا ولا فاقه وبعد ذلك التقى بأمه وأخته ودخل معهما الى المضرب وقد قضى من حق الزمان ما وجب وصار يحدث أمه بما جرى له مع مولاه الذي كان قد اشتراه وقد صار يبث لها ما كان من اكرامه له وما فعل معه من مكارمه وسخاه وأنه تقول سبحان من لا يقطع الرجا ولا يخيب من عليه اتكل وعلى كرمه التجا وما كان من الغد خرج حاتم الى الصحراء والتلال وقد نحر أربعمائة ناقة وجعلها نهبا لكل النساء والرجال وبعضها للوحوش والطيور وبعضها للاصحاب وبعضها للرفاق وقد ترك الباقي وقفا على المسافرين والطراق الذين يأتون على اسمه من سائر الآفاق والوديان وما أمسى المساء الا وسائر أحياء بني طي تصيح له بالدعاء وتثني عليه بأحسن الثناء الى ان شاع ذلك في جميع الحي ومن كان هناك من العربان (قال الراوي) ثم ان الملك النعمان كان يحدث الملك كسرى بهذا الحديث وهو يسمع ويطرب ويتناول الكاس من ساقيه ويشرب ويقول وحق الجمر اذا أضرم ان هذا الرجل أوسع منا نفسا وأكرم ولو كنا نحن أظهرنا العدل والجود بين الامم وأما عنترة فقد أسكره حديث حاتم وذكر الكرم وأكثر عند سماع ما أطربه من اقداح المدام ثم انه قال ان وقعت بهذا الرجل لأقبلن يديه ورجليه وآخذه منه بالذي أقدر عليه وقد طربت لذلك سائر الحاضرين والندماء من ابطال العرب وملوك العجم والمشايخ القدماء وأهل الادب الكرماء وأهل الرتب (قال المؤلف) وقد قال ايضا بعض الرجال الحاضرين للملك كسرى وأنا الآخر أيها الملك سمعت عن هذا الرجل حكاية أخرى وذلك انه قد عبر بحي من أحياء العرب فرأى فيه أسيرا مربوطا في قيد وغل وهو يقاسي الكرب فوقف عنده وقد توجع له بما هو فيه من آلام الجور والاعتدا فقال له يا فتى ألا تفدي نفسك مما أنت فيه من الضر والاذا فقال له الاسير والله يا مولاي ان الذي أنا أسيره ردي الخلق وليس لي به من طاقة وقد قطع على فدا نفسي مائة ناقة وأنا قادر عليها ولكن مالي ها هنا من يضمني الى أن أسير الى قومي وآتي بها فقال له حاتم أنا أضمنك وأقدمكانك الى أن تذهب وتأتي بالنياق ثم بنقضي شأنك وان كنت ما تعود ولا لك بهذا الفداء من طاقة فأنا أسوق الى صاحبك المائة ناقة وأفدي بها نفسي ولا يلحقني في ذلك تقصير ولا عاقة ولا تعسير وأنا قادر عليها (قال الراوي) ثم ان حاتما أتى الى الرجل الذي هو عنده وفي أسره وقال له يا وجه العرب اعلم ان هذا الرجل الذي هو في أسرك هو ابن عمي وبيني وبينه قرابة ونسب وانه قد سألني أن أضمنه وأن أعتقل مكانه الى أن يمضي ويأتي لك بالفداء فاربطني مكانه وأطلقه الى أن يسير الى قومه ويصلح شأنه ويأتيك بما طلبت ويخلص نفسه من أسباب الرداء فقبل الرجل قوله وقد أتى الى الاسير ومعه جميع من أهل ذلك الحي وأطلق الاسير ثم انه أشهد على حاتم بذلك وقد ربطه مكان الاسير بين ذلك الملا بعد أن أطلقه مما كان فيه من البلا (قال نجد) ومازال حاتم في القيد الى أن عاد ذلك الرجل بالمال وأطلق حاتما وسارا الاثنان وذهبا ولم يعرف منهم أحد ولم يطلع لهم على حال الى أن شاع ذلك الخبر بعد أيام بين القبائل وسائر العربان ولما سمع الملك كسرى ذلك الكلام زاد به الى رؤية حاتم الهيام وقال وحق ذمة العرب الكرام لقد اشتهيت أن أجرب هذا الرجل في أمر من الامور ولو مرة واحدة لان الاخبار ما تغني عن المشاهدة ثم انه أمر بحاجب من الحجاب وقال له سر من

وقتك وساعتك بهذا الكتاب الى قبيلة بنى طى واسأل عن حاتم فاذا اجتمعت به سلم عليه وحيه لاجله كل من فى الحى ثم قل له ان صاحبى الملك كسرى قد أنفذنى اليك وهو يطلب منك حمل الزاد ليعود نفع ذلك عليك ثم انه أنفذ له أنت من النوق والجمال ما تقدر عليه ويكون ذلك عاجلا لانه محتاج الى ذلك لان نائبه الملك النعمان بلغه ان فى تلك السنة تدهمه عبدة الصلبان فيريد أن يلقاهم فاعتاز النوق والجمال فاجتهد له فى ذلك ليكون لك عليه المنة والافضال فقال له الحاجب السمع والطاعه ثم انه قد تجهز فى عاجل الحال فى ذلك الوقت والساعه وسار معه مائة فارس من أبطال العجم وقد أخذ معه من العرب دليلا عارفا من عند الملك النعمان يدل بهم بين الروابى والاكام وقد انقضى ذلك اليوم مجلس الملك كسرى بحديث حاتم وقد تفرق الندماء وهم يحدثون بما سمعوا عنه من المكارم وأما عنترفانه صار يقول لمن معه وهو عروة وأبوه شداد وحق الركن والبيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لولا هؤلاء الرهاين التى هى عندنا وانتظارى الى خلاص السبايا ووصول حريمنا لما كان سار لحاتم رسول الا أنا لان حديثه قد أهانى وكرمه قد أطرب نى وهيمنى (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر ومادار بينهم من الكلام وأما الرسول فانه لما سار من عند الملك كسرى طالبا بنى طى فما زال سائرا الى أن وصل أرض بنى جلهمة وتلك المعالم وهى فرقة من بنى طى ومنها كان حاتم ولما أن قرب الرسول من الخيام سأل عن حاتم وعن أبياته فأرشدوه اليه الخدام وكانت أبياته منفردة عن الحى وهى منعزلة الى جانب فدنا الحاجب اليها وقد دخل بين مضاربه فوجده قد صف القدور وأضرم النيران وهو جالس يصنع الطعام لمن يأتى اليه من الضيفان ويطبخ بيده حتى لا يطبخه أحد من الخدمه الذين عنده فربما يكون غير صالح فتنفر قلوب الضيوف منه ولم يأكلوه بقبول فيحصل له بذلك أمر مهول فتعجب الحاجب من حرصه على من يأتيه ومحبته لاطعام الطعام وفعل المعروف وملتقاه للقصاد والضيوف ولما ان نظرت كلاب الحى الى الرسول ومن معه من فرسان العجم ما أنكرتهم ولا نبحت عليهم ولا منهم شئ هجم ولا لهم باذى قرب بل تقدمت اليهم بهدو وصارت تحرك لهم الاذناب وتمرغ خدودها على الارض والتراب بخلاف غيرهم من الكلاب وسارت تمشى قدامهم وتدلهم على المضارب والقباب وهذه كانت صفات كلاب حاتم من دون سائر الكلاب (قال الراوى) ومازال الرسول سائرا الى أن قرب من المضارب والخيام فرآه حاتم فقام اليه وتلقاه وترحب به وسلم عليه وزاد فى اكرامه بعد ما فرغ مما قد وجب عليه من سلامه وقد أبصره فما خفى عليه انه رسول من عند رجل كبير جليل القدر والجاه ففرح به وأنزله فى خبائه هو وأصحابه ومن معه من رفقاه وأمر العبيد بتسيير خيلهم فى البر والاكام وقد بسط لهم البسط والوسايد وأكرمهم غاية الاكرام وفى عاجل الحال قدم لهم ما راج من الطعام ووقف يخدم فى جملة العبيد والخدام القيام وكانت هذه عادته على ممر الشهور والسنين والايام ولما ان نظر الرسول الى ما صنع معهم من الاكرام قال له اجلس يا فتى وكل معنا الطعام واعلم اننا قوم أعجام لا نفرق بين القعود والقيام فقال له حاتم بالله عليك يا سيدى دعنى حتى ألتذ بخدمتكم وآكل ما تدعوه من فضلتكم ولا تغير يا مولاى على عادتى وأبطل رسمى وما قدر عليه جسمى لانى فى أكثر الاوقات أبقى اليوم واليومين والثلاثة لا أتهنى بطعام ولا ألتذ بمقام حتى يأتينى ضيف ألتذ بخدمته وآكل من فضلته فأجابه الرسول الى ذلك وما أطال عليه فى الكلام ولا غير عليه ما هو فيه من الوداد وقد أكل هو وأصحابه الزاد الى أن اكتفوا ولما فرغوا من أكل الطعام قدم لهم شيأ من المدام وبالغ لهم فى الاكرام وطابت لهم الاوقات التفت الوزير وقال له والله يا فتى لقد زادت فعالك على السباع وأنا

ما

ما أتيت ضيفا بل أنا رسول من الملك كسرى فقال حاتم بماذا أتيت من عند ذلك السيد المحتشم الذى هو
مالك رقاب الامم ثم ان حاتما قام وخدم فبلغه الحاجب الرسالة بما تقدم وقال له ان الملك كسرى يتذلل
لك بالسؤال و يقول لك انفذ اليه شيأ مما قدرت عليه من النوق والجمال ليقضى عليها بعض الاشغال
فقال حاتم سمعا وطاعه لمولاك الملك الهمام ولكن يكون هذا بعد ثلاثة أيام الطعام فقال الحاجب
مالى سبيل الى المقام لان الملك أنفذنى وأجل لى أياما فقال حاتم اذا كان الامر على ماذكرت فاشرب
وخل بالك فقد انقضت أشغالك (قال الراوى) وقد بلغنى ممن أثق اليه وأعتمد فى كلام الصدق عليه
ان حاتما فى ذلك اليوم لا يملك من النوق والفصلان غير ناقة واحدة ينقل أمه وأخته عليها من مكان
الى مكان اذا سار واذا جملة الاظعان فقضى تلك الليله مع الحاجب بأكل الطعام وشرب المدام ولما
أصبح الله بالصباح طلع على رابيه عالية تشرف على كل مكان فى الحى ونادى باعلى صوته يا آل طى
فتبادرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان وهم يقولون له لبيك ياحاتم اليك قل ماشئت فها نحن بين
يديك فقال يابنى عمى ان الملك العادل كسرى قد أنفذ يطلب منى بعض جمال ليقضى عليها بعض
الاشغال وأريد منكم أن تقرضونى كل واحد منكم على قدر ما يملك من النياق المليحة الخطا الى أن يسهل
الله على الرزق وأنا ضامن لكم العطا وكان أهل الحى يحبونه ولا يحلفون الا بحياته لاجل ماشيد لهم
من المجد بخيراته وذكر الجميل براعاته فلما سمعوا مقاله مشى كل واحد منهم الى نوقه وجماله وقاد كل
منهم على قدر حاله وفى دون ساعة من العمل اجتمع عنده خمسة آلاف ناقة وجمل فسلم الجميع الى
الحاجب واعتذر اليه وقال له يامولاى اذا وصلت الى الملك العادل قبل الارض بين يديه واخدمه عنى
واقم لى العذر عنده لانى ما كنت تأهبت لخدمته فشكره الرسول على ذلك وخرج وسار يطلب المدائن
ولم يزل يجد السير أياما وليالى هو ومن معه الى أن وصلوا ودخلوا على الملك كسرى وحدثه الحاجب بما
جرى وقص عليه جلية الحال وماصار من كلاب حاتم وتحريك أذنابها بين يديه هو ومن معه من
الرجال وحدثه بحديث فقره ولم يزد لذلك همه وكيف انه اقترض النوق من بنى عمه فزاد محبة فيه
كسرى وتعجب من كرمه وكان ذلك اليوم الذى هو فيه عنده ندماه الذين ينبسط بهم فى حضرته وقال
هذا الرجل قد تخلق بهذه الخصال الجميلة ولو طلب غيره أن يتبع أخلاقه منعه التقصير عن ذلك وعاقه
والصواب اننا نعينه على حمل أثقال المكارم حتى لا نخلى عليه لومة لائم فقال النعمان وقد فرح بصدقه
وقال يامولاى ما الذى عولت أن تفعل فى حقه فقال احمل هذه النوق والجمال وأوثقها من خيرات هذه
البلاد وأعيدها الى هذا الرجل ليعيدها الى معشرها الثلاثة بهم ذلك فاننا قد علمنا جود حاتم على قلة
ما فى يده من الدنانير والدراهم ثم التفت وقال له أريد أن لا يمضى تمام هذا اليوم الا وهذه النوق والجمال
كلها محملة تمرا ودقيقا وزبيبا فى ذلك الوقت خرج ذلك الحاجب واهتم لما أمره به وأوقره له ثم قال له زده
من عندنا خمسة آلاف ناقة وحمل من ثياب ملونات وعمائم مذهبات ومضارب وخيام الاناقة حاتم
فانه حملها دنانير ودراهم وفى ذلك الوقت قضى كما أمره الملك كسرى من الاشغال وفعل ما قال وبقى
الملك كسرى فى أكله وشربه هو ومن عنده من الرجال ومن الغدر كب وقد عرضوا عليه العشرة
آلاف ناقه وهى محملة كما ذكرنا موقورة وناقة حاتم فى المقدمه وعليها فردان من الدنانير الكسروية
فى أكياس خز كوفيه فسر بذلك الحال ثم استدعى بذلك الحاجب المقدم ذكره ومن كان معه من
الرجال وقال له أوصل تلك النوق والجمال الى عند حاتم ولا تعد الا بخطه وشهادة كل من كان فى الحى
فقال الرسول السمع والطاعه وهم بالمسير من تلك الساعه فأعطاه الملك النعمان ثوبين ديباج من
عمل القسطنطينيه وعمامة خز كوفيه وقال له خذ هذه الخلعة واذا وصلت الى حاتم سلمها اليه وسلم لى

عليه وكان عنتر حاضرا وهو مما شاهده حائرا فقال للحاجب قل لحاتم طى انه فى ذمامى ما عاش فى طول أيامى وان كان له عدو تركت دياره خراب يأوى فيها البوم والغراب فعلم الحاضرون انه يقول على ما يقول وانه أهل لذلك الامر المهول ثم سار الحاجب بهذه الاموال ولم يزل سائرا حتى وصل الى حى بنى طى وأوصل تلك النوق الى حاتم وقال له ان الملك كسرى يسلم عليك ويتعذر لك فى السؤال ويقول لك قد استغنى عن النوق والجمال فتسلمها وأعطنى خطك بما وصل اليك من المال فقال حاتم حفظ الله الملك العادل وأدام عليه السعادة وظلها لكن احمل على يا مولاى حتى أرد النوق الى أهلها ثم انه طلع على الرابية المقدم ذكرها ثم نادى كما نادى فى الاول يا آل طى فأجابوه وأقبل عليه أهل الحى ثم انهم اجتمعوا حوله فقال لهم يا بنى عمى كل من كان له نوق أو جمال فيعرفها ويسوقها الى بيته بما عليها من أمتعتها (قال نجد) فعند ذلك دخلت بنو طى بين الجمال وكل من كان له شئ عرفه وساقه بما عليه من الاحمال والرسول واقف وقد تحير من هذه الفعال وهو يقول والله ما مثل هذا الرجل لا فى العرب ولا فى العجم لان هذا عطاء من لا يخاف لافقر ولا عدم وقد حاز حد البذل والكرم ثم اقبل عليه وقال له يا فتى هذا الذى فعلته خطا واسراف فى البذل والعطا فقال حاتم وقد تبسم من هذا الخطاب والله يا مولاى ما فعلت الا عين الصواب لان فقر واحد ما يتعدى لجميع الناس والمال المكنون ما يرد الموت واعلم ان الرجل ما يرده عن طباعه لا عذل ولا ملام (قال الراوى) ولم يبق الا ناقة حاتم فساقها الى بيته وأنزل الحاجب فى ضيافته وقد اجتمعت فقراء الحى وصعاليك بنى طى وأتوا الى حاتم وقالوا يا صاحب الافضال والمكارم لقد انكسرت قلوبنا لاجل فقرنا وقلة مالنا وما كان لنا نياق نقرضك اياها حتى كانت تعود لنا محملة مثل نياق أهل الحى الذى رأيناها فضاق صدر حاتم لذلك وطاف بعد هذا كله من ملامة زيد وعمرو وقال لهم يا بنى عمى لا تضيقوا صدوركم لما سلف فعلى عوض ما مضى لكم من الخلف ثم انه فتح الفردين الذين أتيا على ناقته ولم يخف فاقته وصار يكبش ويفرق عن يمينه وعن شماله هذا كله والرسول يتعجب من فعاله ومازال يفرق على الصعاليك والارامل والايتام حتى فرغ الفردين ثم نفضهما فنزل منهما دينارين فانتهى الى جاريته ظريفه وقال لها خذى هذه الاشياء الخفيفة فانها من سهملك وهى من دون الورى قسمك فهامت الجارية من كلامه وشكرته على انعامه وقالت له يا مولاى ما أمرنا الا عجب من دون قبائل العرب لان الدراهم ما تحبنا ولا يا لفنا الذهب فلما سمع حاتم منها هذا الكلام أنشد وجعل يقول

قالت ظريفة ما تبقى دراهمنا * ولا لنا عند ها عهد به تثق * ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا
من سوانا لانا نحن نرتزق * ما يا لف الدرهم المنقوش راحتنا * لكن يمر عليها ثم ينطلق
أما اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

(قال الراوى) فتعجب الحاجب من فعله وشعره وعلم ان عزله ما يرد عن طبعه ثم انه أخذ منه خطابه وقرأه وعاد الى صاحبه الملك كسرى وحدثه بما جرى فقال كسرى والله ان فعال هذا الرجل حد كفرت ملتى والذى يرى هذه الفعال يهون عليه الامر حتى لا يبقى يعبد ولا يبدى وانى قد هانت على الدنيا حتى ما بقيت أفكر فى فقر ولا فى غنا هذا وعنتر لما سمع ذلك الكلام قال واحربا ان أدركنى الاجل ولم أجتمع بهذا الرجل لانه والله كعبة الوجود وما فى الحاضرين الا من تعجب غاية العجب من هذا الحديث الذى يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب (قال الاصمعى) وأبو عبيدة وجهينة بن غيلم اليمنى وهم المصنفون لهذا الكلام فهذا ما جرى لهؤلاء وما دار بينهم من الكلام وأما ما كان من حاتم وما وقع له من ذلك المرام فانه قد تذكر بعد أن مضى الرسول من عنده الى الملك كسرى

وقد

وقد حار فى عقله وفكره فيما جرى وقال فى نفسه باترى ايش المعنى فى هذا الامر والحال حتى ان مثل كسرى أرسل يطلب منى نوقا وحمال ويردها على مع هذا النوال وما قضى منها أشغال وما هذا الامر الا عجب فلا بد لى من المسير الى الكوفه عن قريب واجتمع بالملك النعمان وأستخبره عن هذا الامر والشان ثم انه تأهب بعد يومين وسار على ذلك الوصف قاصدا الى مدينة الحيره وهو مع ذلك كثير الافتكار وصار لا يهدأ له سر ولا يقر له قرار فبينما هو سائر قاصدا بلاد العجم اذ نزل فى طريقه على قوم يقال لهم بنو فهم فأضافوه وأكرموه غاية الاكرام وأقام عندهم لامر يعلمه الله تعالى ثلاثة أيام وكان فى تلك القبيله جاريه يقال لها ماريه بنت الضحاك قد خدمتها عند ولادتها كواكب الافلاك وكانت زائدة الملاحة والفصاحة والرجاحة (قال الراوى) وكانت قد تعلمت الخط والعلم وعرفت أحاديث العرب والعجم وقد خلف لها أبوها أموالا كثيرة ونعم فلما مات أبوها وصار فى العدم تبادر اليها الخطاب وجد فى زواجها الطلاب فردت الجميع على طلبتهم بلطافة خطابها وحسن معرفتها واذ بها حلفت على نفسها أنها لا تملك روحها الا لمن تجربه فى فعاله وتعاين بعينها خصاله حتى انها لا تقع مع رجل صعب الاخلاق قليل المعرفة وكثير الشقاق يطيع عليها أموالها ويبدد ما منحته من أحوالها ومن حسن تدبيرها وكرم نفسها تركت حول مضاربها وخيلها منزلا لقدوم الضيوف كمن هو بين العرب بالخيرات موصوف وأقامت له الجرايه والرواتب فصارت تقصدها الاضياف من كل جانب وصار كل ضيف نزل عندها تختبره فى كلامه وخطابه وتجربه فى فعاله وآدابه وتكبر عليها نفسها أن تسلمها الى غير جنسها وانها ما زالت على تلك الحال ملازمة حتى طرق ديارها حاتم ونزل فى مضاربها واستضاف بها وبالاتفاق كان سبقه فى ذلك اليوم ثلاثة أضياف ونزلوا عليها قبل نزوله لما بلغهم عنها من الاوصاف فكان منهم النابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمة وعبيدة بن الابرص القحطانى والثلاثة كانوا شعراء العرب فقدم عليهم حاتم ودخل المضرب فقاموا له وسلموا عليه وشكروه وأثنوا عليه بكلامهم فشكرهم هو أيضا وسألهم عن أحوالهم وقال لهم لاى شئ طرقتم هذا المكان ولم أنتم مادحون وقاصدون من العربان فقالوا والله يا حاتم ما أتينا نمدح أحدا ولا نقصده ولكن أتينا فى أمر نرجوا أن نرشده ونعلمك به وهو اننا ما جئنا الا لاجل أن نخطب هذه الجارية الفصيحة اللسان الكامله الحسن والاحسان وقد بلغنا انها أعجوبة الدهر وفريدة العصر ثم انهم ما زالوا يصفون له كرمها حتى اشتاق الى نظرها والى سماع خطابها لما سمع عن خبرها وقد ينتظر ما قد يتجدد من انعامها وما تبديه لهم من اكرامها الا انهم ما استقر لهم المكان حتى أتت لهم الجارية التى لها أبدت لهم السلام وقالت لهم ستى ماريه تبدى اليكم السلام والتحية والاكرام وتقول لكم من فيكم له حاجة أو مسألة تردله جوابها وتبين له خطابها فقال لها زهير بن أبى سلمى يا مولدة العرب قد بلغنا عن ستك انها صاحبة الحسب والنسب ونحن ثلاثة شعراء قد نزلنا على هذا الحى ومعنا حاتم طى وكنا قد أتينا وعزمنا أن نخطبها من نفسها وكل منا يريد أن يكون صاحب عريها من رغبته لها بعلا قام ومن أبعدته رحل عنها بسلام فلما سمعت الجاريه هذا الكلام عادت بسرعة وغابت قليلا وعادت وأسرعت لهم فى الخطاب وقالت يا مولاى ستى تقول لكم اذا كان فى غداة غد احضروا فى التماس خطبتها حتى تتكلم معكم من خلف حجابها وتختار منكم من يكون من رزقها فأجابوها الى ما أبدت من المقال وأقاموا ينتظرون تمام الوعد ثم ان ماريه أرادت أن تختبرهم لتعلم أيهم أكرم حسبا وأحسن أدبا ففرقت بينهم وضربت لكل واحد منهم مضربا وأنفذت لكل واحد منهم جزورا وقدرا يطبخ فيه ثم قالت للجاريه قولى لكل واحد منهم يصلح لنفسه الطعام الذى يشتهيه ففعلت الجاريه ما أمرتها به سيدتها وأتت كل واحد منهم بما عليه الكلام مع ستها قد انتهى

فوثب كل واحد الى جزوره فنحره وسلخ جلده وأضرم النار واصلح ما يأكل فى قدره وعلمت ماريه بذلك فخلعت ما كان عليها ولبست خلقات مقطعات ولبست على وجهها برقعا خلقا وعلى رأسها وقايه سابله ثم انها أتت اليهم فى زى سائلة فأول ما وقفت على مضرب النابغة واستعطت وابدأت سؤالها اليه فأعطاها من زور الجمل الذى يبرك عليه فأخذته ودعت له وقد سارت بين يديه ثم انها تركته وأتت الى مضرب زهير بن أبى سلمى واستعطت فأعطاها مبرك المخبرين وهذه الاشياء لا تنحدها النار ولا يلينها الماء فأخذتها منه ودعت له وأتت بعد ذلك الى مضرب عبيدة بن الابرص وقدمت عليه فاستعطت منه فأعطاها وقطع لها مبرك يدى الجمل فأخذتها ودعت له وأتت بعد ذلك الى مضرب حاتم طى فوقفت واستعطت منه ساعة فقال لها اجلسى يا أختى بالسمع والطاعه ولكن امهلى على قليلا من النهار فان القدر كما ترين على النار فلما استوى الطعام نزل القدر وقلب ما فيه فى الجفنه وتركه حتى برد وأعطاها اللحام وجنبى الحالك وقطعة كبيرة من السنام وهو ما يكون الذى فى لحم الجمل ولا سيما اذا كان سمينا وقال لها يا خوة العرب تردى البنا مادمنا هاهنا مقيمين فدعت له وأخذت ما اعطاها من طعامه وعادت وقلبها مسلوب بطيب كلامه ولما ان حصلت فى مضربها أعطت كل ما جاءت معها للجاريه وكان اسمها منى وقالت لها اذا حضر واغداة الى مجلسنا وقلت لك احضرى ما يأكل ضيوفنا من الطعام فحضرى لهم كل واحد فى طبق وحطيه قدامه فقالت منى سمعا وطاعه فصبرت ماريه بعد ذلك القول وقد وجهت همتها الى شئ تفعله معهم فأخذت شيأ من الطيب وقسمته على أعدادهم وأعطت القسم الواحد لجاريتها وقالت لها أوهبى هذا الى النابغة الذبيانى وقولى له مولاتى تسلم عليك وقد افتردتك من أصحابك بهذا الطيب وتقول لك تطيب بهذا الطيب ولا تعلم به أحدا من رفقائك لانها قد استخصتك به من دونهم لاجل مكانك من قلبها لانها تريدك اذا حضرت غداء عندنا تكون مطيبا به ففعلت الجاريه ما أمرتها به مولاتها فلما عادت أرسلت معها الى الجميع وفعلت بهم مثل ذلك وقالت لهم كلهم كذلك فصار كل من أتاه شئ من الطيب يفرح به ويقول فى نفسه انها ما خصتنى بهذا الطيب الا وقد اتخذتنى لها حبيب ثم يخبيه ويكتم حاله عن رفقائه الا حاتم فانه قال هذا والله البخل بعينه كيف أحضر أنا غدا عليهم ثم أميز بهذا دون أصحابى والله ما فعلت أنا ذلك أبدا وصار يمشى من مضرب الى مضرب بعد ما قسمه أربعة أقسام و يعطى كلا منهم قسمه على التمام و يقول تطيب بهذا يا أخا العرب حتى لا تخضعن الا وأنت متطيب ومازال على مثل ذلك حتى ساوى الجميع بنفسه وجعل يفعل كذلك وأبصرت الجاريه كيف أخذوا أقسامهم وأبصرت هو كيف يأتى اليهم وصنع ما صنع فعادت الى مولاتها وقد أعلمتها بما قد جرى ثم قالت فى نفسها هذا والله الذى كنت انتظر وأرى ولمثلك يا حاتم كنت أطلب وله رايده وفى انتظارك كنت قاعده ومن شدة فرحتها طربت حتى أتى الليل باقباله وأحضرت أربع صوانى وملأتهم تمرا وقالت لجاريتها اذهبى بهذه الصنية الى النابغة الذبيانى و بلغيه السلام وقولى له مولاتى أرسلت هذا التمر لتزيل به زفرة الطعام وتقضى به بعد الظلام ولكن اذا اكلته ادفن النوى حتى لا أحد من أصحابك يراه فيقولوا ان ماريه ما أرسلت له التمر من دوننا الا لكونها متعلقة بهواه واقعدى عنده وأبصرى ما يعمل من دون الجماعه وعودى أخبرينى فقالت سمعا وطاعة ثم انها حملت الصنيه وتوجهت الى النابغة الذبيانى ووضعتها وقدمتها عليه فحمدها على ذلك ثم تقدم الى ذلك التمر وصار يأكل منه ويجمع النوى الى ان أتى بالاستوى فقام وحفر له ودفنه والجاريه تعاينه بنظرها ثم عادت الى مولاتها وأخبرتها فتبسمت وقالت هذا كان قصدى اذهبى الآن الى الباقى بالصوانى وافعلى كما فعلت فى الاول من غير تعدى ففعلت تقصد واحدا بعد واحد وتقول مثل ذلك وهو يأكل ويدفن

النوى

النوى حتى ما بقى الا حاتم فأتت له بالتمر ووضعته بين يديه بعد ما أعلمته ان ستها تسلم عليه وانها تقول لك يا مولاى كل من هذا التمر اتزيل زفرة الطعام الذى قد أصابك فانها قد خصصتك به من دون أصحابك ولكن اذا فرغت من أكله أخف النوى ولا تظهر أحدا عليه من أصحابك ولا تخليه يراه فلما سمع حاتم مقالها تغير منه لونه وانخطف كونه وقال لها ايش اسمك يا مولاة العرب فان قلبى من قولك هذا قد تعب فقالت له اسمى منى فقال مالى حاجة بتمرك على مثل هذا الكلام أتنسب مولاتك الى البخل مثل ما تنسب أولاد اللئام وتريد منى أن أبقى على طبائع وخصال ما كسبتها جوارحى بين الأنام ثم أشار اليها يقول

أتحسبنى مارية الخير انى * بخيل وكفى للنداء غير راجح
وهل أكل هذا التمر بالزبد طيب * من الجود ان أحنت عليها جوارح
وتطلب منى أن أخلى طبائعا * ودفن النوى فيه كبير الفضائح
فان شبعت بطنى وجاعت رفاقتى * دعوت على بطنى بضرب الصفائح
خذى ما حملتى من طعامك واذهبى * ولا تفضحينى بين غادو رائح
الا ان أكل التمر من دون رفقتى * ودفن النوى يا منى أقوى الفضائح
فلا خير فى عبد يكون بماله * بخيلا ويضحى وجهه وجه كالح

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية كلامه وما أبدا لها من نظامه واقعها الحياء والخجل وصارت مما سمعته منه تتأمل وقالت يا وجه العرب لا تجرد من مقالى ولا تؤاخذنى فيما أبديه لك من فعالى فان الرسول اذا بلغ ما حمل من الكلام لا يكون عليه فى مقاله ملام على ان مولاتى الساعة غائبة فافعل أنت ما تريد من الامور الصائبة ثم انها وقفت حتى قسم بينه وبين أصحابه التمر بالسوية وعادت الى مولاتها بعد ما أخذت من عنده الصنيه وأخبرتها بما جرى لها مع حاتم وما قال لها من الكلام وما أنشد لها من الشعر والنظام فتعجبت من ذلك وانزهلت من فعاله وهامت عند سماع ذلك القول الى قربه ووصاله وصبرت الى أن أصبح الصباح ثم انها أحضرت الجميع الى مجلس منادمتها ومحل مرتبتها وقعدت من وراء الحجاب وحيتهم وسلمت عليهم وحدثتهم حتى انبسطوا وردوا عليها الجواب فقالت يا سادات العرب ان أيام الضيافة قد انقضت وما بقى لكم احتجاج وأنتم ذكرتم انكم أتيتم تطلبون القرب منى والمرأة لا يكون لها أربعة أزواج والصواب ان يذكر لى كل واحد منكم عربه ونسبته ويخبرنى عن ذلك حتى انى أدبر بعقلى وأختار منكم واحدا لانى امرأة قد رمانى الزمان بقلة الرجال وقد صار حكمى فى يدى وأنا ما أريد أحدا منكم تشهد لى أحواله الا فى شعره ومقاله لان فصحاء العرب عليها ازدواج الكلام وانما أحب الى اهل الفصاحة من دون الأنام اذا كان الرجل يتخلق بأخلاق الكرام فلما سمعوا منها هذا المقال أجابوها الى ما طلبت من تلك الاحوال وكان أول ما وصف نفسه النابغة الذبيانى وأشار اليها يقول

هل سألت بنى ذبيان ما اتصلت * عند الطعان اذا ما احمرت الحدق
وجاءت الخيل مبتلا زخائمها * بالماء يقطر من لباتها العرق
ويطعن الفارس الحامى طعينته * بعالى الرمح والهيجاء تحترق
والخيل تعلم انى لا أقاس بها * حتى يقاس بثوب الجيد الخلق
ولى لسان اذا ردد المملوك به * أميل نحو سحاب الماء يندفق

(قال الراوى) فلما فرغ من ذلك الخطاب فلم ترد عليه الجواب ثم انه سكت فتكلم من بعده عبيدة

ابن الابرص الثعلبي وأنشد يقول

أمارى لم يخطبك حي مذبج * زهير بن سلمى مع يزيد وحاتم * وان تطلبي زيدا ففارس قومه
اذا الحرب يوما أقعدت كل قائم * وان تطلبي يامارى الخير حاتما * فما مثله فينا ولا في الاعاجم
فتى لا ينزال الدهر أكثر همه * اغاثة ملهوف وفرحة قادم * وان تطلبي أن تظفري بسدد
مكارمه تحكى جميع المكارم * ونحن جميعا من اناس أطايب * لهم شرف فوق السماوات نائم

(قال الراوى) فلما فرغ عبيدة من شعره فلم ترد عليه الجواب ولا أبدت له الخطاب ولم يبق الا زهير ابن أبي سلمى فتكلم الآخر بكلام نثرا ونظما فلم ترد عليه جواب كما فعلت بمن قبله من الاصحاب هذا كله يجرى وحاتم ساكت لم يتكلم فطلبوا منه الموافقة فتبسم وقال ياوجوه العرب ان هذه الامور والاسباب ما كانت لنا في حساب وانني ما كنت الا طالبا أرض العراق فاتفق لي منكم هذا الاتفاق وقد صح عندي ان الخلائق يساقون الى الآجال والارزاق وانا كنا في هذا اليوم وقمنا بكنز ما يعرف قدره والواجب علينا في مثل تلك الحضره ان نجد في طريق الاجتهاد ولا نعرض أنفسنا في سوق الكساد ولعل منادى السعاده ينادى بحظنا وتكون هذه السيدة من بعض رزقنا ثم انه أنشد وقال

أمارية طال التباعد والهجر * وقد بان قبلي ما قد فعلت لنا القدر
أمارية بالروح ما أنت غالية * فكيف تباع الشمس أو يشترى البدر
أمارية فالمال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أمارية لسنا نقول لسائل * اذا جاء ياذا ليس في مالنا بدر
ألا ان مال الارض ما ينفع الفتى * اذا نفسه حانت وضاق به الصدر
وكل يقيني أنني بعد مدة * أصير الى قبر جوانبه حفر
ويرجع من خلفي الذين أحبهم * يقولون قد آذى أنامله الحفر
وأصبح وحدى ساكنا وسط حفرة * من الارض لا مال لدى ولا أمر
ألا انني قد عشت أوحد أمه * فقيرا فلا بيع على ولا أمر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما * أراد جزيل المال كان له وفر
ولكنني أحظى بمالي صنيعة * فأولها زاد وآخرها ذخر
أفلك أسيرا ثم آكل طيبا * واحفظ عرضي منه هذا هو الذكر
ولا أظلم بن العم ان كان اخوتي * شهودا ولو أردى بحالته الدهر
وما ظلم جاري يا ابنة العم خصلتي * وانى له المعوان ان مسه الضر
فعيني على جيران بيتي عميمة * وفي أذني عن ذكر عيب لهم وقر
قطعنا زمانا بالتعلل والمنا * وكل سقى منا لكاساته الدهر
فما زادنا بغيا على أهل فاقة * غنانا ولا أزرى بساحتنا الفقر

(قال الراوى) وكان حاتم ينشد ويترنم بهذه الابيات ومارية تتململ من تحت الستار من كثرة ما طربت من نظامه وقالت له والله ياحاتم ما يسمع بمثل هذه الاشعار أحد من الناس و يبكى على أموال ومع ذلك قد ذكرت انك كنت سائرا على بلاد العراق وانك ما عبرت علينا الا باتفاق فاى شئ كنت الى هناك طالب وهذا مقال من هو زاهد فينا غير راغب فقال حاتم لا والله ياسيدة العرب ما ذكرت ذلك الا لاجل هذا السبب وانما الملك كسرى أرسل يطلب مني نوقا وجمالا يقضى عليها بعض الاشغال وما كنت أملك في هذا اليوم غير ناقة فاقترضت له من بني عمى خمسة آلاف ناقة

وبعير

وبعير فردها كلها موقورة بالاحمال وأرسل يقول انه استغنى عن النوق والجمال فرديتها الى أصحابها
بما عليها من أحمالها وانني سائر بعد ذلك الى الملك النعمان حتى استخبره عن هذا الامر والشان ثم
انه حدثها بما اتى على ناقته من الذهب والدنانير وكيف فرق الجميع فى ساعة واحدة على كل فقير
(قال الراوى) فلما سمعت مارية هذا الكلام وتلك الفعال أزداد بها التعجب والاندهال وقالت
ياحاتم ان هذا اسراف فى العطا والبذل ولمثلك يصلح اللوم والعذل ثم انها التفتت الى أضيافها وقالت
لهم ياوجوه العرب لايخفى انكم أصحاب حسب ونسب وأنتم أخبرتم انكم شعراء هذا الزمان وطول
أعماركم تدورون المناهل والغدران وتقصدون الكرام من العربان فهل رأيتم طول أعماركم من
بالغ فى العطا مثل هذه المبالغه فكان المجاوب لها من دون الجماعة الشاعر النابغه وقال لها والحق
الكعبة الحرام وما عليها من الاصنام بل اننا نأتى الممدوح ونجعل راحته أوسع من البحر
وأنامله أهنأ وأجرى من تيار النهر حتى يعطينا ناقه أوبكره وهذا الرجل قد حاز حمد المدائح وقد افتخر
بهذا العطا على كل غادو رائح فقال لهم حاتم لاتقولوا هذا المقال ولا تنكروا على ما فعلت من الفعال
لان الارض ولاده واسعة والخلق فيها مثل العيون النابعه وأنا أعلم فى هذه الايام من يبذل فى يوم
واحد ما أبذل أنا فى عام تمام وقد رأيت بعينى ورافقت من هو متفضل عنى بالكرم والجود وبقيت
فى جنبه مثل العدم عند الوجود فقالت له مارية وقد الذها حديثه واعترافه وتعجبت من حسن
انصافه ياحاتم حدثنا بحديث هذا الرجل الذى قلت عنه انه أفضل منك وقص على شيأ قد رأيته
منه لعلنا ان نتعلم بعض أخلاق الكرم ونبقى نتذكر حضورنا معك فى هذا اليوم ما بقيت الليالى
والايام فقال حاتم السمع والطاعه أنا أقص عليك وعلى من فى حضرتك ما جرى لى من هذا السبب
وذلك انى خطرت خطره من بعض الخطرات وانتهى بى المسير الى بعض الطرقات فنظرت الى مرج
واسع وماء نابع وقد آلمنى العطش والظمأ فعولت أن أنزل على ذلك الماء فرأيت عليه رجلا اعرابيا
مضيق اللثام معتدل القوام متقلدا بحسام وأعطافه تدل على انه بطل همام فحييته بالسلام ونزلت
عنده وقد دار بيننا الكلام فوجدته قد خرج من عند أهله يطلب المكسب وأنا الآخر طالب
ماهو اليه طلب فترافقت أنا واياه وقد تصاحبت معه فى المسير فى طلب الغنيمه والمكسب أوشئ نكتسبه
ان كان قليلا أو كثيرا ثم اننا تزودنا من الماء وسرنا حتى جن الليل فنزلنا وأردت أن اقدم الزاد الذى معى
وكان قد انبسط علينا ضوء القمر فقال لى يافتى حل هذا الوقت آخر ثم انه أخرج من زاده الذى كان
معه وبسطه قدامنا وكان شيأ كثيرا فما أكلت أنا واياه الا شيأ يسيرا ثم انه كبب باقى الزاد على الارض
ومده طولا وعرضا وقال لى ياوجه العرب اركب بنا النحو ما نحن عليه معولون فقلت وما الذى
أردت بتبديد الزاد فى هذا المكان المنقطع ونحن محتاجون اليه وقد امنا هذا البر الواسع وما كل
ساعه ينال الانسان مايؤمله من المطامع فقال لى يارفيقى لاتيأس وتضيق خلقك فان الله يبعث لك
رزقك فلما سمعت منه ذلك الكلام ازددت فيه محبة وقلت فى نفسى هذه والله سيم الكرام ثم اننا
ركبنا وسرنا وعلى الله توكلنا وقد سمعته وهو ينشد ويقول هذه الابيات

رحلنا وخلينا على الارض زادنا * وللطير فى زاد الكرام نصيب
ورزق غد ياتى غدا ويسوقه * الى العبد جبار عليه رقيب
فيانفس لاتبقى على قوت ليلة * فان مزاد الموت منك قريب

(قال الراوى) فوالله ما سمعت منه آخر هذه الابيات حتى غبت عن الارض والسموات وقلت
والله مايحق لاحد أن يفتخر على أبناء جنسه ولا يعظم على غيره بنفسه لان الارض ولاده والخلق

بين نقصان وزياده ثم اننا سرنا حتى تضاحى النهار وقطعنا جملة براري وكثبان فانتهى بنا المسير الى بعض الغدران فنزلنا عن خيولنا الى ذلك المكان فلما جلسنا عمدنا الى الزاد الذى كان معى وبسطه قدامنا وصار يحدثنى وهو يأكل ومازلنا حتى اكتفينا وأقنا على جانب الغدير وشربنا وروينا فلما عوّلنا على المسير عمد الى باقى الزاد ونفضه على الغدير فبينما نحن كذلك واذا بكلب من عرض البر قد أقبل طالبا الماء واليه وصل فشرب وتقدم الى الزاد فأكل وأبصرنا وقد ركبنا خيلنا فهرول معنا طالبا أثرنا فقال لى رفيقى يا أخا العرب ألا ترى هذا الزاد كيف كان من رزق هذا الكلب فكيف كنا نحمله وها هو خلى بقيته كما اننا خلينا ه ولابد أن يكون هذا الكلب أقوى منا يقين فقلت له والله ما فعلت يا فتى الا غاية ما يكون من الكرم المبين ثم اننا سرنا حتى تبطنا فى تلك القفار وكان قد مضى أكثر النهار وقد بدا الجوع يعمل معنا فقلت فى نفسى أين يكون الليلة عشانا فوالله ما خطر ببالى هذا الخاطر حتى رأيت الكلب قد انطلق وخلانا وقد غاص فى عرض البر والفلا فظننت انه قارب قومه واليهم نفر فحملت بالى معه واذا به قد توارى الى اعانة من الوحش وصار يعارضها ويردها الينا حتى خيل لنا انه يقول قوموا الى هذا الرزق فان الله تعالى قد من به عليكم فبادروا اليها فعندها تقدمنا اليها وأخذنا منها ما يكفينا مدة ثلاثة أيام ثم اننا نزلنا وصنعنا لنا طعام وأكلنا حتى اكتفينا وسرنا والكلب معنا ما يفارقنا ورفيقى يقول والله ما خاب فيك أملنا ولابد اذا سعدتنا الايام أن نكافئك ونجازيك بالاكرام ثم اننا سرنا الى أن مضى علينا ثلاثة أيام ونحن سائرون فى البرارى والآكام وقد أشرفنا فى اليوم الرابع على بعض أحياء العرب فتقربنا فرأينا أموالا سائبة ليس معها أحد من الناس فعندها حملنا فى جوانبها وسقنا الابل من أماكنها وعدنا على أعقابنا راجعين وللنجاة طالبين الا اننا ما أبعدنا حتى نار العبيد من خلفنا بالخيل وهم مقبلون مثل السيل والغبار من ورائنا مثل سواد الليل فعندها عدنا وهززنا فى أيدينا قطع الرماح ورجعنا نطلب الحرب والكفاح فتبسم رفيقى فى وجهى فقال لى يا فتى ما هنا ما يوجب لقتالك ولا شئ من حربك وكفاحك قف أنت مع المال مكانك حتى أعود أنا الى هؤلاء الاندال ولا يصعب عليك من هذا المقال لانى اذا علمت ان مثلك خلفى يقفى أثرى فينشرح فى القتال صدرى فلما سمعت كلامه استحييت منه ووقفت مع الغنيمة وبلغته مراده وقلت فى نفسى أريد أن أنظر هذا الرجل فى قتاله مع هؤلاء الفرسان فان وافق حربه فيكون أوحد هذا الزمان فى اطعام الطعام والضرب بالحسام ثم انى جعلت أنظر الى الغبار وأحققه بالعيان واذا قد تنافرت نحونا الفرسان كما يتنافر ذكر النعام هذا وقد ترك الغنم أكثر الرجال مطروحه على الارض مثل النيام ولم ينزل معهم فى عراك ولزام وصدام حتى أوراهم الانتقام فرأوا منه ما حير الابصار ودهش النظار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وعاد وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا سنان الرمح لا تشك الظما * ان فى ذا اليوم ارويك الدما * فالق وحش البر خلفى واقعا
فى رجال خالفوا أهل الحما * يا حميى سربنا فى دعسة * غسامى قاطع لين يثلما
وعنانى لو بدا الموت له * ورأى صورته انهزما

(قال الراوى) ثم قال حاتم والله يا بنى الاعمام لقد رأيت من ذلك الرجل ما رأيت وتعجبت منه ولكم أحكيت وقد قلت عزيمتى وانكسرت همتى ورجعت أسوق ما أخذناه قدامى وسار يركض على أثرى وهو لى ولما معى كل هذا والكلب معنا لا يفارقنا ولم نزل سائرين الى أن وصلنا الى المكان الذى فيه انبطحنا فنزلنا فيه حتى أخذنا الراحة هذا والجمال سارت ترعى فى تلك الساعة ولما عزمنا

على

على المفارقة من ذلك المكان فقام ودخل فى المال وقسمه ثلاثة أقسام وقال نحن ثلاثة وهذه الغنيمة ثلاثة
أقسام فخذ قسمك واطلب أهلك فقلت له يا أخى اذا رجعنا الى الحق والتدبير فانا لا استحق منها الا قليلا
ولا كثير ولا ناقة ولا بعير لانى ما باشرت قتال ولا طعنا ولا نزال وانك أنت ما فعلت هذه الفعال الا
تحملا منك وافضال ومع ذلك أراك تقول هذه الغنيمة ثلاثة أقسام فمن هو ثالثنا ونحن ههنا منفردون
بأنفسنا فى هذا المكان فقال لى هذا الكلب الذى قد صار له علينا حرمة الطعام فقلت له يا مولاى
هذا الكلب ايش يعمل بالنوق والجمال فقال يفعل فيها ما يريد لانه قد صار مصاحبنا وأكل
من زادنا وعلى هذه الحالة ما نخليه بلا قسم منا فخذ أنت قسمك واطلب الى ناحية أهلك وأنا
الآخر آخذ قسمى وأفعل كفعلك وكل من تبعه هذا الكلب أخذ معه قسمه فلما سمعت أنا هذا
الكلام تعجبت غاية العجب وزادنى من كلامه طرب وقد لحقنى التعجب من مروءته وحسن الشيم
وقلت له يا وجه العرب لقد كملت الشجاعة والكرم فافعل بمعرفتك ما تريد واحكم بما تراه
حكم الموالى فى العبيد ثم انى تقدمت اليه وشكرته على فضله وكرمه وودعته وسقت تلك الغنيمة
وانصرفت الى عربى واذا بالكلب قد تبعنى فعدت الى قسمه وأضفته الى قسمى وسقت الجميع وطلبت
أهلى الا أننى ما أبعدت عن رفيقى وغبت عنه وأنا على ما أنا عليه من فعلى حتى اننى رأيته وقد
أطلق عنان جواده وترك قسمه مكانه وتبعنى فقلت فى نفسى يا ترى ايش مراده وما أظن انه مارجع
الا ليأخذ منى ما أعطاه لى من الغنيمة وما هى الا قد حلت فى عينه وصار لها فى قلبه قدر وقيمة فما هو الا
نظر موضع النظر فانه قد قاتل عنها وما ساعده عليها الا القضاء والقدر وأنا ما طعنت برمح ولا ضربت
بحسام وقد أخذت الثلثين وحفت عليه كل الحيف وهذا والله ظلم بين وهو بالارواح هين ثم اننى
انفصلت عن المال ووقفت بعيدا عنه الى أن وصل اليه فنادينه يا فتى الذى خطر ببالك خطر ببالى
فدونك والغنيمة بارك الله لك فيها لانك أحق بها منى لكون انك تعبت عليها فقال لى يا فتى لا تنسبنى
الى البخل وقلة الادب فانى ما رجعت اليك لاجل هذا السبب ولكن قد اصطحبنا فى هذه الايام
وافترقنا من بعد ما تصالحنا وانى رافقتك هذه المدة ما سألتك عن اسمك ولا عن حسبك ونسبك ولا
عن قومك وعربك وكذلك أنت الآخر ما سألتنى عن حسبى ولا عن نفسى لاجل عزة نفسك وأنا
اشتهيت أن أتخذك لى صاحبا ورفيق وخلا وصديق وتكون لى عدة عند كل ضيق فما لله عليك
من يقال لك بين العرب بالله عليك الا ما أخبرتنى عن هذه الامور وكل دم بينى وبينك فى هذا اليوم
مهدور فان كنت ما تعرفنى فانا أعرفك بنفسى وأخبرك بخبرى اعلم أن اسمى عطاف بن قابض
النظرى وقومى بنو النظر وهذا ما عندى من الخبر فأنت يا وجه العرب من يقال لك ومن هم
قومك فقلت له أنا حاتم طى بن سعدى وعشيرتى بنو طى فوالله ما فرغت من كلامى حتى انه ترجل
عن جواده وسعى الى أقدامى وصار يقبلها فى الركاب ويمرغ بخديه على التراب وقال يا حاتم
أعذرنى فى التقصير فانى ما عرفتك معرفة الخبير لان لى سبع سنين وأنا أسمع عن أخبارك وما قد
ثبت عند جميع العرب من جميل أفعالك وقد أردت أن أتبع أخلاقك والتمس بعض طبائعك فى
الكرم فما قدرت ولا قسم لى من القدم ثم انه عاد الى قسمه وقد أخلطه بقسمى وقال أنت اسمك
كبير وهو أعلى من اسمى والطارق عليك كثير وأشتهى منك أن تمن على بقبول هذا الشئ اليسير وان
أردت أن تعود معى الى عشيرتى حتى أتشرف بخدمتك أنا ومن يلوذ بى بين عشيرتى وأسوق اليك ألفين
ناقة تستعين بها على كثرة الضيفان فافعل ورافقنى فى هذا المكان ثم قال حاتم فوالله يا وجوه العرب
فلما سمعت مقاله تعجبت من فعاله وصرت منعجم اللسان عن شكره حائرا من مروءته وسعة صدره

وقلت فى نفسى ماهذا وقت مجازاته على انعامه وما فى الامر الا انى أحيله الى ما أراد واهم فى وقت آخر الى اكرامه ثم انى نزلت اليه وقبلت رأسه وبين عينيه وقلت له ياوجه العرب لقد كنت فى غنى عن مسألتك وسؤالك عن اسمى لانى قد أفقرتك واستقيت مما انى من قسمى وقد عجزت عن مكافئتك وأنا مطلع الى مراعاتك وأنا أسأل الله السماء أن يحسن لك الجزاء وان يقدرنى على مجازاتك فى الايام الآتيه وان يجعل ايامك كلها غنا ولا يحصل عليك فيها بؤسا ولا عنا لانك وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام قد تركت قلبى لذكرك خافقا ولسانى لشكرك ناطقا ثم انى ودعته ورجعت أطلب قومى وأنا أقطع البر والفلا وانى الى الآن ما استطعمت بطعام ولا تهنيت بمنام وأنا من أجل ذلك فى هيام (قال الراوى) فلما انتهى حاتم من حديثه تعجب كل من حضر وقالت ماريه ان هذا حديث يجب أن يؤرخ ويسطر لانه يزعج الاعضاء والمفاصل ويتمنى كل انسان أن يكون اليه واصل ثم انها قالت للشعراء الذين أتوا يخطبونها هذه ياوجوه العرب أمور غير أموركم التى أتيتم تريدونها وانه بخلاف ما فعلتم وما هو مثل ما بين أيديكم قد متم لانه أمر ما يقدر أحد منكم يدركه وطريق لا يستطيع أحد منكم يسلكه وما هو مثل أكلكم التمر ودفنكم النوى فان أعمال الناس ماهى كلها سواء وبخلكم بالطيب الذى أرسلته اليكم وفرقته الجاريه عليكم فقال لها الشاعر النابغة الذبيانى فأنت دبرت لنا هذه المعانى وأمرتنا بذلك وفتحت لنا هذه المسالك فقالت لهم نعم لانى لما أمرتكم فما أنا الا استحمقتكم حتى بانت لى عيوبكم وصحت عندى ذنوبكم لان طباع الانسان تتغير عند الامتحان كما قيل فى الامثال عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وقد رأيتم حالتى لما استحمقتكم فى ذلك الامر وكيف نفرطبعه منه وردجاريتى بالتمر ولولا جاريتى وقعت عليه ما كان قبله منها وقد فرقه عليكم مثل ما وصل اليه وكذلك الطيب لما وصل اليكم أخفيتموه حتى كأنكم ما رأيتموه ولا عرفتموه الا هو فانه لما وصل اليه الطيب لم يقبله حتى فرقه عليكم مثل ما يفعل الحبيب مع الحبيب فكان الجواب لها من الجماعة النابغة الذبيانى وقال لها نحن قد علمنا أنك ما عملت هذا العمل واخترعت هذه المعانى الا لاجل محبتك له واقبالك عليه حتى انك تريدين افتضاحنا فتقربى اليه فقالت ماريه لا وحرمة شهر رجب والرب الذى اذا طلب كل العباد غلب ان لكم عندى ذنبا أعظم من هذا العمل ثم انها أمرت جاريتها أن تقدم لهم الذى تصدقوا به عليها فقدمت لهم ذلك ليأكلوا منه فما فيهم من دنا من طعامه ولا أكل منه الا حاتما فانه لما تقدم له ذلك الطعام الطيب الذى كان أعطاه لها فى اليوم الماضى أكل منه ثم انه دعاهم الى الاكل معه فأجابوه وقد علموا انهم قد تعبوا فعند ذلك قالوا له ياحاتم ما الصيد لمن تعب فيه وتعنى وانما هو لمن حل اليه وأكله وتهنى (قال الراوى) ثم انهم خرجوا من الحى وهم يجرون أذيال الحياء وصاروا متأسفين ومن وقتهم ركبوا خيولهم وساروا الى حيهم طالبين وهم مما أملوا خائبين (قال الاصمعى) ثم ان الجاريه هتكت ستر الاحتشام بينها وبين حاتم وخرجت اليه وقبلت يديه وقالت له ياحاتم ما بقى عندى أعز منك فان شئت تقبل على وان شئت تصدعنى فقد رضيت لنفسى أن تضيع مالى وتحفظنى بجمالى حتى تقول العرب فى كل قبيلة وحى هذه ماريه زوجت نفسها بحاتم طى واذا كنت تتكلم فى بذل نعمتى اليك واعراض نفسى عليك فها أنا أكشف صورتى لك وأريك وجهى حتى تعرف ماذا تقدم عليه وانى ما أفعل هذه الفعال الا من أجل محبتى لك ورغبتى فيك ثم انها خلعت البرقع عن وجهها وأعرضت عليه صورتها فبان من تحته عجب لم يكشف وجمال باشر لم يوصف وورد جورى لم يقطف وطرف أحور يرشق بسهام التلف وشفتان عقيقتان يحميها قلب العليل اذا لهما رشف وخدود تحسر المعاند والحسود وأمور تغيب الانسان عن الوجود (قال الراوى) فلما رأى حاتم

هذه الاسباب فقال والله ان هذا شئ ما كان لنا فى حساب ثم انه عزم على الزواج واستعان بالله رب
الارباب وقال لها يا ماريه ردى البرقع على هذا الخد الناعم فانك قد أبهرت عقل حاتم ونبهته بعد
ما كان نائم فعجلى باصلاح الحال ولا تخافى من لوم لائم فانى لما تريده من كل الامور قائم ﴿قال الراوى﴾
فتبسمت ماريه لما علمت انها نالت من حاتم ما أملته من المرام وفرحت كيف أعجبه جمالها وأبهره
ما نظره من جمالها ودلالها وبعد ذلك أحضرت جماعة من أكابر الحى وأخبرتهم بأنها زوجت نفسها
لحاتم طى ففرح قومها بما سمعوا منها من الكلام ثم انها أظهرت ما كان لها من الملك والانعام
ونحرت النوق والاغنام وأمرت بترويح الطعام وقد رتع أهل الحى فى ولائمها سبعة أيام وفى الليلة
الثامنة أقبلت وهى تخطر الى حاتم فى حللها الملونات وعقودها المثمنات وحلاها عليه جماعة من
النسوان والبنات وهى أبهى من البدر والنجوم الزاهرات فتلقاها حاتم كما تتلقى الارض العطشانه
أوائل المطر واعتنق الاثنان فكانا أحسن من الشمس والقمر فوجدها درة ما ثقبت ومطية
ما ركبت فاقتنصها وابتكرها وقد حبته حبا شديدا ما عليه من مزيد وأقاما فى أرغد عيش وأهناه
وقد نال كل منهما مناه | وأقام عندها شهرا من الزمان ونسى حديث الملك كسرى والنعمان وقد
طاب له عندها المقام وما تفكر فى يوم من الايام وبعدها أفاق من سكر الهوى وكان طفى بالوصل
نيران الجوى وتذكر أرضه التى فيها قد نشا فتقلقت جوارحه والحشا وخاف أن يهدم مجده الذى بناه
وتقطع به الاسباب وتنساه فعندها شكا حاله الى ماريه وقال لها يا منية الصبا انى رجل كثير الطارق
والزوار وأبياتى مباحة لكل مسافر ليلا كان أو نهار وما خلفت من يخلفنى من بعدى ويحفظ ودى
ويقيم عهدى وقد عولت على الرحيل ان وافقتينى والا تقيمى مكانك ولا تتبعينى فقالت له ماريه
والله ما قطعتنك عما أنت عازم عليه ولا تركت العرب تقول انى أشغلتك عن فعل المكارم وانى لقولك
امتثل بل لو أردت أن أسعى على عينى وأسير بين يديك ما صعب ذلك على فمتى عزمت على
الرحيل والمسير فأعلمنى حتى أسارع اليه وأوافقك على ما أنت عازم عليه فقال لها يا ماريه فى غداة
غد نعزم على الرحيل والجد والتشمير فقالت سمعا وطاعة ثم انها أمرت خدامها برفع رحالها
وحلسب ذلك اليوم لوداع أترابها ومن الغد رحلت مع حاتم مع أصحابها ومعها جميع ما تملك من حالها
ومالها وأخذت جميع الذخائر والاموال والنوق والجمال ورحلت رحيل من ليس له عودة الى
الديار والاطلال وسار معها جماعة لاجل خدمتها وسيرها فى الاودية الخوال فما تركهم حاتم بل انه
حانف عليهم وردهم الى الاوطان وذلك شفقة من مراعاة العرب له فى كل مكان وبعد ذلك سار يقطع
البر والفدفد حتى انه غاب عنهم وأبعد واذا قد طلع عليهم غبار أسود وعلا وانعقد ساعة من النهار
وانكشف عن مئتين فارس كرار من كل ليث مغوار وأسد هدار وفى مقدمتهم رجل طويل فى تقاطيع
الفيل وعليه درع مذهب وجوشن مقصب وتحته جواد أشهب ﴿قال الراوى﴾ ولما وقعت عينه
على ماريه وحاتم زاد به الفرح والطرب والسرور ونيل الارب والتفت الى ماريه وقال لها يا خنا الى
أين أنت سائره مع هذا الجاهل القليل الادب أبشرى فاليوم تزعق حولكم الغربان وتنهب لحومكم
العقبان ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى هذا العربان الثلاث الشعراء الذين طردتهم ماريه بالذل
والهوان فانهم لما عادوا من عندها صارت فى قلوبهم النيران فساروا يقطعون البرارى والقيعان حتى
وصلوا الى عند عابس واحكوا لهم على ما تم عليهم وان ماريه أبت عنهم وأخذت حاتما من دونهم وانها قد
أتينا اليك قبل أوان الزيارة ثم انهم حدثوه بجميع ما جرى لهم مع ماريه وحاتم من الامر الذى وقع لهم من
أوله الى آخره وكيف انها تزوجت بحاتم وردتهم خائبين وقالوا له اننا قد أتينا اليك وجعلنا معولنا

عليك (قال الراوى) فلما سمع هذا الكلام صار الضيا فى وجهه كالظلام وقال والله يا وجوه العرب قد
أتيتم الى بحديث تستاهلوا عليه الخلع والذهب لانى أنا الآخر جرى لى معها مثل ماجرى لكم ومضيت
اليها خاطبا فردتنى خائبا وأنا الى الآن فى قلبى منها بلاء ومصائب ولكن مادامت انها قد تزوجت
بحاتم لابد لها ان تسير معه لبنى طى لانه مايخلى وطنه ويقيم عندها فى الحى وأنا وحق اللات والعزى
لا كمنن لها فى البر المنقطع وآخذنها مسبيه من بين السيوف والرماح السمهريه وأعرفها قدرها فى تلك
البريه فقال النابغه وأصحابه فاذا عزمت على ذلك فنحن نسير معك ونشفى قلوبنا من هذه اللخنا بنت
العواهر وننظر لما ينزل بها مما بها الشماتة ونقرمنا النواظر فقال عابس اذا أردتم ذلك أغنيتكم من
أموالها وأفضلكم عن أصحابى وأصحابها فى قسمة نوقها وجمالها واقنع أنا بحسنها وجمالها ثم انه
أخذ أهبة ثلاثة أيام ورحل من يومه يطلب ماريه وبصحبته سبعون فارسا من قومه وتبعه النابغة الذبيانى
ورفقته طمعا فى نهب المال لان العرب قد نشؤا على الطمع وأخذ الاموال من الرجال ولاسيما
الشعراء الذين يأكلون أموال الرجال بالمحال (قال الراوى) ومازالوا سائرين وفى سيرهم مجدين
حتى وقعوا بحاتم فى ذلك البر كما وصفنا وصار حاتم يصيح بماريه كما ذكرنا وهو يقول لها الى أين يا لخنا
تسيرين مع هذا الاحمق الذى يفعل فعالا ما وافقه عليها عاقل من الرجال ثم انه طلب هودجها
وطلب رفقاه نوقها وجمالها ودوابها من كل جانب وفى أيديهم القنا والقواضب (قال الراوى)
ولما أبصرهم حاتم وقد فعلوا تلك الامور عرف المقصود وعلم أنه مايخلو من عدو وحسود فأوصى
العبيد بماريه وتأهب لدفع تلك الرزيه الا انه ما أوسع فى البريه حتى ضجت ماريه بالبكا وخافت
عليه أن يقتل و يشرب شراب الردا وتشمت به العدا فأرمت روحها من الهودج الى الارض وصاحت
وقد أعلنت بالبكا ونادت واحرباه من شر هذا اليوم الذى قد أتى واذلاه بعد العز وافقراه بعد الغنا
أنا أنشدكم بالله تعالى أن لاتعدوا الينا كف الظلم والاعتدا وخذوا ما معنا من الاموال والعبيد
لاننا قد رضينا أن نعيش بين الناس فقرا ولا تقتلوا حاتما فتقطعوا شجرة الكرم من الدنيا (قال
الراوى) فما فرغت ماريه من هذا النداء وقد قاربت حاتما رماح العدا حتى أقبلت من الطريق التى
أتوا منها عشرة فوارس وهم مثل النسور على خيول أخف من الطيور وهم مقبلون وفى أوائلهم
رجل طويل فى تفاطيع الفيل وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد وهو يصيح أبشر يا حاتم
فقد أتاك من يكشف عنك الامور العظام ويقتل أعداءك اللئام (قال الراوى) وكان هذا الفارس
هو عطاف بن فايض النظرى الذى حدث حاتم لماريه بحسن شيمه وكيف انه قد تفضل عليه
بكرمه وكان السبب لمجيئه الى هذا المكان فيمن معه من الفرسان أن خبر حاتم وزواجه بماريه وصل
اليه فقال فى نفسه لابد أن أسير الى زيارة حاتم وأهنيه بزوجته فأخذ معه من بنى عمه هؤلاء العشرة
فوارس الى أن وصل الى بنى فهم وسأل عنهم وكان قد وصل اليهم بعد سفر حاتم بيوم وليلة فأخبروه
انه سار الى أهله عن قريب فقال والله لا أضيع طريقى ولابد أن أسير فى طلبه ولو انه وصل الى أهله
ثم انه ركض على جواده و بنو عمه بصحبته حتى أدركه وهو فى تلك الحالة التى ذكرناها ولما أبصر
الصوارم لامعة والضجات مرتفعة نادى واحرباه وقع والله بحاتم من لا برعاه ثم انه نادى بذلك النداء
وصوب سنانه الى صدور العدا وحمل عليهم حملة الاسد المدرع وطعن فيهم طعنة الفارس الصميدع
فردهم الى المتسع وقد زال من رؤسهم الطمع ولما أن أبعدوا واتسع عليه البطاح ووقع الحرب
والكفاح ناداهم ويلكم يا كلاب أما تستحوا ان تقاتلوا حاتما أيليق أن تبذلوا فيه الرماح وتفعلوا
معه هذه الامور القباح فوالله قد خابت منكم الآمال وأنتكم الاتراح أبشروا بالويل وقلة النجاح

يا

يا كلاب البطاح وهاقد عاد عليكم شؤمكم وانقلبت نيتكم عليكم ثم انه بذل فيهم سيفه الفصال وطعن فيهم طعنا يقصر الاعمار الطوال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع بنو أسد مقاله ورأوا حسن قتاله انتخت منهم الابطال وردوا اليه وطلبوا قتاله فردهم عابس وقال لهم اصبروا على حتى اختبر لكم أمر هذا الشيطان الذى قد لحقنا فى هذا المكان وأهلك من معه من الفرسان لانه لا يخفى أن يكون من أهل الشجاعة والطعان ثم انه قفز بجواده حتى صار مع عطاف وزعق فيه زعقة من غير مخاف وقال له ويلك ان رواحك وأنت سالم أحسن من نصرتك لحاتم وسوف تقام فى أهلك المآتم اذا التقيت بعابس بن حازم ثم انهما اصطدما اصطدام البحر اذا كان متلاطم وتطاعنا بأسنة الرماح اللهاذم وجرى بينهما حرب تتحدث به الفرسان فى المواسم ويعجز عنه كل قاعد وقائم فما كان أكثر من ساعة من النهار وهما تحت الغبار حتى قد صاح به عطاف وانقض عليه مثل الغزال وطعنه طعنة جبار أخرج الرمح منه سبعة أشبار وحمل على أصحابه حملة الليث القسور وتبعته الرجال الذين كانوا معه وكانوا أبطالا قد تعودوا ركوب الاقطار وهان عليهم ركوب الاخطار والاهوال وقاتلوا قتالا يسكر من لا يسكر من المدام وأراهم العبر وأرمت الجماجم مثل الاكر * هذا وحاتم قد لاح له لائح النصر والظفر وذهب عنه الخوف والحذر فعاد الى زوجته ماريه وسكتها من البكا والانتحاب وقال لها ياسيدة العرب أدخلى فى هودجك والحجاب فقد فرج عنك رب الارباب ومعتق الرقاب فأجابته الى ذلك ثم ان حاتما تقدم الى معاونة عطاف فرآه قد أبلاهم بأليم العذاب وهو يطعن فيهم طعن من لا يخاف الهلاك ولا يرتاب فقال له لله درك من فارس مكين ماله فى الشجاعة والكرم قرين ولا يحتاج عند النوائب الى معين ثم انه هجم على العداهجوم الفحل اذا حل من العقال وقتل الفرسان والابطال ودام على تلك الحال حتى تغيرلون النهار واستحال وضعفت رجال بنى أسد وعادت على أعقابها والطعن يعمل فى ظهورها وأجنابها وقد أيقنت بالهلاك والوبال وألهبها بالطعن عطاف الاسد الريبال وأما النابغة الذبيانى فانه قال لاصحابه والله لقد تعبنا وشقينا وخسرانا لقينا والصواب اننا نطلب النجاة والامتناموت الفجاه لاننا نأكل أموال الناس بالمحال ونصنع زخارف المقال وايش بيننا نحن وبين القتال ثم انهم ولوا تحت الظلام الاسود وأطلقوا الاعنة مع بنى أسد هذا وقد عاد عطاف وأصحابه وما فقد منهم أحد فتلقاه حاتم وشكره على ما فعل وقال له والله يا مولاى قد حملتنى منا ما يحمله جبل وأغمرتنى باحسانك آخرا وأول فقال له عطاف ياحاتم ما خدمتك عندى الا كما تخدم العبيد ساداتها الكرام ولا زيارتك الا مثل الحج الى بيت الله الحرام فشكره حاتم على هذا المقال وعاد الى زوجته فى الحال وقال لها يا ماريه هذا الذى وصفت لك صفته وقلت لك انه قد تفضل على بكرمه وحسن شيمه فصار عندها من هذا الكلام طرف من محبته وتلقته عند عودته وقبلت يديه وشكرته وعفرت له ولمن معه ثلاث جمال من أموالها وأقاموا فى تلك المنازل باقى ذلك اليوم وتلك الليلة لاجل الراحة من أجل القتال وعطاف يهنيهم بالفرح والاتصال ولما كان من الغد ساروا يطلبون ديار بنى طيى والعبيد تسوق بين أيديهما الجمال والاموال ومازالوا سائرين الى ضحى النهار وقد عزموا أن ينزلوا على بعض الغدران واذا قد طلع عليهم فارس مثل الاسد وخلفه عبد أسود وهو راكب على ناقة مشقوقة الاذان حمراء الوبر مليحة العينان ﴿قال الراوى﴾ وكانت عادة العرب تسمى النوق والجمال بالاسماء المعهودات وقد سميت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم بالعضباء لاجل سعة خطوتها وحسن حركتها لانه ما كان فى نوق العرب ناقة تسبقها ﴿قال الراوى﴾ الا أن العبد الذى لاح لحاتم وعطاف على الناقة كان

يحمل عدته مولاه ويتبعه وكان هذا الفارس يقال له عتبة بن شهاب اليربوعي وكان يلتقي ألف فارس
ولا يفزع من الموت اذا كان كابس وكان قد خرج وحده للبس الحال والمكسب من أحياء العرب
ويريد نهب الاموال وقتل الرجال وهذه كانت عادة أبيه شهاب وكان يعد بألف فارس ولا يغزو
الا وحده ولا يعود الا بلوغ المقصود ومن أعجب الاتفاق ان عتبة وقع بهذه السرية التي فيها
عطاف وحاتم وأبصر ما معهم من الاموال والغنائم والهوادج سائرة ومعهم هودج عالي وهو سائر وما
معه غير فرسان قلائل فعطف بالرمح عليهم وطلبهم كما يطلب الاسد صيده وزعق الى أين يا أندال
العرب تسيرون بهذا الهودج اسائب ولا تفتكرون في عواقب المصايب خلوا ما في أيديكم واطلبوا
النجاة لارواحكم قال ولما أبصر عطاف صورته وسمع صرخته انخطف لونه وتغير كونه وقال والله هذا
عتبة بن شهاب فارس بني يربوع الذي لا يخاف من لمعان الدروع ثم انه قال لحاتم قف أنت مكانك
واحفظ زوجتك وأنا أفديك بمهجتي دون مهجتك لانني أعلم ان ما فينا من يلقاه ولا يقدر أن يقاومه
ثم انه ثبت جنانه وحمل هو وفرسانه وتلقى عتبة وهو يقول له ارجع على أثرك وتكلم على قدرك
كل هذا وعتبة لا يلتفت اليه وتم في حملته وهو يتبسم ولما قارب عطاف طعنه بعقب الرمح في فؤاده
أقلبه عن جواده وقتل منهم أربعة وأسر الباقي وكان لما يأسر فارسا يسلمه الى عبده ويأمره بكتافه
هذا وحاتم أه له ما رأى وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك وقال أما السلامة فما بقيت أقدر عليها
ومن المروءة أن أهرب وأترك هؤلاء القوم الذين يبذلون دون حرمتي الارواح وما يكون الا أن
أبذل المجهود كما بذلوا وأفعل كما فعلوا ثم انه حمل على عتبة وقاتله ساعة من النهار وأخذه عتبة أسيرا
وشده مع أصحابه على جواده وتقدم الى ماريه وأخذ زمام ناقتها وحاز حسنها وجمالها وصاح في
عبيده فساقوا أموالها وصارت ماريه تنادي ولم تجد لها ناصرا وهي تلتفت في أقطار الفلاة
وتقول هل من نصير وصارت تلطم على خدودها وتخضب بالدم نحورها وعتبة يصيح عليها كما يصيح
على الامة ويهددها بالقتل والاسى وهي لا تعلم أحسن الدهر عليها أم أساء قال فما أبعدت في البيداء
حتى رأت بين يديها غبارا قد علا وسد الاقطار والفلا فلما أبصرته صارت تنادي وتقول يا رب
الارض والسماء ويا من يرى حركات أرجل النمل في جنح الليلة الظلماء هل لنا من عندك ناصرا
ويكون على يديه فرجنا انك ملجأ لمن لا ملجأ له هذا وعتبة قد أبصر الغبار فوقف وسمع كلام ماريه
فاغتاظ وقال لها من يقدر على خلاصك من يدنا صك والله لو أتاك أهل الارض والسموات لم
يقدروا أن يخلصوك من يدي في هذه الفلوات (قال الراوي) الا انه ما تم الكلام حتى انكشف ذلك
الغبار والقتام وظهر مائة فارس وبين أيديهم عبد أسود كأنه بحر جلمد تشهد له معاطفه بالشجاعة
وقدامه رجل أخف من الظبا وأسرع من ريح الصبا وكان ذلك الرجل هو شيبوب والفارس
الامير عنتر بن شداد والمائة فارس الكل من بني عمه وهم الذين كانوا معه عند الملك كسرى وكان
وصل اليه النجاب من بني عبس وقال له يا أبا الفوارس الملك قيس يسلم عليك ويقول لك أطلق
رهاين القوم لان السبي جميعا من أرض الشام وصل اليه وما ضاع لاحد عقال وما في بني عبس
وغطفان الا من هو داعي لكم وشاكر الاحسان فلما سمع عنتر كلامه فرح فرحا زائدا ما عليه من
مزيد وقال للنجاب يا ابن العم ايش عندك من خبر بنت عمي عبله فقال له اعلم يا أبا الفوارس ان عبلة
وصلت قبل وصول السبي لان مقرى الوحش سيرها من عند دريد ابن الصمة وزوجته مسكه ونساء
أعمامك في غاية الاكرام والانعام وهي اليك شديدة الاشتياق والغرام ثم ان عنتر قال للنجاب
ما بقي لنا قعاد بعد بلوغ المراد ثم انهم أطلقوا الرهاين التي للروم وأحسن اليهم ورد اليهم خيلهم

وعددهم

وعددهم عليهم وقال لهم سيروا واشكروا مسيحكم لانى أقسمت ان بقى لقومى عندكم عقال صلبتكم كلكم على صور المدائن بالحبال قال وهام القوم على وجوههم وركبوا خيولهم وساروا فى الفلاة وما فيهم من يصدق بالنجاة قال ولما ان وصلت السبايا الملك قيس فرح فرحا عظيما وأرسل الى عنتر نجابا يعلمه بما جرى والتقى عنتر بالنجاب وحكى له ما جرى وأمره باطلاق الرهاين التى للروم فأطلقهم عنتر وساروا على أثره ومازال سائرا حتى التقى بحاتم ومارية وعطاف وعتبة بن شهاب البربوعى قال فلما نظر اليهم هو والفرسان وقف وقال لعروة بن الورد تقدم وانظرنا من هى هذه الباكية النائحة الصائحة لانى أرى هودجا عالى وصراخا منه قد نامى ومامع الجميع الا فارس واحد منفرد فى البر وأقول انه من شياطين العرب وقد وقع بقوم ضعاف وقد قوى عليهم ونهب أموالهم وساق نوقهم وجمالهم فأطلق العنان واكشف لنا أخبار ذلك الشيطان فقال له عروة السمع والطاعه ثم انه أطلق عنان جواده وفى عاجل الحال قاربهم وأراد ان يسألهم عن هذه الاحوال فرأى عتبة قد برز يطلب القتال وقد قفز الى الميدان مثل الاسد الرئبال فعندها ناداه عروة من تكون من الفرسان والابطال وما يكون هذا المال فقال له عتبة ويلك يا ابن الاندال فى مثل هذا المكان يكون السؤال فدونك والقتال ودع عنك مقالة الجهال وان كنت ما تقاتل الا من تعرفه فى المجال فأنا عتبة بن شهاب البربوعى ثم انه زعق عليه زعقة الاسد الوثاب ولحظ خلفه انحطاط السحاب وأراد أن ينجز أمره قبل أن تدركه الاصحاب فعند ذلك عاد عروة على عقبه هاربا فأنكر أمره عنتر وقال له ويلك يا أبا الابيض ما حالك وما الذى رأيت حتى وليت وألويت عنانك ونجوت بحصانك فقال له عروة اعلم يا أبا الفوارس ان ما كل فارس يقدر الانسان أن يقاومه فى الميدان ولا كل صيد يظفر به الانسان وأنا والله رأيته أسد امهول وفارسا لا يخشى الفحول ولا يخاف الموت والحلول فقال له عنتر وقد صعب عليه هذا المقال ويلك يا ابن العم كنت أشغلته حتى ألحقك ولا تفضحنا بهزيمتك فقال له يا حامية عبس خفت انك ما تلحقنى لانه لما صاح على أقلقنى وخفت اذا حمل على يخنقنى فزاد بعنتر الغيظ فقال له فما عرفت من هو من فرسان العرب فقال له انى سمعته يقول أنا عتبة فارس بنى يربوع ومخرب الاطلال والربوع فقال له عنتر صدقت وما قصرت عنه فى الرجوع لان هذا وأباه هم حماة المضر موت ولا فيهم من يخاف ولا يفزع من الموت ولكن أنا متفكر فى هذا السبب وما أقول الا ان طريقه خابت وفى هذا اليوم يا أبا الابيض أريك فى قتاله العجب ثم انه أطلق عنان مهرة كوكب وطلب عتبة كأنه سالب وكان عتبة قد وقف لما رأى عروة قد انهزم من قدامه لان فرسان العرب الانجاب ما كانت تتبع الهارب من مقام الحرب والضراب ثم انه صبر حتى ينظر ايش يكون من باقى الخيل التى أشرفت عليه ومازال كذلك حتى انه رأى عنترا قد وصل اليه فعند ذلك حمل عليه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ما كان صاحبكم ولى وقد ظهرت * عيناه الا السيف يقطع القضبا
فلو قام تركت الوحش زائرة * تحت العجاج ويلقى لحمه سربا
وتدنى نفسه منى بصاحبه * حتى يعيش ويلقى غيره العطبا
حتى أتى واغتدى من صورتى فزعا * وقام ولى فرارا يطلب الهربا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام أجابه يقول

ان كان صاحبنا قد مال للهرب * فاصبر قليلا ترى للفارس العجبا
فالخيل من شأنها تكبو ولا عجب * اذا الجواد جرى فى موهم العطبا
وقد ترى الليث عباسا له حرد * ودمه بدما الابطال مختضبا

وليس فخرا أسود الغاب ساجدة * لسيفه وهو من عبس اذا انتسبا

(قال الراوى) ثم انهما تدانيا وافترقا وصاحا وزعقا وقطاعنا بسيف الحدود ونواظر الرمق وطلع عليهم الغبار واحتجبا عن الابصار وتقاربا والتصقا وما كان أكثر من ساعة من النهار حتى صار البر فى وجه عتبة أسود وعرف ان منتهى أمره يؤول الى التلف والنكد فعندها أمسك رأس الجواد ووقف وقال لعنتر بحق من أمر الغيث فهكف وخالف بين النبات فاختلف من تكون من جبابرة العرب وأى عرب لك تنتسب لانى أرى لك طعنا لم يرتد وحربك ما عليه حد فقال له ويلك أنا عنتر بن شداد حامية عبس يوم الجلاد قال فلما سمع عتبة بن شهاب ذلك المقال رمى الرمح من يده وقال له يا أبا الفوارس لا تعتب على جهلى وما وقع من قلة عقلى فانى لو عرفتك عند اقبالك ما تعرضت لقتالك لان أبى شهاب من حين ما توامت بالغارات وصرت مع السادات قال لى يا ولدى قاتل من أردت من الرجال وجميع الابطال الافارس عبس الادهم وشجاعها المعلم وأسدها الضيغم ولما حاربتك وحربتك وسألتك عن حسبك ونسبك تأسفت وندمت على نفسى واعلم يا فارس عبس ان ما وقع فى يدى من هذه الغنيمة هو طعمة لك فخذها منى راعف عنى (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا المقال وأبصره نقى الخد وما لحق بالرجال تعجب من فروسيته على صغر سنه غاية العجب وقال يا وجه العرب ان دمك على حرام وأما قولك خذ هذه الغنيمة والمال فوالله لا فعلت ذلك ولا أخذت منها عقال لانى سمعت هذه الجارية تدعو الى رب الارض والسما أن يرزقها بمن يخلصها من السبى أو يكون لها حامى وأقول ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاها وسمع نداها وساقنى اليك حتى أفرج كربها وبلاها وان خنتها أنا بعد هذا الامان فما آمن عواقب الزمان لان الله تعالى بلغها المقصود ولا شمت بها عدو ولا حسود (قال الراوى) فلما سمع عتبة بن شهاب البربوعى مخاطبته تعجب من مروءته وقال والله لقد وصف لى أبى شيأ لا يعد ولا يحصى من فعالك الحميده وخصالك المفيده (قال الناقل) فهذا ما كان لهم من المشاجرة والكلام وأما ما كان من عروة ورجاله فانهم مضوا الى السبى والى صاحبة الهودج ليسألوها عن حالها ويطيبوا قلبها ويزيلوا أهوالها وأبصروا خاتما وعطافا والرجال المقدم ذكرهم وهم مشدودون بكتاف فقال عروة يا وجوه العرب انى أرى أمركم عجيب وحالكم غريب لانى أرى عليكم دلائل الشجاعة والبراعة فكيف أسركم شاف لانسان يعارضه أما خشيتم من العار والفضيحة فى جميع الاقطار فقال له عطاف يا وجه العرب أما رأيت أنت ما جرى لك من هذا الغلام حتى انك تلومنا بالملام والكلام وصاحب المثل يقول رافق الاسود ولو أكلوك ولا ترافق القرود ولو حملوك وأما سؤالك عن أنسابنا فنحن من قبيلة واحدة بل أنا اسمى عطاف وقومى بنو النظير وهذا حاتم طى ثم انه أعاد عليه حديثهم من أوله الى آخره فلما سمع عروة مقاله تعجب وأتى الى عنتر وأعلمه بذلك الخبر فقال له عنتر سيرا الى حاتم وائتنى به وحله من وثاقه ففعل عروة ذلك وحله واقبل به بين يديه فقال له عنتر يا حاتم ما أنصفك الزمان حتى جرى لك هذا الشان فقبل حاتم يديه وشكره وأثنى عليه فقال عنتر والله يا حاتم ما كانت طريقى هذه الا اليك فالحمد لله الذى من على بأن اتفق لى انى وقعت بك فى الطريق والا كنت بليت بالتعويق ثم ان عنترا التفت الى عتبة ولامه على تعرضه بهم فقال عتبة والله يا أبا الفوارس ما علمت بهم ولا عرفونى بحالهم فالحمد لله الذى وفقنى لانى ما فعلت معهم سوأ ثم انهم حطوا رحالهم فى ذلك المكان وقد عقر لهم عنتر بن شداد وزوج لهم الطعام وأقاموا فى ذلك المنزل الى الصباح وساروا وهم يقطعون الروابى والبطاح فعندها ودع عتبة بن شهاب عنتر ابن شداد وهم بالمسير الى أرضه فأعطاه عنتر أربع خيول من جنائب كسرى وسروجها بالذهب الاحمر

مرصعة

مرصعه بالدر والجوهر وقال له ياعتبة خذ هذه الخيول حتى تعيش حتى لا يضيق صدرك فدعا له عتبة وشكره وأثنى عليه وقد سار عنهم بعد الوداع وتمر اهؤلاء فى سيرهم وعنتر سائر معهم وهو يحادثهم فى احاديث الكرام وقد شغف بحاتم وحاتم يتعجب من حلاوة كلامه وقد تمكن من قلبه وزاد به غرامه وصار يحدث عنترا بحديث عطاف واحسانه اليه فى الاول وفى الآخر وهم سائرون ثم ان حاتما قال لعنتر ياأبا الفوارس اعلم انى أشتهى من فضلك وتمام احسانك أن تخطب عطاف لاختى لانه والله معدوم النظير بين العرب فقال له عنتر حبا وكرامة ياصاحب الحسب ثم ان عنترا أراد أن يتكلم مع عطاف بمثل هذا الكلام واذا بعطاف أقبل على عنتر وناداه ياابن الكرام سألتك بالله الملك العلام أن تتفضل على بأن تخطب لى أخت حاتم لانه رجل كريم من دون العباد فقال له عنتر ان شاء الله أفعل ذلك وحق الملك العلام ثم انهم نزلوا فى بعض الاماكن وقدروا الطعام وأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك التفت عنتر الى عطاف وقال له انى قد تحدثت مع حاتم بما قد ذكرته لى فأجاب ولم يبد لى خلافا ففرح عطاف بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقد جمع عنتر بينهم وزوج عطافا بأخت حاتم وأقاموا الى الصباح ثم انهم سار وا يقطعون الروابى والبطاح الى ان قاربوا بنى طى فنزلوا فى منزل يقال له ذات العيون وفيه من الانهار وأصناف الاشجار أنواع الفنون فخلع عليهم عنتر وقد أعطى لكل واحد منهم جنيبا من جنائب الملك كسرى بمركب من الذهب مزركش وودعهم عنتر وأراد أن يسير الى ديار بنى عبس فتر جل حاتم ومسك بعنان جواده وقال له ياأبا الفوارس وحق من رفع السماء وبسط الارض على تيار الماء ما أدعك تعود الى ارضك حتى تحضر عرس أختى أسماء لانك أنت الخاطب وعلى يدك تنجح المطالب وما عادة الخطاب الاحضور الولائم فقال عنتر ياحاتم والله ان خدمتك شرف ومعرفتك ضرار ونلف ولكن ياوجه العرب أنت تعرف ما لقومك على من الدماء وما جرى لى مع فرسانهم من الحروب وأخاف انى اذا حضرت معك أتعب قلبك وأكدر عليك عيشك ولولا ذلك ما كنت الا صحبتك ولكن أنا أكون معك حتى أوصلك الى قومك وحلتك فقال حاتم واعجباه ياأبا الفوارس كيف يفعلون ذلك والغرباء من القبائل يكرمونى ويجيروا ذمامى فكيف يفضحنى أهلى وبنو أعمامى وقد غمرتهم باكرامى ثم انه أقسم عليه فأجابه عنتر الى ماطلب وسار بأصحابه ورجاله الى ان وصل الى بنى طى وعلمت العشيرة بقدوم حاتم فخرجوا الاستقباله وقد فرح به الرجال منهم والنساء ولما نزلوا فى أبياتهم ضرب حاتم لعنتر خياما وضارب منفردة عن الحى ونوات خدمتهم أم حاتم ثم انه شرع فى أمر الزواج والعرس والزفاف بعد ما أكرم عطاف وخدمه الخدمة لزائدة الاوصاف قال وكانت قبائل العرب من بنى طى مقاربة من بعضها بعض فشاعت الاخبار برصول حاتم وزوجته ماريه ووصفوا ما قد أتى معه من الاموال والنعم وأيضا سمعوا انه زوج أخته لعطاف سيد بنى النظير وان عنتر بن شداد قد أتى معه فى سبعين فارسا من بنى عبس ليحضروا العروس فثارت الاحقاد الكامنة وتذكرت أصحاب الدماء دماءهم القديمة وكان أكثر الناس حقدا وأعظمهم قلقا بنى معن لان عنتر قتل فرسانهم وأباد أبطالهم فلما قتل ناقد بن الجلاح اجتمع منهم مائتان فارس وتشاوروا كيف يدبرون أحوالهم ويقضون أشغالهم لانهم خافوا جانب حاتم فقال رجل منهم وكان أكثرهم شرا وأقلهم خيرا يابنى عمى نصبر ليلة العرس ونسير من هاهنا أول الليل ونصل الى عنتر وأصحابه وقت السحر لانهم يكونون قد عادوا من الوليمة وينطرحون فى الخيام وهم سكارى من شرب المدام فننزل عليهم فى مائة فارس منهم سبعين لمن مع عنتر والثلاثين يهجموا على عنتر ونهجم عليهم وقت السحر ويضرب كل واحد منا صاحبه وتكون المائة فارس

قياما على ظهور الخيل حتى اذا لم منهم أحد يضربه الذين على الخيل بالرماح وشفار الصفاح فقالوا له وقد استصوبوا رأيه يا رابح نحن ما قصدنا الا عنتر بن شداد الذى رمل النساء ويتم الاولاد وباقى أصحابه اذا قتلناه يكونون نهبا للسيوف الحداد ولكن يا ابن العم كل واحد منا يقدر يبلغ المراد من عنتر بن شداد فقال معاذ الله نحن ما نهجم عليه الا ثلاثين من الابطال والا خابت منا الآمال وان كان وقع فى قلوبكم الخوف فدعونى أنا أهجم عليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولا يدنوا أحد منكم الى خصمه حتى أخرج ورأسه فى يدى تقطر دما وان لم أذبحه وأشفى فؤادى والا سبونى على كل غادى وبادى ولا ترجعوا الا تسمونى ذابح والعنوا آبائى وأجدادى ثم انهم بنوا أمرهم على مثل ذلك وأرسلوا بعض عبيدهم لينظر متى يكون الزفاف وأين عنتر نازل من الحى ويعرفوا منزله ومضربه الذى هو فيه ﴿قال الراوى﴾ وقضى حاتم ضيافته لبنى عبس وأولم وليمة الزفاف وجمع سادات الحى بعد ما عقر ونحر ما كفى سادات بنى طى وأهل الحى وأشبع العبيد والاماء وغنت المولدات ودارت الكاسات وطابت لهم الاوقات ومابقى أحد من بنى طى الا وشرب عند عنتر المدام وتعلموا منه سيمة الكرام قال ولما انقضى النهار وأقبل الظلام ومازج العقول المدام وزفت أسماء على عطاف ومابقى خلاف وركب عنتر وأبوه وعروة ورجاله وعادوا طالبين الخيام التى أعدت لهم وكان شيبوب فى ركاب أخيه فقال له عند ما قاربوا الخيام هذه والله ليلة انتهى فيها العروس والعدا لكم فى الانتظار ليقضوا منكم الاوطار لانكم الليلة قد امتلأتم من العقار ومابقى فيكم من يعرف الليل من النهار وأنا خائف عليكم من العدا وأسباب الردا وان لم نحترز على أنفسنا والا اشتفت العدا منا ولا ينفعنا حاتم ولا عطاف ولا يردوا عنا كأس التلاف ثم ان عنترا زال التمام من رأسه أقداح المدام وخاف انه يضطجع تلك الليلة للمنام فخلف بخالق الاضياء والظلام انه لا يغفل ولا ينام بل انه قال كل واحد منا يحرس نفسه لما يجب و يختار حتى يطلع علينا النهار ثم انه بعد ذلك قال أنا أكفيكم أمر هذا ان أجبتمونى الى ما أريد فقالوا له قل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فقال لهم اعدلوا معى الى هذه الروابى التى عن أعيننا وتترجل عن الخيل ونكمن عندها ونخلى مضاربنا خالية وشيبوب يكون فيها واذا كبس أحد على الخيام يأتى الينا ويعلمنا قال فلما سمع بنو عبس هذا الخطاب رأوه صواب ثم انهم قصدوا الى الروابى والهضاب وكمنوا فيها وقد خطر لهم هذا الامر وهم فى نشأة الخمر وكانت فيه سلامة نفوسهم الا انهم ما زالوا كذلك حتى أقبلت العدا وقاربت الخيام فى جنح الظلام وانقسموا قسمين وترجلوا وفعلوا ما كانوا عليه عولوا وسلمت المائة فارس السيوف والقواضب ودخلوا عليه بين الخيام والمضارب ووقفت المائة فارس الاخرى على ظهور الخيل وقد لمعت رماحهم مثل نجوم الليل فلما شيبوب بجميع أحوالهم فعند ها صاح فى أخيه ورجاله فخرجوا من خلف التلال وعنتر يقول يا بنى عمى اقلعوا أسنة الرماح وتجنبوا سفك الدماء وهلاك الارواح حتى لا يكون علينا لوم لائم ما دمنا مضيوفا عند حاتم واقصدوا الخيالة قبل الرجالة لانكم بذلك تبلغون الارب وما أحد منكم يعول على الهرب لان ما فى خيامنا من يظفر وابه قال فاستصوبوا رأيه ومقاله وفعلوا ما قد خطر بباله وطلب أصحابه الخيل فى ظلام الليل وصاحوا عليهم لما فارقوهم وقالوا لهم يا أنذال بنى طى لقد خابت آمالكم وساءت أحوالكم ثم انهم طعنوهم بعوامل الرماح الذوابل وخرجوهم من على ظهور الصوافن ﴿قال الراوى﴾ وكانت فرسان بنى طى قد انذهلت لما ان سمعت الصياح وحارت فى أمورها وتخبلت وانقطعت ظهورها لانهم أبصروا بنى عبس قد نزلت عليهم نزول القضاء والقدر والذين تكلفوا بقتالهم ما ظهر لهم خبر فأيقنوا بالهلاك والذهاب وسمعوا صيحات عنتر

فرجعوا

فرجعوا على الاعقاب وما نجا منهم الا القليل وأكثرهم سار وا مطروحين فى جنبات الفلا وهم مثل القتلى فنزل اليهم عروة ورجاله وشدوهم كتاف وقووا منهم الاطراف وكشفوا منهم الرؤس وأنزلوا بهم الهم والبؤس هذا وشيبوب جرح منهم جماعة بنباله وبلغ منهم آماله وقتل منهم مقدمهم ذابح الذى ضمن لقومه قتل عنتر لان شيبوب ضربه بنبلة فوقعت فى نحره وخرجت تلمع من حلقه والباقون لما سمعوا الصياح صاروا يموجون فى أقطار البطاح وشيبوب يزعق فى جوانبهم ويشغلهم حتى عادبنو عبس اليهم ودار وا بهم وأخذوا منهم جماعة والباقى هرب الى عند حمى حاتم ورموا أرواحهم الى داخل البيوت واستجاروا بأهلها وما أصبح الصباح الا والدنيا منقلبة لاجل هذه القنتة وكل واحد يسأل صاحبه عما جرى وكان مقدم الحلة يقال له زامل بن الصباح فركب ومعه حاتم وجماعة من بنى طى وسألوا عن حقيقة الحال فركب عنتر ورجاله اليهم وحدثوهم بالقصة وما جرى وأما شيبوب فانه ساق الاسارى الى بين أيديهم فلما نظروهم أطرق حاتم برأسه الى الارض من شدة الحياء وقال لزامل وحق من أوجد الاشياء ان لم تقاتل هؤلاء الاندال على ما أبدوا من الفعال لارحلن من هذا الحى ولا أعد من ماشيدته لبنى طى لانهم فسخوا ذمامى واتوا يريدون قتل من أحسن الى وصان حريمى وأكل طعامى قال وكان زامل يحب حاتما محبة صادقة فسل سيفه وعول على ضرب رقاب الاسارى فتقدم عنتر وسأله فيهم وقد اجتهد فى اطلاقهم فقال زامل يا أمير عنتر قد وهبتك دماءهم ولكن لابد لى من تأديبهم على ما فعلوا ثم انه أمر عبيده فنصبوا لهم خشبا على رؤس الروابى وعلقوهم عليها طول ذلك اليوم الى وقت المساء وأطلقوهم وعند الصباح استأذن عنتر حاتما فى المسير الى أهله وشكا اليه شدة شوقه الى عبلة فقال وذمة العرب يا حامية عبس ان فراقك عندى مثل فراق الروح من البدن لما لك على فى الفضل والمنن ثم انه سار معه لوداعه يوما كاملا وعاد حاتم الى قومه وسار عنتر وجد فى المسير يطلب أرض الشربة والعلم السعدى وقد خلا قلبه لذكر عبلة ولا بقى له حديث مع أصحابه الا فيها لان البعد عن ديار الاحباب يزيد نيران الالتهاب ثم انه تلقى من ناحية ديار عبلة هبوب الرياح وصار يعاتب البرق كلما هتف ولاح ثم انه هاجت به الاشجان والاشواق فأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

اذا رشقت قلبى سهام من الصدد * وبدل دهرى حادث العرب بالعدد
ابست لها درعا من الصبر مانعا * ولو بات غيرى فى الظلام على وجد
وكيف يزور الطيف من كان ساهرا * يبيت بأجفان شهور على صدد
عللا قلبى لا تصح فانها * اذا مرض المشتاق عال بالوعد
* فبالله يا ريح الحجاز تنفسى * على كبد حرانة ذوب من الوجد
ويا برق ان جاوزت من جانب الحما * فحى بنى عبس على العلم السعدى
وان خمدت نيران عبلة موهنا * فكن أنت فى أطلالها نيرا الوقد
وخلى الندا ينهل فوق خيامها * يذكرها دهرى اذا أنكرت عهدى
عدمت اللقا ان كنت يوم فراقها * أرى صورة فى مثل صورتها عندى
ألا قاتل الله الهوى كم بسيفه * قتيل غرام لا يوسد فى اللحد
وأسأل سيفى كم أقل بحده * صروف الرزايا وهو يقاق فى الغمد
أجرده فى كل يوم كريهة * فيفرق ما بين المشايخ والمرد
وتلمع من تحت الغمام بروقه * وأصوات عالى البيض تسمع كالرعد

ومازال كلب الروم الاوقد لقى * رجالا ترى الموت أحلى من الشهد
وأهنا الينا تلتقى الطعن دائما * كما يلتقى العطشان من صافى الورد
حملت على الفرسان فرقت جمعها * فنالت بنو عبس بها الفخر من عندى
لقينا ثقال الجيش فى الالاة وفوقه * ثقال غمام حالك اللون مسود
ينادون عيسى والصليب ومريم * ونحن بعون الله بالشكر والحمد
فما درتهم بالطعن حتى تساقطوا * الى الارض من فوق المضمرة الجرد
أنا عنتر العبسى فارس قومه * أموت ويبقى لى أحاديث من بعدى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره مالت الفرسان لهذه الابيات لما رأوا من عنتر وفصاحته عجبا ثم انهم سارا يقطعون تلك البرارى والقفار وهم يتذاكرون ما كان لهم من الاخبار حتى انهم وصلوا الى الديار فعندها أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبقهم و يبشر أهل الحلة بقدومهم ففعل ما أمره به أخوه وكان وصوله نصف النهار وأخبر أهل الحى بما كان لهم من الاخبار (قال الراوى) ولما قارب عنتر وأصحابه الى الديار فالتقى به مقرى الوحش وخلفه جماعة من بنى عبس الاخبار و بين يديه ولده سبيع اليمن وهو فى دون المائتين فارس ولكنهم من فرسان بنى عبس الاشاوس وكانوا التقوا به على بعد من الديار وسلموا على بعضهم البعض وهم فى فرح واستبشار ورجعوا يتحادثون بما كان لهم من الاخبار وعنتر يحدثهم بحديث حاتم طي وكيف التقاه أسيرا وخلصه وسار معه الى حلته وكيف أضافه حتى عمل عرس أخته وكيف زوجها عطاف بن فائز النظرى وأعلمهم بما جرى له فى بنى طى وكيف غدر به رجال الحى وبعد ذلك سأل عنتر من مقرى الوحش عن الملك قيس واخوانه وفرسانه وعشيرته وهو يتعجب كيف ما خرج أحد منهم اليه وقال مالى أراكم فى نفر قليل أما كان لى فى بنى عبس محب غيركم فعلت معه جميلا فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس ما فى الحى أحد حاضر تعتب عليه بل ان الجميع غياب مع الملك قيس فى بلاد اليمن فتعجب عنتر من ذلك وخاف عليهم أن يكون قد اعتراهم أمر من أمور الزمن وصار من ذلك فى فكر فلما رآه مقرى الوحش فى اشتغال وهو فى فكر من هذه الاحوال قال له يا أبا الفوارس ليس الامر كما خطر ببالك وانما بعض السلالين قد أتى الى الملك قيس يخبره بأنه قد ظهر فى بلاد اليمن ولد لاخيه مالك وانه هو وأمه فى حلة من حلل بنى كلب بن وبره وهم فى ضنك عظيم من الشقاء والمضره وقد سارا اليهم يريد أن يخلصهم من ما هم فيه من ذلك البلاء المقيم وتركنى أنا ومن ترى هنا لحفظ الاموال والحريم (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام تعجب من تصاريف الايام وما يبدو منها من الامور والاحكام وتذكر مالك ما كان يفعل معه فى أيام الصبا وافضاله عليه دون أبى قراد وتأسف عليه وتناثرت الدموع من أماق عينيه وقال لمقرى الوحش والله لقد هيجت أشجانى و جددت على أحزانى وقد ذكرتنى برجل كان عندى أعز من روحى التى فى جسمى وانك يا أخى ما تعرف ما كان فيه الادراك لانه قتل قبل ما أتعارف أنا وإياك وذمة العرب ما كان فى أولاد الملك زهير أكبر منه مروءة ولا سجية ولولاه ما كنت الى الآن خلصت من رق العبودية وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام لو كنت سمعت أنا قبل حضورى أنه ظهر له ولد ما كنت أتيت اليكم بل كنت مررت من تلك الناحية ولا كنت احتجبت الى رفيق ولكن ان أحيانى الزمان لأفعلن فى ولده فى حال حياته كما كان يفعل بى فى حياته وانى ما أقيم هنا الا مقدار ما آخذ الراحة وأتزود من بنت عمى عبلة بالنظر وأعود أطلب بلاد اليمن على الاثر كل هذا يجرى وهم سائرون حتى وصلوا الى الابيات فتلقتهم النساء والبنات وهن قد

ارخين

أرخين الشعور وأرمين البراقع عن الوجوه البدور وعبلة بينهم تتباهى بما كساها الله به من الجمال والقد والاعتدال والجميع يتمايلن كأنهن الاغصان اليوانع وعليهن الملابس الفاخرة على ذلك الجمال البارع قال وكان كل هذا فرحا عنتر وعودته الى الحى سالما وما رأوا امامه من الاموال والغنائم هذا وعنترلما أن راه انثنى رجله وترجل وصار الى خيامه ولم يصدق أن يرى عبله قدامه ﴿قال الرواوى﴾ وكان السبب فى سفر الملك قيس وذلك الاتفاق أنه بعد مفارقته لعنتر وهو عند الملك كسرى والنعمان وعودته من بلاد العراق قد سار الى حلة وجمع شمله بأهله ورفقته وأقام حتى وصل اليه من أرض الشام ولم يتخلف منه عقال وكل ذلك لاجل حاميتهم عنتر البطل الهمام وبعد ذلك أقام مواظب الولائم والدعوات واغتنمت بنو عبس أوقات المسرات فاتفق انهم خرجوا فى بعض الايام الى غدير ذات الارصاد وقعدوا يتحادثون فيما جرى لهم من الانكاد حتى أزال الله ما كانوا فيه من الضنك والعناد كل ذلك يتذكروه وهم يشربون المدام واذا هم بنجاب قد أشرف عليهم من البرارى والاكام وقد بدأهم بالسلام وقال لهم ياسادات العرب الكرام أريد منكم من يرشدنى الى طريق الخير ويدلنى على طريق أسلك منها الى الملك قيس بن زهير ﴿قال الراوى﴾ فعندها قدموه اليه وأوقفوه بين يديه فقال له ياوجه العرب أنا الملك قيس الذى تسأل عنى فقل ماحاجتك ياهمام فقال الاعرابى يامولاى فان كنت أنت الملك قيس المذكور فانى أعلمك بشئ يسرك ويبعد عنك مايضرك ولكن ما أبشرك بتلك البشارة حتى آخذ حق بشارتى منك فلما سمع الملك قيس من الاعرابى ذلك الكلام اشتاق الى سماعه وأمره فى عاجل الحال بالنزول عن ناقته فنزل وأمر الملك قيس باحضار الطعام فأكل ولما اكتفى أعطاه قدحا من المدام فامتنع من ذلك وقال يامولاى ان صاحب هذه الرسالة عاهدنى عهدا لا أضيعه وان عرض شئ قبل التبليغ أمنعه حتى انى أبلغ رسالته وأؤدى ماحملت من أمانته ومقالته فقال الملك قيس له هات ماعندك بلغك الله منالك وقصدك فعندها ابتدأ الاعرابى يحكى لهم حكايته ويشرح لهم قصته وقال له اعلم أيها الملك انى رجل سلال وصنعتى حرامى لص محتال وأدور قبائل العرب بكل حيلة وسبب حتى أرسل الخيل وأدعس عليها نهارا وليل ولو كان الفرس فى وسط قلب صاحبه توصلت اليه وانتزعته منه وأنزلت به مصائبه وانى يامالك سمعت بخبر جواد كلب بن وبره فسرت قاصدا اليه لعلى أسرقه وأحرق قلب صاحبه واحسره عليه فسرت الى أن وصلت الى الحى الذى هو فيه فدخلت اليه وتأملت معانيه واقتحمت عليه الى داخل المضرب ولى قلب أقوى من الحجر ثم قطعت شكال الجوانز من رجليه ويديه وقدته على يدى الى ظاهر البيوت وقد ستر على الحى الذى لا يموت ولما أن بقيت على ظهره وكان حصانا مثل العقاب فلما ان أحس بى نفضنى أرمانى على التراب وعاد يطلب معلفه وهو يمر كر السحاب ولما وصل مكانه صهل وصار يضرب بحافره الحصى والجندل حتى كادت الارض أن تتزلزل فانتبه صاحبه على حس صهيله لانه كان يعرف صهيله من دون الخيول فأبصره وهو محلول فصاح فى فرسان القبيله فأتوا اليه وهم راكبون الخيول وكل فارس منهم كأنه بهلول فصار يقول لهم يابنى عمى قد طرق الليلة أبيات ناسلال وقد غداها رب نخذوا عليه الطرقات والمذاهب وبادروه قبل وفاء انجاذه وفوات المآرب ومازال ينادى بمثل ذلك النداحتى ملكوا عليه سائر أقطار البيداء فلما علمت أنى مابقى لى مخلص من كيد هؤلاء اللئام سرت أغدو وأنا مهرول بين الخيام وأيقنت باتلاف مهجتى بين الانام ومازلت مهرولا والعبيد تصيح على وتضربنى بالحدفات حتى وصلت الى بيت منفرد عن الابيات فقلت فى نفسى التجئ الى هذا البيت لعل أن يكون لاحد من السادات أو يكون صاحبه

فى هذه القبيلة موصوف وباجازة الرماح معروف فوجدت فيه امرأة عجوزا جالسة تغزل صوفا فدخلت عليها وأرميت روحى بين يديها وأمسكت بذيلها وقد استجرت بها فأجارتنى وآمنتنى على نفسى بعدما كان انقطع حسى وقامت الى الرجال الذين لحقونى وقد صاحت عليهم فوقفوا عنى وقد هابونى فأخبرتهم انها أجارتنى وبذمامها شملتنى فعادوا عن مضربها ومقامها وهم يقولون هذه امرأة من أكابر قومنا ما نفسخ ذمامها وبعد ما رجعت العجوز وهنتنى بالسلامة وأمرتنى عندها بالاقامة وقدمت لى الزاد فأكلت وعطتنى قعب لبن شربت ثم أقمت عندها الى الصباح واطمأن قلبى واستراح فقالت لى ياهذا اعلم أنك يضيق صدرك ان أقمت عندى فى البيت فأخرج وتمسح بين الروابى والقيعان ولا تبعد فى البر بعيدا فيتعب قلبى عليك ويسير بينى وبين قومى الشر والعداوه لان بعلى وأولادى فى هذه الايام غائبون ولابد أن يأتوا فى هذا الحى وأنا أراعيك وآخذ حسك لعلهم أن يأتوا ويسيروا معك الى موضع تأمن فيه على نفسك (قال الراوى) فلما ان سمعت منها ذلك الكلام صرت كل يوم أخرج الى الغدير وقد أمنت على نفسى من الصغير والكبير وصرت كل يوم أفعل ذلك وأعود الى البيت التى للعجوز وأهل الحى يرونى وينظروا الى لما أنى عليهم أجوز فلما كان فى بعض الايام وأنا جالس تحت هذه الشجرة التى ألفتها وكان وقت الضحى والشمس على الارض قد أرخت جرمها واذا الجارية قد أقبلت من البر وقد اشتد عليها الحر وعلى وجهها برقع خلق وعلى بدنها جبة من صوف الا أنها فى ذلك اللباس عليها آثار النعمة ووجهها بالخير معروف وبين يديها صبى ووجهه أحسن من الهلال لكن قد غيرت محاسنه ومحاسن أمه تقلبات الايام والليالى وله من العمر ما يقارب عشر سنين ولبسه مثل لبسها وحسنه مثل حسنها الا انهم فى الهم مشتركون وقدامهم أغنام يسوقوها الى تلك المرعى وعليهم حالة الذل والهوان وهم بذلك الشقا والزفير والجارية تقول لولدها يا مجيد رد الغنم الى ناحية ذلك الغدير لاننى قتلنى الحر والهجير ففقز الصبى حتى يعين أمه على ذلك الشقاء والتعب فعثر فى حجر فوقع على وجهه وتكبكب وقد أدمت قدماه وجبهته فأحرقنى قلبى عليه وعلى ما صار من قصته وصار يبكى ولا يقدر ان يقوم على قدميه فلما أبصرت أمه حالته عادت وعدلت اليه وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وشقت رداءها وعصبت به جبهته وصارت تقول له يا ابن الثكلا وابن المفقود ليلة الجلا يا ابنى وافقت أمك على صغر سنك فى الشقاء والتعذيب وربيت فى اليتم وخدمت من هو ليس منا بقريب يا ولدى ليت أمك ماتت ولا رأتك فى هذه الحالة تخدم العدا أوليت أباك بقى ولا كان شرب كأس الردا ثم انها ازدادبها النحيب والبكا فأنشدت تقول صلوا على طه الرسول

وافقتنى فى الشقا والحزن يا ولدى * على أبيك الذى ولى ولم يعد
وقد بكيت بدمع بعد فرقته * وكم أبيت ونار الشوق فى كبدى
يا ليتنى كنت فارقت الحياة ولا * بليت بالذل والتعسير والنكد
وليت أمى رمتنى للسباع ولا * رأيت ذا الهول فى الاحزان والكمد
أو ليتها دفنتنى فوق رابية * بين التلال وشلت ساعدى ويدى
بنو فزارة لا زالت ديارهم * تشكو الى ساكنيها قلة العدد
كما فجعتم فؤادى يوم فرقته * بفارس كالهمام الضيغم الاسد

(قال الراوى) ثم ان السلال قال بعد ذلك للملك قيس وانبى يا مولاى لما رأيت الجارية وسمعت نداءها وأبصرت صورتها عرفت انها من هذه الديار غريبة وان الزمان تعدى عليها وجار

فعدلت

فعدلت اليها وسلمت عليها ثم انى قلت لها يا جارية لقد أحرقت قلبي وزدتني كربا على كربي فان كنت غريبة من هذه الديار فأخبريني أنت من أى العرب الاخيار وكيف السبب لفراقك لاهلك والاوطان لاني اراك شديدة الاحزان زائدة الوجد والاشواق عظيمة التلهف والاشتياق فقالت لي ياهذا انني غريبة كما ذكرت ووحيدة أنا وولدي في هذه الديار كما أخبرت ولكن ياهذا من يكشف عني ما أنا فيه وايش تنفع الشكوى لمن يضيعها وايش النفع للذي يشكي بلوة تكون فيه لمن لا يزيلها عن صاحبها فقلت لها من هم عربك وعرب هذا الغلام فقالت أنا ما أقدر أخبرك من أنا ولا أقدر أشرح لك قصتي خوفا على ولدي من العناد ولولا انني أعرف انك غريب من هذه الديار ما كنت أطلعتك على شيء من هذه الاحوال فقلت لها أنا أحلف لك بمن كسى الليل حلة السواد وأغسقه وجعل الفجر نورا مشرقا وتفرد بوحدانيته بالدوام والبقا انني ما أكشف سرك لاحد من البشر ولا أبوح به لانثى ولا ذكر الى حين أموت وأقبر وما قصدي بهذا الاخلاص لك واظهار أمرك الا على ان أصل الى قومك وأكشف لهم عن خبرك لان قلبي قد رحم بكاك ولعل الله أن يفرج ما بكي ويجعلني من السوء فداك ويصير على يدي فكاكك وفكاك وكل هذا الاجل هذا الطفل الصغير الذي كأنه ولد كبير وهو على صغر سنه يقاسي الشقا والتعتير كل هذا يا ملك الزمان وهي لم تجبني بسؤال وبعد ذلك مال قلبها الى وأخرجت سرها على وقالت يا فتى اعلم ان هذا الصبي أمير ابن أمير كبير وأنا أخبرك بقصته وأشرح لك عن حكايته ظاهرا وباطنا وأخبرك بما جرى علينا أولا وآخرا اعلم ان هذا الصبي أبوه مالك بن الملك زهير معدن الكرم والجود والخير الذي هو أفخر العرب نسبا وأهلا وأعلاها حسبا وفضلا وأما وأبا وأهلا وكان قد تزوج بي لما وقعت الفتنة بين بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان من أجل سباق الخيل وأنا كنت فقيرة فأغناني وأعطاني من المهر ما كفاني وقد زففت عليه بالجلاء والمغاني ولما ان خلونا بعضنا كدر الدهر علينا صفو عيشنا ثم انها أخبرته بالقصة من أولها الى آخرها (قال الراوي) وأخبرته كيف أتى عوف أخو حذيفة وشن عليهم الغارة هو ومن معه من بني فزارة وأنه قتل منا السادات وسبى من قدر عليه من البنات فهربت أنا مع جملة من هرب وهمت على وجهي في الفلوات من شدة الخوف والممات وقد عولت أن النجئ الى بعض الغدران والقبائل الذين يحمون من استجار بهم فالتقانا عرب هذه الديار أنا ومن معي من البنات والاحرار فساقون كبارا وصغار وقد وقعت أنا من شؤم بختي مع هؤلاء القوم وكنت علقت من بعلي بهذا الصبي على دم الزفاف ولما تكاملت أشهره وضعته في هذه الديار وقد ربيته في ثياب الذل والاضرار وكتمت نسبه خوفا عليه من الهلاك والبوار وكل من سألني عنه أقول هذا الولد رزقته من ابن عمي وقد حلت به الآفات ومات مع من مات وهذه قصتي قد شرحتها عليك كأنك قد رأيتها بعينك وأريد منك اذا حضرت الى بني عبس في بعض أسفارك فاقصد ملكهم قيس بن زهير وقل له أما تخشى أن تكون ملكا مطاعا وابن أخيك يرعى الجمال والاغنام في تلك البقاع فما يرضى بهذا من هو بطل شجاع ثم قال السلال ولما فرغت من كلامها يا مولاي بكت على بعلها بوجد وزفرات وما زالت على ذلك حتى أسالت من أجفاني العبرات وكاد فؤادي أن ينفطر مما بها من الحسرات وبعد ذلك قالت يا وجه العرب سألتك بحرمة شهر رجب انك توصل خبري الى قومي وتحمل هذه المشقة وذلك التعب فقلت لها يا حرة العرب وحق من في علم غيبه قد احتجب ان سرت من ها هنا الى قومك لأعلمهم بقصتك وشؤمك وما تقاسيه من همومك وغمومك وأعلمهم بحديثك الذي ذكرتيه لي في قومك ثم اني يا ملك طيبت قلبها وفارقتني وفارقتها وسرت الى بيت العجوز وأقمت عندها

حتى قدم أولادها وبعلها وأخبرتهم انها قد أجازت ذمامي وحقني من بني عمها فرحبوا بي وأعطوني الناقة هذه لتعينني على قطع الربا والآكام وساروا معي الى مكان الامن والسلامة وتودعت منهم وأمرتهم بالرجوع الى أطلالهم والربوع وأنا أشكرهم من أفعالهم وما فعلوا معي من الجميل لانه غير قليل وبعد ذلك يا مولاي سرت قاصدا اليكم وأعدت حديث ابن أخيكم عليكم فهي والله أمه على وجهها الخير والرجا وولدها أحسن من بدر الدجا الا ان الهم والبلاء قد غيرا حوالهم وأمور الدنيا قد أزرت أحوالهم ﴿قال الراوي﴾ فوالله ما سمع الملك قيس هذا الكلام من السلال حتى بكى الملك قيس وكل من كان قدامه من أهله وبني أعمامه هذا وقد شاع ذلك الحديث في الحله وقد تسامعت به الرجال والنساء جمله وأما الملك قيس فانه غاب عن الدنيا من شدة ما جرى عليه وفاضت مدامعه على وجنتيه ثم انه ناول الكاس لساقيه وحلف انه ما عاد يشرب باقيه حتى انه يخلص ابن أخيه وأمه مما هم فيه ثم انه في عاجل الحال خلع على السلال وأركبه على جواد من أرقى الخيول الجياد ونادى في فرسان الحي بالرحيل وسرعة الجد والتحويل وركب وسار في بني عبس الاخيار وكانوا ثلاثة آلاف فارس ومن خوفه على الاحياء وهذه الديار من كيد الاعداء الاشرار ترك مقرى الوحش حامية لها وترك عنده خمسمائة فارس ريبال وذلك لاجل حفظ الحريم والاموال لعلمه انه يعادل عنتر في الفروسية والشجاعة والبراعة وسار الملك قيس وهو يقول للربيع بن زياد أتى علينا عنتر بن شداد حين علم ان قد ظهر اصديقه ولد من الاولاد لانه كان في زمانه من أفخر متعصبيه وكان أخاله وصديق وكان دائما يتعصب له في كل شدة وضيق ولو كنت أعلم أنه يقدم سريعا من أرض العراق كنت أنفذت اليه وأقمت الى أن يأتي الينا وآخذه معي في هذه الكرة ولكن أخاف أن النعمان يعيقه ولا يتركه يأتي الينا اذا أرسلت اليه نجاب لاننا خلينا ه عند كسرى في مجلس الشراب ونحن الذين قد ضيعنا الحزم حيث ما أرسلنا اليه ولكن الغائب حجته معه ولا ندري ما يكون من طول غيبته لانه في أشد ما يكون من اللهو والطرب وأخاف أن نتكاسل عن هذا السبب فيشيع عنا في قبائل العرب ان ابن أخي عنتر الاعداء مقهور ومأسور وأعار أنا به بطول الازمان والدهور وربما يسمع أهل الحلة التي هو فيها أن نسبه متصل الينا فيقتلوه لاجل الدماء التي علينا ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك قال الربيع بن زياد أيها الملك المهاب ما رأيت الاغاية الصواب حتى لا يصير له علينا كلام بعد خلاص عمنا من أرض الشام ويقول انهم ما قدروا ان يخلصوا سيدا من ساداتهم حتى أتيت وخلصته لهم والرأي عندي اننا نسير نحن اليهم ونخلصه منهم ونلقى كل من في بلاد اليمن بمن معنا من الابطال ثم انهم سلكوا البراري والقفار وطلبوا بلاد اليمن وهاتيك الديار ﴿قال الراوي﴾ وكان بالامر المقدران الامير عنتر وصل الحلة بعد ان ساروا بثلاثة أيام وحدثه مقرى الوحش بما جرى لهم من الكلام فعند ذلك دخل على عبلة وبل شوقه منها وبعد ذلك اشتاق الى ابن مالك وتذكر اباه وما كان يفعل معه من الجميل ويكافئه وقد علم ان بني عبس لابد أن تجتمع عليهم قبائل اليمن ولا يكون عندهم من يجميهم من تصاريف الزمن فحد عزمه على اتباعهم ليعينهم على اعاديهم وقد خاف على بني عبس أن يقعوا في التعس والنكس وأيضا خاف على بقاياهم من بني فزارة وسنان بن أبي حارثة أن يبلغه ما هم فيه من المرام وربما ركب عليهم بملوك الشام من أجل ما جرى بينهم من الحرب والصدام لان بني غسان أقوام لئام وقد علم ما جرى بينهم من الحرب والصدام وما وقع حتى تبدد شمل العشيرة ورجع أجتمع وقد تعبوا حتى رجعوا الى الديار وقربهم القرار ثم انه قال لهم يا بني الاعمام الرأي عندي انكم تقيموا في الاوطان مع أخي عروة ومن له من الفرسان وأيضا يكون معكم الرجال الذين كانوا معي

بارض

بأرض العراق واسيرا ومعى أخى مقرى الوحش فارس الفياق ونأخذ معنا أخى شيبوب ونسير
خلف العشيرة لعلنا أن نلحقهم من قبل أن تجتمع عليهم الجموع ونقضى حوائجنا ونعود وشملنا مجموع
وان طالت يابنى عمى غيبتنا وسمعتم مالا ترضوه عن بنى فزارة أو بنى غسان لانى أعلم انهم طائفة
غدارة خيان فلا تطيلوا بينكم الكلام بل ارحلوا الى منازل شيخ العرب دريد بن الصمه أو الى بنى
عامر وكونوا غدا أحد الجهتين حتى نرجع بسلام فقال شداد والله ياولدى لقد نظرت موضع النظر
افعل مابدا لك واعلم اننا مستيقظون على أنفسنا من مقالك فطب قلبك من جهتنا فنحن مانتهاون
على أنفسنا ولا نتغافل عن أخبار أعدائنا بل نقيم لنا عيونا وأرصادا تأتينا بالاخبار من سائر الجهات
ونبذل مجهودنا ونهجر المنام الى أن تقضى حاجتك وتعود الى الديار وأنت فى خير وسلام (قال
الراوى) فعندها طاب قلب عنتر على قومه وتجهز للسفر من يومه ولم يأخذ معه سوى مقرى الوحش
وأخيه شيبوب وقطعوا من الارض العلائق وصاروا بلا عائق يعيقهم ولا سابق ولم يأخذوا معهم
لاناقة ولا جمل بل طلبوا الوحدة والانفراد وبلوغ الامل وسلكوا البرارى واقتحموا الفلوات وسلك
بهم شيبوب تلك التلال المقفرات وقطع بهم تلك الهضاب الموحشات ومازالوا على ذلك الحال ستة
أيام متواليات وفى اليوم السابع فرغ منهم الماء والهبهم العطش والظما وقد عرض الجواد مقرى
الوحش عارض فهلك وارتمى فصار مقرى الوحش راجلا وصار يقطع على قدميه الفلا فنزل عنتر
عن جواده موافقة لصاحبه وترك العدة فوق جواده الابجر وساروا يجدون المسير فى ذلك البر الاقفر
فقال عنتر لاخيه شيبوب لم لا أعلمتنا ياولد الزنا ان هذه الارض مهلكة كثيرة العنا حتى كنا اعتدينا
لها بالجبل الاصال ولا كانت جرت علينا هذه الاهوال فقال شيبوب والله ما كنت أعلم الا أن هذه
الارض كثيرة الماء والمناهل ولكن الانسان مايعلم ماخبئ له فى الغيب من القضاء النازل ولم أعلم
أن جواد مقرى الوحش يموت فى هذا المكان ولم أعلم فروغ آجال الخيل ومايقع لها من الهوان
ومايجرى عليها من الحدثان فقال له مقرى الوحش هلا تعرف لنا منهلا ندركه على عجل قبل أن يأتى
المساء لانه مايأتى آخر النهار وفينا من يعرف أحسن الدهر اليه أم أساء فقال له نعم انى أعرف قدامنا
منهلا قديم للعرب يقال بنو باعث وهو غدير واسع وله منافس ومنابع ومابقى قدامنا الا هو ولا
اتكالنا الا عليه وان كنا لا نجد فيه ماء اذا وصلنا اليه فوحق الرب القديم مايرجع منا من يخبر بخبر
لان بعده مفاوز صعبة واسعة الفضا لايقطعها الا تساع أرضها وصعوبة مسالكها الا أنا فقال مقرى
الوحش ما أنت الا قطعت ظهرى ياشيبوب فلعن الله أباسبالك ومن المصائب لاقالك وحق الرب
القديم اذا وصلنا الى هذا الغدير ووجدناه ناشفا لاتركناك تنتقل عنا بشبر قصير ولابد لى ما أشد
بديك ورجليك وأدعك تموت معنا على جانبه ويقضى عليك لان الدليل أحق من غيره بالعذاب
الطويل * قال وكان شيبوب يعلم انه ياتى الماء الا انه أراد أن يوهم مقرى الوحش ويروعه لما ان رآه
قد عاد راجلا وصار يمازح معه ويهون عليه المصائب الا انه مازال سائرا بهم حتى أوصلهم الى الغدير
وقد تعبوا تعبا شديدا كثيرا ولما ان وصلوا الى الغدير نزلوا لاجل الراحة وقر بهم القرار فى تلك الساعة
فشربوا من الماء حتى ارتووا وبعد ذلك أضربوا النار وكان معهم شئ من لحم فشووه وأكلوه وقليل
من الخمر فشربوه وبعدها قال عنتر لاخيه شيبوب يا ابن الام كيف نعمل فى مقرى الوحش أنسير به
راجلا معنا الى بلاد اليمن فوالله مافيه قوة الى هذا البطش فقال شيبوب اصبر على قليلا حتى استريح
وأغدو وأجد له فى الطلب وأدبر نفسى على جواد وأجيبه له بركبه وأقيموا أنتم هاهنا على الغدير

وأنا أسير وأحل عنكم التعب والتعثير وآتيكم بما تأكلون لاني أعرف ان هنا بالقرب منا عربا
يقال لهم بنو صابح وهم بعيدون عنا بمقدار نصف يوم للجد الناصح ولابد لي ما أسير اليهم وأتوكل على رب
العباد وأتجسس أخبارهم وأجمعهم في خيلهم الجياد فقال له عنتر اتريد أسير معك وأعزم على الرواح
فقال له لا يا اخي أنا ما أسير الا وحدي وأنا رجل خالي من السلاح لئلا ينكرني أحد من عرب البطاح
وأما أنت لا تسير الا فارسا مشتدا وان رأوك وأنت على هذه الحاله نفرت عليك أهل الحله خياله
ورجاله ويصير بينك وبينهم الحرب والقتال والطعن والنزال وتضيع الفوائد والفائدة ويطول
الامر وتكثر المعانده فقال مقرى الوحش والله لو رأيته سائرا معك ما أخليه يخطى خطوة واحدة
ولا من هنا يتبعك ولا كان يطيب على قلبي ان أبقى في هذا البر وحيدا فريدا وأكون مستوحشا
في هذا القفر والبيدا فقال له شيبوب صدقت وأنا من أجل ذلك ما أطاوعه على مراده لان مرافقته
معي لاشك تورثني الهم والتنكيد ثم انه أقام عندهم الى وقت السحر وقد قرب الصباح وخف ما به
من التعب واستراح فسار يطلب العرب الذين ذكرناهم وهو خالي من السلاح وهو مثل العبد البزال
وباطنه باطن الاسد الريبال حتى تضاحى النهار وقد قارب الارض التي هو طالبها وتلك الديار واذا
هو يرى عن يمينه واديا كثير الماء والمنابع وفيه مراعي كثيرة ومنافع وفي وسطه قبة من الاديم
تسع جماعة كثيرة من بني آدم ومن حولها عشرون رأسا من الخيل الجياد وهي مختلفة الالوان وهي
توج في مقاودها مثل الغزلان فقال شيبوب هذا الذي كنت طالبه من المأمول لكن الصواب
اني أدبر في أخذ هذه الخيول وأعود الى أخي عن قريب واغتنم السلامة لان الدهر يوما ن يوم
يصاب ويوم يصيب ثم انه عرج الى الوادي وسار فيه ومازال الى أن وصل الى تلك القبة المضروبة
وقد دار من حولها فلم ير أحدا من البشر ولا من يسأله عن ذلك الخبر فقال شيبوب هذا من تمام
السعادات التي تأتي على مراد الانسان ثم انه دار من حول تلك القبة وجعل ينظر الى ذلك المضرب
ويتعجب غاية العجب ويقول يا ترى من أتى بهذه القبة الى هذا الوادي ثم انه أتى اذنيه اليها وأصغى
فما سمع من داخلها حسا ولا نفس ولا أبصر أحدا قام ولا جلس فزاد بذلك تعجبه ورفع ذيل القبة
وبقي من داخلها مثل الثعلب ونظر فيها يمينا وشمالا فرأى فيها رجلا هرما وهو نائم في ركن من أركانها
وقد أبصر أعدادا لا تحصى معباة بعضها فوق بعض وفيها تمر ودقيق والى جانبها ظروف ملآنة سمنا
وعسلا ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى شيبوب الى ذلك قال في نفسه ان الاقبال اذا أتى للشخص فيكون
سعده قد حصل وما بقي الا أن أحمل بعض هذا الخيل الاصائل من هذا الخبر الحاصل وأسوق الباقي
وأقطع بهم البر الاقفر لاني أعلم ان صاحب هذا الخباء ما يأتي الا عند المساء والساعة أكون عند أخي
عنتر ثم انه عول أن يخرج ما يكفيه الى خارج الخبا واذا هو يجد ناقة مقبلة من صدر البر صياحها قد
أقلب الفلا وعلى ظهرها هودج عالي محلى بالحرير والاطلس ومن حولها خمس عبيد بالقنا والنبال
والسيوف الصقال وفي أيديهم الجحف الغوال ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى شيبوب هذا الحال عاد الى
الخباء وخنس بين الاعدال وهو يقول هكذا الدهر ما يبقى على حال ولابد ما يخيب الآمال ويكدر
ما صفا بعد الاقبال ثم جعل باله من الناقة حتى وصلت الى باب الخباء فأبركوها العبيد ونزلت من
الهودج امرأة عجوز تقارب الشيخ النائم في العمر والسنين الا انها أنهض منه ولها حيل شديد عنه ولما
دخلت الخباء صاحت بالنائم وجلست بجانبه وقالت له اقعد يا نائم يا من غفل عن نوائب الدهر
ومعانيه فعند ذلك جلس الشيخ لما سمع كلامها وقال غبتي فأوحشتي وقدمتي يا ابنة العم فما نسيتي

فاخبريني

فأخبرني ما كان من غرماء ولدك هل تركوا دم أخيهم ووهبوه اياه أو يريدوا من أجل ذلك انهم يقاتلوه فقالت والله يا ابن العم ما انصلح له حال ولابد أن يقع بينه وبينهم القتال وأنا والله خائفة عليه من الاعداء الاندال لاني لما سرت من عندك البارحة عند المساء فوصلت الى الاحياء نصف الليل وأنا أقول لعل وعسى ثم دخلت على جارتنا سلمى بنت حازم وسألتها عما جرى من مبتدا تلك الامور العظام فقالت والله يا ابنة العم لقد شق علينا رحيلكم من الحلة وقد صعب على جميل مقدمنا وقد صار وراءه راقع أخوا القتيل وقد سأله لولدك دم أخيه ويأخذ فداه من المال ما يرضيه فما رضي أن يفعل بل قال أنا لابد لي من أخذ ثار اخي ممن قتله ولابد ما أتوصل اليه واقتله كما قتل أخي وأجندله وانى ما قعدت عن طلبه الا حتى يأتي باقي اخوتي ونسير اليه كلنا ونأخذ منه بثارنا ونبلغ منه مرادنا ولما أتى الرسول يا ابنة العم الى مقدم عشيرتنا بهذا الخبر زاد غضبه وغيظه وتقطعت به الاسباب وقد خاف على شمل العشيرة ان يتفرق ويحل بهم الذهاب

(تم الجزء الرابع عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد)

15

الجزء الخامس عشر من سيرة الفارس الهمام والبطل
المقدام من انتشرت شهرة فروسيته فى كل
واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٧ هجريه)

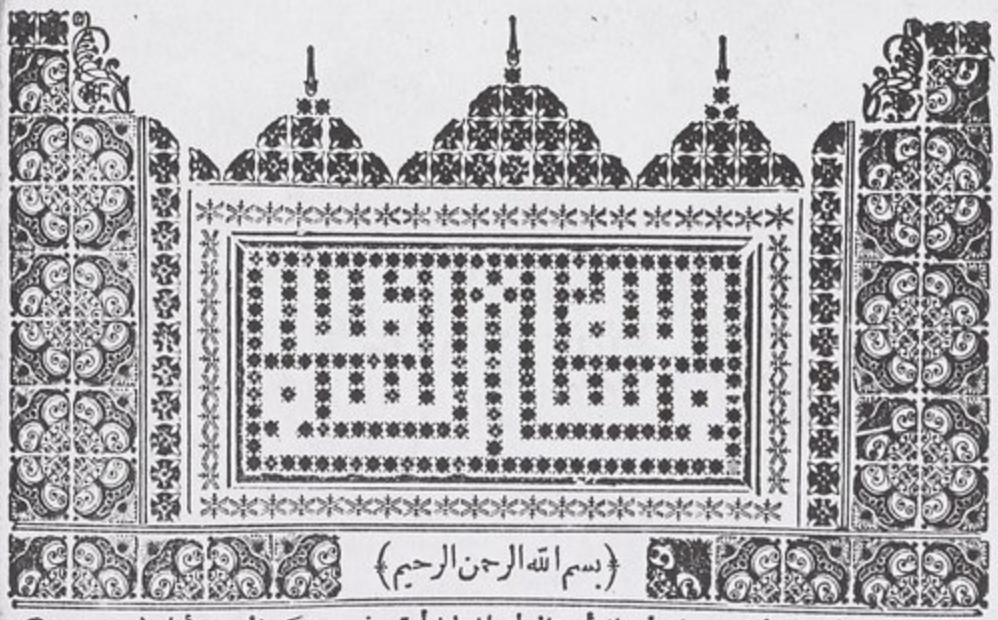

{بسم الله الرحمن الرحيم}

{قال الراوى} فما كان جوابه لهم الا أن قال لهم افعلوا أنتم وخصماءكم ما أردتم فأنا ما أدخل بينكم ولا أكون عليكم ولا لكم على حامية العشيرة وفارسها ولا أعينكم عليه بعد ما أحسن الينا المرار العديده وحمى حريمنا من الاعداء فدونكم واياه واني لا منعكم عن طلب حقكم ولا أرضى بتركه لكم ثم انه رحل أبو الجارية التي كانت سبب هذه الفتنه وقال له ارحل أنت عنا ولا تقوم في أرضنا ثلا تفرق شملنا وتشمت بنا الاعداء وغاية الامر يا ابنة العم ان القوم طالبين ثارهم من ولدك فامضي اليه واعلميه بهذه القصه ولا تعطى عن ذلك تهاون {قال الراوى} ثم انها قالت وانى لما سمعت بهذا الكلام الذى منه تفتت كبدى عدت من ساعتى من خوفى على ولدى وأريد انه اذا أتى أعلمه بالحال وأشير عليه بالرحيل من هذه الاطلال من قبل أن يأتيه شئ مالا به اطاقه فكان بعقبنا لو بال فأين هو مضى يا ابن العم اعلمنى به فى الحال فقال لها انه مضى الى الصيد والقنص من وقت الصباح والى الآن ما عاد وانا أسأل رب العباد أن ينصره على الاعداء والاضداد ولا يفجعنا بطرده والابعاد {قال الراوى} ثم ان الشيخ بعد ذلك عاد الى مرقده وانفجع وعينه من قبل ولده تدمع فقال شيبوب فى نفسه من هذه الاقوال والاحوال كنت أخاف فما تم شيبوب كلامه الا وقد أقبل من صدر هذا الوادى شاب معتدل القوام كأنه البدر التمام وهو طويل القامه كبير الهامه عريض المناكب حسن الوجه أخضر الشارب تلوح الشجاعه من شمائله وكذا الفروسيه تدل على معاطفه وهو أقوى العزم ليس به فشل وهو لابس عدة شامله وآلة حرب كامله وتحته جواد عالى من الخيل شديد القوى والحيل يندفق مثل السيل وهو أشد من سواد الليل وقدامه قطعه جيده من غزلان وأرانب ووحوش وثعالب وعده من أصناف الوحوش {قال الراوى} وكان ذلك هو صاحب الخبا وابن هذه العجوز زوجة هذا الشيخ الذى نحن فى ذكره وهو حامية هذه القبيله الق أنت أمه منها وأيضا هو فارسها وراجلها الذى يدفع عنها النوائب {قال الراوى} وكان السبب لرحيله عنها انه عشق جارية من بنات الحى وهام قلبه بها وكان للجارية ابن عم وكان قد خطبها من أبيها وحمل مهرها اليه ولما ان راج زواجها رد خولها عليه وعرف ذلك الفارس والتهب قلبه من جهتها وزاد غرامه وكربه وعظمت من المحبة بليته وخاف أن تفوته محبوبته فرصد ابن عمها حتى خلا به فى البر وقتله وقد خاف بعد ما قتله من رجال الحلة ومن تعصبهم عليه انهم يقتلوه ويوصلون الاذية اليه فرحل عنهم

ونزل

ونزل فى ذلك المكان وقام يدبر أموره وقد أتى ومعه أمه وهذا الشيخ أبوه وصارت أمه تمضى الى المحلة وتكشف له الاخبار فوقع ماسمعته السادات الحضار ﴿قال الراوى﴾ وكان للقتيل أربعة اخوة وكلهم فرسان أقيال ولكنهم ما كانوا حاضرين تلك الايام فى الديار وما كان حاضر منهم سوى فارس واحد يقال له رافع وبقى الامر معوق من وقت الى وقت وجعل ينتظر حضور اخوته وهو يدافع ويسأل شباب العشيرة أن يعينوه على مصيبته فما أحد أجابه خوفا من سنان هذا الفارس وما يعلمون من شدته وصار هذا الفارس يرقد بهم صباحا ومساء ولا علم قلبه من أحسن اليه ممن أسى ويقول من له عندى دين يأتى يأخذه منى فى القفار لانى أقسمت بالملك الجبار لو أتتنى أهل القبيلة تطالبنى لبددت شملها وفرقت جمعها ﴿قال الراوى﴾ ونرجع الى سياقة الكلام ونصلى على البدر التمام ولما ان عاد هذا الفارس فى ذلك النهار تلقته أمه بالفرح والاستبشار وقامت اليه العبيد وأخذت ما معه من الصيد وفى عاجل الحال أضرموا النار وقعدوا يصنعون له شيأ من الزاد هذا وأمه تحدثه بما جرى لها وما سمعت من جاريتها من الامور الخطيرة وان رافع باولدى أراد أن يستنجد عليك بشباب العشيرة ثم انها سكتت بعدما انتهت من ذلك الكلام وقال له ياولدى اعلم ان هذه الديار ما بقى لنا فيها مقام مع انى أعرف منك انك مانبا الى بكثير من العربان ولو كانوا بعدد رمل وادى كنعان ولكن المطرود مذموم فى الصباح وفى المساء الصواب ياولدى أن تصيرنا الى بعض أحياء العرب نقيم فيها ونتهنى ونريح نفسك من هذا التعب فقال لها والله ياأماه انى على هذا الحال ما أقول ولكن ما أبرح من هذا المكان الا بعدما أقتل رافع واخوته وأنزل بهم الذل والهوان وان هذا لم يفوتهم منى عن قريب ولابد ما أخضب حسامى من دمائهم تخضيب وأشبع من قتالهم الوحش والذيب فبينما هم فيه من الكلام واذا بعبيد أقبلوا اليه يصيحون والى نحوه يتبادرون وهم ينادون اليه ويقولون ياموالانا الحق أموالك لانهم شردوا الى البر منا وقد ظهر علينا أسد عظيم بعد مضيك عنا فما رأينا أعظم من جثته وقد شردت النوق والجمال من زعقته ورأينا منه عظيم الاهوال من رؤيته وقد ظهر علينا فى أثرك ونفر الوحوش من التلال فلما سمع الفارس من عبيده هذا الكلام تبسم تبسم المردوصار فرحانا لما قال ذلك الاسد وفى عاجل الحال وثب قائما على قدميه وأخذ سيفه وجعبته وقد خرج طالب الاسد بشدة همته وحسامه فى يمينه مجرد عيان وهو يقول لعبيده ويلكم يابنى الزوانى تخافون على أموالى من كلب من كلاب البرارى والقيعان وأنتم قد شاهدتم فعالى فى كل مكان فوالله بطول ما أنا مقيم فى هذا الوادى ما أجعل طعامكم الا من لحومهم ثم انه طلب ذلك القفر والبيدا وقد تحارت خلفه جميع العبيد وهم يريدون الفرجة على قتاله مع ذلك الاسد وينظرون ما يجرى من مولاهم عليه من النكد هذا كله يجرى وشيوب لابد بين الاعداء وهو مما حصل له فى انذهال الا انه لما رأى المكان من صاحبه خلا قال فى نفسه هذا رقت انتهاز الفرصة فى هذا الغلام ثم انه عول أن يخرج من مكانه الذى هو فيه ويركب الذى أتى به ذلك الفارس ويعود مسرعا الى مقرى الوحش وعنترأخيه فبينما هو أراد أن يفعل ذلك الامر الذى عول عليه واذا بالشيخ زحف الى جهة العجوز وهو يدبدب برجليه وصار يضاحكها ويمازحها ويطلب منها ما تطلب الرجال من النساء وقلبه على ذلك قد قسى ومديده الى العجوز ومسك جنبها فنترت يده ودفعته فى صدره ألقته على ظهره ووبخته على فعاله وقالت له عنى ذلك العمى أما تعلم ما نحن فيه وما هو أهم من الشغل الذى تدعونى اليه فعند ذلك لج عليها فى السؤال وطلب منها الوصال فقالت له أبعدنى أبعدك الله أما فيك عقل وفهم يردك عما أنت طالبه أما تعلم ان قلة رجالى وكثرت أعداء ولدى الذى تعاملت عليه أذابت كبدى ياويلك يكون ولدى فى قتال السباع فى الدجى

وأنا نائمة الى جانبك على هذا الحال قال لها يا بنت العم أما هو ولدى وقطعة من كبدى كما هو قطعة من كبدك فقالت لا والله ان الامر الصدق والتدبير مالك فيه لا قليل ولا كثير ولا شئ يساوى ناقة ولا بعير ولو كان فى رأسك عقل كنت به تستغنى عن هذا الامر الخطير وكنت عقلت على نفسك لانه ما فيه شئ يشبهك ولا أمره كامرك قال وما تكلمت العجوز بذلك الكلام وأباحت بما فى سرها والنية الا وهى زاهدة فيه بالكلية الا ان الشيخ لما سمع منها ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال ان هذا الولد يكون يا زانية يا بنت اللئام وايش المعنى فيما أبديتيه من الكلام فقالت له لا أدرى والسلام وسكتت عنه ولم تبلغه مرام فقال لها وحق ذمة العرب ما بقيت أقرو أهدى حتى انك تكشفى لى على هذا المقال وتعلمينى بحقيقة الحال وتعلمينى لمن هذا الولد ينسب الى أى الرجال لانى أنا الآخر قلبى منه فزعان وينفر منه ولا له فيه شفقة ولا حنين وأنت قد زدتينى فيه قساوة بالكلية فقالت له ان كان الامر وما فيه وأظهر لك الحق فأبين لك معانيه لان كل من قال قولا فعليه أن يحققه اعلم انه ولد شداد ابن قراد فارس عبس الاجواد أبو عنتر الادهم الذى ذل بعزمه العرب والكل يخشون سنانه حتى دولة العجم والترك والديلم واعلم انى ما قلت لك هذا الكلام وأبحت ما عندى الا حتى أنفى عنى الكلام وكل عتب وملام وقد عولت بهذا المقال على أن آخذه وأسير به الى عشيرته وأرد الى شداد وديعته وأعيش أنا واياه فى العز والهنا وآمن عليه من كيد العدا وما يأتينا منهم من العنا وانى ما كشفت لك هذا الامر وأوضحت لك ما عندى الا غيظا منك وأنت تقول ولدى من أين لك ولد وقد قضيت هذا العمر الطويل ولم ترزق سواه وأنت ذليل حقير أما ويلك كيف يظهر من ظهر الجبان شجاع أو يأتى من نسل الذئاب سباع ثم ان العجوز تركته على حاله وقامت الى باب الخبا ونظرت الى البر والزبا ورقفت تنظر ولدها حتى يقدم عليها ويطيب عليه قلبها وتسمع ما جرى له فى قتال الاسد هذا والشيخ قد صار يدمدم ويزوم ويشتم ويحلف انه اذا حضر ولدها يشكيها له حتى يقتلها كل هذا يجرى وشيبوب لا بد بين الاعدال ينظر ويسمع الى هذا المقال ويتعجب من هذا الحال وقال فى نفسه والله ان هذا الحديث ما تم مثله لمن تقدم ولا سمعنا طرى ولا جرى فى سائر الامم عربا كانت أو عجم وان هذا من أعجب العجب ولا بد له أن يؤرخ ويكتب لانه اذا نظره العاقل منا ما انذهل ولا سيما اذا رآه فى اليقظة واذا سمع به العاقل لا نكر بعضه والحاذق اللبيب يكتبه بأقلام من الذهب والفضة وأنا أقسم بالملك العلام الذى خلق الضيا والظلام ومدبر الاحكام ما بقيت أبرح من هذا المقام حتى أدبر حيلة آخذ بها هذا الغلام وأعود به الى أخى عنتر وأجعله عونا له على الشدائد والنوائب التى تذكر لاجل أن يساعده على أعدائه اللئام (قال الراوى) فبينما هو على ذلك الحساب واذا هو بالغلام وقد عاد الى الخيما وسيفه يقطر دما والعبيد من خلفه يحملون الاسد وهو قدر الثور الممدد لان الغلام لما أتى اليه وتمثل بين يديه فصاح فيه وزعق عليه وزاوغه مزاوغة الثعلب وهجم عليه وهو معبس مغضب وضربه بالحسام فى وسط جبهته أطلعه يلمع من قرقورته وعاد به ذلك الى خيمته فلما رأته أمه قبلته فى صدره واعتنقته وبالسلامة هنته وعادت معه الى الخبا وكان الطعام قد راج واستوى ولا بقى عن أكله احتجاج فأتت به العبيد الى بين يديه وكان الغلام حاتم فجلس للاكل على ركبتيه وقعدت أمه الى جانبه ونادى الى أبيه أن يأكل معه فأبى وصار معبسا مغضبا فقال له الغلام تقدم يا أبى وكل معنا ولا تخاف على من شرب كأس الحمام فما يقع الا ما يريده الملك العلام فقال له الشيخ ما أنا فزعان عليك من هذا المعنى ولكننى لم آكل طعام مع أولاد الزنا ولو كان معى حيل وقوى لاحرمتك تشم نسيم الهوى وأجعلك طعاما للوحش الفلا حتى لا يبقى عارك على وتشمت بى الاعداء (قال الراوى)

الراوى) وكان هذا الغلام اسمه مازن وكان صاحب عقل وازن فلما سمع ذلك الكلام رفع يده من الطعام وقال ايش المعنى يا أبتاه فى هذا الكلام وكيف انك تنسبنى الى أولاد الحرام فعاد عليه الشيخ ما سمعه من أمه أول وآخر من الكلام فجرت دموعه من شدة الغضب وطار من عينيه الشرر واللهب وجذب سيفه من غمده وعزم على قتل أمه فقالت اصبر يا ولدى ولا تعجل واسمع حديثى وتمهل وأنا أحكى لك حكايتى وأوضح لك شرح قصتى ولا تقتلنى تندم ويفوتك الشرف الاعم والخير والنعم ان لم تسمع منى ما أقول فقال لها مازن أخبرينى عن قصتك وقصتى وكيف قطعت من أبى نسبتى (قال الراوى) فقالت العجوز اعلم يا ولدى ان أهلى لما زوجونى بهذا الشيخ وأرادوا أن يزفونى عليه أخرجتنى أمى فى الليل الى الغدير وأرادت تغسل شعرى واذا بفارس قد أقبل من ضدر البرية وورد الماء وقال لفرسه اشربى يا جروة ثم نزل عنها ونحن نسمع الكلام وكنت أنا برونق الصبا وجبينى يشرق بالضيا فطلبنى وقد سل حسامه وصاح على أمى فهربت فى الظلام من شدة الفزع وبقيت مكانى أبكى من الخوف والجزع فدنا منى وأزال بكارتى ولما قضى شغله قام عنى ونط ركب فرسه واذا بأمى قد عادت اليه وقالت له بالله عليك يا وجه العرب تخبرنى أنت من أى الناس تكون حتى أعرف حال ابنتى وأستر ها جهدى وطاقتى لانى أخاف أن تكون علقت منك وتكون عبدا فيأتى الولد اسود وتفتضح عند كل أحد فقال لها لا تفزعى من أحد من العباد فأنا شداد بن قراد فارس عبس يوم الجلاد ونسبى متعال بين عبس وعدنان وفزاره وذبيان وهذا الذى جرى من الامر والشان قال فلما سمع مازن هذا الكلام جرد على أمه الحسام وكان مسكها من ذوائب شعرها وأراد أن ينحرها من أذنها الى أذنها واذا بشيبوب قد ظهر من وسط الاعدال وقال له أمسك يدك فقد صدقت أمك واغمد يا فتى سيفك واجعلنى على هذا الطعام ضيفك ثم قعد شيبوب يأكل من الطعام فقال أعوذ برب البشر من شر هذا الذى قد ظهر فقال له أنا عبد أبوك وأخوا أخوك وها هو منك قريب وان فرطت فى أمك يحل بك الهوان والتعذيب فقال له أريد تخبرنى ايش الذى ملكك هذه الربا وكيف فعلت حتى وصلت الى هذا الحبا فقال له ساقنى رب السما حتى أجمع بينك وبين أبيك وأهلك وذويك كما يشاء ولابد ما تسير الى أخيك وتجتمع بأهلك وذويك فقال له وكيف وصلت الى هذا المكان وأنت تدعى انك من بنى عبس وعدنان (قال الراوى) فقال اعلم ان ملكنا قيس ابن الملك زهير سمع لاخيه مالك ولد فى بلاد اليمن قد ظهر وهو أحسن من الشمس والقمر وهو فى حر عظيم وهو يرعى هو وأمه الغنم ويخضوا اللبن فسار فى فرسان الحلة طالب خلاصه وكان أخى عنتر غائب عند الملك كسرى ولما عاد وعرف الحال خاف على الملك قيس وبنى عبس من الهلاك والوبال فسار خلفهم هو وفارس آخر يقال له مقرى الوحش وسلكت أنا بهم فى هذه البرارى والمهاد وقل علينا الماء والزاد وهلك من تحت صاحبنا الجواد ووصلنا الى غدير بنى باعث وتركتهم هناك باثنين وسرت أنا لاجل أسرق لمقرى الوحش حصانا يركبه فوقعت بكم اتفاق وجرى لى معكم ما جرى وقد خليته معلق القلب خائف على بنى عبس من الاعداء وهو ينتظرنى حتى أسير اليه وأحصل بين يديه وأنا أعلم انه يدخل على قلبه فرح ومسره أعظم من قدومى بك عليه وأنت ولد شداد بلا ريب ولا عنا لانه رأى منا ما كأنه له جناحين وطار بهم فى الفضا وكلما عبر على حلة من الحال يعاين منه أهلها نزول القضا فينادوا به يا شداد لا تفعل هذه الفعال وارحم نساءنا والاطفال ففسره على كاهن العرب فقال له هذا أمر وسبب وهو يدل على ولد يكون شجاع يضاهى عنتر فى القراع ونبت الجناحين على ولدين وكان هذا المنام أخبره شيبوب الهمام فلما سمع مازن هذا الكلام تعجب من هذه الاسباب وقال والله

هذه القضية لو سمعها مولود لشاب ثم انه شاور الشيخ والعجوز في المسير معه الى أهله ومربعه وقال والله أنا ما بقى لى مسير الا الى أبى وأخى فان كنتم تعولوا معى على المسير اليهم والقدوم عليهم والاخذ واهذا الذى عندكم وعودوا الى دياركم والاطلال وعيشوا فيها باقى الاعمار فقالت العجوز له ياولدى أنا ما أقدر أصبر عنك يوم واحد ولا أقدر أفارقك ولا أسير الا معك وأما الشيخ فانه طاب العوده الى الحلة وشكى العجز والكبر به والقله فأجابه مازن الى ذلك من غير لجاج ولا عناد وكان الليل قد أقبل برايات السواد فأقام الى الصباح وجهز الشيخ مع بعض العبيد وأعطاه قطعة من النوق يعيش فيها ودفع أمه فى هودج عالى وأمر العبيد أن يسوقوا الخيل والنوق والجمال وصار مع شيبوب وهو لا يصدق بذلك الحال ورحل من ذلك البر الاقفر طالب الوصول الى عنتر وكان مازن قد أقسم على شيبوب انه لا يسير معه الا راكب حصان فاستحى منه وخاف أن يراه بعين النقصان فشد له على ظهر جواد من الخيل الجياد ولبس طاسة زرد ضيقة العدد وتقلد بسيف مهند بعد أن ضيق اللثام واعتقل برمح معتدل القوام وصار الى جانبه وهو يحدثه بما لاقى من عجائبه ويوصف له شجاعة أخيه عنتر وما عاين من فعاله وما أبصر الى أن تضاحى النهار وأوسعوا فى البيدا حتى طلع من ورائهم غبار الاعداء وهو مثل الغمامة السوداء فقال مازن هذا والله غبار اخى القتيل وأقول انهم قد شعوني فجمعوا أوباش الحى ولحقونى واليوم أفرجك ياشيبوب على قتالى وأخليك تحدث أخيك عند وصولنا اليه بفعالى (قال الراوى) فما تم كلامه حتى ظهر عليهم عشر فوارس أخر من فم المضيق بالوادى الى الصحرا وبان أمرها بعد الاستتار والاختفا فتبينها شيبوب وكان حاد النظر شديدا ينظر الشئ ويحققه من أمر بعيد فرأى فى أوائلها ذا الخمار ومعه تسع فوارس أخر غائصين فى الحديد واللباس والدثار وهم دائرين بأسيرين مشدودين على جوادين لحقق اليهم بالنظر فرأى أحدهم مقرى الوحش والثانى أخاه عنتر فلما لمح ذلك عنده انقطع ظهره وحار فى أمره وقال لمازن اثبت مكانك ولا تحرك ساكن فهذا أخوك عنتر قد أقبل مأسورا ومعه مقرى الوحش فى الوثاق وما قد أسروا الا بقضا وقدر يا يخطر مثله على قلب بشر فصعب على مازن هذا الامر وسكر بلا خمر وقال يا أخى كيف وقع عنتر ورفيقه فى يد عشرة من أنذال العرب وأنت تتحدث عنهم بكل عجب فقال شيبوب ما أدرى الا ان الدهر منقلب بأهله أى منقلب على ان الفارس الذى ظفر فيهم يقال له ذو الخمار فارس بين حمير الجبار الذى ذكره قد شاع فى الاقطار والابطار تحسبه بسبعة آلاف من العساكر فى يوم القتال وهذا الحديث ما عند أحد فيه خلاف وقد جرى له مع أخى شيأ ما جرى مثله فى الدنيا وعن قريب بارزه أخى قدام الملك كسرى وأذله وأقول انه لا حقنى بل حقد عليه ودبر فى أثره بالاحتيال وأخذه من غير حرب ولا قتال مع انه ما فارقه حتى أصلح بينهم الملك النعمان وأكدا الصلح بالاقسام والايمان وأنا أعلم أن ذا الخمار قد غدر وخان وقد ساعدته صروف الازمان ونحن قد وقعنا ما بين هاتين لطائفتين وقد ساقهم الينا المقادير وما بقى فى هلاكنا شك ان لم نحسن التدبير وتقبل أنت منى ما به عليك أشير لانى لمثل هذه الاحوال خبير ولمعرفة الخلاص منها بصير فقال مازن أنا ما عندى رأى الا القتال والطعن فى صدور الرجال فقل أنت ما عندك من الرأى والمقال حتى يتبين الصحيح من المحال فعندها أشار اليه شيبوب بشوره فيها يكون للفريقين الهلاك الاكبر ولكن ما نذكرها حتى نشرع فى سبب أسر عنتر وكيف ظفر به سيبع الحارث فارس بنى حمير لان الحديث اذا لم تترتب قواعده ضاعت فوائده وانسدت على المستمع سبله ومقاصده وكان السبب فى أسر فارس بنى عبس الاسود حديث يجب أن يؤرخ ويكتب ولكن ما أذكره حتى أسمع الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن أصحابه ما دار نفس وتردد (قال الراوى)

الراوى) لان سبيع بن الحارث لما بارزه عنتر قدام كسرى وجرى له مع ما جرى وقد ذكرنا ان عنتر
أوهن أضلاعه ولكن ما رد عنه ولا رجع عنه بل لج فى قتاله حتى ضربه بالسيف صفحا حتى وقع واغتم له
در يد بن الصمه ورجع وعاد أصلح الملك النعمان بينهم وأكد بينهما العهود والايمان انه لا يضر له سواه ولا
يكون له عدوا وسار وا والحمار مع دريد الى الديار وحلف أنه لا يتخلا عن عنتر حتى يقاع منه الآثار
ومن شدة ما جرى عليه ضاقت عليه الحيل وحلف أنه لا يتخلا عن عنتر وحار كيف يفعل وقال فى نفسه
ما أرجع حتى أخاطر برأسى مع هذا العبد الاسود وأسير الى مكة وأستنجد بالرب العظيم وأساله ان كان
قد قضى له على يدى أجل والا فما أرجع حتى ألقاه على عما ولم أقدر أغالب رب الارض والسماء
ثم زاد به القلق والهيام فسار الى بيت الله الحرام وأقام ثلاثة أيام يهجر أكل الطعام وينوى الصيام
قدام الاله والاصنام ويبكى قدام الهبل اذا جن الظلام ويسأله النصر على عدوه عنتر الهمام ولم
يزل كذلك حتى نشفت رأسه من عدم الاكل وترك المنام ولما كان فى الليلة الرابعة نام الى وقت السحر
فرأى فى منامه كان الصنم الكبير المسمى بالهبل يقول له بكلام مرسل أبشر ببلوغ الامان فان عنتر
قد دنى عطبه وساء منقلبه وقد استحق منا العقاب واستوجب العذاب لاجل اشتغاله عن زيارة بيت الله
الحرام وقلة اعتنائه بعبادة الاصنام وقتله فى الفرسان الكرام الذين يضربون بالحسام فى كل عام وفى
هذه يفنى عمره وينقطع أجله وترى بعينك الساعه عذابه ومصرعه وما نخيب قصدك البتة ولا نضيعه
بل نلقيه فى شباك اغراضك ونوقعه ولكن لا تضربه بسيف ولا تقربه بحديد فان فعلت ذلك ما تنال
منه ما تريد لان أجله قد حكمنا فيه فى بئر حضرموت فاحمله وارميه هناك على أم رأسه فى جب برهوت
حتى يذوق العذاب ويموت (قال الراوى) وهذا البئر معروف الى يومنا هذا وفيه تذب كل أرواح
الكافرين والعصاة والمخالفين فلأجل ذلك قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ان خير بئر فى
الارض زمزم وشر بئر فى الارض بئر برهوت وقد ذكر الاصمعى انه سأل شيخ مشايخ حضرموت عن
هذه البئر والوادى فقال يا أصمعى كل ما سمعته عن ذلك المكان صحيح لان ما فى يوم الا ويأتى من ذلك
الموضع الرائحة المنتنة المرة والمرتين والثلاث فتعلم انه قد مات بعض الكافرين والعصاة المتمردين
وان تلك الرائحة رائحة عذابهم ويقال ان هذا البئر اذا زاربه الانسان يسمع فيه ضجيج مثل أصوات الجحيم
وهو ضجيج الكفار وأصحاب النار ويقال ان المرأة اذا كانت حاملا وشمت رمت الجنين ليلا كان أو نهارا
وقد خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء يكونوا فى حواصل طيور خضر فى الجنة وقال
الله تبارك وتعالى ولا تحسبن الذين فى قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفى الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة يرسل الله مطرا من السماء فتنبت
الاجساد وتقوم الى بارئها وأهل الكفار وأهل النار فانها تكون فى بئر حضرموت المسمى ببرهوت
(قال الراوى) ورجعنا الى حديثنا الاول بعد الصلاة على محمد المفضل الا أن سبيع بن الحارث لما رأى
هذه الرؤيا وسمع من الهبل ذلك الكلام انتبه وقد خف ما به من حمل الجوى والغرام وعاد طالب بنى
جبير عند الصباح والدنيا ما تسعه من شدة الافراح وكان له تسع رجال قدماء وأصحاب وكلهم أقارب
وأنساب ويعتمد عليهم فى الشدة والرخاء ويطلعهم على أحواله فى البأس والشقاء وما كان فيهم الا
من دخل على قلبه من فعال عنتر بذا الحمار قدام الملك كسرى ما لا جرى على قلب أحد ولما سار الى
مكة ما علم أحد منهم أين مضى بل قال بعضهم لبعض من عداوة عنتر ان ذا الحمار مثل السكران المخبل
ما يدرى ما يعمل وما خوفنا الا انه عاد يطلب من ذلك العبد ثار ويلج معه الى أن يقتل وينقلع آثاره وما
زالا على مثل ذلك حتى عاد من مكة وجمعهم اليه وحدثهم بما فعل وما سمع فى المنام من الهبل خفش

كروبهم وطابت قلوبهم وقالوا مابقى بعد هذا المنام كلام ولابقى بعد وعد الارباب والاصنام خطاب
فقال ذوالحمار يابنى عمى مابقينا من اليوم نترك العيون والارصاد على عنتر بن شداد وننظر حتى
يحضر من بلاد العراق ونجد فى طلبه لعل فى هذه النوبه نعطبه فقالوا ايش الحاجة الى ذلك فان لك ربا
يسوقه اليك بلاتعب ويلقيه فى يديك من غير نصب من حيث لانحتسب وقد سمعنا فى هذين اليومين
ان بنى عبس كلهم قد سارو الى بلاد اليمن مع ملكهم الملك قيس لانه قد ظهر لاخيه مالك ولد وصار فى
طلبه ونقول عنتر ان سمع بذلك يصير من أرض العراق ويطلبه والصواب أن نقتفو اخلف الجميع
الآثار وننظروا العرضيات التى تأتى فى الليل والنهار فاما نظفر بالمقصود واما نكتسب أموالا ونعود
ونجعل انتظار الوعد فيما بعد فقال سبيع هذا هو الصواب والرأى الذى لايعاب اتخذوا يابنى عمى
للمير ولايعم بنا الاكبير ولاصغير حتى لايعلم دريد بالخبر فيعتب على فى ذلك ويقول لى رجعت الى الغدر
والنفاق بعد أخذ العهد والميثاق فأجابوه الى ذلك وأعتدوا فى اليوم الثالث وأظهروا لاهلهم انهم
سائرين يطلبون المعاش والمكسب من بعض أحياء العرب وساروا على غير طريق طالبين آثار بنى
عبس فوقعوا فى أرض بنى باعث وسلكوا الطريق التى كان سلكها عنتر وشيبوب دليله فقاسوا من
العطش ماغيب عقولهم وأيسوا من ادراك كل مأمولهم وأبصروا المناهل والغدران بين أيديهم
ناشفة فطلبوا غدير بنى باعث لان دليلهم سار واشار عليهم بذلك وقال لهم ان وجدنا ذلك المنهل
مثل هذه المناهل ودعنا الحياه ومتنا خأة كلمات غيرنا من فرسان القبائل فى الفلاه وكان فيهم
رجل يقال له ملاعب بن وائل فقال لهم يابنى عمى ما أخوفنى أن يكون المنام رآه ذوالحمار باطل
وسبب لنا فى هذه المصائب والنوازل لان الهلاك له علائم ودلائل فقال الدليل ويلك يا ملاعب
ويكون الهبل الاكبر اختلف فى الكلام وهو أكبر الآلهة والاصنام فقال ملاعب نعم لان الشيخ كلما
كبر يقل عقله ويكثر جهله والهبل فقد كبر وكثر هذيانه وكلامه وكذب سبيع فى منامه واحلامه
فقال الدليل اسكت ياشيطان ولاتقول الهبل كثير الهذيان وتشك فى كلام الآلهة والاصنام التى
تقربنا الى الله زلفى فمونت كلنا عطشا وحلفا ان كل واحد من المنافقين يهلك جماعة من المحققين
ثم جدوا فى المسير حتى قاربوا الغدير وكان يوم شديد الحر والهجير وكانت خيلهم قد أشرفت على
التلف بلامحاله نزلوا وصاروا يجنبوها رجاله الانهم ماقربوا من الغدير حتى اعترضهم الابجر جواد
عنتر بن شداد وصهل وطلبهم لانه كان قد تعود من صاحبه اذا رأى الخيل يقصدها فعرفه ذوالحمار
ولما قاربهم صاح بالنهليل الاعلى وقال حق اللات والعزى صح المنام وتفسرت الاحلام وهذا جواد
عنتر بن شداد وأنا أقول انه عند الغدير اما عليل واما نائم واما قتيل وهو وحيد فريد فى هذا القفر
والبيدا ولو أنه فى جماعة من الفرسان كانت خيلهم حولهم فى هذا المكان يابنى عمى هنونى بهذا
اليوم السعيد الذى بلغت كلما أريد فيه (قال الراوى) ياساده وكان الحساب الذى حسبه ذوالحمار
لعنتر صحيح كانه نقش فى حجر لانه فى تلك الساعة كان نائما ولايعلم من غاب ولامن حضر لان
شيبوب لما صار من عندهم يطلب جواد مقرى الوحش وخلاهم على الغدير أقاموا حتى أظلم
الظلام ومافيهم من نام خوفا من الوحش والهوام ولما أصبح الصباح وطلع النهار جدوا فى المسير حتى
طلعت الشمس وعلت وحميت الحجارة وتوهج البر والقفار فعادوا الى الماء والغدير وقد قوى الحر والهجير
وازعجهم البر لقلة السالك فيه والخاطر فى نواحيه والوحش يمرج ويلعب والغزلان ترعى وتسرح
فسار عنتر يقول أنا والله قد تناولت بهذه الغربان التى باكرتنا بالصباح والنعيق والنواح وانى
أخاف سفرتنا تكون غير محموده ونبتلى بمكيدة فى طريقنا تكون منصوبه ثم انهم أعطوا ظهورهم

الى

الى حرارة الشمس واستقبلوا هواء الماء وانبطحوا على وجوههم وأخذوا فى الحديث والشكر فقال مقرى الوحش لعنتر لاعدمتك من دون الاخلة والاصدقاء وزال عنهم الهم والاشتكى لان الدهر بالاحياء طبعه الانتقال وغيرة الاحوال لانه يأتى بالقضاء والقدر ويحدث بعد الصفا كدر ثم أخذوا فى حديث شيبوب وانطائه عنهم وغيبته منهم وحديث بنى عبس ودخولهم الى اليمن وتوابا لحديث حتى وقع بهم الثبات كما يشاء رب السموات وغرقوا فى النوم لما يريده رب السماء وغابوا عن الدنيا ولما وصل ذو الحمار هو وأصحابه الى الغدير وجدوا الطعام قد راج وتهدا للاكل وتبدا والصيد قد وقع بلا تعب ولا شرك ولا حبائل فتبادرت تلك العشرة فرسان مثل عفاريت الفلا ووقعوا على فارسين غائبين عن الدنيا وكان سبيع قد أخذ معه أربع فرسان وأرمى روحه على عنتر وأراد أن يدبر كتافه ومانع عن نفسه حتى شدت بقية رجال الوحش وعادوا وقد عاونوا ذا الحمار على عنتر التكرار ومازالوا به الجميع وهو مرمى على الارض حتى شدوه كتاف ﴿قال الراوى﴾ ياسادة وهذه أسباب من جملة أحكام الله عز وجل ليس للعبد منها مفر ولا مدفع ولا يقدر العبد يرد طائرها اذا انقض أو وقع لان الله سبحانه وتعالى أوقع مثل هذا البطل القسور فى الاسر والضرر حتى يعلم أن الشجاعة لا تنفع عند نزول المشيئة والقدر فسبحانه من اله لا تهتدى العقول لما يصنع وتعالى عما يقول المنافقون أهل البدع الا ان عنتر بن شداد لما أفاق على نفسه وعلم ان ذا الحمار ظفر به اشتد به الجزع وقال ويلك ياسبيع ياقرنان نسيت العهود والايمان الذى أوثقتها بيننا بحضرة الملك كسرى والنعمان فقال ذو الحمار ويلك ياولد الزنا وتربية الامة اللخنا وأنت لك عهود تحسب عند أرباب الحسب والنسب وفرسان العرب على انى ما فعلت ذلك بمشيتى وانما فعلت بأمر الارباب والاصنام الذين على البيت الحرام ولولا الهبل الاعلى ما قدرت ألقاك فى هذا الفلا لانه أمرنى أن أسير بك الى أرض حضرموت وأرميك على رأسك فى بئر هوت حتى تذوق ماذاقت الجبابرة الاول وتموت ثم جمعوا خيلهم وباتوا فى ذلك المكان بقية ليلتهم واستراحوا وقد شدوا عنتر على جواده الابجر وشدوا مقرى الوحش على بعض الخيل المجنوبة معهم وساروا يقطعون فى البيدا وذو الحمار لا تسعه الدنيا وذلك من شدة فرحه بوقوعه بعنتر لانه بعده يبقى فارس الزمان ويسود على كل انسان وكان قد عول بعد هلاك عنتر يعود الى مكة ويعلق بعد أشعاره على البيت الحرام ويأمر العرب أن تصلى لها فى كل عام ولا يزال فى خدمة الهبل حتى يدركه الحمام ﴿قال الراوى﴾ ولما تضاحى النهار التقى بهم شيبوب ومازن وجرى من القصة ما جرى وقد طلع من خلفهم غبار الاعدى ولما استشاروا فى أمر الخلاص من الطائفتين قال شيبوب يامازن الصواب انك تقف مكانك وتقول لامك تنزل من الهودج وتكشف رأسها وتقف بين يديك حتى أتقدم أنا الى ذى الحمار وأصحابه وأكلمهم بكلام قد خطر ببالى وقلبى وأدعهم يحملون على هذه الخيل التى قد طلعت من ورائنا ونتسبب فى هلاك هذين الطائفتين ونخلص أخانا وأما ان طلبنا انا نخلص بالقتال نغرق فى بحر الهلاك والوبال فقال مازن لما رأى القضية مشكلة افعل يا أخى ما تحب وتختار فأنا ما أخرج له من خلاف ولا فعال ثم أمر أمه فنزلت من الهودج مثل ما أمر شيبوب وأطلق شيبوب عنان جواده وقد طبق لثامه خوفا من الانكار وطلب ذو الحمار ولما قارب به رفع صوته شيبوب بالصياح وأظهر البكا والاتراح وصار يقول ياوجوه العرب هل فيكم رجل غيور هل فيكم رجل مذكور ومعود على كشف الشدائد ودفع الاوابد يعيننا على ما بلينا به من الذل والهوان ويريح المدح والسناء بكل لسان لان معنا حرمة قد قتلت رجالها ونهبت أموالها وأشرفت على هلاكها وبوالها وهى كانت سائرة الى

بيت الله الحرام تطلب الزيارة الى الآلهة والاصنام فاغتنموا ثوابنا يابني الكرام وادفعوا عنا هؤلاء
الاندال ومازال كذلك حتى وقف ذوالخمار وقال لمن معه من الفرسان اسألوه عن حاله وقصته
وعن عربه وعشيرته فقال شيبوب يافتى نحن من بني الريان سرنا من أرضنا في عشرين فارس
أعيان ومعنا هذه الحرمة التي ترونها معتوكه قدام الهودج وهي تدعو الى ربها وتطلب لانها من
نساء أمراء الحي والقبيلة التي نحن منها ولها نعمة كثيرة وهي امرأة دينة تشبع الضيفان وتكسي
العريان وهي في هذه الايام طلبت الحج الى بيت الله الحرام وزيارة الآلهة والاصنام وأخذت
معها أموالا كثيرة كانت قد جمعتها نذورا للهبل ومن جملتها طوق من الذهب الاحمر عليه صورة
اللات والعزى مصور وأخذتنا معها نسير بها ونحفظها فنزلنا في مياه بني صالح وطلبنا الراحة فعملوا
بنا أندادها وعلموا ان معنا أموالا سائبة فركب الينا منهم مائة فارس وداروا بنا وأرادوا أخذ ما معنا
فقاتلناهم وبذلنا معهم المجهود الى الليل ودفعناهم عنا بعد ما قتلوا منا عشرين فارس قتيل وصاروا
يتلاحقوا بنا في الليل ويحفظوا ما معنا من النياق والخيل ونحن ندافعهم ونسير الى أن أصبح الله علينا
بالصباح وقد بقي خمس فرسان تركناهم في قتالهم الآن وسرنا نحن نؤمل النجاة بهذه المرأة
فلقينا كم أدركونا يابني الكرام ونقول ان باقي أصحابنا هلكوا وخلونا وهربوا وما بقي لنا من يحمينا
الا أنتم يابني الاعمام فان فعلتم ذلك دعينا لكم عند زمزم والمقام والاسلمنا أرواحنا الى هؤلاء اللئام
ثم أعطيناهم مال الارباب والاصنام وعذرنا كم عند تقصيركم في هذه الامور العظام لانكم عشر
فوارس وأعدانا مائة فارس همام ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ذوالخمار وأصحابه كلام شيبوب رق له
قلبه من داخل الجنوب وقال له ابشر يا غلام بالنصر وأخذ الثار وابصر ما يحل باعدائك بعد ساعة
من البوار لان معنا فارس واحد يلقى كل من في هذه الديار وهو ذوالخمار ان كنت قد سمعت بخبره
من السفار فقال والله ما أنا الا قد سمعت به وبكرمه ووصف لي شجاعته وفروسيته وكرمه ونسبه
فحياه الله وحيا عربه وأعانه على من عاداه وحاربه فعند هار جع الفارس الى ذوالخمار وأعلمه بتلك
الاخبار فارتمى وأزبد وأبرق وأرعد وقال أكون أنا نائب الهبل وينهب له مال ولولاه في هذه الكره
ما بلغت الآمال ثم انه أطلق العنان وقوم السنان وهو يقول يا له من صباح ما أوسمه على هؤلاء
الاندال والله لا أترك من دماهم تجري في تلك السهل والجبل ولا خذن أسلابهم وأنفذها مع هؤلاء
القوم هدية الى الهبل هذا وقد تجارت خلفه الفرسان وأتبعه من أصحابه خمس رجال وقد بقي عند
عنتر ومقرى الوحش أربعة رجال وقالوا لشيبوب ارجع أنت يافتى الى أصحابك الذين قد تبقى منهم
وقل لهم يردوا المرأة الى هودجها وبعد ساعة ترى أموال أعدائها تصير قدام جملها فعند ها عاد
شيبوب الى مازن وقال ها قد انشغل أعدانا بعضهم بعضنا وقد بقي عند أخيك أربع رجال فدونك
واياهم فالذي كنت أخاف عليك منه والذي عليه المعتمد قد أخذ رفاقه وأبعد فعند ذلك ركض مازن
حتى قارب جماعة ذوالخمار وزعق فيهم وطعن أحدهم أقلبه والثاني كبكبه هذا وشيبوب على أثره
يقول لا لا يا ابن العم لا تفعل فاه ؤلاء من أعدانا هؤلاء الذين فرجوا عنا كربنا وبلانا ثم انه دنى الى
الآخر وهم يظنوا انه يحميهم من مازن لما آمنوا معه وعولوا على كلامه حتى قرب منه وطعن
أحدهم بالرمح الذي كان معه أصرعه وأبصر الآخر فعله فخار في قصتهم وخاف انه يلحقونه برفقته
فهرب طالب الثار ذي الخمار واشتد في الهرب واشتغلوا عنه بحمل عنتر ومقرى الوحش وكان قد
اشكل عليه أمر شيبوب وما عرفه لما أبصر فارسا معه بل شك فيه حتى أطلقه وحمله وسأله عن
سبب وقوعه في أسر ذي الخمار فأخبره بما جرى عليهم على الغدير فقال له عنتر وأنا والله قد فرحت

لك بالفروسية وركوب الخيل ويلك متى جرت لك بهذه عاده يا ابن الملعونة فقال شيبوب أما أنا فقد سرت فارسا وقد خلصتكم من هذا الاسى والمصاب ولولا ما التقيكم والله أعلم كان يصير عليكم من العذاب والآن تقدر تخلص نفسك من الاسر اذا وقعت فيه فتبسم عنتر وقال من أين عرفت هذا الغلام حياه الله لانه أحسن الينا من غير معرفته بنا فاخبرنا من يقال له من العرب حتى نكافيه يوما من الدهر فقال له يا ابن الام هذا يقال له مازن بن شداد بن قراد وما أخبرك به حتى تدنو منه وتعانقه وتجتهد فى خدمته وتصادقه لانك ما بقيت بعد هذا اليوم تفارقه فقال له ويلك ومن فى العرب شداد بن قراد غير أبى قال وما فيها غير أبيك وهذا ابنه وهو أخوك ثم أخبره بما جرى له وحدثه حتى عرفه فاستراح قلب عنتر وانشرح خاطره ومالت جوارح عنتر الى مازن فدنى منه واعتنقه وقبله وعظمه وبجله ومازالوا متعانقين حتى كادت أرواحهم تذهب من الجسد من حلاوة الفرح والمعرفه والنسب وتعجب مقرى الوحش من هذه القصه كل العجب وقال والله هذا الحديث ما جرى مثله فى العجم ولا فى العرب ثم دنى مقرى الوحش من مازن وضمه الى صدره وقبله فى عارضه ونحره وقال يا فرحة أبيك شداد عند عودتنا الى الحى والبلاد (قال الراوى) ياساده هذا ما جرى وقلب عنتر الى ذى الخمار حائر لاجل ما فعل فى حقه لانه أشرف على الهلاك من حنقه وقال لاخيه شيبوب ترجل وقف قدام والدة اخى أم مازن ولا عبها وسلم عليها من قبلى ولم أقصد العبيد والمال الذى معها حتى أتبع أنا هذا القرنان الذى قد غدرنى بعد الامان وأشفى قلبى منه ثم ركض بالابجر على أثر ذى الخمار وكان مقرى الوحش قد اعتدر وركب الجواد الذى كان تحت شيبوب وكذلك فعل مازن وركض الى جانب أخيه عنتر والدنيا لا تسعه من شدة فرحه به (قال الراوى) ياساده هذا ما جرى لهؤلاء وأما ذو الخمار فانه كان قد استقبل الخيل واخترق الغبار فرآهم ثمانين فارسا مع أخى القتيل الذى قد مناذكره فصاح بهم الى أين يا أولاد الزنا ثم حمل عليهم حملة الاسد وطعن فيهم طعن جبار وهذه ثمانين ايش تعمل قدام ذو الخمار فداسهم بجواده دوس وأنزل بهم الذل والبؤس وكان لهم معه وقت منحوس زهقت منهم فيه النفوس وقتل أخا المقتول وهلك كل من كان معه من كل بطل مهول ولا نجا الا من كان طلب الهرب وخاف على نفسه من العطب وعاد ذو الخمار بلم خيل القتلا واذا بالفارس الذى أنجى من مازن أقبل عليه وهو يصيح يا ويلكم يا بنى عمى خلوا الاشغال واجمعوا الخيل واطلبوا لانفسكم النجاه لان عنتر قد تخلص من الكتاف وهو الساعة يطلبنا ويقلع منا الآثار فلما سمع منه ذو الخمار هذا المقال سأل من الفارس وقال كيف كان خلاص عنتر ومن الذى فكه من الوثاق فقال له ان الفارس الذى قد أتى الينا وذكر انه مظلوم حمل على أصحابنا هو ورفيقه الآخر وقتل الثلاث فرسان الذين كانوا معى ونجيت أنا بنفسى ولولا اشتغالهم بخلاص عنتر ومقرى الوحش ما كنت نجيت منهم بل كانوا لحقونى وها هو عنتر قادم عليك اطلبوا بنا النجاه من غير مطال ودعونا من التطويل فى المقال هذا لك ارتعدت فرائص ذو الخمار وزاد وجده وحل به الانبهار فقال له الدليل يا سيبع وحق من أوثق الشجر بالثمران الرجل الذى قد أتى الينا واستجار بنا وقال اننا سائرون الى الهبل فهو شيبوب أخو عنتر لانى عرفت مقاله وخداعه فقال ذو الخمار والذى أوصل شيبوب الى هنا ايش وكيف عرف ان أخاه مأسور معنا حتى دبر هذا التدبير وما فعل هذه الفعال الا لما عرف الاسير وابصر جيش صالح قد أدركوه فقال لنا ذلك المقال وأوقع بيننا وبين القوم القتال حتى خلص أخاه وأصحابه من الاعتقال فقال ذو الخمار ملح كل قولكم صحيح ما فيه محال فهذه الناقة والهودج والمرأة المكشوفه الراس والوجه الى كانت ومن أين أحضروها حتى تمت هذه

الحيلة علينا فقال الدليل ما أدرى و بما اتفق لهم فى الطريق هنا وظفر بهم مثل ما ظفر بنا وارادان
يسوقهم الى أخيه عنتر حتى يأخذهم معه و يتقوى بهم على السفر فاترك كثرة الكلام واتبع فى هذه
الساعة البرارى والاكام حتى أمضى بكم على غير طريق والاعدمنا السعادة والتوفيق فقال لهم
ذوالخمار وحق اللات والعزى والهبل الاعلى ما أرجع حتى ألقى عنتر وأرده الى ما كان فيه من
الاكرام لان الهبل قد أوعدنى به فى المنام وأنا ما أشك فى مقالة الاصنام وربما أطلق عدوى من
يدى حتى يعتقنى و يبصر جلدى فقال الدليل اقبل منى واتبعنى واترك الطمع والا بصرت طمعنا
نوأبصره الهبل لما لك عن البيت ووقع وان كنت ما تفعل فأنا أنجو بنفسى ثم انه أطلق عنان جواده
وطلب البر الاقفر وأطلقت أعنة خيلها الخمسة فوارس خلفه و بقى ذوالخمار وحيدا فريدا فى تلك
القفر والبيد فاستوحش وخاف أن يدركه عنتر يتركه طريح معفر ومن شدة ما جرى عليه من
الغيظ والغضب شتم الهبل الاعلا وهرب وكذب المنام الذى رأى فيه لعنتر العطب واتبع رفقته فى
الصحرى وهو متعجب مما رأى الا انهم ما أبعدوا فى القيعان وغابوا عن الاعيان حتى وصل عنتر
ومقرى الوحش وساروا فى الاثر وأبصروا مكان المعمعه فعلموا بجلية الخبر وعلموا أن ذوالخمار وأصحابه
هربوا فى البر الاقفر من شدة الخوف والفزع فقال عنتر لولا خوفى على الملك قيس و بنى عبس من
عرب اليمن وتلك الديار ما كنت الا تبعت آثارهم ولوغاصوا فى البحار ولكن شغلنا فى هذا الوقت
أهم من غيره ثم جمعوا ما قدروا عليه من العدد والزرد والخيل وعادوا الى أم مازن قبل قدوم الليل
ولما نزلوا الى الراحة قال عنتر لاخيه شيبوب هذه الاسلاب والنوق والجمال ما لها الا أنت تسير بالجميع
الى الاوطان وأم أخى مازن توصلها الى مكان تعرف انه أمان وتعود تلحقنا فاننا بعد فوات ما نسير
الا سير الرفق وقصدنا بذلك أن تلحقنا أولى ممن يأتى لنا بيقينا لاننا داخلين فى بلاد واسعة ومضيق
وما لنا فيها صديق ولا رفيق فقال شيبوب افعل ما تريد وسيروا كيف شئتم فأنا أوصل أم مازن الى أرض
بنى ذبيان واترك عبيدهم يوصلوها الى ديار بنى عبس وعدنان وأرجع ألحقكم قبل أن تشيع أخبار
بنى عبس ولو بلغتم الى مطلع الشمس ثم أكل معهم شيأ من الزاد وقام الى أم مازن فاركبها على بعض
الخيول الجياد وقال لعبيدها سوقوا أنتم على أثرى النياق واضربوها على أجنابها بالعصا والحقونى ولا
أحد منكم يحدث نفسه بالراحة ولا يشكو الى من سفر ولا ضجر فأشق جوفه بهذا الخنجر (قال الراوى)
وسار بهم شيبوب فى البر الاقفر على طريق وطلب طريقا يعرفها ومازال عنتر ومقرى الوحش
ومازن سائرين طالبين بلاد اليمن هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما جرى لبنى عبس فانهم ساروا مجدين السفر
والسلال بدل بهم و يقطع بين أيديهم الفلوات الى أن قاربوا ديار القوم وبقى بينهم و بينها مسير
يوم فأمرهم بأخذ الاهبة فقال الملك قيس حتى نريح خيلنا ونستريح لاجل أن نتقوى على أعدائنا
بالحرب عند تصرم الرجال لكن يا سلال أريد أن تخبرنى عن القوم التى أقمت عندهم فكم يكون
عددهم اذا ظهروا من الخيام فقال السلال يا ملك ان القوم يزيدوا عن خمسة آلاف (قال الراوى)
فعند ذلك أراحوا خيلهم ورحلوا عند الصباح ومازالوا سائرين حتى قارب نصف النهار فنظروا
عشرة فوارس على تل عالى وتلك العشرة فوارس لما أبصروا غبار بنى عبس عادوا على أعقابهم فقال
الملك قيس ان فاتنى حذرى ان هذا الخيل طلائع الاعدا فقال السلال خذوا أهبتكم فانكم عند
المساء تشرفون عليهم (قال الراوى) وكانت العشرة فوارس الذين رأوها طليعة القوم والسبب فى
ذلك حديث عجيب وهو ان أم مجيد التى أنقذت السلال الى بنى عبس كانت فى بعض الايام قعدت
فى المراعى وأخذت ولدها وسارت تحمل له رأسه وجسده وتفلى شعر رأسه حتى نام وهى نامت بجانبه

حتى

حتى أمسى المساء من شدة التعب فخرجت لها مولاتها فرأتها نائمة على تلك الحالة وكانت ضيقة الخلق متكبرة من دون النساء ومن شدة تجبرها شالت العصا من جنب ام مجيد وضربتها على أم رأسها فبطحتها وسال الدماء وقالت لها يا لحنا أنا قلت لك خضي اللبن واخرجي الزبد فنمت وتهاونت في مقالي ثم شتمتها ودخلت الى بيتها فأخذت أم مجيد في البكا والتعديد وكذلك ولدها بكى لبكاها ونادى وصار يقول مثل ما تقول اليتامى والغربا اذا نالهم الذل والحزن والشقا من الاعدا ولما ابصرته أمه ينادي بالويل والحرب نشفت دماها من شدة الكرب فلم قاموا وأحرق أحشاها فسكتت أمه لاجل ما رأت منه وأظهرت الصبر والجلد وسارت سريعا تمسح دموعه وتقبله بين عينيه وتقول له اصبر يا ولدي على البلاء والتعذيب فان فرجنا ان شاء الله يكون قريب وعما قليل ترى أعمامك وقومك في هذه الديار مثل العقبان يخلصوك من هذا الشقا ويأخذوا لك بالثار من الاعدا (قال الراوي) فسمعتها مولاتها وهي تقول هذا الكلام فاستعاذت منها وأنكرته وصبرت حتى جاء زوجها وكان يقال له صابر بن جفال فأعادت عليه ما سمعت من أم مجيد وحدثته بما جرى لها معها فتغيرت أحواله وقال يا بنت العم اني خائف على هذه العشيرة من شر هذه الملعونه و أقلها انها قد أنفذت الى أهلها تأتينا بقوم ما لنا بهم طاقه لانه قد ثبت عندي انها حره وان ولدها عربي وانها تستر أحوالها عني وكلما سألتها عن قصتها تقول لي أنا مولدة من أرض الحجاز وولدي من رجل زوجني به مولاي لا أعرفه وهذا محال ولابد لي الليلة من كشف أحوالها حتى أعرف معنى أقوالها وفي الحال أحضرها الى بين يديه وقال لها ويلك قولي لي من أين لك هذا الفرج الذي ذكرتيه لولدك من أين يأتيك ومن أي وجه تنتظريه عرفيني جلية الحال والاوحق من أطلع البدر وأنار الهلال ذبحت ولدك بين يديك وكويتك بالنار بين عينيك ثم انه جذب ولدها من شعره ومدده قدامها وسل سيفه ووضعه على نحره فبكت ودقت على صدرها وحارت في أمرها وخافت على ولدها من ذلك وأكثر خوفها من البيح لانها تعلم اذا باعها مولاها يضيع تعب بني عبس التي أنفذت خلفهم ويطول البعد بينها وبينهم وتيأس من اجتماع شملها بهم فلما نظرت ذلك في نفسها خافت على ولدها فقالت لمولاها أعطيني الزمام على وعلى ولدي حتى أحدثك بقصتي وان كان لابد لك من قتلي وقتل ولدي فاقتلني قبله لخلف لها على ما أرادت وقال لها ويحك ذلك وحق من كل شيء تحت حكمه لو أن أباها الولد قتل ولدي أو أبى ما سفكت له دما رعفوت عنه فعند ذلك حدثته وقالت له يا مولاي ان هذا الغلام من بني عبس الكرام وان عمه الملك قيس بن الملك زهير وأخبرته كيف كانت قتلت أبيه وكيف كان سبب هروبها الى هذه البلاد وكيف أنفذت السلال الى بني عبس حتى يأتوا يخلصوها فتعجب منها ومن صبرها وكتمان سرها هذه المدة كلها الطويلة وقال لها ويلك وعجب لما دخلت بني عبس الى هذه البلاد في النوبة الاولى ما كنت تسبيتي في خلاصك فقالت يا مولاي ما وجدت من أنفذه اليهم وهم أيضا من هوى حظي لم خطروا الى هذه الارض فقال صدقت ثم انه قام من عندها وصار حتى دخل على مقدم الحي وكان يقال له طلائع بن الصباح مقدم القبيلة وهم من طائفة بني كلب بن وبره وكان ملكهم يقال له حسان بن الملك مسعود بن مصاد الذي قتله عنتر بن شداد وكان هذا طلائع مقدم هذه القبيلة والمشار اليه فيها ولما ان سيد الجارية صابر بن جفال أعلمه بما سمع من أم مجيد اشتغل قلبه وانشغل على قومه وقال له يا صابر ان أتت بنو عبس الى بلادنا فما يعودوا منها الا بالاموال والنعم وأنا أعلم انهم ما يأتونا الا في خلق كثير والصواب اننا ننفذ خلف بني عمنا ونخبرهم بهذا الحال لعلهم يظفرون منهم بالثار ويقلعوا منهم الاثار لانها أحرقت ناموس أهل اليمن بدخولهم الينا ولكن احفظ أنت هذه الشيطانة التي فعلت

هذه الفعال حتى اذا وصلوا اليها قومها يطلبون خلاصها نرمى اليهم رأسها و رأس ولدها ونقطع رجاهم
منها ان كان قولها صحيحا وان كان الامحال أنفذناها هى وولدها الى الملك حسان بن مسعود و تركناه
يبرد قلبه بقتلهم و يبلغ المقصود ﴿قال الراوى﴾ ياسادة وكان هذا حسان بن مسعود الذى قتل عنتر
أباه لما عشق عبلة وجرى له ما جرى وكان بعد قتلة أبوه تولى ابنه حسان هذا وملك الارض مكانه
وقوى سلطانه وكثرت جنوده وأعوانه لكنه ما كان ينام الليل والنهار على أخذ الثار و يقول كل من
أتانى بعبسى أعطيته مائة دينار وكان يرسل الى فرسان القبائل و يقول كل من أتاه بعبد من عبيدهم
يعطيه عشرين بعيرا الا انى نذرت على نفسى شرب دمائهم وأكل أكبادهم وقد جمعت نصف ما أملك
من الفضة والذهب افتراء العرب ان جمع الزمان بينى وبينهم فى هذه البلاد وان طلايع بن الصباح
لما سمع عن أم مجيد هذا الكلام كتب كتاب الى الملك حسان بن مسعود يقول له يا ملك تعالى الى عندنا
نعاونك على أخذ الثار من بنى عبس الاشرار و يوم وصولك الى عندنا نستقبلك بولد وأمه عندنا
من أولاد ملوكهم وساداتهم تفعل بهم ما تريد ثم انه بعد ذلك أرسل الى بنى الاشجع والى بنى الحكم والى
بنى حذيفة و ربط لهم الطرقات وأقام ينتظر ما يكون من الامور المقتضيات ﴿قال الراوى﴾ ياسادة
وأما سيد الجارية فانه لما رجع من عند طلايع بن الصباح كتف مجيدا وأمه ورباطهم و بقى منتظر
الامور والعجائب وأيقنت أم مجيد بالهلاك من كل جانب وصارت تبكى على ما حل بها وولدها من
المصائب فى ضياء النهار وفى ظلام الغياهب وكان فى الحلة فارس مذكور وبطل مشهور يقال له
بدر بن شكر وكان فى قلبه من أم مجيد محبة اصلاح لا محبة نكاح بل كان يتعجب من عضاضة
طرفها وانفرادها عن العبيد وحدها و يرحمها لذلها وشقاها و يقول والله ان بيتا تكون فيه هذه الجارية
ما يخرب لانها كملت الجمال والصبر والادب والله لو انها من بنات العرب لكنت بذلت لها كل ما أملك
من خيل و جمال وذهب وكنت تزوجت بها وأقضى منها وطر ولكن أخاف أن تقول العرب عنى بدر
خلا بنات العرب وتزوج بأمة واذا رزقت منها ولد يكون مقطوع النسب ومازال ينهى قلبه عنها
حتى جرى لها ما جرى من العذاب والهوان واشتم رأمرها وبان وعلم انها سيدة من سادات عدنان
وان زوجها كان مالك من ملوك الزمان فعند ذلك التهب قلبه بالنيران وزاد به الهوى والهيمان
وندم غاية الندم كيف انه ما تزوج بها قبل أن سمع عليها ما تم وقد انتقل من محبة المزاح بمحبة النكاح
ومن الهزل الى الجد ومن شدة ما جرى عليه أنفذ اليها بعض الاما يقول لها اعلمى انك قد أشرفتى على
الهلاك ومالك من قيد العذاب فكاك وأنا وحق من أدار الافلاك قد نحل جسمى فى هواك وفى هذه
الايام قد كنت معولا على شراك من مولاك ولكن سبقنى فيك القضاء ورماك وفى هذه المحنة أبلاك
وقد أقرح قلبى بالليل بكاك وقد عولت أن أخاطر وأبذل مهجتى فى هواك وأهجر أهلى وأوطانى فى
رضاك وأجىء وأحضر الى عندك فى وقت الظلام وأهجر السكرا والمنام وأسير بك الى أهاليك
وارغم أنافى أعاديك ولكن بشرط أن تكونى لى زوجة وصفية وصاحبة و وفية لا تختارى على
أحدا من أهلك اذا اجتمع بهم شملك فلما وصلت الرسالة اليها أجابت أم مجيد بذلك طمعا فى السلامة
وقالت متى يكون ذلك حتى أكون له أمة بعد أن يخلص ولدى و يجتمع بأهله و بعده ما أبالى بالذى
يجرى على ثم ردت الجواب بهذا الخطاب وأقامت وهى تنتظر الفرج بهذه الاسباب فلما وصلت
الاما بهذا الجواب بردت نيران كبده وعلم أن محبوبته قد حصلت فى يده فصبر حتى أتى الظلام وأمر
عبده أن يشد له على ثلاثة خيول جياد و يخرج بهم الى مكان عينه لهم وكان ذلك العبد قد رباه من صغره
وقد ربى معه وأطاعه على سره وهو عنده مثل الاخ ففعل ما أمره به وسار الى المكان الذى تعين ذكره

وصبر

وصبر بدر بن شكر حتى نام أهل الحى وخمدت النيران وقام يطلب البيت الذى فيه أم مجيد وولدها وكان قد تولع بحبها وجفا أهله ووطنه من أجلها ولما قرب من المضرب رآه خالى من العبيد والغلمان لان سيدها صابر ما يعرف ان أم مجيد تهرب بعدما أقامت عنده حينا من الزمان وما حسب هذا الحساب فدخل بدر الى الخباء حلها هى وولدها والذى تعسر عليه قطعه وأخرجها بين يديه وهو يبشرها بالسلامة ويطيب قلبها هى وولدها حتى وصل الى المحل الذى أمر عبده أن يقيم فيه ولما وصل اليه أركب كل واحد على جواد وقصدبهم أرض الحجاز ولما أصبح الصباح طلب صابر أم مجيد فما وجدها فحار فى أمره وقد عدم صبره وقد خاف من مقدم القبيله طلايع بن الصباح لا يقول له كيف هربت بعد هذه المدة الطويلة فأخذ معه أربع رجال من أعز أصحابه وسار يقتفى من أم مجيد الآثار وبعد يومين وصلت بنو عبس ورأينها تخفق وقد حجبت نور الشمس ورأتها أهل الحى والعشيرة فوارس الذين ذكرناهم فعادت وأخبرت بقدوم الاعداء فباتت الحلة تموج من سائر جهاتها والفرسان تعتقد خوفها واماتتها الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد لمعت البيض الصفاح فصاروا الى نصف النهار ولما أبعدا عن الخيام أقبلت مواكب بنى عبس مثل الغمام ولما التقت العين على العين حملت فرسان الطائفتين وزعق على رؤسهم غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وقال الخصم لخصمه الى أين هذا وبنو عبس قد صاح فيها الملك قيس ونخاها وفعلت فرسان بنى كلب بن وبرة كذلك وتصادمت الفرسان والشجعان هذا وبنو عبس على قلتها قد ردت أعدائها الى الخيام ولما رجعت عند اقبال الظلام قال الملك قيس يا بنى عمى لو كانت حالتنا اختفت كنا لغنا الاآمال من هؤلاء الاندال هذا وبنو كلب بن وبره رجعت وهى ما تدرى أين تضع أقدامها من عظم ما لقيت من حرب بنى عبس وما نالها وهى ما تصدق أن تصل الى خيامها (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما طلايع بن الصباح فانه لما نزل فى الخيام وأكل الطعام قال لقومه يا بنى عمى ان لم تلحقنا هذه القبائل التى أرسلنا اليها والا أكلتنا هذه السباع الجياع الذى لا تفزع ولا ترتاع ومالنا الا نرسل لهم الجويرية وولدها ونرحلهم عنا بسلام فقالوا له يا طلايع الجاريه هربت هى وولدها وولاها سار خلفها والى الآن لم عاد فلما سمع طلايع هذه الاخبار انذهل وحار وأخذه الانبهار وحس ان فؤاده قد انفلق مما لحقه من القلق وقال ويلكم كيف هربت هذه الشيطانه وحسرت على هذا الحال وقد عرفت ان بينها وبين قومها أمدا بعيدا فقال رجل يا مولاى والله ما أدرى كيف هربت بل الحديث الصحيح بدر بن شكر أخذها وهرب بها وان الجاريه لم لها ذنب انما الذنب الى ابن عمنا الذى أخذها وهرب بها وأولاد العجوز الذين أطلقوا السلال من أيدينا وسيروه الى مكان بعدما كان أشرف على الصلب والهوان فقال طلايع لما سمع هذا الكلام وحق ذمة العرب لقد صدقتم فان أهل الفساد تحب أهل الفساد وهذه العجوز قد بلغت من العمر هذا المبلغ ورزقت هذه الاولاد وبعد عينها الى أيام الصبا وان من رأت فيه شرا وخيانة تصادقه وتصافيه وتصاحبه وتوافيه (قال الراوى) وكانت هذه العجوز التى أجارت غادر السلال وأطلقته من الهلاك والوبال وكانت طارقة من طوارق الزمان ونائبة من نوائب الحدثان لانها فى أيام الصبا كانت تقاوم الرجال فى الافعال وتغادر على القبائل وتحتال وكانت ربت أولادها على طبعها وعلمتهم من بعض مكرها وخداعها الا انها لما بلغها كلام مقدم العشيرة وسمعت ما قال عنها صعب عليها وقالت والله لقد أصبح طلايع بحجة باردة وما قال هذا المقال الا من ذله وعجزه عن القتال واذا لم أتجرد أنا لهذه القبيلة وأفرق شملها بالحجال والا أخذونا كلنا سبايا ويتركوا رجال الحى مثل الضحايا لانى أعرف ضعف رأى مقدمنا وقلة تدبيره فقال لها بعض أولادها

بالله عليك يا أماه افعلى هذا الذى ذكرتيه ان كنتى قادرة عليه لعلنا نستريح من الحرب ونكشف عن هذه العشيرة الكرب ولا يبقى لاحد من القبيلة علينا ملام ولا كلام وعسى يقع فى أيدينا السلال بن اللئام الذى أطلقناه من الهلاك وسوء الارتباك فقالت العجوز أما السلال ارصده أنت وأخوتك عند أبيات صابر بن جفال فانكم تجدوه عند الاطلال لانى أعلم انه لابد أن يدخل الحى فى طلب الجارية العبسية حتى يطيب قلبها بقدوم أهلها وان قدر على خلاصها خلصها ولم يعلم انها هربت فقالوا أولادها يا أماه ان أكثر ظننا ان أهلها وقعوا بها فى الطريق وقد جاؤا الينا فقالت افعلوا ما قلت لكم وانظروا العجب فعند ذلك تجردوا أولادها وكانوا ثلاثة مثل السباع وسلوا السيوف ودار وا بأبيات صابر ولازالوا الى نصف الليل واذا بغادر السلال قد أقبل من المكان الخالى من الحرس من ناحية الخيل فلما رأوه عرفوه وقالوا والله ما تموت أمنا و يخاف الزمان مثلها ولا أخبر منها بعواقب الدهور ثم أمهلوه حتى صار بين المضارب وتواثبوا عليه وقبضوه وقالوا له يا شيطان هذا جزاء نامنك بعد ما خلصناك من الموت سقت أمنا هذه القبيلة وتركت أهلنا يمزقوا جلدنا بالكلام فقال لهم وقد عرف المعنى لكلامهم والله يا وجوه العرب ما فعلت ذلك الا لاجل اليمين الذى حلفته للجارية فبلغت خبرها الاهلها وقلت لعل رب السما يفرج عنها كما فرج عنى بكم وقد دخلت هذه الليلة فى طلبها لاجل خلاصها واذا خلصتها رحلت أهلها عنكم ثم انه صار يرقق لهم فى الكلام و يطلب منهم الخلاص فما سمعوا منه بل أوصلوه الى أبيانهم وأمروا عبيدهم بحفظه ودخلوا على أمهم وأعلموها بأن حسابها قد أصاب وما خاب وان خصمهم قد وقع فى المصاب ثم شاوروها فى أمره فقالت احملوه الى طلائع بن الصباح مقدم القبيلة وقولوا له خذ هذا الشيطان الذى لمتنا عليه وأما أمنا تقول لك قاتل غدا ة غد فى أعداك فان بلغت منهم منالك وأتاك أحد من القبائل الذين أرسلت وراءهم يساعدوك والا أمنا تقدر تفرق شملهم فى الليل وتنزل بهم الذل والويل تعود اليكم ملوكها أسارى بالمكر والخداع والمحال فلما سمعوا أولادها كلامها امتثلوا وأقاموا حتى انجلا الظلام وقامت الرجال تطلب الحرب والصدام فجاؤا الى طلائع بن الصباح غادرا السلال الى أن يبصروا على أى شئ ينفصل الحال و يبلغوه رسالة أمهم فتعجب من فعالها كل العجب وقال والله ان فريقا يكون فيه مثل هذه المرأة ما ينكب وكل من يقتدى برأيها يغلب ثم أمر بتقييد غادر السلال حتى يبصر على أى شئ ينفصل الحال مع بنى عبس فى القتال وكيف يكون الانفصال (قال الراوى) وكانت بنو عبس قد ركبت عند الصباح وتبادرت للحرب والكفاح وصاح فيها الملك قيس والربيع ابن زياد وما فيهم الا من قال يا بنى عمى انصحوا فى القتال واطلبوا انجاز الحال قبل أن تتسامع بنا قبائل اليمن و يقصدونا من سائر الاقطار والدمن ثم ارجعوا الى بنى كلب بن وبرة واهجموا على المضارب والابيات وأخرجوا النساء والبنات ولذا الموت للجميع وطاب واشتد الطعان والطراب وقاتلت عبيد الحلة والنسوان وكان للقوم يوم لا يجب فيه عتب ولا لوم لان بنى عبس قاتلت عشرة آلاف فارس عبيدا وأحرار وملأت بالقتلا جنبات البرارى والقفار وعادت عند اقبال الظلام وقد نالت الهزيمة والافتقار ورجعت بنو كلب وهى فى غاية الذل والانكسار واسودت ستور الظلام بالاعتكار وأوقدوا النيران وتحادثت الطائفتان وأخذ طلائع بن الصباح فى لوم رجاله فقالوا له لا تلمنا أيها الامير فما بلينا بأمر قليل فان هذه القبيلة لما دخلت فى النوبة الاولى الى بلاد اليمن قد سمعت ما جرى لها مع بنى حذيفة ومع معاوية بن النزال عند عقبة الفارق وما فعلوا بالملك مسعود بن مصاد على امياه عداعد ونحن ما نلقى فرسانهم الا بالمدافعة الى حين ما يأتينا من يعيننا عليهم ونغلبهم بكثرة العدد وتزايد المدد الى أن ما يبقى منا أحد فقال لهم ما قلتم الا الصواب ويكون بالكم من أسودهم الكذاب فأجابوا

الى

الى ذلك ولما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نادت الرجال الى بعضها بعض تطلب الحرب والكفاح وتقاتل الفريقان قتالا شديدا الحنق حتى سال الدم واندفق وتضاربوا بالسيوف على الدرق وأرموا بعضهم بعض بالحدق وبقى الجبان فى قلق وحمل الشجاع وزعق وتمنى لنفسه انه لم يخلق وذهبت منهم الارواح وزاد الملك قيس اليوم فى الارباح وقتل من بنى كلب كل همام وما أفرق عنهم الا الظلام فلما استقرت تلك الطوائف أكلوا الطعام فأتت العجوز كانها ريح الهبوب الى عند طلائع فقام لها قائم وقال لها ياسيدة العرب أما ترى على ماجرى لبنى عمك فى هذا النهار فقالت طيب قلبك فما أتيت اليك حتى أعلمك انى سائرة اليهم وأدبر حيلة عليهم ثم أمرته أن يركب معها مائة فارس وتمكن بهم فى موضع يكون قريب من بنى عبس وأما العجوز فانها سارت وقد لبست لباس الرجال بعد ما ألثمت وجهها وسارت طالبة بنى عبس الى عند الحرس فصاحوا عليها وقالوا من أنت ياوجه العرب فقالت لا تزيدوا على فؤادى الفزع وقلبى قد انجزع وأشتهى أن تدلونى على الملك قيس حتى أقص قصتى عليه فلما سمعوا منها طمنوها على الملك قيس فقال الملك قيس ما بالك ياوجه العرب وما حالك فقالت يامولاى ارحم من قبض على أولادها وانصدع من شأنكم فؤادها وقد أتيت اليكم وقدمت عليكم أطلب المعاونه على خلاص أولادى فقال الملك قيس ياوجه العرب بينى لى هذا السبب وأطلعينا عليه وابشرى بكل خير فقالت يامولاى اعلم ان السلال الذى أوصل اليكم خبر أم مجيد وأتى بكم الى هذه الديار أنا الذى خلصته من الصلب وعتقته من سيوف بنى كلب لانه أتى الينا فى طلب حصان يسرقه فلما وقع به بنو عمى أعطيته زمامى وسيرته مع أولادى وكانت بنت عمكم قد حملته رسالة يوصلها اليكم وطلب أن يفرج عنها بعض كربها بكم وبعد انفاذها له قد أساءت التدبير وقصرت فى خدمة مولاتها فضربتها وسبتها فباحت بسرها خوفا من البيع وخافت أن تصير فى أرض غريبة ولا تعود تجتمع بكم و يضيع تدبيرها وتعبكم فحدثتهم بحديث ولدها من غير ضير وان أباه مالك بن الملك زهير وان نسبه يرجع الى بنى عبس وعدنان فرسان المنايا والموت الزوام وانها خوفتهم بكم وقالت سوف عن قريب يقع بكم الندم اذا سبيت أولادكم والحرم و يبقوا خدم وسوف يأتيكم فرسان لا تخاف الموت اذا هجم وقعم فلما سمع سيدها كلامها شدها هى وولدها بالحبال وقص على مقدمنا ما سمع من المقال وقال والله لولا هذه العجوز المعونه ما أعطت السلال الزمام والا ما كان لها من يوصل خبرها الى أهلها ومن فزعه منكم أقام الخيل على الطرقات وأنفذ الى القبائل التى لها عليكم مطالبات وقال لى اذا قدم بنو عبس لنا أرمينا رؤسهم اليهم حتى ينقطع طمعهم و ينحل عزمهم وأوصى صابر بها وبولدها فلما نظرت أنا ماهى فيه من العذاب رحمتها ورحمت ولدها وقلت لاولادى بالله عليكم اجتهدوا فى خلاص هذه الجارية قبل الوصول لئلا يحذفوا اليهم رؤسهم فتحدثوا أولادى مع فتى من فتيان الحى يقال له بدر ابن شكر فأتى فى الليل وسرقها وسرق ولدها وسار بهم بالليل يقطع البرارى والقفار فاما فقدها مولاها صابر خاف من أمير الحى فركب وسار خلفها نحو ديارهم وبعد مسيره يوم جرى ما جرى وندمنا نحن كيف ما صبرنا الى أن تقدموا علينا فرجع أهلنا علينا بالملام ومن تمام المصيبة وصل الينا البارحة غادر السلال فقلنا له يامشوم الناصية ايش أوصلك الينا فى هذه الساعة والله لو علم بك أهلها لقتلوك فقال ما حال الجارية والغلام فقلت هربوا من يومين فقال أنا ما جئت الا فى خلاصهم وها أنا مقيم فى الحى حتى أبصر ما يتم لها مع سيدها فان عاد بها تسببت فى خلاصها وأوصلها الى قومها واذا فعلت ذلك رحلت عنكم هؤلاء القوم وأعلمهم بقصتها وأتركهم يعودون على آثارهم وتستريحوا من القتال ومن تمام المصيبة أن صابرا أتى بالجارية وبالذى أخذها وأحضرهم قدام أمير الحى وقال له يامولاى كلما تم

علينا من أولاد الجحوز لانهم قووا هذا الرجل على هذه الفعال فلما سمع سيد العشيرة هذا الكلام قال هؤلاء خامروا علينا وعلى أهل الحي واختاروا علينا الاعداء ثم انه قبض على أولادي وضافهم الى أصحابكم وثقلوهم بالقيود وأرموهم بين الاطناب ثم وكلوا بهم العبيد وحلف اذا جاءته النجدة يصلب الجميع على الخشب و يقطع رؤسهم و يرميكم بها ومن شدة ما جرى على أخرجت غضبي في السلال وقلت له غليظ الكلام فقال لي لا تفعلي أنا أخلص لك الجميع ان قبلت مني وأحسنت الصنيع فقلت له ماذا تريد مني اصنع فقال تغيري زيك وتسيري من أول الليل الى بني عبس وتحدثيهم بما جرى على في هواهم وتعطي الملك قيس هذه العلامة من عندي وخذي معك عشيرين فارس وتعودي بهم في عرض البر الاقفر وتبري الى من وراء البيوت تجديني قد حملتهم بحديدهم ورقيودهم على أكتافي وخلفتهم والميعاد الى خلف الجبل الى أن تأتي أنت و بنو عبس على ظهور الخيل وتعودي بهم في ظلام الليل و بعد ذلك تبصرون ما يحل بالملك من الويل و يرجع اليك أضعاف ما لك وتصيري عندهم أعز الخلق أنت وأولادك (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس كلامها قال الربيع وهذا نعم الرأي وحق ذمة العرب لقد فعلت معنا هذه العجوز فعلا ما نقدر على مكافأتها أبدا وكذلك السلال وما كنا نريد في هذه الساعة الا عنترين شداد حتى كان يمضي مع هذه العجوز ويخلص لنا أحبابنا ونبلغ المراد فعندها نهض عمارة قائما على الاقدام وقد أغاظه هذا الكلام وكلم الملك قيس وقال أيها الملك الهمام نحن لو نحن ناقد امك الجبال أو خضنا البحار والنار ما تذكر الا هذا العبد الكشحان فوحق اللات والعزى انا فعلنا اليوم في هذه القبيلة فعلا لو أبصره عنتر لاذ هله ولم تذكر الا ذلك العبد وفعله وان كنت يا ملك تقول أنا جسور على سير الليل فأنا الليلة أسير مع هذه العجوز وآتيك بجميع الاساره حتى تنظر خسارة عنتر من خسارة عماره (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس كلام عماره شكره على فعاله وسيره مع أخيه الحارث في ستين فارس وسار الربيع بالجمله خوفا على أخيه ولم يبق من الليل الا نصفه حتى وصلت بهم العجوز الى عند الكمين وحصلت بهم في وسط الاعداء وكانت الاشارة بينهم أن تعوي مثل الكلاب فلما وصلت اليهم عوت وصرخت فظهرت الخيل اليهم مثل السلاهب وكانت قد أوقفتهم وقالت لهم ترجلوا وخذوا حذركم فأول من ترجل كان الامير عمارة فلما أبصر البلاء وقد أحاط بهم وعلموا انهم وقعوا في اشراك الحيل والخداع ولم لهم عن أنفسهم اندفاع أراد عمارة أن يركب فما قدر من رجفات الركب وأما أخوه الربيع فانه قاتل عن نفسه قتال شفيع ودافعت الابطال عن أنفسهم بقدر الطاقة فوصل الخبر الى طلايع بن الصباح فمن شدة فرحه زعق وصاح وأخذ جماعة من بني عمه ألا انه ما وصل حتى وجد المعمعة انفصلت والواقعة خلصت لان فرسان بني عبس قتل منهم عشرين وأسر عشرين وأخذ الربيع وعمارة بجملة الاسارى بعد ما قتلوا تسعين فارسا من بني كلب بن وبره وساقوهم فرسانهم وقووا اشدادهم وفي قلوبهم منهم حسرة حتى وصلوهم الى قدام مقدمهم وقد انقلبت الارض عند وصولهم الى الحلة من كثرة الافراح وتزايد السرور وعدم الاتراح وكان قد أصبح الصباح فلما نزلوا بالاسارى بين المضارب ركبوا الجنائب وتبادروا الى العبسيين من كل جانب بالقنا والقواضب وصاح فيهم عند ذلك طلايع وقد لاحت له ولقومه حلول المطامع وكان الملك قيس قد أنكر أيضا بنو زياد وبقي في قلبه نيران زائدة الانقياد وقد سار لهم في الانتظار حتى مضى الليل وأقبل النهار فأنكر عند ذلك أمرهم غاية الانكار وقال لمن حوله من أصحابه وقد عظم مصابه والله ما أقول ان بني عمنا لفوا خيرا وان صدقني حذري فان العجوز التي جاءت ما أتت الا بالمكر والاحتيال ولا حدثتنا الا بالمحال بحديث السلال وأعطتنا جميع العلائم والاقوال والامور

التي

التى مضت بها من عندنا وحدثتنا بجميع ما جرى لنا من أمورنا فقال له عمه أسيد كيف يا بن الاخ تكون الحيلة فقال الملك قيس ما أدرى عجائب الزمان له وقعات ومصائب (قال الراوى) يا سادة ولم يزالوا على مثل ذلك حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك رأوهم بنو عبس وقد تاروا اليهم بنيات صباح وهم ينادون يا أندال الحجاز أظننتم انكم تدخلون أرض اليمن مرة ثانية وتعودوا سالمين ابشروا بالويل المبين لان أصحابكم وقعوا فى قبضة العجوز وأنتم الساعه يأتيكم البلا وتتقاسم أبطالكم ملوك هذه الارض والفلا ويفوزون منكم بالثار وينتقام منكم الاثار قال فلما سمعت طائفة بنو عبس هذا المقال زادهم اللهيب والاشتعال وكثر فيهم القيل والقال وقد أيقنوا بالذل والخبال وضجوا من هذه الامور وقل صبرا لصبور وقال الملك قيس يا بنى عمى ما بقى غير بذل الارواح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح ولا الذل والافتضاح وان لم تجودوا فى القتال رحنا أوشم الرواح ويقال ان بنى عبس بنت لها بيتا فى العلا ومنازل الافتخار والفوز فى أرض اليمن هربت من البلا بحيلة أمرأة عجوز وقادتهم أسارى قود الكلاب وتحكمت فيهم الاعداء بالقتل والعذاب ثم خرج قيس من تحت الاعلام وقد اشتد غضبه ولم يسمع كلام وكشف رأسه وحمل حملة من باع بقاءه وتمنا فناءه وقد فعلت بنو عبس مثله وحملت خلفه كانها السحاب اذا هطل وقد اختلطت الطائفتان واختلف بينهما الطعن والضراب وعملت السيوف فى الاجساد عمل النار فى الحطب وجرى بين الابطال كل العجب وقد حجب البدر سنا الشمس فاحتجب وفاض الدم وانسكب وضاق عليهم الدبر بعدما كان واسع السبسب وقد عم الجميع الويل والحرب واشتد عليهم طريق الهرب ووقع بالفرسان فى المناكب الخذلان والتعب ومشت الخيل بعد الجرى خبب ودنا الاجل من الجميع واقترب وسال الدم من الجراح مثل أفواه الغرب وقد ردت بنو عبس أعداءها الى الخيم وحكمت مضاربها فى الاجساد والقمم فعندها انقلبت المضارب بصياح الصبيان وقد أيقن بنو كلب بن وبره بالهلاك والعدم وفى تلك الساعه أشرفت بنو الحكم وهى قبيله من جملة القبائل التى كانوا لها فى الانتظار وكان أشرافهم عليهم نصف النهار وكانوا ألف فارس من كل بطل مداعس مغوار ولما ان أبصروا نار الحرب تشتعل ونسوان بنى عمها على أبواب البيوت ولولوا وزعقوا وحملوا على بنى عبس وطلبوهم مثل سهام المنايا اذا أرسلت وكانت مستريحه فردت بنو عبس الى أقطار الفلا وقد سار الامر فزعا وجلا وصار سهل الارض فى النواظر جبلا وبقيت الابصار الصحاح من شدة الخوف حولا والمنايا على قبض النفوس وكلا وأسنة الرماح فى أكباد الشجعان تجد بالمهلا ولله در بنى عبس لقد جادت قتالها بين الملا وكأن حولها الشجعان تسيل من رؤس الشعاب والجبال والابطال اليهم باطراف العوامل تميل وهى ثابتة لا تزول وصابرة على البلا وهى تاسع فيهم بافاعى الرماح وتضرب بضارب الصفاح الى أن ولى النهار وعولت الطائفتين على الانفصال وكانوا قد كفوا عن القتال ولما ان افترقوا عن المجال أقبلت فى تلك الساعه بنو الاشجع فى ثلاثة آلاف فارس كل بطل صميدع وفارسها بالحديد مقنع الا انها ما أتت الى الخيام حتى أقبل الظلام وقد انفصلت الطائفتان من ضرب الحسام وعاد طلايع سيد بنى كلب التقى القادمين وشكرهم وأثنى عليهم وقد أخبرهم بالعجوز وما فعلت بحيلتها وكيف فرجت عنهم الكروب بعدما كانوا قد أشرفوا على العطب فقال لهم طرفه بن بشاره سيد بنى الاشجع أبشر يا طلايع بالنصر والظفر وانظر عند الصباح ما يحل بأعدائنا وأعدائك من العبر واعلم ان الاقدار ساقتهم الى هذه الديار حتى نستوفى ما لنا عليهم من الثار ولكن كم وقع فى أيديكم من أسير فقال له طلايع أسرنا ثلاثين فقال له طرفه اعلم ان هؤلاء عند الصباح نحاق رؤسهم قبل حملتنا عليهم

لان فى ذلك ما يقطع منهم الظهور ويزيل الطمع من رؤسهم وصدورهم فقال طلايع وأنا قد عوات
على ذلك اذا وصل الينا حسان بن مسعود صاحب أمياه عرائر لانه على كل حال سيدنا والحاكم علينا
وأنت تعلم ما جرى لابيه مع هؤلاء الاندال وكيف قتل أسودهم أبوه مسعود لما عشق عبله وأقول انه
عند الصباح يقدم علينا وأتركه يضرب رقاب هؤلاء بيده فقال طرفه هل وقع أسودهم فى أيديكم أم لا
أم هو عند أصحابه فقال له طلايع انه ما دخل معهم فى هذه الكره الى بلاد اليمن وقد سألت عنه بعض
الاسارى فقال لى انه عند الملك كسرى وما عنده علم بمسيرنا اليكم فقال طرفه يا طلايع لقد ضاقت
صدرى بغيبته وأنا قد أوعدنى سيفى بشرب دمه وأنا أحدثك بأعجب من هذا لانى قد رأيت فى المنام
انى قتلته وأخذت رأسه على سنان رمحى وقد درت بها سائر الحلل التى فى بلاد اليمن وفى الآخر
أهديته الى حسان بن مسعود وقلت له خذ رأس قاتل ابيك وأقول ان المنام تفسر لانه لابد له أن
يأتى خلف قومه وافعل به هذه الفعال ثم انه بعد ذلك الكلام أمر الكتائب والعشائر أن تدور بين
عبس ففعلوا ذلك وبنو عبس لما رأت أن الكتائب قد سدوا عليهم سائر الطرقات والمذاهب قد
آيست من أنفسها لما أن أبصرت ذلك العدد وقد زاد عليها وكانت كلها على ظهور الخيل تحرس أنفسها
وهى لابسه سلاحها وكان فيهم جماعة كثيرة مسخنة بالجراح فأيسوا من الفلاح وما فيهم الا من ندم
على دخوله بلاد اليمن وقد سار يندب الاهل والوطن وقد علم الملك قيس بأفعالهم وأحوالهم فصار
يسليهم هو بمقاله ويقول لهم اعلموا يا بنى عمى ان تذكار الرجل الى أهله وولده يضعف بصره ويقل
جلده وكل أحد ما يحب يعيش فى النعيم وأطيب المنازل وانما الرجل يفتخر بالصبر عند حلول النوائب
والنوازل وايكم أسوة بى وبولدى زهير الذى كل نظره الى وجهه أحب الى من الدنيا وما فيها وقد رضيت
بقتله وهلاكه وهلاك نفسى معه فى هذا المقام ولا أترك للعرب على عتب ولا ملام وعند الصباح
وحق من يشفى من الاوجاع أنا لم أنصب على رأسى علم ولا أكون الا فى أوائلكم أضرب بالسيوف
حتى تنصلب الرماح فى جسدى وأقع تحت حوافر الخيل أنا وولدى وان فعلتم مثل فعالى فزتم
بذكر الجميل بعد التلاف ويقال ان بنى عبس ما هلكت فى بلاد اليمن حتى أهلكت مثلها أضعاف
وان فزعتم من الموت فما ينجيكم الفزع من العطب بل تقتلون وتذمكم العرب ومازال الملك قيس
يقول لهم مثل ذلك المقال حتى هان الهلاك على الرجال وقالوا والله أيها الملك ان مالت علينا الجبال
فى صور الرجال للقيناها ولو رأينا المنايا تجر أذيالها نحونا لسقناها ولا بد ما نطعن بأسنة الرماح
الدقاق حتى تلعب برؤسنا حوافر الخيل العتاق ولكن لو اننا كنا كفينا مؤنة هذه العجوز التى
احتالت علينا وأسرت سادات بنى زياد ما كانت هذه القبائل ولا تلك الامم والجحافل وكنا قد بلغنا
مرادنا فقال لهم الملك قيس صدقتم يا بنى الاعمام ولكن اذا نزل القضا من السماء عمى البصر وحير
الفكر ثم انهم باتوا تلك الليلة يعللون أنفسهم بلعل وعسى الى نصف الليل وقد ملوا من ركوب الخيل
وعولوا على النزول من عليها للراحة واذا هم قد أوراجلا قد أقبل وهو طالب الى سوادهم من ناحية
خيام الاعداء وهو يهتف نحوهم مثل ذكر النعام تحت ستور الظلام فمن دها تبادروا اليه وقد داروا
حواليه وأبصروه واذا هو شيبوب أخو عنتر ففرحوا به فرحا شديدا لما عرفوه وقد أملوا منه فرجا
ثم انهم أتوا به الى عند الملك قيس وقد بشروه بوصوله ففرح بذلك غاية الفرح وزال ما بقلبه من الهم
والترح وقال لشيبوب خبرنى بعجل فقد جئتمونا فى وقت الحاجة اليكم ولولا وصولكم كنا من
الهالكين فقال شيبوب والله يا ملك ما عندى من أخى خبر وما حسبته الا هو عندكم ومقرى الوحش
ومازن فقال له الملك قيس ايش يكون مازن وكيف انفصلت أنت من أخيك وفارقته فقال شيبوب

اعلم

اعلم أيها الملك ان فراقي له سبب عجيب ثم انه حدثه بما جرى لهم من حين سارا من عند الملك النعمان
وقد عاد عليه حديث حاتم الطائي وعطاف وكيف سارا بعد ذلك الى ديار بني عبس وقد رأوا الاحياء
خالية منكم وانكم قد سرتم خلف مجيد وأمه فخاف أخي عليكم من هذه الامور رسار خلفكم وأخذ صحبته
مقرى الوحش فجرى علينا في الطريق كل عجيبة من سبيع الحارث وانه قد أسر أخي وكنت أنا غائبا
في طلب فرس لمقرى الوحش ثم انه عرفهم بحديث مازن وكيف خلص أخيه عنتر من الاسر والقصة
التي جرت وقال لهم في آخر الكلام وقد رجعت أنا بأم مازن الى الحي بعد ما دلت أخي على الطريق
التي تلحق بكم والى الآن ما أعرف الذي جرى عليه وما ظننت الا انه وصل اليكم مع أخيه مازن ومقرى
الوحش ولولا أعاقني بامرأة أخيك مالك وولدها مجيد ما كنت الا لحقته قبل وصوله اليكم ولكن هذا
الذي قد أعاقني الى هذه الايام فلما أن سمع الملك قيس وأعمامه من شيبوب هذه العجائب نسوا ما كانوا
فيه من النوائب وقالوا والله يا شيبوب لقد جرت لكم أمور تشرح الصدور ولا سيما غدر ذي الخمار وظفره
بأخيك وخلاصه بحيلتك وخداعك على انك قد ذكرت لنا في آخر كلامك ان لقيت عند عودتك
ابن أخي وأمه وأعاقوك عما كنت له طالب فحدثنا على ما جرى لك معهم من تلك العجائب وأعلمنا ان
كنت خلصتهم من الاسر لانا سمعنا أنهما هربت وما صدقنا ذلك وقد تم علينا بسببها حيلة من عجوز في
هذه الديار اسمها عدوه ولولا ذلك ما كنا أقمنا حتى اجتمعت حولنا هذه الجموع التي تراها بل كنا قضينا
حاجتنا ورجعنا من قبل أن يعلم بنا أحد فقال شيبوب صدقت أيها الملك لا تزال المقادير تنفذ
التدابير والانسان مع القضاء الواقع أسير ما يعلم ما يقضي عليه عند المشيئة بعد التدبير ولو كنا علمنا أن
يجري عليكم هذا المجرى ويضيع أخي في الصحرى وتخلص أم مجيد على يدي فلو علمنا أن هذا كان يصير
ما كنا أحوجناكم الى هذا التعب ولا تنشتتوا في بلاد اليمن والسبب في ذلك اني لما فارقت أخي عنتر
وسرت بأم مازن وأوصلتها الى الديار وقد رأيت من يرمي على أثري أقطع القفار وكنت فزعان على
أخي لقلة معرفته في الطريق ومن مثل هذا الذي أصابه فسرت في أربعة أيام ما يسيرها الفارس في
عشرة أيام ليلا ونهارا حتى قطعت حول اليمن وتركتها من خلفي وقد وصلت الى واد يقال له وادي الدوح
وزعمت أنه أذج روحي اليه وأقطعه في الليل على غير طريق فرأيت في أرضه امرأة تنادي يا عبس ترى
ما وصل اليكم خبري أم قدم عليكم رسولي أما شرح لكم ما أنا فيه من سوء الحال فقد بعدتم عني وعن هذا
الصبي الذي قد ربى في اليتم ورعى الجمال بعد كثرة الرجال والاهل ثم انها نادت واحر باه واقلة
ناصراه واذلاه بعد كثرة الحماة فلما ان سمعت أيها الملك الى هذا الندا أسودت الدنيا في عيني وقد
طلبت السوط فرأيتها زوجة أخيك مالك لاني كنت رأيتها في ليلة العرس والزفاف ومديت عيني
فرأيت الذي قد هرب بها مع مولاها في القتال ومعه خمسة فوارس أبطال وقتل منهم اثنين ودار وابه
الثلاثة الآخر فأسخنوه بالجراح فوصلت أنا الى أم مجيد وعرفتها بنفسي وسألتها عن قصتها وسمعت
حديثها فتركتها عند ولدها وطلبت أعدائها بالنبال وقلت لبدر بن شكر يا وجه العرب ارجع أنت
عن القتال فقد بذلت المجهود وسأبلك الحال ولابد أن تجازى على هذا الحال فارجع وأنا أقضي
هذه الاشغال وأبدد هذه الاندال ثم اني ضربت واحدا بنبلة قتلته فعند ذلك اشتد قلب بدر لما رآني
وحمل على واحد قتله وبقي واحد فمول على الهرب فسبقته أنا الى المضيق وضربته بسهم في صدره
طلع من ظهره ولما انتجز الامر وهلكوا الاعداء جمعت الخيل والاسلاب وأنزلت بدر بن شكر من على
فرسه وشديت جراحه وقلت له ابشر بما تلقيه من السلامة والخير والكرامة لانك قد زرعت الجميل
في أرض طيبة زكية وسوف ترى ما تجازى من ملبح الفعال المرضية ثم اني يا مولاي عرفته من أنا

وبشرته ببلوغ المنا وطيبت قلب أم مجيد وولدها ففرح مجيد وأمه وزال عنهما همهما وغمهما ثم اني
حدثتهم بدخولكم خلفهم الى بلاد اليمن وهذه الارض حتى انكم تخلصوهم من الاحوال والمحن
فقالوا لي والله ما عندنا خبر من هذا ولولا انك أدركتنا لكان حل بنا الضرر ومسنا البلاء ومرنا عبرة لمن
اعتبر وان كانوا أهلنا وصلوا الى تلك الديار فما يكون الا بعد مسيرنا وبعد ما سلكنا في هذه القفار
فبشرتهم بعد ذلك بالسلامة من الوبال وقد أصعدتهم في لحف جبل من الجبال وتركتهم في مفازة من
الشعاب ومعهم عبد نجيب وهو عبد بدر بن شكر لاجل خدمتهم وقضاء أشغالهم ولكن اطلعت على
صحة الخبر فرأيت بدر بن شكر حكم عليه سلطان الهوى والقدر وعشق أم مجيد والحصر وكان سبب
فكها من الاسر والضرر وشرط معها على الزواج وهي راضية بذلك ولا بقي لهم عن بعض مصطبر
فزوجتهم في تلك الارض وجعلت يد أم مجيد في يد بدر بن شكر لاجل الزواج حتى لا يبقى على لوم
ولا احتجاج وأشهدت عليهم بذلك الشان الملك الديان وباتوا تلك الليلة وهم في أمان ولما كان
عند الصباح قلت لهم قيموا أنتم ها هنا في هذا المكان حتى أسير أنا الى الملك قيس وأخي عنتر ومن معه
من الفرسان وأيضا أبشرهم بخلاصكم من الاسر والهوان وآتي بهم الى هذا المكان ونرجع كلنا الى
الاهل والاوطان ثم تركتهم وسرت أقطع القفار والكثائب حتى وصلت اليكم وانتم في تلك المصائب
وعلى ان غيبة أخي من أعجب العجائب (قال الراوي) ولما ان سمع الملك قيس من شيبوب ذلك تعجب
من ذلك الاتفاق وما جرى ثم انه قال يا شيبوب لو كنا علمنا انك خلصت مجيد وامه من الشدة والعوائق
ما كنا وقعنا في هذه الـ[illegible] اجتمع علينا فيها هذه الامم والخلائق ووقعنا في البلاء الزائد المتلاصق
ولكن القضا اذا نزل من السما ترك البصير أعمى لاننا عند الصباح ما ندري على ماذا نقدم وما ندري
كيف نلتقي هذه العساكر والامم فقال شيبوب وقد ضاق صدره من ذلك وتألم يا ملك ما بقي الا الخير
والسلامة الا انكم عند الصباح تلتقون هذه العساكر والقبائل وتصبروا على هذا البلاء النازل
لانهم اخلاق كثير وأقيال وأبطالهم شجعان ولكن طاولوهم بالبراز وعدوهم بالنزال وداوموهم
وأصبروا صبر الرجال الكرام واذا رأيتم عين البلا والغلبة والاذلال وقد أتى الى أحدكم نجدة اخرى
من غير هذه البلاد والاطلال وزاد عليكم العدد والجدال فالتجؤا الى هذه الجبال واصبروا على
الحرب والنزال حتى أعود أنا اليكم من بين هذه التلال بخبر صحيح وأكشف عن أمر أخي عنتر ومن
معه من الاصحاب الاجواد وآتيكم به أسرع من البرق اليماني يهتز على ظهر الحصان لاني أنا أعلم
انه اذا حضر يكسر هذه العساكر والجنود ولو أنها بعدد قوم عاد وثمود ولا سيما اذا كان معه أخيه
مازن وصديقه مقرى الوحش الليث الوثوب وآتي بهم الى ها هنا يوردوهم مورد الحمام وينزلوا عليهم
نزول الموت الزؤام فقال له الملك قيس بالله عليك يا شيبوب انك لا تبطئ علينا ولا تشتغل عنا فها قد
نظرت ما نحن فيه من سوء الحال وكيف دارت بنا هذه المواكب والابطال فقال له شيبوب
لا بأس عليك يا ملك الزمان فان شاء الله تعالى الملك الديان أعود اليك سريع بأخي عنتر ومن معه
من الفرسان ثم ان شيبوب رجع من عندهم على عقبيه يقطع البراري والاكام وقد نظر الحرس
الذي لبني كلاب وهم يقيمون في جند مس الظلام ولما نظروا شيبوب باطلبوه وهم على جياد الخيل فرق
في سواد الليل كانه الريح الهبوب وترك الفرسان من خلفه في القفار ولا لحقوا منه الا الغبار فقالوا
لبعضهم البعض ما هذا الانسان وما هو الا مارد أو شيطان والا لو كان من بني آدم لما فعل هذه الفعال
لانه قطع خيلنا من ورائه في الصحصحان والتلال (قال الراوي) ولما أن سار شيبوب وعادوا عنه
تلك الفرسان فما عادوا الا وهم تعالى من شدة الكد وما قاسوا من السير خلفه ولما عادوا طلبوا

لا

لانفسهم الراحة للمنام شفقة على الخيل الجياد حتى تعينهم فى الحرب والجلاد (قال الراوى) ولما أصبح الصباح ركبت الطوائف تطالب الحرب والكفاح واعتقلت الابطال بالرماح ولبست الصفاح وقد على من الفريقين الصياح حتى نزلت الشمس على الرباوالبطاح ثم حملوا وحمل كل شجاع وصاح ونادت الاعداما أبركه من صباح فما صرت ترى فى ذلك الوقت الا ماقد ساح ورأس من على جسد صاحبه طاح والفارس سار يأن من شدة الجراح وآخر على نفسه عدد وناح وآخر يمكنون سره باح وآخر طلب الحرب والكفاح وآخر طلب الهرب والرواح (قال الراوى) فيالها من وقعة ما كان أشد نكالها وأعظم بلاها وأحوالها قد قطعت فيها الرؤس وفيها اختطفت النفوس وحمل الفارس العبوس وولى الجبان المتعوس ورخى بالمذلة والعكوس وقد عظم الويل والبؤس وحملت الجنود على الجنود ثم عاد الصلاح مفسود وعظم الامر وقطعت المناكب والزنود وخرقت الاسنة المعاليق والكبود وقد أبصرت فرسان بنى عبس الوادى عليهم مسدود فقاتلت قتالا من عدم الوجود وعلم انه لاهله لايعود ومن شدة طمع العرب فى بنى عبس ونهب أموالهم قصدتهم جميع الطوائف من كل جانب ومكان وجاءت الى قتالهم ومافى العرب الاوطلب انزالهم وحربهم وازلالهم الا المقدمين على الابطال فانهم فى ذلك اليوم لم باشروا القتال والحرب والنزال بل انهم وقفوا تحت الاعلام يتفرجون على القتال والصدام وهم فى نفر قليل من الفرسان وقد دارت ببنى عبس جميع الاقران كما يدور الخاتم بالاصبع أوالسوار بالمعصم وقد أخذوا على بنى عبس الطرقات وطلبوهم أهل اليمن بهنا وبعوانيض ومازالوا على مثل ذلك حتى قارب وقت الزوال وكادت الشمس تميل على قبة الفلك وقد قتل من قتل وهلك من هلك وقد مالت بنوعبس من كثرة ضيق الحال وضرب السيوف الصقال وطعن الرماح العوال وقد خمدت أصواتها وتحسرت على ديارها وربواتها وأوطانها وزهراتها وانقهرت بعد العز لبوثها وشجعانها ورجالها وفرسانها وتعبت وانحطت بعد علو الشان وأبصرت الذل والهوان ورأوا بعد الزيادة الى النقصان وعاينت شخص الموت عندها عيان وقاتل الملك قيس فى ذلك اليوم بنفسه حتى كلت يداه وأشرف على هلاكه وفناه وقد انوهن جسده وقل قواه وتصور له ان ملك الموت حاذاه والامير طلائع يقول لفرسانه وعشيرته أين الملك حسان بن مسعود حتى ينظر بعينه الى أعدائه الذين قتلوا أباه فى هذا اليوم يبقوا مطروحين فى الفلاه وقد نهبتهم الصوارم والقنا وهم يتجرعون كاسات الفنا وما كنت أريد الا انه يصل الى هاهنا قبل اذهاب النهار حتى كان يشتفى فؤادى وفواده بأخذ الثار وكشف العار من هؤلاء الاشرار أين عينيك ياحسان يابن مسعود ياصاحب امياء عراعر والعساكر والجنود حتى ترى ما يسرك ويزيل عن قلبك مايضرك (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى انه رأى غبارا قد ثار حتى سد الاقطار وتمزق ذلك الغبار بعد ساعة وبان من تحته ثلاثة فرسان ومن جملتهم فارس للحديد لابس ورمحه بين آذان الجواد وهو مندرج بالحديد والزرد النضيد وهو كأنه قلة من القلل أوقطعة من الجبل (قال الراوى) وما نظر طلائع الى هذا الغبار والفوارس القابلة قال ياقوم أظن ان هذه الفوارس المقبلة علينا من امياء عراعر وهى مثل العقبان وبين أيديهم ما راجل كأنه خشف غزال وفى يده رمح عالى وعليه سنان وعلى السنان رأس انسان وهم مقبلين ولهم صياح فلما نظر طلائع الى ذلك وحقق نظره فى تلك الفوارس المقبلين فرح فرحا مبينا وقال يالقحطان وحق ذمة العرب هذا الملك حسان وهذه بوادر خيله طلعت وصوارمها لمعت ولكنى قد أنكرت هذا الفارس الأسود وقد امه ذلك الراجل ومعه ذلك الرمح الذى عليه ذلك الرأس وأقول انها رأس بعض الاعداء من بنى عدنان فلما ان

سمع بنو كلب هذا الكلام من طلائع صاروا الكل فى انوهام فقام منهم شيخ يقال له مرة وقال له يا طلائع الى كم تعلل نفسك بالمحال وتحدث بحديث الجهال وأنا صبح عندى ان كلما تقوله زور ومحال وبهتان فوذمة العرب ان هذه الثلاثة فوارس الذين قابلة علينا ماهى من خيل اليمن ولاهى من فرسان تلك الدمن والدليل على ما أقوله لك أيها البطل المكرم ان هذه الفرسان طارقة من طوارق الزمن لانها افترقت وقد طلب كل فارس منهم من الاعلام علم وقد استخفت الابطال الذين تحته والرجال وبعد ساعة نرى الاعلام قد مالت وجاجم أصحابها عن الرقاب طارت لاننى أنا عرفت هذا الفارس الذى هو قابل علينا وهو حاطم بالجواد وأقول انه فارس الحرب والجلاد وحية بطن الواد المسمى عنتر بن شداد وهذه الفرسان رفقائه فلما ان سمع طلائع من الشيخ ذلك الكلام ضحك منه وقد استقل عقله من رأسه والمدام قال فبينما هو معه فى الكلام واذا بالفارس الذى كان طالبهم وصل اليهم وزعق عليهم زعقة تفلق الحجر أو تمزق الشجر ونادى وقد هز العود الاسمر وقال يا لئام الاجداد اعلموا اننى أنا فارس الحرب والجلاد ومصادم الابطال عند العناد وحية بطن الواد ومبيد الفرسان الشداد عنتر بن شداد ثم انه طلب صاحب العلم وطعنه طعنة جبار فنفذ الرمح من ظهره عشرة أشبار وشاله من على رأسه وأرماه فصار يخور فى دمه ويتطرب فى عندمه واستقبل فارس آخر بركيز الرمح ففتق امعائه وأعدمه الحياة فلما رأت الفرسان الى هذه الطعنة التى قتلت اثنين فى نوبة واحدة فخافت على أرواحها من النقمة فتفرقوا من بين يديه مثل الغنم فلما رأى طلائع مقدم هذه العشائر الى تلك الطعن والقتال الذى ما ترده الدروع الثقال ما كان له الا انه ألوى عنان الجواد وقد ولى مع الفرسان والابطال وكان هو أول من انهزم لانه خاف من اهلاك والعدم وقال وحق رب الارباب ومعتق الرقاب لقد أخطأ اليوم حذرى ولو كان عنتر عرف مكانى ما كنت انفلت ونفذت من جنانه وأما مقرى الوحش ومازن فانهما فعلا فعالا أحسن من فعال عنتر لان كل واحد منهما حمل على صاحب علم وقد قتل المقدم الذى تحته وأباد كل من كان حوله من الفرسان والجشم (قال الراوى) ولما تنكست الاعلام فى مشارق الارض ومغاربها أخذ شيبوب الرمح الذى عليه الراس وطلع بها الى أعلى الاكام وصار يصيح ويقول يا كلاب اليمن اطلبوا الهرب وخلوا نساءكم وأولادكم من قبل أن يجرى لكم مثل ما جرى لحسان بن مسعود والعساكر الذين له والجنود واعلموا ان هذه رأسه قد قطعها رفيقه أخى عنتر بن شداد واليوم تنظرونه يخطف منكم الارواح من الاجساد ويسلل علائقكم من الاكباد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو ان عنتر لما سار هو وأخيه مازن ومقرى الوحش يطلبون أرض بنى كلب بن وبرة فى أثر بنو عبس فى البر الذى أعطاهم علائم شيبوب وكان أوعدهم أن يوصل أم مازن ويلحقهم وقد اشتغل عند رجوعه بما جرى له مع مجيد وأمه وقد اتسع بر اليمن قدام عنتر ورفقاه فضلوا عن الطريق وطالت عليهم فأنكروا ذلك وقال مقرى الوحش لعنتر يا أبا الفوارس ما نحن الا ضالين فى هذه القفار والصواب اننا نطلب الطريق الواضح ونسأل من الركاب عن بنى عمنا فما يخفى على كل السالكين والخطار الاخيار ونحن ما نخاف على أنفسنا لاننا نطيق نقاتل كل قبيلة طلبت قتالنا ونفزع أيضا أن تكون بنو عبس ما لهم به من طاقه (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه انعزل عن البر يطلب السلوك فالتقى بحسان وهو فى ألف وخمسمائة فارس سائرين الى بنى عبس فقالوا والله ان هذا جيش كامل العدد فتأهبوا للحرب ومنهم نأخذ الخبر لانهم من جملة أعدائنا ثم انه ركض بجواده الى نحو الجيش وجعل مازن ومقرى الوحش على أثره سائرين وكان حسان قد أبصرهم الآخر فقال لبعض فرسانه امض واسألهم عن حالهم فصار وقد أقبلوا على عنتر وقالوا له من تكونوا من العرب

فقال

فقال عنترا علم يا وجه العرب انا من البر الاسود من ناحية جبل الدخان جئنا نطلب المكسب والمعاش لاننا سمعنا ان بني عبس في أرض اليمن في نفرقليل وان القبائل التي لهم عليهم الدما صارت تطالبها بأخذ الثار وكشف العار فقالت له الفرسان أبشروا واعلموا اننا نحن سائرون اليهم مع الملك حسان ابن مسعود نطالبهم بما لنا عليهم من الدما والثار فرافقونا واستبشروا بالغنا ونيل المنى ثم انهم بعد ذلك عادوا وأعلموا مقدمهم وأخبروه بذلك وأما عنترفانه لما عادت الفرسان قال لمقرى الوحش ومازن اعلموا ان قومنا قد تعدينا هم وأنا أعلم ان أخبارهم شاعت في بلاد اليمن وان القبائل تقصدهم وهؤلاء أيضا سائرون اليهم والصواب اننا نقصد مقدم الجيش ونوريه اننا نسلم عليه ويطعنه واحد منا والآخر يطعن صاحب العلم والثالث منا يقتل واحدا من الذي بجانبه وبعد ذلك نزعق في أجنابهم ونجتمع في تفريقهم من قبل قدوم الليل ونعود الى بني عبس من على هذه الطريق التي هم سائرون عليها فقال مازن اعلموا ان الصواب عندي اننا نحمل على القوم من غير سلام ولا كلام ونشتت شملهم قبل الظلام فقال عنتر صدقت يا أخي ولكن أخاف أن يهرب حسان اذا اشتغلنا بمن معه من الفرسان ويفوتنا هذا القرن حسان (قال الراوي) ثم انهم بعد ذلك حملوا وطلبوا حسان ولم يزالوا يركضوا الى أن صاروا بين يديه قبل قدوم الليل وتقدم عنتر له ليسلم عليه وتعطى في الرمح وطعنه في فؤاده أرماه عن ظهر جواده ومازن طعن صاحب العلم بدد أمعائه والتكم ومقرى الوحش طعن فارسه جعله على الارض بجملة الرمح فعند ذلك عرفتهم جميع الفرسان وصاحوا عليهم من كل جانب ومكان وطلبوهم بالسيوف الحداد والقنا والقواضب وعظمت عليهم المصائب وقل منهم السالم وكثر العاطب وقد طلع النهار وعلا واظلمت الدنيا من المشارق والمغارب واختلف الطعن والضرب وزاد البلا والكرب وعنتر ورفقاه تجول في أقطار الجيش طولا وعرض وتسرعهم من على السروج الى وجه الارض والمهاد وأبصر عنتر من أخيه مازن ما شد به ظهره وأطربه لانه ما حمل على جمع الا وفرقه وجفاه ولا طعن فارسا الا وحداه وأرماه الى ورائه وأما مقرى الوحش فقد عرفت شجاعته من قبل ذلك الوقت وكذلك فعاله بأرض الشام وكذلك عنتر زلت لشجاعته صنادبد العرب والعجم وما ولى ذلك النهار الا وقد ارتوت الارض من دماء القتلا وامتلأت الدنيا بالقتلا من طعنات أبطال لا تهاب الموت ولا تخشى الفوت وكان كل من سمع صوت عنتر وقد عرف قتاله يقول الى رفيقه يا ابن العم ما لنا وما لهذا العبد الزنيم وما لنا أن ندافع ما لا نطيق حتى نقع في حلق المنسيق وقد عرفنا ما جرى على سيدنا لما عشق عبلة زوجة هذا العبد الاسود وجمعنا عليه الجموع ثم فرقها في ليلة واحدة وأنا أعلم انه كان ههنا في الكمين وأما قوله نحن قوم المكسب والمعاش حتى لا يهرب حسان ولا نقدر عليه والصواب اننا نهرب ما دمنا قادرين على الهرب ثم ولى وتبعته رفقاه وما ولى ذلك النهار وأقبل الظلام حتى قتل ستمائة همام وقد هرب الباقون كلهم وعنتر ورفقاه قد أبعدوا عنهم وأخذوا الراحة ساعة من الليل وعادوا الى ظهور الخيل (قال الراوي) وفي تلك الساعة وصل اليهم شيبوب وما صدق أن يراهم سالمين ولما ان اجتمع بهم سألهم عن حالهم فحدثوا بما جرى لهم من الضيعان وقالوا له نحن سرنا في الطريق التي أعطيتنا علائمها فطلع علينا الامر فسرنا وقد عبرنا على بني كلب بن وبرة وما عندنا خبر وظننا انك تعود علينا في الاثر وتلحقنا سريع وما الذي أشغلك عنا فحدثهم بحديث أم مجيد وولدها وكيف لقاها ثم انه حكى لعنتر عن بني عبس والملك قيس وما هم فيه من التعب والضيق وكيف هم في حالة العدم فبادروا هم من الخلائق والامم من أهل اليمن من سائر العرب ممن له عليهم على بني عبس الثار فجاؤوهم من كل فج عميق

لاخذ النار وكشف العار ﴿قال الراوى﴾ واعلم أيضا بأسر بنى زياد وأحكى على قضية بنى عبس من أولها الى آخرها وعلى ماجرى على السلال وكيف عملت العجوز حيله وملكتهم الجميع وقال لهم عجلوا بالمسير فركبوا وهم لا يعقلون من خوفهم على الملك قيس واخوته وأعمامه وعشيرته وكان مازن قطع رأس حسان ووضعها على رأس السنان ففرح شيبوب بذلك وقال والله لو كان وصل هذا الشيطان الى بنى عمنا بهذا الجيش الذى كسرناه ما بقى أحد من بنى عبس وعدنان ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم جدوا فى المسير الى عبس ووصلوا اليهم ونصروهم كما ذكرنا وهم بين تلك الخلائق والام وسمعوا أصواتهم وهى خفيفة ولا تكاد أن تسمع فعندها صاح عنتر واحرباه عليكم يا بنى عبس ثم انه أبصر الاعلام من حولهم متفرقة فاتفق كل واحد منهم أن يقصد علما وجرى ماجرى واقتحموا قسطل الغبار وطعنوا فيهم طعن من اشتد عليه الغضب على من تعدى وظلم وكانت بنو عبس تقاتل قتال الموت حتى سمعت زعقات مثل الرعد القاصف اذا دمدم أو الاسد الكاسر اذا زجر وهمهم وأتاها بحسن طعنات أشد من وقع الجمر على القمم وصارت الفرسان التى حولها تلتفت ورائها وتنفر مثل نفير الغنم اذا رأت الذئب عليها هجم وقعم وسمعت صيحات مازن ومقرى الوحش فبلعت بنو عبس أريقها وكانت مثل الملسوع اذا شم رائحة الترياق فرفعت أصواتها من بعد ذلك الخوف وضجت واستغاثت بمن أنجى يونس من بطن الحوت وأطلع بخلقه قوت وهو الحى الذى لا يموت وهزت فى أكفها السيوف وسالت الاسل وعاد اليها النشاط بعد الكسل وبشر بعضهم البعض بوصول حاميتهم وأخلصوا فى قتال نيتهم وعنترة يطى بشجاعته على الاعداء طوة جبار اذا اعتدى وفرق جمع القوم وعادشملنا مبعدا بعدما كان على بنى عبس مجتمعا ومشتدا وما علموا من أين أتاهم هذا البلا فحار عقلهم واندهل الشيخ والفتى وبقى الفارس الشجاع مجندلا ومن سرجه مائلا وولى الجبان وما التفتا وكان كل من خرج من تحت الغبار وأبصر علم قومه مال وانقلب ويرى شيبوب واقفا على التل ورأس حسان معه على رأس السنان ويصيح مثل الغراب ويولى يطلب الهرب ولا يسأل عن السبب ﴿قال الراوى﴾ وكان للقوم يوم يؤرخ فى الكتب على ماجرى عليهم من العجائب وما أتى الليل بجيوش الغيهب حتى خف الجمع عن بنى عبس وانكشف وقد قتل من أجله قد اقترب وفاز من خلى وهرب فنجى من العطب واجتمعت طائفة بنى عبس وعنتر وما فيهم الا من فداه بالسمع والبصر وقد قال الملك قيس واذل العشيرة من بعدك يا ابن العم فأنا أسأل الله أن لا يذيقنا فراقك ولا يبعد عنا شخصك ويديم لنا عزك يا من تصلى على النبى ثم بكى قيس من شدة فرحه بالخلاص وبكوا البكائه سادات القبائل ونظر عنتر حالهم مع اذلالهم وانكسارهم فعلم انهم لاقوا شدة عظيمة وأمورا غير مستقيمة ﴿قال الراوى﴾ ثم حدثهم بما جرى له مع حسان بن الملك مسعود وكيف كان ضل عن الطريق وساقه الله تعالى الى هلاكه ثم انه قال لهم فى آخر الكلام والله يا بنى عمى مادمت أنا فى الحياة ما يذل أحد منكم ولا يشقى وان الاجل قد اقترب ودنى فما علينا اعتذار وبعد ذلك تقدم مازن الى قدام الملك قيس وترجل وقبل الارض وركابه وكان الملك قيس سمع حديثه من شيبوب فترحب به وشكره وأثنى عليه ونزلوا للراحة وأضرموا النار وجلس مازن وعنتر ومقرى الوحش الى جانب الملك قيس ودارت بهم فرسان القبيلة وفرحوا بمازن وتعجبوا من حسن شبابه وفصاحة لسانه فعند ذلك قال عنتر لبنى عبس يا بنى عمى ناموا أنتم الليلة واملأوا عيونكم وانظروا فى غداة غد ما أفعل باعدائكم ثم انه قام من عندهم وتولى حرس القوم هو ومقرى الوحش وقربهم القرار وانطفى ما بهم من النار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان لبنى عبس وعنتر وأما ما كان من طلائع فانه

كان

كان قد هرب من قدام عنتر لما صدم العلم وانكسر وما صدق بالنجاه وصار طالبا الى الحمى والمضارب ومازال بين الخيام واقف وهو يشاهد الحرب حتى أقبل الظلام وأبصر فرسان عشيرته قد رجعوا وهم خاسرين والقبيلتين ولت بعد قتل أمراءها فانقطع ظهره وحار فى أمره واجتمعوا اليه وجوه القبيله عند المساء وهم خائفين على أموالهم والنسا وقالوا له أيها الملك أنت اليوم كنت برا معمعه قائم فاخبرنا بما قد جرى وكم كانت النجده التى وصلت الى بنى عبس حتى نكست هذه الاعلام وقتلت الامراء التى كانت تحتها اقيام فقال لهم والله يابنى الاعمام ماوصل الينا أكثر من ثلاث فوارس من ناحية أمياء عراعر ومعهار جل مثل الثعلب الفافر وهو ينادى يابنى كلب هذه رأس سيدكم حسان بن مسعود ثم ان كل واحد منهم حمل على علم وقتل الامير الذى تحته ودعسوا فيكم كما يدعس الذئب فى الغنم وسلمت أنا بعد ما عاينت الهلاك وعلى ان هذا الذى جرى علينا اليوم بشؤم المنام الذى أبصره طرفه سيد بنى الاشجع لانه قال رأيت كأنى قتلت عنتر الاسود وحملت رأسه الى حسان وكان أجله قد اقترب على يديه وما أظن الا أن بنى عبس لما ان دخلوا فى طلبنا خافوا من فرسان أمياء عراعر أن تأتى الى نصرتنا فسيروا اسودهم ومعه فارسان آخران الى هناك فقتلوا الفرسان وأفنوا الشجعان ثم قتلوا حسان ورجعوا الينا وفعلوا بنا هذه الفعال ولما سمع بنو كلب هذا المقال زادبهم الخوف والفزع ولا فيهم الامن حس ان ظهره قد انقطع وقالوا له أيها السيد اذا كانت هذه ثلاث فرسان قتلت حسان وفعلت هكذا بفرسان أمياء عراعر فكيف نحن نقدر نثبت بين أيديهم ونقف قدامهم اذا اشتد القتال وحق اللات والعزى لو كانوا وصلوا الينا من أول النهار ما كان أمسى منا أحد فى الديار والصواب اننا ننقل الحريم الى الجبال ونحترز على أنفسنا قبل الصباح وعلى العيال والمال والا افتضحنا فى غد فضيحة الى الابد وبددنا هذا العفريت الاسود واننا نريد من قبل الشروع فى هذا الامر ننفذ العبيد الى سائر قبائل اليمن ونقول لهم بادروا الينا والا خربت ديارنا وقلعت آثارنا فقال طلائع يابنى عمى والله ما هذا منكم الا أمل بعيد وأنا أعلم اننا ما نقدر نحمى نفوسنا الا ان يجيئنا من يحمينا لان العرب الغريبه منكم قد جرى عليها ما جرى والقبائل المتفرقه فى أقطار البيدا جميعها أصعب ما يرى لان العدو را كبنا والبعد يمنعهم عنا واذا هم لحقونا ما ينالوا من الاعدا منال ولا بقى فى الامر الا شئ واحد وهو الذى يزيد عنا العناد والاوابد وذلك اننا ندخل على هؤلاء الاسارى الذين هم عندنا ونطلب منهم كلهم الزمام على أنفسنا وعلى أموالنا وحريمنا ونخلع عليهم ونطلق لهم سبيلهم لعلهم يرحلوا عنا بهذه الاسود وينصلح هذا الامر الذى كان قد انفسد لان عندنا منهم أوفى من سبعين رجل أسارى ومايخفى انهم من سادات عبس الكبرى وان قولهم عند قومهم مقبول فيما بينهم يجرى فلما سمع القوم كلامه علموا انه صواب وانه أصوب من رأيهم فاطاعوه وما خالفوه وقد قالوا له افعل ما بدا لك واعلم أننا لا نخالف مقالك ففى عاجل الحال أمر باحضار الربيع وأخيه عماره السقيع الذقن الرفيع وهم فى حالة الذل والانكاد ومعهم بقية الامراء الذين قد مناذكرهم وأسرتهم العجوز بالخبث وفيهم من كان أسر فى هذا اليوم ولما ان حضروا قال لهم طلائع اعلموا انكم كنتم أنتم وقومكم بالخلاف قد أشرفتم على التلاف والآن قد فرج الله عنكم بقدوم حاميتكم عنتر الذى لا يحمد بفعاله معكم ولا يشكر وقد فرق عنكم هذه القبائل التى جمعناها وبددشملها وقتل امراءها ونحن أصبحنا فى هذه الليلة خاسرين بعد ما كنا عليكم رابحين وأهلنا فزعوا على النساء والبنات والاولاد وقد أشاروا علينا بهلاككم أجمعين وكانوا قالوا لى خذ لنا من هؤلاء الاسارى بالثار وبعد ذلك نحن من حريمنا فى الجبال ونرحل ونخلى لهم هذه الديار

و بعد ذلك تنفذ العبيد الى سائر العربان والقبائل والحلل ونجمع عليهم من السهل والجبل ونقبل بهم بكثرة العدد وتزايد المدد فقلت لهم هذا ما أطاوعكم عليه ولا أكون لكم فيه مطاوع لان أكثر هؤلاء الاسارى ما أخذناهم فى الحرب وما أخذناهم الا بالحيلة والخداع وان قتلناهم ظلما عادت عاقبة ظلمنا وبغينا علينا وربما يكون بظلمهم تصل الازبة الينا والصواب اننا نحضرهم ونطالب منهم الزمام والاصلاح فان فعلوا ذلك والا بذلنا فيهم شفار الصفاح وأطلعنا بعد ذلك الوقت الحريم الى الجبال قبل الصباح واعلموا انى قد أحضرتكم من أجل هذه الاسباب وقد قرأت لكم هذا الكتاب فان أحسنتم الجواب وأقلتم بيننا وبينكم العتاب والا ضربنا منكم الرقاب وأرضى أنفسنا من هذا العذاب لان الجارية التى قد أتيتم لاجلها فى هذه البلاد قد هربت هى وولدها وكان مولاها قد سار خلفها ليردها الى ها هنا فالتقاه بعض أصحابكم وخلصها منه وقتله وهذا الامر قد حدثنا به بعض أسراكم واليوم هذا قد سمعناه من رجالكم وانكم ما بقى لكم عندنا طلب لانكم قضيتم من حاجتكم الارب ونريد منكم الانصاف ان كنتم كما زعمتم انكم سادات أشراف وان لم تفعلوا والا سقيناكم شراب التلاف (قال الراوى) ولما سمع الربيع واخوته ذلك الكلام وما أبداه لهم طلائع من المرام قالوا له أيها الامير ما يحتاج الى هذا الكلام فنحن علينا ما طلبت من الذمام ونوفى لك الانعام وهذه أيدينا لك عنا وعن أصحابنا بالامان والذمام على جميع ما تريد من قبيلتك وعلى أموالها والحطام ثم قال الربيع واعلم انى أنا شيخ بنى عبس وكبيرها ومدبرها ومشيرها وهذه يدى لك بالوفا وانى أرحل عنكم سائر قومى وأنتم تكونوا على صفا ثم انه عاهدهم على ذلك وأعطاهم الذمام واصلح الامر بينهم ما واستقام وقال الحارث بن الملك زهير وحق الملك المتعال لا يصح بيننا صلح الا باطلاق غادر السلال لان ما فى المروءة اننا نمضى ونخليه فى الاعتقال ولا بد اننا نجازيه على فعاله بالاحسان ثم طلبه من طلائع فاحضره وبحضوره انتظم الامر بالاصلاح وطابت القلوب بعد ما كانت متمزقة بعدم الفلاح وعماره يقول وحق الملك الفتاح ان ضرب الرقاب أهون من خلاصنا بهيبة هذا العبد المرتاب ولكن ما يقدر أحد يعارض رب السموات فقال له أخوه الربيع اخرص يا عماره الله يخيب أصلك من دون الاماره ولا تتكلم فتندم فوحق الذى خلق وقدر لولا ان قدم علينا فى هذا اليوم عنتر ما كان أمسى من فرسان القبيلة من يخبر بخبر (قال الراوى) فعند ذلك أخلع عليهم طلائع الابراد اليمانيه والعمائم الخز الكوفيه والابرسيميه وأركبهم على الخيول العربيه وقلدهم بالسيوف الهنديه وأعقلهم بالرماح الخطيه وأنفذ معهم للملك قيس هديه ثنيه وسيرهم الى قومهم فى موكب كبير كلهم بالمناطق المذهبة والثياب الحرير وكان عنتر ركب أبجره عند الصباح وزعق فى طائفة بنى عبس وصاح وزحف يطلب الحرب والكفاح ومد حوله الابطال وهم غائصون فى العدد والسلاح وقد أقبلوا يطلبون الاعدا بنيات صحاح وركب الملك قيس بقلب ملآن سرورا وأفراح بالنصر على الاعداء وتلك العرب الاوقاح والرايات على رأسه تخفق بها الارياح وعنتر ومقرى الوحش ومازن ينادون الا ما أبركه من صباح وعلم النصر عليهم قد لاح (قال الراوى) فبينما هم يتشاورون على الحرب والكفاح واذا هم بالجماعة الذين كانوا أسارى أقبلوا وأقاموا الصياح والربيع وعماره أقبلوا راكبين على الجرد القداح وعلى رؤسهم العمائم الملاح ولابسين الثياب والابراد كأنهم تزينوا للمواسم والاعياد ولما ان رأت بنو عبس زينتهم التى عليهم تهللوا عن الحمله وصبروا حتى وصلوا اليهم فداروا بهم من كل جانب وسألوهم عن ماجرى لهم فأوضحوا لهم الخبر بما جرى وكان وتقدم الربيع بكره وودهاه الى عند أبى الفوارس عنتر واعتنقه وقبل صدره وجده وأثنى

عليه

عليه وله شكر وقال له يا ابن العم لازالت هيبتك تذل أعناق الاعدا ولا برحنا سيفك منصورين على سكان البيدا والآن بسعادتك قد سببت لنا الاطلاق ومن أجل شجاعتك تخلصنا من الوثاق ثم أنشد الربيع يمدح عنتر يقول صلوا على طه الرسول

أبا الفوارس ياذا الجود والكرم * يامعدن الفضل والاحسان والهمم
تعطى وتغنى لمن وافاك مرتجيا * وتكشف الضير يوم الروع مبتسم
أوليتنا نعما ماعشت أذكرها * مشبوبة عند كل الخلق والامم
كشفت عنا العدا لما أحطن بنا * ولم تزل كاشفا عنا يد النقم
فلا تؤاخذنا بالجهل من رجل * منا واسمح لنا بالجود والزمم
لازلت أذكرما أوليت من كرم * بين الانام فقد أصبحت كالعلم
وأنت أبذل خلق الله كلهم * بالجود والخير والاحسان والنعم
وقاك ربك ما تخشى وتحذره * ياأوحد الناس من عرب ومن عجم

(قال الراوى) ولما فرغ الربيع من شعره شكره عنتر وتبسم وتعجب من خبائثه المخفيه فى طى المدح الذى له نظم فقال له والله يا ربيع لقد أقررت أعين هؤلاء الكليبون وقد قطعتنا عما كنا عليه عازمون ولو كنت صبرت على فعالهم ورميت عن قلبك مقالهم كنت أغنيتك من أموالهم فقال الربيع وحياتك يا ابن العم ما فعلت هذه الاسباب الا ورأيت فعلها صواب من وجوه عديده الاول خلاصنا مما كنا فيه من الشدة والوثاق والثانى فزعا عليكم لئلا تبلوا بشئ لم يكن لنا فى حساب وتعجزون عنه لان القوم أرادوا يحصنوا حريمهم فى الخبا ويدبروا أنفسهم فى شئ لابد لهم منه وذلك انهم أرادوا أن ينفذوا عبيدهم الى سائر قبائل اليمن ويستعينوا بهم على مانزل بهم من طوارق المحن والوجه الثالث انى سمعت ان أخاك شيبوب خاص أم مجيد وولدها مما كانوا فيه من الكروب وتركهم فى أواخر الشعاب بلا محامى ولا معين خفت أن يتفق لهم من يأخذهم ويسير بهم الى مكان آخر ولم نعرفه فنعود خائبين فقال له عنتر ما قصرت فيما نظرت وانا نطيعك فيما به علينا أشرت ثم انهم عدلوا الى الملك قيس وأخبروه بما اتفقوا عليه من الخبر فعند ذلك اتفق الجميع على اجازة ذمام الربيع وفرحوا القرب العودة الى ديارهم سريع وعاد فرسان بنى عبس الى الراحة ذلك اليوم وأنفذوا الى طلائع يعلموه مع فرسانه انهم قد أجازوا له الزمام وانهم فى غداة غد عنه راحلين بسلام ثم ان الملك قيس أمرهم بالرحيل فى اليوم الثانى فهدوا وشدوا وطلبوا ديارهم وساروا وهم طالبين البر الاقفر وهم فرحين بما نالوا من الظفر على يد أبى الفوارس عنتر وعمارة كادت مرارته تتفطر وهو يود لو أنه قتل ومات وانقبر ولا كان خلاصهم على يد عنتر وأما عنتر فانه قد طالت عليه مدة السفر وأقلقه الشوق الى الديار وكثرة السهر فتذكر ما جرى له فى هذه السفرة من الخطر فخال الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يادار عبلة قد حييت من طلل * وزل عنك الشقا والبؤس والملل
ياراحلين وقلبى فى ربوعهم * وليس ينقل أظعانا لمن رحلا
سقيت ياعلم السعدى غادية * من الهواطل تروى السهل والجبلا
ياعبل يهنيك جمع الشمل مع بطل * اذا المتضى سيفه لا ينفع الاجلا
ياعبل قد شاب رأسى فى الحروب ولم * أخش الفوارس اذا نقع الغبار علا
وقد لقيت بنى عبس بجيشهم * عرج الجوارح فى القيعان والجبلا

لاقيت حسان والفرسان تتبعه * مستلئمين ببيض الهند والاسلا
من كل أشوس لايخشى النزال ولا * يرعى الزمام الى من نحوه عدلا
تجرى به سابقات الخيل فى لجج * من الغبار ولايسترعى البطلا
طعنته فاثنى فى الترب منجدلا * من السنان وقد أوفى به الاجلا
وملت نحو جيوش القوم مبتدرا * تحت العجاج أجد الطعن بالاسلا
ونلت سؤلى وماقد كنت أطلبه * من سيد القوم لاأستعكف العملا
وعدت أقطع سهل الارض من شفقى * على بنى عبس قوم سادة فضلا
وافيت أرض بنى كلب أطالبهم * بما جرى منهم والقلب فى وجلا
مزقت شملتهم من بعدما اقتتلت * ملوكها ففروا فى السهل والجبلا
أتيت فى الحال لما سرت نحوهموا * بمقرى الوحش نعم الفارس البطلا
غدير باعث لاحييت من طلل * لاقيت فيك أمورا ماالهامشلا
وذو الخمار أسرنى فى نكادته * وعاد خائبا لما أتقن العملا
وافاه شيبوب سؤلى ثم خلصنى * من الشداد وأنقذنى من العلا
ياعبل هل لاسألتى الخيل عن عملى * وقت المجال اذا نقع الغبار علا
لقد عركت صروف الدهر أجمعها * حتى عرفت أجل القول والعملا
يا آل عدنان ان الدهر ذو غير * لم يصف يوما ولا يحلو لمن عدلا
وكل من عرفت بالذل همته * فليس ينفع فى قول ولا عملا
ونجم سعدى على كيوان منصبه * والفرقدان يوافيه الى زحلا

(قال نجد) ولما سمعت بنو عبس السادات من عنتر هذه الاشارات والابيات فطربت من تلك المقالات فقال الملك قيس أحسنت ياأبا الفوارس فى هذه العبارات فلا أخلى الله منك الحمايات يافارس الهيجات ماأحلى كلامك وماحد حسامك وماأثبت جنانك وماأمضى سنانك فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه والربيع سائر الى جانب عنتر وهو يهنيه بالنصر والظفر ويهنيه بأخيه مازن ومازال شيبوب سائرا قدام الجيش الى ان وصلوا الى الشعاب ثم شارفوا تلك الارض والهضاب ولما سار واقريبا من الشعاب سبقهم شيبوب الى الكهف الذى ترك فيه مجيد وأمه وبدر بن شكر وأما بدر فانه كان لما ان وصل الى ذلك المكان بالسلامه فنذران زال عنه همه وغمه جزاهم أجمعين بما يقدر عليه فبينما هو فى ذلك الكلام واذا بشيبوب دخل عليهم فوجدهم سالمين وكانوا لقدومهم منتظرين فبشرهم بسلامة الفرسان القادمين وأخرجهم الى لقاء الملك قيس وبنى عبس فتقدم مجيد الى عمه وقد اطمأنت منه النفس فحين رآه الملك قيس وبنو عبس تذكر أخاه مالك فبكى وأبكى كل من كان حاضرا ودار بينهم الوجد والاشتكا ثم انه أخذه وضمه الى صدره وفعلت سادات بنى عبس مثل مافعل اجلالا له واقتداره وقد أمعنوا النظر فى صورته فرأوه يشبه أبيه الامير مالك وخلقته وخيل لهم ان مالك عاد الى الحياة ففرح به كل من رآه وأما عنتر فانه أخذه وضمه الى صدره وبكى حتى كاد أن يغشى عليه وصار كلما قبله انهمل دمعه من أماقى عينيه الى أن بل الثرى ولما فرغ عنتر من تقبيل مجيد دعى له بكسوة فاخرة وفى عاجل الحال غير ماعليه من الملبوس وقد ارتاحت برؤيته النفوس وصار كأنه من أولاد الملوك وقد أراح واستراح وصار عند أهله عزيز مكرم مجل بعدما كان عندمن لم يعرف قدره ولا مقداره فسبحان الاله العزيز الجبار

المتكبر

المتكبر الذى يفعل فى خلقه ما يشاء ويختار وأيضا اكرموا أمه وأفاضوا عليها من أحسن الملبوس
وصارت بينهم جليلة المقدار وشكر وابدر بن شكر وجازوه على فعله وأقام الملك قيس فى تلك الليلة
وتمام ذلك اليوم ولما كان من الغد ركب القوم وصاروا طالبين الارض والبلاد وعنتر ركب مجيد
على جواد من خيار جنائبه وانتشرت على رأسه الرايات وهو يهنى أهله وأقاربه وتمثل عنتر
بخدمته والشفقة عليه وصار لا يشبع من رؤيته ولا من النظر اليه ومن شدة فرحه به قال لعمه
الملك قيس انى أشتهى منك أيها الملك أن تبلغنى مرامى وتدعنى أترك مولاى مجيد عندى وأن
أجعل خيامه الى جانب خيامى لانك تعلم انى لم أرزق ولدا فى طول عمرى فانى أشتهى أن أجعله بمنزلة
ولدى وأحكمه فى كل نهيى وأمرى ويقوم مقامى وجميع ما تحتوى عليه يدى لعلى أن أكافئ اباه
مالك بعد وفاته على بعض ما أولانى به من الجميل فى حال حياته فقال له الملك قيس قد أجبتك يا أبا
الفوارس الى ما طلبت لاننا كلنا بسيفك وبك نستعز على كل من فى الدنيا وقد أعطيتك كلما أردت وما
رضيت ثم ركبوا وجدوا فى المسير ليلا ونهارا الى ان قاربوا من المنازل والديار فعندها سبق شيبوب
الى الحلة فى زى بشير فسار وقد جد فى المسير والتقى المقيمين بالقادمين وقد حدثوا بعضهم بما جرى
لهم فى بلاد اليمن من الامور والاسباب وما لقوا من الحروب فى تلك المدة التى هم فيها غياب فعندها
ركب عروة بن الورد فى رجاله الاجواد وركبت فرسان بنى قراد وفى أولهم أبو عنتر شداد وكان شداد
اشتاق الى رؤية ولده مازن لان أمه كانت حدثته بحديثه لما أوصلها شيبوب اليه فى تلك الاماكن
وأعطته العلائم من غير تهاون حتى انه فضلها على زوجته سميه وصار يستفيد منها الحديث على جليته
ثم يسألها كيف انه نشأ فى قومه ويتلذذ بقصته ويشتاق الى رؤيته حتى أتى شيبوب الى المضارب
فى زى بشير وعلمت به أهل القبيلة وصارت الفرسان الى لقائهم والتقاهم الملك قيس وأحسن ملتقاهم
وما بقى أحد الا قدم وعانق مجيد وقبله وعظم قدره لاجل أباه (قال الراوى) وبعد ذلك أقبلوا الى
مازن ودنوا منه وسلموا عليه وعانقوه وشالوه شيل ونظره أبو شداد فاشتد به ظهره واعجبه حسن صورته
فعظم عنده قدره وعانقه وقبله وعاد الجميع وهم فراحى بزيادة العدد ومستبشرين بزيادة المدد ولما
قاربوا المضارب والخيام وذلك المكان خرجت النساء والاماء والمولدات وفى أيديهم قطع الخلوف
والزعفران وقد رفعن أصواتهن كلهن بالصياح والافراح فارتج البر من عطرهن وفاح وان عبلة
تقدمت الى أم مجيد وأخذت زمام ناقتها الى أبياتها واجتمعت أهل الحلة بساداتها والفرسان ودخلت
الى خيامها واجتمعت بنسائها وأحبابها وكان لهم يوم أحسن من أيام الاعياد لاجل عودتهم من سفرتهم
وبلوغهم المراد وفى عاجل الحال أمر عنتر عبيده فضربوا لمجيد قباب من الديباج المدثر المطرز
بالذهب الاحمر وقدمت له المقدمة الخيول المسومة ومن الغد أتى اليهم بنو غطفان واجتمعوا بتلك
الاماكن وصار وايهنوا القبيلة بظهور مجيد ومازن وقد عملوا لهم الولائم والدعوات ونهبوا منهم
أوقات المسرات ولما تمت الامور والتهنئة وايام السرور وانتهت جمع عنتر العبيد الذين له والرعيان
الذين للمواشى وقال لهم أنتم وكل ما فى أيديكم من النوق والجمال لمولاى مجيد بن مالك يتصرف فيكم
وفيهم كما يتصرف فى الملوك المالك فأجابوه بالسمع والطاعة وقالوا له نحن نفعل كلما تريد (قال الراوى)
وكان عنتر فى كل صباح يدخل الى مضرب مجيد يفتقده ويطل عليه ثم انه يتحدث معه ويقبله بين عينيه
ويقدم له الجواد ويركب ويسير هو واياه الى الصيد والقنص ويشق به على المناهل والغدران ويفرجه
على كل ما كان ويبارز بين يديه الفرسان ويطالعه على بواطن الضرب والطعان وأهل الحى
يتعجبون من مروءته وحسن جميل فعاله مع مجيد ومودته وكان مجيد كامل الصورة زائد الجمال فحياه

أهل القبيلة النساء منهم والرجال وكان كل بيت عبر اليه تخرج اليه البنات والنساء ويدورون حواليه من سائر الجهات ويسرحن له ناصيته ويطيبن له ثيابه ويحملنه ويكثرن فى اهابه ولم يزل له بهذه الفعال حتى زاد به العجب والدلال وقد صار يكثر حديثه مع البنات والاكابر ويجلس معهن الليل والنهار ويتناشدن الاشعار ويطارحن الاخبار وعنتر يعلم بذلك ولا يعتبه بل يطالب بذلك فصاحته وتهذيبه لانه فى مذهب العرب وسيرهم ان الصبى اذا خالط النساء والبنات وسمع حديثهم اشتد خاطره وقوى جنانه وانطلق بالشعر لسانه فكان عنتر اذا سمع عنه ذلك فيعرض عنه ويقول دعه يفعل ما يحب ويختار ومجيد يلتذ مع البنات ثم انه يعمل لهم الدعوات والليالى تمضى عليه والاوقات الى أن توصلت منه الاوصال ومازج طباعه طباع الرجال فصار يقسم الزمان بالملذات والاغتنام ويغنم الاوقات والايام فيكون يوما مع بنات الحى فى انتهاز الفرص ويوما يكون مع زهير بن الملك قيس عمه فى عزوا كرام ويوما يكون مع سبيع اليمن بن مقرى الوحش يشرب هو واياه المدام ويخرج مع البنات والنساء الى المروج ويتفرجن على الروابى وقد اعتادوا بينهم على الدخول والخروج (قال الرواى) وان الملك قيس قد اتفق له فى بعض الايام انه ركب وصار ودار على المنازل والغدران وأوسع فى أراضيه ودار على مراعيه بين تلال الربى والاكام فرآها مخضبة النبات وهى مخضرة الجنبات ريانة المياه الجاريات فشكر على ذلك رب الارض والسموات وبعد ذلك أوسع فى طلب الصيد فرأى ركبانا سائرة وظعنا عابرا الى تلك الارض والبيداء فأقبل على بعض بنى عمه وقال له يا نائل اعترض هذا الظعن القابل واسألهم عن حالهم والى أين هم سائرون بأموالهم وعيالهم ومن أين هم مقبلين فعندها أطلق نائل عنان جواده وركض حتى انه قارب القوم فى وسط ذلك الوادى فلما ان رآه القوم وهوطالبهم وهو فى كدوارتياب وأبصروا رايه الملك قيس العقاب فقال بعضهم لبعض هذا الملك قيس سيد بنى عبس وعدنان وهذا رسوله أتى الينا ليسألنا عن قدومنا الى هذه الديار والصواب اننا نلتقيه ونسمع كلامه وان اتفق الامر نزلنا الى هذه الارض تحت زمامه ثم خرج من بينهم شيخهم والمشار اليه فيهم وحوله جماعة من أكابرهم وسار والى أن التقوا بنائل فحياهم وسلم عليهم وقال لهم من تكونوا من قبائل العرب لان القوم الكرام تحب أن تنتسب فقال له الشيخ يا وجه العرب نحن من بنى بشر بن جهينة بن فتيان وقد أتينا من ديارنا الى هذا المكان نطالب الضيافة والامان من هذا الملك العظيم الشان سيد بنى عبس وعدنان لاننا قوم قد قصدنا الزمان وأمحلت بلادنا أى محال وقل حظنا من الاصدقاء والاقارب والخلان وبلينا بكثرة الاعداء وأضر بنا المحل والحرمان فلما سمع نائل منهم ذلك القول رق قلبه لهم ولان فقال لهم أبشروا ببلوغ الآمال ونيل الامان وسعة الدار والمساعى والرى وكثرة المراعى (قال الراوى) ثم ان نائل بعد ذلك عاد الى الملك قيس وأعلمه بذلك الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وله شكر وقال الحمد لله الذى جعل بلادنا أخصب البلاد وأوقع هيبتنا فى قلوب العباد ثم انه قال لنائل عد اليهم وادع شيخهم الى عندى حتى انى أسمع منه ما يقول وأعرف ما يعيد وما يبدئ فعاد اليهم نائل وقال لهم يا وجوه العرب الكرام قولوا الشيخ كم يأتى الى الملك قيس ويطلب منه الزمام لانه طلبه ليكرمه غاية الاكرام فعند ذلك خرج الشيخ وقد فرح ببلوغ المرام وكان ذلك الشيخ اسمه وضاح المحيا وكان طيب الكلام فأخذ معه جماعة من وجوه قبيلته واكابر قومه وعشيرته وقد ساق بين يديه قطعة من النياق والجمال والمهارى والخيل العتاق وسار حتى انه وصل الى عند الملك قيس وترجل وترجلت بنوعمه وتقدم بين أيديهم وقبلوا الارض بعد ما حيوا بالسلام فرد عليهم الملك قيس السلام بالتحية والاكرام فعندها قال الشيخ أيها الملك الهمام والاسد الضرغام هل فى داركم

مرابع

مربع وفى جارکم مطمع فقال له الملك قيس والله يا وجه العرب ابشر ببلوغ الآمال ونيل الارب
وحسن الجيران والرحب والسعة والكرامه وطيبة الماء والمراعى والذمام من كل ما على وجه الارض
ثم ان الملك قيس أخذهم وسار بهم الى خيامه وأوعدهم بكل جميل وأشملهم بالخير الزائد وأدخلهم كما
أرادوا تحت ذمامه وأنزلهم فى أرض واسعه ومراعى مخصبة بانعه ومياه وافقه وطيور هاناطقه
وهى دار فرجه وأرض بهجه وقال لهم يا قوم اضربوا خيامكم فى هذا المكان حتى تكونوا لنا جيران
ونتخذكم انا مسعفين وأعوان فمندها نزلوا فى تلك المكان وفعلوا ما أمرهم وما فيهم الامن فرح
واستبشر وحمد الملك قيس وله شكر وطاب لهم المقام والمستقر وساروا فى كل يوم يأتوا الى خدمة
الملك قيس فى جمله من حضر وكذلك من أجل السلام على أبى الفوارس عنتر وساروا يأكلون
معهم الطعام ويشربون مع بعضهم المدام وكانوا يفعلون ذلك مساء وصباح وقد قامت بينهم الافراح
(قال الراوى) وكان هناك غدير مائه يسرح والى جانبه شجرات أثل تلقح ومن دونها مرج واسع
ومتسع أفيح فكانت النساء يجتمعون فيه والبنات والصبيان وبنات بنى بشر وبنات بنى عبس وكانوا
يتحادثون ويلعبون مع بعضهما البعض على الغدير وبعد ذلك يرجعن الى الابيات وهم فراحى
مسرورات وكان مجيد يأتى اليهن ويلعب معهن فى أكثر الاوقات ويتناشدن الاشعار ويحكين
الحكايات وما فى البنات الامن تطيبه من طيبها وتناديه وهو بينهن فى لعب وانشراح (قال الراوى)
وكان لسيد بنى بشر بنت يقال لها أسما وهى أحسن من الشمس والقمر وأبهى وكانت تروى عن
العرب أخبارها وتنشد أشعارها وكانت تسبى العقول بجمالها وآدابها وقد سمعت ما جرى لبنات
عمها من بنات بنى عبس على الغدير وبما يجرى لهم مع مجيد بن مالك ثم يتعابدن ما سمعته من
فصاحته ومقالته فعند ذلك لما سمعت اسما منهن ذلك الكلام فى حق مجيد فاشتاقت الى نظره
والى الامتحان معه فى الشعر وتختبره فقالت لبعض الاموات ويلك انى أرى فى كل يوم يخرجن
البنات الى الغدير ويتفرجن هم ومن يأتى من النساء وبنات العبسيين السادات ومدحن مجيد بن
أخى الملك قيس ولا يصفون ويذكرون عنه أنه يقول الشعر الموزون وقد زعمت ان فيه آداب وفنون
وانى كما تعلمون أغار على ألفاظ العرب التى يلفظ بها من هو غير مستحقها ويغير منها ألفاظها
والادب وانى فى غداة غد أخرج الى الغدير مع البنات وأتفرج معهن ثم انها بعد ذلك استأذنت
أمها فى الخروج الى الغدير مع بنات عمها فاستأذنت لها أبيها فاذن لها فأرسلت الى أترابها واعلمتهن
أن يأتين عند الصباح الى عندها ويأخذونها معهم الى الغدير فأجابوها الى ذلك القول ولما أصبح
الصباح وأضاء بنوره ولاح قامت اسما من منامها ولبست أفخر ثيابها وعملت الاكليل على جبينها
ثم انها تطيبت واشتملت بملابه منامها وخرجت مع بنات عمها وسارت وهى بينهن كانها القمر المنير
اذا صحا فى ليالى الشتا والبنات من حواليها كانهن النجوم الزاهرات ولما وصلت الى الغدير فتمشين
بجانبه وتفرجن على زهره ونباته فما كانت الاساعة حتى أتت البنات العبسيات وأقبلت من أطراف
المضارب مثل الظبا السارحات واجتمعن مع البنات البشريات وقد رأين الى أسما وهى فى جملتهن
وهى بحسنها تتباها فتعجبت من حسن قدها وتوريد خدها فعلمن انها بنت سيد العشيرة وقد لحقهن من
اشراق وجهها الانبهات والحيرة فترحبن بها وسلمن عليها وما فيهن الامن ضمتها الى صدرها
وكشفت برقعها وقبلتها فى ثغرها وقد قلن لها والله لقد أشرقت منازلنا بنور وجهك يا أسما لان
رب السما قد أعطاك من الحسن والجمال أوفر قسما فقالت لهن والله انى لم أحببت قط الخروج
من الحما ولا ارتاح قلبى الى نظر ربيع والاماء ولا اشتهيت أن أخرج الى البطاح والآكام وانما كان

خروجي لما سمعت بنات عمي يتواصفن ما فيكن من المزاح وما يثمر بينكن من المسرة والافراح
فاشتهيت الخروج معهن الى هذا المكان والفرجة على هذا الغدران وسمعت أيضا ان لكن غلام وهو
من أولاد سادا تكن يأالف الحديث معكن والجلوس بينكن و ينظم من الشعر أبيات ثم يتكلم
على ما قالوه أهل العبارات و يدعي بتعجبه أكثر مما فيه وأنا والله أغار على كلام العرب اذا تغير
وانفسد وخالطه كلام من لا يدري قول ولا عذر وقلت هذه الاشياء فيما مايضر ومايسر لان كلام
العبد ما يقاس بكلام الحر وما ادعيت بذلك حملا ولا فهما ولكن الله تعالى جعل هذه الاشياء بخاطري
قسما واشتهيت أن أجتمع مع هذا الغلام وأمتحنه في شئ من الشعر والنظام وانظر ما أعطى من كرم
الطباع وأنظر ان كان نظر العين يغني عن السماع ولن يكن اليوم على بختي يأبى الحضور و يعيقه
على أمر من الامور ﴿قال الراوي﴾ ولما ان سمعت البنات العبسيات هذا المقال السالم من العيوب
ارتحن اليه بالانفس والقلوب ثم قالت لها احداهن والله لقد حظيتما من جمالك بالمعاني ونلنا
برؤيتك في هذا اليوم الاماني وأما مجيدفهذه أوقات حضوره واعلمي ان ماله شئ يعيقه في أموره
وان اتفاق أنفذنا خلفه بعض الاموات وفحضره اليك حتى اننا نتفرج على ما يتم بينكم في هذه الخلوات
فوحق اللات والعزى ما بقي لنا صبر عن سماع كلامك ولا تفزع قلوبنا اذا لم تهب علينا نسيم أنفاسك
أما تقوليه على البدلية وأما مضى تكوني قبل ذلك اليوم ذكرتيه فتبسمت عند ذلك أسما وقالت أما
هذا شئ مضى فما يحتاج أن يعاد ويذكر غير انكم تطلبوا شئ على البدلية لم يكن قيل في غير هذا
المحضر فقالت لها المتكلمة صدقت وأنا قد اقسمت عليك بأبيك وحياته اذكري لنا هذا الغدير
وحسن بناته وفرجتناوه شيئا على جناياته وأوصفي فيه قدنا وخدودنا وعقودنا ونهودنا وملبوسنا
ويكون هذا اليوم على وجهك المليح وطيبة عيشنا لك في هذه الايام فلما سمعت أسما ذلك الكلام
ازداد تبسما وأعجبها الكلام فعندها أنشدت وجال الشعر على خاطرها وأنشدت فعلت تقول

نحن نحكي الزهور حول الغدير * وغصون ليس مثل البدور * ورياض له اذا الروض ولى
وشكى نبته سموم الهجير * وكذا أرضه قد أضحت تحاكي * جنة عند فقده المنثور
كان عذبا ونحن زدنا مشهدا * برضاب مبرد في الثغور * ونشرنا ورد الخدود عليه
وعقدنا قلائد في النحور * وفضحنا ميل الغصون بلين * زائد في بدونار الخصور

يا لقومي قد هدين ثقل ردى * وبياض منقط بالعسير
وشغلني جمال لكن عن الشعر * ثم عذري قد بان في التقصير

﴿قال الراوي﴾ فلما ان سمعت البنات منها هذه الابيات طربت لها ومالت النسوان والبنات من
هذه المقالات وما فيهن الا من قد اشتهى مجيد أن يحضر في هذا المقام حتى انهن يتفرجن على ما يجري
بينه و بين الجارية أسما و يسمعن منهما الشعر والنظام ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم على ذلك الحال
وما تم منهم الكلام الا ومجيد قد أقبل وهو راكب على جواد أدهم بين عينيه غرة كالدرهم وهو بركاب
من الذهب الاحمر من شده ضيائه يكاد أن يلتهب وعلى رأسه عمامة لطيفة وهي مقصبة بطرازات
الذهب مكتبه وقد ردفاضل عدباته على كتفيه وقد تقلد بسيف محلى بالجوهر ينقط من براشقه
وكان ذلك السيف أعطاه له عنتر لما خلصه من أرض اليمن والى عندهم حضر وكان لا يقدر على مثله
قبائل العرب وكان في ذلك الولد رأى وأدب الان الجواري لما رأينه والنساء والبنات أقبلن
يتعايدن اليه وقد فرحن به وسلمن عليه وقلن له أهلا وسهلا بوجهك المبارك فنحن وحق الاله العظيم
كنا كلنا في انتظارك لاننا وقعنا بين تشابهك في الملاحة وتضاهيك في الشعر والفصاحه ولولا اتى بك

الزمان

الزمان انا فى هذا اليوم لكنا أشبعناه ذما ولوما فتبسم مجيد من عذوبة كلامهن وترجل اليهن ووقف من قدامهن فقمن له الجوارى البشريات اجلالا وكذلك الجارية أسما وقفت بينهن وهى فى وسطهن تزهو عليهن جمالا وتتمايل على بنات عمها عجبا ودلالا فعلم مجيد انها هى التى وصفوها بنات عمها وطلبوا منه أن يسمعوا نظمه ونظمها فمال عند ذلك قلبه اليها وقد لعبت بعقله لما ان نظر الى سواد عينيها وصقع لها فصار يتأمل فى معانيها ويتمايل عجبا وصبابة فيها فأنشد شعر

سلام على من جاء وزارنا فأشرقت * بهم أرضنا حتى انجلى ليلها عنا
وأهلا بدر زارنا من غير موعد * وقد أتعب القلب المعنى ولاعنا

(قال الراوى) ثم انه قال لها عجب ياحبيبة القلب والفؤاد كيف قد زرتينا من غير معاد وأنا أسأل رب العباد أن لا يجعل بعد هذا اليوم بيننا تلاقى ولا بعاد فعندها تبسمت أسما من مقاله وقد تمنت الى حسنه وجماله وقد زدت عليه سلاما ومقاله وقد اشتغلت بفصاحة ألفاظه وحسن فعاله ثم انها قالت له وأنت حياك الله يا وجيه العرب من عبس وعدنان وريحانة شملت كل انسان ووالله لو لم يجمعنى بك الزمان لكنت زدت صبابة مدا الدهر والازمان لان بنات عمى قد هيجن اليك أشواقى بما قد وصفن عندى فزاد بذلك احتراقى وقد ثقب وصفهن جيم قلبى فخرجت اليوم الى هذا الغدير لافرج همى وغمى وأزيل برؤيتك كربى وانظر الى حسنك وجمالك وملاحتك واختبر ما قالوه من فصاحتك ولما ان رأيت الى حسنك فرأيت فوق الذى وصفوه وطاب السماع ونشكر الله على ما أولانا من الاجتماع وأرى قلوب بعضنا على بعض قد ارتاحت وأستنبانا فى الضمير قد باحت فقل ما شئت وخذ الجواب ونزه خاطرك قبل الخطاب فقال لها مجيد انطقى بما شئتى يا قمر النساء وغصن الاراك واعذرى من قل عقله وتبلد خاطره لما رآك وقد عدم قواه ونشاطه والحراك فقالت له أسما صدقت لاننا ما كنا على بالك ولا كنت مستعدا الى أقوالك فاسمع فى هذا الوقت ما قد حوته الصدور وان عجزت عن الجواب فأنت فى ذلك اليوم معذور ثم أنشدت تقول

ياشمس عبس من السادات والكبر * أسهرت طرف فتاة قط ما سهرا
لانى ما رأت عينى ولا نظرت * مثال حسنك لا فى البدو والحضرا
خيال طيفك ان زار الحبب غدا * أسير ويرى من خوفه سحرا
ومية عاد حيا بعد ما بليت * عظامه وبراه الشوق واندثرا
قتيل هجرك يحييه الوصال وان * حدرت عنه براه السقم وانقبرا
القوس منك التى ترمى بلا وتر * وسط القلوب بنبل يسبق القدرا
وهى حاجباك التى ترمى مقاتلها * وما يرى سهمها أبدا ولا وترا
وصارم يقطع الاوصال مضربه * ونصله فى صوان الغمد ما ظهرا
سيوف لحظك تهوى وهى مغمدة * الى القلوب فلا تبقى ولا تذرا
أما المدام التى ما داسها قدم * ولا رأت مذ نشأت شمسا ولا قمرا
سلاف ريقك يا من لا شبيه لها * اذا ترشفه الصاحى فقد سكرا
من لؤلؤ وعقيق كأسها ولها * درتكال بالياقوت واشتهرا
هذا جوابك يا أسما وقد سمحت * به انامل طرف لا تلى على فقرا
واستغفر الله من ذنبى ومن زللى * ومن خطا يا وما قدمت من زورا

(قال الراوى) ولما ان سمعت أسما من مجيد جوابها وما أبداه لها على خطابها هدى قوامها وزاد

ابتسامها وقالت له والله انك عذب الكلام وفصيح فى الشعر والنظام وقد طربت فى ذلك اليوم
أبنات العبسيات والبشريات لما طابت لهن المنادمه فى تلك الخلوات وقد قعدن على جانب الغدير
يأكان كل العرب وقد لحقهن الفرح والطرب ومافيهن الامن عادت تخطف من يد مجيد وتنهب
وقلب مجيد الى أسما ينهب وكذلك هى أيضا قد اشتغلت به فصارت لا تأكل ولا تشرب بل
تناشده الاشعار وتورده موارد الاخبار حتى تقضى أكثر النهار وقد عول على الارتحال وقد
تواعدن انهن يأتين عند الصباح ومافيهن الامن ضمت صاحبتها الى صدرها وجعلت تهودها على
تهودها وتحرها على نحرها وكانت اسما من نصيب مجيد

مازال ذكرك حتى شفنى كمدا * وعند لقياك زادا لهم واشتهرا
لانى مارأت عينى ولا نظرت * سيفا تقلده من يشبه القمرا
ياحامل السيف خلى حمله فلنا * من جفن عينك سحر يصدع الحجرا
واسمع فديتك أبياتا وفسرها * كما يفسر قول الشاعر الشعرا
مانائم صار يقظانا فأوثقه * شدا ومارأعه خوفا ولا اندعرا
وميت عاد حيا بعد مابليت * عظامه وفاجأه الشوق واندثرا
وماهى القوس اذ ترمى بلاوتر * وسط القلوب بنبل يسبق القدرا
وصارم يقطع الاوصال مضربه * ونصله من صوان الغمد ماظهرا
وما المدام الذى ماداسها قدم * ولارأت مذ نشت شمس ولاقرا
من لؤلؤ وعقيق كأسها ولها * در تكلل بالياقوت واشتهرا
فبين الاثنين معنى ماسبقت به * ولا تلم خاطرا قد تاه واقتصرا

(قال الراوى) فلما سمع مجيد مقالها اشتغل قلبه بجمالها وقد تاه بالله فى حسن معانى دلالها
وقال والله ياأسما انك تشغلى الخاطر عند الكلام ومن نظر وجهك وهام فما عليه حرج ولا ملام
ولابد أن أجتهد فى التفسير وأطلب منك العفو فى التقصير ثم انه اتكأ على حسامه وباح بما عنده
من كتمانه وغرامه ولما ان تمكن العشق من خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأجابها على
توانى مقالها يقول

ماجال طيفك ياأسما وماخطرا * الا وجدت له بين الحشا ضررا
ولاخطرتى دلالا عند عتبك لى * الا حببت فغيب البان قد خطرا
وقد تحكمت ياأسما على رجل * ماذاق طعم الهوى يوما ولاسهرا
وقد سألت سؤالا سوف أذكره * مادام لى رمق أسمع به وارى
مانائم صار يقظانا فأوثقه * شدا ومارأعه خوفا ولا اندعرى

(قال الراوى) فلما سمعت أسما ذلك الابيات فعانقته والصقت جسمها على جسمه وقبل بعضهم بعضا
تقبيل أهل الهوى وافترقوا بعد ذلك مالها دوى ولما سار كل منهم بعد وداعه الى صاحبه بخيامه سهر
منامه ولا أكل طعامه ولا صدق بالصباح أن يصبح ويعود الى ما كان حتى انهم يحضروا الى
مكانهم المعهود ولما طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح خرجوا الى البر والفضا وكان اجتماعهم مثل
اليوم الذى مضى وتقدموا وسلموا على بعضهم البعض لما اجتمعوا وصار وا يمرحون فى تلك الارض
والفلا واجتمع مجيد بأسما وسلم كل منهما على صاحبه وفعلوا كما يفعل المحب بمحبوبه واعتنقوا
ببعضهم البعض ومازال من بينهم الفلا وقد تحادثا حتى تضاحى النهار وعلا فعندها قالت اسما

لمجيد

لمجيد اسمعنا شيأ من شعرك ولذ مسامعنا بخطابك فقال مجيد سمعا وطاعة ثم أنشد وجعل يقول

سلامي على من ساد كل الملاح * ومن قوامه فاق غصن الرماح * جاذب قلوب الخلق من لطفه
ولينه حاوي السخا والسماح * أهيف ظريف الشكل حلو اللما * وثغره البسام مثل الاقاح
من أخجل الاغصان من قده * اذا مشى بالميس نشره قد فاح * يحكي نسيم الروض من لطفه
وسيره يحكي هبوب الرياح * وبعده أملى فؤادي ضنى * والدمع من عيني يا حل ساح
أخجل مهاة الريم من جفنه * أكحل ولحظه مثل حد الصفاح * من كثر هجرانه سلا مهجتي
ولم يزل قلبي لكثر الجراح * دمعي دما يجري وقد ارتوى * منه الغيافي سهلها والبطاح
زاد الهوى في مهجتي ذا الرشا * بالحسن قد أفتن جميع الملاح * سؤلي مناقلبي غزال الحما
مياس رشا أحور رجيبن الصباح * وجهه كبدر التم طبي الفلا * من طلعته بالنور أشرق ولاح
قد حاز نظم الدر في ثغره * خمره سلافا فيه قرقف وراح * ياغايتي ياطبي يافاتني
اني على وصلك كثير النواح * فاسمح وصلني زاد غرامي كما * زاد الجفا منكم فاذا صلاح
يا كنز يا بهجة و يا روضة * يامنهج العشاق وأهل الصلاح * مسكين مجيد عاشق ولاله معين
من عبس ينسب بالكرم والسماح * ان زرتموني بالوفا ساعة * أوتنعموا فالهم ولي وراح
ان كان لي ذنب جرى خبروا * ذا عبني بالدمع أمست قراح * فانفذوا بالله من ذا الجفا
والبعد والهجران وجد بالسماح * بأبي قبيس والمشعرين والصفا * بمن أنار الفجر ضوءه ولاح
رب السموات العلى العظيم * يلطف بنا عند المسا والصباح
بالمصطفى المختار خير الورى * الهاشمي نوره أضاء الصباح

(قال الراوي) ولما فرغ مجيد من شعره والنظام طربت النساء والبنات وتمايلت أسماء عند ما سمعت ذلك الكلام وقد أعجبها ونزلت محبة مجيد في قلبها وقالت له والله انك فصيح اللسان وبديع الحسن والجمال وقد لعبوا وانشرحوا ومرحوا من حول الغدير وبعد ذلك قالت أسماء من حولها من البنات كنا نريد الساعة يا بنات السادات في هذا المرج الافيح نارا تأج وتلفح وعليها من لحم الفصلان المشرح أو سويق ونأكل منه ونلعب ونفرح والسويق في لغة العرب واصطلاح كلامهم وهو لحم سنان الجمل اذا شوى على النار وفاح فلما سمع مجيد كلامها تبسم وقال هذا شئ قريب ثم قام من عندها واهتم وقصد الى المراعي التي هي بحرمة أعمامه مهيبه ولما وصل اليها واذا هو رأى نعمه فيها جمال تسرح ونوق ترح وفصلان تهوج وتمرح لان رعاة الملك قيس على الدوام تكون أقرب من غيرها الى الخيام الا أن مجيد المامضى الى نحو المراعي وعليها قد أشرف فرأى نوق عمه الملك قيس مما عليها من الشحم لا تكاد أن توصف وكانت ألف ناقة في ذلك المكان غير ما يتبعها من المهاري والفصلان وهي من سمنها تتجلى وتتمخطر وقد فاقت على أموال الحي بحسنها فدار من حولها فما رأى فيها أحسن من فحلها وكانت بنو عبس به تفتخر وتسميه الاصهب وقد شاع ذكره في قبائل العرب لانه كان يلقح ألف ناقة في كل عام ولا يتغير ولا يضعف له سنام وما كان له في ذلك الزمان مثال الا فحل في داخل بلاد اليمن يقال له غيهب وكان من الفحول الثقال وبهذين الفحلين تضرب الامثال واليهم كانت تنسب النوق والجمال ولما دار مجيد من حول تلك النوق والجمال ورآهم قد امه فرآى الى الفحل الذي يسمونه الاصهب بارك بينهم فأعجبه سنامه وقال مثل هذا اشتهت اسماء فعند ذلك دنى من الفحل وسل حسامه وضربه على نحره فارمى رأسه وأصرم عمره وقور منه السنام وأرماه على الارض وشق بزبابة السيف الجلد وخلصه من بعضه بعض ثم أخذه وسار وقصد بعض الاشجار اليابسة

وقطع منها غصن واحمله وعاد الى الغدير وألقى ما معه بين يدى اسمار وهى جالسه بجنب الحبائب ولما رأته أسمار مطيعا لامرها فرحت وانشرح صدرها فعندها أمرت الاماء ان تضرم النار وأن يرموا عليها الزاط ففعلوا ما أمرت أسمار لهما ولما ان أوقدت قام مجيد يشوى بيده من السنام وعلى النار يقلبه وقد زادت وهيج وأضرم وقد رأى ذلك أحب الاشياء عليه ودارت جميع البنات من حواليه وصاروا يشووا ويأكلوا وقد تارقتام النار وفاحت الروائح وصار مجيد يلقم أسمار أسمار تلقمه وهم فى لعب وانشراح على جانب تلك الغدير (قال الراوى) فبينما هم على ذلك واذا بعبيد عمه انتبهوا لما شموا تلك الروائح وتوائبوا الى النوق والجمال ليفتقدوها فرؤا الفحل الاصهب منحور وهو على الحالة التى تركه عليها مجيد وجدوه فعظم عليهم ذلك وقد زاد منهم مصابهم وحل بهم الارتباك فلطموا على وجوههم وخافوا من الهلاك وانهم من خوفهم على أنفسهم أشرفوا على العطب وناداوا بالويل والحرب ولما انهم رأوا دم الفحل الاصهب طرى وهو على الارض يجرى فتبعوا أثره وهم بذلك الجمع الغدير حتى انهم وصلوا وهم مهرولين الى الغدير فوجدوا النار تضرم وقودها ومجيد جالس عندها يقلب قطع اللحم عليها فعند ذلك زاد نداهم ودنوا من مجيد وهم يلطمون على رؤسهم وقالوا له يا مولانا ما هذه الفعال التى فعلتها معنا والله لقد علا هلاكنا وضرب رقابنا بتجرئك على هذا الفحل الاصهب الذى عقل عملك به معلق فى اليتك كنت اعلمتنا حتى كنا أتيناك بما شئت وبلغناك ما هو بيت ولا كنت عقرت ذلك الجمل الاصهب وسعيت فى ضرب رقابنا بهذا السبب لانك لو كنت عقرت ألف ناقة وتركت الفحل الاصهب ما كان عملك يحمل من ذلك هم ولا يعتريه غضب ثم ان العبيد لجوا عليه بالكلام فخجل من الجويرات فقام على حيله وسل فى يده الحسام وطلب العبيد وهو ينادى يا أولاد اللئام الى كم تطيلوا هذا الكلام وتكثروا على العتب والملام ولما ان رأت العبيد الى ذلك هربت من قدامه خوفا من سيفه وحد حسامه ولم يزالوا منهزمين والى عند الملك قيس طالبين وهم على وجوههم ورؤسهم لاطمين الى أن وقفوا قدامه فلما رآهم على تلك الحاله قال لهم يا ويلكم ما حالكم وما الذى دهاكم ونالكم فاخبروه بعقر الجمل الاصهب وان الامر فيه قد فرط وذهب فلما سمع الملك قيس منهم ذلك الكلام خرج وقال لهم يا ويلكم من الذى تجرئ على مثل هذا الامر من جبابرة العرب أخبرونى به حتى انى أتركه على الارض مجندل ولحمه للطيور مأكل ومنهب وقد زاد به الغضب فأزرقت أحداقه وزاغ منه البصر وانقلب فقالوا اعلم يا ملك ان ما تجرئ على هذا الامر المتدارك الا مجيد بن مالك هو الذى فعل ذلك وكنا نحن نيام فى المراعى ولما انتبهنا شممنا رائح اللحم على النار وهذه قسمتنا كلها والاخبار (قال الراوى) ولما سمع الملك قيس ذلك الكلام التفت الى من حوله من العبيد الجبابره وقال لهم ائتونى بابن أخى مجيد ولا تخشوا منه ولا تهابوه وان تعاصى عليكم فالى عنفاسوقوه واضربوه فعندها تجارت العبيد نحو الغدير أفواجا وقد تنابعت الى عند مجيد أفرادا وأزواجا (قال الراوى) وكان مجيد لما أتوا اليه العبيد فى الاول وعاتبوه على عقر الجمل سل سيفه وقام اليهم فتهاربوا من بين يديه وأوسع خلفهم فى البر وكان منهم من قد عزت روحه عليه ولما فاتوه عادوا وهم مزهومزات زائدات الى ان أتى عند الغدير فلم يجد فى ذلك المكان من البنات أحدا وجوانب الغدير منهم خاليات وكلهم ساروا وقد طلبوا الابيات خوفا من الفضيحه والعار والهتيكه والشنار ولما عاد وما رأى منهم أحدا ضاق صدره لذلك وصار وقد قعد وهو مرتبك فى أمره مقابل النار وقد جرت دموعه على خديه غزار فبينما هو على ذلك الحال واذا هو بالعبيد قد أتت اليه وهم الذين قد أرسلهم له عمه ولما سارا عنده فرأوه جالسا وهو باهت ويبكى وقد زاد همه وغمه وهو غائب لا يعلم ان كان فى أرض أو فى سما من أجل فقد محبوبته اسمار فدار وا به العبيد

من

من كل جانب ومنهم من تقدم الى بين يديه وقالوا له يا مجيد أجب عمك لانه قد أمرنا باحضارك وان عصيت سقناك اليه بغير اختيارك فقام معهم وهو مثل المسحور ما يعلم قدامه ولا يدري من شدة ما جرى عليه أين يضع أقدامه وقد مضت عزة نفسه واهتمامه لان الذي كان جسوه على سل حسامه وهو عشقه وغرامه ولما ان سار مع العبيد أوصلوه الى بين يدي عمه قيس وقد قاسى عليه وشتمه وقال له يا ويلك يا ولد الزنا ونتيجة اللخنا هي ضاقت عليك الدنيا وبين يديك أموالنا وأموال العربان فما وجدت فيها ناقة ولا جمل الا الاصهب والله لولا خوفي مذمة العرب والسادات من ذوي الرتب لكنت أسقيتك في وقتي هذا تراب المطب والخزي مثل ما نحرت الاصهب بلا سبب (قال الراوي) فعند ها بكى مجيد وقد أنهلت عبرته وصار يكفكف من على وجناته دمعته ويمسحها بطرف عمامته ولما زاد به الحال فأشار الى عمه وجعل يقول

يا عم كن عادلا في الحكم وانصفني * ولا تنزل فيغشا مجدك الزال
ما مالك بن زهير قد زعمت أبي * فكيف تشتمني والجمل متصل
ضيعت ما شيدت كفاك من حسن * الى اليتيم الذي ضاقت به الحيل
أنا عقرت بجهلي عندكم جملا * فكان ظني باني منك أحتمل
يا عم قل انني ضيف ألم بكم * والليل معتكر الاذيال منسدل
وليس عندكم شاة ولا جمل * ولا دقيق ولا سمن ولا عسل
وقد نحرت لكم تحت الدجا جملا * بغير علم وكان الاصهب الجمل
فهل لكم تقتلون الضيف من حنق * وتكسبون مذمات الذي نحلوا
أو تسمحون بما قد كان من زال * كما تسامح أهل الفضل اذ عدلوا

(قال الراوي) فلما سمع الملك قيس هذا المقال من ابن أخيه مجيد زادت نيرانه اشتعال وقال له ويلك يا طنجير ما كنت غني عن هذا الامر العسير وما كان عندك عذر تتخلص به غير هذا الشعر والتدبير ثم انه قال للعبيد يا ويلكم خذوه من قدامي والا خضبت من دماءكم حسامي وقلعوه ثيابه وأحرقوها بالنار واذا كان عند الصباح خذوه معكم الى المراعي والبسوه بعض ثيابكم واجعلوه بينكم راعي قال وكان ابن عمه زهير حاضر وهو ينظر اليه فلما سمع الامير زهير مقال أبيه لمجيد صعب عليه ذلك وقال له يا أباه حيث أردت ان ابن أخيك يرعى الجمال كنت خليته في بلاد اليمن على ما كان عليه من ذلك الحال ولا كنت خلصته وقد علمت الناس أن بيننا وبينه اتصال والله ان هذا الامر ما نطاوعك عليه ولو طارت رؤسنا بين يديه ولا أنا أخلي ابن عمي يرعى الجمال مع العبيد ولا نبلغك في هذا الامر ما تريد (قال الروي) ولما تكلم زهير بذلك الكلام ساعده من كان حاضرا وكذلك عمه نوفل قال مثل ذلك المقال ثم انهم أرادوا أن يغيبوه عن عينيه في ساعة الحال فقال لهم الملك قيس والله ما أعف عن ذلك وأخليه حتى انه يحلف بحياة رأسي باختياره انه ما عاد يجاس مع جوار ولا يناشد من أشعار لا في الليل ولا في النهار وذلك انه قد فضحنا بهذا الامر والبسنا العار ورجال الحي والقبيلة قد شكوا الى منه مرار وقد قالوا لي ان ابن أخيك قد أنسد نساءنا وبعض الجوار ونحن نتحمله لاجلك ولاجل قربه منك أيها الملك وأنا أريد منه أن يتوب عن هذه الفعال والا قتلته واسترحت على كل حال فقال له نوفل نحن نستوفيه ونمتثل مقالك ونحرمه أن يفعل شيأ من ذلك ثم انهم بحياة رأس عمه قد حلفوه ولما حلف وتاب أخذوه من قدام عمه قيس قال وكان عمه نوفل يحب مجيد محبة عظيمة ومن حين أتوا به من بلاد اليمن وهو له عنده قدر وقيمه (قال الراوي) وكانت هذه الامور التي جرت وعنتر ورفقائه في بني غطفان غائبين

وذلك ان ابن أخته الهطال عمل وليمة وقد عاد اليها فأخذ معه أخاه مازن ومقرى الوحش وعروة بن الورد وقد مضى الى الدعوة والوعد وأما ان خاص مجيد من قدام عمه عاد الى البيوت ودخل الى عند أمه وبكى بين يديها وقد شكى ما حل به من تلك المصائب اليها فقالت والله يا بني لقد أخطأت وبالقول والفعل على عمك تعديت وتجريت ولو لا مراعاته لابيك لكان أبادك وكان على قتل حمله يكافئك ثم انها كسرت عليه بزخاريف المقال وقد نهته عن الجلوس مع الفسوان وقد سمعت عبلة ما قد جرى له فدعته اليها وعظمت عليه القصه ووبخته على فعاله وقالت والله يا ولدي انك قد جلبت لعمك نكد ولقد كان الفحل الاصهب الذي قد عقرته أحب اليه من ولده فراعى جنابه ولا تعد الى مثلها وان عدت ما تلتقي خيرا بعدها ولا اقبالها ولما سمع مجيد من عبلة ذلك القول تاب وعلم انه قد أخطأ وعما كان تواقع به انتلب الا أن الهيب أسما في فؤاده قد اشتد وهواها قد جاز عن الحد وعند الصباح عاد الى الغدير وصار يمشي والى مكان وقد النار ينظر ويشير اليه ويتفكر الرسوم والآثار ويتمنى انه يرى أحدا حتى انه يخبره بما كان من الاخبار ويسأله عن أسما ان كانت باتت وعندها كما عنده من الزفير والحسرات ومازال ينظر الى ناحية الخيام فلم يرى أحد فتناثرت من أجفانه العبرات وقد سقت الزهر والنبات فأنشد وجعل يقول

رحل الصبر والغرام أقاما * في فؤادي مازاق قط غراما * كان غر من حادثات الليالي
ليتني لم عرفت لي أعماما * ياعيوني جودي على أثر أسما * بدموع واهجري الكرا والخياما
كان يوم الفراق يوم عبوس * لاسقا الغيث بعده الاياما * فكان السنام كان سموما
في مطاوي قلوبنا قد حاما * يا ترى أن قابها مثل قلبي * هائما يشكي الفنا والسقاما
ياظبا الريم قد أصبح اليوم * وحلال الغدير غدى حراما * وكذا نبته على جانبيه
بات مثلي متيما مستهاما * يشكي العناقيم دمعي * ويروي بهارها والخزاما

(قال الراوي) ولما أنشد مجيد هذا الشعر والنظام فتناثرت الدموع من أماق عينيه وقد بكى حتى كاد أن يغشى عليه وبقي على جانب الغدير الى المسا وهو غائب عن الدنيا من العشق والغرام وهو قد سار لا يعرف أحسن اليه الدهر أم أسا فلما أن رآى حاله على هذه الحاله ولا رأى مما كان يعهده أحد فعاد وقد اشتد به الوجد والغرام والكمد وأتى الى الخيام ونام فلم يأته منام فبات مهران يرعى النجوم ويطلب من الله علام الغيوب أن يجمع شمله بشمل اسما ولما أصبح الصباح صار حديثه شائع بين القبيلتين وتحدثوا به رجال الطائفتين فمنعوا بناتهم من الدخول والخروج والفرجه على الغدير والمزوح وقد جرى على أبي أسما مالم يجرى على قلب بشر بما حل به من ذلك الامر المنكر ومن خوفه لا يغتمض في بلاد الغربه صار يذم الايام الذي نزل فيها على العلم السعدى وأرض الشربه ولما ان زاد به الامر دخل على ابنته وقد جرد حسامه عليها من وقته وساعته وقال لها يا لخنا وحق الاله القدير ان عدت سمعت انك خرجت الى الغدير فاني أذبحك من قفاك وأفصل بهذا السيف أعضاك ثم انه أوصى أمها بها وقد أعلمها ان تلك الفتنه التاثره من أجلها ومن سببها (قال الراوي) وكان قد جرى على أسما من حب مجيد أكثر مما جرى عليه منها وفوق المزيد فبقيت متحيرة من شدة ما نالها من الغرام وصارت اذا أكلت لا تشبع بطعام واذا نامت لا تلتذ بمنام وقد علمت ان دام الامر على مجيد يهلك من عشقه لها وعلمت انه لا يتم عليه أكثر مما يتم عليها لمحاذة على قلبه أن يحترق بنارها فادعت بأمة لها وقد أطلعتها على أسرارها فقالت لها امضي الى عند مجيد وسلمي لي عليه وطيبي قلبه واعلميه انه مثل ما يحبني أنا أحبه وقولي له طب نفسا وقر عينا ويكون ذلك عندك يقينا فوحق من خلق الانفس وسواها ونصب

الجبال

الجبال وأرساها والوجعل أبي قبري لي منهلا لم اختر غيره مؤنسا ولا بعلا ولا أنساك على هذا الدهر والايام
أصلا فسارت الجارية اليه ودخلت عليه فرأت حاله قد تضعضع مما حل به من تحت رأس محبوبته
اسما وكان مجيد من يوم فراق اسماله وهو في نار ينتقل الى أن أتته الجاريه وبلغته هذه الرسالة فلما قد
قالت له من ذلك المقال له خف عنه كربه وقد طاب بهذا الوعد قلبه وفي ذلك اليوم عاد عنتر من بني
غطفان وقد أخبروه من ذلك الامر بما كان وقد اشتد ظهر مجيد وقد أيقن ببلوغ ما يريد ولما ان
دخل عنتر على عبله شرحت له القصه فعند ذلك صعب عليه هذا الامر وقد تكدر لما ان سمع بهذا الخبر
وكان غيظه من وجهين وكل وجه له سبب الاول من جهة الجمل الذي هو الفحل الاصهب والوجه الثاني
كيف ان الملك قيس شتم مجيدا وأحرق به بين العرب من تحت رأس أسما من حيث ان أباها غريب
من حلتهم وقد نزل عندهم تحت الكرامه والحما ثم ان عنتر قال لها يا عبله أنا على كل حال قد حكمت
مجيدا في كلما أملكه من مال وجمال وعبيد حتى انه لا يلتفت الى عمه ولا يتعلل عليه بسبب من
الاسباب وفي الآخر جرى منه شئ ما كان لنا في حساب وهذا أمر ما أشاقق انا فيه ولا أقدر أشاقق الملك
قيس ولا أساويه ولا أجلب له شيا يؤذيه ولا أعتب عليه فيما فعل في حق مجيد من نكده لاني أعلم
ان الفحل الاصهب كان عنده بمنزلة ولده ثم انه سكت عن ذلك الكلام خوفا على أهل العشيرة أن يقع
بينهم الخلف والمقال من كثرة اللجاج ويفسد بينهم الحال (قال الراوي) فهذا ما كان من أبي الفوارس
عنتر وما جرى له وما قال من المقال واما ما كان من مجيد فانه قد شكى حاله الى عمه نوفل وكان أحضر
اخوان الملك قيس وأعلمه بما يجده من حب اسما محبوبته وكان نوفل يحب مجيدا محبة زائده وكان أكثر
اخوته مروءة وعصبه وكانوا على ما هم فيه من ذلك الامر المتدارك يتذاكرون به ما مضى من أيام مالك
ولما ان شكى حاله اليه ورأى عظم بليته رق له ورثى له وسار يركب معه في أكثر الاوقات ويقف له بعيدا
عن المضارب ويصيرهوا وايا في البر والفلوات ثم انه يتركه يسير الى أبيات أسما ويسارقها منه بالنظر
عسى انه يراها حتى يخف عنه ما به من الهم والفكر وما زال على تلك الحاله ومعانيها حتى انه عرف
الاوقات التي تأتي فيها ويقصد مشاهدتها وبالنظر بباريها وقد صارت الاخرى اذا رأته علمت منه
ما يريد فعند ها تخرج من خبا الى خبا تلاعب الامة واللعب بينهن يزيد ثم انها ترفع برقعها وما تزال
على تلك الحال حتى انه يتعلى بوجهها وينظر ويشبع كل منهم من النظر من صاحبه ويؤدوا لو بلغ
كل واحد منهما ما يريد به الا ان ذلك ما كان الا أياما قلائل حتى علم أبوها منهم بتلك الفعائل وعلم بذلك انه
لابد ان يفتضح ويزيد همه فشكى حاله الى وجوه بني عمه وقد شرح لهم قصة مجيد بن أخي الملك قيس
وتجرئه عليه فقالوا له يا أمير سيرنا الى عند عمه حتى اننا نشكوه اليه انه ما دام عليه غضبان فان نهاه
عن أبياتنا والا رحلنا عن هذا المكان ونسير من هنا الى أرض غير هذه الارض ونتخذها لنا وطنا
فقال لهم هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه أخذ بني عمه وقد سار بهم الى عند الملك قيس عند
الصباح ودخل عليه وقد أرمى روحه أبو اسما بين يديه وقص قصته عليه وما جرى له وقال له اعلم أيها
السيد الجليل والمولى النبيل اننا ما نزلنا في دياركم واخترنا جواركم الا نطلب بذلك ستر حرمنا واقامة عزنا
في جواركم خوفا من ذلنا والذي حذرنا منه غيركم وقضى فيه عندكم فاعلم أيها الملك ان سبب ذلك قد
تعرض لابنتي لا من لا أقدر أكلمه ولا آذيه لان هيبتك أعظم مني قدرا وأنفذ في هذه الارض أمرا ثم انه
حدثه بفعال مجيد وما جرى وانه أتى الى أبياتهم وقد أنشده الشعر الذي بلغه عنه فلما سمع الملك قيس
شوى من ولد أخيه مجيد تغير لونه واضطرب كونه وبقيت عيناه مثل لظى الجمر فقال له يا شيخ ولم صبرت
على هذا الكرب أما كان في رأسك نخوة العرب كنت نحرته مثل ما نحرجملي الاصهب ثم انه قال

لمن حوله من أعمامه ومن وجوه العشيرة الذين واقفين قدامه اشهدوا على يا وجوه بنى عمى انى قد
أوهبت دم ابن أخى لهذا الشيخ ليطفئ به ناره وان قتله لا يطالبه أحد بثاره وان طالبه أحد به كنت أنا
من أعوانه وأنصاره ولو كان من يكون من الناس قال فقبل أبو أسماء يد الملك قيس وشكره وأثنى
عليه وقال له أيها الملك أنا أقتله فهذا شئ ما أفعله ولا الى يد تمتد اليه ولكن اذا عاد تعرض لابياتى
ووقف عليها ولو كان من بعيد فأنا أقبضه وآتى به اليك تفعل به ما تريد فقال له الملك قيس يا شيخ الامر
اليك ثم اعلم انى قد أشهدت الحاضرين على وعليك بأنك برئ من دمه وقد حكمتك فيه اذا رأيته قد أتى
الى أبياتك فاقتله واسقيه كأس حنقه وبعد ذلك افعل أنت على قدر ما ترى لانى قد اشهدت على نفسى
بذلك القول الموالى والسادات والعبيد وكل من حضر وسمع قال فلما سمع الشيخ أبو أسماء ذلك عاد هو
ومن معه من بنى عمه الرجال الكرام وهو يقول لهم والله يا بنى عمى ان الرحل ما ترك عليه ملام فقال له
بعض بنى عمه من الرجال العقلا يا أمير الرأى انك لا تغتر من الملك قيس بما قاله من المقال ولا تؤذى ابن
أخيه فأنا أعلم ان ذهب من شعره شعرة واحده ليقطع عنتر أصولنا وفروعنا فى كرة واحدة فارجع عن
هذا الرأى واحقن دماءنا ولا تعمل على هلاكنا وفنائنا لانك قد هجتنا من ديارنا وتبعناك وقد قلت
أنا لم أزوج ابنتى لرجل معلول النسب فعذرناك وتركنا أوطاننا ورضينا برضاك لانك كنت فى ذلك
الامر الاول مغلوم مقهور وكان ميسره أراد أن يأخذ ابنتك منك غصبا فكنت فى ذلك الامر معذور
ولولا سواده وقلة علمنا بنسبه وخبرته لكنا غضبنا عليك على زواجه بأسماء وعشنا تحت ظل شجاعته وهذا
مجيد خلاف ميسره لانه سيد من سادات عدنان وعمه الملك قيس بن الملك زهير ملك من ملوك الزمان
والرأى عندنا أن تزوجه ابنتك على ما تحب وتختار ودعنا نقيم باقى عمرنا فى هذه الديار وان كنت
ما تفعل فدارحك كما تريد ونتركك نحن ونعود الى ديارنا ونستريح من هذا الامر الذى لا يفيد ولا
يجدى ولا نعيد (قال الراوى) فلما سمع أبو أسماء ذلك القول ممن كان له بجاوب فقال له يا بنى عمى أزوج
ابنتى لرجل ما أتانى خاطب فأرغب أنا فيمن لا هو فى ابنتى راغب فهل عمركم رأيتم رجلا قبلى من
الاقدمين خطب لابنته بعلا حتى انى أقوم أنا وأقول لهذا الرجل تعال خذ ابنتى منى فوالله لا فعلت هذا
الامر أبدا ولا اشمت بى أحدا على طول المدا فمن اشتهى عندى المقام فاليقيم ومن أراد الانصراف
لارضه فاليتصرف بسلام ولا تكثروا على عتب ولا ملام ولا كلام قال فلما سمع بنو عمه كلامه قد عذروه
وعلى هذا الامر ما استكثروه وقالوا له ارحل بنا من هذا المكان ودعنا نبعد عنهم مسيرة نصف يوم
فى تلك البرارى والآكام حتى اننا ننظر ما يكون منا ومن هذا الغلام لانه ما يخلو أمره من حالتين اما
يمنعه عنا بعد الفريقين واما يصالح عمه ويتراضوا مع بعضهم الاثنين ويحوجه أن يخطب منك ابنتك
على أمر ترضاه فان فعل ذلك وخطبها بوجوه عشيرته زوجناه وان حمله الهوى وأتى على سبيل التخفى
وعلمنا به قبضناه وسرنا به الى عند عمه وبين سادات قبيلته واليه سلمناه ورحلنا من هذه الديار وتركناه
فقال الشيخ يا بنى عمى اعلموا ان هذا الامر وافقكم عليه وأجبيكم فيما قلتم وأردتم اليه ثم انهم عادوا الى
الخيام بعد ما دار بينهم الكلام وأقاموا بها ثلاثة أيام ولما ان كان فى اليوم الرابع أظهروا ان الماء قد
ضاق عليهم وانهم يريدون التخفيف لان القوى منهم قد جار على الضعيف ثم ان الشيخ رحل بقومه الى
أرض يقال لها أرض الروم وكان بينها وبين منازل بنى عبس يوم أو دون اليوم فنزلوا هناك فى تلك البر
والآكام وضربوا هناك المضارب والخيام وأقاموا مدة أيام قال فلما علم مجيد بذلك عظم عليه وكبر
لديه وزاد بلباله وجواه واشرف من شدة الشوق على فناه فشكى الى عمه نوفل ما يجده من الآلام
وقد بات عنده ليالى لم يذق فيها طعم منام ولا أكل فيها شيأ من الطعام وفى اليوم الثالث قال له يا عم

ان لم

ان لم تسرعي الى منازل أسما فأنا أهلك لامحاله فسرعي لعلي أن أراها ويبرد قلبي ويستر على رب
السما وان لم تفعل ذلك والا قتلت نفسي وأسكنت روحي رمسي فقال له عمه ويلك يا ابن أخي لا تفعل
ذلك ولا تخاطر بنفسك توردها المهالك فلا تعد تذكر أسما لاسيما وقد رحلوا بها وأبعدوا عن هذا الحمى
وأبوها قد أتى الى عملك قيس وقد شكى له منك وبكى عليه من أجلك بين يديه وان عملك قد أوهبه دمك
وأشهما بذلك عليه فان تعرضت لها أخاف عليك من الهلاك وربما وقعت في سوء الارتباك فاقبل مني
ودع عنك ذكرها وانف عن نفسك فكرها والا هلكت بسببها فقال له مجيد يا عم لا تعزني فما أقبل
العزل وان لم تساعدني على وجدي فأنا أعلم اني أموت من غير أجل وأخاطر في محبتها بروحي
ولو مت من غير أجل وسكنت ضريحي ثم انه بكى وأن واشتكى وقد زاد به الهيمان فتنهد من فؤاد قد
أحرقه الوجد والغرام فلما سمع نوفل من مجيد ذلك البكا والانين والاشتكى فخاف عليه أن يتحكم
فيه الوجد والسقام فضمه وقال له اسكت يا مجيد فاني أساعدك على ما تريد ثم انه أخذه وخرج هو
واياه من بين المضارب والخيام وسار معه كانه يفرجه في البراري والاكام وكان قد مضى بعض النهار
ثم انهم ساروا حتى أبعدوا عن المنازل والديار ثم انهم عرجوا عن الطريق المستقيم وقد سلكوا بين
التلال وقد سترهم أحاقيف الرمال حتى غسق عليهم الظلام وقد ستر عليهم الملك العلام وكان نوفل
أعرف من مجيد بتلك المنازل لانه تربيتها ومجيد ليس له بها خبره لانه ما تربى فيها ونوفل قاطن بها
ونازل عليها وهي أرضه وبلاده فعرج به الى منازل الماء وهو يقول لعلنا من هاهنا نأخذ أخبارا سما
لان هذا المنزل قريب من منازلهم والحمى وكي أن تأتي بعض الاماء ونستخبر منها ما كان من الامور قال
ولما انهم سارا والى الغدير الذي فيه ذلك الماء فوجدا عليه جارية من جوار أسما وكانت تلك الجاريه
هي التي أتت من عند أسما لمجيد بتلك الرساله وطيبت قلبه قبل الرحيل بما بلغته من ذلك المقال (قال
الراوي) فلما رآها مجيد وهي بالبعد منهم عرفها فتقدم اليها وقرب منها وناداها يا سعده فلما سمعت نداءه
أجابته وأتت اليه وتقربت لما ان عرفته وسلمت عليه وقبلت يديه ثم انها قالت له يا مولاي فكيف
جرى لك حتى انك خاطرت بنفسك ومولاي أبو أسما ان قدر عليك أسكنك رمسك فقال لها قد عرفت
ذلك وقد فعلته لاجل محبوبة قلبي مولاتك نور العين (قال الراوي) فلما سمعت الجاريه من مجيد
ذلك الكلام فبكت رحمة لسيدتها حتى أشرفت على العمى فقال لها مجيد فكيف حالها فقالت والله
انها مبتلة بين الاحيا وقد تغيرت أحوالها ولا تقضي اكثر أوقاتها الا بالبكا والعويل واعلم ان هذه
الحاله حالتها من نهار عزيمتها على الرحيل فقال مجيد كذلك أنا والله ما أجد في بعدها هدو ولا هنا ثم
ان مجيدا قال لها يا سعده هل تقدرين الليلة أن تعودين اليها وتعلميها اني قد أتيت من أجلها وخاطرت
بروحي من شدة شوقي لها فلعلها أن تزورني بنظرة من عينيها أو ترد على رسالة أعود بها طيب القلب
والفؤاد لعل أن يهدى ما بي من الشوق والتهداد فقالت له الجاريه نعم يا مولاي استتر في ظل هذه
الشجرة حتى أني أمضي وآتيك بها وتملوا سعضكم بعض وتنظرك وتنظرها لانها البارحه من شده
الشوق صارت تذكرك وتتحسر عليك (قال نجد) ثم ان الجاريه بعد ذلك ملأت وعاءها من الغدير
وعادت الى الحي وهي مهر وله من أن يقوم عليها نفر من الحي ولما دخلت الى المضارب دخلت
على أسما وقد أعلمتها بمجيد فلما سمعت أسما بذكر مجيد بكت وقالت لها أحق ما تقولين فقالت لها
نعم وان أردتي سيري بنا اليه في ذلك الوقت فأجابتها الى ذلك وقالت لها قومي بنا فأخذتها الجاريه وقد
خرجت بها من المضارب والخيام وأقبلت على مجيد ومحبتها مولاتها أسما وهي ملتحفة بكسوة سودا
وهي تمشي وتلتفت في ذلك البر والفدفد ولما ان قربت من مجيد ورآها وهي بين تلك الاشجار مقبلة

وتثقفز كانها الغزال فانشدو جعل يقول

أهلا وسهلا بدرغاب عن نظرى * وأبدل النوم بالافكار والسهرى
غبتم فأظلمت الدنيا لغيبتكم * قد توهمته الى بلاقـــــرى

قال ثم انه دنى منها ليعانقها و يقبلها ويبل شوقه بها فأحاطته

يانور عينى وحق الركن والحجرى * ماغاب شخصك مذ أبعدت عن نظرى
ولا وردت غديرا لانزلت به * الا وجدت خيالا منـــــك فى أثرى

قال ثم انهم من فرحة التلاق اعتنقا اعتناق العشاق وقد تشاكيا الى بعضهم مايجدونه من ألم الفراق ومافيهم الامن ارتعدوارتجف و بنار المحبه انكوى وقد علما انهم فى مقام التلاف كلهم سوى الأن حلاوة اللقاوطيب الملتقى بالحبائب أنساهم النظر فى العواقب ولما ان تحدث كل واحد منهما مالاقى من فراق صاحبه وماجرى عليه من أهله وقومه وحبائبه فبينما هم كذلك واذا بأسما التفتت فنظرت الى خيال نوفل وهو واقف بالبعد منهما وهو يسمع مايبدوا من اشتياقهما الى بعضهما فقالت لمجيد من هوهذا الفارس الواقف من قومك حياه الله تعالى فقال لها مجيد هذا عمى نوفل أخو الملك قيس قد جئت أناواياه لانه يحبنى بخلاف الاعمام ولولاه ماكنت قدرت أقرب هذه الخيام ولا أدور بين هذه الروابى والآكام ولقد سعدنا هذه الليلة بنظرك فقالت له أسما فوالله يامجيد ان كان عمك نوفل يرى من فضله أن يساعدنى فى هذه الليلة بأحسانه لكنت أبيت أناو ياك هاهنا الى الصباح ونسأل الستر علينا من العزيز الفتاح ونجعلها الليلة تعدبليالى وان هلكنا بعدها فانها الى بعد أن نكون خففنا الكروب ونلنا المطلوب وطفينا النيران التى هى بين الضلوع والجنوب قال فلما سمع نوفل كلامها دنى منها وكلمها وقال لها وماهو أبديه لى لعل أن تبلغى مرامك ولكن ياأسما فاذا تكون المساعده اخبرينى ماذا تريدى من الفعال حتى انى أفعله عسى أن يكون فيه الفائدة ولو يكون فيه هلاكى اكراما لابن أخى عسى انه يخلص من بلاك و يخف عنه مايجده من عناك فقالت أسما اعلم يامولاى ان أردت ذلك اخلع ثيابك واعطنى اياها والبس أنت ثيابى بعدما أخلعها أناو البسها أنت (قال الراوى) فعندها خلع نوفل ثيابه وألقاها فأخذتها أسما فلبستها وخلعت ثيابها والبستها نوفل وقد برقعته ببرقعها وقالت له سرمع أمتى سعدى فهى توصلك الى الخيام ولما ان تدخل الى المضرب فاترك رأسك على ركبتيك وعلى فراشى نام ولاتزال نائم حتى يأتيك أخى فيقول لك ياالخناحب مجيد غلب على عقلك حتى انك أقللتى اكلك وشربك وأشغالك عن ذلك ثم انه يعطيك عقب ابن ملاآن تخذه منه واشربه ولاتخف من نوائب الزمان وناوله اياه فانه يعزم على الرواح ولا يعود يقرب الخيام والحبا الى الصباح فأكون قد رجعت الى خيمتى وتكون أنت قد جئت الى ابن أخيك عند عودتى فقال نوفل السمع والطاعه ثم انه سار مع تلك الجاريه الى الخيام فى الوقت والساعه وهو فى زى النساء بالبرقع والقناع وقد جسر على ذلك الامر ولا خاف ولا ارتاع ومازالت الجاريه تمشى ونوفل وراؤها حتى جعلته فى الخيمه وأدخلته فيها وتركته وراحت وليس أحد عنده بعدان أرخت عليه أستارها (قال الراوى) فاستقر بنوفل الجلوس حتى دخل أخواسما والعقب اللبن فى يده وقال له خذى واعلمى ان لو كان الامر لى ماأسقيتك الا سم الافاعى وانى عن قريب أكون فى هلاكك ساعى فلما سمع نوفل كلامه أظهر الجهل والحرد وتحسر وتنهد وأخذ العقب منه بغيظ وحرد وقد أراد أن يشرب فارتعدت مفاصله من شدة الخوف الذى هو نائله فسقط العقب اللبن منه وانهرق فزاد بأخى أسما الغيظ والحنق ومسك صوتا وضرب نوفل على أكتافه والاضلاع ومازال يضربه حتى كاد يقطع نفسه والنخاع وصار يقول ياالخنا

الى

الى كم هذا التفنيد لان كل يوم تزيدى فى عشق مجيد وكلما ذكرته زادت بك الرعده والخفقان حتى انك
سرقى زائده فى الحد عن بنات الزمان ثم انه زاد عليه بالضرب حتى أوجعه ومن شده الوجع جرى على
خدوده مدامعه فعند ذلك هم نوفل أن يسل الخنجر من على وسطه و يقتل أخا أسما لاجل ما ضربه ذلك
الضرب الشديد لكنه قد خاف أن تفتضح أسما والجارية و يهلك هو و مجيد فصبر على ما ناله من الالم
الزائد وما قدر أن يصيح ولا يتكلم ومازال أخو اسما يضرب نوفل حتى كلت يده وتعب ساعده و زنده
وقد سمعت أم أسما هرج ولدها فعلمت بالحال فدخلت الخباء وقد أبصرت ما فعل بنوفل فاشتفى
كبدها وصارت تقول جور عليها ولا ترحمها فانها تستاهل القتل والهوان لان شؤم وجهها قد هيجنا من
بلادنا وأبعدنا عن الاوطان وهتكنا فى غربتنا فى هذا المكان (قال الراوى) لانه كان جرى لهؤلاء
القوم فى بلادهم حديث من أعجب العجب مع فارس من فرسان العرب كان يقال له ميسرة بن الغريب
لانه خطب أسما من أبيها وورده عنها ولا رضيه لها لان الغلام كان أسمر اللون غميق فى السمره ومياله فى
السواد أكثر من البياض والحمرة وكان غريب من تلك الارض والبيدا نخشى أبوها أن يكون من
نسل العبيد لكنه كان فارس شديد وبطل صنديد لا يلتقى فى الميدان اذا بارز الاقران ومارس
الشجعان فواظب غاراتهم حتى انه شتتهم من بلادهم ولابد ما نشرح حديثه فى مكانه ونبين قواعده
حتى يتلذذ به السامع ولا يضيع منه فوائده الا ان أخا أسما مازال يضرب نوفل حتى علم كل من فى الحى
بذلك العمل وما فيهم الا من قال تستاهل الذل والضنى والهوان لانها كانت السبب لنا فى تشتيتنا عن
الاوطان ولما ان تعب خرج من المضرب هو وأمه وأرخوا أذيال الخباء عليه وقد بقى نوفل فى هم وغم
وصار يتململ من شده الضرب و يتوجع ولا يدرى ماذا يصنع وكيف يفعل فبينما هو مفكر فيما
وصل اليه وجرى عليه واذا بجارية دخلت عليه وكانت من أتراب أسما وأخت صاحباتها فسمعت
بضربها وعذابها فأتت اليها تتوجع لها وتعتبها على فعلها الا انها لما سارت قدام نوفل بكت وقربت
منه والى عنده تقدمت ثم صارت تقول و يحك يا أسما ما تخافى على نفسك وتخشى رب الارض والسما
فالى متى هذا اللجاج أما تعب قلبك من الانهتاك وقد فضحتينا ولا نلت مراد ولا رعى لك أحد وداد
ثم انها مدت يدها الى بين أفخاذها وأرادت بذلك أن تمزح معها حتى تسليها عن مرادها و يخف ما عندها
من ألم الضرب فوقعت يدها على الضنا والويل وشعر أخشن من شعر الكسا وعظام نابتة بخلاف
عظام النسا فقام شعر بدنها وقد جذبت من بين أفخاذها يدها وهمت أن تقوم على حيلها فكشف
نوفل وجهه لها وقال لها يا ابنة الكرام بحياة أسماء لى على قليل واسمعى ما أقوله لك من الكلام
فقالت له وقد زاد فزعها و يلك من أنت ومن الذى أتى بك الى هذا المكان أما على نفسك فزعت
أخبرنى ما حالك وما الذى صيرك على هذه الفعال من قبل أن أصيح عليك وأجمع كل من فى الحى من
النسا والرجال فقال لها نوفل لا تفعلى يا حرة العرب ولا تفسدى ما دبرته رفيقتك وصديقتك أسما
وتكونى الهلاك لها معنا سبب فلما ان سمعت منه ذلك المقال قالت له قل لى على أصل ذلك فابتدأ وحدثها
بحديث مجيد وأسما وقال لها ان أسما قد باتت عند مجيد على الغدر حتى يبلغ كل منهما ما يريد وأنا
أتيت الى هنا بعد أن لبثت ثيابها وأتيت لابيت مكانها حتى لا ينكر أحد أمرها ثم انه أخبرها بما دبرت
أسما وما أحكمت فقالت وهى من حديثه متعجبة و به مستأنسه واليه متقربه وقالت له يا ابن
الكرام وأنت قد احتملت هذا الضرب والآلام التى قد جرت عليك من حب هذه الجارية والغلام
حتى يشفى كل واحد منهما ما يريد من الآلام و يبلغ المرام واتبعت بهذه الفعلة سنة لناس الكرام
فقال لها نعم ولكن تقدرى أن تكونى أكرم منى فقالت له لما ان سمعت منه ذلك فاخبرنى بما ذا

تريد من التمنى فقال لها أريد منك أن ترعى سترى وتخفى عن العرب أمرى وتخففين ألم الضرب
عنى وتبيتين عندى الى الصباح ولا أبات وحدى مخاطرا بروحى خائف من الافتضاح لان جسمى
قد تركه الضرب مشطب بالجراح وبقيت معافا فى صفة عليل وليس لى من النوم من سبيل وان كان
قلبك لا يرق لهذه الشكوى فاكتمى حالى وحال أسما وروحى ودعينى وحدى أكابد البلوى لان
والله من أبصر جمالك فقد بلى ببلوى ويموت بذلة ما لها دوى (قال الراوى) فلما ان سمعت تلك
الجاريه من نوفل ذلك الكلام فقالت ومن تكون أنت من بنى عبس فقال لها أنا نوفل أخو الملك قيس
عم مجيد فلما ان علمت الجاريه انه أخو الملك قيس سيد بنى عبس لانت جوارحها وقد ارتخت مفاصلها
وتبسمت بعد التعبيس وطابت منها النفس وقالت له أبشر يا فتى فاننا ماندعك تمن علينا بكرم الطباع
وجميل صفته مع صديقى أسما ماندعه يمضى مع مثلنا ضائع ثم انها دنت منه وحلت برقعها وعانقته
وعانقها وقبلته وقبلها وباتت عنده الى ان قرب الصباح وقد برد ما كان يجده من ألم الضرب
واستراح ولما ان بان ضوء الصباح قامت تلك الجاريه من عند نوفل وقد ودعته وانصرفت الى حيث
تريد وخرج هو الآخر من الخيمه وهو يهرول وما زال الى أن وصل عند مجيد وأسما واجتمع بهم فى
تلك البيدا ثم انه حدثهم بما جرى له وما تم عليه من ذلك الامر الشديد وقد أوراهم أثر الضرب الذى
ضربه له أخو أسما على أكتافه وأضلاعه ولما أخبرهم بما جرى عليه وناله نزع ثياب أسما من عليه
وقد قلعت الاخرى ثيابه و ودعت مجيدا وقد عاد كل واحد منهما بعد ذلك يطالب داره وقد خف
عنهم ما يجدوه من الافتكار الا انهم ما أبعدوا من ذلك المكان حتى لقيهم عبيد من عبيد الملك قيس
وصار اهم مقارب ولما ان رآهم ذلك العبد عرفهم فقرب منهم ومال نحوهم وقال لهم يا موالى ايش الذى
غيبكم عن الحى ووالله انكم من الهلاك سلمتم فقال له نوفل ولم ذلك فقال العبد اعلم ان أخيك الملك
قيس قد أنفذنى الى أهل أسما أقول لهم ان مجيد قد أتى الى دياركم والحى ففتشوا عليه حول بيوتكم
وانظروه واينما وقعتم به اقتلوه وأنتم فى حل من دمه وما يجرى عليه وكان الملك قيس قد بغض مجيدا
من حين ما شكى أبو أسما اليه ولولا انه فى أبيات عتر كان قتله لاجل تعرضه بجاره لان العرب كانوا
فى ذلك الزمان عندهم اغاثة الملهوف والضمان وحفظ الجار واعطاء الذمام واطعام الطعام
والصدق فى الكلام وكان أبو أسما رجلا من عبس وأبعد عنهم فعلم الملك قيس انه ما رحل من
جواره الا خوفا على ابنته لا يفتضح فيها فرحل من تلك الارض هو وأهلها وزويها نزادا بالملك قيس
الغضب على ابن أخيه مجيد وقد عرف انه ما يصبر عن أسما ولو وضعوا فى رجليه قيدا من الحديد
وانه لا بد له من الرواح اليها فاوصى عليه جماعة من العبيد وقال لهم ارقبوه واذا رأيتموه قد غاب عن
الديار اعلمونى به حتى أفعل به الذى اختاره فتركوا عليه العيون والارصاد حتى انه غاب عن الحى
وأعلموا عمه فقالوا له انه قد سار هو ونوفل يطلبون المنازل التى فيها أسما وكانوا قد جازوا عليه فى المرعى
ضحى نهار فتحققوا انهم قاصدون الى منازل أسما وتلك الديار فلما ان رجع العبيد من المراعى الى
الحى أعلموا الملك قيس بروح مجيد وعم نوفل فكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال والله لا أبقيت على
هذا الولد لزنا الذى نهيته عن جيرانى ولا انتهى ثم انه أنفذ ذلك العبد الذى قد منا ذكره ليعلم أبو أسما
بحال مجيد وما كان من أمره ويقول له يا شيخ اعلم ان ابن أخى قد غاب عن قبيلتنا وكون ابن أخى قد
عجزت عنه قبيلتى فان كان قد سار الى دياركم فارصدوه وأينما وقعتم به اقتلوه ولا تبقوا عليه ولا تهملوه
(قال الراوى) وكان ذلك العبد الذى أرسله الملك قيس عاقل ومحبا لموالية فلما سار قد تقابل مع
نوفل ومجيد فحدثهم على جليه الخبر وقال لهم يا موالى اذهبوا الى الحى وادخلوا اليه واخفوا أمركم

بكل ما تقدروا عليه ولا تظهروا الا حدانكم كنتم فى هذه الديار ولا تقولوا انى رأيتكم ولا رايتمونى
وأما أنا فلا بد لى من دخولى الى بنى بشر على هذه الحاله وأبلغ رسالة الملك قيس الى ابى أسما كما امرنى
مولاى ثم ان العبد سار الى نحو ذلك الطريق ولما ان سار العبد عاد نوفل ومجيد الى الحى على غير
طريق والعبد يرقبهم حتى غابوا عن عينه فى البرارى والقفار وقد طاب قلبه واطمأن خاطره الذى بلغهم
ذلك الاخبار ولما ان أمن عليهم وعلم انهم استقاموا على الطريق من غير اطاله صار الآخر يطلب
خيام بنى بشر ليبلغ أبا أسما ما حمله له مولاه الملك قيس من المقاله وذلك كان من خوفه من سيده فاعقبه
وخشى على نفسه انه ما يبلغ الرساله فربما يحدث عليه منها نائبة هذا ما كان من ذلك العبد ومادبره
من ذلك العمل وأما ما كان من مجيد وعمه نوفل فانهم كانوا يسيروا فى ذلك البر من غير محفل ومجيد
يبكى ويشكى لعمه حتى قربوا من الحى وبقى يشاوره كيف بقى ينتظر أسما ونوفل يقول له والله
يا مجيد ما بقى لك على ذلك من سبيل ثم انه تيقن منها بالبعاد ولا بقى يقدر على كشف ضرك الا
عنتر بن شداد والصواب انك لما ان تدخل وتصل الى البيوت تدخل اليه وتقص قصتك عليه
وتخبره بما كان من أمرك وما نالك وان هو سمع منك ذلك فقد انقضى ما تريد من أشغالك ونلت
آمالك ثم انهم تمادوا سائرين وهم على تلك الحاله الى أن دخلوا الى المضارب والابيات فى الليل
حتى تخفى على أهلهم أمورهم ثم طلب كل واحد منهم أبياته وأما مجيد فقد أيقن بهلاكه وبمماته
وكان قد بقى من الليل القليل فدخل مجيد على أمه وفى قلبه من الهم شئ ما يقدر على حمله وكان
قد اصفر وجهه وتغير لونه ولم يبق يدرى ما يفعل فى تلك الامور التى طرأت عليه ونابته فلما ان
رأته أمه سألته عن حاله وما الذى قد جرى له واين كان فى تلك الليلة الماضية وما الذى غيبه فقال لها
كنت عند عمى نوفل أتحدث أنا واياه على ما يجرى للشباب من العمل ثم انه اتكئ على جانبه من
غير أن زادونام وقد زاد به الوجد والغرام واشتد عليه العشق والهيام وأخذه القلق والسهاد ولما
أبصرته أمه وهو على غير الاستوى علمت انه اسير العشق والجوى فقالت وقد لحقها عليه الوجد
والحرق يا ولدى ايش هذا الهيمان الزائد والقلق لا يكون قلبك ببنات العرب قد تعلق فوالله يا بنى
انى حسبت لك هذا الحساب وقرأت لك عنوان هذا الكتاب وعلمت انه ما يحصل لك خير لجهة أستك
لبنات الاعراب يا بنى بتربة أبيك ما لك الا ما أطلعتنى على ما أنت فيه من أحوالك ولا تخفى على شيأ
فيما نالك (قال الراوى) فعند ها حكى لها حكايته وسبب بليته وعشقه لاسما وما جرى عليه من
الاول الى الآخر قال فلما سمعت أمه منه ذلك قالت له والله يا ولدى انه زاد كلامك نكدى وتفتت
من أجلك كبدى وقد حدثتنى بحديث ما كان لى فى حساب وانا ما بقيت أخفى عن عنتر هذه الامور
والاسباب ولا بد عند الصباح ما أشرح له قصتك ولا أدعك تموت بحسرتك وتعدم مهجتك ولولا
أنه الليله نشوان من شرب الخمر لكنت أعلمته بهذا الامر ثم انها باتت تشاغله بالكلام والميعاد حتى
انبسطت الشمس على الرباوالوهاد وعلمت ان عنتر قد صحى من سكره وان مقرى الوحش عنده
وعروة بن الورد ومازن أخوه فسارت أم مجيد اليه وسلمت عليه ولما عرفها رد سلامها وزاد فى اكرامها
واستوحش بمجيد فشكرته على احسانه وانعامه ثم انها قعدت بين يديه وقصت قصة مجيد عليه فلما
سمع عنتر منها ذلك الكلام اشتد به الغيظ وظهر وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لقد
كنت أخشى على مجيد من مثل هذا الامر وأخاف عليه من معاشرة هذه البنات وكنت أحسب له
هذا الحساب لكن ما قلت انه يقع مع بنات الغربا من الاعراب بل كنت أقول انه يقع مع بنات عمه
حتى كنا نزيل همه وغمه وأما أسما فما كانت لاحد على بال والآن قد جرى من الامر ما فيه وأنا

من هذه الامراض أداويه وأرد قلب عمه عليه ولا أدعه يأبى عليه وأحمد الرب القديم الذى ما مد عينه
الى بنت ملك عظيم ولا فارس جسيم ولو كان عمه راض عنه غير غضبان كان زوجه بها وأزال عنه
الاحزان ولكن بغضه لاجل الفعل الاصهب وضيع حرمة القرابة والنسب ولكن آخذ له أسما ولو
حموها أمقر بيعه ومضر وكسرى وقيصر فقال مقرى الوحش وقد زاد به الابتسام بأى وجه تأخذ
أسما يا أبا الفوارس فقال له أسير الى أبيها وأطلبها الى مجيد وأعطيه من المال ما يشتهى ويريد وان
احتج على وقال أنا ما أزوج بنتى لمن فضحنى بين الملا سقت الجميع بالسيف نهبا وآخذها منه غصبا
فقال ما زن ايش هذا الكلام أيها الفارس الضرغام فان أردت تسير بنا فى هذا الظلام ونضع فى قومها
الحسام وننسط فى الربا والآكام ونأخذها من قومها غصبا فقال مقرى الوحش يا فارس الشدائد
والله ان هذا الرأى فاسد يسر العدو والحاسد فقال عنتر وكيف ذلك يا فارس النياق فقال ان القوم
فى جوار الملك قيس وهم تحت زمامه وأقاموا فى خيامه وأكلوا من طعامه وسار بينهم وبينه زمام فان
تعدينا عليهم تتفرق العشيرة أحزاب فى هذه الايام ونرجع الى المنهاج الاول يا ابن الكرام والصواب
انا نركب الى حضرة ملكنا ونسلم عليه ونقدم مجيدا بين يديه ونتركه يقبل يديه ويعتذر اليه ولا نزال
نلاطفه فى زواج أسما ونطلب منه المعونه على ذلك الحال فان أجاب فقد هانت الامور من غير غبن وان
أبى فافعلوا ما تريدون فقال عنتر وحق الملك الديان الذى خلق الانس والجان اذا لم يفعل معنا ذلك
لأهجمنهم من الاوطان وأقلع من بنى عبس الاثر على آخر الزمان وآخذ أسما اذا أردت فقال مقرى
الوحش ان هذا الامر محسوب عليك فافعل ما يعود نفعه عليك فقبل عنتر مقاله ونظر فى عواقب
أفعاله وأحواله فركب فى الحال وأخذ مجيدا معه بين رجاله وسار وقد طيب قلبه بالكلام ثم انهم
ساروا الى الملك قيس ووقفوا خارج الخيام حتى يخرج ويبدأ بالسلام وما زالوا على الخيل قيام حتى
ركب الملك قيس ودارت اخوته من حوله فتقدم عنتر حتى سار بين يديه وأمر مجيدا ان يقبل الركاب
مع قدميه فتقدم اليه وترجل وقبل الارض واعتذر اليه وبكى واعترف بالخطأ وما فعل من الذل
هذا وعنتر قد زادت به الاشجان وقال يا ملك الزمان انى قد سمعت انك قد أبحت دم ابن أخيك
للعربان وجعلته هدرا لبنى البشر أولاد الزوان وأنا وحق الملك لو تعرض أحد من الناس لقطعت
رأسه بهذا السيف وخمدت منه الانفاس وأنا أعلم انك ما ازددت عليه غضب الا لاجل الفعل الاصهب
وقد قطعت ما بينك وبينه من النسب من أجل هذا السبب ونسيت مكارم أبيه مالك وما كان له من
الوداد وهدرت دمه لقوم أرزال وما جبرت يتمه بحال من الاحوال فقال قيس والله يا فارس عدنان
أنا ما هدرت دمه لاجل الفعل الاصهب ولا فاهت به هذا اللسان الا لاجل ما تعرض بجيرانى واستصغر
بين الملا شأنى وهتك حرمة جارى وفضح زمامى وحط بين الملا مقامى وما زال يطرق ديار القوم حتى
بعدوا عنا ورحلوا من جوارى وساروا فى البرارى ورحلوا عنا وهم غير شاكرين بعد ما أتى أبوها الى
عندى هو وقومه أجمعين وشكى الى من الضيم الذى نزل عليه وما كان يكلمنى الا والدموع تتناثر من
عينيه لانه فضحه فى ابنته وخرق حرمته بين قومه وعشيرته فلما صح عندى هذا الشان هان على حتى
لا يعايرونى بنقص الزمام العربان ويتكلموا فى القوم اللئام فقال عنتر يا ملك اذا كان أبو أسما قد أتى
اليك وشكى ما فعل بابنته ابن أخيك فلم لا خطبتها له وجبرت قلبه وزلت غرامه وكربه وزوجته
بها ولا يبقى عتاب ولا كلام ولا كنت تركته يقاسى الجوى والغرام فقال قيس والله يا عنتر هذا ما
شئ لم يخطر لى على بال ولا قدرت أن أفعله من حياى ولا يمكننى أن أجاوب الرجل بهذا الجواب وهو
قد أتى يطلب لابنته الستر والحجاب فقال عنتر ان كنت ما تفعل ذلك فأنا أفعله ولا أخليه يموت بعلته

وأريدك أن تبسط لى العذر فى هذا المرام من غير احتجاج ولا تنسبنى الى اللجاج لان هذا أمر ما أقدر
أهمله ولا بدلى ما أفعله ولا أخليه بموت جوى وغرام وأنا قادر على طعن الرمح وضرب الحسام قال
فلما سمع قيس من عنتر علم انه متى لاجمه يطير بينهم الحرب والخصام فصبر الملك قيس وقال يا عنتر والله
ما يدخل أحد معك فى هذا الامر لانك توليت أمره من الاول وأنت أيضا تتولاه فى الآخر وأحسن
فى أمره التدبير ولا يعارضك منا أحد لا صغير ولا كبير ثم انهم سارو الى حول مراعيهم الى أن حمى
عليهم الحر والهجير وعادوا الى المضارب والخيام وعاد مجيد وبنى الاعمام وقد طيب قلب مجيد
بالكلام وأوعده بزواج أسما وبلوغ المرام وأعلمه انها قد حصلت له وزال عنه العنا وبشره ببلوغ
المنا هذا وعنتر يقول لمقرى الوحش كيف يكون فى هذا الامر العسير فقال مقرى الوحش يا فارس
عدنان تقيم أنت فى الاوطان وأمضى أنا وأخوك مازن ونوفل وندخل على أبو أسما ونخطب منه
ابنته ونبالغ فى اكرامه بعد ما أقول له يا شيخ العرب الكرام ان الملك قيس قد شق عليه بعدك فى هذه
البلاد والبرارى والاكام وقد خاف من معيرة العرب له بفسيخ الزمام وقد رضى على ابن أخيه فى
هذه الايام بعد ما كان عازما أن يسقيه كأس الحمام ولكن استخبره وعنتر وراوا كل ما قيل عليه
زور وغدر وقد أنفذنى اليك رسول وخاطب وجعلنى فى هذا الامر له نائب حتى يصير بينك وبينه صلة
ونسب ونعود الى ديارنا والاوطان ونبقى لنا من جملة الاخوان وتعلوا على أعدائك بهذا الشان
وتأمن من نوائب الايام والازمان ولا ترجع الا ببلوغ الآمال وقضاء الاشغال ولا تسير أنت ولا
مجيد معنا بما تريدوا الرجل لجاج ويقع بيننا القيل والقال ولا يؤلنا الا الوبال لان الرجل فى
زمام الملك قيس وفى حمايته وهذا الذى أقوله أصوب ورأيك أنت بعد هذا أوجب فقال عنتر ما فى
هذا بأس ولا يلزمه أحد من الناس ثم انهم نزلوا فى الخيام وأرسلوا الى نوفل أعلموه بما دار بينهم من
الكلام وما عزموا عليه من الاحكام قال فلما سمع نوفل أجاب وأتى اليهم فى المضارب والقباب ودخل
عليهم وسلم فاعلمه عنتر بما قال مقرى الوحش وما به تكلم فقال نوفل والله نعم الرأى يا فارس الاعراب
قال ولما كان عند الصباح عزل عنتر خمسين ناقة من النوق العصافير وعشر مهاره مزينة بثياب الحرير
وسيوف ورماح وعقود من الجوهر تقوم بمال كثير وسلم الجميع الى نوفل ومقرى الوحش وسير معهم
أخاه مازن فى جماعة من الفرسان وقال اعلم انك اذا وصلت الى أبى أسما سلم هذه النوق والهدايا
اليه وسلم بعد ذلك عليه وقل له يقطع مهر ابنته بما ينتهى من النوق والجمال والمهارى ويطلب بعد
ذلك من المال ما أراد ولا ترجع من عنده الا ببلوغ المراد فقال نوفل ما لنا الا نجتهد فى هذه الامر
يا فارس الطراد ثم انهم سارو اوالعبيد بين أيديهم تسوق المهارى والجمال وهم خلفهم يقطعون
التلال حتى وصلوا الى أبى أسما فوجدوا الديار قفار ما فيها ديار ولا من ينفخ النار فانبهر نوفل
وحار وقال والله خاب تدبيرنا واشكلت أمورنا وها قد رحلت القوم من هذا المكان وطلبوا
منازلهم والاوطان ثم انهم فتشوا عليهم فى تلك القيعان فلم يروا لهم أثر ولا وقعوا لهم على خبر فقال
مقرى الوحش لنوفل ما الذى تفعل نقيم هاهنا وأنت تعود الى الاوطان فقال يا فارس غسان ايش
بقى لنا من العمل فى تلك الاوطان نسير ونحن ثلاث فوارس خلف بنى بشر الى بلاد وما ندرى
ما الذى طرقهم من حوادث الزمن فقال لا وحق الملك الديان بل نقيم هاهنا الى وقت السحر
ونعود الى الاوطان ونخبر عنتر بذلك الخبر فهو أخبر منا بهذا التدبير وينظر ما ذا به علينا يشير فقال
مقرى الوحش والله يا فتيان لو كان عنتر معنا لتبعناهم الى بلاد اليمن وما كنا نعود الا ببلوغ الآمال
فلما ان سمع نوفل ذلك المقال قال له هذا الامر قد مضى وفات لكن انزلوا بنا فى هذا المكان الى وقت

السحر ونعود الى الاوطان ثم انهم نزلوا فى ذلك البر الاقفر وقاموا فيه يتحدثون الى وقت السحر وقد عادوا يطلبون المجى على الاثر وما فيهم الا من يتحدث فى مجيد وما يجرى على قلبه من الهم والغم اذا انه يسمع بهذه الاخبار وما زالوا يقطعون الارض والوهاد الى أن وصلوا الى العلم السعدى وقد دخلوا على عنتر فلما ان رآهم عنتر ونظر الى سرعة تلك العوده فقام هائما على قدميه وتلقاهم أحسن ملتقى وسلم عليهم وهيأهم وفرح بقدومهم ثم انه حار فى ذلك وانبهر وقال لهم ايش هذا الامر والحال أليس خبر يار جال فقالوا له يا عنتر ما تم شئ من الخير فقال لهم حدثونى بما جرى لكم وما تم لكم فأخبروه بالحال وقالوا اعلم انا لما سرنا من عندك الى منازل أبى أسما فما رأينا فيها غير البوم ولا نظرنا هناك ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) فلما ان سمع عنتر منهم ذلك الكلام زاد به الوجد والغرام وقد توجع لاجل مجيد وزادت به الآلام وقال والله ما هذا الامر المزاق وانا خائف على مجيد أن يهلك من وجع الغرام والفراق فقال مقرى الوحش أقول ان أبا اسما ما طلب منازله والديار وما سار الا الى البيت الحرام ولا يسير الى أوطانه لانى قد سمعت طرفا من حديثه انه قد نشأ عندهم غلام وهو أسمر اللون لكنه بطل همام وليث قمقام وقد قيل لى عنه انه يسمى ميسرة ابن الغريب وهو فارس درغام وكان يحب أسما كما استهام وقد خطبها من أبيها فلم يجبه الى ما طلب لانه عبد معلول النسب فأخذها أبوها وهرب بها وقد أتى الى أرضنا واحتمى بديارنا واقول انه بلى بها مجيد ورآها وقد تعرض لها فخاف من عاقبته فعند ذلك أخذها وقد رحل بها من أرضنا وسار الى البيت الحرام حتى يحتمى به و يأمن عليها منه ومن غيره من سائر الانام فقال عنتر يا نوفل وحق مسير الغمام وصاحب البيت الحرام و زمزم والمقام والركن بالتمام لو سار بها الى ظهر الفلك الدوار لاسيرن خلفه ولآخذها منه على رغم أنفه نخذوا اهبتكم الى وقت الصباح واعتدمن قومه ورجاله الى المسير خلفه والرواح فأجابوه الى ذلك فبلغ الخبر الى مجيد برحيل أبى أسما فهام وقد امتنع من الشراب والطعام ولا آتاه هنا ولا منام وصار حزينا باكيا مستهام واما ان أظلم الظلام ونشر على الخافقين أجنحة الغياهب وقد أرخا ستوره على المشارق والمغارب ورقدت أهل الحى فى خيامهم الا مقرى الوحش فانه قد بات يتحدث مع زوجته مسيكه وولده سبيع اليمن و يتمتع بنظره اليهما و يشبع من محادثتهما قبل الرحيل ثم انه اراد بعد ذلك أن يهجع قليل فما أتاه منام وما زال كذلك الى أن عبر عليه نصف الليل فعول أن ينام واذا قد دخل عليه شيبوب أخو عنتر وقال له يا أمير أجب أخى عنتر فانه يدعوك اليه لشغل مهم فتعجب مقرى الوحش من ذلك وقام معه وقال يا ترى ما الشغل الذى عرض لاخيك فقال له شيبوب والله لا أدرى لانى ما سألته عن ذلك فسار مقرى الوحش الى خيام عنتر ودخل عليه فرآه جالس والنار تضرم بين يديه فدنا منه وسلم عليه وجلس الى جانبه وقال له ما الخبر يا أبا الفوارس فقد أشغلت قلبى بدعوتك فى مثل هذا الوقت وانى فى ليلتى هذه ما نمت الى وقتى هذا فقال له عنتر بل أنا نمت من أوله الى هذا الوقت و بعد ذلك قلقت لاجل منام رأيته وعجب أبصرته ومنه قد فزعت وطار نومى من بصرى فدعوتك لاجل أستانس بك فقال له مقرى الوحش ما رأيت يا أبا الفوارس لكن قص على ما رأيت فى الكرى فقال له عنتر انى قد نمت وأنا مشغول القلب على مجيد ضيق الصدر فرأيت فى منامى ولذيذ أحلامى كأن القمر قد طلع من الشمال واستدار وطال فقبضت أنا عليه وأردت أن أرده الى مطلعه وقراره فأحرقنى شعاعه وأنواره فرددته الى يدالميمنى وقلبى خائف حزين واذا به قد صار نصل سيف يلمع مثل البرق اذا أضاء و برق فضربت به سواد الغسق واذا بالصباح قد طلع وأشرق وذهب الظلام وتفرق ثم انى انتبهت

من

من منامي وأنا مرعوب شديد القلق وقد أخذني من ذلك السهاد والارق وقد طرقتني طوارق
الفكر وانى أريد منك أن تعينني على تفسير هذا المنام ان كنت تعلم ان التفسير لك فيه خبرة وأحكام
فعند ذلك قال مقرى الوحش وقد أخذه الانذهال من هذا المقال يا أبا الفوارس ما يقدر يعبر هذا
المنام الا علماء البيت الحرام لانه منام محير ذوى الافهام واعلم ان هذا المنام يتجدد لك منه سعادة
ورتبة ورفعة وزيادة لان تأويل السيف والبدر يدل على ولد ذكر هكذا قالت علماء التفسير
وقد سمعت منهم ذلك فقال له عنتر يا ابن العم ما قصرت فيما قد ذكرت ولقد خفيت عنى ما به قد أشرت
وأقول اننا ما نرجع من حاجة مجيد الا بعد بلوغ المنا وبعد هذا القلق والتذكار ما بقى يأخذني هدو
ولا قرار ولا بد لى من المسير قبل طلوع النهار فعد الى خيامك وشد على جوادك واركب ودعنا نسير
ونقطع الارض تحت هذا الغيهب فان خاطرى بعد هذه الامور قد اشتغل ونفسى تحدثنى بأشياء
ما لها محتمل ثم انه بعد ذلك انفذ شيبوب الى عروة بن الورد ورجاله وقد نادى بأخيه مازن مخضر
فأمره أن يشد جواده ثم انه لبس آلة حربه وجلاده فسار وقد فعل ما أمره به أخوه عنتر وأما عنتر فانه
قد ودع عبلة وقال لشيبوب شد لى الابجر فشده وقد أتى به اليه فركب وقد سار وخرج الى ساحة القفار
وفى دون ساعة تلاحقت به الخيل وقد سار وا فى ظلام الليل فعند ذلك سأل عروة عنترعن مسيره
فى الظلام فقال عنتر نحن سائرين فى حاجة مجيد ثم انه بعد ذلك حدثه بالمنام الذى رآه فى السكرى
وأعلمه ان فى قلبه من أجل مجيد النار التى لا تطفى واللهيب الذى لا يخفى فتعجب عروة من قصته
وحار من عظم همته وما زالوا على مثل ذلك وهم سائرين حتى انهم وصلوا الى المنازل التى كانت فيها
أسما هى وأهلها وكان الوقت ضحوة النهار ومن هناك صار يهم شيبوب على الآثار الى ان وصلوا
الى منزل يقال له علم الناظر واذا هم ينظرون الى غبار تأثر ملم الاطراف وكان عهدهم خالى من
السكان فوجدوا آثار حروب وأمور تدل على نزال وقتال ووقائع ورجال مطروحين على الرمال
فعند ذلك سار وا اليهم ولما ان قاربوا منهم وتبينوهم فهالهم أمرهم لما ان أبصروهم وقد تقدموا
اليهم وحققوهم واذا هم من بنى بشر بن جهينة ورجال أبى أسما ملقحين قتلى فقال عنتر يا ترى
ما كان من أمرهم وما الذى جرى لهم فقال نوفل والله خابت سفرتنا وضاع تعبنا ومابنا الا ابن أخى
مجيد وكيف يكون العمل وان عدنا ونحن خائبين يموت بلا أجل فقال عنتر لا وحق من أمر الغيث
فينزل وخالف بين السهل والجبل لاعدت من سفرتى هذه خائب ولو أمطرت علينا النوائب سير
الآن بنا يا شيبوب على هذه الطريق الذى كثر فيها وطى الحوافر ولا تخاف ما بين يديك من
العساكر لان سيوفنا معده قد اشتكت الظما وأسنة الرماح لها مدة ما تخضبت بالدما وبعد ذلك
قد سار بهم شيبوب وقد سارت الخيل على أثره وهم فى سبعين فارس لكنهم فرسان تخافهم الجن
والاباليس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من أبى أسما وما كان
منه وقومه فانه كان لهم حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه كان السبب فى خروجهم من
ديارهم ونزولهم على بنى عبس كان أصله من الذى خطبها من أبيها كما ذكرنا وقد أبى أبوها أن يزوجه
بها وأراد أن يأخذها منه غصبا وهو الذى قد هجم على أوطانهم وأذلهم وأهانك فرسانهم وقد
ذكرنا ان هذا الفارس لم يكن فى أرض القوم ولا بينهم وبينه نسب ولا معاملة ولا حسب وانما
كان قد التجأ اليهم وهو صبى وقد نشأ عندهم فى الابيات وقد ربى وقد قتل مولاه فى بعض الغزوات
وبقيت أمه تخدم فى بيوت العرب وهى تربى هذا الفارس الرئبال الى أن اشتد عصبه وعقل وبلغ
مبالغ الصبيان فرأى أمه وهى تطحن بالليل وتتبعه بالنهار وتميزه على نفسها وتحن عليه بما ملكت

يدها الى أن نشأ وسار مع الاولاد الكبار يرعى الجمال ويركب الخيل فى البرارى الخوال وبساعد أمه على النوائب واذا خلا وحده تحدثه نفسه بكل أمر صعب الاخطار ونفسه تطلب منه العلو والافتخار وصار يركب على ظهور الخيل العتاق ويطردها حتى يبل لبانها بالاعراق ويتقلب على ظهورها ويقسمها ما اكب وشرب ويطعن الاشجار بأصول القضيب ويخطر فى الفلا وحده ويفتخر على أبناء جنسه حتى انه تمهر وسار له من الشجاعة أشياء لم تخطر لأحد على بال ولا حساب لان السعادة اذا خدمت انسان هونت عليه الامور الصعاب الا انه مازال على مثل ذلك الحال حتى هانت عليه سائر الاهوال وخفت عليه الاثقال وقد سار يبيت أكثر الليالى على المناهل والغدران ويقبض الوحوش التى يأتى وترد الماء وفى النهار يقصد السباسب والغابات ويخاطر بنفسه مع السباع فى تلك الفلوات ويصطادها ويقودها الى الاحياء كما تقاد الفهود والغزلان ثم ينحرها ويأكل لحومها ويفرق منها على الفرسان واذا غزتهم فرسان القبائل فى النهار أو فى الليل فيقول بالله عليكم يا موالى لا يتعب أحد منكم نفسه فى قتال ويصبر حتى يرى منى ما يسره ويشرح صدره فى الحرب والنزال ثم انه يحمل على الفرسان ويشتتها فى القيعان واذا تكاثرت عليه القبائل فيردها قهرا بالرماح الدوابل وكان أهل الحلة يقومون له ويحفظونها له الى حين يفرغ من قتالها ويدفعوها له فيأبى أن يأخذها ويأمرهم بأخذها والركوب عليها يوم الطراد وفى مقام الحرب والجلاد لانه من وقت نشأ فارس الشجعان وأخبرها فى الميدان فهانت عنده مقاومة الفرسان وكان مع هذه الفروسية والشجاعة كريم المحيا ضحوك السن وكان قد لجأ به مقدم العشيره الامير سابق بن عقال وسار يتقوى به على الاعداء ويحكمه فى أمواله ويفضله على سائر أهله ورجاله ولما صارت له تلك المنزله وعلا قدره وقد بلغ من دون الفرسان أعلى المراتب وصار له ذلك العز والشان على مقاومة الفرسان فأصاب مقابل سعادته هم القضا وغربة الزمان الذى مازال بأهله غادر وخوان فسلط عليه الغرام وأشغله بحب أسما البشريه وأشغلته عن المكسب والمعاش بالكليه وقد ضل عقله بها وطاش وأخذه الكسل والاندهاش ومن شدة ما جرى عليه أنفد الى أبيها وخطبها من عمته وقد سار يتخضع له ليميل قلبه اليه ويقول له على لسان الخاطب يا مولاى اعلم انى فيك راغب وأنا لبنتك خاطب وانك لا تمنعنى بالزواج حتى تطلب منى المهر وجميع الصداق ما يحتاج وأرغب فيمن هو فيك راغب واطلب ما تعجز عنه فرسان العرب وابشر بنيل المنا والارب واتركنى لك من جملة العبيد حتى أبلغك جميع ما تريد (قال الراوى) فلما سمع خداش هذا المقال والكلام اغتاظ غيظا شديد وحضرت نفسه عنده وقال للرسول والله لقد نفخ الشيطان فى معاطيس ميسره الضعيف النسب والحسب ونسى ما كان فيه من اليتم ورعى الجمال الذى للعرب ولكن أنا أقسم بالذى يعلم مواقع الاسما الذى جعل الليل والنهار رسما لو ساق الى كل ما تحت السما ما مكنته من النظر الى ابنتى أسما ولا زوجته من عندى ببعض الاما على انى ما أدرى كيف خطر له هذا الخاطر وكيف ساقته المنايا الى المهالك مع قلة نسبه وسواد الحالك ثم انه رد الخاطب من عنده وهو خائب (قال الراوى) فلما سمع ميسرة ذلك الكلام الذى أمر من ضرب الحسام صار يشكو حاله الى محبيه وهو يحدثهم بما جرى له وما هو فيه ومازال الامر كذلك حتى زاد الخبر وشاع وتحدثوا فيه أهل القبيله على السماع وكانت هذه الاخبار اذا وصلت الى أبى أسما يذوب جسده ويزداد هما وغما ومن شدة غيرته على ابنته شكى حاله الى الامير سابق مقدم العشيره وقال له والله يا أمير ما بقى لنا فى هذه الديار مقام ما دام قد ترك ميسره لابنتى حديث وكلام على انه لولا تقربك اليه ما كان قد طمع فى ابنتى فقال سابق

يا

ياخداش ولم تفتز بسيفه وتزوجه بابنتك لانك ماتجد رجلا مثله يقاومه فى الفروسيه ولا فى الكر ولا فى كثرة الحياء والحشم فقال خداش يا أمير كيف أزوج بمن خالف لونه أمه وأبيه وصفات العبيد فيه فقال سابق ياخداش هذا الامر لا يعلم به الا رب الارض والسما الذى يخلق الضيا من الظلام والذكر من الانثى وخالف بين الالوان والاصناف شتى فان كنت أنت تخاف أن يكون فيه خصلة العبيد فهذا والله منه بعيد وأنا أشهد له بطيبة الاصل وأناديه بابن العم حتى ترضى ويزول ما بقلبك له من البغضا (قال الراوى) فلما سمع خداش هذا الكلام من سابق حار فى أمره والتجم بلجام وعلم ان أهل الحى يكونوا أعوانا عليه وان ابنته تخرج من بين يديه وان هو رحل يرده ميسره غصبا ويشبعه طعنا وضربا ويأخذ منه ابنته غصبا فما كان منه الا المداراه وقد عوّل على أمر يفعله سوف نذكره فى مكانه ونوضح للسامعين بيانه ولما ان خطر له هذا الخاطر فقال لسابق يا أمير ان كنت رضيت ميسره أن يكون من بنى عمك فأنا أطيع أمرك ولا أخالفك حتى يكون لى سيفا على الاعداء وكل من طلبنى من الفرسان أسقه كاس الردا والآن خذ لى منه الصداق وشارطه على المهر بالاتفاق وأريد منه ثلثمائة ناقه من نوق صاحب الارض السوده وجمل الدخان ويكونوا زرق الاعين كحل الالوان لانى أعرف انها ما توجد فى سائر البلدان الا أن تكن عند رجل يقال له عنتر بن شداد وقد سمعنا بهذا الحديث من الوارد وبعد ذلك يكون لابنتى عرس أحسن من يوم الاعياد اذا هى تزينت يوم الزفاف بثياب الديباج الملوّيات بأحسن الالوان وتركب الناس فى الفرح والسرور ويأتوا الينا من كل ناحية ومكان (قال الراوى) فلما سمع سابق هذا الحديث قال له ابشر يا ابن العم بكل ما تريد وذكرت ويأتيك أكثر مما طلبت واعلم انك قد ملكت رجلا لا يقاس بالرجال وبطلا ما يقاس بالابطال ولا مثله فى الشجعان والفرسان ثم انهم بعد ذلك انفصلوا على مثل هذا الحال وكان قد أمسى المساء وقد بلغ هذا الحديث لكل من فى الحى من الرجال والنساء وسمع ميسره بأن المقدم سابق تكلم فى أمره والحال أنجزه وقد شرط عليه ولا استعجزه فعندها اتسع صدره وانشرح وداخله السرور والفرح لانه كان قد حقد على أبى أسما لما ردّه عنها وسمع عنه ذلك الكلام الذى كان عليه أصعب من ضرب الحسام وكان عوّل فى نفسه أن يقتله الا انه لما سمع هذه الاخبار فرح واستبشر به غاية الاستبشار فلما كان عند الصباح ادعى بجواد وفى الحال ركبه وسار الى خدمة الامير سابق فلما وصل الى عنده دعى له وشكره على أعماله واستعاد منه الحديث فأعلمه الامير بما طلب من نوق جمل الدخان والمال فظن ميسره ان قلب أبى أسما لمحمنه قد انقلب فقال له ميسره والله يا مولاى لاسوقن اليه كل ما طلب وأجلب جميع أموال العرب ثم انه أقام بعد ذلك الكلام ثلاثة أيام وأخذ معه محبيه مائة فارس تمام وسار يطلب جمل الدخان فأراد مقدم العشيره أن ينفذ معه الفرسان فقال لا وحق المالك الديان ولولا خوفى أن تقول الناس من الشجعان والفرسان المعروفه الآن بالفروسيه والطعان أن ميسره قد أعجب بنفسه واستحقر الابطال عند القتال بغدرعيه الجمال والا ما كنت أسير الى هذا المكان الا وحدى وألقى فرسان جمل الدخان ولو كانوا فى عدد الرمال ولو رميت بسهام المنايا وطوارق الحدثان وما يأتى فى الزمان من الرزايا والآلام فتعجب سابق من مقاله وقوة قلبه وعظم اهتمامه وقد علم انه كفؤ الى مقاله ثم انه ودعه ومن كان حاضرا من القبيله وكان أبو أسما حاضرا فودعه واعتذر اليه من فعله معه وقبله بين عينيه وقد بسط عذره بين يديه فقال له ميسره والله يا مولاى ما على من ذلك الكلام شئ ولو أنك طردتنى وشهتنى بكل وشاح وذلك الامر يجرى على كل من طلب البنات من أولاد السادات

العربيات وكل من أراد ذلك يصبر على النائبات لان البدور غواليات المهور والشموس لا تغلى
بالنفوس ثم انه ودعه وسار وفي قلبه مثل النار وقد زاد به الوجد والافتكار وقد سار مع أصحابه الا
أن قلبه فرحان وقد كان أبو أسما بلغ المراد منهم لما أراد وقال انه ما بقي يعود الى البلاد لانه ما فعل معه
تلك الفعال الا مكرمنه واحتيال حتى انه اذا رحل بابنته لا يكون له من يعيقه عن مراده وطلبته
وقد أعلم أصحابه وأقاربه وقال لهم لا يتبعني أحد منكم الآن يكون بارادته (قال الراوي) ثم انهم
أجابوه على ما يريد الا أن أبا أسما ما أقام بعد ميسرة الا أياما قلائل وقد شكى الى مقدم الحلة قله
المراعي والماء فقال له اعلم ان المراعي حوالينا كثيرة فاختر لك مكانا يكون كثير المراعي وأنزل
فيه فعند ذلك رحل بعشيرته ومن يعز عليه من أقاربه وحميته فكان رحيله بأمر مقدم الحلة وكان
رحل معه من الشجعان خمسون فارس لانهم كانوا يقربوا اليه ويعزوا عليه وكانوا من جملة المبغضين
لميسره فساروا بأموالهم وظعنهم لان أكثرهم اغتاظوا من سابق سيد القبيلة لما ان ألحق ميسره
بالنسب وأدخله في الحسب وما هو منهم وكانوا من جملة الفرسان المعدودين من العرب وقد كان
يتقوى بهم الامير خداش على الامور التي تأتي اليه فرحلوا معه وهو لا يصدق بالبعد من تلك
الديار والانتزاح عن السكان التي في تلك الاوطان وقد اطمأن قلبه بمصاحبة هؤلاء الفرسان لانه
كان أخبرهم انه ما أبعد ميسره الا خوفا من شره فاستحسنوا تدبيره وعجبوا من غيرته على ابنته وعظم
نخوته وان ذلك يحق له لانها كانت تفتن العباد بما قد أعطيت من الحسن والجمال والكمال
والبهاء والدلال والقد والاعتدال وكان لها وجه أضوأ من الهلال فهي ظبية القناص ودرة
الغواص ولما ان أبعدوا من أرضهم قالوا لخداش الى أين قد عولت تجعل مقامنا رمستقرنا فقال
لهم يا بني عمي الى أرض الحجاز نستجير ببعض القبائل المنيعة العزيزة الجوار فلعلهم يجيرونا من
هذا العبد الاسود ولد الزنا ونترك مقدمنا سابق ان عاد ميسره يأخذ ما يأتي به معه ويزوجه ابنته
أو بعض أهله ويلحقه بنسبه ويعتز بسيفه فهو أحق به من غيره وان لم نجد في أرض الحجاز من يجيرنا
ويحمينا والا طلبنا مكة المشرفة واقمنا في ظل الشيخ عبد المطلب واسترحنا من سائر القبائل فقالوا
افعل ما بدا لك فنحن مستمعين الى مقالك وتابعين لفعالك لان حماية الحريم والنساء أحب الينا من
الديار والاوطان ومن معاشرة الاهل والخلان ثم انهم لم يزالوا مجدين وهم سائرون الليل والنهار
يقطعون البراري والقفار الى أن وصلوا الى ديار بني عبس وكان عبورهم عند طلوع الشمس فرآهم
الملك قيس وهم سائرون كما ذكرنا فسأل عنهم فأخبروه بانهم مستجيرين فأنزلهم في دياره وقد أمرهم
بجواره فنزلوا في الوادي كما قدمنا وجرى لمجيد ما جرى لما عشق أسما وفي الآخر علم ان ابنته بانت مع
مجيد على الغدير وان نوفل قد أتى الى مضاربه في زي النسوان وبات مكان ابنته عندهم في الخيام وقد
شاع هذا الخبر في الحي فلما سمع أبو أسما بذلك اشتعلت في قلبه النيران وكاد أن يهلك من كثرة الهم
وقد عول على قتل ابنته في هذه الديار فتفكر في العواقب وقال ان قتلتها في تلك المكان وعلم مجيد
بذلك فيدبر في هلاكي ويقتلني وكان يساعده عنتر بن شداد ولا ينفعني قيس ولا أحد من العباد
ثم انه قال مالي الا أن أقصد البيت الحرام واجعل مقامي هناك عند الآلهة والاصنام وأهلك بعد
ذلك اسماها هناك في بعض الليالي ولا أطلع أحدا على حالي ويذهب همها عن بالي وأقيم هناك بقية
زماني لانني قد هجرت الديار خوفا من العار ثم انه كتم قصته وقد شكى حاله الى أرباب العقول من
أهل عشيرته وأخبرهم انه عول أن يرحل من هذه الديار وان يجعل مقامه في مكة المشرفة والبيت الحرام
ويجاور الشيخ عبد المطلب بن هاشم ويقيم في أمان هو وحريمه من تعاريف الزمان وجوره فأجابوه

الى

الى ذلك وقد اتبعوا رأيه ثم انه شاور ابنته أسما فلم يمكنها مخالفته فرحل وقد رحل معه قومه وأهله وما زالوا يجدون المسير الى ان وصلوا الى علم الناظر والتل الرمل الذى قد ذكرناه وكان هذا المكان منزلا مذكورا من منازل العرب وهو كثير الماء والمرعى فنزلوا فيه وسرحوا أموالهم وعلا صياحهم وقد عولوا على المقام هناك مدة ثلاثة أيام وقد طاب لهم المقام وسرحوا مواشيهم والانعام ولما كان فى الليلة الرابعة طلع عليهم عشرة أبطال وخمسة رجال طوال بأيديهم الحرب والنبال وهم أخف من ريح الشمال وفى أوائلهم فارس عظيم وبطل جسيم أسمر اللون غميق السمرة هائل المنظر يرجف القلب من هيبته ويحير الناظر من عظم خلقته وتحته جواد يذهب الارض انتهاب وهو معتدل القوام فى الطول والعرض لا يمل فى الطلب اذا جرى لا يتعب ولا يبعد عليه مطلب بيده رمح غليظ أسمر لمعان سنانه يأخذ بالبصر وعلى عاتقه سيف طويل الحمائل محلى القوائم فيه للضرب آثار وعلائم (قال الراوى) وكان هذا الفارس هو ميسرة بن مرزوق الذى مضى لنا ذكره أسما لانه كان وصل الى الارض السودا وجبل الدخان وعاد الى أهله بعد تلك المدة التى أخذ فيها أبو أسما ابنته وقومه وسار بهم الى بنى عبس ومسيره من تلك الارض والديار طالب البيت الحرام وكان ميسرة قد عمل بأهل الارض السودا عمل تقصر عنه الجبابرة ويبقى ذكره بها ما دامت الايام متواترة لانه قد أخرب تلك الديار وأقفرها من سكانها وأخفى أبطالها وشجعانها وقد غار على بنى رياح وبنى السباح وبنى وشاح وقتل فارس جبل الدخان شداح الذى كانت العرب تسميه ذيب البطاح وكان أبو أسما قد طلب مهر ابنته ثلثمائة ناقة كما ذكرنا زرق العيون دهم الالوان فعاد ميسرة وقومه ومعه منهم الف ناقة غير الفحول والاموال والخيول لكن قتل من أصحابه الذين صار واصحبته أربعون فارسا من عشرين فارس وجرح تمام الثلاثين ورجعت بقية أصحابه سالمين (قال الراوى) ثم انه بلغنى بعد عودته انه ارتجز هذه الابيات يقول

أسمعانى وقع السيوف الحدادى * وصرير الارماح فى الاجساد
وأسقيانى دما الفوارس صرفا * بين بيض الظبا وسمر الصعاد
واتركانى ذكر الحان صب * ومغانى هند وربع سعاد
ما افتخار الفتى بكاسات خمر * دائرات فى ظل كرم وواد
انما الفخر ضربه لشجاع * يوم حرب أوطعنة فى فؤاد
ليت انى أسمو ببرق حسام * خاطفا فى غبار ركض الجياد
وسنانى مثل السهام اذا انقض من أعالى السبع الطباق الشداد
وجوادى يخب فى الدم خبا * ويغدى على بطون الاعادى
قد تفردت بالشجاعة وحدى * وخدمنى الزمان بعد العناد
وبلغت العلا بسعدى ومجدى * بعد قتل الآبائى والاجداد
ياسباع القفار لا تنكرينى * والحقى الفارس الطويل النجاد
عزماتى أشد من نائبات * تأتى الدهر والطلا والاياد
واذا كنت فى الفلا وحيدا * ففراشى درعى وسيفى وساد
فارس فى الزمان فى طول عمرى * ساهرا لا أذوق طعم الرقاد
وطلبت الامان أرسلت اليه * خلعة بهجة كسيت من سواد

(قال الراوى) ثم انه جد فى المسير ورفقته متعجبون من فصاحته ويشكرون من شجاعته ولم يزالوا يجدون الى أن وصلوا الى الديار ودخل أبياته والدنيا لم تسعه من أفراحه ومسراته ومن يومه أعطى

رجاله اقسامهم من الغنيمة وقد عزل أن يسوق الباقي الى بيت أبي أسما فقالت له أمه اعلم ان خداش
قد صار ياولدي بابنته من هذه الاطلال لما خلت له الديار وانقطعت عنك الاخبار فلما سمع ذلك المقال
كادت روحه أن تذهق وقد غشي عليه عند المقال والسماع وقد غاب عن وجوده وقد علم ان خداش
رجل خبيث مخادع في قصته واشتعلت النار في قلبه وسائر جسده ومن شدة ما جرى عليه أتى الى عند
سابق مقدم العشيرة وقدم له من بعض الغنيمة فشكره وقد هناه بالسلامة وقد قال له يا مولاي أين
أبو أسما الذي اتفقنا واياه وأرسلني أن أحضر مهر ابنته فلما حضرت يا مولاي ما وجدته بهذه الاطلال
وقد رحل بظعنه وعياله وأصحابه وخلانه فقال سابق والله يا ميسره لقد أتعبت نفسك في خدمة من هو
أعز انسان وقضية الزمان وما أنفذك الى جبل الدخان وأبعدك عن هذا المكان الا حتى سار
بابنته في أمان لانه قد علم اننا كلنا نكون لك أنصار عليه وأعوان وما فينا من أطلع على ما في قلبه
فلعن الله بطنا وعاه ومن الشر لا وقاه ما أمكره وما أكثر دهاه فقال ميسره يا مولاي ما سمعت أين
نزل ولا أين استقر ولا عن قد استجار من العربان فقال له والله يا ولدي ما سمعت له خبرا صحيحا ولكن
قد ذكروا انهم وجدوه وهو طالب ارض الحجاز فدعه يذهب الى سقر وبئس المستقر ولكنه بمكره وبغيه
لا يرجع ولا يهجع ولكن اخطب أنت من شئت من بنات عمك فان الكل يحبوك ويتمنوك
وهم يشتموك فقال له ميسره يا مولاي وعلى هذا عولت ثم ان ميسره بعد ذلك قد عاد الى مضربه
وخيامه وهو لا يدري أين يضع أقدامه الا أن نفسه تحدثه بالمسير الى أرض الحجاز وقطع تلك المفاز
وقد خطر في نفسه انه يكبس عليه الحال التي قد نزل فيها أبو أسما ومازال الوسواس يحدثه ولا يأخذ
له قرار ثم انه صار في كل يوم يتردد الى منازل أسما ويتفهر ويبكي على آثارها ويتمرغ في مكان أبياتها
ومازال على مثل ذلك ثلاثة أيام فزاد به القلق والهيام فهام وقد زاد به البكا والانين على حاله وقد شكى
الى أصدقاه الذين كان يعتمد عليهم ويسألهم المسير معه فأجابه منهم عشرة فوارس على الخيول الضمر
وكان له من حول أبياته عبيد كانهم زبر الحديد يقفون بين يديه لخدمته اذا حضر ويحفظون أمه
وأمواله اذا هو سافر فاختار منهم خمسة عبيد مثل العقاب أو العقارب اذا تعرضت للقضاء والمقدور لا تخاف
من حذر ولا تهاب الموت اذا هو حضر كلهم يصطادون الوحوش على أرجلهم من البر ويقتلون
بالنبال والحراب قتالا زائد منكر فأخذهم معه في ذلك اليوم وسار وقد وافقوه أصدقاه وركبوا معه
الاخطار وكان ميسرة قد سار بهم آخر النهار وقصد نحو الحجاز وقد علموا مقصوده فساروا وقد قطعوا
معه البر الاقفر ونزلوا سائرين الى أن وصلوا الى علم الناظر ولما سار وا فيه فالتقوا بأبي أسما ورفقته
بعد ما جرى لهم ما جرى مع مجيد بن مالك وكانوا قد عزلوا على المسير الى مكه ويستجيروا بالبيت الحرام
ويقيمون هناك ويتخذوا لهم منزلا ومقام (قال الراوي) الا أن ميسره لما التقى بهم وعرفهم صاح
واوبحاه بعد ترحاه اليوم والله أقاتل من غدر بي ونافق علي وآخذ أسما بلا مهر ولا صداق ثم انه زعق
هو ومن معه من الرفاق وقد زجوا اليهم النبال والحراب فأصابت المقاتل والاصداق وقد تواثبوا الى
ظهور الخيل العتاق واستلموا عوامل الرماح الرقاق وكانوا خمسين فارس وأوفا من مائة عبد فانتجوا
لانفسهم وقد قاتلوا فقال بعضهم لبعض ويلكم تكونوا خمسين فارس من جهينه ونزل بكم عشر فوارس
لا قدرة لهم ولا قيمه دونكم واياهم وعجلوا فناهم واحصروهم واقتلوهم واعلموا انكم ان تهاونتم بهم
ساقوكم قدامهم مثل الابل بين يدي الرعاه فما لاح لهم وجه الحرب وأقبلت النفوس بالطعن
والضرب فصاح أبو أسما على أصحاب ميسره وقال لهم يا ويلكم يا بني عمي ايش بيننا وبينكم من
العداوه حتى تفعلوا بنا هذه الفعال لانكم تعلمون سبب رحيلي لاي وجه كان لاني خفت على ابنتي من

هذا

هذا الشيطان وما أردت أيضا ان تعينوا عبدا سودا لا قدرة له ولا قيمة وانه قد لحقني الى هذا المكان يريد
ابنة عمكم أسما وقصده يأخذها مسبية وان عارها يلزمكم ان كان لكم نخوة وحمية فأحموها ودعونا نقتل
هذا الولد الزنا ونعود الى بيتنا والا حيا الان هذا اذا قتل ماله من يأخذ بثاره ولا هو من بني عمنا نحمل
همه واعلموا ان ما فرق شملنا غيره فأعينونا عليه والا انتم انعزلوا عنه واتركونا نحن واياه حتى نفعل
أمره ونصرم عمره ونعود الى أهلنا فقالت أصحابه والله يا خداش هذا أمر ما نطاوعك عليه ولا ننصر
الظالم ولا نميل اليه لانك زوجته بابنتك أسما وأنفذته يأتيك بالمهر وقد أشهدتنا عليك وما يقمن
بعد ذلك نقدر نخليك لاننا قد علمنا منك الخيانة وما أنت أهل أمانة ولا بد لنا من نهب جسدك بالرماح
الدوابل جزاء ما تركت الحق واتبعت الباطل ثم انهم قد لزموا اللجاج وعزموا على الاختلاف والامتزاح
فردهم ميسرة من شدة ما جرى عليه من خداش وكلامه وقال لهم بالله عليكم لا تقطعوا ما بيننا من
النسب واتركوني أنا أرمي روحي معهم في ذلك الامر الصعب فان أنا قتلت فعودوا كلكم الى الديار وان
نصرت على غريمي ومن معه سقتهم الى أمير حينا يحكم في وفيهم كما يحب ويختار ثم انه اقسم عليهم بأجل
الاقسام انهم لا يعاونوه في القتال ولا في الصدام فأجابوه الى ما طلب من السؤال ثم انهم قد انعزلوا عنه
ذات اليمين وذات الشمال وقد علموا انه وحده يقضي الاشغال وقد حمل ميسره على فريق أبي أسما
وقد صرخ عند حملته صرخة أورثتهم الصداع والغم وقد سار أبو أسما يقول لقومه دونكم وهذا
الشيطان يا بني عمي لانه أوقع الخطا بيننا وبين أهلنا وهيجنا عن أوطاننا وفي دون ساعة تارعلى
الجميع القتام وقد أظلم البر وتار الغبار كأنه الغمام واشتد الجهد وزاد الانتقام وقد أطلقت عبيد
ميسره من حوله الاقدام وقد قصدوا بحرابهم مقاتل الرجال وقد سطى عليهم ميسره بفروسيته على
الابطال وكان قد قلع من على رمحه السنان وقد طلب بذلك الشان أن يبقى على من يقاتله من
الفرسان فسار يتجنب المقاتل والنحور ويطعن في الجوانب والظهور ويوهن الاضلاع بطعن غير
قاتل ويرمي الابطال من على الصافنات الاصايل ومازال على مثل ذلك حتى اتسع عليه المجال
وقد رأى أبا أسما يصرخ على الرجال فناداه لعن الله سبالك ومن المصائب لاقالك فما أقبح فعالك
وما أكثر محالك وقد تقدم اليه وفاجأه وطعنه طعنة خفيفة وصاح عليه وزعق فيه فأذهله وعن
جواده كركبه لان ميسره لما طعنه كانت الطعنة فوق انيه فالتقاها خداش بالدرقه وقد أراد أن
يسبح الرمح فسبقه ميسره بسرعة الجواد فوقع الرمح في وجهه أقلبه عن مركبه كما ذكرنا وكانت الطعنة
قد جاءت في عينه فأفسدها وكانت عينه الشمال وصار هو وأصحابه مطروحين على الرمال مثل
الاعدال وقد ساقوا العبيد والاموال الى رأس العلم ونزلت بمنزلة موالها فسمعت أسما صوت أبيها
وهو ممدود على عرصات القفار فبكت بالدموع الغزار فأراد ميسره أن يترجل ويطلع وراها على
رأس العلم فما مكنوه أصحابه من ذلك وقد قالوا له اعلم ان مقصودك قد حصل في يدك والرأي اننا
نرفق بهم ونردهم الى الديار ونصلح بينك وبين خداش ان كان في قيد الحياة ونسأله نحن ومقدمنا
سابق ونأخذ لك أسما بغير العناد وتبلغ ما تريد وأنت مشكور ثم انهم دنوا من المطروحين وافتقدوهم
فرأوهم يئن على وجه الارض وكان أبو أسما من جملة السالمين فافتقدوه وشدوا عينه وقالوا له الذنب
من الاول كان منك ولولا لجاجك ما كان جرى عليك شيء من هذا ولو كان غير ميسره ما كان أبقى
عليك وانما رده عنك طيب لبنه والا ان فقد بلغ الامر منتهاه وأمسيت أنت وقد ساءك في أسره
وتحت يده وما في القضية الا عود تك معه في الديار ومطاوعتك له على ما يحب ويختار وترضاه لانه
أتاك بأموال أكثر مما طلبت فرد الى عقلك من قريب ولا تموت في هذه الرمال غريب قال فلما سمع

أبو أسما منهم ذلك الكلام ندم على رحيله من بني عبس وقد علم انه قد غلب رأيه فأجاب الى ما قد
طلبوه واعتذر لهم وقال لاصحابه وأصحاب ميسره يا بني عمي لا كلام حتى تبرأ عيني من هذا الجرح
وأسلم وبعد ذلك أسلم ابنتي لكم وأجعل معولي عليكم وان كنتم قد اخترتم هذا الرجل يكون ابن عمكم
فأنا تابعكم فلا أخالفكم فشكروه على مقاله وقد أصلحوا بينه وبين ميسره قبل المسير فقبل ميسره
رأسه ويده وقد أنزلوا الطعن من على العلم والعيال وقد باتوا القوم هناك تلك الليله وأصبحوا
عند الصباح راحلين وميسره لا يصدق بذلك لانه قد أيس من اجتماعه بأسما فساروه وكأنه قد
ملك الدنيا ومازال على مثل ذلك الحال وهو سائر الى أن قرب الديار وبقي بينه وبينها يومين فوصل
الى جبل يقال له أبو خبر جين وأراد أن يغوته واذا قد طلع عليهم غبار خيل بني عبس وقد بان من
وراءه مع طلوع الشمس فأنكر ذلك وقد وقف ميسره بمن معه من الفرسان الذين كانوا قد سلموا من
بني بشر وقد ساروا يحسبون حساب الغبار ويريدون أن يحققوا منه الاخبار وميسره يقول والله يا بني
عمي أنا اليوم كان نبتي أفارقكم وأدعكم تسيرون الى الديار وأسير أنا في طلب غنيمه أتقوى بها على
العرس وأنا أقول ان الرب القديم عرف بنيتي فأنفذلي ما أريد بلا تعب ولا عنا لان هذا الغبار لا يخلو
من مال ومكسب ثم انه اعتدل وتأهب حتى انكشف ذلك الغبار وبانت له خيل بني عبس وقد
زجرت الفرسان فكانت لها هيبة تقطع القلوب وتترك المعاني مكروب وتدل على ان فرسانها قد
قاست أهوال الحروب وفي أوائلها الامير شيبوب وأخيه عنتر كأنه البلاء المصبوب وهو ينادي
الى أين تذهبون يا بني الاندال العبيد وخلفكم فرسان يقطع هذا البر والبيد وكان ميسره قد سمع
من بعض تلك الفرسان ما جرت لهم في أرض بني عبس وعدنان لما انهم نزلوا عليهم وقد عرفوهم
الحديث الذي تم لهم من أمر أسما ومجيد وأخبروه ان أبا أسما طلب الرحيل الى أرض مكه المشرفه
ويستنجد بالحرم من بني عبس وعنتر ثم انهم أحكموا له على ما تقدم فبقي في قلبه من ذلك الكلام
أثر وقد تمنى انه لو التقى بعنتر ومازال متحسر على مثل ذلك الى ان أشرفت عليه الخيل وصح الخبر
وقد عرف حقيقة الحال ففرح واستبشر بقدوم عنتر وقال لمن حوله من الابطال يا بني عمي اليوم
أبين لكم اذا التقيت بهذا الفارس الشجاع وتعلموا ان كنت أستاهل أسما أم لا ثم انه أطلق عنان
جواده فتبعوه عبيده وأما أبو أسما وقومه فانهم بقوا على خيولهم لينظروا آخر قصتهم ولمن يكون
النصر على الآخر والظفر فقال خداش يا بني عمي بالينا ما هر بنا من ميسره ولا كان جرى علينا
ما جرى من تلك المصائب وما حل بنا مما ان لحقنا في هذا البر والسباسب وأبادنا لقتلنا وهذا عنتر بن
شداد قد أتى وقد علمتم بشجاعته وتعرفون فروسيته وبراعته واذا قاتلناهم ونصروا علينا فهؤلاء
الذين يبلون بالبلا ويسبوا حريمنا في هذا الفلا والصواب اننا نقف على هذه الربية حتى ينتهي أمرنا
ونبصر من ينصر من الشياطين ويأتي ويسوقنا أجمعين لاننا قد لقينا ما كفانا وما بقي من هذا
العبد ملجأ ولا لنا فيهم صديق حتى نميل اليه وننصره ونطلب الزمام من يديه هذا وعنتر قد تبعنا في
الفلوات لاجل مجيد وعلى كل حال هذا أخير لنا من هذا العبد الاسود الذي قد فعل بنا هذه الفعال
وأنا منه قد هربت وطلبت الحمى من العرب الكرام الاخيار والآن فهذا مجيد نسبه رفيع وجماله
بديع وهو أحسن الينا من هذا العبد الرقيع فلما ان سمع منه أصحابه هذا الكلام استصوبوا رأيه
وكلامه وقد أقاموا على قلق من الانتظار وفي قلوبهم من فعال ميسره النار قال وكان في مقدمة بني
عبس مازن أخو عنتر فالتقى جملة ميسره وقد طلع على الجميع الغبره وبرقت السيوف المشهره وقد
أجادوا الطعن بعوامل الرماح ورقصت الخيل في وسط البطاح وارتفع للفرسان صيحات وصياح

تفزع

تفزع منها القلوب الصحاح وقد ملك مقرى الوحش وعشرين فارسا ظعن الشيخ أبو أسما والاموال وقد داروا بالحريم والعيال وقد أرادوا أن يطعنوا بالقنى صدور الرجال فصاح خداش يا وجه العرب لا تفعل فلقد ندمنا على ما فعلنا وقد نزل الذل علينا بعد فراقكم وهلكت رجالنا من حين فارقنا أرضكم وأطلالكم ونحن وقوف الانتمنى النصر لكم على هذا العبد الاسود والبغل الانكد لانه فعل بنا فعلا لا يليق وما كان لنا بشفيق ثم ان خداش أمر عبيده أن تسوق مع العبسيين الظعن وقد ردت رؤس جمالها والنياق فكان أفرح الخلق بذلك اسما لانها قد أيقنت بالرجعة الى ديار بني عبس واجتماعها بمحبوب قلبها مجيد منية النفس قال وكان عنتر عينه الى المعمعة مطلعه والفرسان التي من حواليه الى ناحية الغبار متتابعه وميسره يهدر كما تهدر الاسود ويطعن طعنا يشق به الكبود وعبيده تزج الحراب الى الصدور والجنوب وترمي بالنبال الى اللبات والقلوب والنظر محجوب وعاد من الهول مقلوب وقد سارت الارواح تتفرق من المنايا باذن علام الغيوب وكان قد صدم ميسره من صناديد بني عبس خمسين فارسا فتلقاهم ميسره بالعشر رجال الذين معه وقاتلهم فقتل عشر فوارس وأسر تسعة من صناديدها وكان من جملة من أسر عروة بن الورد ومازن وكان آخر من خرج من تحت الغبار شيبوب العيار وكان قد جرح في فخذه بحربة كادت أن تعطبه لانه كان قد قتل من عبيد ميسره عبدين وقد ضربه هذه الضربة فعاد وهو يصيح الى أخيه ثم انه قال ويلك الحق يا ابن زبيبه وخلصه من هذه المصيبة وكان قد قتل من أصحاب ميسره ثلاث رجال وقد قاتل ميسره قتالا تتعوذ منه البشر ومازال واقفا على رأس عروة حتى شدوه باقي عبيده كتاف وقد أشرفوا على التلاف ووكل بهم بعض فرسانه وقد عاد ميسره يطلب الحرب بعد ما غير جواده ورمحه وأيقن في نفسه بنصره وقد رجع يخب بالجواد كأنه طود من الاطواد أو من بقية قوم عاد وهو ينشد ويقول

الخيل تغشاني وقد أنكرت * في الغاب أسد الثرى تفزع وتخشاني
هل شاب رأسي وقل الدهر من عزمي * أو غير البين حالي بعد خلاني
عدمت عناق الخيل اذ لم أخض بها * قتام الوغا وشوش الحرب نرعاني
كذلك سيوف الهندان لم أردها * متلمظة من دم أقراني
فلا رقمت يدي حسامها مهندا * ولا صار لي ذا اليوم بين الورى شاني
أنا البطل الموصوف في حومة الوغا * وتعرفني في الحرب صحبي واخواني

(قال الراوي) كل هذا يجري وعنتر يعاين ميسره وقد انبهر من قتاله وقد صعب عليه ما جرى لاصحابه وقد سمع صياح أخيه شيبوب عليه فاسودت الدنيا في عينيه فقفز بالجواد يطلب الحرب والجلاد فاعترضه مقرى الوحش بعد ما جمع جميع الظعن من الوهاد وأمر رفقته من الرجال الاجواد أن يدوروا بالظعن والعيال وعاد الى عنتر فرآه يريد الحرب والقتال فقال له يا حامي عبس بحق من أطلع الشمس وفضل اليوم عن أمس وأطلع النبات من غير غرس انك تتركني ألقى هذا الفارس المعجب بنفسه المحتقر بأبناء جنسه حتى اني آخذ روحه وأخمد حسه لان قلبي قد طابلني بقتاله من غير عاده وقد حدثني بأشياء ما لها أصل ولا افاده ولا أدري ان كان قلبي يقودني للشقا أم للسعادة والبقا فبالله انعم لي بذلك ولا تقطع خاطري وضمائري فقال عنتر وقد تعجب والله يا مقرى الوحش لقد فرجت عني بعض الكروب لكنني كنت طالب هذا الغلام وقلبي ما يطاوعني على حربه ولا يطلب قتله ولا يريد عطبه فاخرج أنت اليه وحاربه ولا تقتله اذا قدرت عليه واعلم أنني من حين ركبت الخيل وعرفت كل الفروسيه والجلاد ما شفقت على أحد من العباد الا في هذه الساعه على

هذا الفارس الجواد الذى قد مالت جوارحى اليه وهو قد أهلك من أصحابى جماعه وأريد أن يحضر
بين يدى حتى أكشف حاله وأعرف ما سبب هذا الاشفاق من أين الى وبعد ذلك نأخذ منه بثار من
قتله من الاصحاب والرفاق فدونك واياه يا فارس النياق حتى أخلص أنا عروه بن الورد ورفقاه ثم انهم
قد اتفقوا على ذلك الحال وقد طلب كل واحد منهم جهة من الجهات فسار مقرى الوحش الى أن
قرب الى ميسره وصاح وحمل عليه وقاربه وقد اشتدت بميسره أحزانه ومصائبه لانه كان أبصر أسما
ونوقها قد سارا من جهة الاعدا فعظم به وجده وبلاه وقد كره المقام فى الدنيا فصال وجال مع
خصمه فى تلك الفلوات وقد أطلقا أعنة الخيل العربيات وشرعا بالطعن بالرماح السمهريات وقد
طال بينهم العطب والالتفات والفرار والثبات حتى اسودت فى وجوههم سائر الجهات وقد أشرفا على
الهلاك والممات وقد طال عليهما الغبار حتى احتجبت من فوقهم السموات وغابت عن الاعين
الناظرات وقد امتلأت أبدانهم بالجراحات وتقصفت الرماح من اختلاف الطعنات وقد عادوا
الى السيوف المرهفات وقد مضى عليهم من النهار أوقات وساعات وتعجبت من قتالهم السادات
والذى قد جرى لهم فى مثل هذا المقام عادات لان ميسره كان قد أمر أصحابه بالرجوع الى ورائه وقد
أنصف مقرى الوحش وقاتله الى أن قرب المساء وافترقا وقد جرى بينهما حرب شديد وكان عنتر قد
خلص أخاه مازن وعروه لانه قد لحق أصحاب ميسره وكانوا قد دخلوا بهم الى الجبل فترجل ودخل
خلفهم فى المضيق وقتل العبيد وخلص الاثنين وقد أتى بالجرحى معهم وصاربهم الى الاظعان ولما
ان فرغ من ذلك الشان بقى واقف ينظر الى مقرى الوحش وميسره وقد وزنهم بفروسيته فرأى
ميسره من الشجاعة والقوة فى مكان عظيم وصدق اخاه مازن وقال والله ان هذا فارس جيد وقد
اتصلا وانفصلا عند قدوم الليل وقد عاد مقرى الوحش وهو يشكو من التعب ويصف ميسره
بالشجاعة والحيل فقالوا له والله لقد صدقت يا وجه العرب وما رأينا حملاته وشجاعته الا لعنتر لانه
غلام صغير السن قريب العهد من ركوب الخيل فقال لهم عنتر اعلموا ان الشجاعه ما هى بطول العمر
وقصره ولا يزيد الفارس على الفارس الا بجلده وصبره وعند الصباح أخرج أنا الى هذا الغلام فانه
شيطان وأنجز أمره وأصرم عمره وأعرفه قدره مع انى والله اشتهيت أن يكون من أصحابى أو يرزقنى
الله سبحانه وتعالى ولدا يكون مثله شجاع حتى أتقوى به على الاعداء وان هذه أشياء ما أظنها لان
زوجتى عبله عاقرا وأنا فما أريد غيرها يكون ثم انهم نزلوا من على ظهور الخيل لما ان أقبل الظلام
وقد اجتمعوا مع أبى أسما وقوموها على أكل الطعام وقد عتب عنتر على خداش لاجل رحيله من أرض
بنى عبس الكرام فقال له خداش والله يا مولاى ما رحلت أنا من جوارك الا فزعا منكم وحيا من
الملك قيس لان ابن أخيه مجيد بن مالك لج فى طلب ابنتى وقد هتكنى بين أهلى وعشيرتى ومضيت اليه
وشكيت حالى اليه الا انه يأتى ويخطبها له و يزوجه بها فما فعل بل انه اباح دمه الى وقتله وكافنى
بسبب ما أطق ان افعله فرحلت وخففت عن قلوبكم وقد قلت اجعل مقامى فى البيت الحرام فالتقانى
هذا الغلام الذى كنت هربت منه وتركت عشيرتى وقد خفت منه على ابنتى ففعل فى حقى هذه
الفعال القباح ولولا وصولك اليه أيها الفارس الخليل الربيال والا كان سقانا كؤس الوبال
وقد ساقنا سوق الابل الى الديار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه وما أبداه له من مقاله عذره
وقد عرف انه ما علم بقصة مجيد الا بعد رحيله وانه ما تبعه الا حتى يخطب منه ابنته و يعطيه كما يريد
من نعمته ويرده الى المكان الذى كان فيه ثم انه قال له يا وجه العرب وأنا أقول انك لا تزوج ابنتك
بأوفى من مجيد لانه مالك وسيد من سادات بنى عبس الكرام ولو سرت بها الى جميع البلدان فقال

خداش

خداش لما ان سمع من عنتر هذا الكلام والله أيها البطل الهمام انى أنا الآخر ما أطلب اخير منه ولو كان من الاول خطبها منى كنت زوجته بها وطيبت قلبه ثم ان أبا اسما طاب قلبه بذلك وقد اتفق على العوده ويقيم فى بنى عبس وبعد ذلك قد سأله عروه عن ميسره لما ذا هرب منه وقد بغضته وهو من الشجاعه فى أعز مكان فقال له خداش والله ياسيد الفرسان ما هو الا أوحد العصر والزمان وانه بطل لا يلتقى مثله فى الميدان واعلم انى أنا ما أبغضه الا لسواد جلده وقلت معرفتى بنسبه ونسب أبيه وجده لانه غريب من ديارنا وليس هو من أرضنا ولا من بنى عمنا ولا من أهلنا وانه نازل فى جوارنا ثم انه حدثهم كيف وامه اليهم وكيف عاش فى الفقر واليتم عندهم وبينهم وقد أحكى لهم على القصة التى جرت له من أولها الى آخرها ولما ان انتهى من كلامه قال له عنتر ان قصة هذا الغلام الاقصة غريبة وهى تشبه قصتى وحق البيت الحرام ان حديثه قد أطربنى ولو علمت انه يمتنع عن أسما ولا يرجع يذكرها لكنت أنا أخرج اليه وأميل قلبه وآخذه معنا الى الديار والاوطان واجعله عندى من جملة الفرسان ولكن أنا أعلم انا لا نأمن منه على حال من الاحوال ثم انهم باتوا على مثل ذلك فهذا ما كان منهم وأما ما كان من ميسره فانه وهو ما يبصر ما بين يديه من شدة الغيظ والتعب الذى كان جرى عليه وذلك لما ان رأى اسما وقومها قد سار وامع أعاديه وعلم أيضا بخلاص عروه ومازن وقتل عبيده فاشتد به الحنق وتمنى انه لم يخلق وترك من على رأس الجبل وقد بقى معه فرسان قليله وقد أيقنوا بالهلاك فاشاروا عليه بالهرب تحت الظلام فما فعل بل قال والله بأوجوه العرب ما اقدر أفارق هؤلاء القوم حتى تلعب حوافر خيلهم برأسى أو أفنيهم وآخذ زوجتى اسما غصبا وأقابل أبها وقومها على فعالهم فان كنتم أنتم قد عولتم على الرواح فاعزموا قبل ان يدركم الصباح ولكن لا تنعونى الى امى لانى أعلم انى افنى هؤلاء العبسيين وأرجع بما اريد فقالوا له ان كان الامر كما ذكرت فنحن نبذل المجهود فى معونتك ولا نفارقك حتى نبصر على أى شئ ينتهى أمرك فاننا كنا رابحين ولو لم يخرج هذا الفارس الاخير كان قد انقضى شغلك فقال لهم صدقتم ولكن خرج الى وأنا تعبان فطوات روحى عليه حتى انى آخذه اسيرا والا كنت الحقته بمن قتله ولكن فى غدات غد أترك السيف يعمل فيهم اذا هم بارزونى (قال الراوى) ثم ان ميسره أخذه فى تلك الليلة الوسواس والقلق وما صدق ان ينظر الصباح قد برق حتى ركب وتأهب والى ناحية بنى عبس قد طلب وقد هان عليه العطب ونادى برفيع صوته يا بنى عبس ويا ابطال الحجاز انصفونى اليوم فى البراز والا احملوا على بجمعكم ان أردتم الانجاز فانى بعد ان أخذتم زوجتى ما بقيت أريد حياتى فى هذه الدنيا وكان قد ركب وتقدم يطلب البراز وقضاء الاشغال والارتحال وبلوغ الآمال والعوده الى الديار والاطلال فلما قرب المجال واصطفت خلفه الابطال فاراد عنتر ان يحمل عليه فمنعه من ذلك الامر مقرى الوحش وقال له بالله عليك يا أبا الفوارس قف على قليل واسمع منى حديثى وهو شئ عجيب تتعجب منه الناس جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل لان الحق اذا بان اختفت الاباطيل فنظر اليه عنتر فرأى وجهه قد تغير وقد ظهر عليه الاصفرار وبان عليه مذلة وانكسار فقال له عنتر ويلك يا مقرى الوحش اخبرنى بقصتك لا تكون قد خفت من هذا الفارس وقد وقع فى قلبك منه هيبه ووقار لاجل ما جرى لك بالامس معه فقال له مقرى الوحش يا أبا الفوارس انك قد أصبت فى البعض ولكنى نمت البارحة وانا متعجب فى أمر هذا الغلام وكيف قد قتل أصحابنا وانا خرجت اليه ومازلت معه فى القتال الى الليل فما قدرت عليه فاحتقرت انا بنفسى وبت وأنا موسوس القلب من هذا الامر فرأيت فى منامى كانى فى وسط برأقفر خالى من البنات دارس الطرقات وحولى

من أجناس الوحش مايذهل العقل والنواظر ويحير الخواطر والجميع قدموا الى الاعناق وكشروا على الانياب وقد هجمت على السباع منهم والذئاب وأرادان يأكلوا لحمى ويشربوا دمى وكان من شدة خوفى منهم قد طلبت الامان وقد زايت لهم كما تذل الفرسان اذا رأت بعينها الذل والهوان ثم انهم صاحوا على بصوت واحد وقالوا مابقى لنا الا شرب دمك وأكل لحمك ونقطعك كما قطعت عنا رسمنا لانك كنت تقرب لنا قربان وتستعز بذلك على الفرسان فقطعته عنا وتركته وهانحن نقطع معونتك ونرحلك من الدنيا ومابقيت تفلح ابدا وسوف ترى ماتلقى فى غداة غد والله ياأبا الفوارس خاف قلبى من هذا المنام ومابقى يصح لى برهان الا بابراز لهذا الغلام لانى ان قتلته علمت أنه أضغاث أحلام وان كان يقتلنى فيكون قد صح المنام ثم انه قد أقسم على عنتر بقسم عظيم وحلف ان يمكنه مما يريد فقال له عنتر وقد انبهم يامقرى الوحش والله لقد اشغلت قلبى بهذا المنام وقسمك على قد ألجمنى بلجام فافعل ماتريد ولا تترك علينا ملام فعند ذلك ضمه مقرى الوحش وقبله وبكا وأوصاه يحسن الى زوجته مسيكة ان قضى الله تعالى بقضاه وتراعى سبيع اليمن ثم انه أسرح بطلب ميسره ودموعه من أجفانه متناثره وهو ينشد ويقول

النفس تخشى من حلول المصائب * وتنكرنى من بعد طول التجارب
كأنى لم اركب جوادا لغارث * ولا جلت بالخطابين المواكب
ولا حملت كفى حساما ولا هوت * به نحو ذى الفرسان من كل جانب
أيانفس ان كان المنام مبشرا * بآخر عمرى قبل شيب الذوائب
صبرت لحكم الله صبر ابن حوة * ومت كريما تحت ظل القواضب
صدمت صدور الصافنات بهمة * يقصر عنها كل ماش وراكب
وفرقتها تعدو اخفافا وقد أتت * فوارس عليها كل اسد غالب
أيابنت عمى اسأل الناس عنا اذا * جاءت بنو عبس فوق جرد سلاهب
وكيف تولوا والسيوف قواطف * وسمر القنا تقض نقض الكواكب
ولا بد لى أن أبيد جموعهم * واترك هم صرعى بقفر السباسب
عليك سلام الله منى دائما * كذا ولدك يابنت قوم أطايب
سلام محب زائد الشوق دائم * على العهد انى لست فى القول كاذب

(قال الراوى) ثم انه حمل بعد شعره ومقاله على ميسره حملة الاسد اذا هم الى أشباله وقد التقيا مقرى الوحش وميسره بخواطر منه منكره ونفوس على المضارب وكل الاهوال صابره وقد طلعت على الاثنين الغبره وكان لهم وقعه مهوله عسره أذهلت من الشجاع بصره وقد أبصروا الارض ضيقه منحصره ولا يزالوا فى قتال ونزال حتى نزلت عليهم الاقدار المقدره بامر الله تعالى فسبحان من سبب للنفوس اسبابا وجعل لها آجالا مبعده ومقربه قال وقد أظهروا هذان الفارسان فى الحرب أبوابا حتى ملت الخيل تعبا قد مدمت بعد الجرى خببا وصارت النفوس عاقا وطفحت من الاجسام عرقا ووقعت الخيل وهلكت الفرسان عطشا وجاراعلى بعضهم واندهشا ومضى أكثر النهار منذرجا وقد بان لهم البرضيقا حرجا وطارت عليهم النفوس شوقا وقلقا وشكوا أمراضا ووجعا وطارت الرماح قطعا وأبعدوا عن بعضهم ماواهتزت الارض من شدة الركض وأرادوا أن يأخذوا الراحه من شدة الكرب وسلوا السيوف ورجعوا بعد ذلك الى الحرب واذا ببعد من عبيد ميسره قد تقدم اليه وناوله حربه ماضيه وعلى الارواح قاضيه وقال له يامولاى الى كم تطيل مع هذا الفارس فى

القتال

القتال خذ هذه الحربه واطلب بها الانجاز لان الاعدا بين يديك كثير وأنا أعرفك انك تقاتل بالحراب والمزاريق عند كل شدة وضيق فقال له عند ذلك ميسره صدقت هات الحربه وارجع أنت وانظر بعد ساعة ما أفعل بخصمى فان خصمى جبار والا ما كان تقضى لى معه فى النهار ثم انه هز الحربه بيده وعاد الى مقرى الوحش وكان مقرى الوحش قد سل حسامه ونبه عزائمه وقد كثر عزمه وعاد الى ما كان عليه كل هذا وعنتر ضيق الصدر من وجوه عده أحدها المنام الذى رآه مقرى الوحش لان عنتر أراد القتال مع ميسره وأقسم عليه مقرى الوحش ومنعه وطلب ميسره خصمه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر صار متطلع الى الاثنين حتى نظرهما قد رالرمحين واستراحا وعادا الى الحرب والقتال والطعن والنزال وقد أبصر عنتر الحربه وهى فى يد ميسره وسمع لها صيحات منكره فقال فى الساعه مقرى الوحش يخسر لان صنعته كلها فى طعن الرمح الاسمر ورمحه قد بطل وانكسر ولو علمته انه يقبل كلامى لامرته بالعوده والرجوع ولكن ما يفعل فقال أخوه مازن والله ما نرى خصمه قد استطال عليه الا ونشيله على أسنة الرماح أو نقطعه بشفار الصفاح فقال له عنتر ويلك يا أخى نقدر من طلب الانصاف وترك البغض والجور والاسراف والله لا فعلت ذلك أبدا ولو أبصرت التلاف ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى المحاوره والجدال واذا بميسره قد زعق على مقرى الوحش وعليه استطال وكان قد وجد منه فرصة فى المجال وضربه بالحربه ضربة جبار وأراد بذلك هلاكه مع البوار فعلم مقرى الوحش بفعاله فالتقى الحربه بالدرقه بقائمه وقد تلقى حربته فسبحت الحربه على الدرقه وقد عبرت كانها صاعقه فوقعت بين عينيه وقد حان موته وفناه فأقلبته عن ظهر جواده وقد أشرف من تلك الضربه على عدم رشاده وشرد فى البر جواده قال فلما رأى عنتر ما جرى على مقرى الوحش صعب عليه وكبر لديه وحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه وفؤاده قد انفطر فنادى واحرباه عليك يا فارس النياق وبطل الآفاق صدقت أحلامك وقد تفسر منامك ثم انه حزك الجواد وصار عند مقرى الوحش وطلب أن يشيله من على الارض وقد طلبت فرسان بنى عبس ميسره وقد صاحوا عليه ومدوا الرماح اليه فالتقاهم وقاتلهم الى آخر النهار ورجع عنهم وجرح أكثرهم وكان عنتر وأخوه مازن وعروه قد نزلوا واشتغلوا بمقرى الوحش ودار وا من حواليه وأقعدوه وافتقدوا جراحه فرأوه فى حالة الهدم فتباكوا عليه وقد عظم ما جرى عليه ووصل اليه فشدوا جراحه وحملوه ورجعوا به وهو تارة يكلمهم وتارة يوصيهم على ولده سبيع اليمن وزوجته مسيكه وكان كلما ذكرهم تفيض عبرته وتزيد حسرته وكذلك كل من كان معه وفى صحبته وقد لام بعضهم على بعض كيف مكنوه من النزول بعد ما سمعوا منه ذلك المنام الذى قد أبصره ﴿قال الراوى﴾ فلما أن أبصر أبو أسما هذه الامور فزع على نفسه وعلى ابنته وقال والله ما بقى بين الهلاك الا أن يضارب عنتر لانه اذا ظفر به هذا الشيطان ميسره أفنى بعده هذا الجيش وكسره ونرجع نقع فى يده ويشفى منا غليل صدره ومن شدة ما جرى عليه أراد الهرب هو ورفقته وأما عنتر فانه أتى بمقرى الوحش الى مكانهم وأضجعوه وهو لا يعقل على نفسه وقد بات عنتر تلك الليلة عنده وما نام وما أكل طعام وما صدق أن ينجلى غسق الظلام ويقبل الصبح بالابتسام حتى يشفى قلبه من ميسره ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان منه وأما ما كان من ميسره فانه عاد الى الخيل التى معه وهو مسرور وفرحان ويقول لاصحابه أبشروا بالنصر والظفر لان هذا الفارس الذى قتلته ما فعلت به هذه الفعال الا حتى أرى رفقته حربى ثم انه بات يرصد الصباح حتى لاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح فركب جواده وقد احترق قلبه من أجل اسما وفؤاده ثم انه سار الى أن قارب نحو طائفة بنى عبس وقد نادى بأعلى صوته يا فرسان الحجاز أخرجوا الى الحرب والبراز من أول هذا اليوم لانه يوم الانفصال وان كنتم كرهتم

القتال وشقتم على فرسانكم وطلبتم العوده الى دياركم والاطلال فسلموا الى زوجتى أسما وأباها
ومن كان معهما من الرفاق وعودوا الى دياركم سالمين والى أراحكم غانمين فكان عنتر عند مقرى
الوحش يعاله ويسأله عن حاله ويشد عزمه بمقاله ويضمه الى صدره ويقبله ومازال كذلك الى
أن سمع ندا ميسره ورأى أخاه مازن قد عول على الخروج اليه فنهاه عن ذلك وقال له تمهل على يا أخى
فما يشفى فؤادى غير حسامى الضامر أو أبصر هذا الفارس مخضب بدماه قدامى وان لم أقتل هذا
الفارس الولد فما أكون فارس عبس وعدنان ثم انه قد وثب على ظهر جواده وقد أمل ان يأسره
ويذبحه ان أمكنه وكانت بنو عبس قد دارت من حواليه وقد فزعت عليه لانهم قد رأوا ميسره بحر
لا يخاض فهم عنتر بالخروج الى ميسره واذا برجل من بنى عبس قد نادى يا أبا الفوارس كام مقرى
الوحش فرجع عنتر اليه ونزل عن جواده وقد تقدم اليه وكلمه ففتح عينيه وقبلوا بعضهم البعض
وقال له بصوت ضعيف لا تتهاون بخصمك واحترز على جسمك ومالى عندك وصيه يا أخى الاسبيع
اليمن ولدى وزوجتى مسيكه فبكى عنتر من كلامه وجميع من حضر وبعد ذلك خرج عنتر من
عنده وقد رجع الى ظهر الجواد ثم انه أفرغ عليه الحديد وتقلد بسيف مهند واستلم رمح مديد وسار
وقد تقرب الى ميسره وهو يقول له يا ابن الف قرنان لقد بعت دمك غالى بقتال الفرسان والابطال
فلما سمع ميسرة خطابه فما رد عليه جوابه بل التفاته مثل الأسد فى الغاب وقد حدثته نفسه انه يفعل به
كما فعل بمقرى الوحش فصرخ الاثنين صرختين عظيمتين صرت لهما الخيل آذانها وارتعدت
أجساد فرسانها فظن كل من كان حضران السماء انشقت والمواعيد حقت فكان لهما ساعة
تقشعر منها الجلود وتذوب من هولها الكبود ويلين من حرارتها الجلمود وقد عرف لها الانسان
مرارة العدم من حلاوة الوجود وقد طال بينهما المطال فتعجب شيبوب من فعال أخيه وتطويله مع
ميسرة فى القتال لانه قد خرج خلفه من شفقته وخوفه عليه من عبد ميسره ومازال متحيرا فى
أمر أخيه وعجزه مع خصمه وقد أبعد ابعضهما عن بعض يطلبان راحة الخيل فتقدم شيبوب الى أخيه
عنتر وقال له ويحك يا أخى ايش جرى عليك اليوم لا تكون قد كبرت وضعفت عن القتال
أو صالك لانى أنظرك مقصر فى قتال هذا الولد الزنا وهو بين يديك ظاهرة أحواله لقلة خبرته بالاسفار
وأنت تعجبه وقد تقضى النهار وما قتلته ما الذى فى نيتك أن تعمل به اخبرنى بقصتك فقال له عنتر
والله يا شيبوب ما أنا مع هذا الفارس الا كأنى مسحور وما بقيت ألوم مقرى الوحش فيما جرى عليه
وما كان معه الا معذور لانى كلما لاح لى عليه مضرب أو مقتل وأضربه فيه تخف يدى وتشفق أحشائى
وكبدى وأقول انه ساحر أو معه شئ يمنع عنه الحديد فقال له شيبوب والله يا ابن الام ما أنت الا قد عدمت
عقلك وقد عمل لك هذا الولد الملعون شئ أبطل به شجاعتك وان أردت ان تعرف ذلك قل لى حتى
أضرب هذا الولد بسهم فى لبته أقتله به ولا أجعله يقتل له عنان قال فلما أن سمع عنتر كلامه تبسم وعاد
الى ميسره عودة الاسد اذا اندعر وقد نزل عليه نزول القضا والقدر الا ان الغبار ما ثار عليهما حتى
ضايقه عنتر ولاصقه وسد عليه طرائقه وقد زعق فيه زعقة الحنق فرغر غره وقد أرعبه وطعن جواده
فأقلبه ورماه من عليه فانقض عليه شيبوب انقضاض الباشق على الحمام وقد شده منه الكتاف
وقوى منه السواعد والاطراف فلما نظرت أصحابه الى ما حل به من عنتر ولوا يطلبون الدبار
ويزعقون على الخيل ويطلبون القفار خوفا من الهلاك والبوار والدمار وأما عنتر فانه قد بقى مشغول
القلب على مقرى الوحش ضيق الصدر من أجله فسار اليه ودخل عليه فرآه قد أشرف على الهلاك
فأقام ذلك اليوم والليله وما كان من الغد رفعه على بازل من الابل وقد شده ميسره على جواده عرضا

وتركه بين يديه وقال فى أى مكان زاد بقرى الوحش الامر وأيست منه نحرت خصمه قدامه وشفيت
قلبه من قبل أن يشرب حمامه ثم انه عاد من الطريق التى أتى منها وأسما أفرح الخلق برجوعها الى
مجيد وكذلك أتى أبوها وكان قد بقى معه من الرجال جماعة لانهم كانوا قد اختار وابنى عبس وقد طاب
لهم عندهم المقام وما زالوا سائرين سير الرفق ذلك اليوم والثانى الى أن قاربوا أرض البيت الحرام فنزلوا
هنالك وقد أقاموا ذلك اليوم ولما ان كان فى اليوم الثالث ساروا وما زالوا سائرين بين تلك الروابى
والكثبان فبينما هم سائرين على ذلك الحال اذ لاح لهم غبار وقد ثار لما سد الاقطار و بعد ساعة
انكشف و بان من تحته رايات وأعلام و رماح مشتبكة مثل قضب الاجام وسيوف تلمع كما يلمع
البرق من تحت الغمام وخيول وجنائب ومواكب وكتائب وعساكر يدل على ان قائدهم ملك
عظيم يحكم على أكبر الاقاليم فسار بنو عبس اليه وقد تلقوه ولما ان قاربوه عرفوا ما تحته من
الفرسان وقال عنتر والله ان هذا لهو الملك النعمان بن منذر وهذه أعلامه قد بانت ورايته ظهرت
وخرسانه الذى يسير بهم فى مهمه تثقال فما ليت شعرى ما الذى أزعجه من أرض العراق وأتى به الى
أرض الحجاز ﴿قال الراوى﴾ فقال عروة لعله أتى الى زيارة البيت الحرام ليتبرك بما عليه من الاصنام
فقال عنتر هذا امر لم يفعله ولا له به عادة ولا يرى فى الاصنام افادة لان الرجل يعبد النار و يوافق الملك
كسرى فى كل الامور والسجود الى الانوار ذات اللهب ثم انهم تقدموا نحوهم وهم يطلبوه ليعلموا ما سبب
قدومه ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مسير الملك النعمان من أرض العراق ووصوله الى هذه
الارض كلام عجيب وأمر مطرب غريب لابد أن نحكيه على الترتيب حتى ان المستمع يلذو يطيب
وذلك ان أصل خروجه من بلاد الحيرة وأرض النجف أنه قد رأى مناما فبقى منه فزعان حيران لانه قد
رأى أنه واقف على رأس جبل عال وكائن بين يديه فيل عظيم المنظر وعليه ثوب من الحرير المدثر وهو
ينفخ من فيه فيخرج منه نار وشرار و يقصد بها وجهه وهو منها هارب والفيل له طالب وكائن حربه
رأوا ذلك الحال فسار ومعه وهم ينادون بالويل والحرب ويستغيثون برب السماء وهم يطلبون منه
النجاة من هذا الفيل والشرار من حواليه مشعشع وهو يزعق فسمع له خوار وزعيق فبينما هو
هارب منه واذا بغلام قد طلع عليه وأقبل من ذيل الجبل وهو غلام أمرد لا نبات بعارضيه خالى الشعر من
وجهه وبيده حسام مشهور وهو راكب على جواد أشقر وهو يقول أتاك الفرج يا نعمان وهو يصيح
يا لشيبان ثم انه قد طلب الفيل وزعق عليه وضربه بالسيف فوقع من شدة الضربه شطرتين وقد صار
فى عاجل الحال قطعتين وقد انطفت بعد قتله النيران وقد أمن الملك النعمان من بعد الفزع ولا
بقى عليه خوف ولا جزع فقال بعد ذلك الملك النعمان للصبى يا غلام اخبرنى من تكون أنت من
العربان واشرح لى قصتك حتى انى أعرفك وأغنى فاقتك بالمال والذهب واخلع عليك واصيرك
عندى فى أعز الرتب لانك فرجت عنى هذا الكرب فقال له الغلام أنا يقال لى هانى بن مسعود
و بى تنصر على العدو والحسود ثم انه قد سار من حيث أتى فانتبه الملك النعمان من منامه وهو مرعوب
وعاد اليه عقله وكتم حاله لكن بقى ضيق الصدر تارة يفزع من المنام وتارة يقول هذه اضغاث أحلام
فامتنع من أكل الطعام ذلك اليوم كله ولما أمسى عليه المساء وأظلم الظلام ونام فرأى فى منامه مثل
ما رأى فى الليلة الاولى وقد دام عليه الامر مدة سبعة أيام فتوسوس من هذه الرؤيا التى رآها فى المنام
وقد خاف من عاقبتها لجمع خواص دولته وقد فسر عليهم المنام وقال لهم اعلموا انى أريد منكم أن تبذلوا
المجهود فى طلب من يفسر لى المنام فقد اعترانى الهم من تلك الاحكام فلما سمعوا منه أرباب دولته ذلك
الكلام تعجبوا من هذه الاحكام فأحضروا والتفسير تلك الاحلام من كان عندهم فى تلك الديار

فتحدث فيها العلماء وقد أطالوا الكلام فما فيهم من شفى قلب الملك النعمان بل زاد همه وكربه باختلاف أقوالهم فعلم وزيره بأحواله وضيق صدره فقال له يا ملك الزمان اعلم أنه لا يفسر لك هذا المنام الا السطيح الكاهن الذي يخبر العرب بجميع الحوادث قبل نزولها ويقول لهم على ما يأتيهم ويفسرها اليهم فسر الى مكه وأنت تبلغ ما تختار فلما سمع الملك النعمان هذا المقال خف كربه وارتاح واشتاق الى معرفة منامه حتى يطمئن قلبه لانه قد خاف أن يكون قدامه شئ يقع فيه بغير علمه فجمع من سائر العرب وسادات القبائل جيشا كبيرا وسار بهم يطلب البيت الحرام وقلبه مشتغل بذلك المنام وما زال سائر الى أن قرب الى مكه والتقى بعنتر وطائفة بني عبس كما قد ذكرنا (قال الراوى) ولما عرفوا رايته وأعلامه تعجبوا من وصوله الى أرض الحجاز فأخذ عنتر تمام العشرة رجال وترك الباقى عند الظعن وسار هو واياهم للقاء الملك النعمان وسلم على من يعرفه من الفرسان ولم يزل يشق المواكب الى أن قارب الرايات والاعلام ترجل وسار قدام الملك النعمان فتبسم فى وجهه وردّ عليه السلام وأمره بالعود الى ظهر جواده وأخذه الى جانبه وقد سأله عن أحواله فأخبره بقصته وقصة مجيد بن مالك وعشقه لاسما وما جرى له مع ميسره ومجيد فى طلبها والقصة التى جرت من أولها الى آخرها فتعجب الملك النعمان من هذا الحديث وذلك الكلام فقال له يا أبا الفوارس وأنت مرامك ما تزال واقفا على حوائج العشاق وجمع شمل الاحباب بعد الفراق فقال له عنتر يا مولاى أنا لم يأخذنى الصبر عن السلو للعشاق لانى أنا قد عرفت حلاوة الوصال وذقت مرارة الهجران وبعد هذا أريد منك يا مولاى أن تعرفنى سبب قدومك الى البيت الحرام فقال له الملك النعمان اعلم يا أبا الفوارس انى قد أتيت فى أمر عجيب وأنا والله خائف من عاقبته ثم انه أخبره بما رأى فى المنام فتعجب عنتر من ذلك غاية العجب وقال ما يكون الا الخير يا ملك العرب وان كان شئ مهم غير هذا المنام فها أنا بين يديك فقال له الملك النعمان اترك الرجال الذين معك تسير الى الاهل والاوطان بالظعن والعيال واصحبنا أنت الى البيت الحرام حتى نجدد لك عهدا ونسمع حديثك ونبصره فقال له عنتر السمع والطاعه ثم ان عنترا استدعى عروة بن الورد يحفظ ميسرة ومراعاة مقرى الوحش ورده الى الظعن وأمره بالمسير الى بنى عبس وقد سار هو مع الملك النعمان وأخذ معه أخيه مازن وبعضا من الفرسان وقد خطر له أن يفسر منامه الذى أبصره على سطيح الكاهن حتى انه يعلم ما يكون تأويله لاننا كنا ذكرنا انه قبل ان سار خلف أبى أسما وانه قد رأى فى المنام ان القمر قد طلع من الشمال وقد شرحنا هذا المنام قبل هذا الكلام وقد ذكرنا ان من أجله كان يريد أن يسير الى البيت الحرام ليفسر هذا المنام الى الملك النعمان وجرى له ما جرى من الاحكام وسار معه كما ذكرنا ومازالوا سائرين الى ان وصلوا الى مكه أعزها الله تعالى وقد دار وا من حول البيت الحرام ولما كان من الغد ركب فى جماعة من حجابه وخواصه وصار الى ديار الشيخ عبد المطلب فوجده على دكة القضا وولديه عبد الله وأبى طالب ومشايخ البيت الحرام وسادات قريش بين يديه والمجلس حافل بأهل مكة فلما ان رأوا الملك النعمان قد أقبل عليهم قام له الجميع اجلالا لقدره على الاقدام وحيوه بالسلام فمال اليه الشيخ عبد المطلب وترحب به وأخذ بيده وأجلسه الى جانبه وبقوا أرباب دولته قيام فى الخدمة وعنتر فى الجمله ثم ان الشيخ عبد المطلب قد سأل الملك النعمان عن سبب قدومه الى البيت الحرام فقال له يا سيد العرب انى قد أتيت من أجل منام رأيته وقد اشتغل قلبى من أجله وما عرفه من أرباب دولتى وأنا الى ههنا على سبيل الفرجة والزيارة وسماع تفسير المنام من السطيح الكاهن فعندها تبسم الشيخ عبد المطلب وصار من هذا الكلام متعجب وقال والله ان هذا الاتفاق ما جرى نظيره فى سائر الآفاق لانى أنا الآخر رأيت البارحه منامات تحيرت منه الاوهام ومن أجله قد جمعت سادات الحرم وقد أنفذت خلف

مطيح الكاهن وقد أمرت بحمله الى هذا المكان حتى يخبرنا بما رأيناه عن حقيق وفى هذه الساعة تراه قد حضر ويتكلم انا بكلام ما يقدر عليه أحد من البشر لان رب هذه القبة الخضرا قد أطلعه على كل حقيقة وهو سر ربانى من خالق الخلق رب كل البريه (قال الراوى) وكان هذا الكاهن من عجائب مخلوقات الله تعالى بلا يدين يبطش بهما ولا رجلين يمشى بهما ولا عروق ولا عظام ولا عينين ولا معده ولا جوارح تساعده على الحركه ولا على النقل من مكان الى مكان بل جعل الله تعالى له أنفاسا تتردد فى جلده وقد كانوا اذا أرادوا ان يشيلوه من مكان الى مكان يطووه كما يطوى الثوب الخام ويحمل على الايادى الى الموضع الذى يستدعى به اليه ثم يسألوه عن كل شئ فيخبرهم به ويحذرهم ان كان فيه شئ مضر فيذهل جميع الخواطر ويحير الافكار فيما يقول لهم (قال الراوى) ولما كان ذلك أتوا به الى الشيخ عبد المطلب فوضعوه فى وسط الحاضرين وتعجبوا منه كل الناظرين من أجل خلقته وقد اقشعرت منهم الابدان من تكوين صورته فسلم الحاضرين عليه فرد عليهم السلام بصوت ضعيف وجعل يسبح الله تعالى الواحد الاحد اللطيف وكان من جملة ما قال ان حى الازل أول الاول الذى قضى بدولته الدول الملك الذى لا شبيه له ولا مثل فسبحان من خلقنى فى تلك الصورة وخلق لى أنفاسا متعدده ومحسوره وصور الاشكال فى الافلاك الدائره وهو سبحانه وتعالى يراها بكل شئ خصنى ربى من جوهرة النور وهى النورانية الصمدية الازلية الدعومية الفردانية السرمديه الذى يستوجب الحمد والثناء على انعامه الحسنى الشاهد على من رزق وأسا المحقق لعباده صباحا ومساء معاشر الحاضرين اسألوا عما بدا لكم من العجائب واسمعونى احاديثا من حكيم عارف بالعواقب وسيحوار بالم يزل معكم يشاهد ويراقب (قال الراوى) ولم يزل معهم كذلك حتى حير كل حاضر وعاقل وأيقظ كل راقد وغافل فقال له الشيخ عبد المطلب اعلم ياحكيم ان ملك العرب النعمان أتاك من أجل منام وأنا الآخر رأيت مناما وقد أشغانى وسرت معه فى أوهام وأريد منك تفسير هذه الرؤيا والاحلام ما بين هؤلاء السادات الكرام (قال الراوى) فقال له الكاهن اذكر يا مولاى ما أبصرت فقال له الشيخ عبد المطلب رأيت كأن ولدى هذا عبد الله قائم بين يدى مثل ما هو الساعة وقد ظهر من بين عينيه نور وصعد الى عنان السماء ثم انه بعد ذلك قد اجتمع ذلك النور وتدور وصار أبهى من الشمس والقمر ثم انه قد ازداد نورا وتشعشع وعلا وارتفع وكان العرب قد اجتمعت من حواليه مثل الكواكب وهى ترميه بالنار من كل جانب ومكان وكنت أنا من حذرى عليه فالتفت أبصر لى قاصر فرأيت أخيه أبا طالب وقد أتى مثل العقاب وفى يده سيف كأنه شهاب يطير من جانبيه نار شديدة الاضطراب وأراد أن يضرب به فى الاعدا فطار من يده وعلا وامتد ذبابه حتى لحق الى عنان السما وسد بعارضيه مناقيس الهوى ثم انه انقسم أجزاء وتساقطت صواعقه الى الارض وعبر الى جنبات الغرب طولا وعرض حتى انه أخذ الاكثر وما سلم منهم الا القليل ثم انى سمعت الناس ينادون لا تفعل يا أبا طالب فقد أهلكت الامم جمعا وما تركت من يدفع عن نفسه ضرا ولا نفعا وقد رأيت السيف قد هوى يطلب أرض يثرب وقد انتبهت وأنا من هذا المنام متعجب فأسرع لى بالكلام وفسر لى هذا المنام واعلمنى بما يدل من الاحكام (قال الراوى) فلما سمع مطيح الكاهن ذلك القول شهق شهقة وغاب فيها عن الوجود ساعة زمانية ثم انه بعد ذلك أفاق من غشوته وهو مثل السكران وكلم الناس وقال اعلموا يا من حضرها هنا فى هذا المكان لقد آن الاوان واقترب الوقت والزمان وعن قريب يظهر سيد ولد عدنان صاحب الشريعة والبرهان والدين والقرآن والايمان الذى يهدى به الناس الى طاعة الملك الديان ويظهر الحق الى سائر الانام ويرمى الاصنام من على البيت الحرام ويعرف الخلائق تعريف توحيد الملك العلام الذى حارت فى

معرفته الاوهام وهو الذى ينشق له البدر التمام ويكون معتدل القوام واضح الابتسام صاحب
عفو وذمام وحيا وصيانه وعلامة وانه لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير الزاهق حسن القامه مدور
العمامه يلوح بين كتفيه علامه على خده شامه تظلله اذا مشى فى الحر غمامه شريعته دائمه الى يوم
القيامه وجهه كالبدر اذا كان تماما يلوح فى الظلام متحلل بالهيبة والوقار والفخار والانوار حلو
الكلام عظيم المرام كثير الصيام يسهر الليل والناس نيام يناجى ربه الملك العلام زاهد عابد أخوف
على أمته من على الوالد لولده ان اذا سأل أجاب وان نطق أصاب بذول وهاب نقى الاثواب طاهر
الميلاد معصوما عن الفساد رحمة للعباد موصوف اسمه فى الارض محمد وفى السماء أحمد معروف بالخير ألوف
وعند الشر صروف وكلامه رؤف قد كملت صفاته وظهرت آياته وبانت للعالمين معجزاته وعن قريب
يظهر تبيانه أجيبت دعوته وأنارت طلعته وعلمت دعوته حسن الاخلاق طاهر الاعراق حبيب الله
الملك الخلاق تام الجمال مليح الخصال كامل الاعتدال وجهه أضوأ من الهلال سيد مفضال صادق فى
المقال حميد الفعال كريم نوره من غرته يسدع له فم مثل الخاتم سيد الاعراب والاعاجم ذو فضل
ومكارم بحاجبيه دعج وبثغره ثلج وبطرفه دعج ان قدر عفا وان تكلم كفا أحسن من نشا وأكرم من
مشى وأجل من وطئ الحصا وأفخر من عرج الى السما يجوز سدرة المنتهى ويخاطب الملك الاعلى
يكون منه كقاب قوسين أو أدنى بهى رضى تقى نقى مكى أبطحى هاشمى عربى زمزى قرشى
تهامى مدنى له مقام زكى عدنانى شريف عفيف لطيف ظريف رؤف رحيم وهو محمد وأحمد وطه
ويس وأمجد ومجد وكان صلى الله عليه وسلم ملتف العضدين أحور العينين والمقلتين سهل الخدين
معرق الصدغين وهو سيد الثقلين صادق اللسان تالى القرآن اسمه مقرون باسم ربه فى الاذان
مذكور فى كل مكان بشرت به الاحبار والكهان مزيل دولة الصلبان مهلك عبدة النيران لم
يخلق الله تعالى فى الاولين ولا فى الآخرين ولا يخلق الى يوم القيامه لا أحسن ولا أزين ولا أعدل ولا
أفضل ولا أجل ولا أكرم ولا أرحم ولا أحلم ولا أفهم ولا أنهى ولا أثنا ولا أوفا ولا أعفا ولا أكفا ولا
أقضا ولا ألطف ولا أعرف ولا أصبح ولا أرجح ولا أملح ولا أفلح ولا أوضح ولا أنجح ولا أسمح ولا أوفق
ولا أصبر ولا أخشع ولا أجمع وجميع أفعال الخلق كلها من هذا النبى الافى محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم بن عبد مناف صاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات وأفعاله ترضى رب
الارض والسموات فيا ليتنى عشت حتى ألقاه وأسير من أصحابه ورفقاه والويل كل الويل لمن عاداه
وطوبى لمن والاه و ياخيبة فرسان العرب الجهال اذا ظهر الشجاع المنتخب صاحب الحسب والنسب
فواعجباه كل العجب مما يحل بالابطال من النصب اذا ظهر ذو الفقار وضرب به كل فارس همام
وأسد ضرغام ومزبر مقدام وقتى هصام وقسم حوام وباسه لا يرام ومحبيه لا يضام يسقى الاعداء
كأس الحمام مجندل الاقران ومبيد الشجعان شديد الصوله عظيم الجوله قوى العزم والقلب
لا يأخذه رعب جسيم أدرع وبطل صميدع وأنذع لا يجزع فى الحرب ولا يفزع اسمه كبير فى
المراسم كثير الذكر فى كل الملاحم فلاق الجماجم منعوت بالعظائم مهشم القمم ممدوح مقدم يكون
لمحمد وزير يدعى بالامير ويسقى محبيه من حوض البشير النذير بيديه فى الحسب ويقاربه فى
النسب له أسما مختلفات فى الكتب اسمه فى التورات اليا وفى الانجيل بريا وفى القرآن عليا ساقى
الخلق الاكبر من نهر الكوثر لاهل الولاية شراب التيج قسيم الجنة والنار اكل فريق الذى يسمى
زيد وحميد ومزق الشرك بذو الفقار الذكر يقاتل الجن من تحت الافلاك ولا يخشى الهلاك الذى
يسمى على حيدر ويذل له كسرى وقيصر وملوك بنى الاصفر (قال الراوى) ثم ان سطيح الكاهن

سكت

سكت بعد ذلك الكلام فبكى السادات من العرب وارتعدت منهم الابدان والركب وقد حار الامير عنتر مما سمع وأبصر وبقى الملك النعمان ينظر الى الكاهن وهو حيران ساعة من الزمان فرآه قد أفاق من غشوته وعاد الكلام فقال الملك النعمان وأراد أن يدنو منه ويفسر عليه المنام واذا به قد صاح وقال له وأنت يا نعمان قال نعم فقال له أنت تريد أن تسألنى عن الفيل الذى رأيته فى المنام وهو يرمى اليك بالنيران وأنت منه فزعان وقد أتاك غلام وهو مليح الصوره صمصامته مشهوره وهو يصيح على الفيل وقد ضربه قسمه نصفين وتركه مرمى قطعتين فسألته يا نعمان عن اسمه بعد ما فرج عنك وأعاد الى الجراد وقال أنا هانى بن مسعود وقومى بنو شيبان فقال له الملك النعمان بعد ما سمع منه ذلك الكلام بالذى قد خصك بهذه الاقاويل أخبرنى بهذا المنام والتأويل فقال له سطيح الكاهن يا نعمان احذر من انسان عجمى كبير الشان شديد الاركان ويطالبك بالمظالم ويقصدك بجيش الاعاجم ويجرى لك معه يا نعمان من الحرب الذى أشد من النار ووقائع يبقى ذكرها طول الزمان شائع واعلم ان هذا الفيل والنيران فتن من هذا السلطان فكن يا نعمان منه على حذر ولا تأمن من أصحاب المملكه فتخسر واطلب هانى بن مسعود الى عندك واتخذه لك من جملة الاعوان بما كان وما يكون (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان هذا المقال خاف على ملكه من الزوال وبقى متفكر من أين تأتيه النوائب وأما الامير عنتر بن شداد فانه قد زاد به الانذهال وسمع عجائب تحيير عقول الرجال فقال الامير عنتر لا يكن هذا العلم الا فى السما فتبسم الامير جحار بن عمار الكندى وقال له ويحك يا أبا الفوارس ان رب السماء يفعل ما يشاء فى عباده ويطلعهم على علوم شتى ولولا ذلك ما كنت أنت شجاع وغيرك ذليل وآخر كريم وآخر بخيل فقال له عنتر صدقت فوالله يا جحار ما هذا الانسان الا من أكبر عجائب الزمان واعلم انى أريد أن أتقدم اليه وأسأله أنا الآخر عن منامى من قبل أن يرجع ثم ان الامير عنتر تقدم الى عند سطيح الكاهن وناداه حياك الله يا أبا الفوارس يا فارس عبس الاده وشجاعها المعلم ابشر بالزيادة فى السعاده واعلم ان الله قد رزقك بمشيئته وارادته وقدرته ولدين الا انهم أسدين تذل بهما رقاب العالمين عجم وعرب ثم تبلغ بهما أعلا الرتب فالاكبر فيهم أصبح فى يدك أسيرا والاصغر تعرفه فى هذه الارض بعد شئ يسير واعلم ان منامك يدل على هذه الاحوال وأمارة يا ك ان الهلال قد طلع من الشمال وأنت قد أخذته بيدك وأردت أن ترده الى الشرق فانقلب فى يدك وصار سيفا فهذا دليل على وجود الاولاد وهذا ما عندى أنا والسلام (قال الراوى) وما بقى من الحاضرين أحد الا وحدثه سطيح الكاهن بما ضمر وبين الى صاحب البشاره بشارته وأصحاب الحذر الحذر وقد انطوى بعد ذلك ورفع وقد تعجب كل من حضر مما سمع ونظر وكان أكثرهم تعجبا الامير عنتر لانه قد زاد سرورا وفرحا بالاولاد وقد سار يقول ان هذا الاسير الذى عندى لا شك هو ولدى لان جوارحى كانت تشهد له عند قتاله بالاشفاق ولكن ما أدرى من هى أمه وما أقول الا انى فى أيام الصبا والجهل غصبت بعض بنات العرب على نفسها فى بعض الاوقات فى وقعه من الوقعات فأتت بهذا الغلام اتفاق وان كان هذا على الحقيقه ولدى فانا أذل به الاعداء لانه شجاع ما يوجد مثله فى الآفاق وكانت نفسه أيضا تحدثه بهذه الاشياء وقلبه الى مسيره باشتياق (قال الراوى) وأما ما كان من الشيخ عبد المطلب وأهل مكه فانهم قد حلفوا على الملك النعمان وقد صنعوا له الولائم والدعوات له ولعساكره وأقاموا به وبمن معه من العساكر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أنفذ خمسين فارسا الى بنى شيبان من أهل هانئ ابن مسعود الذى قد رآه فى المنام وقد أعطاهم صفته وحليته وقال لهم ان أنتم وجدتموه واقيتموه

فاضمنوا له على الغنا وبلوغ المنا والهنا والحقوني به الى الحيره (قال الراوى) فقال الامير عنتر بن شداد وأنا وأخى نسير معهم ونجتهد فى طلب هذا الغلام فان وقعنا به والا عدنا سائرين الى بلادنا لان الطريق واحده فقال الملك النعمان افعل ما بدا لك ولا تمضى الى بلادك حتى تعبر بنى شيبان ولولا ان قلبك متعلق بقول الكاهن عن الاسير الذى قد أسرته وسيرته الى ديار قومك وقد أخبرك انه ولدك ما كنت تركتك تمضى من عندى فشكره الامير عنتر على ذلك الكلام وقد طيبه وأوعده بالنصر على الاعداء ثم ان الملك النعمان أخذ أهبة الرحيل وقد أقام بعد رحيل الامير عنتر من مكه ثلاثة أيام وقد ودع الشيخ عبد المطلب وسادات الحرم ورحل يطلب أرض العراق وما زال سائرا حتى قرب لها فرأى رجلا نجابا يقال له معمر وكان من نجابته الذى يرسلهم فى مهماته فلما سار قدامه عرفه فقال له ما شأنك فقال يا مولاى اعلم قدمات الملك كسرى وقد تولى مكانه خذاوند ولده وكل ولات خراسان قد مضت الى خدمته وسارت تحت طاعته لانه كريم كما تعرفون عادل فصيح اللسان فاضل والناس قد اجتمعوا على محبته وفرحوا بدولته وقد أرسانى الملك الاسود أخيك حتى انك تسير سريعا وتجدد عهدك منه لان حسادك على الملك كثير فلما سمع النعمان هذا الكلام صعب عليه وقال فى نفسه ما أخوفنى أن يكون تفسير منامى أن تغير الدوله بتقدم أو بتأخر ثم انه سار وهو مشغول القلب لا يدرى على أى شئ يقدم (قال الراوى) هذا ما كان من أمر الملك النعمان وأما ما كان من الملك خذاوند فانه كان جبارا يكره الجور والاسراف وقد ذكرنا قبل تاريخه فى بعض أوصافه لما كان أرسله أباه الى بنى عبس وجرى له مع الامير عنتر ما جرى وقد مناذكر كرمه وحسن سياسته مع انه كان يحب العرب ويميل اليهم أكثر من العجم لان أمه كانت عربيه من أحسن بنات ملوك العرب والفرسان وكان أيضا يهواهم لاجل فصاحة اللسان ولما وصى له أبوه بالملك اتخذ له من قبائل العرب أعوان ولما سار على سرير الملك فى الديوان ودارت حوله المحوس علماء النيران والبسوه التاج وبايعوه على البلدان فأتت اليه ملوك خراسان وأتت اليه سادات العرب من كل مكان ففتح خزائن الاموال وقد أغمر سائر الناس بانطاع والهدايا وعمل الولائم والدعوات وقاد الجنائب الى السادات وقد أكرم أهل الولايات وأوسع على الجند فى الاقطاع (قال الراوى) وما وصل الملك النعمان حتى وجده مهد الارض تمهيد وقد أطاعه القريب منها والبعيد لانه جلس على سرير أبيه وكانت توليته وجلوسه فى طالع سعيد (قال الراوى) ولما أن وصل الملك النعمان الى بلده الحيره فما أقام فيها غير القليل وقد رحل طالب المدائن وما زال سائرا الى أن وصل المدائن ودخل الى خدمة الملك خذاوند ولما سار قدامه سلم وقبل الارض وعزاه فى أبيه وقد بكى بين يديه وهناه بالملك الذى وصل اليه ودعى له وأثنى عليه فترحب به خذاوند ونصب له كرسيه الذى كان ينصب له فى أيام أبيه وأمره بالجلوس قدامه وأخلع عليه وعلى أرباب دولته وقد سأله عن سبب غيبته وما كان فى سفرته فذكر له انه كان فى البيت الحرام على سبيل الزيارة ولم يذكر له المنام الذى رآه بل حدثه بذكر سطيح الكاهن وما ذكر من صفات النبى صلى الله عليه وسلم وان ظهوره قد حان فتعجب خذاوند من هذا الكلام وقال وحق النار ان الذى يعيش الى أيامه وينظر زمان هذا الرجل يعاين الاهوال فما لبث شهرى يخرج من أى مكان فقال له الموبدان يا ولدى ان شأنه عظيم وقد ذكر واجميع العلماء انه يولد بمكه ثم يتربى يتيم ويجدد بمكه بيت الخليل ابراهيم ويعرف الناس عبادة الرب القديم مرباه زمزم والحطيم (قال الراوى) ثم طال بين الحضار الكلام وقد شرعوا بعد ذلك فى أكل الطعام وشرب المدام وبعد ذلك خلع خذاوند على الولاه خلع الرضا وردهم الى بلادهم وكذلك فعل بالملك النعمان وردّه الى الاوطان

وكان

وكان كثير المحبة الى النسوان زائد الرغبة فى وقت الاصطباح على أصوات المغانى بشرب المدام وعلى الوجوه الحسان من الحور والولدان (قال الراوى) وقد اتفق له فى بعض الايام شرب مع ندمائه الى المساخرى بينهم كلام فقال زيد بن عدى والله يا ملك ما أنت الا قد قضيت من النسوان الحسان وطرا وملكت من الجوار ما لا ملكه أحد من أجدادك الاكاثره الكبار ولكن أنت ما ملكت مثل المتجرده زوجة الملك النعمان لانه لا يوجد مثلها فى هذا الزمان ولولا انها فريدة العصر والاوان فى جميع المعانى ما كان قد ذكرها فى شعره النابغة الذبيانى قال فلما سمع خذاوند هذا الكلام ارتعدت من شدة محبته فى النساء أعضاءه وما بقى يفرق بين الصباح والمسا من شدة جواه فقال له يا زيد ما الذى قد قاله النابغة الذبيانى فى المتجرده اذكر لى بحق النار والنور حتى انى أسمعه ويتم لى أوقات السرور فقال له زيد السمع والطاعة ثم انه أنشد وجعل يقول

يا آل مدلج رايح أو معتدى * عجلان ذو زاد وغير مزود * زعم الوشاة بأن رحلتنا غدا
وبذاك ينعانا الغراب الاسود * لا مرحبا بعد ولا أهلا به * ان كان تفريق المحبة فى غد
فى أمس جارية رمتك بسهمها * فأصاب منك القلب ان لم تعمد * فالدر والياقوت زين نحرها
ومفصل من لؤلؤ وزبرجد * وبفاحم مثل الطلام نجاله * كالكرم مال على الدعام المسند
فظننتها نظرت اليك بناظر * نظر السقيم الى وجوه العود * فبدت فزانت ساقها المتربرب
بحواجب والمقلتين مقلد * أحذ الفؤاد اما قدها فنظمته * من لؤلؤ متتابع متسود
زعم الوشاة بأن فاها بارد * عذب اذا ما ذقته لم يبرد * والبطن ذو عكن لطيف لين
والصدر ترفعه بنهد معقد * واذا لمست لمست منها ناعما * متحرفا بمكانه ما ؤاليد
وخيالها فى البيت فى غسق الدجا * بدر تبدا وسراج موقد * لو انها برزب لا شمط راهب
عبد الاله بنية المتعبد * أيضا بهجتها وحسن حديثها * فتخاله رشدا وان لم يرشد

هذا هو الفخر الرفيع بفخره * بين الملاح ومثله لم يوجد

(قال الراوى) ولما فرغ زيد بن معدى من شعره تعجب الحاضرون من مقاله وقد صدقوه فى كلامه وأما الملك خذاوند فانه قد زاد به الهوى فى فؤاده وقال والله يا زيد لقد كدرت عيشى وقد زاد همى وطيشى بوصفك الى تلك المرأة التى ما لى اليها من سبيل وأنا أعلم انى أصبح بحبها مغرم عليل وان الحياة منى أن أنفذ الى بعلها وأقول له انفذ لى زوجتك حتى اتخذها الى برهة من الزمان وبعد ذلك أنفذها اليك اذا فرغ غرضى منها لا سيما وهو ملك العرب وفى رأسه النخوة والحمية فقال له زيد يا ملك اعلم ان عند المجوس اذا طلب الملك زوجة أى من كان من أرباب دولته ولم ينفذها اليه تحرم عليه لانه من تحت أمره وحكمه وهو فى مذهب عباد النار حلال وهو عندهم جائز فقال الملك خذاوند هذا لا يكون الا عند العجام وأما عند العرب لا يجوز ولا يرضى به أحد لان مذهب العرب لا يقتضى ذلك (قال الراوى) فقال له اياس بن قبيصه وكان من المقربين عند الملك خذاوند صاحبه وند يمه لانه كان قد ربى معه وكانت أمه عجميه وكان أبوه ملكا عظيم الشان فمن أجل ذلك أخذه خذاوند صاحب وند يم وكان أيضا يحب خذاوند ويشفق عليه ولما سمع ذلك اليوم مقاله عند وصفه للمتجردة فقال يا ملك ان كان قلبك قد اشتغل بتلك الامور وقد منعك الحيا أن تطلبها فأنا أعرف ان للملك النعمان بنت يقال لها الرباب وله أخت أيضا صاحبة جمال وبهاء وكمال وحق ما أظهر فى النار من الحرارة والالتهاب ما تصلح أن تكون المتجردة لها خادمه والاثنين قد صلحا للنكاح والزواج واذا أنت طلبتهم منه ما يكون عليك فى هذا عتب ولا احتجاج لان الملك

النعمان نائبالك وغلام وهو معدود من جملة الخدام فأرسل اليه وأطلبها منه وان امتنع منك خذها غصبا عنه وأرسل له من يأتيك بهم الى حضرتك وان شئت اقتله قال وكان لهذا وند من الجوارى ذلك الاوان خمسة آلاف جارية من الموصوفات بالجمال ما بين تركيه وعجميه وروميه وعربيه والكل من أولاد الملوك والوزراء والامراء واما ذكر له حرم الملك النعمان فصارت تلك الجوارى عنده مثل الافاعى ومثل العقارب ولا بقى له قلب يميل اليهم ولا عين تنظر اليهم (قال الراوى) فعند ذلك قال خذاوند انفذ وامن يكون رسول الى نائبى على العربان فقال زيد بن عدى أنا وهو الذى كان السبب فى ذلك وأصل العداوة التى بين زيد بن عدى وبين الملك النعمان له سبب عجيب وذلك ان الملك قتل له ولدمن الفرسان بمدة الملك كسرى أنوشروان ومن أجل ذلك كان زيد يريد ناره ويطلب له الدل والهوان ومازال كذلك الى ان بلغ قصده بتلك الفتنة فى ذلك الاوان (قال الراوى) فقال له خذاوند خذ أهبة الرحيل عند الصباح وقد رتب له خذاوند جماعة من خواص حجابه وأمرهم بالمسير معه ولما كان ثانى يوم عند الصباح حضر زيد عند خذاوند فأمره بالمسير وبصحبته مائتين فارس وبصحبته من الهدايا والتحف ما يكل عن وصفه كل لسان فعند ها سار زيد ومن معه الى أن وصلوا الى أرض الحيره ودخلوا على الملك النعمان فتقدم زيد وسلم وترجم فترحب به الملك النعمان وسأله عن حاله وما الذى أتى فيه فشرح له زيد الامر كله وقد قال له يا نعمان ومن بقى يفاخرك من ملوك العجم والعرب اذا كان بينك وبين الملك صلة ونسب ثم انه بعد ذلك الكلام أحضر قدامه الهدايا والتحف من الفضة والذهب والملبوس والجواهر وكل شئ فاخر بعد ذلك طلب من الملك النعمان الجواب فلما سمع النعمان من زيد ذلك الكلام حرد وقد احمر وجهه وزاد به الغضب وقال له يا زيد ما كان فى أرض السواد والاعاجم ما يشغله عن بنات العرب وحق من تعالى عن خلقه واحتجب وفرق بين ضياء النهار والغيهب لو أن خذاوند يقول لى خذ ملك أبى كله ولا اترك منه ذره وأعطينى من شعر بنتك الرباب شعره واتركنى أنظر الى أختك الحريقه نظره ما فعلت ذلك ولا أزلت له حسرة ولا غربتها عن أرضها والذى شار عليه بهذا ما كان له صديق ولكن مر اليه واعلمه ان ما عندى بنات تتزوج ولا تصلح للزواج ولا تتقرب فلما سمع زيد من الملك النعمان فرح وقد استبشر بلوغ المراد كيف ان النعمان رده بغير قضاء حاجه فسار زيد من عنده وخرج من الحيره ومازال سائرا وهو يتحدث مع حاجب الملك كسرى على ما قال الملك النعمان لان الحاجب كان عجمى اللسان ما يعرف كلام العربان فأعلمه زيد بما قال الملك النعمان من الجواب وقال له اعلم ان خذاوند مخطر للنعمان على بال وقد استقل به وبمالكه وهانت هذه الدولة الكسرويه عنده فلما سمع الحاجب ذلك الكلام غضب غضبا شديدا وقال وحق النار لو انتى فهمت بعض الذى قاله من المقال لضربت رأسه بالحسام الفصال ولكن ما يفوته القتل والعذاب اذا سمع خذاوند هذا الخطاب ومازالوا سائرين الى ان وصلوا الى المدائن ودخلوا على الملك خذاوند وأخبروه بما جرى فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وقد صغرت نفسه عنده وقال ا كون صاحب الارض طولا وعرض وأطلب حاجة لم تقض وحق النار لاصابن النعمان وأقلع شد قيه وآخذ ابنته وأخته وزوجته ثم انه أحضر اياس بن قبيصه الذى قد وصفناه وأعاد عليه هذا الخطاب وما قاله الملك النعمان من الجواب ثم بعد ذلك قال له اجمع سادات بنى طى وخذ معك من شئت من الابطال وسر الى بلده الحيره واقبض على هذا القربان ثم ائتنى بهذا الذى قد احتقرنى وقد أرمانى بالنقصان بين الملوك فقال له اياس يا مولاى وما الذى أريد من عساكرك وبنى طى كلها بحكمى ولا سيما

من

من يوم سرت أنت خلفى قال وكان هذا اياس رجل قوى الهمه شديد الفرصه سفاك الدما فجمع بنى
طى وحلفاهم فمكنوا اثنى عشر الف فارس فى ثلاث رايات ثم انه قال لخذاوند قدم من عساكر
العجم مقدما فاذا حمى الملك برزبان من خواص حجابه وما كان فى العجم مثله وكان يلقى ألف بطل
بصدره فاذا حمى به وسوره وطوقه ومنطقه وقدمه على خمسة آلاف فارس من الديلم وقال له سر صحبة
اياس وجميع ما أمرك به امتثله فقال له سمعا وطاعة ثم ان اياس أخذ أهبة الرحيل وقد رحل
بالعساكر وعقدوا على رأسه الرايات والاعلام وضربت الطبول والبوقات (قال الراوى) فهذا
ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك النعمان فانه بعد رواح زيد والحاجب من عنده أخذ
أهبته وما قدر عليه من الاموال وصار من أرض الحيره طالب أرض الحجاز وبعد رحيل النعمان
بيوم وصل اياس الى بلد الحيره فرآها خاليه من وقت نجى بنفسه وحريمه فصعب عليه كيف ان الملك
قد نذبه فى حاجة ولم تقض على يديه ومن شدة ما جرى عليه أقام له نائب على البلد وقد كتب
كتاب وأنفذه الى خذاوند يقول فيه اعلم أيها الملك ان النعمان قد رحل من الحيره وأخلاها
وسار الى برية الحجاز بالمال والعيال وها أنا طالب المسير فى أثره وأقول بحق سعادتك ما أعود اليه ولم
أرجع خائب وآتى بالنساء الحسان الكواعب ولا تكون على فيما فعلت عاتب لان الحاضر يرى
ما لا يراه الغائب ثم انه أنفذ الكتاب مع نجاب وبعد ذلك نادى فى عساكره بالرحيل فركبت الجنائب
وساروا بالجيش الذى قد مناذكره من العجم والعرب وهو مثل المجنون الذى لم ينظر فى عواقب
الامور قال فهذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما سار من الحيره بعساكره
ورجاله أول يوم وثانى الايام وفى ثالث يوم لحقه اياس ومن معه من عسكر العجم والعرب فلما
أبصر الملك النعمان الى لمعان الاسنه والقواضب فأيقن بحلول النوائب فصاح بالجيش الذى كان
معه فعادت رجاله مثل السلاهب وقد تأهبت لانفسها وما كان منهم الا من سار بحريمه مع عياله
فعندها خلف النعمان بصحبة الحريم والعيال ألف فارس من الرجال الاقيال ووقف فيمن بقى معه
من الابطال واستقبل العجم والديلم والعرب وقد صرخت الطوائف من شدة الفرح بلقاء الملك
النعمان فى ذلك المكان وقد حملت على خيول أخف من الطيور وقد طلبت بنبالها المقاتل والنحور
وضرب العمد والحراب بخير العقول والالباب وتطاعنت العرب بالرماح وزادبينهم الصياح
وتساوى عندهم المساء والصباح وتضاعفت نصيحة النصاح وقد قاتل فى ذلك اليوم الملك النعمان
قتال أهل العيان وسار ينادى فى بنى لخم ويقول لهم يا بنى عمى هذا يوم الافتضاح فمن قاتل عن
نفسه وستر الحريم كان من الكرام ومن ترك عياله وولى وانهزم عاش عيشة الاذلال فقاتلوا
وانصحوا ولا ترغبوا فى الحياه فتفضحوا لا سيما اذا سبيت الاعاجم نساءكم وأولادكم وباعوهم فى أرض
خراسان ويبقى السالم منكم غريب فقير فى سائر البلدان وهو يبكى على نفسه ويبقى ملازم
الاحزان قال وما قال ذلك الكلام حتى انطبقت العرب على العجم انطباق الغمام ووقع الحرب
والخصام واشتد الكرب والزحام وكان اياس قد أبصر الامر قد طال فأخذ خمسة آلاف فارس من
الابطال وسار بهم الى ناحية الالف الذين مع النسوان فبذل السيف فى الالف المقدم ذكرها ونهب
منهم الارواح من مقرها وقد ارتفع الصياح من النساء والبنات وبكوا الاطفال بدموع قراح
وندبت النوادب لما ان رأوا البلا وقد تزلزلت الاقدام وقد الحسام فى الاجساد فاستيقن الملك
النعمان بالجراح وأيقن بالهلاك والافتضاح وبان له شخص الموت ولاح وبكى على حريمه وناح
وقد عزم على الهرب والرواح فبينما هو على ذلك الايضاح واذا هو قد سمع من خلف الاعداء صياح

وخيل قد أقبلت من ناحية أرض الحجاز أخف من الرياح الا انها لما قربت من موضع القتال وعرفت حقيقة الحال حملت على الاعلام التي لا ياس وقد هدرت كأنها الاسود واقتحمت الغبار الممدود وقد طعنت طعنا تقشعر منه الجلود وفي أوائلها فارس شديد في طول العامود كأنه من قوم عاد وثمود وهو ينادي بصوته يا لشيبان يا لشيبان أنا هانئ بن مسعود ابشروا بانعمان بالخلاص من هذه الامور العظام ثم انه صار يطعن في الخواصر والنحور وهو على جواد من الخيل الجياد أشقر وفي يده سيف مشهر وصورته التي رآها الملك النعمان في المنام وانما العجب في وصوله اليه في وسط القتال وحسن هذا الاتفاق الذي اتفق يا كرام ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في تلك الخمسين فارسا الذين سيرها الملك النعمان من البيت الحرام وقد أمرها أن تقصد الحلل من بني شيبان وتسأل عن هانئ بن مسعود وقد أعطاهم صفته وقد ذكرنا ان عنتر بن شداد صار معهم هو وأخوه مازن ورفقته وقد أراد بذلك قرب الطريق الى بني عبس لان قلبه كان متعلق بالولد الذي ذكره له السطيح الكاهن وأعلمه انه في يده أسير كما ذكرنا وكان قد أرسله مع عروة بن الورد ورجاله وصار مع أصحاب الملك النعمان وهو لا يصدق أن يرى الديار والاوطان وكان مسيره على بني شيبان ومازالوا يقطعون الارض والديار والقيعان الى أن وصلوا الى أرض بني شيبان فسألوا عن هانئ بن مسعود من بعض الفرسان فلم أحد أعطاهم جواب ولا بدا لهم بخطاب ومازالوا سائرين الى ان وصلوا أرض ديقار وهي أطيب منزل لبني شيبان فنزلوا هناك بقدر ما أخذوا لهم الراحة وقد تفرقت الفرسان تطلب الحلال والقبائل وبقي عنتر وأخوه مازن وأصحابه على بعض المناهل وقد ضاقت صدورهم من طول الغيبه ومن عودة أصحاب الملك النعمان بالخيبه ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم في مثل ذلك يتحدثون والى أقطار البريه يتلفتون واذا بغبار فارس يطرد في عارض البرنعام من الوحش وهو يردها بين يديه يمين وشمال ويزعق عليه زعقات تزلزل الجبال ويجول عليها كما تجول فحول الفرسان في القتال فهالهم فعاله وقد تعجبوا من حسن مجاله فقال عنتر لاخيه مازن ان كان هذا الفارس يفعل في الفرسان بالحروب كما يفعل بهذه الوحوش ما يكون له في أبطال العرب نظير ومازالت أعينهم ترمقه وتبصره حتى أدرك الفحل النعام وطعنه برأس الرمح فرماه على وجهه الصحصحان وتم يطرد الباقي وتارة في جنبات الفلا فرأى مازن ذلك فبادر الى جواده وقال لعنتر انني قد عولت على هذه الطريدة التي رماها هذا الفارس ونأخذها ونجعلها غدانا فقال له عنتر افعل ما بدا لك فعندها ركض مازن في طلبها حتى انه قاربها وهم أن يترجل اليها واذا هو بسبع قد خرج من غابته وأخذ الطريده في فمه وعاد بها الى غابته فبقي مازن واقف باهت فبينما هو واقف واذا بالفارس قد عاد الى عنده فما رأى فروسيته فقال لمازن بعد ان صاح عليه يا فتى أنت أخذت طريدتي فقال لا والله يا وجه العرب ما أخذها الا السبع ودخل بها في هذه الغابه فقال صدقت وهذا أثر الدم ثم ان ذلك الفارس ترجل عن جواده الى الغابه راجلا من غير سلاح وقد ترك سلاحه وعدته على الارض عند جواده فتعجب مازن من تلك الفعال وبقي واقف ينظر ما يجري له مع الاسد من أجل طريدته وهو يقول والله ان فراعنة الجن ما تفعل مثل هذه الفعال ولا تقدر على السباع بغير سلاح فبينما هو في هذا المقال حتى انه سمع من الغابة صوت وهدير مثل هدير في بئر فقال مازن هلك والله الغلام ونفذت فيه الاحكام ثم انه قد عول أن يأخذ الجواد والعده ويعود عند أخيه عنتر واذا بالفارس قد خرج من بين الاشجار وهو يحطم بطول قامته ويقود الاسد مثل ما يقود الرجل الشجاع برقبة الرجل الجبان وقد مكن كفه اليمين من ناصيته وفي يده الشمال العمامه التي قد اصطادها وسار يعاتب

الاسد

الاسد ويقول ويلك ياغلاب تأخذ صيد هانئ بن مسعود ثم تخطر فى أرض يكون فيها خاطر وموجود
ثم انه حط النعامه من يده وقد مكن يده الاخرى من الاسد وهو يهدر ويطلب الى نفسه الخلاص ثم
انه شاله و جلد به الارض على صخرة كانت هناك فخلط عظامه و عجل حمامه وعاد الى جواده وركبه
بعد ما تناول عدته وقال لمازن لما رآه واقف ياوجه العرب من أنت والى أين تريدان كنت عابر
طريق فتزود من هذا الزاد وخذ ما يكفيك الى المكان الذى أنت طالبه وان أردت المقام والراحه
فاعدل معى الى قومى وانزل عندى واعلم ان الحى منا قريب فقال له مازن والله ياقتى ما أنا وحدى بل
أنا معى رفاقى ونحن خمسون فارس ونحن دائرين على رجل طالبه الملك النعمان نائب الملك كسرى
قال فلما سمع هانئ بن مسعود من مازن ذكر الملك النعمان رمى من يده الصيد وأقبل على مازن
وقال له ياقتى وما السبب فى ذلك حتى أنفذ الملك النعمان يطلب هذا الغلام فقال له مازن اعلم ان الملك
النعمان قد رأى منام تحير فيه الاوهام لانه قد رأى ان فيلا طلبه وهو عظيم الخلقه وهو يرمى من فيه
النار وقد طلب من دون الخلق النعمان وسار له طالب والملك النعمان من خوفه ولى هارب وما
قد رأ حد من الانام أن يجير الملك النعمان وأراد الفيل أن يكسره فبينما هو على تلك الحال واذا قد
أقبل عليه شخص وبادر الى الفيل وهو يرمى النيران من زلومته وضربه بسيفه البتار فأرمى رأسه
وخمدت نيرانه وأقبل بعد ذلك على الملك النعمان وطيب قلبه وقال له لا تخاف يانعمان فها أنا هانئ بن
مسعود وقومى بنو شيبان فانتبه الملك النعمان من منامه وقد جمع أرباب دولته وسار الى مكة وفسر
منامه على سطيح الكاهن فقال له اطلب هذا الغلام هانئ وكن له مقارباً ومدانى تخلص من هذه
النيران فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام أرسل يطلبه وها نحن دائرين عليه فى قبائل بنى شيبان
وأنا أقول بعين الفراسه انه أنت ياقتى فعندها تبسم هانئ وصار يتعجب من هذه المعانى وكان الامير
عنتر ورفاقه قاموا على الاقدام وهم ينتظرون مازن لانه قد أبطأ عليهم فأتى مازن وهانئ معه فلما وصلوا
اليهم وحقق عنتر الى هانئ وقد رأى صفته والمعانى فقال لاخيه مازن ياويلك ما أشبه هذا الشخص
بالذى أعطانا صفته الملك النعمان فان كان اسمه هانئ بن مسعود فقد بلغنا المقصود فقال مازن والله
ان اسمه هانئ ثم ان مازن حدثه بما جرى له مع الاسد فخفق فؤاد الامير عنتر من عظم الفرح والسرور
الذى حصل وقد دنى الى هانئ واعتنقه وقبله وسلم عليه وأخذ بيده وحضنه الى ان نزل عن الجواد وقد
بان له من الشجاعة والفروسية أكثر ما وصف له لاجل ما قد مارس الابطال ولما استقر هانئ الى الارض
أعاد عليه عنتر حديث الملك النعمان وكيف أبصر المنام فلما سمع هانئ كلام عنتر رآه موافق كلام
مازن ففرح هانئ وقد تبسم وقال ياالعرب ان من هذا الكلام العجب ويجب أن يكتب بماء الذهب
لان لى فى هذا قصد وارب فقال له عنتر وما هو السبب يا ابن القوم الكرام فقال هانئ اعلم ان لى ابنة
عم وان اسمها ليلى وهى أحسن من كل من فى قبيلتنا وحلتنا وانى والله أحبها ومن أجلها قد تعلمت
الفروسيه وصرت أتجسر على كل بليه فلما بلغت هذا المنزله وذلت لى الفرسان والشجعان وبارزت
الاقران وخالطت الابطال فاتفق لى سبيع الحارث الملقب بذو الخمار وبارزته حتى أسرته ووضعته
عندى فى الوثاق الى ان أفدى نفسه بالمال وأطلقته من الشد والاعتقال وبعد ذلك قد خطبت ليلى
من أبيها وأطلعته على أمورى كلها فأجابنى وقد استحى منى ومن المشايخ الذين كانوا معى ولكنه
طلب منى أشياء كثيرة من المهر ومن جملتها الف ناقه من نوق الملك النعمان وهى النياق العصافير
فأجبته الى ذلك ورجعت من عنده وأنا متفكر وأقول ياليت شعرى بماذا أتوصل الى الملك النعمان
حتى أنال منه الارب لعله يعطينى كلما طلبت وقد بت تلك الليلة وأنا متفكر فى هذا الامر واذا بهاتف

يقول ياهانئ لاتضيق صدرك من هذه الامور واصبر فان قسمك من السعادة موفور فانك ترى وتدرك الرجل المنظر اليه وتقاتل بين يديه اذا ظهر وفي هذه الايام يصل اليك رسول الملك النعمان ويسألك أن تسير اليه في جماعة من بني شيبان وتدركه وهو في أضيق الخناق وتخلصه من الاعادي في أرض العراق ويحكمك في أمواله والنياق ويشيع ذكرك في سائر الآفاق ببركة صاحب البراق حبيب الملك الخلاق صلى الله عليه وسلم قال فلما ان سمع عنتر منه ذلك الكلام تعجب من هذا الاتفاق ثم ان هانئ قال لعنتر ان الهاتف قال لي كن بهذا معتمدا واثني ياهذا لما ان سمعت من الهاتف هذا المقال بقيت من عاقبة هذا الامر خائف ولي أيام وأنا أتسلى بالصيد والقنص الى أن وصلتم أنتم وحققتم الغرض وما بقي الا المسير الى ملك العربان قال فما بقي في بني عبس الامن طرب بهذا الكلام وقال هذا يكون سبب الاقبال اذا قضاها رب السماء المتعال قال ثم ان هانئ أقبل على عنتر وقال ياوجه العرب بحرمة شهر رجب اكشف عن حقيقة ما جرى لكم لاني أرى لغتكم تجازيه عدنانيه وأنتم ذكرتم انكم رسل الملك النعمان ومن أهل العراق فهذا تعال فقال له عنتر لاوحق من رفع السموات السبع الطباق وقسم على عباده الآجال والارزاق ما نحن الا رسل الملك النعمان ومن أجل حاجته أتينا في طلبك الى هذا المكان وأما قولك ان لغتنا تجازيه لغتا ما قلت نحن من بني عبس وعدنانيه وفي مكة اجتمعنا بالملك النعمان وفسر منامه بحضرتنا على السطيح الكاهن وأمره أن يطلبك في آخر كلامه وان أردت أن تزدنا معرفة فأنا أخبرك بالخبر على جليته اعلم اني أنا عنتر بن شداد وهذا أخي مازن وهؤلاء بنو عمي وأما رسل الملك النعمان فانهم قد تفرقوا في طلبك الى الجبال وكل مكان قال فوالله ما سمع هانئ بذكر عنتر لما انه قام على قدميه وقبل عنتر بين عينيه وقال له يامولاي ألفتك الى أرضنا بجوادك الميمون والله لقد كنت أطرب عند سماع ذكرك وصفتك ويرتاح قلبي ويشتهي قربك ياشمس الفرسان وانسان عين هذا الزمان وفرجة الميدان وحامي بلاد معد بن عدنان ثم ان هانئ أنشد وجعل يقول

أنت في الدهر مالك ثاني * ووحيد تعد في الفرساني * خلق الرمح والحسام لاجلك
عن حقيق لا للذليل المهاني * كل من يلتقيك في الحرب يلقى * جبلا مائلا على الانساني
أنت كهف لمن أتى مستجيرا * لينال الذمام ثم الامان

قال فلما ان سمع الامير عنتر من هانئ تلك الابيات شكره وأثنى عليه ثم ان هانئ بعد ذلك قال لعنتر ياسيد الفرسان اني متعجب من الملك النعمان كيف انه أنفد الى يطلبني ويطلب مني ناصر ومعين ومثلك أنت عنده من الطائعين فقال له عنتر والله ياهانئ انك ما تركت لسان يرد عليك قولا لانك قد وصفتني بصفات أنت أحق بها مني وأولى والامن أين يكون يستحق العبد مدح المولى لانك أنت كريم وقد أعطاك الرب القديم هذه القوة والجلاده وقد سبب لك أسباب السعاده لاسيما وأنت تذكر في الاوهام وعند المنام وتفرج الكروب في الاعلام ومن هذه الساعه هنيألك ياهانئ بعلو المنزله وبلوغ الآمال

(قال الرواي) فبينما هم في مثل هذا الكلام واذا قد أقبلت فرسان الملك النعمان من ناحية بني شيبان من بعد ما داروا الحلل والقبائل ورجعت ما نالت طائل فتلقاهم عنتر بن شداد وقد أخبرهم ببلوغ القصد والمراد ومعرفته بهانئ بن مسعود وقد قال لهم اعلموا ان من ذلك اليوم قد زالت الهموم عنا والغموم وفي دون ساعه شاع الخبر في الجماعه وما فيهم الامن استبشر بالسعاده والاقبال وقد أعاد عليه ما سمعه من الملك النعمان فانفرج بعد ذلك قلب هانئ بن مسعود ونادى اليه منادي السعود فعند ذلك رد القوم الى حلته وأنزلهم في أبياته ففرح بنو عمه بما قد جرى له وما فيهم الامن استبشر بالسعادة

والاقبال

والاقبال وقد نحر وعقر وخدم وتكرم وقد صنعوا الولائم والدعوات وتلقوا الايام بالمسرات ولما
أبصر عنتران حاجة الملك النعمان قد انقضت فما أمكنه أن يقيم لاجل شغل قلبه بظهور ولده وشوقه
الى بنت عمه ومن شدة ما أخذه من القلق ودعهم واعتذر وقد استأذن هانئ في المسير وقد رحل هو
وأخوه مازن طالبين بني عبس وأما الامير هانئ فان القوم قد أقاموا عنده سبعة أيام وطلبوا العود الى
الملك النعمان فأجابهم هانئ وقد اختار من قومه خمسين فارس وقد أوعدهم انه يغنيهم وبنفسه يساويهم
وكانوا أبطال جبابرة لا يخافون الموت ولا حاول الفوت وقد ركبوا الخيل الجياد وفي أيديهم القنا
والقواضب وتحملوا بكل ما يحتاجون اليه من السلاح وآلة الحرب والكفاح وساروا بهجمة هانئ
وجدوا في المسير في قطع البراري والبطاح الى أن أشرفوا على الملك النعمان وهو في شدة الضنك
والضيق من الاعداء أصحاب الوجوه القباح ﴿قال الراوي﴾ ولما ان أقبل الامير هانئ بأصحابه وأبصر
الغبار تائر والقتال عمال فقال يا ترى ما يكون هذا الغبار فسار الى أن قرب منه فسمع صياح عساكر العجم
وسيوفهم تلمع كالبرق فاسود في عينيه الغرب والشرق وقال لاصحاب النعمان يا وجوه العرب هكذا والله
رأيت صاحبكم في المنام وأقول انه بعدكم غدرت به الايام فسيروا أنتم الى الرايات والاعلام واكشفوا
خبر هذه العساكر التي في وسط الغبار ولكن ان فاتني حذري ولم يخطئ ان هذه الرايات رايات الملك
النعمان وما فيهم اشك ولا بهتان وأما هذه الطوائف فهي طوائف خذاوند بن كسرى انوشروان
وانها قد ضيقت الدنيا على ملك العرب وما نعرف هذا السبب والصواب أن نتوصل الى هذه الرايات
والاعلام والخيل التي دارت بالحريم فلا شك ان فيها حريم الملك النعمان التي عليهم المعتمد ثم بعد
ذلك نعود الى هؤلاء الخلق الذين ما لها عدد فقالوا له أصحاب الملك النعمان صدقت أيها الامير المنصان
ولكن ما معنا علم بهذه الامور والاحكام فقال هانئ وحق الواحد لا فرقت هذه الجموع ولو كانت بعدد
القطر اذا انسكب ثم انه قد زعق وحمل بطاب اياس بن قبيضه والرايات التي قد دارت بالحريم والعيال
وقد طعن أيضا في صدور الرجال وقصر أيضا منهم الآجال قال وقد ذكرنا ان اياس خلا القتال وقصد
حريم الملك النعمان في خمسة آلاف فارس وقد وضع السيف في الالف فارس الذين كانت مع الحريم
واحترى على جميع النسوان والصبيان وعوّل على العودة فرأى الخيل التي قد عادت نافرة وهانئ في
أثرها مثل الاسد اذا هدر وقد طعن فيهم طعن لا يبقي ولا يذر وأصحابه من خلفه يحمون ظهره وجانبه
ويفعلون مثل فعاله فضاق المجال على الفرسان والرجال بين يديه تقع وتتكبكب والبر بصياحهم قد
انقلب والابطال من على الخيل تتقلب وعمل فيهم الحسام المشطب والرمح الاملود المكعب ﴿قال
الاصمعي﴾ قد بلغني عن هانئ انه كان في ذلك اذا أدرك الفارس وقد قصر به الجواد وتمكن منه
فيدفعه بقوته فيرميه بيده الى وراه ويطلب غيره قال فلما ان ابصر اياس فعاله صار ينادي في رجاله
وأبطاله ويطلب أن يردهم الى قتاله فلا يسمعون مقاله بل يظنون ان في أثرهم ملك الموت بأجناده
السماوية وصاروا من فزعهم هاجين في أقطار البريه فلما ان حقق ذلك أخذته النخوة الحميه وما راى
على نفسه الهرب بالكليه وقد سار يقاتل ويرمي في الاخطار الرديه فلما ان رأى منه تلك الحميه صار
اليه وحمل عليه وكان حوله جماعة من خواصه فدعس فيهم وزعق في جمعهم فتركوه وتفرقوا عنه
وقد أدرك اياس من بعد أن قتل جماعة من أصحابه ولما رأى اياس الى هانئ وهو قابل عليه فصوب
سنان رمحه اليه فعندها ضربه هانئ طير أعلاه وقد أدركه بعد ذلك وفاجاه وقبض على درعه قبضة الاسد
وجذبه برجله مما عليه من الزرد وقد سلمه الى جماعة من الفرسان وحمل بعد ذلك على الرايات والاعلام
ففرقهم الى سائر الجهات وقد قال لرجاله اعلموا ان هذا الامر احتكم وقد آمنا على الاموال والحريم فخوضوا

يخيلكم الغبار الاعظم واحملوا على هؤلاء القوم الذين هم من العرب والعجم والديلم ويكون قصدكم الملك
النعمان لعل أن تخلصه من أصحاب هذا القرنان ثم انه اقتحم الغبار الشديد وهو ينادى يا نعمان
لا تخاف ولا ترتاع وأبشر بالنصر على أعداك فقد أتاك هانى بن مسعود وقد حملت خلفه بنى شيبان
بقلوب قد حلى لها الموت وهان وقد أقام الحرب على ساق وقدم وموج بحر المنايا على الاعداء قد التطم
وجمر اللظى قد أوقد وأضرم والسيوف قد تثلمت من وقعها على القمم واللسان الفصيح من شدة
الاهوال قد انبجم قال وقد كان الملك النعمان قد أشرف هو ومن كان معه على الهلاك والعدم وقد
فنيت طائفة من بنى لخم الا ان الملك النعمان لما ان رأى الى ذلك الامر والشان فتعلق قلبه بهانى لما
ان سمع صوته وناداه باسمه لانه كان قد أبصره فى المنام وسمع صوته وهو يقول يا شيبان وهو على جواد
أشقر أعلى الخيل مضمر ومعه سيف مشهر فتعلق آماله بالنصر والظفر قال وأما هانى فانه خاض الغبار
الذى كان على الجميع قد اعتكر وطير بحسامه الجاجم مثل الاكر وقد أسكر بكاسات الطعن من لا
يسكر وقد حارت بقتاله الاوهام والفكر وقد نصل الابطال بالصارم الذكر وأتلف الاجسام وأفسد
الصور وقد فرق عن الملك النعمان عباد النيران وبعدهم عباد الشمس والقمر وقد صاران حمل على
أى موكب انكسر لان الله تعالى قد أنفذ فيهم حكم القضاء والقدر فسبحان من لا راد لاحكامه ولا نقض
لابرامه قال ومازال الامير هانى يقتل الفرسان الى أن دخل عليهم الليل وهجم وقد تأخرت طوائف
العرب والعجم لان هانى كان فى قلوبهم أحر من النار وقد أبصروا منه طعنات لا يقع عليها عيار فعادوا
وهم يطلبون الرايات والاعلام وهم يتعوذون بالفور والنار من فعل هانى الاسد الكرار قال وكان
هانى من حوصه قد خلص الملك النعمان ومن معه من الفرسان وكان قد أسر من أصحابه أزيد من
ألف فارس قبل وصول هانى وقد أوثقوهم بالحبال وأما بنى طى فانهم قد ضاقت صدورهم لاجل أسر
مقدمهم اياس بن قبيصه وقد اجتمع السادات عند نايل مقدم طائفة الفرس وشكوا اليه أحوالهم فقال
لهم اعلموا ان هذا الامر هين لكن امسكوا انتم على النعمان سائر الطرقات حتى انى أريكم عند الصباح
ما أفعل بهم وأنجز أمرهم وأكفيكم مؤنة هذا الشيطان الذى يسفوه وأدع باقى الخيل معكم لتتمالوا
من الملك النعمان كما تريدون ثم انه طيب قلوبهم وبات ينتظر طلوع النهار وأما الملك النعمان فانه قد
تلقى هانى عند عودته وقد ضمه الى صدره وبكى فرحا برؤيته وقد سأله عن حاله وعن قبيلته فحدثه
هانى بقصته وأعلمه ان أصحاب الرسل قد وصلوا الى مع عنتر ورفقته فقال له الملك النعمان والله لقد
جليت بقدومك الافراح وحميت العيال والصبيان ولو جاء معك عنتر الآخر كان الامر قد هان وانكسر
هذا العسكر ثم انه حدثه بما جرى معه من خداوند وكيف انه أرسل يطلب ابنته وكيف رد رسوله وهرب
بعسكره وكيف لحقته العساكر والحال الذى تم عليه من الاول الى الآخر فطيب هانى قلبه وأوعده
أن يفرق أعداه وانه يغنيه عن عنتر وعن غيره فقال له الملك النعمان سوف أجازيك خير وترى
ما يأتيك وأكافيك فقال له هانى سوف أقاتل بين يديك وترى ما أفعل بابن كسرى وآخذه برقبته
من ايوان أبيه حقير ذليل وكيف أدعه معك يقاسى الاهوال فى الليل والنهار فطاب قلب الملك
النعمان بهذا الكلام وقد علم ان الذى قد أبصره فى المنام قد لاح دلائله والبرهان (قال الراوى)
وبعد ذلك قد نزل هو ومن معه عند البستان حتى لاح ضوء النهار فثارت الفرسان تطلب الحرب
والطعان فركبت الفرس وأبطال خراسان وكذلك هانى وبنو شيبان وقد ركب الملك النعمان
ومن تبقى معه من الفرسان وما استقرت العساكر وتقابلت حتى قال مقدم العجم لاصحابه وحجابه
قدموا الاسارى الذين معكم الى بين الصفين واضربوا رقابهم وارموهم الى ناحية النعمان واحملوا بنا

كلنا حملة واحده حتى نهلك هذه الطائفة اليسيره ونهلكوا ما معهم من الاموال والعيال والحريم لان
قتل الاسراء يهد ظهر النعمان ويقل عزم هذا الشيطان الى نصرته من أبعد مكان فاستصوب
رأيه كل من كان حاضرا من الحجاب والاعوان وفى دون ساعه أخرجوا الاسارى وقد قادوهم بالحبال
وقدموهم لضرب الرقاب وفروغ الآجال فلما أبصر النعمان الى هذه الفعال عرف حقيقة الحال
فصعب عليه قتل الرجال وقد قال لها انى اعلم ان الاعداء قد عولوا على قتل أصحابنا فما الذى ترى
من الرأى فقال هانى اعلم ان الرأى عندى أن تقدم أنت الآخر اياس بن قبيضه وتدعه ان تطلب منه
الفدا بهذه الاسارى فان أبى ضرب بنار قبته وأشفى قلبك بقتلته لانه هو غريمك وهو الذى قصد الى سبى
حريمك وبعد ذلك أنا أبلغك مناك وأشفى قلبك من أعداك فعندها أمر الملك النعمان باحضار اياس
الى بين الصفين وقد عول عليه بالقتل وأشهر من حوله السيوف وقد عرف ما جرى من أمر الاسارى
وما يريد أن يفعل بهم مقدم العجم وأعلمه بالحال فقال له اياس اصبر على قليلا حتى أرسل اليهم من يعلمهم
بالفدا ثم ان اياس أرسل الى مقدم العجم من ساعته رسولا يقول له لا تفعل شيأ من ذلك واعلم انك ان
فعلت شيأ من هذا الامر فأنا يقتلونى الاعداء ويعطبونى وتختلف عليك بعدى طوائف العرب الذين
هم أصحابى وما تدرى بعد ذلك ما تلقى من الملك خذاوند والا تكون مكسورا ويهربوا عنك أصحابى
فتصبح مقتولا أو مأسورا قال ولما ان وصلت هذه الرساله الى الحاجب المتقدم على الفرسان فانه خاف
من سوء عاقبة هذا الامر وقد قال فى نفسه ان الصواب أن أخلص نائب الملك ونعود كلنا بعد ذلك بأجمعنا
على قتال الملك النعمان وان لم أفعل ذلك والا وقع بنا الندم والخسران لاننا بعدد أعدانا أضعاف
فما نبالى بخلاص هذه الطائفه ولو كانوا بمثلها آلاف فعند ذلك قد جمع الاسارى وأخذوا عليهم
العهد والميثاق وقد اطلقوهم بعدما كانوا أشرفوا على التلاف ولما ان وصلوا الى عند الملك النعمان
رد على اياس عدته وجواده واطلقه بعد ان سأله فى الصلح والعوده الى ديارهم فأبى وقال ان الامر ما هو لى
وانما الامر لنائب الملك خذاوند ثم ان اياس ركب جواده وسار الى أن وصل الى العجم ثم انه بادر الى بنى
طى وأمرهم بأخذ الاهبه للحرب والقتال وقد فعلت طائفة العجم كذلك وأما هانى فقال للملك النعمان
قف أنت تحت الاعلام فى طائفة بنى لخم واحموا الحريم والاولاد حتى انى أفرق شملهم وأدعكم
تنهبون أسلابهم ثم انه قال لبنى عمه أنتم احموا ظهرى وكونوا بالخيل والجنائب وأبصروا منى ومنهم
العجائب ثم تقدم الى الميدان وصال وجال حتى ارتعدت منه الابطال ونادى يا آل فارس ابرزوا الى
القتال ألف ألف فان عجزتم فاحملوا أنتم والعرب وأنا أنفاكم وحدى وادع لى ولكم حديث يذكر
من بعدى (قال الراوى) فلما سمع عساكر العجم مقال هانى تبادروا الى الحرب والقتال وسارت
تخرج اليه فرق وتعود وهى من شدة الحرب تتكبكب فوقفت عنه الرجال وقد نظرت بعينها
الاهوال وقد عاد هانى الى أصحابه وغير الجواد وأخذ محاما من الرماح الطوال المداد وتقلد بسيف
من السيوف الحداد يعمل فى الكبود عمل النار اذا ظهرت من الزناد وهو كأنه من جبابرة قوم عاد
أو من السبع الشداد ثم انه لما ان صار فى الميدان ترنم بهذه الابيات يقول

لا تشتكى يا حسامى من يدى مللا * واصبر على الضيم حتى تبلغ الاملا
وياسنان قناتى لا تصاحبنى * الا وطعنك ماض يسبق الاجلا
عدمت سمر القنا ان لم أعلمها * قبض النفوس اذا ما نقع الغبار علا
وأترك الخيل فى الميدان جائلة * تصاحب الوحش أسرابا اذا جفلا
أنا الذى سجدت جن القفار له * وبات شيطانها من خوفه وجلا

علمت صيد سباع البر من ضغرى * واليوم عدت أصيد الفارس البطلا
يا للاعاجم هموا قصد وابطلا * تهتز من تحته الدنيا اذا حملا
ما سل صارمه فى وسط معركة * الا وأحرق سهل الارض والجبلا
فحاذروا سطوة النعمان وارتحلوا * قبل الهلاك ولا تصفوا له عدلا
فحمكم عند مثلى لا يروعنى * يوم الطعام ولا يشفى لكم علا
لانى فارس الاقطار أجمعها * والناس تشهد انى فارس بطلا
اردى الكماة بطعن لا مثال له * أفلق الجمع فى سهل وفى جبلا
وسائلوا الفرس عنى ثم عن عملى * يوم الطراد وها أنتم تروا العملا

(قال الراوى) ولما فرغ الامير هانئ من هذه الابيات نظر الى طائفة العجم فرأى سادا تهم قد داروا بالحاجب المقدم عليهم وهم فى مشورة وكلام فقال هانئ لبنى شيبان تأهبوا للحمل على هذا الجمع حتى نفرقهم ولعلنا نميل العلم وقد انكسر هذا الجحفل وانهزم ثم أرسل الى النعمان يقول له اذا رأيت الاعاجم قد مالوا فاحمل أنت فى بنى لخم وقد انقضى الفعل وانفصل (قال الراوى) وكان اياس قد قال لنائب خذاوند اعلم أيها الملك ان هذا الشيطان الذى قد أتى لنصرة النعمان انه من ابطال الحجاز وان غفلنا عنه أذنى ابطالنا فى البراز والصواب اننا نبارزه بالكثرة ونشيله على رؤس الاسنة والا ما نبالغ من النعمان المنا فقال مقدم العجم هذا الامر مناطوع لك عليه لانك أنت أسرت وذللت وأنا ما أسمع قول ذليل مهان ولكن أنا أشهد عليك انك قد عجزت عن قتال النعمان وقضاء حاجة الملك خذاوند وأما أنا سوف أريك ما أفعل بهؤلاء القوم (قال الراوى) فقال اياس يا حاجب هذه الشهاده كيف تكون وقد ابصرتنى سائر الطوائف لما أسرت وقد شهدت على بالذل والعجز فافعل أنت ما بدا لك من الفعال التى تظهر الفخر والفضل (قال الراوى) فبينما هم فى المحاولة والضجة وقعت فى جانب الموكب وركضت الخيل حتى خيل لهم ان الارض قد انقلبت وظهر هانئ بن مسعود ورجاله حوله مثل الاسود وهو يشك بسنانه العلائق والكبود فأبصره نايل فخرج من تحت الاعلام والبنود فى يده عامود واستقبل هانئ بن مسعود بعد ما زعق فى أبطاله والجنود وقد أراد ان يصدم هانئ بن مسعود ويجول فما أمهله هانئ ولا طاوعه بل صاح فيه وزعق عليه وطعنه طعنة فارس خبير بالشجاعة عارف بمواقع الطعان والبراعه وطلب بالسنان فؤاده فنكسه عن ظهر جواده فعندها هاجت طائفة العجم وقد مال العلم واختلف رأى القوم وقالت العجم وعرف النعمان ما جرى فطمع فى عساكر كسرى وصاح فى بنى لخم فحملت وفى أوائلها احجار بن عامر وكان قد عمل فى هذه النوبة عملا تعجز عنه الابطال الكبار وهو الذى ثبت عساكر النعمان والا ما كان بقى منهم ديار ولا من يرد الاخبار وكان النعمان قد ثخن بالجراح وشرف على الهلاك من وجد السنة الرماح فاشتد عزمه لما أبصر فعال هانئ وأيقن بالنصر وبلوغ الآمال فحمل بهمته وأظهر الجهد ومن شجاعته وزادت به حميته ونخوته وغيرته على النسوان واشتد هول الطعان وتلفت الارواح فى الابدان وضاق عليهم المكان (قال الراوى) وكان اياس بن قبيضه لما ان أبصر طعنة الامير هانئ الى نايل مقدم عسكر العجم فما بقى يسمع ولا يرى وقال أنا حصل لى نعمة كبيرة لانى أسرت وخلصت من هذا الخلس فان ظفر بى ثانيا قتلنى ثم انه أبصر الاعلام قد مالت والكتائب الى أواخرها انقلبت وهانئ قد جد فى طلبه ونثر الرجال بوقع مضاربه فولى خوفا على نفسه من الهلاك وكانت طائفة العجم قد عادت على الاعقاب من حين رأت سيدها ممددا على التراب وتفرقت بعد ذلك العرب وطلبت الفرار

والهرب

والعرب واتبعها هانئ والنعمان وأصحابه واخوته الى آخر النهار وقد فرحوا بالنصر على عدوهم مستبشرين بخلاصهم وخلاص الحريم والاولاد والكل يدعون لهانئ بن مسعود بطول العمر والبقاء ويشكرونه على ماقاسى ومالاقى وهو يقول للملك النعمان ياملك لوعلمت انى ألقاك على مثل هذه الحالة فى هذا المكان ماكنت أتيت الاسائر قومى بنى شيبان وكنت فنيت سائر طوائف العجم الذين خرجوا من خراسان وكنت حاصرت ابن كسرى فى الايوان فشكره الملك النعمان على ذلك الكلام وأقام هناك حتى أصبح الصباح ورحل بحريمه وقومه بصحبة الامير هانئ بن مسعود الى بنى شيبان وأرض ديقار وقد عول على المقام فى تلك الديار واعتمد على هانئ بن مسعود وقومه وفرسان الاقاليم والاقطار هذا وهانئ يطيب قلبه ويوعده أن يبذل من أجله نفسه وعشيرته ولا يحوجه الى أحد من العربان وهو يلتذ بالنسيم الذى يلقاه من الارض كلما دنا من الديار ويذكر محبوبته ليلى ومنازل ديقار وهو ينشد ويقول

قالق النسيم فزادنى قلقا * سرا فزاد الهم وانطلقا * وقد تذكرت ديقار فهيج لى
تذكارها الاشواق والحرقا * يادار لاتبكى على ولا * زال السحاب عليه منهمقا
ولكم شربت الراح مصطبحا * فيها وقد أمسيت معتبقا * ووصف أوصافها اذا برزت
فى الليل أجلى نورها الغسقا * تصفو اذا راقت لشاربها * عجبا فلا يبقى له رمقا
فاشرب وهات الكاس واتركنى * من ذكر رسم دارس وبقى * واذا رأيت الحرب دائرة
وحسام داعى الموت قد برقا * نادى الى وخلنى فأنا * أبرى الرقاب وأطعن الحدقا
سل بنى الاعجام عن همتى * واسأل اياسا ان شيطانه صدقا * لقد أتونا باذان مخرقة
قد عودوها لكى ان تحمل الحلقا * ودوابل وصوارم قضب * تهتز فى أغمادها قلقا
فلقيتهم والخيل جائلة * عبس العوابس تنقط عرقا * فضربت فيهم ضرب مقتدر
بهند فى العظام قد زعقا * وطعنت سيدهم فمال وقد * بدلت طيب نعيمه بشقا
ونثرتهم نثر الغصون اذا * عصف الرياح وألقت الورقا * ورجعت أركض فى الدما خببا
والمهر تحتى يحذر الزلقا * وغدا يرى النعمان أى فتى * يحمى الحريم اذا الغبار رقا

(قال الراوى) فلما فرغ هانئ من هذه الابيات طربت لها السادات ونزل فى قلب النعمان واخوته بأعلا مكان وعلموا انه فريد ذلك الزمان فساروا معه يقطعون المنازل ويردون الغدران والمناهل حتى أشرفوا على ديقار وديار بنى شيبان فأرسل هانئ بعض بنى عمه وعشيرته يخبر قومه ويبشرهم بقدومه فلما وصلوا أعلموهم بقدوم هانئ فركب سيدهم بدر بن عبد شمس فى سائر الفرسان والتقوا الملك النعمان أحسن ملتقى وأنزلوهم فى أرض واسعة خصبة يقال لها أرض النقا وأكرموه وخدموه وعملوا له الدعوات والولائم وفرحوا بنزوله عليهم فلما طاب لهم المزار واستقرت بهم تلك الديار أرسل النجابة الى سائر قبائل العرب فى الحجاز لاجل ان يعلمهم بما تم عليه من خذاوند بن كسرى ويطلب منهم نجدته على الاعاجم ان طلبوه مرة أخرى وكذلك أرسل الى بنى عبس وأقام ينتظر ما يتجدد (قال الراوى) وكان عنتر بن شداد بعد فراقه لهانئ بن مسعود وانفاذه الى النعمان قد صار يطلب أرضه وهو لا يصدق أن يرى الديار لان فى قلبه النار من أجل الولد الذى ظهر له وأخبره به سطيح الكاهن لما فسر له المنام فى البيت الحرام فقطع الارض حتى شارف ديار بنى عبس فعلموا به أحبابه وأصحابه وأصدقاءه فخرجوا الى لقائه وميسره فى أوائلهم وعمه شيبوب وعروة على أثرهم هو وأبطاله وسادات بنى عبس وبنى زياد وشيبوب يهرول بين أيديهم الى أن قاربوا أخاه عنتر وقالوا له

مالقيناك أحسن ملتقا الا ولدك ميسره وكان عنتر قبل أن يصل اليهم رأى قبرا على جانب الطريق
جديدا فلما أشرف عليه وقف وبكى وقال والله هذا قبر صديقي مقرى الوحش رحمه الله تعالى فقالوا
له أصحابه من أعلمك بذلك ثم انه بكى وزاد فى الاشتكا واكثرا التأسف والنكال وقال لهم والله انه
كان نعم الصديق وخير رفيق وهذا قبره على التحقيق وان كنتم تلومونى على فعالى ولا تصدقونى
فى مقالى فاليقف بعضكم ثم انه يتأخر ويبصر ما يكون من هذا العشب الاخضر الذى على القبر كيف
انه يخضر عند قدومنا ويذبل عند فراقنا وسيرنا (قال الراوى) فتأخر جماعة من الفرسان وما
لحقوا أن يقفوا نصف ساعة حتى ذبل ذلك العشب واضمحل ويبس كأنه ما كان ولا طلع فى ذلك
المكان فعندها قد سارا ولحقوه وقد اعلموه بما رأوا وقالوا له ان العشب قد نشف وسار حطبا يابسا
فقال لهم أنا قلت لكم ذلك ثم انهم ما زالوا سائرين وعنتر قدام القوم حتى أشرف على الديار والتقوا به
أحبابه كما قد ذكرنا وقال له شيبوب يا أبا الفوارس ما نستقبلك بأحسن من ولدك ميسره الذى
سهله الرب القديم ويسره وأما ميسره فانه لما أقبل أبوه عنتر ترجل وأسرع اليه وصار يقبل قدميه
ويديه وعنتر غائب عن الوجود ومن شدة فرحه به ترجل عن الجواد واعتنقه وبكى بكاء الفرح
والسرور وقال لشيبوب ويلك يا ابن الام أنا فقد ثبت عندى الصحيح وقد أخبرنى بهذا الولد كاهن
العرب السطيح وأنتم من أخبركم عن هذا الحمال ومن هى أم هذا الولد الذى قد ظهر لى فبين لى الحق
من المحال (قال الراوى) فقال شيبوب يا ابن الام هذه أمه مهريه التى سبيناها فى أرض بنى دارم
لما ان سرنا نخاص الابجر من قبضة اللقيط بن زراره وقد بت أنت عندها فى الوادى وأنت قلت
سوف أفرح قلبه كما فرح قلبى على جوادى ولما ان عدنا لقينا ابن عمها وقد أتى بمهرها بعد ما أسرته
وهممت بقتله فلما ان سمع عنتر هذا الخبر بان له الامر وظهر وانكشف اليه حقا واشتهر وقال لشيبوب
ومهريه عندكم اليوم فقال له نعم يا ابن الام عندنا وقد ضربنا لها ولولدها مرادق كبير
وتركناه برسمها فزاد فرح عنتر بهذه الامور وعلم انه بولده منصور وقد تعجب كيف
تحدث الايام والدهور وقال ان العقول تعجز عن ادراك قدرة رب العباد ولا
تهتدى الى ما سبق فى علمه من الصلاح والفساد ثم عاد الى ظهر جواده
وركب ولده ميسره بعده وسار فرأى سبيع اليمن بن مقرى الوحش
لابس السواد فعلم ان أباه قد مات فسأل عنه فقال له عروة
والله يا ابن العم ما وصل معنا ولا سلم من ذلك الجرح بل
انه فى الطريق قد مات فقال عنتر واطول
حزناه عليه ان فقده انسانى حلاوة
لقاء ولدى ميسره ولكن
هذه الاحوال مقضيه
وبأمر الله مدبره

(تم الجزء الخامس عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد)

FRONT

Restored through
a grant from
The Cartwright Foundation

Princeton University Library
32101 047143720